

رواية

أحفاد الجارحي

5

“ترويض الشرس”

آية محمد رفعت - ملكة الإبداع

الفصل الأول

قاطع سكنة الليل المظلم ستار الشمس الزاهي، لتجدد مداومة عرش سلطتها ليومٍ جديد، فتدلت إحدى خيوطها لتلامس قبة القصر العتيق، فغمرته بدفئها واحتدت في كرمها حتى بات الأمر مزعج لهؤلاء الغافلون بحديقة القصر المفتوحة، حول مقاعدهم المحاطة بطاولةٍ تحمل عدد مهول من الأوراق والملفات ولكلاً منه حاسوبه الشخصي، فضمت الطاولة ثلاث حاسوب أحدهم يخص "رائد" الذي يحتضنه بنومٍ وإرهاق جعله لم يشعر بليلٍ أسدل جلبابه الأسود عليه وعلى من يتمدد لجواره، فلم يغلبه شبح النوم فحسب بل سيطر على "ياسين" و"أحمد" الغافل لجواره بعدما قضوا الليل معًا للعمل على صفقة هامة ومعقدة وكل "عدي" بها "رائد"، وحينما لم يستطيع أن يجد مخرج لما يقابله من معاضل وخيمة، لجأ لأبرعهم مكرًا واحتراقًا في عمله، ولم تكن ظنونه خاطئة فبعد ساعات طويلة استطاع "ياسين" و"أحمد" منحه الخيارات المناسبة، والحسابات اللازمة لربح تلك الصفقة الصعبة، ف قضى ليله بأكمله ينصت لتعليماتهما، حتى غفاهم صباح موحد للجميع، بدأت أشعة الشمس تحتد وخاصة مع اقتراب الهاجرة، فقطب "أحمد" حاجبيه بانزعاج لم يتركه الا حينما استجاب لذلك الأمر الحاسم، فبدأ بفتح عينيه تدريجيًا، وهو يقاوم صداع رأسه وإرهاق جسده لنومة لم تكن بالمريحة بالمرّة، أخفض ساقيه عن المقعد ثم استقام بجلسته وهو يفرك جبينه بتعبٍ، وحينما بدأ بالاستيقاظ، هز مقعد من يجاوره وهو يناديه:

ـياسين.

واستدار بوجهه للاتجاه الآخر وهو يرفع من صوته المنزعج:

ـرائد.

فتح كلاً منهما عينيه بانزعاج، فتراجع "ياسين" بجسده بعيدًا عن الطاولة التي ضمها طوال

الليل، وخرج صوته الناعس شبه مسموع:

ـهي الساعة كام دلوقتِي؟

حل أحمد جرفاته عن رقبته بضيق، ثم حل ازرق قميصه الأسود ورفع أكمامه وهو يتفحص ساعته الفضية:

ـتسعة!

نهض "رائد" باستياءٍ شديدٍ:

ـيا خبر احنا نمنا هنا ولا أيه؟!

اتجهت نظرات "ياسين" الحارقة لتحيط به، أيملك الجرة ليعترض على الوقت الذي كان هو السبب به، فدنا منه والأخير يتراجع بارتباكٍ للخلف وخاصة حينما رفع إصبعه وهو يحذره بعنفٍ:

ـلو لمحتك قدامي النهاردة هزعلك... سامعني؟

رمش بعينه مطولاً وهو يردف بحيرة:
_ طب وسهرة بليل؟
_ كز على أسنانه بغيط:
_ حاول تبعد عني النهاردة يا رائد أحسنك..
_ تساءل ببراءة مصطنعة:
_ ليه بس أنا عملتك أيه؟!
اتجهت نظرات "ياسين" تجاه "أحمد" وكأنه يشهده على وقاحة ابن عمه، وعاد ليتطلع إليه مجددًا ثم صاح بانفعال:
_ كل يوم نرجع من المقر نص الليل نلاقي واحد فيكم مستنينا بمصيبة والمفروض اننا نحل بلاويه قبل الصبح عشان عدي ميقتعش رقبتة، أما احنا بقا محدش بي فكر فينا ده أنا بقالي يومين مشوقتش مراتي وابني يا ظالمة!
تعصبه الشديد الذي لا يليق بشخصه الهادئ كان بمثابة انذار بخطر عظيم، فجذب "رائد"، "أحمد" ليكون قبالة، فقال بإرهاق سكن باحمرار عينيه التي لم تذق نومًا هنيئًا منذ اللحظة التي تولى بها "عدي" ادارة المقر:
_ خلاص يا ياسين، اطلع غير هدومك عشان متأخرش.
جذبه كلماته الأخيرة عما كان يعتريه، فالتفت تجاهه وهو يتساءل بجديّة:
_ تتأخر على أيه!
تغاضى عن نسيانه لحدث هام هكذا رغم أن ذلك يخالف مكنونات شخصه المثالي، فما يمر به كلاهما يصعب على العقل البشري تحمله:
_ أنت ناسي أن النهاردة هنروح مع عدي نراجع على المكينات اللي وصلت في شحنة الصين ولا أيه!
ضم مقدمة أنفه بيده وهو يجاهد بالتحكم بأعصابه التي تدفعه لاقتاد ثورة ستفتك بابناء عمه لا محالة، فشيعه بنظرة مشتتة قبل أن ينحني ليجذب جاكيت بذلته الرمادي، ثم حمل حاسوبه وتوجه للداخل بصمتٍ زرع القلق في نفس "رائد" الذي أشار لمن يقف جواره بتوتر:
_ شايف بيبصلي ازاي يا أحمد؟
نفث عما بداخله وهو يردد بملل:
_ فكك من شغل الأطفال ده يا رائد.
وجذب جاكيتته هو الآخر، ثم ربت على كتفيه وهو يحثه بابتسامة هادئة:
_ هطلع أغير هدومي أنا كمان، وأنت اقعد كمل الملف وأنا هخلي حد من الخدم يعملك قهوتك عشان تشتغل بمزاج.
غمز له بابتسامة مأكرة:
_ أحبك وأنت فاهمني.

اكتفى بانحناء رأسه وكأنه يتبعه بطريق مزحه المؤقت قبل أن ينهمك كلاً منهما بعمله الشاق، فتركه "أحمد" واتجه للداخل، بينما جذب "رائد" حاسوبه ثم أخذ ينقل البيانات الهامة للملف بتركيز، خشية من أن يتم نقل معلومة خاطئة قد تجني على ثماره الذي جناها بالكد والتعب..

تسلل بحذر لغرفته، والابتسامة الفاترة لا تغادر شفثيه منذ أن رأى الأنوار تضيئها وكأنها هي الوحيدة التي تواجه اشراقة شمس هذا الصباح، فاقترب من الفراش بخطواتٍ حذرة فجلس لجوارها وهو يتأملها بنظراتٍ التهمتها الرغبة وجموح المشاعر الدافئة التي يخبأها لها، فابتسم رغماً عنه وهو يراها تقبض على ريموت الضوء الإلكتروني بين راسغها، فمال عليها "ياسين" ثم حرر الريموت من بين أصابعها ليغلق الضوء الذي تلجأ له زوجته بغيابه، يعلم جيداً بأنها لا تخشى الظلام بدونه فقط، بل تخشى هفوة رقيق قد تلمسها وهو ليس بجوارها، يعلم بأنه مصدر قوتها وسكينة الطمأنينة، ويجب أن يرى تعلقها الشديد به حتى وإن عنادته وفشلت أن تبدي له ذلك، فبالنهاية تحمل نفس العصب الذي يجري بعروق أخيها الشرس وأبيها الذي بدى يقلق حيال أمرهما.

أغلق "ياسين" الضوء ثم خلع قميصه عنه وهو يسرع للخزانة ينقي ما يناسبه حتى يستعد على الوقت المطلوب، فجذب أحد الحلى الرسمية الآنيقة، ثم وضعها على الأريكة المجاورة له، وأسرع لحمام غرفته عل حمام دافئ ينعشه قليلاً، وحينما انتهى ارتدى الحلى ووقف يصفف شعره القصير بعناية، ثم جذب البرفنيوم الخاص به ليضعه على قميصه مستهدفاً رقبته.

ألقي على ذاته نظرة أخيرة قبل أن يتجه ليغادر غرفته، فتوقف محله حينما وجدها تجلس على الفراش، تحدجه بشراسةٍ ويدها مربعة أمام صدرها وشفثيتها تتدل بطفوليةٍ عابسة، كبح شبح ابتسامة كادت بالظهور على شفثيه، وتساءل بجدية اتبعت صوته الرخيم:

ـ مليكة.. أنتِ صحيحتي أمتي؟

أتاه ردها المغتاظ لبروده:

ـ من وقت ما حضرتك اتسحبت وطفيت عليا النور.. قال يعني خايف عليا وعازيني أنام بعمق مش عشان تعرف تهرب!

ضحك رغماً عنه، فدنا حتى بات قريباً منها، وقال بحنان نبرته الدافئة:

ـ أنا عارف إنك مش بتحبي تنامي في الضلمة بس الشمس منورة الدنيا.

أبعدت الغطاء عنها، ونهضت عن الفراش لتكن قبالتها مثلما ارادت أن تتبع تلك المعركة التي قادتها صباحاً:

ـ وأنت يفرق معاك ليل من نهار، أنت حياتك بقت كلها برة القصر وبعيد عني أنا وابنك.

ضم شفثيه معاً بقوةٍ كادت بقطعهما، فلم يكن بذاك الماكر الذي سيحارب وهو يؤكد لها بأنه لم يخطئ، بل يعلم بأنها أول من يقصر معها ويشعر بالخرج حيال ذلك، غلب

توقعاتها حينما ظنت بأنه سيحارب اتهاماتها، ولكنها وجدته يدنو حتى صار قريبًا يقطع المسافة بينهما، فجذبها إليه بيده واليد الأخرى تبعد خصلات شعرها البني عن جمال عينيها الذي اشتاق لتأملهما، تأهبت عينيها لتموج بين شواطئ خاصته، فتدفقت دقاتها تباغًا حينما ضم وجهها بين كفه:

_ أنا عارف يا حبيبتني أني مقصر معاكم، وحاولت إمبراح إرجع بدري عن معادي عشان نخرج أنا وانتِ في مكان خاص بينا بس للأسف رجعت لقيت رائد مستنيني وكان محتاج مساعدتي في حاجة.. أنتي عارفة اني مقدرش أتأخر عنه ولا عن أي حد.. لكن لو عليا فأنا عايز أفضل عمري كله معاك.. أنا بحس طول ما أنا بعيد عنك اني في غربة ولازم تعرفي أد أيه يكون متعذب عشان أرجع وأشوفك قدامي.. الكام ساعة دول بيخطفوا مني كل حاجة... ابتسامتي.. روعي.. قلبي.. بيخطفوا عمري كله.

واسند جبهته لجبهتها وهو يهمس بعشق:

_ أنتِ ملكتي قلبي ومبقاش ملكي يا مليكة!

ارتعش جسدها الذي أعلن التمرد عليها من شدة قربه وكلماته الخبيرة في السيطرة على أحاسيسها ومشاعرها، فلم تستطيع الاعتراض على دفعة عشقه الذي قدمها إليها، سمحت له بأن يخترق خصوصياتها تباغًا، حتى ملكها قلبًا وقالبًا فلم يبالي لكونه متأخرًا، شعر وبذلك اللحظة بأنه يود أن يذهب العمل والشركات والمقر للجحيم، طرد عناء مهماته الثقيلة خلف شرارة عشقه وجموح رغباته التي ذابت آخر حصون عشقهما المؤجل!

الصباح لا يحلو الا بمزيج رائحة القهوة والشاي الممزوج بالحليب الدسم، لإرضاء أذواق الجميع على المائدة التي تجمعهم، حرصت "دينا" و"ملك" على تنظيم الطاولة استعدادًا لموعد تناول الفطور بالساعة العاشرة صباحًا، فسبقن بالتجهيزات قبلها بنصف ساعة، فوقفت كلاً منهن تشرفن على الطعام الذي يتقدم على الطاولة، وما يتم تجهيزه بداخل المطبخ، كان "أحمد" بطريقه لغرفته حتى يبدل ملابسه سريعًا، فانتبه لصوت "ملك" المتلهف لندائه:

_ أحمد.

توقف عن صعوده الدرج، وعاد ليقف مقابلها وهو يتساءل باهتمام:

_ حضرتك ندهتيني.

أومأت برأسها وهي تسأله بقلق:

_ فين ياسين وليه مرجعتوش امبارح مع الشباب؟

رد عليها بابتسامةٍ لم تفارق وجهها البشوش:

_ لا رجعنا بعدهم بساعة، بس كنا بره بالحديقة بنخلص شوية شغل.

منحته ابتسامة رقيقة وهي تخبره:

_ طيب يا حبيبي.. اطلع غير هودومك وانزل عشان تفطر معانا.

أوماً برأسه بخفية وهو يتجه للأعلى بعدما أخبر أحد الخدم بتقديم القهوة لمدمنها الذي
يترقب لحظة وصولها بالخارج، وحينما صعد للدرج وجد من يتابعه من الأعلى وهو يرتب
جرفاته بانزعاج أمام المرأة الموضوعة على جانبي الدرج العلوي، فما أن صعد تجاهه حتى
قال ساخراً:

_يا مرحاب بابو جميد.. راجع وش الصبح كده ولا همك حد!

ألقى جاكيتته وهو يجيبه بتأفف:

_مش فايقلك على الصبح يا جاسم.

منحه نظرة متفحصة قبل أن يشير له بشفقة:

_روح خدلك شاور كده وحصلني تحت في حاجة عملها أخوك المغفل ولازم تعرفها.

اعتصر وجهه بقبضة يده وهو يتساءل بحدّة:

_عمل أيه سي زفت!!

بابتسامة واسعة قال:

_غير وحصلني.

وكاد بالهبوط للأسفل ولكنه توقف حينما جذبه أحمد وهو يردد باستهزاء:

_استنى بس.. أنا تقريباً عشان منمتش كويس بيتهيا لي إنك نازل بدري على غير عادتك..

أبعد يده عن جاكيتته، وعدله بحرص على ألا يتلفه، ثم قال بهدوءٍ مضحك:

_لا أنا بس مليت من دوشة الواد وأمه.. كلوا دماغي على الصبح يا عم.

كبت أحمد ضحكاته بصعوبةٍ وهو يتابع من يقترب منهما ويتلصص على مسمع الأخير،

وإذ فجأة وجد ابنه الصغير موضوع بين يديه وصوت حاد يتلقفه كالصفعات التي علت

رقبته مرة واحدة:

_بقى كده.. طيب يا جاسم أنا هوريك.. اتفضل ابنك اهو شوف بقى مين اللي هيريهولك

أنا مجتلکش بعيال يا حبيبي.

استدار بالطفل الذي لم يكف عن استهداف وجهه ورقبته بأظافره متعمداً غرسها بلحم

وجهه، فصاح بالهم:

_آآه... لا يا داليا متسبنيش مع المتوحش ده أنا آسف.

وركض خلفها وهو يناديها بهلع، ويبعد عنه الصغير وكأنه يحمل قنبلة مؤقتة:

_استني بس يا حبيبتى... ده أنا كنت بهزر وعهد الله بحبك ومقدرش أستغنى عنك.

وأسرع خلفها للأسفل بينما استكمل أحمد طريقه وشفتيه لم تكف عن الضحك حتى أحمر

وجهه.

_رحمة.

ارتعبت فور سماعها لصوت المتعصب، فحمدت الله مرتين أنها الآن بغرفة أبنائها والا

كانت تواجه غضبه الذي لا تعلم سببه إلى الآن، وحينما استمعت لصوت ينادي مجدداً

تركت الباب الفاصل بين الغرفتين بينما تتصنت عليه وأسرعت لفراش ابنتها، فركت
أصابعها وهي تخبرها بإرتباك:

_حبييتي بابا بيناديك مش بتردي ليه؟

رفعت الصغيرة عينيها عن دفترها الصغير لتجيبها بضيق رغم الابتسامة التي ترسمها،
وكانها مجبورة على رسم الود:

_يا مامي كل مرة حضرتك بتقوليلي كده ولما بروحله مش بلاقيه عايزني أنا.

ثم تساءلت ببراءة:

_أنتي خايفة تروحي؟

اخفت خوفها خلف نظراتها الحانقة:

_هخاف ليه يعني!!

ثم تركتها واتجهت بكل ثقة زائفة تجاه الباب الفاصل بين الغرفتين وفجأة على الصوت
بعصبية سيئة:

_رحمة!

تلاشت كل ذرة شجاعة تحلت بها، فهرعت الى فراش ابنها الذي يوزع نظراته بينها وبين
حاسوبه بهدوءٍ مميت، بينما تراقب هي باب الغرفة بخوفٍ وترقب، فحانت منها التفاتة
جانبية إليه وحينما وجدته يتجاهل ما يحدث معها، فقالت بانفعال:

_ولا على بالك اللي بيحصل... أنا مش عارفة انا عملت ذنب أيه في حياتي عشان ربنا

يبعتلي نسخة من باباك وأنا من الأساس بعاني معاه عشان أقدر أفهمه!!

ترك "ياسين" الصغير حاسوبه وكتبه جانبًا ثم دنا ليجلس على حافة الفراش وهو يعاتبها
باستنكار:

_محدث بيقول اني شبهه غيرك يا أمي.. مع أي مش شايف فينا شيء مشترك، هو مش
قادر يشوف نفسه غير الوحش قولًا ولقبًا.. حقيقي أنا مش عارف حضرتك بتتعاملني معاه
ازاي.. لا وبتشبهيني بيه في وجود عظمة البيت ده.. أكيد اني هفرح لو قولتيلي شبه جدك
مثلًا لكن بابا معتقدش ده شيء يفرحني!

جحظت عينيها في دهشةٍ لحواره المرتب الذي اعتادت منه عليه ولكنه كل مرة يثير
اعجابها، فقالت بتوتر:

_طب ما تروح أنت تشوفه عايز أيه وتيجي!

بثباتٍ مخالف لابتسامة مكره:

_مبتنفقش مع بعض أنا وهو.. الأفضل أن حضرتك تروحي وتشوفيه محتاجك ليه..

خصوصًا اني بتبع تعليمات ياسين باشا وبحاول أكون مسالم معاه.

بصدمة تساءلت:

_مسالم معاه! ... أنت هتقتل أبوك يا ياسين!!!!

ضحك بصوته كله وهو يجيبها:

_ قتل آيه بس.. زوجك المحترم اللي داخل حرب كبيرة مع الباشا واللي يدخل معاه حرب
كأنه بيتعرضلي انا.

ابتلعت ريقها بصعوبةٍ بالغة:

_ أنت عندك كام سنة يا حبيبي.. أنا ساعات بخاف منك والله.

عاد لمقعده مجددًا، ثم جذب جاسوبه وهو يتابع دراسته مشيرًا لها:

_روحي بس شوفيه عايز آيه.. لأن التأخير مش في مصلحتك هيتعصب عليكي أكثر..

ومتخافيش أنا هنا لو سمعتك بتستغيثي هجيلك فورًا وكلها أربع أيام والباشا هيرجع هو
وتيتا من رحلة اليخت والدنيا هترجع زي الأول.

لم تستغرب لحديثه الذي يعد متشابهًا لرجلًا ناضجًا عكس توأمة وابنتها "رحمة" تعيش
طفولتها بكل ما تحمله معنى الكلمة، تركته ولم تعلق حتى على جملة الأخيرة فهي تعلم
بأنه على تواصل مستمر ب"ياسين الجارحي"، الشيء الذي لا يصدق أنه أقرب إليه من
زوجها ذاته!

قاومت رعشة يدها عدة مرات قبل أن تحرر مقبض الباب، وبالنهاية أصبحت بداخل غرفتها
تبحث عنه بعينين ترتجف كحال جسدها، فأنحت تبحث عنه بالغرفة الهادئة من ثورته
الغاضبة، استقامت بوقفها وبدأت تلتقط أنفاسها براحةٍ حينما لم تجده، ارتسمت ابتسامة
واسعة على وجهها وهي تهمس:

_الحمد لله نزل.

واستدارت لتغادر غرفتها هي الأخرى، فارتطمت بشيءٍ صلب جعل أذنيها تلتمس خفقات
قلبه من أسفل رأسها، ابتعدت "رحمة" للخلف بفزع، فوجدته يقف قبالتها بمنشفةٍ تحيط
به، ومنشفةٍ أخرى تتدلى حول رقبته على صدره العاري، ناهيك عن نظرات عينيه التي
كادت بافتراسها حيةٍ، ابتلعت ريقها برعبٍ وهي تحاول الحديث:

_آآآ... آ..

اختصر ما يتدفق بداخله من مشاعر متضاربة وهو يسألها بجموح:

_أنا ناديتك كام مرة؟

لعلقت شفتيها بتوتر:

_هو أنت نادتنني!

صاح بعنفوان:

_رحمة.

أغلقت عينيها وهي تعترف بما اخفته ببلاهةٍ:

_أربع مرات.. بس صوتك نفسه رعبني وخوفني اني اجيلك.

ارتخت تعابيره برضا عن اعترفاتهما الكاملة، أبعد المنشفة عن رقبته ثم اقترب منها
فتراجعت للخلف قليلًا وهي تتساءل في خوفٍ:

_ في أيه يا عدي؟!

رفع يده ثم جذب قبعة البيجامة التي ترتديها ودفعها بقوةٍ لداخل غرفة خزانته الخاصة، فحظت عينيها في صدمةٍ حينما رأتها في حالة من الفوضى، وربما لأنها تذكرت ما حدث منذ ساعتين بالتحديد وكونها تعلم عاقبة ما ستنال ازداد خوفها أضعافًا، فهمست بصوتها الخافت:

_ مش أنا لأ... أنا بطلت ألبس الجواكت بتاعتك من زمان.. صدقني مقربتش من حاجتك. ضيق عينية وهو ينهرها بحدّة:

_ حذرتك أكثر من مرة أن محدش يقرب لشيء يخصني لا أنتي ولا حد من الأولاد حصل ولا محصلش؟

هزت رأسها بتأكيد:

_ حصل وأنا شاهدة.

أشار بيده بتعصب:

_ لا مهو واضح!

ثم واجهها ببنية عينية الحالكة:

_ ودلوقتني هتقوليلي الحقيقة ولا أعرفها بطريقتي.

التقطت نفسًا مطولًا قبل أن تجيبه بصوتٍ منخفضٍ للغاية:

_ أنت عارف اننا هنخرج كلنا بليل، فكنت بحاول أنقلبك حاجة شيك تخرج بيها بليل وفي نفس الوقت تليق على الفستان اللي هلبسه.

تقوس حاجبيه بحدّة جعلتها تزدرد حلقها الجاف بصعوبة، فما أن جذبها من تلباب ملابسها حتى أسرع لتتنجو من براثينه:

_ عندك قميص اسود تحفه طالع من عيني.. كنت هلبسه النهاردة وفوقه الجاكت الجملي بتاعي اللي لسه شرياه النهاردة بس للأسف بقالي ساعتين بدور عليه وملقتوش.

احتضن فكيه بين يده بقوةٍ كادت بكسره، فاقترب منها وكعادتها تراجعت حتى التصقت بالخزانة وأصبحت مقيدة من الاتجاهات الأربعة، انحنى برأسه تجاهها وردد من بين

اصطكاك أسنانه:

_ قوليلي أعمل فيك أيه عشان تخافي مني وتبطلني تقربي لحاجتي الشخصية!!

قالت وعينيها مازالت أرضًا تخشى لقائه فتزيدها ربكة:

_ خلاص خلاص مش هأخذ منك حاجة ثاني.. أساسًا ذوقك مش بيعجبني.

رفع وجهها مقابله وأصابه ملفوفة حول رقبتها، تعمقت بالتطلع بعينية الغاضبة فوجدت ذاتها تغفو عما يصيبها من قلق وخوف حيال خناقتها التافهة كل صباح، رفعت أصابعه لتحيط بيده التي تفرض قوتها عليها، لمستها الرقيقة بمثابة همس طائر الكروان لجوار أذن الصل، فإن احتجزت مشاعرها بمنزله تاه هو بموطنها وأسر بين عينيها الفاتنة، وزع نظراته الساحرة بين عينيها تارة وبين شفثيها المرتبكة في حضرته، كأنها تحارب لنطق شيئًا

لم يسعفها، دنا منها وقد ترك قلبه يلبي نداء صامت يعلم سبيله إلى مسكنها وبؤرة
حبهما العتيق، دقات قلبه تتواثب كلما تشعر باقتراب دقاتها، وكأنه يبحث عن ملاذه
وتميمة هذا العشق، دقائق مرت عليهما وكأنهم ثوان معدودة، مازال يريد اطفاء شعلة
الحب المشتعلة بداخله وقبل أن يتعمق بقربه منها استمع لصوت دقات باب الغرفة
الصاخب، على ما يبدو بأن الطارق يحمل مصير الكون الآخير، ابتعد عنها عدي وهو
يهمس من بين أنفاسه المتسارعة:

_مين اللي بيخبط بالشكل ده؟

وجذب الحلى الذي انتقاها ثم ارتداها على عجلة من أمره، وخرج ليفتح باب غرفته، فتفاجأ
بابنه يقف مقابله، وعينيه تتخلل الغرفة من خلفه وكأنه يبحث عن شيئاً ما، فأتاه صوته
الشرس يتساءل:

_في حد يخطب على حد بالطريقة الهمجية دي!

انتقلت نظراته لوالدته حينما طلّت من الخلف تشير له بيدها بحذر دون أن يراها زوجها
بأنها على ما يرام، فسحب الصغير نظراته بثباتٍ عجيب ثم قال وعينيه أرضاً:
_أنا خبطت أكثر من مرة وحضرتك مسمعتنيش عشان كده خبطت جامد.. بعذر لأنني
ازعجت حضرتك.

وكاد بالمغادرة فاوقفه قائلاً:

_كنت عايز حاجة؟

استدار تجاهه وهو يجيبه بابتسامةٍ صغيرة:

_كنت بحسب رحمة مع ماما.. بس شكلها تحت.

أشار له بخبث:

_طب استنى عايزك..

وخرج "عدي" من غرفته ثم أغلقها خلفه وهو يشير لابنه بالاقتراب، حك أرنبه أنفه بتوتر
لهيبته التي لم ترضخ لرغباته قط، فقال بأسلوبٍ ظنه ماكر أمام حفيد "ياسين الجارحي":
_حبيبي أنت متعرفش جدو أخذ تيتا فين بالظبط، أكيد إنه بيتصل بيك وقالك هما راحوا
فين.. مش كده ولا آيه يا بطل!

ضيق الصغير بنية عينيه وهو يحدجه بثباتٍ عجيب اتبع قوله الأدهى مكرًا:

_آه هو فعلاً قالي إنهم طلّعوا رحلة باليخت.. وأكيد انهم في عرض البحر لكن مكانهم جدو
نفسه صعب يحدده وسط المية وحضرتك عارف كده!

دمى شفّتيه بين أسنانه وهو يحاول التحكم بغیظه من ابنه الذي يصفو جوار أبيه عوضًا
عن مساعدته، فقال بضيق:

_روح يا خليفة جدك كمل دراستك.

منحه ابتسامة اتبعت سؤالاً زاد من غیظه:

_جد حضرتك شايفني خليفة لياسين الجارحي!!

انتصب بوقفته وهو يشير له بحدّة:

_على أوضتك.

هز رأسه بخبث:

_زي ما تحب.

وغادر والابتسامة تتسع على محياه رويدًا رويدًا، عاد "عدي" لغرفته، فاتجه للمرآة دون أن ينبس بكلمة واحدة، مرر يده بين خصلات شعره ليمنحها مظهرها عشوائي بعض الشيء، ثم عقد جرفاته بانتظام بعدما تردد بارتدائها، ولكن اليوم هامًا للغاية لذا كان عليه أن يتألق بملابسه الآنيقة، عكست المرآة من أمامه نظرات الإعجاب المرسلة من خلفها، وحينما أمسك بها تتطالعه خلسة قالت بارتباك وكأنها تخلق أي حديث بينهما:

_كنت عايز ياسين في أيه؟

تعمد التطلع لها مطوّلًا بنظرة أريكتها، وخاصة حينما قال:

_أنا فخور بذكائك أنتِ وابنك.

قطبت جبينها باستفهام، فجذب حقييته ثم وضع بداخلها حاسوبه وهاتفه الخاص وقبل أن يخرج من الباب المنصاع ليده قال:

_ابنك بيطمّن عليك مني..متصور اني ممكن أرفع ايدي عليك!!!

ومنحها نظرة عدوانية مشتعلة وقولًا مشكك:

_يا هو اللي بيبالغ بتخيلاته يا أنتِ اللي بتخوفيه مني!

دنت منه خطوتين وهي تردد:

_لا آآ...

انقطعت كلماتها حينما صفق الباب بقوةٍ من خلفه، فابتلعت باقي جملتها ببسمةٍ اتسعت وهي تتخيل موقفها الاحمق منذ الصباح حتى تلك اللحظة.

مررت يدها على بطنها المنتفخ بعاطفةٍ وحب يتغلل بأوصالها، تتمنى بأن يقترب موعد ولادتها لتقر عينيها بصغيرها، تقضي أغلب وقتها بالحديث المنفرد معه، وكأن العالم انعزل بهما، ولجوارها كانت تغفو ابنتها الصغيرة، متكأة برأسها على ساقها، فمررت "نور" يدها على بطنها تارة، وتارة تلامس شعر ابنتها الذهبي، اتسعت ابتسامتها حينما بدأت

الصغيرة بفتح عينيها، فضمتها لصدرها وهي تهمس لها:

_صباح الفل يا روح قلبي.. كده تقضي الوقت ده كله بالنوم وأنا عايزة أنزل ومش هالين عليا اسيبك لوحداك.

ونفضت عن الفراش ثم جذبتها لتشير لها بابتسامةٍ واسعة:

_يلا نأخذ شاور محترم وننزل بسرعة ننضم للحزب.

وحملتها بين ذراعيها ثم هرعت بها لحمام الغرفة دون أن تعي بصحبة من بالداخل، وضعت "نور" الصغيرة على حوض المياه الخشبي ثم فتحت الصنوبر وأخذت تلامس

المياه، وحينما تأكدت من حصولها على دفء بسيط أخذت تخلع ملابس الصغيرة التي تبتسم وهي تتطلع لمن يشير لها من خلف الستار الزجاجي الذي يعزل الدوش عن باقي الحمام، فأخبرتها بمرح:

_تغير بسيط مش هقدر أقف عشان تاخدي الدوش على الواقف ببطني دي، فتمشيها بالحوض وأهو الحوض صغنون ويدوب يسيعك.

وحملت الصغيرة ثم وضعتها بالحوض الذي تحول لبانيو صغير مثالي لجسد الصغيرة، فوضعتها "نور" وأخذت تجذب المياه على جسدها الصغير، وفجأة انقطعت ابتسامتها وتحولت لدموع تدفقت على وجنتها وكأن للمياه ذكرى سيئة للغاية معها، ارتعشت اصابعها التي تلامس جسد الرضيعة، حينما تعلق بأصبعها مثلما كانت تفعل فلذة كبدها، جذب "عمر" ملابسه المعلقة ثم ارتدائها وهو يغمز لابنته التي تتلهف لرؤياه، وترفع ذراعها عدة مرات عله يحملها بين ذراعيه، انتهى من ارتداء قميصه وهو يتابعها بدهشة لعدم شعورها به، فاقترب منها خلسة ثم مال على رقبتها وضمها لتراجع للخلف، ظن بأنها ستفزع وستبدأ بنوبة مشاكستها اليومية، ولكنه تفاجأ بدموعها المنسدلة ببطء، تراجعت نور للخلف بخوفٍ، وكأنه كمشها تفعل جريمة شنيعة، فكادت الصغيرة بالسقوط من يدها لولا أن أمسك "عمر" بحلا بين يديه، ارتخت تعابيرها وهي تتطلع لابنتها التي لا يتعد عمرها عامًا واحد، فوجدتها آمنة بين يده ومازالت نظراته قلقه تطاردها الى أن سألها بخوفٍ:

_فيك أيه يا نور؟!

تلعثمت وهي تشير له بالنفي:

_لا... لا مفيش حاجة.

وتركت الصغيرة إليه ثم هرولت لخارج غرفتها باكية، حزينة، فبات هو بصحبته، لا يعرف ماذا ينبغي عليه فعله، ولكنه حاول أن يتعامل معها قدر المستطاع، فانتقى لها فستانًا بني صغير، وحذاء بنفس لونه، وما أن انتهى حتى صفف خصلات شعرها الصغيرة، فصفر باعجاب شديد:

_شوفتي لما بابي اللي أشرف على الأوت فيت بتاعك طلعتي شبه الملكات ازاى.. عشان تعرفني اني عبقرى طالات.. لا وهطقم معاك.. ثواني.

وجذب جاكيت باللون البني الداكن، ثم ارتدائه وهو يشير لها ببسمة جعلت الصغيرة تبتسم:

_ها أيه رأيك..

همست بعدة كلمات متقطعة مازال عمر يجهل كنياتها... فابتسم رغم ان عينيه مازالت تبكي، عادت كلمة اعتاد سماعها على ذكراه

«أنا أحلى منك يا بابي»!

لمعت عينيه بالدمع رغمًا عنه، فكاد جسده بالتمايل ولكنه بقى صامدًا، قويًا، مازال حتى

وهمس بانزعاج:
_استغفر الله ربنا يسامحنا على الكذب ده..
وعلت نبرته مجددًا:
_الولد مالوش ذنب يدفع تمن اخطاء ابوه.. رصاصة طايشة كده ولا كده تجي في الولد..
مال حمزة بالبندقية على الأريكة وكأنه يعقل حديثه جيدًا وقال بعد نقاش طويل:
_معاك حق يا ابني...
ابتسم عمر براحة كبيرة تلاشت حينما وجد حمزة يقدم له السلاح وهو يشير بها:
_خلاص انت نظرك هيبقى اقوى مني... استهدف المغفل اللي هيجبلي سكتة قلبية ده
وسيب الولد اهو ينفعني لما اكبر وأشيب وملقاش دار مسنين تعجبني..
رفع عمر حاجبيه باستهزاء:
_انت هتخرج من مسلسلات العمر الضائع دي أمته يا عمي!! .. دار مسنين ايه اللي
هتروحها!
أشار له بجدية تامة:
_انا مبثقش في الحيوان ده اول ما هيجيني دور تعب شديد حبتين هياخد اللي حيلتي
وهيرميني في أي دار مسنين..
دنا منه حازم ثم قال بابتسامة واسعة:
_عيب يا حاج اوديك دار مسنين ليه بس.. ما أنا ارميك في أي مستشفى حكومي أوفر!
رمش عمر بعينه وهو يحاول تحمل الأمر، ولكن كان أقصى من طاقته، فأتته النجدة
الآلهية حينما كان يتجه أحمد بصحبة معتر للأسفل، فجزبه ودفعه تجاه أبيه وهو يشير له:
_عايزينك هناك... حل بقى براحتك.
وهرع عمر لغرفة ابنته التي تبعد عن غرفتهما الخاصة باحثًا عن زوجته..

انتهى "رائد" من الملف أخيرًا بعد ساعة كاملة قضاها لينهي آخر خطوة أضافها لحسبته
الخاصة، ففرقع يديه مغمًا وارتخى بجلسته وهو يهمس بارهاق:
_وأخيرًا.
ارتخى بمقعده قليلًا لينعش جسده البائس بعدما انهال من المشقة، وفجأة لمح ابنه
يقترب منه فهمس بضجر:
_يا منجي من المهالك يا رب.
ثم رسم بسملة زائفة وهو يشاكسه بمحبة لا تمت لواقعه بصلة:
_صباحو الفل يا أسر يا حبيبي.. أيه منزلتش النادي ليه مع يحيى ابن انكل ياسين؟
أتاه رده لاذعًا:
_محبش اروح معاه في حته.
ثم جذب احد الاوراق يعبس بها:

_ده أيه!

جذب رائد منه الاوراق ثم فتح الحقيبة وهو يحاول يللم ما تتلقفه يده ولم يمانع بتحذيره:
_متلعبش في حاجة يا حبيبي.

ضم الصغير حاجبيه بخبثٍ وقد اتته فكرة خبيثة، فجذب احد الاوراق ثم هرول وهو يصيح
بمشاكسة:

_لو عايزها امسكني.

صعق رائد وهو يواجه تلك المفاجأة الصادمة التي لم تكن بالحسبان، فهرع خلفه وهو
يترجاه بابتسامة صفراء:

_آسر بلاش قلة أدب يا حبيبي.. الاوراق دي مهمة وممكن يتعمل من أبوك صباغ كفتة
محشية بالرز والفريك ترضهالي يا أسورة؟

رفع الصغير يده واسند ذقنه إليه وكأنه يفكر قليلًا، فعالت ابتسامته الشيطانية وهو
يركض:

_أرضهالك يا كبير.

ركض رائد خلفه حتى انقطعت انفاسه فصرخ به بعنف:

_ورحمة جدي لو موقفت مكانك لاقتلك انت وامك في ساعة واحدة.

لم ينصاع اليه فركض بسرعة لم يقدر ابيه على محاذاتها، فاستند على أحد الاشجار وهو
يلتقط انفاسه بصعوبةٍ بالغة، وحانت منه نظرة جانبية لمن يتابع المشهد العريق لاحد
أحفاد آل الجارحي يطيح بعنجهية ذاك المغرور، فانفجر بهم رائد كالبركان:

_انتوا بتتفرجوا عليا... اعتقلوا ابني بسرعة!

وما أن انهى امره حتى هرع جميع الحرس ركضًا خلف الصغير الذي هرول لداخل القصر،
وبالاعلى انضم اليهم خالد المحمول فوق رأس حازم الذي يحمله كوسيلة نجاة من رصاص
أبيه ويهرول لاي اتجاه تسوقه قدميه.

بالأعلى..

بحث عمر عنها فظنها بغرفة ابنته، وما أن فتح بابها حتى تفاجأ بها فارغة، فخرج ليبحث
عنها على التراس فوجدها تجلس على حافته وبين يدها علبة من العصير ترتشفه على
مهل، خبأ عينيها بيده فقالت بشراهة:

_يا دوك ده مكان تغميني فيه.. عايز تتخلص مني من غير ما حد ياخذ باله ولا أيه؟

جلس لجواره وهو يمنحها نظرة متفحصة تود استكشاف ما تود فعله، فوجدها تتهرب
بعيدًا عن الحديث بموضوع ابنتها الذي سيزيد من جراحها... فربما ببعض الاوقات لا نود
خوض تلك التجربة المريرة عن الحديث عن أمرًا لا نود النباش به مجددًا، ريثما وقتًا آخر
يكون مناسبًا للنباش به ولكنها الآن تحاول الابتعاد عن أي شيء يذكرها به، هكذا شعر عمر
فلم يرغب بسحبها لألمٍ تتهرب هي منه، لذا ابتسم وهو يناطحها بعند:

_اكيد ميهنيش لانك بتشربي العصير من غيري... ده انتي حتى مفكرتيش تقولي لي أعملك
فطار بصوت كله انوثة زي الستات.
ضحكت حتى ادمعت عينيها، وبصعوبة قالت:
_زي أيه يعنيا!
وانتهت من ارتشاف العصير والقتة ارضًا، ثم تحملت على ذراعيه وهي تشير له بارهاق:
_قومني بس الله يسترك عشان أعرف اسمعك الكلمتين بتوع كل صبح.. حكم انت
متتكيفش الا لما تسمعهم..
عاونها عمر على الوقوف وقبل أن تفتح فمها كممها جيدا وهو يهمس لها:
_لا وحياء مامتك مش طالبة معايا على الصبح... لسه لما هروح المقر هأخذ التغفيلة
التمام من عدي وياسين كفايا دول عليا النهاردة.
أشارت له بإيماءة خفيفة، فابتعد عنها وهو يشير لها بخوف:
_بصي الدرس الاخلاقي بتاعك مش لازم يكون ليا بس، ممكن توسعي نشاطك وتديه
لرحمة مثلاً أو ممكن حد من البنات أو اقولك الواد معتز مش مضبوط بقاله كام يوم
قافش مع شروق استحضري روح المصلحة الاجتماعية اللي جواك وحيلي اللي بينهم..
اشارت له بملل:
_في حاجات كتيرة هنا محتاجة ترجع زي الأول لما أولد بس وأنا هفوق ليهم.
صاح بفرحة لنجاته المحتومة من محاضراتها الاخلاقية:
_هو ده الكلام..ياللا عشان نلحق الفطار.

الصدمة لم تكن صدمة الا حينما تفهم ذاك الأحق مدلولها، حيث كان يظن بأن الجميع
يتكاتف للفصل بينه وبين أبيه، ولكن المفجع بالأمر حينما وجدهم يخلصون الصغير عن
يديه حتى إن انطلق من فوه سلاح ابيه الرصاص لا يتأذى الصغير، ولكن لا بأس ان
أصابته الطلقة وكأنه سيريحهم من جحيم يحتبسهم جميعًا، فرفع خالد للاعلى ثم صاح
قائلًا:

_انتوا مش عايزين الواد... خدوا الوالاد
والقاه على أحمد الذي تلقفه وكأنه ينجح في صد ركلة الكرة لشباك العدو، وفجأة هرع
للمصعد وعبث بازره وهو يهمس لهم بابتسامة حمقاء:
_بالسلامة أنا..

صعد به المصعد للطابق الرابع، فخرج منه ثم ركض للمصعد الخارجي، فولج وأغلق بابه
ليستعد للهرب من الخارجي، وحينما استدار الخلف لاختيار الطابق الارضي من لوحة
مفاتيحه صعق حينما وجد "ياسين" يحول المصعد لعربة خاصة بملابسه ومتعلقاته
الشخصية، فارتدى القميص فوق البنطال وعلى ما يبدو بأن الوقت قد سرقه وتناسى أمر
الاجتماع الهام، افغر فاهه وهو يتابعه وهو يرتب خصلات شعره فاتجهت نظراته اليه فقال

الاحير:

_لا خد راحتك يا حبيبي.. عادي بتحصل معنا كلنا وبنكمل بقية لبسنا في الشارع... كأني هوا.

تجاهله ياسين وجذب البلطو الخاص به ليرتديه فوق قميصه الابيض ثم جذب البرفنيوم الأسود من الحقيبة المفرودة من أمامه فقال دون ان يستدير اليه:

_هربان من مین یا زفت؟

همس بخية امل:

_من البشر كله... ولاد عمك الاندال متفقين مع ابويا عليا.. حتى اخويا الواطي واقف في اول صف وبيسلمني تسليم اهالي.

قال بسخرية وهو يرتب اوراقه:

ابن حلال وتستاھل یا حازم واللہ

وانتصب بوقفته بعدما انتهى من الاستعداد لبيدو أوسم من الحلى الذي ارتداها بالصباح، وقال قبل ان يصغط على الزر:

هٲٲزل انهي دور.

على الفور قال:

ممكن الثاني... لان كلهم في اول دور.

ضغط اصبع ياسين على الطابق الاول بابتسامة خبيثة، فذم الاخير شفتيه وهو يردد
ساخطًا:

—من هم لهم يا قلبي يا تحزن.

نجح "رائد" بكمش ابنه من تلباب ملابسه، وكأنه يقبض على مجرمٍ هارب من العدالة،
وفجأة صاح بان دفاع:

يا رااااايا

ظهرت من امامه وببيدها طبقين من الخبز الصغير، وضعتهم على المائدة ودنت منه تتساءل بقلق:

ایہ یا رائد بتزق کده لیہ؟

سلمها ابنها من تلباب ملابسه وهو يشير لها بضجر:

ربي ابنك السفاح اللي شبه حرمي الغسيل ده أحسن ما وربي اشرد هولك.. انا خلاص مبقتش باقي على حاجة انا جيت اخري منه.

وتركها وصعد للاعلى فانحت تعدل من ملابس الصغير وهي تعاتبه بضيق:

عملت أيه تاني في بابي يا أسر؟

بابتسامة واسعة قال:

تَحْبِيْ اَبْدًا بِاَيِّه؟

طرقت على صدرها بصدمة:
_تبدأ بأيه.. ليه انت عملت كام بلوة؟!!

ما أن دقت الساعة العاشرة صباحًا حتى اجتمع الجميع على طاولة الطعام باستثناء «رعد، أدهم، عز» لتوالى امور الشركات بايطاليا، اضافة لياسين وآية فالجميع يعلم بأن ياسين الجارحي يود قضاء بعض الوقو الخاص مع زوجته برحلة تفاجأ بها الجميع بعدما كانت بصحبة عدي لتنقية بعض المتعلقات الخاصة بولادة نور، ومنذ ذلك الحين لم تعود للمنزل..

انضم "يحيى" لمجلسهم، فجلس على رأس الطاولة محل "ياسين" ثم قال باستغراب حينما لم يجد أحدًا تناول طعامه:

_محدث بيأكل ليه؟

قال "معتز" بابتسامة صغيرة:

_مستنين حضرتك.

منحه ابتسامة لطيفة وشرع بتناول طعامه وهو يوجه حديثه لعدي:

_عملت أيه يا عدي في الموضوع اللي كلمتك عنه... هناخد الصفقة ولا هنسبها؟

رفع عينيه اليه ثم قال بهدوء:

_لو الصفقة دي مكنتش مهمة لشركاتنا مكنش حضرتك فتحت موضوعها أكثر من مرة يا عمي.. فبالتالي أنا مش هقبل إنها تضيع من ايدينا.

ابتسم لدهائه رغم انه كان يدور خلف غايته الاساسية، فقال:

_تمام اتفق انت وياسين على التفاصيل ونشوف الدنيا هترسى على أيه.

اكتفى بايماء بسيطة من رأسه ثم عاد الجميع للسكون مجددًا، فكسرت نور بلور الصمت حينما قالت:

_على معادنا بليل ولا غيرتوا رأيكم كالعادة..

تطلع الشباب لبعضهم البعض بحيرة، فاضافت داليا:

_سيبك منهم يا نور... كل يوم بيدونا مواعيد وفي الاخر هيقولوك معلش اناخرنا النهاردة بالشغل!

قالت شروق بتذمر:

_احنا ملينا من الاسطوانة دي... بجد اتخنقنا ومحتاجين نخرج.. صح ولا ايه يا بنات؟

اكدت آسيل على الامر وهي تضع احد اللقمات الصغيرة بقم ابنها "آويس":

_لو مش هيقدرنا يبقى احنا كمان مش هنقدرهم وهنخرج من غيرهم..

منحها احمد نظرة جعلتها تبتلع باقي كلماتها وهي تشير بخوف:

_خلاص نديهم النهاردة فرصة اخيرة.

تعالى ضحكات ملك وهي تشاكسها:

_رجعتي ورا من نظرة يا آسيل!

رد عليها يحيى بابتسامة هادئة:

_متسرخنيش الامور بينهم يا ملك.

ثم تطلع للجانب الايسر حيث يجلس الشباب كلا منهم جوار بعضهم، فقال:

_هما معاهم حق.. لازم تخصصوا ليهم وقت على الاقل بالخروجة بتاعت النهاردة.. اخرجوا

واتعشوا باي مكان... وان كان على الشغل مش انا هنزل معاكم المقر النهاردة انا وحمزة

وهنحاول نشيل عنكم شوية... مش كده ولا ايه يا حمزة؟

استدار بوجهه لاتجاه الاخر وهو يردد:

_لا مش كده... انا مشغول طول اليوم.

تجعد وجهه بذهول:

_ليه وراك ايه؟

قال بغرور وهو يعدل من قميصه:

_عندي جلسة مساج على شوية مسكات وآآ.

بترت كلماته حينما صاحت تالين بغضب:

_وراك ايه يا حبيبي.

ضحك حازم بشماتة:

_البس عشان خارجين.

تبدلت قسمات وجهه للخوف الشديد فاسرع بنفي تلك التهمة الباطلة عنه:

_لا كنت بقوله هروح الصيدلية اجبلي رباط صليبي أصل العضمة قفشة شوية بس

دلوقتي بقيت احسن الحمد لله.

وترك الطعام ثم نهض وهو يشير اليه بخوف:

_ياللا يا يحيى نروح نشوف المقر.

مسح يده بالمنشفة واتبعه وصوت ضحكاته يعلو فيزيد من حنكه، انسحب الشباب خلفهم

تباعًا وكلاً يعتلي سيارته الخاصة، ولم يتبقى سوى الفتيات على الطاولة، فتوقفن كلا

منهن عن تناول الطعام بحزن يسيطر عليهن، فقالت مليكة:

_صدقتوا ان بابا كان معاه حق... مبقوش يشوفونا غير ستات بيوت متنفعش غير لتربية

الاولاد وحتى مبقوش يهتموا لخروجتنا ولا لينا زي الاول!

اكدت رحمة على حديثها:

_فعلا عمي كان معاه حق... حقيقي انا ندمانة اني موفقتش على اقتراحه من الاول..

قالت نور:

_وندمانه ليه هو ادانا وقت نفكر عما يرجع من الرحلة ونقدر بكل بساطة نقوله قرارنا..

اضافت رانيا:

_نور معاهها حق احنا نبلغه اننا كلنا موافقين وهنعمل كل اللي هيطلبه مننا.

معاه حق والله انا لو مكانه كنت قتلته وقتلت نفسي من كتر المصايب اللي بتتحدف عليا

بِسْمِ اللَّهِ

اشار لهم جاسم بغرور وهو يدنو منه:

خلاص يا رجالة انا اللي هحل الموضوع

ودنا منه ثم جذب السماعات بعيد عن اذنيه ليفزع من صوته الذي يشبه انشودة انثى البغضاء، فما ان توقفت الموسيقى الشعبية حتى اخرج من اسفل قميصه الريموت المتحكم بالسماعات الاسباسية وهو يغمز بمكر:

کنت حاسس بخپانه..

نهض رائد عن مكتبه وهو يحذره بجدية تامة:

حازم اووووعااااا

ما ان انتهى من حديثه حتى انطلقت الموسيقى الشعبية بالارجاء وكأن هناك حفل زفاف بين زقاق الحارة الشعبية، والابشع من ذلك حينما صعد حازم على سطح المكتب والقى بالورق وهو يغني عاليًا ويردد:

_مشینا صح مش عا ااجب والغلط مش سکتنا..

ردد عمر من اسفله:

..انت الغلط بذات نفسه يا حبيبي... هات الر يموت ده هتفضحننا ربنا يخذك..

رفض حازم تسليمه الريموت والقاءه من نافذة المكتب، فصعق معتز حينما وجد جاسم يصعد اعلى المكتب في محاولة لقتل هذا النذل من وجهة نظره، فأمسك حازم يديه واجبره على الرقص معه وللعجب انسجم جاسم خلفه واخذ يرقص بصحبته، ضحك معتز وجذب عمر ورائد اللذان استجابا سريعا لتلك الاجواء الدرامية...

انهمك "عدي" و"ياسين"، بتفحص المكينات المستوردة حديثًا من الصين، وحينما انتهوا توجهوا للغرفة المشتركة بالشباب معًا، لتوقيع العقود الجماعية استعدادًا لتلك الصفقة الهامة التي ستهدم الاحطبة فوق عدد مهيب من أسماء كبار رجال الأعمال، التي تشملهم جملة شهيرة (حيتان السوق) كما يلقبون..، صعدوا معًا للمقر ومنه لغرفة المكتب الجماعية، فشهب ياسين من فرط الصدمة بينما ربع عدي يديه امام صدره وأخذ يتابع ما يحدث بنظراتٍ شرسة تسجل كل رد فعل بذاكرته لوقتٍ سيفسره حسابًا عتيق..

كان الوضع لا يرثى له... حازم وجاسم يتراقصون اعلى المكتب، ولجوارهم عمر الذي يحرك يده وكأنه في نزاع عنيف، بينما يرقص معتز ويده تحيط بكثف رائد المستمتع بتقليد خطواته المحترفة أكثر منه، بينما بالزواية المنفردة كان يغوص أحمد بعدد مهول من الاوراق متناسيًا وجود هولاء الحمقى وكأنه بعالم منعزل لا يسمع... لا يرى... لا يتحدث.. توقف الجميع عن الرقص حينما تحرك ياسين المصعوق وفصل الفيشة عن السماعات العملاقة، فاتجهت النظرات المصعوقة اليه، فسيطر الخوف والقلق عليهم حيال امر تواجهه المرهون بتواجد الأكثر خطورة لذا اتجهت جميع الانظار تجاه باب المكتب وخاصة

تجاه الوحش الشرس الذي قابلهم بابتسامة شيطانية وجملة تعبيرية لا تخلو من جمال
النص ورونقه:
_بالنسبة للناس اللي مستنية توقيع المدراء دول نقولهم مشغولين وراهم نمرة ولا في
الانعاش ومحتاجين عمرة!

الفصل الثاني

لم تكن اليقظة بمثابة حلم شاق، بل واقع ملموس، انسحبت حالة الفوضى تدريجيًا، وكَلَّا
منهم يعود لموقعه الطبيعي، هبط "جاسم" للأسفل واتبعه "حازم" ببطء، حتى "رائد"
أسرع لمكتبه ف جذب نظارته الطبية وارتدائها وهو يسرع بالعبث بأزرر الحاسوب، أما "عمر"
فوزع نظارته مطوَّلاً بين أخيه ويده المرفوعة بوضعية تشبه الكارتيه، وأسرع هو الآخر
لمكتبه، ضم "عدي" يديه بجيب سرواله، ثم خطى من مكتب لأخر، والجميع يراقبه من
طرف أعينهم، إلى أن كسر حاجز الفضول حول عقابهم المستحق:
_لو فكرني هرفع أيدي وهضرب تبقوا غلطانين.. أظن انكم كبرتوا كفايا على رفع الأيد
والحركات دي.

ابتلع حازم ريقه بصعوبة بالغة وتساءل بصوت متقطع من فرط التوتر:
_أمال هتعمل فينا أيه يا وحش؟
استدار تجاه مكتبه فجأة بنظراته الثاقبة، فارتد حازم بمقعده للخلف برعب، وخاصة حينما
طرق بيده على سطح مكتبه:
_في عقاب تستحقوه أنت وهما..
وعاد لينتصب بوقفته بشموخ اتبع هيبة قراره الحازم:
_مفيش خروج النهاردة..ولا حد هيرجع البيت الا لما كل الملفات اللي قدامكم دي تتدرس
وتتراجع كويس.

فغرت الأفواه، ومن بينهم عمر الذي قال:
_طب وبالنسبة للخروجة اللي البنات معشمين نفسهم بيها من شهر فات دي!
اتجهت نظراته تجاهه، فأسرع بالحديث لينجو:
_أي حاجة تتأجل.. ولا يهملك يا وحش..
عاد ليتطلع أمامه بثبات وهو يشير لياسين الذي يكبت ضحكاته بسيطرة تامة:
_أرجع أنت وأحمد في معادكم عادي يا ياسين.

وترك الغرفة ثم غادر بصمتٍ، فنهض حازم عن مقعده ثم القى بجسده على المكتب وهو يحاول اتباع خطوات "عدي" فما أن تأكد من مغادرته حتى ادعى عصبيته المختبئة خلف قناع الرعب من أن يستمع إليه:

_ احنا مش مضطرين ننفذ عقابك يا وحش، وبقولك تاني لما نكون بنتكلم متخدش في وشك وتمشي قبل ما نخلص كلامنا وآآ
قاطع حديثه ضربة هوت على رقبته، فاستدار للخلف بفزع سكن حينما وجده معتز يلقيه بسخرية:

_ بطل الخيلة الكدابة دي.. اقعد ومنسمعلكش صوت والا ورحمة جدي هقتلك وقتي ونتخلص منك ومن مصاييك السوداء اللي طايلا في كل مكان.
هز رأسه وهو يسرع بالجلوس، خوفًا من القادم، فراقبهم جيدًا ليدرس ما تبوح به أوجههم، فلم يجد سوى الغضب والحنق على عقاب تلاقوه بسبب ساذجة هذا المعتوه!

بالمكتب الرئيسي لمقر شركات الجارحي..
جلس "عدي" على المقعد الذي لم يجرأ أحدًا على احتضن جسده الخشبي سوى امبراطور ممتلكات الجارحي، والآن ولي العهد نجح بأن يحل محله مثلما كانت تلك القاعدة الاساسية في لائحة شروطه لترك الشرطة والعمل مع أبناء أعمامه، راقب ما يحدث بالخارج عبر كاميرات المراقبة، وحينما تأكد من انشغال الجميع فتح الدرج العلوي لمكتبه الأسود الأنيق، ثم فرد من أمامه عدد مهول من الكتب والأبحاث والأوراق الملخصة لتجارب رجال أعمال من رواد الصناعة في مصر والعالم العربي، ثم بدأ بالدراسة وكأنه طالب ثانوي يستعد لامتحاناته جيدًا، ساعات متتالية قضاها بالمذاكرة بتركيز وتمعن، إلى أن دقت ساعة المنبه الخاص، فرفع سماعة الهاتف المخصص لمكتبه وبخشونة وصرامة قال:

_ ابعتيلي ياسين حالا.

اتاه صوت السكرتيرة تجيبه باحترام:

_ حاضر يا فندم.

وبالفعل ما هي الا ثوان معدودة حتى وجده يقف من أمامه، فقال وهو يغلق باب المكتب جيدًا من خلفه:

_ آسف نسيت خالص.

حدجه "عدي" بنظرة ساخطة اتبعها قوله اللازع:

_ لا أنت شكلك اخدت على مكالماتي كل يوم.. وشكلي هخليك معاهم ل بكره لانك متهم بالتقصير في عملك زيك زيههم.

على الرغم من حدة نبرته الا أنها حملت طيف من المرح، فابتسم "ياسين" وهو يخلع عنه جاكيتته وجرفاته، ثم أشمر عن ساعديه، جذب أحد المقاعد وجلس قبالته وقال وهو يجذب

بعض الاوراق لامامه:

_كده كده بايت هنا يا حبيبي.. أنت فكرك أنهم هيسبونني انا وأحمد نروح كده.. قلبك أبيض.

ثم جذب أحد الأقلام وهو يشير له عند نقطة دونها ببطءٍ ولسانه يردد ما كتبه:
_ازاي تبقى هجام درجة أولى واللي فاكرك من سيتي ستار يتفاجئ انك من بولاء.. ده درسنا النهاردة.

احتدت نظرات عدي تجاهه، فقال بسخطٍ:

_أنت بتعلم ظابط شرطة ازاي يبقى سفاح!

بابتسامةٍ تحمل معنى الفخر لما حصده خلال سنوات العمل الطويلة مع عمه وأبيه قال:
_ في شغلنا لازم نتعلم ازاي تقلب التربيعة على منافسينك حتى لو هتختار طريقة مش كلاسكية.. المهم صدى الضربة اللي تعلم ومتتنساش.

أوما برأسه بتفهيم لتلك النقطة، فعاد ياسين ليستكمل تلخيص ما تعلمه خلال تلك السنوات برغبة من عدي، فما ان استلم ادارة المقر وهو يخصص لذاته وقتًا لا بأس به للتعلم والدراسة عن مجال ادارة الشركات ليكن رئيسًا ناجحًا كياسين الجارحي، فكان يستعين بمساعدة "ياسين" و"أحمد" سرًا، انتهى "ياسين" من شرح ما أرد، ففتح عدي دفتر خاص به ثم دون أمام أعينه التي تراقب ما سيفعل:
_بيانات ومعلومات المنافس.

ضيق عينيه باستغراب:

_ليه هو متهم بقضية هتطلعله فيش وتشبيه؟!

نهض عدي عن مكتبه ثم اتجه لمكينة القهوة الموضوعة بركن منعزل عن غرفة المكتب الضخمة، فصنع كوبين واقترب ليضع مقابله كوبًا، ارتشفه بتلذذٍ وهو يردد بثقةٍ مخيفة:
_مش لازم عشان تعرف طبيعة الشخص اللي هتشتغل معاه انك تكون ظابط شرطة.

ووضع الكوب على الطاولة وهو يشير إليه:

_مش هتقدر تتغلب على شخص وأنت مش دارس انطباعاته كويس حتى لو هيجمعك بيه شغل مؤقت ولا آيه!

هز رأسه بتأكيدٍ وابتسامة اعجاب تشكلت على شفثيه، فنهض عن مقعده ثم ارتشف قهوته سريعًا، ارتدى جاكيتته وعقد جرفاته من جديد، واتجه للخروج وهو يخبره بعجلةٍ من أمره:

_هرجع أكمل شغلي ولو عوزت أي حاجة ابقى كلمني.

أوما برأسه وهو يتفحص الملف الخاص بأحدى الصفقات التي وُكل بها يحيى الجارحي وأبيه، فحرص على دراسة درس طريقة كلاً منهما بالتعامل في العمل، ليتفادى تكرار ذاته مجددًا، وكأنه يود صناعة بصمة خاصة به..

وبعد ساعتين انفتح باب مكتبه مجددًا، فطل "أحمد" من خلفه وهو يلوح له بمرحٍ:

_لو مشغول ممكن أرجع في وقت ثاني.
أغلق الكتب من أمامه وهو يشير له بجديّة:
_ادخل يا أحمد.

اقترب احمد منه، ثم وضع الملفات التي يحملها على طرف مكتبه بنظرة مشفقة لما يراه
من عدد ضخّم من الكتب والاوراق، فعاد لمزحه مجدّدًا حينما قال:
_عمرك شوفت تلميذ بيدي للمدرس حصة؟ آه لو حد من الشباب دري هتطلع على
النشرة.

أبعد مقعده المتحرك عن مكتبه ثم نهض واتجه ليجلس على الأريكة المريحة وهو يشير
له بابتسامة عابسة:

_متقلقش مش هيحسوا بحاجة من ضغط الشغل اللي أنا زنقهم فيه.. مفيش بايدي حاجة
اعملها غير كده، على الاقل لحد ما أحس اني بقيت جاهز.
عارضه أحمد حينما قال:

_بس انا شايفك جاهز من دلوقتي يا عدي، أنا منساش انك ما شاء الله قدرت تخلص
صفقة الحديد والاسمنت بعد ما فقدنا الامل انها هترسى علينا. ثم ان عمر مش هيكون
أمهر منك ولا أيه!

تمدد على الأريكة بتعبٍ بدى بنبرته الهادئة:

_لا يا أحمد محتاج لسه أدرس الموضوع أكثر، زي ما أتعلّمت من شغلي اني أذاكر كل
قضية كويس قبل ما أجمع الخيوط كلها، ممكن أبدأ وواثق اني هنجح بس ده مش
هيرضيني.. أنا مش عايز النجاح ده.

تساءل بدهشة:

_أمال عايز أيه؟

ابتسامة مأكرة لاحت على شفتيه، انبعت عما يبينه من آمالٍ لا سقف لها:

_عايز أكون أفضل من ياسين الجارحي نفسه!!

بمكتب اللواء "مصطفى القاضي".

قلب بين محتويات الصور التي يحملها من أمامه بصدمةٍ سيطرت على لسانه العاجز عن
النطق، اشتعلت الدماء بعروقه فانتفخت وكأنها ستنفجر، فألقاها على المكتب من أمامه
بعصبيةٍ سكنت داخل نبرته المنفعلة:

_إزاي ده كله يحصل وميكنش عندي علم بيه يا رفعت!

بدأ القلق يتسرب على وجهه الذي يملأه التجعيد، فابتلع ريقه بتوتر وهو يختار ما سيقوله
بعناية:

_من بعد هروب المجرم بذلنا مجهود كبير اننا نقبض عليه بس للأسف معرفناش نوصله،
وبعد السنين دي كلها اتفاجئنا بحادث موت الرائد حسام، ومن بعده شريف والوقتني عمرو

والتلاتة ماتوا بطريقة بشعة زي ما حضرتك شايف.

تعمق اللواء في الثلاث صور بنظرة شفقة وحزن على مصير هؤلاء الأبطال، فما ذنب شرطي شريف قام باداء عمله على أكمل وجه أن يقتل بتلك الطريقة المروعة، وكأن الانتقام كان يشمل أداء مهمته بالقبض على هؤلاء اللصوص اللعناء، وضع اللواء "مصطفى" الصور عن يديه وهو يتساءل بضيق:

_مين اللي كان ماسك القضية دي؟

عاد الارتباك يتراقص على معالمه من جديد وهو يخبره:

_المقدم "عدي الجارحي" يا باشا.

صعق حينما استمع لما قال، وخاصة حينما اكمل حديثه قائلاً:

_ده مجرم مش عادي يا فندم، وراه ناس تانية ساندينه برة مصر، حاولنا بكافة الطرق اننا نكشفهم او نكشف نشاطهم بس مسابوش غلطة واحدة وراهم، وعدي باشا نفسه قبل ما يستقيل كان شاكك ان في مصايب تانية كتير ورا "أمجد السلاموني" ده، وبعد ما كلنا شوفنا الطريقة اللي هرب بيها صدقته وأمنت بنظرته الدقيقة لاي مجرم.

واستطرد بحزن بالغ:

_احنا لازم نحذره ونخليه ياخذ احتياطاته كويس لان كل اللي طلوعوا بالمهمة دي اتقتلوا بطريقة وحشية وللأسف الدور عليه.

اعترض عن طريقة تفكيره النمطي تجاه شخصية يعرفها جيداً.. فقال:

_لا أوعى تعمل كده..عدي متهور ومش هيقدر يتعامل مع الموضوع ده اطلاقاً.. خصوصاً لو حس اننا بنراقبه أو بنحاول نحمله.

مال بجسده للامام وهو يتساءل بدهشة:

_طب والحل!

نهض اللواء عن مكتبه، ثم دنى من خزانته السوداء فبحث بين محتوياتها عن ملف هام، طرحه من أمامه، وقلب بين صفحاته وكأنه يبحث عن شيئاً ما، وجده فقرأه بكل اهتمام، تأهبت لاجله حدقتيه المصعوقة من أمر ما، وخيوط جمعها ببراعة، وفجأة تطلع لمن يجلس مقابله وهو يردد:

_عدي في خطر أكبر مما نتوقعه يا رفعت.. لازم نتحرك بسرعة والا لو حصله حاجة هتبقى عيبة في حقنا كلنا ان ظابط قدم لشغله كل حبه وتفانيه وبالنهاية يحصله كده.

وجذب هاتفه ثم عبث بازارره بتردد، وتركه جانباً وهو يزفر:

_مفيش غير واحد هو اللي هيقدر يستوعب حجم الخطر حولين عدي، بس للأسف باللي هعمله ده ممكن اتعرض للمحاكمة وأنت عارف ليه!

تفهم الأمر كونه شرطي، فأملى بهدوء اقتراحه:

_ممكن حضرتك متدخلش في تفاصيل تخص القضية.. يكفي انك تنبهه.

وبفضولٍ تساءل:

_بس حضرتك تقصد مين بكلامك؟
رفع رأسه وهو يتطلع للفراغ بابتسامةٍ تنبع بكل فخر:
"-ياسين الجارحي."

كعادتهم كل مساءٍ تستعد كلاً منهم، ويترقبن لحظة وصولهم للوفاء بوعدهم التي باتت تنكس الفترة الأخيرة، جلسوا بالأسفل جوار بعضهن البعض، وأعينهم تراقب عقارب الساعة التي أصبحت تزحف ببطءٍ على الثانية عشر ليلاً، فنهضت "مليكة" عن الأريكة المطولة وهي تشير لهم بتذمر:

_قوموا ناموا محدش هيجي ولا في خروجة أصلاً.

حاولت "ملك" تلطيف الأجواء فقالت:

_ما يمكن على الطريق يا حبيبتى..

أجابتها "داليا" بسخرية:

_بقينا نص الليل يا طنط.. هنخرج السعادي ونروح فين!

أضافت "شروق" بحزن تغلب على نبرتها الشبه باكية:

_محددش عاد مهتم بينا من الأساس.. تصبحوا على خير.

وتركتهم وصعدت حتى لا يرى أحداً دمعاتها البائسة، حملت "نور" طبق المقبلات ثم

جلست على الأريكة لجوار "رحمة" و"تسرين" ووضعت الطبق بينهما:

_سبكم منهم احنا ممكن نفرح نفسنا من غيرهم..

التقطت منها رحمة المقبلات والتسالي، فتناولت بغيظٍ وكأنها تفجر ما تخفيه خلف

غضبها الهادئ، وأشارت لها بانزغاج:

_ما تفتحين حاجة تتفرج عليها طيب.

هرولت تجاه التلفاز وهي تشير لها:

_عيني..

اضافت "مليكة" بغيظٍ:

_وعشان نبتلهم انهم مش في دماغنا هنقعد ونسهر للصبح من غيرهم.

قالت "رانيا" بحماس هي الاخرى وهي تهم بالوقوف:

_وأنا هعملكم بان كيك يستاهل بوقكم.. وهشوف أيه جوه ينفع للأكل أو ممكن نطلب

اكل من برة أيه رأيكم!

مررت نور يدها على بطنها المنتفخ بجوع:

_كلك نظر يا بت.. اطلبي من بره أسرع.

راقبت "ملك" ما يحدث بدهشةٍ، حينما حولت الفتيات قاعة الاستقبال لمطعم فاخر،

ووضعن التسالي والمشروبات، فهمست ببسمةٍ ساخرة:

_يطلعوا همهم على الأكل أحسن ميطلع على الاولاد!

الهدوء يعم المكان بأكمله، ولم يبق سوى صوت عقارب الساعة التي لا تتوقف عن صياحها الهامس، فكان صرير الباب المنخفض مسموعًا للغاية وسط ذلك السكون المخيف، ومن بعده خطوات متسللة وضحكات كتمت على وجه "ياسين" و"أحمد"، وكلاهما يتفحص الحالة العجيبة الساكنة على وجوههم، "جاسم" يغفو فوق سطح مكتبه بعدما كان يرقص أعلاه، "ومعتز" يضع قدميه على سطح المكتب ومن فوق رأسه يضع الملف حتى يحجب عنه نور الغرفة المزعج، أما "عمر" فيحنى بجسده تجاه الملفات من أمامه ويغفو بهدوءٍ والقلم بين قدميه وكأنه يعاقر للاستيقاظ، بينما "حازم" أخذها من نهاية خطوطها، فكان يغفو على الأريكة، محاطًا بالجواكت الخاصة بالشباب، فقد جمعهم مسبقًا من فوقه حتى يحصل على تدفئة خاصة تمنحه النوم بالسلام بعيدًا عن غضبهم كونه السبب لما تعرضوا له.

اتجه "أحمد" للخزانة السرية، ففردها ليتفرد منها سريرين، ومن ثم اتجه لعمر، فحاول أن يجعله يستيقظ بهدوءٍ، وجده يتحدث بصوتٍ خافت غير مسموع، فانحنى تجاهه وهو يحاول أن يسترق السمع لهلوساته، فوجده يهمس بخفوتٍ:
_٦ مليون و٤٠٠ ألف.

ضحك بصوته كله، فعاد لمحاولاته البائسة بإيقاظه، فحركه من جديد، بدأ "عمر" بفتح عينيه بارهاق، فردد بنومٍ يغلبه:
_أحمد أنت لسه هنا!

هز رأسه وهو يبعد الملفات للخلف بتفحص:
_هيجيني قلب أمشي من غيركم.. طب تيجي ازاي دي.
ارتسمت علامة الاعجاب على وجهه وهو يتفحص الحسابات التي تخطها "عمر" ببراعة، فلم يتبقى له سوى المجموع الكلي فقال:

_جمعتهم فعلا بس معرفش النوم غلبني ازاي... عمومًا هات لما أحط المبلغ الاخير.
جذب أحمد القلم ثم دون وهو يردد:

_٦ مليون و٤٠٠ ألف... صح كده؟

جذبت عينيه في ذهول:

_عرفت ازاي؟

ضحك وهو يشير له بسخرية:

_أنت لو مخطوف هتقر معاك كام بالبنك من قبل ما تأخذ القلم والذي منه.
منحه ابتسامة هادئة قبل أن يعود لاحتضان مكتبه ليستعد لنومٍ يطارده من جديد، فأعاده أحمد لمقعده من جديد وهو يشير له ببسمة هادئة:

_فردتلك الخزنة عشان تريح شوية.

اعترض على اقتراحه وهو يحاول فتح عينيه:

لا أنا ورايا لسه ملف واحد.. هخلصه وهروح على طول.
أيظن بأن مراجعة حسابات ضخمة مثل تلك ستحتاج للسرعة التي تصل به للمنزل بعد قليل، تجاهل أحمد شرح تلك النقطة فاحتفظ بها لنفسه، وقال:
_طب ادخل أنت نام شوية وأنا هخلص الملف ده.
كاد بالاعتراض فأوقفه حينما أعاد المقعد للخلف وأشار له بالنهوض، ثم اتجه لمكتب رائد المجاور لعمر، فوضع يده في يديه وهو يشير له بسخرية:
_خد أخوك في إيدك وأنت داخل.
ضحك وهو يشير له:

[illegible]

نهض مفزعًا فجلس على طاولة المكتب وهو يردد بنوهم:
_مين؟

رفع الاخير حاجبه بسخط:
_مين أيه.. انت نايم في مستشفى!
جاهد لفتح عينيها، فابتسم وهو يتثأب:
_ياسين!

وحینما اطمئن عاد لیتمدد علی الطاولة من جدیدِ وهو یلف البلطو الخاص به من حوله،
فلکزه بحدّةٍ مجدّدًا:
_قوم نام جوہ.

رفض وعينيه تغفو بنومٍ سريع:
 _لا ورايا شغل لسه.

كبت غيظه بصعوبة فخرجت نبرته ساخرة:
_على الأساس انك كده بتذاكر والا أيه مش فاهم.. قوم ادخل جوه وأنا هكمل بدالك.
حينما تسلل لمسمعه الكلمة الاخيرة نهض عن المكتب وهو يجيبه ببسمة واسعة:
_ربنا يخليك ليا يا حامي حقوق الغلابة.. تصبح على خير بقى.

رمقه بنظرةٍ ساخرة وهو يغادر للخزانة:
_وانت من أهله يا حبيبي.

وحينما تأكد من دخوله، اتجه "لمعتز" فضحك وهو يبعد عن وجهه الملف، فهمس باستهزاء:

_ده اللي مديك مساحة خاصة يعني!!

واحتضن مقدمة انفه وهو يردد بضحكة هادئة:
_ لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.
وطرق على كتفيه وهو يحاول إيفاقته، فاستجاب له سريعًا وهو يسأله بنوم:
_ عدي جاي ولا أيه؟
أجابه باعتراض:
_ لا مش جاي متقلقش وراه شغل كتير بمكتبه.. قوم انت ريح جوه شوية وأنا ساعة
وهصحيك.
وضع الملف الذي يعلو وجهه على المكتب ثم تحرك باجهاٍ شديد:
_ بس قومني بعد ساعة متسبنيش أكثر من كده يا ياسين.
أوما برأسه ببسمة مخادعة وهو يشير له بالدخول، فما أن اتبع جاسم لفراشه حتى ضم
"ياسين" الملف الخاص به لملف "جاسم" ثم جلس جوار "أحمد" ليعمل كلاً منهما بتركيز
 واجتهاد، تفشى حينما على صوتٍ مزعج معروف المصدر، فاتجهت نظراتهم لحازم الذي
ينشب بعدة أناشيد مزعجة من صوت نومه المرتفع، وكأنه كان يبني عمارة كاملة، القى
أحمد نظراته جانبًا قائلاً بشراسة:
_ طب ده اقتله ولا أعمل فيه أيه؟
نهض "ياسين" وهو يشير له بالهدوء:
_ أنا هتصرف كمل شغلك.
حاول الوصول لحازم ولكنه كان أمرًا شاق للغاية، فكلما كان يزيح جاكيت يجد الآخر حتى
وصل إليه بالنهاية، فقال بتريث:
_ انت مركب شفاط جوه.. قوم يا عم الله يباركلك مش ناقصة.
وحينما لم يستجيب إليه دفعه ياسين عن الاريكة وهو يصيح به:
_ انت يا زفت.
فتح عينيه وهو يشير له بسخط:
_ في حد يصحي حد كده.. الله.
ضيق عينيه ساخرًا:
_ معلش حقك عليا.. المرة الجاية هجيبلك نسرين هي اللي تصحيك.
امتعضت معالمه وكأنه يخبره بأن هلاك موته قادم:
_ يا ساتر كده مش هصحي تاني..
ثم اتسعت ابتسامته وهو يخبره:
_ المهم بتصحيني ليه جبتوا أكل؟
حده بنظرة قاتمة اتبعها كمشة من تلباب ملابسه ومن بعدها صوته الغاضب:
_ أنا مش عايز اشوف وشك هنا خالص... هتأخذ بعضك كده زي الشاطر وترجع بيتكم ولو
لمحتك هنا يا حازم قسمًا بالله العلي العظيم هخدك من ايدك لاوضة عدي على طول

وبالملفات اللي مقريتش فيهم حرف ولا لمستهم!
ابتلع ريقه بصدمة، فجذب أقرب جاكث ملقي أرضًا واتجه للخروج وهو يخبره:
_عفريت وانصرف ولا تزعل يا باشا.
واختفى بلمح البصر من أمام أعينهم، فسطعت السعادة والراحة على وجه "أحمد"
بالأخص..

مرت الساعات الاخيرة عليهما وقد أوشكوا على الانتهاء فلم يترك الشباب خلفهم الكثير
من العمل على عكس "حازم"، فقد استغرق العمل على الملفات التي وكل هو بها
لساعاتٍ طويلة، فازدادت الاجواء توترًا حينما وجدوا عدي يدلف للداخل، فوضع أمامهما
أكواب القهوة الساخنة وهو يشير لهما ببسمة مأكرة:
_حلو الشغل في الجو الهادي برضه.
وسحب أحد الملفات الموضوعه من أمامهما ثم جلس يشاركهم في مراجعتهم وكلا منهما
يتطلع له بصدمة على سكونه العجيب، وخاصة حينما وجدهم يغفوا جميعًا، فقال دون أن
يتطلع لهما:

_اتمنى ميعرفوش اني جيت هنا وساعدت عشان هيبتي متتهزش بس.
تبادولوا النظرات فيما بينهما ثم انفجروا بالضحك الرجولي والمزح المشاكس فيما بينهم
حتى غفى النوم ثلاثتهم بعد أن انهوا العمل بأكمله بانهاكٍ تام

بعد عدد من المحاولات للوصول إليه، كان عليه ابلاغ رئيسه بما حدث، فاتجه لمكتب اللواء
مجددًا بالصباح الباكر وحينما لم يجده ارسل إليه رسالة نصية
«يا باشا حاولت اوصل لياسين الجارحي وبعد تحرياتنا عرفنا انه مسافر هو ومراته
ومحدث من اللي حوليه عارف هو مسافر فين»..
اجابه اللواء برسالة نهت الأمر
«أنا عارف هوصله ازاى»..

ترك الشباب سيارتهم بالجراج الخاص بالمقر، وانقسموا لسيارتين فقاد احدهما "جاسم"
والآخر "عمر"، فوصلوا معًا للقصر، اتجهوا للأعلى ليبدل كلاً منهم ثيابه استعدادًا للذهاب
مرة أخرى للعمل، فما أن كادوا بصعود الدرج حتى نادهم "معتز" وهو يشير على القاعة
الرئيسية بيديه:

_يا شباب.

اتلفتوا جميعًا إليه، فوجدوا "يحيى" يتناول طعامه بصحبة "ملك" التي تطعمه بحنان
ويطبع هو قبلة على يدها وهو يهمس لها بصوتٍ مغري:
_تسلم ايدك يا حبيبتى
صنعوا لأنفسهما جو من الرومانسية المنعزلة عما يحدث حولهما، تابعهما الشباب بنظرات

ناقمة، فهبط جاسم درجة وهو يخبر ياسين بحزن مصطنع:
_أبوك ده معلم والله.. ده آخر مرة كلت فيها مع داليا على انفراد كان يوم الصبحية ومن بعدها بقيت بشوفها بالقصر بالصدفة.
كز ياسين على اسنانه بغيظٍ مما يحدث، فرفع صوته عله يشعر بوجودهم:
_صباحك فل يا باشا، لو مسبينلك ازعاج ممكن نرجع مكان ما كنا عادي جداً..
جذب يحيى حبة الزيتون السوداء يتناولها ببرودٍ، سكن نظراته التي تلتهمهم جميعًا، ثم قال وهو يلوكها بين اسنانه:

_أنتوا هترجعوا فعلا بس لمكان افضل من ده.
لم يفهم أحد حديثه الا حينما أشار برأسه للقاعة المكشوفة ، فحانت منهم نظرة جانبية فوجدوا الفتيات يجلسن بالقاعة بفساتين لا تليق سوى للسهرة، ومن حولهم فوضى عارمة، وبقايا لأكياس من الشبسي، والمقرمشات والتسالي، وكرتون خاص بالمعجنات والبيتزا، وكأنهم تناول طعام العالم بأكمله، والجديد بالذكر، نظراتهم التي قد تصيبهم في مقتل، بالأخص "نور" و"مليكة" التي مازالت مستيقظة وتتناول الفشار بكثرة كادت باحتباس انفاسها، لكزت نور رحمة الغافلة على ذراعها، فقالت بنوم:
_بطلي يا نور... حاضر أول ما هيرجعوا هنعمل زي ما قولتي وهنتجاهلهم نهائي.. سبيني انام بقى.

لكزتها بقوة تلك المرة جعلت قلب من يراقبهما يتلوى ألمًا، فهبط الدرج مسرعًا ليتجه إليها لولا ان وجد نظرات استرابة من الشباب جعلته يعود لمحله من جديد ويراقبها وهي تفتح عينيها بألم اتبع صوتها العنيف:
_في أيه ؟

وجدت الجميع ينظر تجاه الدرج، فتطلعت لتجدهم مقابلها، فرك عمر جبينه وهو يردف بانزعاج:

_بدأنا في تشكيل الاحزاب ثاني يا نور!
تحاملت على ذاتها ببطنها المنتفخ واقتربت منه ثم صاحت ويدها تلوح بالهواء وكأنها تستحضر أشباح نسوة العالم بأكمله ليسانداها بخناقتها تلك:
_لا ده انت ليك عين تتكلم كمان! بقالك سنة بتوعدي بالخروجة دي وكل يوم ألبس واتشيك وفي الآخر حضرتك تقضيها برة البيت والله أعلم كنت فين أنا مبقتش اصدق موضوع الشغل والمقر والحوارات دي.

تدخل بينهما ياسين حينما قال:
_لا يا نور احنا جاين فعلا من المقر كفايا ترمي قنابل وكلنا ندفع تمنها الله يكرمك.
انضمت لها مليكة حينما قالت ساخرة:

_مفيش داعي انها ترمي يا حبيبي... القنابل جاية بعدين.
تركت رانيا كيس المقبلات ثم نهض لتقف قبالة زوجها وهي تصيح به:

_انتوا مبقثوش شايفنا غير ستات بيوت، تقعد تربى العيال وتكون بيت وآسرة انتوا مش فيها اساسًا ولا حاسين بالمصايب السوداء اللي بنشوفها مع العيال.
اسرعت تجاهها آسيل بابنها آويس الغافل بين يدها:

_برافو عليكى يا رانيا.. اديهم.

حدجها أحمد بنظرة نارية فقالت باستهزاء:

_مبقناش ناكل عيش من النظرات دي يا حبيبي.

حمل يحيى عصير ثم نهض ليقف جواره، ليرتشف بتلذذ وهو يشير لها بدعم قوي:

_برافو يا أسيل.. النظرات دي مبقثش تجيب تمن مسحوق غسيل اليومين دول..

اشارت لها نور:

_ارجعي بقى انتي ورا كفايا عليكى كده...

وجذبت رحمة قائلة:

_خشي انتي يا رحمة اديلك كلمتين.. وبالاخص لجوزك اللي مستقوي على خلق الله.

وضع يحيى الكوب على الصينية التي يحملها الخادم، ثم قال باهتمام:

_صحيح معرفناش رأيك في اللي بيحصل ده يا رحمة؟

ارتبكت للغاية حينما صوبت تجاهها جميع الأعين وخاصة زوجها، فقالت بتلعثم:

_آآ... أنا.. آآ..

قاطعها يحيى حينما قال:

_اتكلمي ومتخافيش قولتلكم انا وراكم لحد ما العيال دي تتظبط..

نطق عدي اخيرًا حينما قال بفتور:

_احنا مش كبار على كلمة عيال دي يا عمي!!

التفت تجاهه "يحيى" ثم قال بضحكة هادئة:

_كبير وعاقل على انك تهمل اهل بيتك يا عدي ولا آيه؟

تحلى بالصمت والبسمة الماكرة تجوب وجهه، فقاطعهم معترز حينما قال:

_طيب ينفع نريح شوية وبعد كده نكمل خناق احنا رجعين هنموت يا جدعان والله..

اعترض يحيى على حديثه:

_لا مفيش نوم... اليوم ده هتقضوه مع البنات وبره البيت..

ردد جاسم بصدمة:

_بره البيت.. انا مش قادر افتح عيوني!!

انهى ياسين الجدل المتبادل بينهم حتى ينتهي:

_خلاص أنا عازمكم يا شباب.. شوفوا حابين تسهروا فين واللييلة عليا.

ابتسمت نور للفتيات بمكر لتنفيذ اول مخططاتهم التي عاونهم بها يحيى دون أن يشعر..

المساء يتغندج على أطراف الليل بصحبة لقاء سيجمع العشاق بعد فراق دام عليهم

لأشهر، اختاروا قضاء الامسية بنادي ليلي يقدم أفخر انواع الطعام والمشروبات، وكلّ
يجلس مقابل فاتنة القلب والهوس، كان الهدوء يغطي الاجواء بينهم، فطلبوا الطعام
وبدأوا كلّاً منهم يتناوله بفتور شعرن به الفتيات، فانتهت نور تلك الحالة الغريبة بينهم،
حينما حملت كوب فارغ ثم جذبت ملعقة ونهضت وهي تطرق عليها قائلة بخبث:
_انتباه يا سادة.

حاول عمر جذبها للجلوس وهو يصيح بها:

_نور بتعملي ايه!!

تجاهلته وهي تسترسل:

_زي ما انتوا شايفين القعدة معاكم تمل..ومحتاجين اللي يفرش القعدة.

كبتت الفتيات ضحكاتهن بصعوبة بينما تبادل الشباب النظرات فيما بينهما بصدمة، فقال
عدي بثبات قاتل وهو يتناول ما بطبقه ببرود:

_والمطلوب!

أخرجت نور السلة التي حملتها بحقيبتها الكبيرة وهي تشير لهم ببسمة واسعة، فاخفى
عمر وجهه خلف يديه وهو يهمس بخفوت:

_تاني يا نور تانااااني.

تجاهلته وهي تشير لهم:

_هنلعب واللي هيخسر هنعمله العقاب المناسب وهو هيسحب واحد منهم.

تساءل أحمد بملل:

_لعبة ايه دي!

قالت وهي تشير للفتيات:

_هنسأل على واحد فيكم سؤال عن مراته اللي مش هيجاب صح هيتعاقب.

قال حازم بفرحة:

_ابدوا بالوحش وخلينا نفرح بعقاب الظالمة.

حانت منه نظرة جانبية تجاهه فابتلع كمية ضخمة من الطعام وهو يبعد عينيه عنه،

اشارت لهم مليكة:

_هنبدا بالدور على حسب اللي قاعدين مش باسماء معينة.

وبدأت نور بسؤالها لعدي الذي يترأس الطاولة، فقالت بضحكة خبيثة:

_قولنا بقا يا وحش... أيه اللون المفضل عند زوجتك المصون مع اني أشك أساساً انك

تعرف الالوان من بعضها!

حدجها بنظرة ثاقبة والجميع يترقبون سماع اجابته الخاطئة، فسحب نظراته تجاه زوجته

التي تترقب سماع اجابته بلهفة، وجد ذاته يبتسم لها وهو يجيبها:

_الأسود.

اتسعت ابتسامة رحمة وهي تشير لنور بأن اجابته صحيحة، الجميع كان يترقب لحظة

شماتة عتيقة مثل تلك التي سلبت منهم، فاتجه السؤال التالي لياسين، فسأله نور:
_مليكة أياه أكثر أكلة بتحبها؟
اجابها بعنجهية وهو يعدل جرفاته:
_سهلة دي... الاستريس.
كشرت عن أنيابها وتعصب نبرتها:
_غيرها..
خمن قليلًا وهو يتابعها بذهول:
_الشوكولا!
اشارت له نور بالتوقف:
_كفايا عليك اجابتين غلط...
كزت مليكة على اسنانها وهي تصيح بوجهه:
_الرنجة... وانت هتعرف اللي بحبه ازاي طول ما انت مش مركز غير في شغلك وبس..
تدخل عمر سريعًا:
_مليكة بلاش تخلي نور تخرب ما بينكم ابوس ايدك.
اشارت له بسخط:
_نور مش محتاجة تعمل حاجة يا عمر الحكاية واضحة قدامكم اهي.
ابعدت نور المقعد عنها ثم اسرعت اليها لتمنحها ورقة وقلم وقالت وهي تغمز لها بمكر:
_ولا يهمك يا ملوكة الانتقام بالعقاب اللي هتختاريه اكتبتي 5 وهو هيسحب عقاب منهم.
ارتسمت بسمة الانتصار على وجهها فدونت بمكر ما توده ثم وضعت السلة امام ياسين
الذي ابتلع ريقه بتوتر:
_مليكة اوعي تكوني كتبتني شيء صعب والا هنسحب من اللعبة دي.
كادت بان تجيبه ولكنها تفاجئت بمساعدة اضافية من الشباب، فقال جاسم:
_اسحب يا عم وسبها على الله..
بينما قال معتر بشماتة:
_اسحب اسحب... هي ليلة ومش هتعددي
انصاع اليهم ياسين، فسحب احدى الورقيات ثم قرأ محتوياتها بصدمة
«اتصل بوالدك وقوله مفيش فلوس تكمل الفاتورة واطلب منه يجي يدفعلك»..
لقى الورقة عن يده وهو يصيح بعصبية بالغة:
_بتهرجوا انتوا الاتنين ولا اياه.. اطلب من مين يدفعلي الفاتورة!!!
اجابته مليكة بعناد:
_بانكل يحيى.. هتكلمه وتقوله معيش فلوس ادفع الحساب..
منحها نظرة قاتلة، قبل ان يصيح:
_مش هعمل كده أنتوا اكيد اتجننتوا.

صدم حينما قال أحمد وهو يلوك طعامه ببرود شديد:
_انت قبلت اللعبة بشروطها وقوانينها ولازم تنفذ العقاب مش كده ولا أيه يا شباب!
أكد رائد حديثه:

_معاك جدًا اطلبه حالا..

اتجهت نظراته تجاه عدي يستنجد به بقوله:
_انت عجبك الوضع ده يا عدي... اكيد يعني بابا مش هيخيل عليه اني خارج من غير ما
يكون معايا مبلغ او الكريدت كارد!
جذب عصيره يتناوله وهو يشير له بمكر:
_الحقه قبل يا ينام.

تعالى الصيحات المحمسة فيما بينهما، فجذب الهاتف ثم حرر زر الاتصال والسماعة
الخارجية بغیظٍ من نظراتهم جميعًا، فما هي سوى دقيقة حتى اتاه صوت ابيه الناعس:
_الو ياسين!

تردد في اجابته فاشارت له مليكة بغضب، فقال بتردد:

_مساء الخير يا بابا.. كنت نايم ولا ايه؟

=لا يا حبيبي صاحي اهو.. قولي سهرتوا فين وايه سبب المكالمه دي؟
كبت عمر وجاسم ضحكاته بصعوبة، فلكمهم احمد وهو يشير لهم بالصمت، ضغط ياسين
على شفثيه السفلية بغیظٍ اتبع نبرته التي نقلت له حرجه الشديد:
_بصراحة يا بابا كنت محتاج مساعدة حضرتك..
بكل جدية اجابه:

_في ايه يا ياسين قلقتني انت كويس!!

اخرج ما بداخله بسرعة كبيرة قبل ان يتراجع:

_حضرتك عارف اني عزمت الشباب برة وطلبوا اكل كتير جدًا كأنهم بيأكلوا في اخر حياتهم
وبصراحة المبلغ اللي معايا مش هيكفي الفاتورة ونسيت الكريدت كارد بتاعي.. ولو
مجتش تلحقني من الموقف ده هتلقيني واقف بغسل الاطباق في المطعم..
صمت خيم على المكالمه والجميع يتطلع لبعضهم البعض وفجأة اتاه رده المنصدم:
_نعم مين ده اللي يخليك تغسل الاطباق ده انا كنت طربقت المطعم باللي فيه فوق
دماغهم... ثواني وجايلك اوعى تتحرك من عندك.

=طب لو ينفع حضرتك تدخل اوضتي وتجبلي فيزا من بتوعي آ..

قاطعه بحدة:

_ليه ابوك مش هيعرف يدفعلك الفاتورة!!... اقفل انا جايلك حالا.

أغلق ياسين الهاتف ثم وضعه على الطاولة وهو يتأمل به بصمت وصدمة على ما فعله،
ورفع عينيه تجاههم ثم قال بجدية جعلت الجميع يتوقف عن الضحك:
_أنا عمري ما طلبت من أبويا فلوس.. وحقيقي الموقف كله سخيف!

اجابته مليكة بشماتة:
_مفيش تراجع يا حبيبي ولسه اللعبة طويلة.
_اعتبر الفاتورة مدفوعة يا ياسين... ومعنديش مانع أشاركم في اللعبة دي بس بطريقتي
وقوانيني!
اتجهت جميع الأعين تجاه المقعد الاساسي للطاولة بصدمة كملت الافواه، فنطقت مليكة
بصعوبة بالحديث:
_يا بابا!!
اتجهت نظرات ياسين الجارحي تجاه عدي الذي يتأمل بهدشة، فابتسم وهو يتابع صدمته
بوجوده بذلك الوقت، ثم قال بثبات اتبع بصرامته:
_تحب تبدأ اللعب ولا أبدأ أنا!
.....

الفصل الثالث

اعتاد الجميع على مفاجأة ظهور "ياسين الجارحي" بأوقاتٍ يراها هو مناسبة لظهوره،
ولكن تلك المرة لم يتوقع أحدٌ ظهوره لسفره بصحبة "آية" على متن اليخت، عودته الآن
أمرًا جنونيًا للبعض، والسؤال الذي تردد بذهن "عدي" أين والدته إن كان أبيه يجلس
أمامه؟

تنقلت أعين "ياسين" بينهم وكأنها تبحث عن لقاء متلهف لرؤياه، فابتسم حينما تعلق
عينيه بابنته الحبيبة، التي أدمعت عينيها بعدم تصديق فهز رأسه لها بأن وعده لها قد
تحقق، جلست "مليكة" محلها والابتسامة والفرحة لا تفارقها، أيعقل أن يقطع أباهَا آلاف
الأميال لأجعل وعده لها، مازالت تتذكر آخر مكالمة بينهما كانت بالأمس وأخبرته بأنها
بحاجة ماسة إلى صديقها وأخاها وأبيها، فاتاها مهرولًا وتحمل عناء ساعات السفر لأجلها

هي، وكان مستعدًا لخوض آلاف الحروب لأجلها ، تحمست لوجوده وودت لو انفردت به
فهز رأسه بخفية وكأنه علم بما يجوب بخاطرهما، اشارته منحتها وعد مجددًا ولكنها تعلم بأنه
سيوفي به حينما يختار وقته الصائب، عادت نظرات ياسين لحدثها فور أن التقت بشبله
الصغير الشرس، وجده يتأمله بصمتٍ كسره حينما قال:

_فين ماما؟

تجاهله "ياسين" عمدًا ثم أشار للنادل بيده فأتى وهو يردد:

_تحت أمرك يا فندم.

اشار باصبعه على الطاولة فعلم ما يوده، لذا أسرع بمعاونة زملائه باخلاء الطاولة من
أطباق الطعام والمشروبات، عاد الصمت يفرد سيطرته عليهم ولكن تلك المرة بترقي
لسماع أي شيء قد يخرج على لسان من تتبعه النظرات المهتمة، حرك "ياسين" السلة
التي تحمل أوراق العقاب بين يديه ببسمةٍ ساخرة، اتسعت على شفثيه وهو يقرأ ما دون
لياسين على الثلاث ورقات، فوجدهم جميعًا تحمل نفس العقاب، حانت منه نظرة جانبية
تجاه الجانب الذي يشمل الفتيات، فاخفيها وجوههم بحرج، انفلت عن وجوههم حينما أعاد
الورقات داخلها من جديد، بقرار عدم الافصاح عن سرهم، وكأنه يؤكد لهم بأنه يساندهن
وليس ضدهن، استند بجذعيه على الطاولة واستمتع بلحظةٍ تأمله البطيء الذي يزرع
القلق في نفوس الشباب، ليختم سطور صمته القاتل حينما تحرك لسانه لينطق عما يود
قوله:

_اللعبة اللي اختارتوها مسلية بس للأسف مفهاش إثارة!

وحينما أشار بأصبعه لمن يقف على بعد مسافة منه، هرول السائق إليه ثم وضع من
أمامه ملفين قد أتى بهما من السيارة، تعمد "ياسين" أن يدفعهما بقوةٍ على الطاولة
لتصل للمقعد الذي يعتليه ابنه، فتفحص الملفين وهو يتساءل بدهشة:
_ده أيه؟

تركه يفتحهما على مهل ثم قال والمكر يتراقص بين حدقتيه:

_زي ما أنت شايف صفقتين مهمين جدًا لشركتنا.. ويهمني أننا ناخدهم الاثنين.

مال "ياسين" وعمر" برأسهما تجاه الملف الذي يحمله "عدي" الجالس بالمنتصف، فانعقد
حاجب "ياسين" بذهول اتبع قوله المندهش:

_بس يا عمي الصفقتين بينافسوا بعض، أكيد المناقصة هترسى على عرض واحد من
الاثنين!

واكمل عمر على حديث ابن عمه:

_وبالتالي صفقة واحدة منهم اللي هتم فيهم فازاي حضرتك بتقول ناخد الاثنين لشركتنا!!
مازالت عينيه تراقب من يتطلع له بصمتٍ، وكأنه يحاول استكشاف ما يود أبيه صنعه تلك
المرة، وأتاه صدق ما يشرد إليه عقله حينما قال "ياسين" ومازالت عينيه تتعمق بالتطلع
للأخير:

_ازاي دي بتاعت ولي العهد اللي اختار مكاني في الادارة.. ولازم يكون أد منصبه ويحل أي مشكلة ممكن تواجه المقر زي ما انا كنت هعمل بالضبط.. والإ مش هيكون جدير بالمنصب ده ولا أيه؟

ارتعب الجميع من خوض "عدي" حربًا ضد "ياسين الجارحي" من جديد، فامتعضت الوجوه حينما أجابه بكبريائه اللعين الذي لم يتخلى عنه أبدًا:
_اعتبر الصفقتين تبعة لشركات الجارحي.

ووضع الملفين على الطاولة، ثم أخذ يراقب ردة فعل أبيه حينما يكرر سؤاله على مسمعه مجددًا:

_هي ماما مرجعتش مع حضرتك!

مال "ياسين" بمقعده جانبًا وبحركة فزعت الجميع جذب أحد المقاعد المصفوفة على طاولة فارغة من خلفه، ثم وضعه قريبًا من مقعده وهو يشير لعدي بأن يعتليه، فعلم بأنه يود الحديث معه دون أن يستمع إليهما أحدًا، فنهض واتجه للمقعد القريب من أباه للغاية، جلس وهو يراقب ما سيقوله، فمنحه ياسين بسملة خبيثة ختمها بقوله الساخر:
_شايفك قلقان على مراتي وهي معايا المفروض قلق تحديك ليا هو اللي يسيطر عليك، ومن بعده الخوف من اللي جاي لانك لو خسرت الصفقين دول مكانك جوه الشركة أنا اللي هحدده.

تهدلت شفتيه بابتسامية حملت معنى اللامبالاة، فهمس لابيه بصوتٍ منخفض:
_مبقتش أخاف من الحرب اللي هواجهها مع حضرتك.. تقدر تقول اتعودت عليها والتعود بيولد خبرة يا باشا.

اتسعت ضحكة "ياسين" حتى باتت مسموعة فازداد قلق الجميع لما يحدث بينهما من مناشات سرية خطيرة، وخاصة حينما توقف عن الضحك وبملامح جادة للغاية قال:
_والتعود ده بقى مسيطر عليك حتى وأنت شايف شخص متدني عينه زاغت على والدتك وأنت واقف وراضي عن كلامه الحقير ده.

رمش بعينه بتوتر من معرفته بما حدث بالمشفى حينما مرضت "آية" على طريق سفارها مع "عدي" لشراء بعض المستلزمات، فاسترسل "ياسين" حديثه بتوعيد مهلك:
_أنت دلوقتي بتواجه عقابي... زي ما ناله الحقير ده.

احتدت نظراته تجاهه، ف جذب ياسين عصيره ثم ارتشفه على مهل وهو يجيبه ببرود:
_مش كل العواقب بتكون برفع الأيد يا حضرة الطابط.. في قرصة ودن بتعلم من غير ما تأذي الجسم.

وغمز بعينه بمكر:

_وأنت أكثر واحد فاهم الكلام ده ولا أيه!

اشتعل الغضب بداخله لاستهزاء أبيه الصريح على انفعالاته بالتعامل، وكأنه يذكره بالفرق الصارخ بينهما، يقارن هدوئه وحرفيته بحل الأمور بتهوره الشرس، فليس كل عقاب يشمل

العنف الجسدي، ربما لدغة صغيرة تمس عمله أو معاتبه مديره لما يفعله الطبيب مع مرضاه من مغازلة غير مرضية بالمرّة وخاصة لشخص مثل "ياسين الجارحي" كانت كافية، عاد لينتصب بجلسته بشموخ، فقال بجمودٍ سيطر عليه فجأة وصوت مسموع للجميع: _وجودي هنا النهاردة بالرغم من سفري عشان أكدلكم أنني حتى لو بعيد فأنا أقدر أكفي بواجباتي كويس، والمرادي مجاليش شكوة واحدة.. سبق وقولتلكم اللي هيزعل بنت من بناتي هحول حياته لجحيم واللي بيحصل ده لازم يتحطله حد..

ابتلع "رائد" ريقه بصعوبةٍ بالغة، بينما عبث "جاسم" بالمناديل الورقية من أمامه، اما "حازم" فكاد بالسقوط أسفل الطاولة من فرط انحناء جسده للأسفل، أما أحمد فقال بابتسامةٍ هادئة:

_وجودك بينا يا عمي هو اللي حلى القعدة دي.. حتى لو جاي عشان تنصف البنات مش مهم المهم ان حضرتك رجعت.

رغمًا عنه ارتسمت بسمة صغيرة على وجهه الجامد، فأحمد بمثابةٍ ابن حقيقي له، فقال بمحبةٍ اتبعت نبرته الدافئة:

_أنا راجع تاني يا أحمد.. بس حبيت أبين للاساتذة اني موجود حتى لو كنت بعيد! ارتبك الشباب في وجوده بينما رفعت الفتيات رؤوسهم بتفاخر بوجود حليفهم القوي والسند الذي لا يستهان به، وكأنهن أتين بمن نصفهم على الظلم القابع عليهن، كالطفل الصغير الذي تعرض لعقوبة وظلم طائل، فلجأ لوالده الذي لم يخيب ظنه، فعاد لمن تسبب له بالأذى متبختراً لاتباع أبيه له وحرصه على رد العقوبة لمن فعل أذيته بابنه الصغير!!

عاد صوت "ياسين" يزلزل مسمع الجميع من جديد حينما أضاف: _الزوجة عمرها ما كانت مطالبة انها تكون خدامة ومربية للاولاد عشان تيجوا انتوا وتهينوا بناتي على آخر الزمن.. مفيش أكثر من الخدم بالقصر وكان بإمكانني اجيب للاولاد مربية بس أنا مش حابب ده.. زي ما أنا مش عايز الشغل ياخدكم عن اولادكم عشان تقدروا تزرعوا فيهم اللي ريناكم عليه مش عايزكم كمان تقصروا مع زوجاتكم.. لان الاتنين زي بعض.. علاقتك مع ابنك مش هتكون قوية وفي اضطرابات ومشاكل بينك وبين مراتك ياريت نفهم ده كويس.

وبهدوءٍ استرسل:

_أظن كلامي اتفهم كويس؟

وحينما لم يأتيه رد اعتراضى عما قال.. هز رأسه وهو يردد:

_عظيم.. ودلوقتي حابب أكون مع بنتي شوية.

تفهم الجميع طلبه الخاص، فبدأ الحضور بالإنسحاب للخارج، وحينما وجد من يتبعهم قال ومازالت عينيه على ابنته:

_استنا أنت بره يا ياسين.

استدار تجاهه وهو يهز رأسه في طاعة:
_حاضر يا عمي.

واتبع الجميع للخارج، فنهضت "مليكة" عن مقعدها البعيد عن أباه، ثم جلست على مقعد "عدي" القريب منه، فقالت بحماس وفرحة جعلت وجهها يشع بها:
_مش مصدقة أن حضرتك جيت هنا النهاردة أنا لسه مكلماك امبارح!
رفع يده ليحتضن وجهها بين يده، واليد الأخرى تعدل من حجابها الذي تراجع بفوضوية للخلف، وقال بابتسامةٍ ظهرت أسنانه:

_قولتلك اني هكون جنبك وهقرص ودن اللي زعلك حتى لو كنت في آخر الدنيا.. اللي يمس بنتي الوحيدة يمسنني أنا شخصيًا.
أدمعت عينيها تأثرًا بحديثه، فضمها "ياسين" لأحضانه فتعلقت به مثلما كانت تفعل بطفولتها وقالت بصوتٍ باكي:

_متتأخرش أنت وماما أكثر من كده.. مفتقدة وجودكم جنبي.
ربت على خصرها بحنو وهو يخبرها:
_أنا جنبك على طول يا ملاكي.
وأبعدها عنه وهو يشاكسها بشكٍ:

_وبعدين أنا بعيد عنك فين أنا مش بكلمك كل يوم!

هزت رأسها بتأكيدٍ، فعاد ليخبرها بمميزات ما يفعل لأجلها:

_حد في اخواتك كلهم بيعرف يتواصل معايا غيرك؟

هزت رأسها بالنفي، فابتسم وهو يخبرها:

_عشان تعرفي أن مفيش حد في غلاوتك عندي.. "ياسين الجارحي" معندوش غير بنت واحدة وممكن يهد الدنيا عشان دمة واحدة من عنيتها ولا أيه؟

ابعد الدموع بأصبعه عن عينيها فابتسمت بفرحةٍ انتقلت اليه، فقال وهو يشير لها بخبث:
_يلا نهذ الدنيا مع بعض!

فشلت بفهم المغزى من حديثه الغامض فلم تعي بما يقول الا حينما وجدته يشير لياسين الذي يترقب اشارة منه، من خلف الباب الزجاجي التابع للمطعم، فما أن وجده يشير له حتى ولج للداخل وأسرع إليه وهو يردد باحترام:
_تحت أمرك يا عمي.

أشار بعينه تجاه المقعد الذي يقابل "مليكة":
_اقعد.

انصاع لأمره، وجلس على الفور، فتعمق تجاهه بنظرةٍ مطولة اتبعها نبرته الخشنة:
_كل أب في الدنيا أناني في حب أولاده، وأنا كمان بالرغم من إني بعتركم كلكم أولادي بس غصب عني عندي الأنانية دي.. اكتفيت باللي عملته مع ولاد عمك لكن معاك أنت لاء! ازدرد ريقه بتوتٍ، وخاصة حينما استرسل حديثه الغامض الذي يتخلله المرح بالرغم من

حدثه:

_ بنتي لو اشتكتلي منك تاني يا ياسين مش هحارب عدي بس سامعني!
انتقلت نظراته لزوجته التي اعتلى وجهها الخوف بالرغم من أنها من دفعت لكل ذلك،
فبدأت ملامحها بالارتخاء حينما قال أبيها:
_ أنا مش راضي عن تصرفاتك كلها يا ياسين، وخصوصًا باللي بتعمله أنت وأحمد بالمقر.
اندهش من معرفته بالأمر، ففجأه ياسين مجددًا:
_ اوعى تكون فاكربي مش عارف باللي بيحصل جوه شركاتي، أنا سايبك كل المدة دي
عشان تراجع نفسك وتفوق ومن واجبي لما ألقيك اتماديت أفوقك انا.
وأشار له بحدية وتعصب طال نبرته المنفعلة:
_ سبق وجيت على نفسك وبيتك وبنتي وعشان كده نقلت عدي وعمر للمقر وبعد اللي
عملته ده لسه مصمم تبذل مجهود يفوق طاقتك وكل ده ليه فهمني!
واسترسل باستهزاءٍ وعينية تتابع الفراغ:
_ كنت فاكّر أن وجود البيه هيفرق بس الظاهر إني كنت غلطان لأنه زاد من أحماله عليك
وعلى أحمد!
أجابه "ياسين" بهدوءٍ:
_ صدقني يا عمي عدي ببذل مجهود كبير عشان يكون أد المنصب ده، لو حضرتك شوفت
هو بيدرس أيه أو مهتم يوصل لايه هتقدر تفهم إن آآ..
استوقفه عن الحديث عن أمره:
_ أنا اللي عايزك تفهم إن سعادة بنتي مرتبطة بيك يا ياسين، وأنا مش هسمحك تحرمها
من أبسط حقوقها... كلامي انتهى هنا ومش هيتفتح تاني، اتمنى تكون استوعبته وفهمته.
نهض حينما وجده ينهض عن مقعده، فلحقت به "مليكة" وهي تتسائل بلهفة:
_ حضرتك هتسافر تاني؟
استدار "ياسين" تجاهها وقد انقشع قناع الصلابة والجمود عن وجهه، فمنحها ابتسامة
هادئة وهو يخبرها:
_ لازم يا حبييتي.. أنا سبت ماما في اليخت لوحدها، بتمنى انها متقلقش من نومتها غير
بكره الصبح والا حالة الرعب اللي هتكون فيها مستحيل هسامح نفسي عليها.
راقبته وهو يغادر والابتسامة مرسومة على وجهها السابح في بحر من الهيام، لم تفق منه
الا على صوت زوجها المتسائل:
_ مش هنمشي ولا هنقضي الليل هنا!
حاوطها الغيظ ليبدد كل تلك القلوب المنعكسة من عينيها وهي تراقب أبيها يغادر
لسيارته الخاصة، فصاحت بانفعالٍ ساخر:
_ الناس اللي بتفهم بالرومانسية مقضين ليلتهم على يخت في عرض البحر وإنت بتقولي
هنقضيه بالمطعم.. مفيش فرق عمرك ما هتتعلم.

مرر يده بين خصلات شعره يرتبه بفوضويةٍ وبنفاذ صبر أجابها:
_مليكة بلاش تقارنيني بياسين الجارحي لأن مينفعش حد يتقارن بيه!
بسمة مغرورة لاحت على شفتيها:
_أكيد.. عمر ما حد فيكم هيبقى زيه في يوم من الأيام.
بابتسامٍ مسالمة لا تستهدف معركة طاحنة بينهما:
_براقو يا عمري.. ودلوقتي بينا نرجع البيت عشان عندنا حساب لازم نصفيه مع بعض في
جو رايق.
ابتلعت ريقها الجاف بتوتر جلي، اتبع اشارتها الصارمة له:
_متفكرش إن عشان بابا رجع إن ماليش حد.. تليفون صغير وهتلاقي عدي وعمر في
انتظارنا بالبيت.
تعالّت ضحكاته الرجولية الساحرة، فصمد بعد محاولات مستمّية وهو يخبرها:
_لما تحبي تتحامي في حد مش هتلاقي غير حضني تتحامي فيه حتى لو كان مني ولا
نسيّتي!
كلماته زرعت بداخلها عاطفة قذفتها لموج من الرغبة به وخاصة حينما داعب ذقنها بحركةٍ
دائرية نفذت لداخلها، وجدت ذاتها تنصاع ليده التي تقربها منه، شعرت وكأن العالم
ينتهي عند تلك النقطة التي انتهت من خلفها الجدل والمعارك الزوجية التي ربما لا نهاية
لها عند النساء، هرولت المشاعر لتلاحق تبعيتها بعشق، ولو هلة توقف عن عناقها حينما
همست له بخفوت:
_ياسين!!
نداء يستنكر قربه الغريب في مكان كذلك، ربما قلة من يتواجد به لغسق الليل الذي
استحوذ على مسائه الليلي من جعل المطعم شبه خالي من حولهما، ابتعد عن وجهها
وهو يتفحص مدخل المطعم الجانبي فجذبها من خلفه وهو يشير لها:
_تعالّي.
حاولت ان توقفه وهي تخبره:
_باب الخروج مش من هنا!
لم يبطئ من خطواته أو حتى التفت اليها ليجيبها عما يضره، وجدت مليكة ذاتها أمام
استقبال خارجي يؤدي للفندق الاساسي التابع للمطعم، فوجدته يحجز غرفة لهما به،
التقط "ياسين" مفتاح الغرفة من العاملة، ثم صعد بصحبته للغرفة، فما أن ولجوا معًا
للدخل حتى عاتبته باستنكار:
_أنت ازاي متقوليش على حاجة زي دي، هنفضل هنا ازاي ويحيى ابني لوحده!
تغاضى عن أي شيء ستذكره في تلك اللحظة التي يواجه بها طوفان سيغرقه حتمًا،
يصارع لموتٍ يجده بقربها نجاة!
دنا منها ليقتبس من ريح ما تخفيه خصيلًا له، وحينما ابتعد همس وهو يلتقط أنفاسه:

_يحیی مبقاش ولد صغير عشان تخافي عليه!
ثم قال بابتسامة خبيثة وهو يقترب منها:
_مش عايزك تفكري في حد ثاني غيري!

بالخارج..
وجده يستند على سيارته بانتظاره، فما أن رآه "یحیی" حتى دنا منه وهو يسأله بضيق
متعجب لما يحدث:
_أنا مبقتش فاهم حاجة.. الصبح اتكلمنا وقولتلك عن الصفقين بليل اتفاجئ بیک بتكلمني
وبتقولي احضرك الملفين وأقابلك في نفس المكان اللي فيه الاولاد!... والأهم من ده
كله انت جيت هنا ازاي وهترجع لليخت ازاي!
بسمه ياسين الثابتة جعلته ينزوي غيظًا من طباع رفيق دربه التي لن يغيرها الزمان، فقال
بيأس:

_أنت ناوي على أيه يا ياسين!
ضيق حاجبيه بسخط وهو يتأقلم مع سؤاله المعتاد، فقال بنفاذ صبر:
_یحیی أنت مملتش من سؤالك اللي كل ما تشوف وشي تسأله ده.. أنت ليه شايفني
عميل سري!!

نظرة ساخرة حانت منه قبل أن يلحقه قوله:
_عميل المخابرات وشه مكشوف جنبك يا ياسين يا جارحي!
ابتسم وكأن جملة نالت استحسانه، ثم عاد ليتساءل:
_فين ياسين!

أشار على السيارة وهو يجيبه:
_نام في الطريق.. الوقت متأخر جدًا.
لم ينتظر لسماع باقي جملة، بل اتجه لسيارته ثم صعد للمقاعد الخلفية، تاركًا الباب من
خلفه، تبسم وجهه وهو يتأمل حفيده يغفو بهدوءٍ صنعه لنفسه بتلك المساحة الآمنة،
قرب ياسين يده منه فمررها على رأسه بحنان وحب، كم ود بالآ يوقظه بتلك اللحظة ولكنه
بحاجة للحديث معه قبل أن يغادر بطائرته الخاصة، فناداه بصوتٍ منخفض حتى لا يفزع:
_ياسين..

مجرد سماعه لصوته فتح الصغير عينيه بعدم تصديق لما التقطته آذنيه التي لم يصدقها
بالوهلة الاولى، فاتبعت حدقتيه على مصرعها حينما وجده، وارتدى على صدره وهو
يردد بعدم استيعاب:
_حضرتك رجعت أمته!

ضمه ياسين اليه وأجابه بشوق:
_مش مهم.. المهم ان مكش ينفع أرجع ثاني من غير ما أشوفك.

تلاشت السعادة المحفورة على وجهه الشبيه لملامحه بشكل كبير، فقال بحزن:

_يعني حضرتك راجع ثاني!

أجابه ومازالت الابتسامة مرسومة على وجهه:

_بالظبط.. وطلبت من إنكل يحيى يجيبك هنا لاني محتاج أعرف منك حاجة مهمة بالفترة

الجاية.. ومتحاولش تغلط وحد يحس انك على تواصل معايا.

تساءل باستغراب:

_حاجة أيه؟

علت بسمه المكر على وجهه، فضيق عينيه تجاه الصغير ببسمه خبيثة ستمكنه من معرفة

ما يخطط عدي فعله طوال الفترة التي سيبعد بها عنه، وخاصة من سينوب عن

الصفقتين، أو بالأحرى سيضع من بوجهة الآخر!

بالقصر..

اللجوء لياسين الجارحي كان بمثابة الصفة التي طالت وجوه الشباب جميعًا، وترتب على

ذلك خوف من القادم، لذا بمجرد توقف السيارات بالخارج هرولت الفتيات سريعًا لغرفهم

خوفًا من المواجهة الصادمة بين الاطراف، أما الشباب فجلسوا جميعًا بالحديقة، وحالة

الصمت تعود لتسيطر عليهم من جديد، إلى أن كسرهما صوت "أحمد" المتسائل:

_هتعمل أيه يا عدي.. الموضوع مش سهل!

استرخى بجلسته على الأريكة وهو يقول بغموض تام:

_مفيش حاجة بيختارها ليا الا لما بتكون صعبة ومستحيلة يا أحمد.. ده المتوقع.

قال "رائد" بمهنية باحتة:

_هو مش مشروع وهتجتهد فيه عشان تكبره دي صفقة يعني مكسب وخسارة.. أنا بقالي

بالمجال ده سبع سنين وعمري ما سمعت أن المناقصة ممكن ترسى على نفس الشركة

في عرضين! البديهي العرض الثاني بيكون من شركة منافسة.

أكد معتز على حديثه:

_عشان كده بقولكم الموضوع ده مش سهل.

ما كان يناقشهم سوى غباء هذا الأحمق الذي قرر الحديث:

_يقولك أيه يا وحش ما تفكك من جو الحرب المندلعة بينك وبين الباشا دي وعيش في

أمان الله وكنفه مش لاجل سلامتك ده لاجل انك تربى العيلين أحسن ما يجراك حاجة

وتدوشنا بتربيتهم واحنا اساسا محدش عارف يربي عياله!

رفع عدي رأسه عن حافة المقعد ليرمقه بنظرة نارية، استهدفته فكادت باحراقه، ارتعب

حازم بجلسته فنهض وهو يطرق بيده على ساق عمر الجالس لجواره:

_طب استأذن انا بقى لحسن يدوب ألحق الشوط الاخير.

منحه عمر بسمه ساخطة:

_أمن بابك وأنت نايم.. محدش ضامن ممكن يجراك أيه!
جحظت عينيه بخوفٍ اتبعه في خطاه السريع للداخل، ضحك "معتز" وهو يلحق به قائلاً:
_استني يا حسنية خديني معاكي.

هز رائد رأسه بملل، ثم نهض وهو يشير اليهم:
_اشوفكم بكره يا رجالة.

وغادر هو الآخر فلم يتبقى سوى "أحمد" و"عدي" و"عمر"، مرت عليهم ساعة كاملة ومازال أحمد يطرح اقتراحات مبدائية لحل تلك المعضلة، حتى عمر حاول جاهداً بإيجاد أي حل قد يناسب أخيه وحينما فشل أخبره:

_عدي محدش فينا اتولد وهو عنده الخبرة الكافية اللي تخليه يبقى الليدر.. مش عيب انك تطلب مساعدة بابا وتسمع اقتراحاته عشان نكسب الصفقتين دول، أنت عارف انه أكثر منك خبرة وأكد عنده الحل.

حانت منه نظرة جانبية، غاضبة، وبحق شديد قال:

_أنا معنديش غرور الا في أي شيء يخص ياسين الجارحي.

وتطلع للفرار وهو يردد بامتعاض:

_لو حلول الدنيا كلها خلصت مستحيل هلجئ لحلك ده.

كبت عمر ضحكاته وتمتم باستهزاء:

_ده لو ضرة هتتحب أكثر من كده.. يا جدع ده أبوك والله أجبك البطاقة!

بنظرة صارمة وتعابير جادة:

_اطلع نام يا عمر وسبني في حالي.. أنا راجع مش طابق الهوا اللي قدامي.

رفع حاجبيه بسخط:

_أنت طول عمرك مش طابق حد.. يا حبيبي انت محتاج علاج نفسي يؤهلك انك تتقبل

الهوا والماء ثم البشر اللي حولك.

خشى أحمد أن تتصاعد الامور فيما بينهما وياسين ليس لجواره لمعاونته لفض النزاع، وخاصة هذا ال"عمر" الذي اختار وقت غير مناسب بالمرّة للمزح القارس، لذا قال سريعاً:

_عمر اطلع أنت نام عشان وانا شغل كثير بكرة.

انصاع إليه وغادر بصمتٍ تام، بينما ظل أحمد جواره يحاول التواصل لحل، فباغته عدي

بسؤال انتابه وهو يتفحص الاوراق بين يده:

_هو مين المنافس العربي اللي ممكن ياخذ صفقة من دول يا أحمد؟

أجابته على الفور:

_احنا لينا منافسين كتار بره مصر وجواها يا عدي.

هز رأسه رافضاً لما قاله وهو يبدي وجهة نظره الذكية حول نظرته السريعة:

_لا المناقصة دي لو حد هيعرف ياخدها هيكون عربي..

ابتسم وهو يفكر بحديثه قليلاً، ثم شرح له تفاصيلاً عن منافسين شركات الجارحي، فانتهى

عند ذكر اهمهم:

_وأخـرهم رجل الأعمال "مهاب أبو العزم" الـراجل ده من عتاولـة السوق، وبينافس حالـيـا شركاتنا.. المخيف ان مفيش مناقصة دخلها الا وكسبها.. سمعت كمان انه مش لوحده ليه أكثر من شريك من جنسيات مختلفة ومبيظهروش.. يعني من الآخر محدش عارف مين اللي بيحركه.

سأله باهتمامٍ وكأنه يستعد مجد التحقيقات لعمله السابق:

_عايش في مصر؟

نفت اجابة أحمد ما قال:

_لا في دبي بينزل مصر كل فين وفين.

لاحت على وجهه بسمة مأكرة، فتابع تأمل الورق بشروءٍ جعله مغيب عن سماع باقي حديث أحمد حتى حينما أخبره بأنه سيصعد لغرفته لتأخر الوقت، وبعد رحيله بدقائق، أخرج عدي هاتفه ثم اختار احد الارقام ومرر زر الاتصال وهو ينتظر سماع صوت رفيقه، وبعد دقيقتين اتاه صوته التاعس يردد:

_خير.. في حد يطلب حد بالوقت ده!

صوته الحازم اتى عبر الهاتف ليعبر آلاف الاميال:

_مازن.. فوق واسمعني.

تثأب بنويم:

_فوق واسمعني دي بطلنها من ساعة ما سبنا المهنة رجعتلها تاني يا وحش ولا أيه!

بعصبيةٍ قال:

_قوم حالا أغسل وشك وفوق بدل ما اتصل بمروج واخليها هي اللي تفوقك.

صوته الخائف أخبره:

_بلاش بنت عمك الله يكرمك العيال مطلعين عنيا ومصدقت تنام جنبهم هتيجي تفتحلي مرشح ومحاضرة وقتية عن جحود قلبي اللي سابها تعاني معاهم ليل نهار.. العملية مش ناقصة.

وهرع لحمام غرفته ثم غسل وجهه عدة مرات وهو يخبره:

_اهو فوقت... وكلتا أذني صاغية.

قال بجدية تامة:

_عايزك تعرفلي معلومات عن رجل أعمال مقيم عندك في دبي اسمه "مهاب أبو العزم".

رد عليه بشك:

_ليه عملك أيه البائس اللي ربنا وقعـه في طريقك ده!

بفتور صرخ به:

_شايفني سفاح! الموضوع مرتبط بالشغل مش أكثر.

طرق بيده على الكوماد وهو يردد بتذمر:

_أنا سبت الداخلية وسبتك مصر كلها وبرضه مشغلني عندك.. طب أروح فين ثاني يا
جدع المالديف!!

ناداه بتهديد مبطن:

_مازن اتعدل احسنلك.

اجابه بنفور:

_اتعدلت..حاضر اديني يومين ثلاثة وأنا هحاول اجبلك المطلوب.

_لا.. هما 24 ساعة بس ويكون عندي كل التفاصيل اللي تخصه.

_ليه يا عم.. حد قالك اني بنجم!!

_لا اللي قالني، قالني انك كنت ظابط شرطة وتقدر تعمل أكثر من كذا.

وبدون أي مبررات أغلق الهاتف بوجهه، ليردد الأخير بغضب:

_بيتصل وبيقفل بمزاجه، من يوم يومك وإنت مفتري!

بغرفة "أحمد"

السكون يخيم على أجوائها الغير مستقرة بذاك الوقت، فبدا إليه الأمر غريبًا بعض الشيء،
وخاصة حينما لم يجدها بالفراش، فاختار أن يناديها عله يتأكد من إنها بالغرفة:

_أسيل!

حسم أمره بالتوجه للبحث عنها بالشرفة المنيرة، وما كاد بالتحرك حتى تصلب جسده حينما
شعر بثقل جسدها الملقى على ظهره، ويدها التي تحتضنه، رأسها كان يميل على كتفيه
العريضة، وأنفاسها القريبة تهمس:

_وحشتني.

رفع يديه يحتضن يدها التي تتشبث به، والابتسامة الهادئة تزين شفثيه التي نطقت لتريح
ما يزعج الأخيرة:

_متقلقيش أنا مش هعاتبك في اللي عملتيه لاني فعلاً غلطت في حقك.

وجذبها أحمد لتقف مقابله، ففركت أصابعها بارتباكٍ من مساندتها للفتيات بتلك الحرب

في حين بأنه لم يقدم لها سوءًا من قبل، فبالرغم من انشغاله الا حينما كانت تحتاج

لوجوده كان يترك كل شيء ويأتيها متلهفًا، حتى حينما تتصل به هاتفياً لتثرثر بحديثها الذي

لا نهاية له، كان يسمعها بصدر رحب مثلما اعتاد، ولم يطلب منها مرة بأن تغلق المكالمة

لانه بالعمل، خلع أحمد جاكيتته ثم حرر الجرفات بضيق من تحملها طوال اليوم، وجلس

على المقعد يحرق حذائه وهو يسألها باهتمام:

_احكي لي بقا يومك كان عامل ازاى؟

جلست مقابله بحماسٍ وهي تقص له عما فعلته طوال اليوم، وبالأخص الجزء المتعلق

باتفاقية الفتيات وتحريض نور لهم، قهقهه أحمد عاليًا وهو يسمع لحديثها ثم قال باستمتاع:

_ملقتوش غير ياسين الجارحي؟ مفيش أحلى من كده حلول!

اتبعته "أسيل" وهو يتجه لخزائنه الخاصة، ففتح اززر قميصه وهو يستعد لارتداء منامته من القطن، وهو يتابع حديثها بتركيز، فصاحت بحدّة:
_بتضحك ما احنا مخلصناش حاجة غير وعملناها هنعمل أيه تاني!
انتهى من تبديل ملابسه ثم خرج ليقف قبالتها وهو يرفع يده باستسلام:
_حبيبتي انتي تعملي اللي تحبيه.. المهم انك حررتي الطاقة السلبية اللي جواكي ولا لا؟
ابتسمت بسعادة وهو تخبره براحة كبيرة:
_لا أنا انبسطت جدّا جدّا.
حك رأسها بأصابعه وكأنه يداعب طفلًا صغيرًا:
_وهو ده المهم.
اتجهت من خلفه للفراش، كالصغير الذي يتتبع خطى أبيه، ف جذب احمد الغطاء حتى تمددت لجواره، ثم فرده عليهما وهو يستمتع لباقي حديثه الحماسي:
_بس يا سيدي الدنيا هادية وعدم وجود ماما وطنط آية وطنط يارا مخلصنا ناخذ حرية في اتخاذ القرارات لو موجودين كانوا هيهدوا الدنيا وكعادتهم هيصبرونا على الابتلاء اللي احنا فيه لكن طنط ملك وطنط دينا عسلات سيينا براحتنا.
اخفى وجه الصديق المرحب بسماع أقرب صديقاته للنهاية، ثم أستحوذ على جانب الزوج المحب لمعشوقته، فدنا بوجهه منها وهو يتساءل بعتاب:
_بقى أنا ابتلاء! بالذمة ده كلام؟
جحظت عينيها بصدمة لما خانها لسانها على قوله، فقالت بضحكة ظنتها ستنتهي الأمر:
_أنت احسن ابتلاء.. ثم إن ربنا سبحانه وتعالى مش بيتلي العبد الا لما يكون بيحبه فأكيد بيحبني عشان بيتليني بيك ولا أيه!
تجدد جبينه من فرط دهشة وجهه فأشار لها بسخرية:
_بلاش تحللي الأمثال تاني يا أسيل.
باقتناع قالت:
_أنا بقول كده برضه.
هز رأسه بابتسامة ساحرة، وقال بخبث تشكل بنبرته الجادة:
_انتى كنتى بتقوليلي حاجة مهمة أول ما دخلت وأنا مخلصتكيش تكلمي كلامك.
رمشت بعينيها الساحرة كمحاولة للتذكر:
_أمته ده؟!
رفع الغطاء فوق رؤوسهما، ثم جذبها اليه وهو يهمس لها بخبث:
_هفكرك.

الظلام يملئ الغرفة الا من طاقة نور صغيرة تأتي من المصباح الصغير الموضوع جوار الفراش، انتظام أنفاسها جعله يتيقن بغفلتها الغير مصطنعة، فأبدل "عمر" ملابسه ثم

تمدد لجوارها على الفراش وهو يراقبها بابتسامة هادئة، وسرعان ما غفى سريعًا، ولم يطول بنومته فبدأ بفتح عينيه على صوتها المتقطع، فوجد العرق يغمر وجهها بغزارة، حركاتها المنفعلة جعلته يخمن ما تراه بنومها، وخاصة حينما همست بخفوتٍ:
_حلا... لأ.

لا يريد أن تعود لذلك المطاف الشاق الذي بذل كل ما بوسعه ليجعلها تنسى ما خاضته بتلك الفترة، لذا حركها برفق وهو يناديها:

_نور.. افتحي عيونك ده مجرد حلم.

لم تنصاع ليده لذا لم يكن هناك سبيلًا آخر سوى جذبها عن الوسادة إليه، ففتحت عينيه الباكية وهي تتمم بألم مزق نياط قلبه:

_حلا.. بنتي!

احتضن وجنتها بين أصابعه وهو يجبرها على التطلع له وسماع ما سيقول:

_اهدي.. حلا كويسة وفي أوضتها.

اغرقت عينيه بالدموع وصوتها الباكي يخبره:

_هاتها.

أشار لها بتفهم وسرعان ما نهض عن فراشه ليسرع لغرفة ابنته الرضيعة القابعة لجوار غرفته، فحملها بين ذراعيه بحرصٍ بالا يوقظها ثم عاد ليضعها بين يدها، فضممتها لصدرها وعينيها تتشعب بملامحها، تارة تقبلها وتارة تزيج دموعها وعمر مازال يراقبها بحزن اتبع نبرته التي حملت وجع عالم بأكمله:

_لحد أمته هتفضلي كده يا نور... الزعل وحش على اللي في بطنك.

رفعت عينيه إليه وكأنها تشكو له مرارة ما تواجهه كل ليلة، شعر بأنها تود الحديث معه ولكنها تخشى أن يعنفها مثلما تفعل كل مرة، فمنحها نظرة حنونة واحتواء جعلها تنفجر بالبكاء وهي تردد:

_أنا السبب في موتها.. أنا السبب يا عمر!

ضمها إليه ومازالت تضم الصغيرة، فعاد نفس جملته التي يخبرها بها كلما تصمم على قولها هذا، ولكن تلك المرة قالها بهدوءٍ:

_قضاء الله نافذ يا نور.. ربنا اختارها واختارلها الطريقة اللي ماتت بيها.. عشان خاطري

بلاش تلومي نفسك على حاجة انتي مالكيش ذنب فيها.

رفعت وجهها تجاهه وبانفعال تفاجئ به "عمر" قالت:

_أنت السبب.. أنت اللي صممت تسمي بنتي حلا... كأنك مصمم تفكرني باللي عملته. جحظت عينيه في صدمة ألجمته عن الحديث، فتثاقلت كلماته وهي تحاول الخروج عن منطقتها:

_معقول يا نور شايفاني كده!! انتي معترضتيش على الاسم لما ولدتي جاية دلوقتي

وتتهميني الاتهام ده!

صرخت به مجددًا وكأنها تحاول التنفيس عما يجوب بداخلها:
_كنت مجبورة اسكت لانني كنت حاسة انك حابب تعاقبني.. سكوتك نفسه عن اللي حصل
كان عشان كده.

صراخها أفزع الصغيرة التي بكت بين يدها، حملها عنها عمر ثم نهض وهو يربت على
ظهرها بحنان حتى غفت على كتفيه مجددًا ومازالت نظراته الصامتة تحيط بها، فقال وهو
يتجه لغرفة ابنته:

_سكوتي كان رضا بقضاء ربنا وابتلائه..أنا مقدر الحالة اللي أنتي فيها عشان كده مش
هحاسبك على اللي قولتيه ده وأنتي أكثر واحدة عارفة حسابي عامل ازاي..
وتركها وغادر في صمت، فأغلق باب غرفة ابنته من خلفه، ثم تمدد جوار الصغيرة بألم،
استهدفته كلماتها في مقتل فلم يعاتبها يومًا على ما فعلته لانه لا يرى بأنها مخطئة أبدًا
عكس ما ترى هي ذاتها به..

استندت "نور" برأسها على الفراش، وأغلقت عينيها بقوة وهي تحارب ذكرى هذا اليوم
التعيس، فعادت لترى من أمامها شبح الماضي المجسد كتسجيل لا يخص سواها، فما مر
على معرفتها لحملها سوى أسبوعًا واحدًا حتى بدأت أعراض الحمل تسيطر عليها بشراسة،
فمنذ الصباح ويهاجمها دوار وصداع استهدف رأسها، فظلت طريحة الفراش منذ الصباح،
استمعت لطرقات باب الغرفة فخرج صوتها شاحب كحال وجهها الأصفر:
_ادخل..

ولجت "آية" للداخل بابتسامتها الرقيقة، ثم اقتربت من الفراش وهي تسألها بلهفة:
_مالك يا حبيبتى.. من الصبح مخرجتيش من أوضتك؟
اتكأت بمعصمها على الفراش، ثم حاولت الاستقامة بجلستها وهي تجيها بإعياء شديد:
_من امبارح مش عارفة أنا من التعب ومش قادرة ارفع دماغي..
جذبت "آية" كوب العصير عن الطاولة التي تضم طعام الافطار كاملاً:
_عشان مبتكليش كويس.. اشربي العصير ده وأنا كلمت عمر عشان نروح للدكتور ونظمن
وزمانه على وصول.

منحتها ابتسامة صغيرة، ثم جذبت منها الكوب وهي تخبرها:
_حاضر هشربه.

خرجت احدى الخادمت من حمام الغرفة، ثم اقتربت لتخبر نور:
_الحمام جاهز يا هانم.

أومأت برأسها فغادرت الاخيرة، بينما تساءلت "آية" وهي تبحث عن الصغيرة بدهشة:
_أمال فين حلا؟

أجابتها نور وهي تفرك رأسها بوجع:
_لسه نايمة.

هزت رأسها وهي تشير لها:

_ خلاص قومي خدي حمامك واجهزي وأنا كمان هروح البس عشان أول ما عمر يوصل هنتحرك بإذن الله..

جذبت نور المنشفة ثم اتجهت للحمام بتعبٍ شديد، فوجدت الخادمة قد ملأت البانيو بالمياه الدافئة ومغسولها المفضل، خلعت مئزرها ثم استرخت بالمياه وهي تحاول انعاش جسدها الهزيل، وما ان انتهت من حمامها البطيء حتى اتجهت للخزانة في محاولة للاستعداد، شعرت نور باختلالها وعدم قدرتها على الوقوف، لذا تركت الفستان الذي بيدها واتجهت للفراش، وما أن تمددت على الوسادة حتى غفاها النوم بعد ليلة قاسية، مرت نصف ساعة ومازالت تغفو بعمق إلى أن شعرت بابتها تحرك يدها وهي تتم بكلماتٍ غير واضحة، سحبت "نور" يدها وهي تردد بإنزعاج:

_ سبيني يا حلا أنا تعبانة ومش قادرة أقوم.. روعي العبي بألعابك.

انكمشت تعابير الصغيرة بحزن، واخذت تعبت بما تتلاقفه يدها، وسرعان ما تحول حزنها الطفولي لفرح وهي تلعب بأغراض نور، مرت الدقائق ومازالت الصغيرة تستكشف كل إنشئ بالغرفة، حتى تسلمت لحمام الغرفة، استندت على الحائط وهي تخطو خطوات غير منتظمة حتى وصلت للبانيو الذي يملأه المياه، راقبت الطريق من خلفها لعلمها بأن والدتها لن تسمح لها بالتواجد بذلك المكان وحينما لم تجدها خلفها مثلما كانت تفعل، جذبت الورود التي تملأ المزهرية الموضوعة جانبًا ثم وضعتها بالمياه وهي تلهو بمرح ومن ثم وضعت ألعابها لعبة تلو الأخرى وكلما طفت على سطح المياه كانت تضحك بطفولية، احتلها انزعاج غفير لحظة غوص إحدى ألعابها، فحاولت جاهدة الحصول عليها وحينما فشلت بالامساك بها لعمق البانيو، جذبت أحد المقاعد ثم صعدت فوق سطحه وخفضت ذراعها بالكامل حتى غلبتها رأسها وسقطت من خلفه، فاختمت جسدها الصغير بداخل البانيو، تحركت ساقيها وذراعيها بانفعال وهي تحاول التقاط أنفاسها، سلبت منها روحها ومازالت تحاول وتعافر حتى توفت غرقًا واستسلمت لموتٍ محتوم لم تشعر به من ازهقها تعب حملها وغفت كمن ارتشفت مخدر قوي جعلها لا تستوعب ما يحدث من حولها، فايقظها صوت هاتفها بعد ساعة كاملة من النوم، تحسست "نور" الوسادة والكومود باحثًا عن الهاتف، وفتحت عينيها بارهاق وهي تتفحص المتصل، رفعت الهاتف على أذنيها وهي تجيب بنوم:

_ أيوه يا عمر..

اتاه صوت المتلف:

_ طمني عليكي لسه تعبانة؟

قالت بنعاسٍ يغلبها:

_ أيوه بس مش هروح غير بليل مصدقت أعرف أنام.

اجابها بحب:

_ خلاص يا حبيبتني لما تفوقي ابقى رزيلي.

وقبل أن تغلق الهاتف تساءل سريعًا:
_حلا صحيت من النوم؟
=صحيت من شوية.
_خليني أكلمها كانت نائمة الصبح وانا نازل..
نادتها ومازالت عينيها مغلقة:
_حلا.. حبييتي تعالي كلمي بابي.
وحينما لم تجيبها رفعت صوتها مجددًا تناديه:
_يا حلا..

قال عمر بدهشة:
_يمكن نزلت تحت..
نهضت نور عن الفراش وهي تجيبه:
_لا الباب مقفول.
واسرعت لغرفة ابنتها وهي تناديه:
_يا حلا انتي فين؟

أي ردًا سيأتيها وقد فارقت ابنتها الحياة تاركت من خلفها ألعابها التي تطفو لجوار جثمانها
فوق سطح المياه!

تعلقت عين نور بباب الحمام لثوان وهي تحاول الا تستوعب ما يمليه عليها قلبها وعقلها،
وما قيد حركتها نسيانها أن تسرب المياه بعد حمامها، اتجهت بخطوات ثقيلة للمرحاض
والهاتف مازال معلق على أذنيها، حتى باتت تقف بالقرب من ابنتها، رمشت بعينيها عدة
مرات وهي تحاول استيعاب ما تراه وفجأة انطلق صوتها بصرخة هزت أرجاء القصر
بأكمله:

_حلا... بنتي!!!!

أفاقت من ذكرى يومها المؤلم سريعًا، فاختنق تنفسها وكأنها هي من تصارع الموجات،
مازالت تتذكر الليالي المؤلمة التي قضتها بعد وفاة ابنتها الاولى، حتى رزقها الله بابنتها
الثانية فمنحها عمر نفس الاسم "حلا"، وهي الآن حامل بابن يضم ثمار حبهما للمرة الثالثة،
نعم قست عليه بكلماتها وهو الوحيد الذي ساندها واخبرها مرارًا بأنها مشيئة الله عز وجل،
ليس بيدها شيئًا، وهي الآن تقسو عليه، نهضت "نور" عن الفراش ثم اتجهت للغرفة
الملتصقة بغرفتها، ففتحت الباب الجانبي وهي تبحث عنه، وجدته مازال مستيقظًا ويبدو
عليه الحزن الشديد، انتبه لوقوفها على باب الغرفة، فاجلت احبالها المنقطعة وهي
تهمس ببكاء:

_أنا آسفة يا عمر.

وجد عينيها قد تورمتان من فرط بكائها، فنهض من جوار ابنته ثم وضع الوسادة ليجمئها
من السقوط أرضًا، وأسرع إليها.. ضمها اليه وهو يربت على ظهرها ويهمس لها بحنان:

_قولتلك اني مزعلتش منك أنا زعلان عليك يا نور.
بصوت متحشرج من فرط البكاء قالت وكأنها لم تسمع لما قال:
_انا في اليوم ده نمت من تعبى ومحستش بيها وهي داخلة الحمام.
ابعدھا عنه وهو يعاتبھا:
_عشان خاطري انسي.. بطلي تفكري في اليوم ده.. ربنا عوضنا بحلا وبابننا اللي في
بطنك.. انتي ممكن تأذيه باللي بتعمليه في نفسك هتقدرى تتحملي ذنبه يا نور؟
رددت بارتباك وهلع:
_لا.. لا.. ابني مش هيجراله حاجة.
واحتضنت بطنها بحالة من التوتر، فلعب عمر على أوتار خوفها الذي سيعاونه بما يريد:
_يبقى تبطلي تفكري في اللي فات.
هزت رأسها ثم قالت بتعبي وهي تشير على فراش الصغيرة:
_هنام جنبھا.
منحھا ابتسامة هادئة، وهو يدنو من الفراش:
_معديش مانع تشاركينا في نومتنا.
ضحكت على مزحه رغم ما تعرضوا له معًا، ومن ثم حملها للفراش ليستقر ثلاثتهم فوقه..
وأخيرًا تخطت أوجاعها وضمت صغيرتها اليها علھا تبرد أوجاع قلبھا..

صعد متغندًا لغرفته، فما أن فتح بابها حتى صرخ ألمًا حينما تلقف وجهه شظايا أحد
المزهريات، فحارب التشوش الذي يعتليه وهو يحاول التقاط المشهد كاملاً، فوجد الغرفة
تحيطها فوضى عارمة وبقايا زجاج منكسر، وابنه ينطلق كالصاروخ الجوي يدمر أي شيء
بطريقه، بحث "حازم" بعينه عن زوجته فوجدها تنكمش على احد المقاعد وتحتضن بطنها
المنتفخ خشية على جنينها من شراسة هذا الولد الذي فشل هو بتهذيبه اولًا، رآه حازم يمر
من جواره فجذبه من قبعة البيجامة وهي يصيح به بتحد:
_جرى أيه يالا هو محدش عارف يلملك ولا أيه... حد قالك اننا جايين هولاكو على وش الدنيا
ولا قالولك انك حفيد امتياب باتشان.
أبعد خالد يد أبيه عنه وهو يشير له بحزم:
_هتبهدل هدومي.. سبني بدل ما اتصل بجدو يطلعك.
رفع حاجبيه بسخط قاتل:
_أنت بتهددني يا حشرة... ده انا برشة بيرسول أقعدك تحت السرير يلا... فوق يابا أحنا
خربينو على قديمو.
هز الصغير رأسه بتحد:
_كده طيب.

وتركه وغادر من الغرفة بأكملها، فاتجه حازم للركن المنزوي بعيدًا وبالاخص أمام نسرين

ثم قال ساخرًا:

_ انتي خايقة من الواد من دلوقتي أمال لما يطول وشنبه يخط في وشه هتعملي أيه؟
منحته نظرة ساخطة احاطته من رأسه لخمص قدميه، واتبعها قولها المستهزأ:
_ انا ربنا بيحبني ومصمم يزيد بحبه بعدد من الابتلاءات أخرهم اللي في بطني الله اعلم
جيناته هتوصله هو كمان لأيه!!

ورفعت يدها لسقف الغرفة وهي تردد بضيق:

_ حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا حازم.. كان يوم اسود يوم ما شوفت خلقتك انت وابنك.
قوس حاجبيه بغضب:

_ بتدعي عليا يا ولية.. بعد كل الحب اللي حبت هولك والطفح اللي حولتهولك.. يلا هقولك
أيه عمل ربنا فيكي كفايا وآآ..

بترت كلماته حينما شعر بنغزة استهدفت كتفيه فاستدار للخلف، فوجد ابنه يحمل عدد من
الشوك القاسية التي تستهدف اللوحة المعلقة من خلف الباب، فقرر استهدافه هو بدلًا
عنها، استوعب حازم ما يحدث هنا وفجأة هرول مسرعًا تجاه المقعد الذي يحمل نسرين
فسقط بهما معًا للخلف حتى باتت قدميه عرضة لمن يستهدفه بالسهم، وكلما تمسه أحد
الأشواك صرخ بجنون الى ان توقف الصغير وهرع للخارج لبحث عن بقية الاشواك، أسرع
حازم بقدم ملوحة وخطوات متعثرة، وحينما سقط أرضًا استخدم ذراعيه وقدميه حتى
وصل لباب الغرفة فاوصده من الداخل وجلس من خلفه ليحرص الا ينجح هذا الوحش
الصغير بفتحه مجددًا، فرفع قدميه وانتزع عنها الاشواك والاخيرة تراقبه بشماتة، اتجهت
للفراش وجلست على حافته والابتسامه تعلو ثغرها، منحها حازم نظرة نارية اتبعها قوله
المتعصب:

_ رجعي اللي في بطنك ده مش عايزه أنا اتربيــــــــــــت تربية تكفيني سيني الجاية.. الله
يكرمك كفايا عليا أبو فقوس اللي انتي جايبهولي ده.

جذبت نسرين الوسادة وأحد الاغطية ثم قذفتها بوجهه وهو تخبره بصرامة:

_ انت صح عشان كده طول ما انا على ذمتك قضي ليلك ورا الباب أضمنلك.

منحها نظرة حارقة ثم جذب الوسادة وتمدد خلف الباب وهو يراقب بخوف ما سيفعله
الصغير بعد.

أغلق "عدي" الملف من أمامه ثم نهض واتجه للداخل، فوجد سيارة "يحيى" تدنو من بوابة
القصر الداخلية، اتجه إليه ثم وقف قبالة باب السائق ليسأله بغموض:

_ كنت معاه صح؟

ابتسم يحيى وهو يجيبه:

_ أيوه طلب انه يشوفني انا وياسين بس نام واحنا في الطريق.

واتجه يحيى للخلف ليحمل الصغير، فحملة عنه عدي وهو يخبره باحترام:

_بلاش تتعب حضرتك أنا هشيئه.
قبل يد الصغير التي تتدلى من خلف كتف عدي وهو يهمس له:
_تصبح على خير يا حبيبي
التفت به عدي للخلف وهو يجيبه بدلا عن ابنه النائم:
_وانت من أهله يا عمي.
وتركه ودخل المصعد حتى وصل للطابق الثالث، فقصد غرفة أولاده ومن ثم وضعه على فراشه، ثم جذب الغطاء ليدأثره جيّدًا، تعلقت نظرات عدي به والابتسامة تزين شفّتيه، فعبث بأصابعه بين خصلات شعره البني الذي يحمل نفس لون أبيه، ثم انحنى ليطبع قبلة صغيرة على جبينه وهو يهمس بسخريّة:
_حتى وأنت نايم شبهه!
نهض عن فراشه واتجه لسرير ابنته البعيد عن الركن الخاص بابنه، فوجدها تحتضن دميتها وهي نائمة، ابتسم وهو يقبل جبهتها ثم قال بحب:
_تصبحي على خير يا أجمل وأعز شيء بملكه في حياتي.
ودأثرها بالغطاء جيّدًا ثم أطفئ الضوء واتجه لغرفته..

كان يعلم بأنها تتدعي النوم، ومع ذلك ابدل ثيابه واتجه للفراش بمكر تام، تمدد "عدي" لجوارها وهو يراقب انفعالات وجهها، وخاصة رمشت عينيها التي تحاول التقاط أي صورة توضيحية لما يفعله الآن، فوضع يده يستند على جبهته وهو يدعي غفلته السريعة هو الآخر، فتحت "رحمة" عينها أخيرًا فالتقطت انفاسها بصورة طبيعية حينما رأت النوم قد غلبه، وفجأة شحب وجهها حينما استقام بجلسته وهو يردد بحنق:

_كنت واثق إنك منمتيش!
جاهدت لرسم ابتسامة زائفة وهي تخبره:
_لا كنت نايمة
هز رأسه وهو يسترسل بحدّة:
_لا يا روجي مش نايمة كنتي بتتهربي مني عشان موجهكيش باللي عملتيه.
ادعت عدم معرفتها بما يقال:
_عملت أيه!

نادها بتحذير من اللجوء للرف والدوران:
_رحمة!
ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول استجماع ما علمها اياه ياسين، لذا قالت بقوة تحاول ان ترتديها رغم اختلاف المقاسات فيما بينهما:
_لو تقصد مكالمتنا لعمي فأنا مغلطتش يا عدي.. انت مش شايف طريقتك معايا عاملة ازاي!

ابعد الغطاء عنه ثم انحنى بجذعيه تجاهها وهو يصيح باندفاع:
_متجوزة عيل صغير بريالة عشان تروحي تشتكيني!! مشاكلنا متخرجش برة عتبة باب
الاولضة دي وده اللي لازم تتعودي عليه سامعاني!
بتحد أخرج ما تخفيه بداخلها قالت:
_لما مقدرش اوصل معاك لحلول لازم اختار الشخص الحكيم اللي يقدر يصلح ما بينا.
بضحكة ساخرة قالت:
_والشخص ده يبقى ياسين الجارحي!!
ضمت شفتيها معًا وهي تستعد لخوض نقاش حاد معه:
_ايوه هو يا عدي.. وحقيقي انا وغيري مشوفناش منه غير الاحترام.. أنا مش فاهمه ايه
سبب الكره اللي جواك لباباك وهو مقدملكش غير كل خير.
رفع حاجبيه بدهشة مما تفوهت به:
_بكرهه!! انتي سامعة انتي بتقولي أيه!
صاحت بانفعال:
_لا شايفة افعالك وطريقتك.
نهض عن الفراش وهو يشير لها بغضب:
_أنا مفيش حد يعدل على تصرفاتي.. ثم انك مين عشان تتدخلي في علاقتي مع اللي
يخصوني.. أنا حر مع عيلتي انتي مالكيش تتدخلي ما بينا..
وألقي المصباح الكهربائي الذي يزين الكومود وهو يصرخ بعنف:
_مش فاضل غير اني ادخل حد في حياتي عشان يحل مشاكلي مع مراتي!!
وترك الغرفة بأكملها ثم هبط للأسفل وبالأخص لحديقة القصر، جلس على الاركة
المعدنية القريبة من حمام السباحة شارد بما يحدث من حوله، فأبيه يحرص كل فترة على
نشب الحروب فيما بينهما وكأنه لم يفكر بانجابه الا لتسلية تحديه!!
قطع الليل اشراقة الصباح ومازال يجلس محله لم يذق طعم النوم، وكأنه كان بحاجة
للجلوس منفردًا والتفكير جيدًا بنقاط أراد الانفراد بها، قطع شروده صوت هاتفه فرفعه
على اذنيه ليستمع لصوت رجله المخلص:
_اللي طلبته اتنفذ يا باشا.
أغلق عدي الهاتف براحة بعدما نجح أحد رجاله بتتبع أبيه ليلة أمس وتحديد مكانه
بالتحديد.. فأصبح الآن لقاء والدته أمرًا ليس مستحيلًا..

اقتربت الطائرة من اليخت بمسافة ليست ببعيدة، فتوقفت بالمكان الذي أمر "ياسين
الجارحي" بالتوقف، حتى لا تشعر به "آية"، فإن علمت بانها قضت ليلها بدونه ربما ستفقد
صوابها وربما ستصر على العودة خشية من أن يكررها مجددًا، ظلت الطائرة تحوم فوق
سطح المياه والطيار ما زال لا يستوعب ما يحدث، فقال باستغراب:

_لازم أقرب من اليخت يا باشا عشان حضرتك تعرف تنزل.
تجاهل ما يقوله، وفتح باب الطائرة ثم خلع جاكيتته ومن ثم نزع عنه قميصه والآخر يتابعه
بذهول ازداد حينما قفز "ياسين" بالمياه ببراعةٍ وجسده الممشوق لا يناسب سنه الذي
يعلمه الجميع، سبح بمهارةٍ حتى اقترب من اليخت وما حسبه قد وجده حينما وجدها
بالمياه تبحث عنه بفزع، فرفعها بعيدًا عن المياه ومن ثم صعدوا معًا لليخت..(نوفيلاً
لحظات خاصة مقدمة 3)..

ومن خلف منطقة نائية، وضع من خلفها مستقر لمنظمة دولية خطيرة، فتح أحدًا باب احد
الغرف المتهالك وهو يردد بفرحة لما يرفه لسيده:
_الدور اتسبك ودخل عليهم والمراد حصل.. الباشا بنفسه اللي استلم الصفقتين!

الفصل الرابع

تسللت بحذر وخفة حتى دنت من الفراش، فخلعت حذاءها الصغير، ثم تعلقت بطرفه
المديب، حتى أصبحت تعلو سطحه، فاندثت أسفل الغطاء، ثم وضعت رأسها فوق
ذراعه المنفرد، رمش بعينييه بانزعاج حينما شعر بحركةٍ تصدر من جواره، ففتح "أحمد"
عينييه ببطءٍ شديد، وما أن اتضح له سر ما أيقظ منامته حتى ارتسم على وجهه ابتسامة
جذابة، فجذبها لاحتضانه الدافئة وهو يهمس بنوٍم يغلب صوته المنخفض:
_عملتي أيه في مامي وجاية تتحامي فيا؟

ابتلعت الصغيرة ريقها الجاف بتوتر اتبع نبرتها الطفولية:
_لا أنا مش عملت حاجة.

ضيق عينيه بشكٍ جعل قناع البراءة يسقط عنها، فاختبأت باحضانه وهي تردد بحرج:
_كنت بلعب في الاكسسز بتاعها والعقد واقع مني انكسر بدون قصد.
مرر يده بحنان على طول خصرها وهو يقربها إليه، وبعتاب طفيف قال:
_هي مش مامي حذرتك قبل كده انك متقربيش من حاجتها يا ليان!
اشرأبت بعنقها تجاهه وهي تبرر فعلتها:
_مكنتش أقصد اوقعه مني، كنت بشوفه بس وآآ.

انقطعت باقي جملتها حينما استمعت لصوت والدتها يدنو من الغرفة ، تناديهما بتعصبٍ شديد:
_ليان.

تعلقت الصغيرة بأبيها بخوفٍ جعلها ترتجف بين يده، فضمها اليه وهو يعتدل بنومته حتى صار بقبالة من تقتحم الغرفة بغضبٍ يلهو بمعالم وجهها المتهجمة، وبحدةٍ تلاعبت بنبرتها قالت:

_مش هتعرفي تهربي مني المرادي.
ورفعت العقد المصنوع من الألماس عاليًا:
_قولتلك الف مرة متجيش جنب الصندوق وانتي مش بتسمعي الكلام!
أشار لها أحمد وهو يهدد صغيرته:
_خلاص يا سيلا حصل خير، هبقى أجبلك واحد غيره.
ألقت ما بيدها وهي تصيح بانفعال:
_انا ميهمنييش العقد أكثر ما يهمني انها تسمع كلامي يا أحمد!
واسترسلت بغضب:

_وعشان كسرت كلامي المرة دي كمان أنا مش هكلمها تاني.
وكادت بترك الغرفة بأكملها، ولكنها توقفت حينما استمعت لصوت ابنتها الباكي تناديهما:
_لا يا مامي.. أنا آسفة مش هعمل كده تاني. بس بلاش تخاصميني.
رق قلبها حينما وجدتتها تأثرت بتهديداتها المتعصبه، فاستدارت بجسدها تجاه الفراش، ثم فتحت ذراعيها للصغيرة التي تركت أبيها وهولت لاحضانها، فطبعت "أسيل" قبلة صغيرة على جبهتها، وهي تهمس لها برفق:
_طب خلاص متبكيش.. ما أنا سامحتك.
ابتسمت وهي تجفف دمعاتها باصبعها، وتشير لها بتوقفها التام عن البكاء، فضمتها مجددًا إليها.

وضع الوسادة خلف ظهره وهو يتابعهما ببسمةٍ واسعة، فأطلق صفييرًا مرخًا:
_الا يشوف المشهد الجميل ده ميشوفش اللي حصل من ثلاث دقائق بالظبط.. حقيقي

البنات بطبعها لغز ملوش أي حلول، في دقيقة بتقدر تستحضر دموعها وفي نفس
الدقيقة ابتسامتها، انتوا مش طبيعين!
انتقلت نظرتهم معًا تجاهه، فنهض عن الفراش وهو يرفع ذراعيه عاليًا باستسلام:
_ ده مدح مش نقد.

وحينما لم تخفف كلماته من حدة النظرات استرسل:
_ انا كنت نازل على فكرة.

واتجه لحمام غرفته وهو يهمس بتذمر:
_ حقيقي اللي بيحصل ده مش طبيعي!

فرك بيده رقبتة بالم، بعد أن قضى ليله على التراس الخارجي للقصر، نهض "عدي" وهو
يجمع مفاتيحه وجاكيته الملقي أرضًا، ثم اتجه لغرفته ليبدل ملابسه قبل أن يتوجه للمقر،
صعد الدرج قاصدًا غرفته، فتفاجأ بآبنة اخيه تزحف للخارج بيدها، وحينما رأته تعالت
ضحكاتها وارتفع ذراعها اليه تطالبه بالاقتراب، ارتخت شفثيه القاسية التعابير عن
مخضعها، وتحررت ابتسامة هادئة تقابل وجهها الملائكي، فانحنى بطول قامته إليها ثم
حملها إليه بخفة، فداعبها بابهامه بحب:
_ أيه اللي مصحي الجميل بدري كده.

ابتسمت الصغيرة وهي تحتضن اصبعه، فطبع قبلة على جبهتها، ثم مرر يده على شعرها
القصير، فأخبرها:

_ الضحكة دي كفيلة تخليني أجازف بقرار الخلفة مرة ثانية.

مرمغ وجهه بخديها الناعم ليداعبها بمرح، فتعالت ضحكاتها بجنون، احتضنها عدي وصوت
ضحكاته الرجولية تعلو لتخترق آذان من يراقبهما بغم مفتوح ببلاهة، فظل محله حتى
انتبه اليه الاخير، فدنا منه ووضع الصغيرة بين يديه، وحك انفه بتوتر من هيبته التي
اهتزت قليلًا أمام أخيه، عبث "عمر" بحدقتيه وهو يراقبه بصمت، فمرر يده على رقبتة
وعيناه تفترق بتأمل الطابق السفلي بثباتٍ مخادع، وعاد ليتأمل اخيه الصامت، فتنحج
بخشونة:

_ هتفضل واقف كده كتير!!

تساءل ببلاهة:

_ اعمل أيه!

اخشوشنت نبرته وهو يحاول استعادة حزمه الغير مرهون:

_ وسع من طريقي!

تنحى جانبًا بابنته، فودعه الوحش بنظرة شرسة، سكنت حينما ودع الصغيرة بحنان وسكينة

جعلت عمر يتمتم بخفوتٍ وهو يرفع الصغيرة امامه:

_ بتسيطر عليه ازاي!

واصل بخطاه المتزن الشبيه بخطوات العسكر تجاه خزانته الخاصة، فانكمشت تعابيرها
بذهول مقبض حينما لم يجد ملابسه قابعة بداخلها مثلما اعتاد رؤية ما يزحمها، استحضر
كل ذرة غضب بداخله وهو يستعد لدعوتها للمسود امامه، وقبل أن يتحرر لسانه عن
منطقه وجدها تقف خلفه، ترمقه بنظرة غائمة لا تبوح بمكنونها، فسبقته بالحديث
باعترافها الجريء:

_المرادي مفيش حد من الاولاد قرب لحاجتك انا اللي نقلت كل حاجة تخصك لاوضة من
اوض الضيوف.

تجعد جبينه بدهشةٍ حام فوقها الغضب بجفون من نيران فتساءل باستنكار لما استمع
عليه:

_عملتي أيه؟

رفعت "رحمة" رأسها عاليًا بشموخ عجيب، فجابهته بحديثها الذي فجأه كليًا:
_زي ما سمعت.. حسيت انك محتاج الفترة دي تكون لوحداً لأنك تقريبًا بتقضي أغلب
أيامك بره، فحببت أريحك من الجناح اللي مبقتش تلاقي راحتك فيه.
اشتعلت مقتليه ببركان محتقن كاد برجمها حية، فاتبعته عاصفة قاتمة:
_أيه الهبل اللي بتقوليه ده؟

بتصميم لم يتخلى عنها قالت:

_زي ما سمعت يا عدي، المكان مبقاش مريحك ولا انا كمان.
ودنت الخطوة الفاصلة بينهما ببطءٍ حتى باتت قبالتها، فاستكملت حديثها بعين غائرة
بالدمع رغم قوة صمودها الذي يراه لأول مرة:
_أنت عايز تخرجني بره كل شيء يخلصك.. شغلك، عيلتك، ابنك.. كل حاجة بتقولي خليك
بعيد.. شايفني مينفعش اتدخل في شغلك لانه شيء ميخصنيش، ولا ينفع اتدخل بينك
وبين اهلك لانه ميخصنيش، حتى ابني!!

لا يا عدي أنا مش جارية عندك عشان تعاملني بالشكل ده، انا مراتك ولو مقدرتش
تستوعب معنى العلاقة دي يبقى أنتي اللي هتكون بعيد مش انا.

كاد باعتصار فكه السفلي من شدة غيظه، فقال بسخرية:

_والكلام ده فجأة اتحرر وخرج من جواكي!! ولا كنتي محتاجة لحد زي ياسين الجارحي
يشجعك ويحفظك تقفي قدامي وتقوليه!

تحررت دمعاتها تباغًا، فانفجرت بالبكاء المحتجز خلف صوتها المختنق:

_مش محتاجة لحد.. أنا اللي خلاص مبقاش فارق معايا حاجة.

وتعمقت بعينيه للحظاتٍ شعر بغرابتها، قبل أن تخبره بدموع:

_أنت سبتني للوحدة ثاني يا عدي، خلتنني ارجع وأعيش نفس الايام اللي عشتها في بيت
عمي من ثاني..

واذاحت دموعها وهي تستطرد:
_تقدر تقولي ايه الفرق بين هنا وهناك وانا عايشة في نفس حالة الرعب والخوف طول الوقت!

رمش بعينه عدة مرات بصدمة، تشكلت بسؤاله مشيرًا على ذاته بدهشة:
_خوف! مني انا يا رحمة!
تحدثه باجابه نظراتها، وهو يتأملها بدهشة، وسرعان ما انسحبت حينما استدارت للخلف وهي تردد:

_امشي يا عدي.. ارجوك اخرج.
رمقها بنظرة قوية فوجدها لا تود أن تتطلع تجاهه، فابتسم بسخط على ما ينجح أبيه بفعله لمن يحاطون به، يشعر أحيانًا وكأنه يجند الجميع لصالحه، وضع يده داخل جيب سرواله ثم هز رأسه ساخرًا:

_مبقتش فاهم هو عايز يوصل بيكم لفين!
ورفع اصبعه تجاهها بتحذير:
_سبق وقولتلك الف مرة مبحش حد يتدخل في حياتي وخاصة علاقتي بيك، ولو طريقتك معايا دلوقتي كان وراها ياسين الجارحي صدقيني ردة فعلي مش هتعجبك.
وانحنى تجاه المقعد ثم جذب جاكيتة بقسوة وعصبية استهدفت باب الغرفة الذي صفق بقوة كادت بهدمها فوق رؤوسهما، تاركها من خلفه تحاول السيطرة على نوبة البكاء التي تصل صداها لقلبه قبل أن تستهدفها!

شعر ببرودة تتخلل جبهته، وقبل ان يستوعب ما يحدث له بمنامته الغريبة كان يتلاقى الأشد برودة، فرك "حازم" جبهته بانزعاج، وما أن فتح عينيه حتى انتفض من محله بصدمة حينما وجد ابنه يقف اعلى الطاولة، وبيده كرات من الثلج يصنعها بيده ويستهدفه كالفريسة المستسلمة دون أي مقاومة، كز أسنانه بغيط فجذبه من تلاباب ملابسه وهو ينهره بشدة:

_انت مش هتبطل العبط اللي انت فيه ده.. أنا في حياتي مشفتش عيل سكيل ورزل زيك.
جاهد الصغير ليحرر ذاته وحينما فشل صاح عاليًا:

_مامي الحق جوزك عايز يموتني.

ضيق حاجبيه بصدمة:

_جوزك! أنت تربية حوارى يا ض!

واسترسل بنذب ساخر:

_أنا كنت عارف ان فلوس تعليمك دي من مال حرام، عشان كده مشكوك في تربيتك وطلعت تربية شمال.

أبعده الصغير عن ملابسه وهو يصيح بانفعال:

_ سيب القميص بهدلته بمسكة الحرامية دي!

_ آسف معاليك.. تحب أكويهلوك تاني؟

بعنجهية قال وهو يشير له:

_ لا لا مفيش داعي.

عاد لمسكته بحدة تفوق سابقتها وهو يصيح به:

_ أنت عايز مني أية على الصبح يا طفل يا سقيل... قايم نايم رايح جاي بتقرف فيا ليه، أنا

طالع عين أُمي في الرومانسيات عشان تشرف ولما جبتك على وش الدنيا جيت عشان

تتوبني!

دفعه بعيدًا عنه بتقزز:

_ فين التوبة دي ما مراتك حامل وعلى وش ولادة يا عم!

انفرجت شفتيه بذهول، فانتقلت نظراته تجاه من خرجت للتو من حمام غرفتها وتدنو بكل

هدوء لخزانتها تنقي ما يليق بها، متجاهلة ما يدور بين الأب وابنه الهمجي، فاندفع كالثور

تجاهها وهو يشكو بحنق:

_ ما تيجي تشوفي ابنك ابو لسان طويل ده!

رمقته بنظرة جانبية، ثم عادت تسترسل ما تفعله وكأنها لم تستمع له من الأساس، فجذبها

بغيظ:

_ نسرين بقولك ربي ابنك بدل ما اشردك انتي وهو تحت كوبري 6 اكتوبر ولا هيهمني!

فركت جبهتها بألم صداع الرأس المعتاد، فاتجهت بملل للطاولة ثم اشارت لابنها ببرود:

_ احترم باباك يا حبيبي.

وتركته وعادت للخزانة مجددًا، والآخر يتابعها باستهزاء:

_ على اساس ان كلامك ده هياثر على التربية المنحطة دي ولا أية مش فاهم!

دفعت الفستان عن يدها وهي تصيح باندفاع:

_ بقولك أية أنا مش وسيط بينكم، عايز تربيه اتفضل من غير ما تدخلني بينكم، أنا خلاص

اتخنقت منك ومنه.

وزع نظراته بينها تارة و بين ابنه الذي يراقبه بشماتة تارة أخرى، فتتجنح بخشونة

مصطنعة:

_ وماله هربيه انا.. هيحصل أية يعني!

وعاد ليقف مقابله من جديد، فرفع اصبعه تجاهه وهو يشير له:

_ خليك محترم وابن ناس يالا بدل ما وربي هسحلك وأخليك عبرة لمن لا يعتبر.

جحظت عينيها بصدمة:

_ أسحلك!! في واحد يقول لابنه هسحلك!

بغرور اجابها:

_ مش انا قولت.. يبقى في!

وقف أمامه لتستعد لمعركتها الحاسمة، فدار بينهما صراع قوي، استغله الصغير لصالحه
فتهاوى بجسده للخلف ومن ثم اندفع فجأة تجاهها وهو يصيح بفرحة:
_هيايبي.

صرخت نسرين بالم وسقطت بجسدها وبطنها المنتفخة فوق حازم الذي احتضن الارض
بحميمة جعلت وجهه يدفن بسجاد الغرفة، ومن فوقه ثقل جعل أنفاسه تنقطع، تحسست
نسرين بطنها المنتفخ وهي تردد بخفوت:

_الحمد لله بنتي مجرلهاش حاجة.

اتاهها صوته المتقطع من أسفلها:

_أ... ن... ا... اللي... م... ش... كويس..

تساءلت بحيرة:

_بتقول أياه؟

جاهد بكل قوته، فدفعها بعيدًا عنه وهو يسعل بارهاق، وما ان استرد انفاسه الثمينة حتى
ردد:

_نهايتي هتكون على ايدك انتي وابنك انا عارف.

وتحامل على ذاته وهو يتجه لحمام الغرفة:

_سايبهلكم مخضرة.

تابعته وهي تردد باستياء:

_مجنون ده ولا ايه؟

بالأسفل..

اجتمعت الفتيات بالقاعة بحضور "يحيى" وعلى ما يبدو لعدي الذي هبط للتو بأن هناك
أمرًا هامًا يتناقشون به، فاسترق السمع لهم وهو يتناول قهوته الصباحية، فاستمع لمليكة
التي قالت بضيق:

_بس كل الترتيبات دي هتروح علينا.. لان سفر بابا مكنش على البال خالص..

هزت نور رأسها بحزن وازافت:

_فعلا الرحلة دي لخبطت كل مخططاتنا واكيد عمي مش هيرجع الا بعد ما يحتفل بعيد
جوازهم.

اختصت أسيل بحديثها يحيى:

_طب ما تحاول يا انكل تقنعهم يرجعوا عشان نقدر نفاجئهم.

أجابها بقلة حيلة:

_مش لما أعرف هما فين بالضبط.

وتابع بسخرية:

_وحتى لو عرفت مش من السهل اني اقدر اقنع ياسين الجارحي انه يتراجع عن رحلة

طلعها هو.. هيرجع وقت ما هو يحب..
جذب "عدي" احدى الشطائر يلوكها بتلذذ واستمتاع لما يدور من حوله، فقال بصوته
الرخيم الذي قطع مجلسهم ليشعروا بوجوده:
_واللي يقدر يرجعهم قبل الحفلة بساعات!
اتجهت جميع الأعين تجاهه فمنحهم بسمه مأكرة تخفي خبثٍ ودهاءٍ عظيم، فربما لم يكن
من السهل على احداً توقع ما يضمرة ذاك المتمرد الشرس!

الفصل الخامس

صوته اقتحم جلستهم الشبة سرية، فنهضت الفتيات جميعًا وأسرعن بالإلتفاف من حوله
على الطاولة المستديرة، الا زوجته بقت محلها جوار يحيى الذي يحاول فهم ما يحدث هنا،
فمن المؤكد بأن عدي يدبر لأمر خطير، وريثما سيناجي ثورة عارمة ستكن الفتيات من
ضحاياها لا محالة، لذا فضل الاستماع إليه وترك ساحة النقاش للفتيات التي لم تقصر
بعملها، فقالت مليكة بفضول:

_هترجعهم ازاي ومحدث يعرف مكانهم؟

نظرة خبيثة تهاوت من حدقتيه العسلية، اتبعها قوله الثابت:

_ازاي دي بتاعتي أنا.

تساءلت أسيل بعد تفكير:

_طب كده هنلحق نحضر القصر يا بنات، مفيش معانا غير يوم واحد بس!

ردت عليها داليا بتأكيد:

_هنلحق إن شاء الله بس لازم نتأكد بس من ان عدي هيقدر فعلاً يوصلهم.

اتكأت رانيا بجسدها تجاه الطاولة لتكن قبالتها:
_لو قسمنا الشغل بينا كلنا هنلحق.
طرقت نسرین بيدها على الطاولة لتلفت الانتباه لما تود قوله:
_الشباب يساعدونا، احنا لوحدها مش هنلحق نعمل حاجة.
تشاورت الفتيات فيما بينهم والأخير يتناول طعامه في صمت تام، يختطف النظرات السريعة لزوجته التي تجلس على بعد منه وترفض الاقتراب والانضمام للفتيات، قاطعت نور الهرج والمرج المتبادل بين أطراف الطاولة، حينما تساءلت بشكٍ وعينيها تراقب من يرتشف عصيره بثباتٍ:
_طب وأنت مستفاد أيه من كل الليلة دي يا وحش!
رفع وجهه ليقابل لقائها ببسمة ارتسمت على طرف شفتيه، ومن ثم وضع الكوب عن يده ببرودٍ اتبع نبرته:
_مش لازم يكون في دافع متبادل يا نور.. المهم إن هدفكم هيتحقق.
أبعد المقعد للخلف بقدميه وانتصب بوقفته وهو يخبرهن:
_وبدل ما بتحاول تعملي معايا تحقيق أكدي على أقرب صديق لياسين الجارحي لانه ببساطة ممكن ييوظ مخططاتكم.
ورفع نظارته لعينييه، ومن ثم جذب مفاتيح سيارته، وغادر بخطاه المتزن تاركًا من خلفه نظرات تلاحقه بغیظٍ من تجاهله المتعمد، وفشلها القاطع بتنفيذ الجزء المتعلق بالتجاهل، وكأنه يسبقها بخطوة!

انتهى من وضع حاسوبه الخاص وبعض الملفات الهامة بحقييته السوداء، دوى رنين هاتفه ليصل له مكالمته الهامة مع أبيه، فوضعها جانبًا ثم التقط هاتفه وهو يجيب بترحابٍ:
_يا أهلاً برعد باشا اللي من ساعة ما سافر وهو مش سأل في ابنه الوحيد.
أتاه ضحكة والده تسري لآذنيه، ختامًا بنبرة صوته الرخيم:
_مخلف قطعة أنا عشان أنساك!
وانهى مزحه بتبريره الجاد:
_انت عارف يا حبيبي إن الشركة هنا في ايطاليا واقعة من ساعة ما أحمد ويحيى سابوها ورجعوا مصر، فلازم حد مننا يكون موجود بياشر بنفسه الشغل.
رد عليه رائد بتفهيمٍ:
_عارف ومقدر ده.. بس مش مبرر يخدك من قلة الرد عليا
وبعتاب يحمل طابع السخرية قال:
_سبحان الله بترد على داليا ليل نهار وتيجي عليا وتبقى مشغول.
وتمتم بغیظٍ:

_البنات عندكم حاجة واحنا حاجة تانية.. العنصرية دي هتولد فتنة بين طوائف الشعب!
انتابه الملل من الجدل الذي يتخذ مسار يخالف غايته:
_سيبك من شغل العيال ده وركز معايا، كنت بكلم يحيى النهاردة وعرفت باللي حصل بين
عدي وياسين والصفقتين اللي عايز ياخدهم.
أكد له كناية الحرب التي ستجرى لا محالة:
_الموضوع مش سهل خالص.. واللي مش قادر أفهمه لحد دلوقتي أيه سبب الخناق اللي
اتخلق فجأة كده بين عدي وعمي بعد ما الامور كانت ابتدت تبقى تمام بينهم!
أجابه رعد بحيرة:
_مش هتفهم ولا هتقدر تستوعب حاجة، ده سر عسكري بيدور في راس ياسين الجارحي
بس.

واستطرد بهمسٍ منخفض لم يكن مسموع للآخر:
_أنا حاسس ان ياسين وراه حاجة تانية بيدريها ورا اختباره لمنصب عدي.
رفع رائد صوته متسائلًا بعدم فهم:
_حضرتك بتقول أيه!
عاد صوته مسموعًا من جديد:
_لا متخدش في بالك.. المهم انكم بخير.. انا كلها يومين وهخلص الاوراق اللي معايا
وهرجع انا وعز بإذن الله.
_توصل بالسلامة.. هكون باستقبال حضرتك بالمطار.
_إن شاء الله يا حبيبي.. مع السلامة.
أغلق رائد هاتفه، ثم عاد ليحمل الحقيبة التي وضعها على مكتبه الخاص، فانعقد حاجبه
بذهول حينما لم يجدها، فبدأ رحلة بحثه التي انتهت بأسفل المقعد والطاولة، وقبل ان
يستقيم بوقفته استمع لصفير يأتي من اعلى فراشه، وحينما رفع رأسه وجد ابنه يرقص
أعلى الوسادة وهو يشير له بالحقيبة:
_يتدور على دي يا بابي!
كبت غيظ العالم بأكملة، وإختبأ خلف قناع الأب الرزين الذي يتعامل بحرفية مع ابنائه،
فقال ببسمة مصطنعة:
_أسورة حبيبي، أنا محتاج الشنطة دي جدًا عشان أنا فعلاً متأخر ولازم أنزل حالًا.
هز رأسه بالرفض الصريح وهو يبرر موقفه:
_مش قبل ما تسمع طلباتي كلها وتوعدني انك هتنفذها.
كز على أسنانه بقوة جعلت اصطكاك اسنانه مسموع كنغمة مزعجة:
_أنت ليه دايمًا طلباتك بتيجي بالضرر على شغلي.
عاد ليهز جسده الصغير على الفراش، مستغلًا حشية القطن التي ترفعه بكل سهولة:
_استغل وقتك بالتفكير لو مستعجل.

رفع احد حاجبيه بسخط:

_ قلبك حنين وبتفكر ازاي توفرلي وقت!

وينفذ صبر تساءل:

_ قول وخلصني.

توقف عن الاهتزاز ودنا ليصبح قريبًا منه، وأشار له بأن ينحني بقامته تجاهه ليتمكن من سماع ما سيقوله:

_ خليك أب جنتل واحجزلي رحمة من انكل عدي عشان حاسس ان يحيى حاطط عينه عليها. جحظت عينيه في دهشة عارمة لما يستمع إليه، ولكن لم يصل به الحال للصدمة، فهو يعلم بأن ابنه استمد الوقاحة من احد ابناء اعمامه، على اعتراف كامل بأنه بعيدًا كل البعد عن تلك التهمة الخطيرة التي لا تمس باخلاقه السامية، ومع ذلك اجابه باستهزاء:

_ مش شايف انها مش هتناسبك!

حك جبينه بتفكير طال به، فعاد ليهمس له من جديد:

_ خلاص شوفلي حلا أو يارا بنت انكل معتر.

اتسعت ابتسامته المخادعة، فرفع ساقه عن الارض ليحرر حذائه، ثم قال وهو يرسم وجه المحبة:

_ كبرت يا حبيبي وبقيت بتتشرط في اختياراتك.. لا وما شاء الله مختار وش القفص.. عين عند عدي وعين عند عمر ومعتز والله اعلم الدور عند مين تاني من الاجيال اللي هتشرف دي... وطبعًا محدش هيسدد فواتيرك الا أنا.

ورفع الحذاء عاليًا ومن ثم تلقفه بغلظة، فاندفع به تجاهه وهو يردد بعصبية:

_ انت محتاج اعادة تربية من اول وجديد.

ترك الصغير الحقيبة وهرع للخارج يصرخ بطلب النجدة، ومن خلفه يركض رائد بالحذاء وهو يصيح:

_ أربيك انا أحسن ما أنا اللي اترى!

هبط للأسفل سريعًا باستخدام الدرج فتفاجئ بهم الجميع، وقف الصغير يختار وجهة للحماية من غضب أبيه بحذر، فكان اختياره سريعًا حينما أسرع خلف ظهر جاسم الذي هبط للتو من أعلى، فمنع يد رائد من الامساك بمن يحتمي به فدفعه للخلف بتعصب:

_ هو أحنا معتش ورانا غير معركتك الصباحية بينك وبين ابنك يا رائد.. يا عم احترم سنك وطولك بقى.. هيبنتك بقت في الارض وانت بتجري وراه شبه الطور السايب كده!

ترك غيظه وتاره عن صغيره في تلك اللحظة، وانتصب بطوله بكل كبرياء لمن يهاجمه بفضاظة:

_ أما أنا ابقى طور أنت تبقى أيه يا همجي!

جحظت عينيه في صدمة:

_ انا همجي! تصدق بالله انا لو مكان ابنك لكنت اتبريت منك من زمان.. انا حقيقي

معرفش هو مستحملك على أیه؟
وجذب الصغير من خلفه ثم دفعه تجاهه وهو يصيح:
_عندك ابنك اهو.. اصطفل معاه.
وقبل ان تطوله ذراع رائد حال معتز تلك المرة بينهما وهو يشير له برفق:
_صلي على النبي يا جدع.. احنا لسه على الصبح وورانا يوم طويل عريض في المقر..
بلاش تفقد طاقتك كلها هنا صدقني هتحتاجها بعدين وخصوصًا مع عدي.
تأمله ساخرًا، وكأنه لم يقتنع بحجته، فركل معتز حازم المنشغل بتناول الشطائر الشهية
بالعسل الأبيض، قائلاً بغضب:
_ما تقول حاجة يا زفت!
جذب احدى ثمرات التفاح، فقمض قطعة بفمه كله، ومن ثم نهض عن مقعده ليستدير به
تجاههم، فقال وهو يمزغ ما بجوفه بشكل مقزز:
_محبش اتدخل في خناقات من النوع ده.. وخاصة مع ابن رائد السقيل.
وضعت نسرين القهوة التي تحملها على الطاولة بحدّة سبقت حديثها:
_انت ليه عندك كل الاطفال سقيلة ولا تطاق!
جذب حازم القهوة ليختم بها طعامه وهو يجيها بلا مبالاة:
_أي طفل فيه عرق الجارحي هيبقى سقيل لانه شارب من نسل ابويا.. اذ كان انا نفسي
ورثت منه كل حاجة مع اني محبهوش لله في الله وبالرغم من كده طلعت زيه!
_شوف ازاي!! دي حاجة تحير فعلاً انك تطلع شبه باباك... دي معجزة الكوكب!
كلماتٍ ساخرة تحررت على لسان عمر الذي يهبط خلف أحمد وياسين المتفرج بمثل لما
يحدث بالطابق السفلي الذي بات يمقت الهبوط اليه كل صباح، اكمل احمد طريقه لاقرب
مقعد، فوضع صغيره أويس الذي يحمله بين ذراعيه بكل حب، ومن ثم وضع عدد من
الوسادات من حوله حتى لا يسقط أرضًا، بينما استند ياسين على الدريزين وتمايل بجسده
ليشاهد ختام المعركة، وقف أحمد مقابل رائد ليسأله بخوف:
_حازم هو سبب الفوضى دي؟
اتاه رد اخيه يستنجد:
_كل حاجة تتهموها فيا، انا بريء من مصايب العيلة، خلاص بقا في اجيال جديدة تخلص
على جنتكم القديم والجديد يا حبيبي.
وجذب مفتاح سيارته وهو يشير لهم بعنجهية:
_انا مش عارف ايه مقعدني هنا لحد دلوقتي، انا ورايا اجتماع مهم جدًا ولو حازم باشا
الجارحي محضرش كل حاجة بنفسه الدنيا كلها هتقف.
وترك ساحته وغادر في هدوء مريب، كارثي لمن حوله، مال جاسم تجاه الدرج حيث يقف
ياسين وهمس بسخطة:
_التفاني ده وراه نسوان اسمع مني.

والتزم بالصمت لدقيقةٍ يحسم امره الذي انتهى بقوله:
_طب يا شباب حد عايز مني حاجة.. هسبقتكم انا وانتوا حلوا مشاكلكم كلها وحصلوني..

مرت ساعة كاملة يحاول فيها أحمد معرفة سبب الخلاف العصيب بين رائد وابنه الذي يعود لفتح حسابات الماضي وما حدث منذ ولد حتى تلك اللحظة، وكأنه يتعشم بأن أحمد سيقتل اباه وسينهي صدام رأسه، فقال عمر بملل:
_خلاص بقى يا آسر.. بابي قالك انه هيجبك هدية حلوة يصلحك بيها عدي بقى اللي حصل واتأسفله.

نظر له الصغير بلطفٍ خبيثٍ اتبع نبرته الماكرة:
_بشرط يوعدني انه هينفذ اللي طلبته منه.
تساءل عمر بفضول:

_اللي هو!

وزع الصغير نظراته بينه وبين ابيه بارتباكٍ، فإشار له رائد بسخرية:
_ما تقول لانكل كنت عايز ايه يا حبيبي.
طال صمته لدقائق قطعها حينما قال بتردد:
_يجوزني حلا.

توقع الجميع طوفان من الغضب سيموج بالصغير وربما سيطولهم، ولكنهم وجدوا ابتسامته تزداد حتى كادت بأن تصل للأذن:
_بس كده.. عيوني.

ونفض عن مقعده ثم اقترب من نور التي تراقب ما يحدث وهي تحمل ابنتها بين يدها، فحملها عنها وعاد للصغير ووضعها بين يديه:
_كده حلينا المشكلة.

بدهشة ردد أحمد:

_بالبسطة دي!

اجابه بسعادة غريبة:

_انتوا فكرني دقة قديمة من بتاعت الا بناتي اوعوا تقربلهم وجو الاسلحة والكلام ده... يا عم الدنيا ابسط من كده بكثير.. هتعمل حظر على بنتك ومهما تعلي سور المراقبة هيجي اليوم اللي هتقولك فيه باي وتختار شريك حياتها يبقى كل ما تتقبل ده أسرع كل ما كان هيعود عليك بالفائدة..

واسترسل بخبثٍ يطول من حوله:

_خليكم عاملين حراسة على بناتكم وفي الاخر نصيبهم هيكون هنا في البيت ده..
وانحنى وهو يلتقط تولين ابنة جاسم بين يده، فطبع قبلة على خديها وهو يستترد:
_احنا مش هيبقى عندنا الجمال ده كله واولادنا هيبصوا بره ولا ايه!

لف احمد يده حول ابنته وهو يرمق عمر بتعصبٍ شديد يخرج عن اطار هدوئه، واتجهت
نظراته تجاه ياسين وكأنه يحثه على التدخل بالامر فابتسم وهو يشير له:
_معنديش بنات.. اذن انا في آمان.

وتابع وهو يتجه للخروج:

_وإن كان على يحيى ابني قربنا معاه ومعايا في اللي حاططها في دماغه.

اتبعه احمد الذي استدار لاسيل وهو يشير لها بتحذير:

_خلي بالك من البنت.. سامعة.

كبتت ضحكاتهما بصعوبة وهي تشير له بتأكيدٍ، فجذب معتز جاكيتته واتبعه وهو يقلد نبرته
بمشاكسة:

_شروق اوعي البنت.. يارا امانة في رقبتك عما ارجع.

اتجه جاسم للاريفة بكل ببرود فجذب جاكيتته هو الآخر ثم تطلع لداليا قائلاً بسخرية:

_لا انا هوصي تولين عليك يا داليا.. ارجو اني لما ارجع الاقيكي على قيد الحياة انتي
واللي في بطنك..

صعد كلاً منهم لسيارته استعداداً للذهاب للعمل، فاخرج ياسين سماعته الخاصة ثم طلب
احمد الذي اجابه وهو يتجه خلفه بسيارته:

_في حاجة ولا ايه!

اتاه رده متعجباً:

_انت مش قولت ان عدي سبقنا على المقر؟

_أيوا.. عمي يحيى قالي انه نزل من بدري... بتسأل ليه؟

_لاني شوفت عربيته قدام البوابة الخارجية

_يمكن نسي حاجة.

_معتقدش.. ربنا يستر.

انسحبت من الأسفل دون أن يشعر بها أحدٌ، رغبت في الجلوس بمفردها قليلاً فصعدت
لغرفتها على الفور، بقت لدقائق أمام النافذة تتطلع للفراغ بشروءٍ، ومن ثم تحركت
لخزانتها لتخرج ما يناسبها عليها حينما تنعم بحمامٍ دافئٍ يعاونها على الخروج مما تجابهه
في تلك اللحظة، انكمشت تعابير وجه رحمة في دهشةٍ جلية حينما وجدت خزانتها فارغة
تماماً من أغراضها الشخصية، فبحثت مراراً بصدمةٍ اتبعت سؤالها المتردد:

_هيكونوا راحوا فين!

_مكان ما أنا أكون.

انتفضت من محلها بفزع من الصوت الرجولي الذي اقتحم سكون غرفتها، فاتجهت عينيها
باحثاً عن مصدره، لتهتدي بمن يجلس قبالتها على المقعد، واضعاً قدمًا فوق الاخرى

بتعالى وكبرياء يمتد بنظراته التي تتعمق بها بتحدٍ صريح لما أصبحت عليه نتيجة المباراة الثانية التي انقلبت للتعاذل، نهض عدي عن المقعد ثم اقترب حتى استند على الخزانة المفتوحة على مصرعها، فوضع يده بجيب سرواله وهو يتمعن بها بصمتٍ، اطبقت باسنانها على شفتيها السفلي فخرجت كلماتها متقطعة:

_مين سمحك تقرب لحاجتي.

ابتسامة حملت شر مخيف ارتسمت على شفتيه القاسية، ومن ثم قوله الثابت:
_خلي بالك من لهجتك معايا يا رحمة لانك مش هتقدري تقفي قدام ردودي.
اشتعلت مقلتيها بغضبٍ بارز، فأغلق الخزانة واقترب حتى أصبح لا يفصلهما الكثير، فاختنقت انفاسها بعطره الذي بات هوسها، رمشت بعينيها بتوتر، وحاولت الابتعاد، فلم يسمح لها بذلك حينما حال بذراعه الأيمن بينها وبين الهروب، وانحنى برأسه تجاهها وهو يلقنها كلماته العميقة:

_أنا ممكن أكون متهور وعصبي...وضيفي عليهم اني متملك وغيور.. والعيوب دي حاولي تتفاديهما بينا عشان صدقيني هكون معاكى حد مختلف عن اللي انتي حبتيه!
ابتلعت ريقها بخوفٍ بدأ يزيل قناع شجاعتها الزائف رويدًا رويدًا، فرفع يده يحتضن وجنتها وهو يسترسل حديثه:

_خليكي بعيدة عن مشاكلنا وياسين الجارحي يا رحمة... انا مش عايز اى مخلوق يتدخل في علاقتي ببيك... لأن مستحيل حد يفهم اللي بينا..

_احنا مش مجرد اثنين متجوزين وبينهم اولاد وبس.. احنا بينا الف قصة مستحيل عقل أي حد يستوعبها.

دنا مجددًا حتى استند بجبهته على جبهتها، وأغلق عينيه وهو يخبرها بصوتٍ أجج رغبة حبهما العميق:

_اللي بتعمله ده بيقتلني.. متحاوليش تختبريني وانا متهور لان انا اللي هدفك التمن مرتين...

وفتح عينيه وهو يردف:

_انا بتوقع قبل ما الوجد بيطولك يا رحمة!

تَجَوَّلَ قوتي أمام هيبتك وغرورك، فأحاول جاهدة التشبث لصد طوفان ثورتك القاحلة، فأجدني ضعيفة، تائهة في بحر صب به الشوق صباه، وبات بك ولهان! ... قلبها يتراقص في قلبه، وعينيها تفضح ما لم تبوح هي به، ابتسم وهو يتعمق بنظراتها الصامته فقال وهو يميل تجاهها:

_وأنا كمان بأحبك.

اصطبغ وجهها بحمرة فاضحة، طالت مشاعرها التي ينجح في قرائتها كالكتاب المكشوف، وجدته يفتح لها ذراعيه فلم تجد ذاتها الا غافلة على صدره تتمسك به بقوة وكأنها تطالبه بالا يرحل لغباء ما ارتكبته بحقه، استسلمت وتركت ما ودت الاحتفاظ به في حربها معه،

تركت كل شيء في باحة العشق! ، غَبِشت سماءها بدونه، فلم يعد يلمع بها سوى سهم
عشقه الذي يلوح لها بالأفق، فأرشد طريقها الحالك، وكأنه مصباح سحري لا يخص بضياه
الا من إمتلكته قلبًا وقالبًا!

بالامارات العربية المتحدة، وخاصة دبي..

جلس يستمع للهاتف ببسمة شيطانية ترعب من يسقط عينيه عليه، يخترق بسكينه
مقعده البني المصنوع من الجلد، وفي كل مرة يلهو بالسكين كان يتخيل بأنها تصل لصدر
عدوه بسعادةٍ ازدادت ريثما يستمع من المتصل قرب نجاح مخططه بقاء عدوه اللدود
وجهًا لوجه... ربما حالته المخيفة حقت لها بالتشكل بتلك الطريقة ربما لان عدوه ليس
بالحين بالمرّة.. عدي الجارحي.. لا يستهان به، ولكن قمة نقاط قوة قد تكون لصالح العدو
الخبيس ربما لأن الآخر لا يعلم بما يخطط له وربما لأنه حتى وإن رآه لن يتعرف عليه ولو
ظل عهدًا كاملاً، ذاك الأحقق رسم خطوط عريضة لخطته ونسي تمامًا وجود الشاه..ياسين
الجارحي!!!

الفصل السادس

لم يعتاد أبدًا على تلك النظرات الجريئة التي تحيط به بمجال عمله، ربما كان يحظى
بنظرة اعجاب، وصفقات محمسة حينما كان يحقق نجاحًا ساحقًا في اداء احدى الجراحات
المعقدة، وما يعيقه هو كيفية التعامل مع الأمر؟
يعجز حقًا عن استكمال عمله وهو يرى تلك الفتاة تتعمد التدلل دون حياء أمامه، وكأنها
فتاة ليل أتت لتوقعه بشباكها، وليست سيدة أعمال من الطبقة الراقية، حرك جرفاته بتوتر،
يهاجم تلك الأحاسيس المتضاربة التي تهمس بفحيحها إليه بالهرب من مكتبه وليحدث ما
يحدث، وأثناء تلك النقاشات السرية بينه وبين ذاته أخرج "عمر" هاتفه ثم أرسل ابن عمه
برسالة نصية

«ياسين مينفعش تيجي مكاني ساعة واحدة»..

ولم يتواني سوى ثوان معدودة حتى أتاه الرد

«خير يا عمر؟»

منحها نظرة سريعة، قبل أن يعود للعبث بأزرر هاتفه

«مش عارف اتعامل مع مسؤولية الشركة اللي كلمتني عنها، شكلها مش تمام كده»!

اتاه رده سريعًا، وكأنه بقاءه بالمحادثة يحمل قلق رؤية ماذا هنالك؟

«أنت بتهزر يا عمر يعني في كل مرة هيجيلك شغل مرتبط بواحدة هتسيب مكتبك

وشغلك لحد.. شوف شغلك يا دوك أنا ورايا meeting مهم»..

وضع هاتفه على مكتبه باحباطٍ من عدم نجاح خطته البديلة، لذا لم يجد أي حلول سوى

الانتهاه مما وُكل به، ففتح الملف الموضوع من أمامه ثم بدأ يمارس عمله بمهنيةٍ باحتة،
محاوًًا التغاضي عن نظراتها وطريقة جلوسها المستفز، عل تلك الساعة تمر عليه مرور
الكرام.

تطلعت للجهاز الصغير بتمعن، وسعادتها تتدفق عبر تلك الدمعات الرقيقة، وهي تتأمل
جنينها الذي يحرك أطرافه الصغيرة بحرية، فإتكأت بيدها على السرير حتى استقامت
بجلستها، فتحسست بأصابعها شاشة الجهاز من أمامها بحنان وكأنها تلامس جنينها لحنًا
ودمًا، احتفظت نور بالصور المصغرة بحقيبتها حتى يتمكن عمر من رؤية صور ابنهما
الذي على وشك دق باب الحياة، فما أن رأتها داليا تخرج من غرفة الطبيب حتى دنت منها
تسألها باهتمامٍ:

_ها طمئيني حددتلك ولا لسه؟

أجابتها وهي تغلق حقيبتها الصغيرة:

_قالتلي بعد اسبوع هنحدد.

ببسمهٍ صغيرة قالت:

_إن شاء الله تقومي بالسلامة يا حبيبتني.

بتمني نبع بنبرتها، رددت:

_يا رب يا داليا.

رأتها تنظر لهاتفها بترقبٍ واهتمام غريب، فسألتها بدهشةٍ:

_عمر متصلش بيك ولا أيه!

ردت باندفاع، وكأنها كانت تنتظر سؤالها:

_لا ودي أول مرة يعملها..

وتحلت بالصمت لدقيقةٍ اتبعها قرار مفاجئ:

_ايه رأيك تيجي معايا المقر.. حابة اوري لعمر صور البيبي هيفرح أوي لما يشوفها.

تعلم إنها حتى وإن رفضت الأمر ستجذبها نور عنوة لأي مكان تود الذهاب إليه، لذا قالت

باستسلام:

_أنا خارجة معاكي من الصبح، فأكيد وراك في أي مكان.

غمزت بعينيها بمشاكسةٍ:

_كده تعجيبيني.

بالمقر الرئيسي لشركات الجارحي.. وبالأخص بقاعة الاجتماعات الرئيسية..
انتهى "ياسين" من طرح القواعد على موظفي فروع وشركات آل الجارحي تجاه
المناقصات الأخيرة وبعض الحسابات المتعلقة بالمصانع والمكينات، فختم اجتماعه
الطويل بكلمات أنهى بها خطابه المستفيض:

_بتمنى تكونوا استفادتوا من المعلومات اللي قدمتها ليكم، وياريت لو في أي مشكلة ترجعوا لحد من المدراء لأن الغلط مش مسموح لحد بعد ما وصلنا للمكانة اللي بقينا فيها.

وأغلق حاسوبه المتصل بشاشة العرض الرئيسية الضخمة، وانخفض للميك الصغير الموضوع على الطاولة المطولة من أمامه، قائلاً بتهذب:
_الاجتماع انتهى.. تقدروا ترجعوا لشغلكم.

فور نطقه لتلك الكلمات حمل الجميع الأوراق الموضوعه من أمامهم، ثم انسحبوا تباغًا خلف بعضهم البعض في سباق للعودة للشركات التي تبعد عن المقر بمسافاتٍ، ولم يبقى بالقاعة سوى "ياسين" الذي يللم متعلقاته بينما يحمل بعض العاملين أكواب القهوة الفارغة من المقاعد الشاغرة، وحينما هبط "ياسين" الدرج الجانبي المتصل بالاستيدج المرتفع انتبه لعدي الذي يجلس باسترخاءٍ بأول صفوف المقاعد، واضحًا قدمًا فوق الأخرى ويتابعه بنظراتٍ ثاقبة، ضيق الاخير عينيه بحيرةٍ من اساكشاف الغموض خلف صفونه ووجوده هنا بهذا الوقت بالتحديد، ف جذب أحد المقاعد ثم قربها منه وجلس وهو يتساءل بذهو:

_بتعمل أيه هنا؟

بثباتٍ اعتاد الاخير عليه من معاشرته لياسين الجارحي وها هو يتواجد مع نسخته المصغرة، قال:
_جاي أشوفك.

رمش بعينه بتوتر من القادم:

_يبقى أختارت!

هز رأسه بتأكيدٍ، فتساءل ياسين بلهفة:
_مين؟

أجابه دون صمت غير مستحب قد يطيل اجابته:
_رائد وأحمد.

ضيق ياسين عينيه بصدمةٍ، بدت لعدي الذي تساءل باستغرابٍ:
_مالك؟ مش مقتنع باختياري!

احتضن مقدمة انفه بين يده وهو يحكها بارتباكٍ طفيفٍ:

_لا مش دي الحكاية.. بس أنا أعتقد أن الاختيار ده مش منطقي يا عدي، لأن رائد صعب في شغله ومش هيسمح أن أحمد ياخذ منه الصفة وأحمد كمان ذكي وشاطر فبالتالي موجهتهم لبعض مش هتكون في محلها.

تجدد جبينه بذهول اتبع حديثه:

_وده المطلوب.. رائد هيكسب المناقصة وأحمد كمان هيكسبها.
واسترسل بحدّة:

_ثم اني مش حاططهم في مواجهة بعض يا ياسين، كل واحد منهم لازم يقدم العرض
اللي محدش هيقدر يرفضه وبالتالي المناقشتين هيرسوا على شركات الجارحي.

زفر بيأس وهو يحاول تقبل فكرته المحاطة للأمر:

_مش عارف يا عدي.. بس الأفضل من وجهة نظري اننا نلجأ لعمي هو أكيد عنده الحل
المثالي اللي هنقدر بيه نكسب الصفقتين بدون ما نحط حد في مواجهة الثاني.

أخفض ساقه بقوة جعلتها تحتك أرضًا مصدرة صوتًا مزعجًا:

_انت ليه مضطر تنرفزني قولتلك مستحيل هطلب منه مساعدة!

واستطرد بغضبٍ جامح:

_هو اختار اللعبة دي من البداية عشان عايزني ارجعه واطلب مساعدته وده مستحيل
هيحصل يا ياسين.

نهض ياسين عن المقعد ووقف قبالة وهو يحاول أن يجعله يستوعب ما يود قوله:

_أنا فاهم كل اللي بتقوله ده ومش معارضك فيه، بس أنا عايزك تفهمني يا عدي لو رائد
أو أحمد قدم عرض أقل من الثاني وحد فيهم كسب المناقصة هتخلق عداوة وكره بين
الأتنين.

ابتسامة ساخرة تشكلت على طرفي شفتيه وتسلمت عبر نبرته المستهزئة:

_أنت فاكّر أننا ممكن نخسر بعض بعد السنين الطويلة دي عشان شغل!

جابهه بما يود طرحه في محاولة لجعله يفهم النقطة البعيدة عنه:

_لما تقارن قدرات ومهارة كل واحد فيهم يبقى بتخلق شيء عمره ما اتولد بينا يا عدي.

أغلق بنيته بقوة يحارب ما يهاجمه من صداد يخلق من فرط حديثه الذي لم يعتاد عليه،

فتحلى بالصمت لقليل من الوقت ثم قال بهدوءٍ يعاكس ما بداخله:

_طب قولي أنت شايف مين الأنسب انه يمسك الصفقة دي؟

صمت بحيرة قرأها الأخير بحرافيةٍ، فهمس ساخرًا:

_شوفت بقى إني صح.. لأن هما الأفضل بين الشباب كلهم.

وتركه وكاد بالرحيل، ولكنه تعمد التراجع عن آخر خطاه ليخبره ببسمة مأكرة:

_على فكرة فكرت أحطك بدال رائد بس حسيت إني محتاجك لشيء أفضل من التفاهة
دي.

وغمز بخبثٍ فتعالت ضحكات الأخير لفهمه ما يود الوحش ايصاله له، فهمس بيأس فور
رحيله:

_وبعدين بقى في الحرب اللي عمالة تكبر دي!

قطفت إحدى الزهرات من الحديقة الخارجية للمقر، ثم صعدت بالمصعد لمكتب زوجها،
ومازالت الزهرة قريبة من أنفها تشم عبيرها الزاهي، وصلت "داليا" للمكتب بعد أن توقف
المصعد، ففتح لها السكرتير باب المكتب فور رؤياها، فولجت للداخل وعينيها تهتدي بمن

يتابع عمله بتركيز لم يسعفه بالشعور حتى بصوت الباب، اقتربت منه والابتسامة تحفز
خلاياها حتى جلست على المقعد المقابل إليه، فوضعت الزهرة على الحاسوب الذي
يضغط على أزرره وصوتها الرقيق يتناغم لمسمعه:
_تسمح تقبل مني الوردة دي يا فندم؟
انتبه لها "جاسم" فرفع عينيه تجاهها باهتمامٍ سلب مع تلك الابتسامة التي انتقلت تلقائيًا
لشفتيه، فحملها اليه وهو يخبرها بمشاعبه:
_مقدرش أصلي مرتبط يا جميل!
ضحكت على نبرته المطولة بالحديث، وخاصة حينما أضاف:
_بس لو جبتي كمان وردة مش هضحى بجوازي بس لا هضحى بكل ما أملك!
أثنت على كلماته ولكنها لم تتناسى طبعها الأنثوى:
_ويا ترى بقا ضحيت بجوازك كام مرة يا بشمهندس!!
نهض عن مقعده، ثم أبعد حاسوبه عن الطاولة، وصعد من فوقها ثم دنى منها زحفًا
بشكلٍ أضحكها رغمًا عنها، فانحنى بجسده تجاه مقعدها وعينيه تتفحص ما ترتديه بإعجابٍ
اتبع نبرته الخطيرة:
_أنا قلبي كل مرة مش بيقع في حب حد غيرك... كأنه اتخلق بس عشانك يا داليا.
خفق قلبها اضطرابًا لسحر كلماته، فتراجعت للخلف وهي تشير له:
_طب ابعد شوية.. لو حد دخل هيقول علينا ايه؟
أخفض ساقه عن الطاولة وهي يشير بعدم مبالاة:
_يقولوا اللي يقولوه.. أنا مصدقت انك جيتي لحد هنا برجليكي.
بخوفٍ تغلب على سؤالها قالت:
_قصدك أيه!
تركها تطرح سؤال تلو الآخر، وهول تجاه باب مكتبه فأغلقه جيدًا بمفتاحه الخاص ثم
وضعه بجيب بنطاله وهو ينظر إليها بخبثٍ جعلها تتراجع للخلف، فاقترب منها وهو يردد
بمكرٍ خطير:
_قوليلي يا داليا هو انتي ليه بتحلوي اوي لما بتخرجي بره.. وطول ما انتي قاعدة في
البيت قالبة على الوش الخشب.
جحظت بعينيها وهي تستمع لما يقوله، وصاحت بعنفوان:
_قصدك أيه!
جذبها لذراعيه وهو يشير لها بالتوقف عما ستفعله:
_لا احنا لسه هنتعارك!! عايزين ننجز قبل ما حد من ولاد عمك يجي.
تساءلت بصدمة:
_يجي فين؟!
انحنى تجاهها بنظرةٍ فهمت مغزاها جيدًا، فدفعته للخلف وهي تشير له بصدمة:

_أنت اكيد اتجننت... افتح الباب ده لا أصوت وألم عليك خلق الله.
عاد ليندفع تجاهها وهو يخبرها ببسمة عريضة:
_لمي ولا هيهمني.. يعني في البيت لزقة في بنتك ليل نهار ولما تيجيلي هنا برجليكي
اسيبك ده قمة الجنان بحد ذاته يا حبيبتى!
رمشت بعينيها بعدم استيعاب لما يفعله، فصاحت بعصبية:
_اعقل يا جاسم.. انت حصلك ايه!!
اجابها ساخرًا:
_حصلي اللي محصليش وأنا عازب وخاطب جديد.. أنتي مبقتيش شايفة غير تولين بنتك
وحبوب الصداق.
كبتت ضحكاتها وهي تحاول ابعاده عنها، كانت تظنه يمزح ببء الأمر ولكن الأمور الآن
تسري بجدية تامة، فطلبت منه مجددًا:
_جاسم افتح الباب احسنلك... متندمنيش اني جيتلك هنا!
قبل يدها التي تبعده عنها وهو يخبرها بتصميم:
_غيري جملة افتح الباب دي... حاولي تركزي في ديكور المكتب هتلاقيه رومانسي
وشاعري!!
دفعته بقوة وهي تصيح بانفعال:
_ديكور أيه انا مستحيل هجيلك هنا تاني..
واستطردت بصدمة:
_الحمد لله ان السكرتير راجل والا كنت هشك فيك وهقلب اليوم نكد على دماغك..
وضع يده على خديها وهو يردد:
_ولو واحدة قولتلك محدش بيحرك مشاعري غيرك.. لانك اللي ساكنة جوه القلب!
ابتسمت وهي تتأمل عينيه التي تتطلع إليها بكل شغفٍ، وفجأة عادت لتدفعه بخرج حينما
استمعت لصوت اخيها يطرق باب المكتب وهو يردد باستغراب:
_مين اللي قافل باب المكتب!
اتاهم صوت السكرتير يجيب:
_معرفش والله يا فندم. بس استاذ جاسم جوه!
حك ذقنه وهو يسأله بتفكير:
_حد معاه جوه.
_ايوه المدام داليا.
اتسعت حدقتيه فور سماعه بوجود شقيقته، فطرق الباب وهو يصيح بغضب:
_افتح الباب..
انصاع له من بالداخل ففتح باب المكتب، فما ان ولج الاخير حتى وزع نظراته بينه وبين
شقيقته بشكٍ اندفع خلف ثورة حديثه:

_أنت بتعمل أيه مع اختي يا حيوان!
استند جاسم على سطح مكتبه باحباط:
_لا اطمئن ملحقثش أعمل حاجة!
اشتعلت مقلتيه غضبًا:
_ليه انت كنت ناوي على أيه في مكان زي ده!
احمرت وجنتها من فرط خجلها لما وُضعت به، فلكرته بعنفٍ وهي تحته على الحديث:
_ما ترد.

أبعد يدها عن صدره بألمٍ ثم انتصب بوقفته وهي يصرخ بوجهه:
_ناوي اللي ناويه يا عم.. هو في نية هتم بفعل طول ما أنت وبنت اختك ورايا.. وادي ام
المكتب اللي شاغلك اهو اقعد فيه بقى لوحذك سيبهولك..
وتركه واتجه للباب ثم توقف وعاد بعد تفكير عميق، ف جذب معصمها وهو يناطحه بعنف:
_مراتي وتخصني ليك شوق في حاجة!
اطبقت معالمه بدهشةٍ من الحالة العجيبة المسيطرة عليه، فخشى ان تخرج زمام الامور
العائلية الحرجة للخارج لذا اخفض صوته وهو يخبره:
_لا خالص... تقدر تاخذ باقي اليوم اجازة وتخرج انت ومراتك في اي مكان تهدوا فيه
اعصابكم.

بنفس نبرته الحادة قال:
_والبنت!
رمش بعينه بعدم فهم:
_بنت مين! آآآه..قصداك تولين لا سبها أنا هكلم رانيا وهخليها تهتم بيها المهم انت تخرج
وتنبسط يا حبيبي وياريت متبقيش تيجي هنا يا داليا.. حلوا اموركم الخاصة دي في
البيت مش هنا في المقر.

كادت بالاعتراض عما قاله، فربت رائد بذراعيه على كتفيها وهو يهمس لها بخفوتٍ:
_اخرجي مع جوزك بدل ما يطربق المكتب على دماغي ودماغك انتي متعرفيش جاسم
لما بيتعصب بيبقي شكله عامل ازاى!!
أومأت برأسها عدة مرات في اقتناع تام وانصاعت من خلفه بابتسامة مشرقة، وهي تراه
يشدد على يدها بحبٍ وشوق لتلك الأيام التي قضوها بالتنقل بالمطاعم والخروج طوال
فترة الخطبة.

جذب "رائد" الحاسوب الخاص بجاسم ثم اتجه لمكتبه، ففتحه ليتأكد من اتمامه لعمله قبل
أن يبدأ بعمله الخاص، فولج العامل للداخل ليضع كوب الشاي الأخضر على مكتبه، فمنحه
رائد بسمة صغيرة وهو يشكره:
_شكرًا يا مصطفى.. تعبتك معايا..

حياه الشاب باحترام:
_تعبك راحة يا باشا.
تعجب رائد حينما وجده يحمل كوب من المشروب، فتساءل باستغراب:
_ايه اللي معاك ده؟
ارتبك العامل قليلاً قبل أن يجيبه:
_ده آآ.. ويسكي..
توارت معالمه دهشةً، وبغضب سأله:
_لمين القرف ده؟
أسرع في اجابته:
_للمسؤولة اللي جت النهاردة تبع شركة الصفا في مكتب الاستاذ عمر.. لما دخلت اشوفها
تشرب ايه صممت على اللي طلبته.
طرق مكتبه بقبضة يده القوية غضبًا:
_ان شالله ما عين اهلها شربت.. القرف ده ميدخلش المقر تحت أي ظرف من الظروف...
سامع!
هز رأسه ببعض الخوف:
_اللي تؤمر بيه.. هرجعه حالا.
خرج رائد وهو يصيح بهسيس خافت:
_ناقص نقلها كبارية أحسن!

بالطابق العلوي..
استكانت بجلستها على المقعد المقابل لمكتب السكرتارية بعد صعودها للدرج ببطئها
المنتفخ، وحينما شعرت بأنها أصبحت أفضل من زي قبل نهضت واتجهت للمكتب بعد ان
علمت بأنه ليس بالمكتب الذي يجمع الشباب ببعضهم البعض، حررت مقبض الباب
المعدني وهي تردد ببسمة واسعة:
_مفاجأة مش كدا!
تلاشت ابتسامتها وهي تتطلع بغم يكاد يصل لاسفل قدميها من الصدمة، شعرت لوهلة
بأنها دخلت للمكان الخاطئ، ربما فتحت باب شقة خاصة بفتاة تجلس بحريتها، نهشت
نظرات "نور" تلك الفتاة التي تجلس مقابل زوجها بملابس لا تكاد تخفي شيئاً من مفاتنها،
وبالرغم من ثقتها القوية به الا ان عقلها استشاط لمجرد تخيلها له يجلس قبالتها بتلك
الحالة، فدنت حتى صارت قريبة منهما، حيث يقف عمر وهو يردد بدهشة لوجودها بالمقر
للمرة الاولى:

_نور!

لكمته بالحقية وهي تشير له دون أن تحاصره نظراتها التي تقابل من تقف امامها:

_اركن أنت على جنب..

وتساءلت باستهزاء:

_مين القمورة!

قال وهو يجذبها برفق:

_تعالى نتكلم بره.

صاحت به:

_لا يا حبيبي انت اللي هتطلع بره لحد ما اشوف المزة دي وهحصلك.

رمقها بدهشة وخاصة وحينما قالت بحدة:

_اطلع بره قولت.

اجلى صوته بخشونة:

_نعم!

تجاهلته ودنت من الفتاة، فقربتها اليها ببعض العنف حتى اصطدمت الفتاة ببطنها المنتفخة، ومع ذلك رسمت نور بسمة بدت لعمر مخيفة للغاية وخاصة حينما قالت: _هو تقريبًا كده يا حبيبتى في سوء تفاهم.. انتى اكيد اتلخبطتى بين فساتين الخروج وقمصان النوم صح!

حاولت الفتاة تحرير نفسها من بين يدها المفترسة، وهي تنهي ما تقوله:

_لا ده فستان.

جحظت عينيها في صدمة مضحكة:

_احلفي! وعهد الله افتكركته ملاية سرير وانتى لفاه لزوم الحشمة يعني..

ابتعدت عنها الفتاة بخوف فعادت نور تجذبها مجددا والابتسامة تغزو على وجهها:

_طب يصح نخرج بحاجات زي دي قدام شباب زي الورد.. هيغضوا بصرهم عنك ازاى اذا

كان انا نفسى مش قادرة اغض بصري..

جذبها عمر من خلفها وهو يناديها:

_نور!

التفتت له وهي تصرخ بحدة:

_غض بصرك.

ولاها ظهره وهو يسترسل حديثه:

_نور بطلي جنان وخلينا نرجع البيت.. الانسة خلصت وتقريبًا كانت ماشية صح ولا ايه يا

آنسة تالا؟

هزت رأسها عدة مرات لتنجو من تلك المفترسة التي تحاصرها، فحاصرتها الاخيرة حينما

تعالى صراخها:

_وكمان حافظ اسمها!! نيلة عليا وعلى بختي الاسود...

استدار اليها وهو يحاول تهدئتها:

_حبييتي ده شغل انا مالي باسمها وبالي لابساه..
جذبت اقرب ما التقطته يدها، فكان نصيبها بلافتة تحمل اسم زوجها بالبنت العريض «عمر الجارحي»، فركضت خلفه وهي تصيح من بين اصطكاك اسنانها:
_مش قولتلك استنى بره انت بالشنطة.. واقف هنا ليه!
حمل عمر الحقيبة واسرع للخارج على الفور، ثم اغلق المكتب جيدًا حتى لا يشعر الموظفين بما سيحدث بالداخل، فجلس على المقعد ودفع حقيبتها على المقعد الذي يجاوره بملل، فوجد من يقترب منه وهو يسأله بدهشة:
_أنت بتعمل ايه بره مكتبك؟
اجابه بكل برود:
_زي ما أنت شايف مطرود.
صاح رائد بتعجب:
_نعم!
هز الاخير رأسه وهو يسترسل بنفس نبرته:
_نور حابة تنفرد بالعميلة شوية.
جحظت حدقتي رائد بصدمة جعلته يقتحم الغرفة على الفور.

بالداخل..
كانت تصرخ الفتاة وهي تخبرها بأنها لن تعيد الكره مجددًا، بل كانت تقسم لها بأنها ان اردت سترتدي الحجاب في الحال في سبيل أن تحررها، ومع ذلك اصرت نور على وضعها وظلت كما هي، اسرع رائد ومعتز الذي هرع من خلفه فور سماعه ذلك الصوت العجيب من الغرفة التي تجاوره واتبعه حازم ، فاتبعوا الصوت ليصعق كلا منهم حينما وجدها تستغيث من اسفل نور التي تجلس من اعلاها، اسرع تجاهها رائد وهو يشير لها:
_نور البت هتموت تحت ايدك... مش عايزين فضايح.
اجابته وهي تقذف قشور التسالي بعنف:
_تستاهل عشان تبقى تميز بين اللبس اللي ينفع يتخرج بيه واللي مينفعش..
وجذبت حبات من الكرز تلتهمه وهي تسترسل:
_خارجة ومتمكجة ومفكرة نفسها هتوقع جوزي.. متعرفش اني هكرها في صنف الرجاله والحريم كله..
دنا منها حازم وهو يشير لها بتأييد:
_برافو يا نور اديها... بس ابعدي شوية لما اشوفها تستحق الموت ولا لا..
منحه معتز نظرة محتقنة جعلته يرفع يده باستسلام، فجلس على سطح المكتب يراقب ما سيحدث هنا، تدخل معتز تلك المرة فقال بهدوء:
_نور سببها تمشي هي خلاص اخدت اللي فيه النصيب.

باصرار قالت:

_ولو مش هسبها لازم تكون عبرة لغيرها عشان بعد كده لما تشوف راجل متجوز تخش الحجر متطلعش منه الا لما يبقى ارملة وساعتها شبح مراته برضه هيطاردها تبقى لا طالته حي ولا ميت.

كبت معتز ضحكاته بصعوبة، فظل على نفسه حالته الثابتة المستكينة في محاولة لفض النزاع:

_طب كفايا عليها كده عشان شوية كمان وهتلاقي المقر كله واقف هنا!
_مش هسبها قولت..

اقترح حازم عليها وهو يتناول المقرمشات الموضوعه من امامها:
_طب ايه رأيك نملها كام ملف على طفتين ونطلع على اقرب قسم نعمل فيها بلاغ..
أشارت له بالنفي وهي ترتشف قطرات المياه، ثم قالت:
_مبفكرش في كده.. انا بحاول حاليًا اكسب وقت في التفكير باللي ناوية اعمله..
جز رائد على اسنانه بغضب جعل معتز يقبض على قميص حازم ويجذبها للخارج، بينما ظل رائد في محاولاته لتخليصها وحينما فشل لجأ لياسين الذي كاد بالانهيار من فرط تحكمه بضحكاته، وخاصة بتقبل عمر الصريح لما يحدث من زوجته، وحينما سأله بذهول:
_ايه سر الهدوء العجيب ده! أنت كويس يا عمر؟

قال ومازال يجلس بهدوءه المريب:
_أنا آه.. هرموناتها لا.

واستكمل قبل أن يترك له المجال:

_اتقبل اللي تعمله في الوقت ده افضل بمراحل من اللي هييجي بعد كده.. أنا مجرب مرتين قبل الحمل ده وتقدر تقول بقيت خبير تعامل.
تعالى ضحكات ياسين الرجولية، وهو يهز رأسه بعدم تصديق، فقال من بين ضحكاته الجذابة:

_تمام.. خليك انت هنا وأنا هدخل أحل الموضوع ده وهرجعلك.

أشار له بكل ترحاب:

_أكون ممنون ليك..

أحنى رأسه بتحية ساخرة تكاد تليق بالملوك، ثم اتجه للداخل، ليجد رائد يبذل قصارى جهده لفض النزاع المتحكم بين يد نور، فدنا منهما ثم قال:
_نور.. عاملة مشاكل ليه مع البنت الغلبانه دي؟

توقفت عن مضغ الطعام بصدمة:

_مين البنت الغلبانه دي؟!

أشار بعينييه لمن تجلس اسفلها تستغيث من ثقل ما تحمله فوق صدرها، فعادت نور تتطلع تجاهه ببرود:

_والنبي انت اللي غلبان يا ياسين.. انت متعرفش الاشكال دي بس انا اعرفها كويس وكويس جدا.

اشار رائد لياسين بأنه لا جدوى من التصدي لفتاة مثل نور، ومع ذلك اشار له بالجلوس والحصول على قسط من الراحة.. وان يترك زمام الامور اليه، فاصبح ياسين قريبًا منهما فهمس لنور قائلاً:

_أنا خايف على مصلحتك..

زوت حاجبها بعدم فهم، فاسترسل ياسين همسه الخبيث:

_اللي بتعمله فيها الكل هيعرفه هنا ولو واحدة كانت ناوية تلعب بديلها هتقطعه وساعتها مش هتقدرى تعرفي مين هنا لسه ناوية تكرر نفس تجربة المرحومة اللي مهروسة دي!

هزت رأسها باقتناع وهي تردد:

_أنت صح.. ما أنا لازم اعرف ايه اللي بيحصل من ورا دهري!

هز رأسه بتأييد:

_بالظبط.. عشان كده محتاجة كل فترة تعملي حضور مفاجئ لمكتب عمر.

اتسعت ابتسامتها وهي تفكر في حديثه الساخر وأخيرًا نهضت عن الفتاة التي انتشالها ياسين من اسفلها فهرولت للخارج بساق تتعركل كمن دعسها سيارة وجعلتها معاقة، خرجت بخطوات غير متزنة حتى اصبحت بالخارج فاخذ عمر يراقبها بشماتة وهو يهمس بضحكة اصطحبت حديثه:

_أول مرة نور تعمل حاجة عدلة!

بمكتب "أحمد الجارحي"

وقع على الأوراق من أمامه بدقة لاختيار مكان التوقيع، فحاول الاسراع من الانتهاء بالاوراق ليجيب على هاتفه الذي يدق للمرة الرابعة في حضور احدى موظفيه، فما أن انتهى حتى حمل الموظف الاوراق وغادر على الفور، فأجاب احمد على الهاتف وهو يبزر:

_آسف يا حبيبتى كان عندي شغل مستعجل ومقدرتش أرد على الموبيل.

اتاه صوتها الباكي الذي مزق نياط قلبه تباغًا:

_أحمد.

تساءل بلهفة هزت الهاتف بين يده:

_في أيه يا أسيل؟

قالت بصوتٍ متقطع من فرط بكائها:

_ليان من وقت ما رجعت من المدرسة وهي قافلة اوضتها على نفسها ومش راضية

تفتحلي.. أرجوك تعالى يا أحمد انا خايفة ومش عارفة أعمل أيه؟

فور سماعه لبكائها، نهض وهو يحمل هاتفه ومفاتيحه واسرع لسيارته من قبل أن تطالبه

بذلك، فليذهب العمل للجحيم بذلك الوقت، قاد مسرعًا ومازالت على الهاتف يحاول تهدئتها، ويفترض بعض الامور التي قد تساعد في تهدئتها، فاخبرها بأنه من المحتمل أن تكون هناك مشاجرة بينها وبين زميلة لها، ولربما لم تحصل على درجة موفقة باختبارها فهو يعلم اهتمامها الشديد بتعليمها ولما تود الوصول اليه، نجح أحمد في الهائها حتى تمكن من الوصول للقصر، فهرع مسرعًا للأعلى حتى وصل امام غرفة ابنته فوجد أسيل تجلس ارضا امام الغرفة وابنه الصغير متعلق بها ويكي بشدة مثلما تبكي والدته، عاونها على الوقوف وهو يقربها اليه، فانفطرت بالبكاء وصوتها المبحوح يردد:

_بنتي...

احتضنها وهو يحاول احتوائها:

_اهدي حبيبتي.. انا هدخلها وهحاول اعرف فيها ايه.

ثم حمل الصغير ووضع بين يدها مشيرًا لها على غرفته المجاورة لغرفة ابنته:

_الولد مفزوع من الحالة اللي انتي فيها.. ادخلي هديه وانا هشوف ليان..

اشارت له بالرفض وقالت:

_مش هدخل... لازم اعرف مالها..

مسح دمعاتها باطراف اصابعه، ثم قال بهدوء لا يتناسب مع ثورة قلبه المرتجف لحال

ابنته المقبض:

_خدي أوييس وادخلي.. أنا هنا متقلقيش.

أومأت برأسها باستسلام، وحملت الصغير لغرفته على الفور..

تسلل صوت أبيها اليها من وسط صوت بكائها الصاخب، سمعته وهو يطالبها بفتح باب الغرفة الموصود، ومع ذلك لم تتوقف دمعاتها عن الهبوط، وكأنها تجلد ذاتها بنفسها حتى لا تسمح لأحد بجلدها مجددًا، وفجأة وجدته يلح عليها وهو يناديها عاليًا:

_ليان حبيبتي افتحي الباب... أنا عارف انك سمعاني.

واسترسل بحنان:

_أنتِ متعودتيش تكسري كلامي او تتجاهليني.. من فضلك افتحي الباب.

انصاعت الصغيرة إلى كلماته، فدنت من الباب ثم حررت مفتاحه العالق بجسده، فولج احمد للداخل ثم اسرع تجاه فراشها بوجع طال جسده باكملة حينما رأى عينيها المتورمة، فجثى على ركبتيه امام فراشها وهو يسألها بقلق ولهفة:

_أيه اللي حصل في المدرسة؟

رفعت عينيها الباكية اليه، وكأنها تشكو اليه قسوة هذا العالم الجlad، وفجأة انطلقت

كلماتها بألم يخرق جسده كالسكين العشوائي:

_أنا مش بنتك؟

ابتلع ريقه بمرارة وهو يحاول التعامل مع الأمر المتوقع مع نضوجها الطبيعي، فقال

بهديوء:

_أيه الكلام الغريب ده!

نوبة بكاء اصابتها فصاحتها ما كبت بصدرها طوال هذا اليوم القاسي:
_صاحبتني قالتلي انك مش بابي.. وان أويس مش اخويا.. اسمنا مختلف عن بعض هي معاها حق!

تدفقت دمعة خائنة من عين أحمد وهو يستمع اليها، وفجأة خانه صبره وقوة تحمله،
فضمها اليه بقوة وهو يردد بصوتٍ طغى عليه البكاء لمرته الاولى:
_انتني بنتي.. واللي يقول غير كده اقطعه لسانه..

وبوجع استطرد:

_يا ريت بايدي اغير اسمك لاسمي... يا رريت بايدي اقدر اعملها..اللي رجعني عن قراري
ده هو خوفي من ربنا.

وأبعدها عنه وهو يتطلع لها بحب ابوي لم يحمل قدره حتى لابنه الذي يحمل دمه:
_متسمحيش لحد يقولك الكلام ده.. انتني بنتي ومفيش قوة في الدنيا كلها هتقدر تثبت
عكس ده..

وعاد ليحتضنها من جديد حتى سكنت بين يده، فاخذ يربت بحنان على ظهرها حتى غلبها
النوم من فرط بكائها، حملها أحمد ووضعها بفراشها ومازال يجلس لجوارها حزينًا، لا يعلم
ماذا يفعل حتى لا يعذبها تلك الحقيقة، شعر بتلك اللحظة بأنها قادر على مجابهة العالم
باكملة لاجلها ولكنه ضعيف على ارتكاب معصية قد تدينه أمام الله عز وجل، لذا صعب
عليه ارتكاب خطيئة مثل تلك، اسند رأسه للفراش وأغلق عينيه بالي يمارب تلك الاحاسيس
المنفرة التي تهاجمه، وفجأة استمع لصوت بكاء مكتوم يأتي من أمام باب الغرفة، فقال
بصوته الدافئ:

_آسيل!

طلت من خلف الباب فعلم بأنها كانت تستمع لحديثهما منذ البداية، ولجت للداخل
بخطواتٍ بطيئة، ثم جلست أرضًا جوار فراش ابنتها التي تغفو بين ذراع احمد، فمالت
براسها على الفراش جوار رأسها واحتضنت صدغها بأصابعها، ثم قالت بدموع:
_اعمل اي حاجة يا احمد؟

رفع يده عن ابنته ثم مررها على شعر زوجته وهو يجيئها بحزن:
_مفيش بايدي حاجة اعملها يا آسيل.

رفعت رأسها تجاهه وصرخت بعصبية:

_اكيد ربنا ميرضاش بالظلم لطفلة زي دي.. ذنبها ايه تعيش بالعذاب ده.. حرمانية اختلاط
الانساب هتخص مين لشخص عمره ما هيسأل على بنته في يوم من الايام..
وأشارت على ابنتها قائلة:

_ليان بنتنا ومحدث له فيها حاجة.

وعادت لتتطلع اليه تترجاه بدموع:

_ارجوك يا احمد انقلها لاسمك.. انا مش هقدر اتحمل اشوفها كده..
شدد على معصمها ليجبرها بالنهوض بعيدًا عن الارض، فصعدت لجواره على الفراش،
فضمها اليه ومازالت عينيه مستيقظة تأبى الرحيل عن عذاب يجلد روحه بسواطٍ قايٍس.

صعد لسيارته ليستعد لعودته للقصر، فبحث في تابلوه السيارة عن هاتفه الذي تناسى
امره منذ الصباح لانشغاله بالعمل، فوجد عدة مكالمات منها، فجذب الهاتف يدق لها ويده
تحرك المقود، وجدها تجيبه بصوتها الناعس:

_قلقتني عليك!

=أكيد انتي حاسة بيا وعارفة اني كويس.

_ده مبرر يخليك تتجاهل مكالماتي يا عدي؟

ابتسم وهو يبرر لها بالمرة الرمزية التي تذكر بعلاقتهم:

_الموبيل مكنش معايا.. وبعدين لو قلقانه عليا فانا راجع اهو.

_طب اعمل حسابك في كمين منصوب ليك..

تعالت ضحكاته وهو يخمن:

_رحمة؟

اكدت له:

_أيوه مستنياك من بدري.. ومش راضية تقولي عايزاك في أيه.. بتقولي حاجة خاصة

وشكلي كده هغير منها!

بصوته الرخيم اجابها:

_طب اعمل ايه بس.. في أكثر من اني سمتها على اسمك!

_مهني مقسماني فيك اهي!

_محدث يقدر يعملها.

ثم قال وهو ينجرف عن الطريق:

_شوفتي عشان تعرفي اني راضي عنك عديت اجبك الباستا اللي بتحبيها..

بعثت سعادتها عبر الهاتف:

_بجد... هيحصل امته ده؟؟

انعقد حاجبيه بذهول وهو يراقب مرآة السيارة، فقال بجدية:

_هكلمك تاني..

وأغلق الهاتف ثم استدار برقبتة للخلف وهو يراقب تلك السيارة التي تلاحقه منذ لحظة
خروجه من المقر، فظن بالوهلة الاولى بأنها تسلك الطريق الرئيسي ولكن حينما انعرج
عن طريقه تأكدت شكوكه بأنه المقصود بالمراقبة، ومن غيره ادرى بأمور المراقبة ان كان
شرطيًا محترفًا، لم يكن أبدًا بالهين حتى وان ابتعد عن الشرطة، هبط عدي من سيارته

برزانة وثبات استقبط خطاه الثقيل، فاتجه لداخل المطعم دون أن يثير الشكوك لمن يراقبه ويلتقط له عدد من الصور، ولا يدري الابله بأن الادوار الآن صارت منعكسة فبات هو الرقيب!

الفصل السابع

نظراته الثاقبة أحاطت وجوه هؤلاء الحمقى، وتعتمد تصنع اللامبالاة لما يحدث حوله، حمل أكياس الطعام ومن ثم انحنى للمقعد الخلفي، فوضع ما بيده بانتظام، وانتصب بوقفته ريثما يغلق باب السيارة، فكاد بالتوجه لمقعد القيادة ولكنه توقف حينما صدح هاتفه

برنينه الصاخب، حرر "عدي" أزرر هاتفه ليأتيه صوت أخيه المتسرع بما يود سؤاله عنه:
_عدي أنت بالبيت ولا لسه برة؟

ضيق عينيه بدهشة، فلم يعتاد أبدًا على سؤاله الغريب هذا، وبالرغم من ذلك أجابه:
_أنا لسه برة... بتسأل ليه؟

=عربيتي عطلت في الطريق وبحاول أكلم عثمان يبعثلي حد من الحرس بس مش بيرد
على موبيله!

صعد لسيارته وأعتلى مقعد القيادة، فضغط على المقود وهو يردد:
_ابعتلي اللوكيشن وأنا دقائق وهكون عندك.

اسند "عدي" هاتفه لجواره ليراقب مسار الطريق الموضوع من أمامه بعد أن أرسل "عمر"
بموقعه، وإن تعركل بازدحام الطريق كان ينجح باجتياز السيارات ببراعته المعتادة، ربما
اعتياده القبض على المجرمين وقطع طريقهم جعله محترف بالقيادة، فما كانت سوى
دقائق بسيطة حتى لاحت سيارة أخيه من أمامه، اقترب "عدي" حتى صف سيارته
بمحاذاتها، وانتظر لدقيقة حتى يخرج عمر من سيارته، وحينما تأخر أخفض زجاج سيارته
وهو يناديه بضيق:

_عايز دعوة عشان تنزل!!

ارتاب لامره، فهبط من سيارته ثم عاد ليناديه بصوت مرتفع:

_عمر!

اقترب من سيارته، وانحنى تجاه زجاج نافذتها يتأملها الداخل باهتمام، التاع قلبه فزعًا حينما
رأى أخاه يتكئ بجسده العلوي على مقود السيارة مغلق العينين، وفي حالة استسلام تام،
فتح باب السيارة بقوة كادت باسقاطه من أسفل قدميه وهو يصيح بتوجُّس:

_عمر!

قبضته الصلبة نجحت بابعاد جسده عن المقود، ففتح عينيه بألم اتبع نبرته المنخفضة:

_آآه.. في أيه صرعتني!

اجتمع غضب الكون بأكمله بمقلتيه المحتقنة، فدفعه خارج السيارة وهو يسبه بعنف،
والأخير يحاول فهم سبب تلك الثورة التي سيكون أول ضحاياها، فصاح بأنفاس تسارع
للتنفس:

_طب بس فهمني أنا عملت أيه!! .. مسكتني بفعل فاضح بالطريق العام!!

وسعل بقوة وهو يحاول أن تستمد قوته باقي كلماته المتقطعة:

_ده أنا كنت مأيل شوية يا جدع!

استعاد عدي ثباته، فاكتفى بقذفه بنظراته الحادة، وبعنجهية قاتلة اتجه لمقعده ثم أشغل

المحرك وعينيه تترقبان الاخير الذي وقف محله بدهشة لما يحدث، فأعدل من ملابسه
واتبع خطى أخيه حتى بات لجواره، فتحرك عدي بصمت جعل عمر يسأله برفق يصاحب

مزحه:

_أنت اتخضيت علي ولا أيه يا وحش!
القاه بنظرة خاطفة من طرف عسلية، فابتسم عمر وهو يجاريه:
_المفروض انك تحس اني كويس لاننا تؤام ولا انت مبتحسش غير برحمة!
احتدت نظراته فباتت اكثر خطورة، لذا انسحب عدي من ساحة مجابهته، فتسلل لمنخاره
رائحة الطعام الشهية، فالتقط نفسًا مطوّلًا وهو يسأله بشيء:
_في ريحة تجوع.
وبدهشة تساءل:
_أنت شايل أكل.. معقول!!
تشبث عدي بالمقود بيده اليسرى ومن ثم انحنى للخلف فجذب أحد علب الطعام، ثم
وضعها على قدم أخيه، الذي بدأ بفتحها ومن ثم تناول الطعام بجوع بدى على سرعته
بتناوله، فجذب أحد اللقمات ثم قربها منه وهو يمازحه بخفة:
_بل ريقك بعد الخضة.
استدار برأسه تجاهه وهو يعنفه بغضب:
_أنا مبحش اسوق وحد بيرغي جنبى.. هتكثر في الكلام هرميك على الرصيف ولا هسأل
فيك.
تقوس حاجبيه بضيق، فتناول ما بيده وهو يهمس بحنق:
_ندل وتعملها.
عاد الهدوء يخيم بجلبابه عليهما، انتهى عمر من تناول طعامه واسند رأسه على زجاج
النافذة من جواره ليغوص ببحر شرود لا يليق بشخصه الطريف، لاحظ عدي صمته
العجيب فتساءل بقلق يدغدغ حواسه الباردة:
_مالك؟
ابتسم وكأنه كان ينتظر سؤاله للبوح عما يخنق صدره:
_وحشني البلطو الابيض.. ومكتبي والمرضى اللي اتعودت انهم يكونوا جزء من حياتي!
التفت اليه بحزن لاح بين صميم نظرته العميقة، فتحولت لشيء من القسوة اتبعت حديثه:
_ياسين الجارحي مش بيبص على التفاهات دي.. ياسين الجارحي متعود يصدر الفرمان
والأوامر بس.
استدار عمر إليه، ثم قال بهدوء:
_عدي بابا عمره ما كان اناني.. بدليل انه سابنا نختار من البداية.
ابتسم ساخراً على أخيه الذي يراه طيب القلب فيسهل خداعه كحال والدته:
_سابك تختار اللي انت حابه عشان في الآخر هتنفذ اللي هو عايزه!
رمش بعينه بحيرة باختيار كلمات قد توضح له نظرته تجاه أبيه، فقال:
_أنا مش عارف أنت ليه بتعارض كل قرار بياخده حتى لو كان لصالح العيلة ولصالحك!
أوقف عدي سيارته بقوة جعلت اصطكاكها مزعج للغاية، وقال بشيء من الهدوء على

عكس المتوقع:

_أنا اتخنقت يا عمر... اتخنقت من كل شيء... اتخنقت من نظرات كل اللي حواليا.. من وأنا صغير وأنا بشوف بعيون الكل نظرة اني مرتاح ومولود وفي بوقي معلقة دهب.. بشوف حقد وحسد لاني ابن ياسين الجارحي العظيم.. تعبت وأنا بحاول ابرر لكل اللي حواليا اني وصلت لكل ده بمجهودي مش بوسطة ابويا... تعبت وأنا بكافح في الشرطة عشان اوصل لمنصبي وكل ده ببيضيع ورا نظرة شك في عيون زمايلي رغم انهم عارفين قدراتي واللي اقدر اعمله... كرهت سلطة ياسين الجارحي اللي غصب عين الكل مفروضة حتى لو هو مش بيتدخل في حياتي.

وبوجع صحتي المهزوز استرسل:

_أنا مش عايز أبويا يكون شخص عظيم ومعروف.. انا عايز أب يحتويني وقت غضبي

ويطبطب علي!

وسأله بانهزام:

_طلبي كبير؟

ابتسم رغم تلك الدمعة الخائن بين مقلتيه، فhez رأسه بالنفي وقال:

_لا مش كثير.. بس فاتك تحمد ربنا على النعم الكثير اللي انت فيها يا عدي، بابا يستحق

انك تكون فخور بيه.. حتى وانت شايف نظرات الغل دي جوه عيون اللي حواليك!

_اربط حزامك.

كلمات هادئة تحررت على لسانه وهو يتطلع للمرأة بنظرة صلدة، فردد عمر بحيرة:

_ليه!

عاد ليكرر كلماته وهو يحرك مفتاحه:

_قولتلك اربط حزامك.

انصاع اليه عمر وهو يحاول استيعاب ما يحدث، وفجأة قاد تراجع عدي بسيارته للخلف وانعطف حتى ابدل طريقه، فبات في قبالة السيارة التي تراقبه خلسة، لاح على شفثيه بسمة خبيثة وهو يموج بالمقود الذي دفع ادخلته بشراة، وكأنه يستعد لأوامر سيده، وفجأة وبين نظرات ترقب عمر لفهم ما يحدث هنا، اندفعت سيارة عدي بمهارة تجاه السيارة السوداء التي تحاول الفرار بالتراجع للخلف بذهول وصدمة لما يحدث من أمامها، وبين تلك الصراعات دفعتها سيارة عدي للخلف بقوة جعلتها تنجرف عن الجسر الحديدي الذي سبقها بالسقوط بالنهر وصراخ عمر يندفع بصدمة:

_حاسب يا عدي!!

استدار بسيارته ومن ثم ضغط على مكابح السيارة مستخدماً الفرامل خستها، فتمكن بحرفية من تفادي اطراف الجسر، وتوقفت السيارة بسلام آمن، أخفض عدي زجاج النافذة حتى يظهر انعكاس وجهه جيذاً للرجلين بعدما تحرروا من السيارة فصعدوا فوق سطحها، تمدد كلاً منهما على السطح الذي يكسوه المياه التي ابتلعت السيارة كالوحش المفترس،

فاخذ السعل حقه بالانتقام منهم، لاحت بسمة ساخرة على شفتي الوحش الماكر، فضم يده معًا ليقدم تحية للرجل الذي يراقبه بنظراتٍ محتقنة، وكأنه يحبه على غبائهم الذي دفعهم لمراقبة شخص ليس بالخصم الهين بالمرّة!

بالقصر.. وخاصة بغرفة المكتب الرئيسي حيث يجتمع الشباب بأكملهم.
وضع جاسم احد الملفات على المكتب وهو يشير على موضع فارغ بالورقة:
_مش فاضل غير توقيّعك يا أحمد.
انجرف عقله خلف طوفان من وجع، يستحضره في تلك الساعات الاخيرة، الألم الذي يخص أقرب أناس للقلب وجعه لا يضاهي شيئًا، ومع ذلك حاول الهاء ذاته بالعمل عله ينسى ما حدث اليوم مع ابنته، أفاق من شروده القصير على هزة يد جاسم وهو يتفحصه باسترابة:
_أحمد أنت كويس!

احتضن مقدمة رأسه باصبعيه، ثم جذب احد الاقلام الموضوعة من امامه، فوقع وهو يجيبه:

_كويس يا جاسم.. لسه في اوراق تانية؟
أغلق الملف بعدما تأمل موقع الامضاء:
_لا كده خلاص... اطلع كمل نومك بقى.
هز رأسه بمللي يستقطب جوارحه فيجعله دون جهدًا، نهض أحمد عن مقعده وجمع أغراضه الشخصية، وما أن حرر مقبض الباب حتى ارتد جسده للخلف بعنفٍ جراء ذلك الاصطدام القوي بمن يندفع كالثور الهائج ، تابع جاسم ما يحدث بضحكة كبته بصعوبة وخاصة حينما هرع حازم للداخل وهو يحتضن حاسوبه ويصرخ:
_واجب عليكم تخلصوني من كل كارثة
والمرادي لازم تلحقوني قبل ما اشدكم ورايا واحد واحد!

عادت السيارة لطريقها الآمن، وبالكاد تمكن عمر من تخطي ما تعرض له للتو، فمال برأسه تجاه اخيه وهو يردد بعد فترة من التفكير:
_بابا رجع يرقبك تاني؟
ابتسامته الماكرة لحقت حديثه الساخر:
_ياسين الجارحي مش بيشغل معاه ناس اغبية..
واسترسل بتوعد:

_تبع مين دول ..ده اللي محتاج اعرفه بالفترة اللي جاية..
قاطع حديثهما صوت رسالة هاتف عدي، فاخرج هاتفه ليتفحص ماذا هناك فاذا برسالة نصية من ياسين تطالب العون والعودة للقصر سريعًا
«عدي احنا كلنا في مصيبة سودة بسبب الحيوان حازم.. ارجع حالا قبل ما بابا او عمي

يكشفوا الموضوع».

دفع الهاتف عن يده بغيظٍ كاد ببتتر شفثيه من فرط عصبيته، فردد من بين اصطكاك اسنانه:

_نهايتك مش هتكون غير على ايدي انا يا****

.....يتبع غدًا بالجزء الثاني من الفصل...

بعتذر لاني مقدرتش اكمل الفصل كامل... بنتي اخدة دور البرد اللطيف اللي ماشي اليومين دول وحقيقي اخده معظم وقتي.. ويمكن بالاسبوعين الجاين تخضع لجراحة بسيطة... حبيت ابلغكم من قبلها عشان محدش يفكرني بتكاسل بالكتابة او بتدلع.. انا حقيقي بفرح بالكام سطر اللي بقدر اكتبهم في وسط الضغط الكبير اللي انا فيه... هشوفكم بكرة باستكمال الفصل السابع واللي هتكون نهايته اقتراب لرجوع دنجوان آل الجارحي للقصر وللساحة.. بحبكم في الله ♥

إهداء الفصل للقارئات المميزات "نفين عبد السلام"، "مريم كامل" والجميلة "سمية"، "ام ميدو"، شكرًا جزيلاً لدعمكم المتواصل لي، ويتمنى أكون دائماً عند حسن ظنكم...قراءة ممتعة..(♥)

خطوات تردد صداها بأرجاء الغرفة، وكأن باحتكاكها رسالة بهلاكٍ وتوتر لما سيقع فوق رؤسهم، الاجواء كان يقبضها خوفاً من القادم، وأبشع ما يورد للعقول النتيجة المتوقعة لما ارتكبه احمق العائلة، ووسط تلك المشاحنات العصبية مازال صوت الحذاء يزعج آذان جميع من بالقاعة، إلى أن قرر "رائد" قطع تلك الدعسات التي تزيد من أحمالهم:

_اهدى بقا يا أخي واقعد في جنب، خيلتنني!

صفق حازم يد بالآخرى وهو يردد بخوفٍ يكاد يبتلعه حيًا:

_اهدى ازاي بعد ما بلغتم عدي باللي حصل!

والقى نظرة حادة اخترقت وجوههم جميعًا قبل أن يخرج عن طوره:

_انا مشوفتش في حياتي ناس ندلة وخسيصة زيكم.. ده جزاتي اني إستأمنتكم على سر من اسراري العسكرية، بدل ما تساعدوني وتاخذوا بيدي رايعين تسلموني للوحش وش! تمدد جاسم جوار رائد على الاريقة الجلدية، وقال وهو يهاجم نوبات نومه العزيز:

_لما مصاييك مبيقاش ليها حل هنلجئ لمين يا سبع الرجال!

مال رائد برأسه على مسند الاريقة الخلفي بتعبٍ لحق نبرته الهادئة:

_مهو مفيش غير اختيارين يا ياسين الجارحي يا الوحش.

كظم غيظه، واستدار تجاه ياسين الذي يتابع ما يحدث بينهم بصمتٍ بارد، فحاول استدراجه لمنطقته النائية:

_آخر حاجة كنت أتوقعها انك انت اللي تبلغ عني، بقى أنت اللي تعمل فيا كده أنت!!!

هو الدنيا جرا فيها أيه يا جدعان!!

حطم أحمد جليابه المعتم حينما صاح بانفعال شرس:
_قسماً بالله لو محطيت لسانك في بوقك واطركنت في أي زاوية تلمك لحد ما نشوف
مخرج من المصيبة السوداء اللي وقعنا فيها دي لآكون أنا اللي ساحب قلبك من مكانه..
عشان ارتاح من حظي الاسود اللي موقعني مع أخ غبي زيك!
ابتلع حازم ريقه برعبٍ من الحالة الغريبة التي تسيطر على أخاه، فتراجع للخلف بظهره
حتى سقط جسده تلقائياً على أحد المقاعد المنفردة للخلف، وراح يتساءل بصوتٍ ظنه
غير مسموع:
_أحمد وخرج عن رزائته طب مين اللي هيحميك من شر ابليس اللي في الطريق ده!
لمعت عينيه ببريق خبيث، فطرقع أصابعه وهو يخرج هاتفه بحمايس:
_هو مفيش غيره!

بالطابق الثاني من القصر وبالأخص بغرفة "حمزة"
مل وهو ينتظر بالفرش لأكثر من ساعتين متتاليتين، حتى أن النوم قد غلبه فاهتز رأسه
للأسفل بعنفٍ حينما سقط من أعلى الفراش، فامسك بالغطاء السميكة باستماتةٍ حتى
تفادى سقوط جسده بأكمله خلف رأسه المخمور بالنوم، فأحكم المنزر الواسع حول
الشورت القصير الذي يرتديه، فنجح بإخفاء بطنه المنتفخ كالبلور، فلم يهتم يومًا بلياقته
البدنية على عكس أبناء أعمامه، فلم يغزو الشيب رأسه فحسب بل سرى على جسده
البطن المنتفخ التي لا تليق أبداً بجسده الرفيع، فتح حمزة عينيه بملي وهو يناديها:
_أنا بنام يا توتووووو لسه قدامك كثير!!
اتاه صوتها من خلف باب الحمام الموصود تخبره:
_لا خلصت وخارجة أهو يا حبيبي.
ذم شفتيه باستنكار ساخر:
_بقالك ساعتين بتقولي خارجة، هموت وأعرف بتعملي أيه كل ده جوه.
وعاد ليتمتم بغضبٍ:
_الستات دي ليها الف لغز، عاملة زي اللب الاسود اللي جوه البطيخة.. ومن كتر حبك فيه
مضطر تاكله حتى لو اللب الرزل هيضايقك ويمغص عليك عيشتك المطينة بطين!
إشرأبت بعنقها من خلف باب الحمام، تتساءل بحدّة:
_بتقول حاجة يا حمزة؟

جحظت عينيه في صدمةٍ لجأت به لرسم بسمة ساذجة:
_أبداً يام أحمد يا غالية.. ده أنا بقول هستانكي حتى لو لأخر يوم في عمري اللي بيتلهط
وأنا لسه قاعد مكاني على السرير بستنى طللك البهية!
وجذب الوسادة ثم قذفها خلفه بغضبٍ يكبته بداخله قدر المستطاع حتى لا تنتهي ليلته
الوردية بخناق سيودي بمشاعره، فجذب من جواره وعاء حبات الذرة الشهي، فأخذ يلتهمه

بشراصةٍ تطفئ غيظه من زوجته، فانسجم قليلًا مع الفيلم المعروض على الشاشة التي تقابل فراشه، وفجأة اطبق فمه على بعض من حبات الذرة وانغلقت عينيه استسلامًا لنوبة مؤقتة من النوم، فسقط رأسه بعنفٍ على الكومود لينزع عنه الوعاء الذي تبعثر بانحاء الغرفة، نهض حمزة عن الفراش وهو يتأمل حالة الفوضى التي يشملها الفراش، فوزع نظراته بين الفراش تارة وبين باب الحمام الذي يدور مقبضه تارة أخرى، وقبل أن يتحرر بها كان يندفع بكل قوته تجاه الفراش ليخفي حبات الذرة واذ بوجهه يشتعل بحمرة غريبة، جعلت تالين تتساءل بقلق:

_مالك يا حمزة.. أنت كويس؟

هز رأسه ببسمة اقرب للبكاء، وبهميس مؤلم قال:

_عمودي الفقري بس قافش حبتين..

واسترسل وهو يجذب الغطاء ليخفي ما يخفيه جسده من اسفله، وتمتم بسخطٍ وهو يحاول الاعتدال بفراشه:

_هي ليلة باينة من اولها..

ومع كل تلك التعقيدات مازال يرسم ابتسامة وهو يشير لها بغمزةٍ ظنها جريئة على عكس ما رأتها تالين فحدجته بنظرة ساخرة، ومن ثم اتجهت للسراحة، تلاشت معالم السعادة على وجهه وراح بتساءل بقهر:

_انتي راحة فين تاني!

جذبت المِشْطُ وأخذت تمشط خصلاتها وهي تجيبه بضيق دون أن تتطلع تجاهه:

_في أيه يا حمزة.. هو أنا اجبرتك تقعد وتستناني ما تنام!!

كز على اسنانه ومن بين اصطكاكهم قال:

_عطوا الغبي كشكول وقلم وقالوله اقرأ!!

كاد بطرح سيل من الحكمة المتعارفة بقاموس حمزة الجارحي فقط، ولكن صوت هاتفه جعله يتغاضى عن معركة الجدل فيما بينهما، جذب هاتفه ليجد رسالة جعلت معالمه تتكمش تأففًا، وخاصة وهو يقرأ محتوياتها

«ابنك هيتعلم عليه في بيتك وفي وجودك يا ريس»..

ترقب حازم رؤية رد من أبيه، ولكنه على غير عادته تجاهل رسالته، فعاد ليرسل له عله يحفز خلاياه

«هو ده العشم والانصاف، هيجيلك قلب تنام وعارف ان ابنك محتاجلك!»

لقى حمزة هاتفه بعيدًا عن يده بعدما جعله بوضع الصامت، وترقب لحظة جلوس زوجته لجواره بابتسامة برزت اسنانه، وسرعان ما تلاشت ابتسامته حينما وجدها تندث أسفل الفراش وتغمر جسدها بالغطاء، لتغوص بنومٍ مريح، والآخر يراقبها ببلاهةٍ، اهتز هاتفه مجددًا فجذبه بغضبٍ ليقراً رسالة حازم الاخيرة

«كده... يكشف تفضل عمرك كله تستنى الليلة اللي عمرها ما هتحصل دي يا زيزو.. بقى يا

راجل انا بستنجد بيبك تقوم تطنشنني، عموما براحتك انا كنت محضرلك صبغة وشوية كريمات مساج ترجعك صغير ولو 30 سنة، بس انت مالکش في الطيب نصيب.. نام واتدفی يا حاج»

قذف حمزة هاتفه ارضًا بغیظ، ثم احکم اغلاق مؤزره واتجه للأسفل لیری ماذا هنالك؟

صوت بوق سيارة عدی المميز، جعل قلب حازم یندفع رعبًا من القادم، وفور ظهوره یقترب على باب القصر جعله یهرول للأریكة التي یقطن بها أخیه الذي یرمقه بسخط، وهو من ینوي تسلیمه ید بید، وقف عدي قبالة یاسین وتساءل:

_أیه اللي حصل؟

صعد حازم فوق ساق أحمد وتعلق به كالطفل الصغیر الذي یحتمي بوحشه الملائکی، عله یحمله ویرفرف بجناحته بعيدًا عن مکان وجود الوحش الاشرس، قذفه أحمد بعيدًا عنه ینفور، ومع ذلك لم ینجح بابعاذه عنه کلیًا، همس حازم بصوت متقطع بأس:

_متقولش یا یاسین.. خلیک جدع.

وكانه تلقى دعوة صریحة بالحديث، ففور انتهائه من اوامره الحمقاء، طرد یاسین ما بجوفه: _البیه المحترم باعت رسایل حب وغرام لزوجة "طوني فضل". والراجل قالب علیه الدنیا من شرقها لغربها وبعثله رسایل تهديد!

ظهرت یده من خلف جسد احمد وهو یشیر بالنفی معللاً:

_كنت فاکراها حفیدته وعهد الله... معرفش انها مراته!!

واسترسل بضیق:

_انا مش عارف الراجل ده مش بیستنضفله حته ربع عمر لیه!

اتجهت نظرات عمر الیه، فأشار له بغضب:

_لو عایز تنجی بعمرک النهاردة بطل احکامک وافتراضاتک عشان نعرف ننقذ ما یمکن انقاذه..

ابتلع ريقه بتوتر، فازاح ذراع احمد وجلس ملتصقًا به ثم عاد لیفرد ذراعیه على الأریكة من جدید، طال صمت عدي مما دفع رائد لیسأله باهتمام:

_هنعمل ایه دلوقتی یا عدي، الصفقة اللي بیني وبين طوني لو متمتش هتحمل خسایر

كبيرة.. وأنت عارف ای خسارة من غیر وجود عمي هیکون مردودها ازا!

اتجهت نظراته الثاقبة تجاه حازم، وصاح بعصبیة خطيرة:

_لو عمل كده هیبقى معاه کل الحق، انا لو مکانه قسمًا بالله كنت انتشلت قلب الحقیق ده من مکانه.

وأشار باصبعه تجاهه وهو يأمره بالاقتراب، فلم یمهله أحمد فرصة التفكير بعواقب الامر،

بل دفعه بكل قوته لیواجه مصیره بمفرده تلك المرة، بعدما نفذ صبره فی امتداد

محاولات انقاذه، وقف الاخیر قبالة بنظراتٍ فزعٍ تترقب لحظة هجومه، فوقف الاخیر

صامدًا من أمامه ومن ثم واجهه بالحديث:
_ انت مش هتبطل القذارة اللي في دمك دي، انا حقيقي مش عارف انت هتעقل أمته!
وانطلقت شرارته تصاحب صوته الرعدي:
_ راعي ابنك ومراتك اللي على وشك ولادة..
واسترسل بحدة:

_ أنا مش همد أيدي عليك، انت مبقتش صغير للهيل ده.. دي آخر غلطة ليك يا حازم والا
وقسمًا بالله أخليك تتحسر على اللي باقي من عمرك.. سامع!
_ ليه كده يا عدي يا ابني... نهيت الموضوع بدري كده ليه... امال فين لكماتك وطولة
دراعك اللي ربنا من بيه عليك.. راح فين تهورك وفرد عضلاتك.. انت بطلت تروح الجيم ولا
أيه يا حبيبي؟

كلمات متحسرة لفظ بها حمزة بعدما تحطمت سعادته التي زرعت بعدما علم مع من علق
ابنه، فتعشم ان يعيد عدي تربيته من جديد، وحينها ستبرد نيران قلبه جميعًا التي كان هذا
الأحمق سببًا اساسيًا بها، قطع حمزة الدرج حتى بات بالاسفل امامهم جميعًا، فكبت معتز
وجاسم ضحكاتهما بصعوبةٍ بالغة على المئزر(الروب) الذي يرتديه حمزة، اقترب منه ثم
حمسه قائلاً:

_ انت خايف على زعلي! ولا يهملك يا حبيبي خد راحتك وبالقوي كمان.
واتجه للمقعد الذي يتوسط القاعة وهو يشير له:
_ أنا هقعده هنا اتفرج ولا كأني موجود.
دنا منه عمر ثم انحنى تجاهه وهو يسأله بحيطية:
_ انت كويس يا عمي؟
رفع احد حاجبيه بذهول:
_ باين اني تعبان ولا ايه!
كبت عمر ضحكة كادت بالانفلات منه، فربت على كتفيه وهو يخبره بحنان:
_ طب اطلع البس هدومك لتاخذ برد!
لم ينجح حازم في كظم غيظه والبقاء هادئًا حتى لا يخرج عدي عن طور هدوئه الغريب
هذا ومع ذلك اشار لوالده بحلق:
_ اطلع استر نفسك ليجيلك روماتيزم على القلب ولا حاجة... العضمة كبرت وكل ما تحافظ
عليها كل ما تنعم بجزء من المناعة..
نهض حمزة عن مقعده بعصبيةٍ بالغة، فاندفع تجاهه بسرعة حررت المئزر ليكشف عن
بطنه المتدلي، فكاد بجذبه من رقبته لولا تدخل جاسم الذي حمل حمزه وابعده من
الوصول لحازم والاخير يصيح بغضب:
_ انت طالعلي من انهى بلوة... ده انا لو كسبك في كيس شبسي يالا كان هيقالك اي
صلاحيات مفيدة في الحياة!

هرول به جاسم للخلف وهو يردد بتعبٍ من الحمل الذي يقع اعلى ذراعيه:
_استهدى بالله يا عمي واطلع اوضتك... سيب عدي هو هيضبط المغفل ده.

على صوت حازم وهو يجابه اباه:

_مهو ده تمامك يا حاج.. انك تكسبني في كيس شبسي اصل توتو خلاص مبقتش راضية
عنك.. وطول مهني مش راضية عنك هتفضل كده بالروب طول النهار!
انفطر معتر بالضحك وترك حازم عن يده، فلكمه رائد وهو يصيح به:
_اخرس بقا... لسه بنحاول نلم مصايبك!

اشار له حمزة:

_سيبه يا رائد خليه يجيني ده انا شايل منه وناوي اخلص عليه الجديد والقديم..
أغلق جاسم مزر حمزة وهو يرتب على كتفيه، وبانفاس مختقنة من فرط المجهود قال:
_سيبك منه يا عمي... واطلع اوضتك الله يكرمك.
كاد بأن يجيبه ولكن حانت منه نظرة جانبية مندهشة لمن يتابع معركتهما ببرودٍ، فاتجه اليه
وهو يردف بسخط:

_أنت مش ابني ولا كسبك في كيس شبسي انت كمان؟

رفع أحمد نظراته تجاه ابيه بملل، فصاح الاخير بصوت صاخب:

_قوم فز دافع عني.. أنا مش ابوك ولا انت كمان العضلات دي نفخ!!

وكأنه كان ينتظر احد يدفعه خارج قوقعته الخاصة، نهض احمد بآلية تامه عن الأريكة
واتجه ببرودٍ تجاه أخاه، وباغته فجأة بكلمة اصابت أنفه فجعلت رأسه يدور كمن يحاط به
الطير، ليسقط أرضًا فاقدًا للوعي تحت نظرات صدمة من الجميع، وعلى رأسهم حمزة
الذي ابعده لينحني برأسه تجاه حازم الذي يحتضن الارض، فتفحصه وهو يردد بخوف:

_انت عملت ايه في الواد!!

بشباتٍ ودون أي ذرة ندم قال:

_دفعت عنك زي ما حضرتك طلبت... أي أوامر تانية ولا أطلع اوضتي.

ابتلع حمزة ريقه ببعض الخوف من تمرد العنف بأعين ابنه الهادئ فبات أشد خطورة، لذا
اشار له ببسمة مصطنعة:

_لا يا حبيبي اطلع انت نام وارتاح ومتقلقش ابوك هنا..

تمتم ساخرًا وهو يصعد للاعلى:

_مهو ده اللي مطمئي!

راقب حمزة انصرافه ثم عاد ليتفحص الجميع بنظرةٍ متفحصة انتهت بابنه الراقد ارضًا
وعلى ما يبدو بانه بحاجة لان يحمل للاعلى أولًا ولطبيب ثانيًا، لذا اعاد اغلاق مزره وهو
يخبرهم بمهنيةٍ لا تشبهه بتاتًا:

_طب يا ولاد.. ورايا شغل كتير بكره تصبحوا على خير.

وتركهم واسرع للاعلى، ولحق به رائد وعمر، انحنى معتر وجاسم اليه في محاولة لايفاقته،

بينما تحرك عدي لاقرب مقعد، فجلس يراقبهما بملي وهم يحاولون افاقته، انتبه عدي
لنظرات ياسين وابتنسامته الغريبة بمراقبته، فسأله باستغراب:
_لسه في مصايب تانية ولا استكفينا النهاردة؟
تغاضى عن سؤاله وقال بنبرة هادئة:
_ياسين الجارحي نجح في اللي عايز يوصله.
تجدد جبينه بدهشة من مقصده، فاسترسل ياسين حديثه الغامض:
_تصرفك الغير منطقي دلوقتي اكتسبته بفضل المكتب ووجودك جنبنا، يمكن دي مكنتش
هتكون ردة فعلك لو كنت لسه ظابط شرطة..
_قصداك ايه؟
علل ما يود طرحه حينما قال بسلاسة:
_قصدي انك لما بعدت عن الضغوطات وشغل الشرطة اللي كله سلاح ومطاردة ودم
تفكيرك بقى رايق زي ياسين الجارحي بالظبط.. والدليل تحكملك بانفعالاتك مع الغبي ده!
واشار بابهامه على حازم الذي مازال يحتضن الارض كالصورة التي لا تسمح لملتقطها
بالفرار عن ساحتها، اعتدل عدي بجلسته ثم اخبره بسخرية:
_حد قالك اني كنت ماشي أقتل في خلق الله!
ابتسم وهو يجيبه بصدر رحب:
_انت كنت كده فعلاً.
رفع حاجبيه بسخط على صراحته المبالغ بها، ومع ذلك تغاضى عن حديثه وهو يسأله
بجدية:
_ماله أحمد.. شكله مش مضبوط!
رد عليه بحيرة:
_مش عارف حقيقي... ورجع من المقر بدري النهاردة على غير عادته.
جذب هاتفه وهو يهمس اليه:
_هشوف ماله؟

لقى معتز سطل المياه عن يده بارهاق اتبع نبرته:
_خلاص يا جاسم احنا نسيبه مرمي كده ليكره الصبح.. ما باليد حيلة!
ابتعد جاسم عن حازم فسقط ارضًا، فازاح حبات العرق عن جبينه بتعب:
_عندك حق انا حيلي اتهد!
ورمق التراس بحيرة اتبعت سؤاله:
_بس هنسيبه كده في البرد ده؟
حك معتز ذقنه بتفكير انهاه حينما قال:
_خليك هنا انا شوية وراجع.

وعاد بعد دقيقة بما يحمله بيده، فطرح الغطاء عليه ثم قال ببسمة واسعة:
_كده فل اوي... بينا نريح ساعتين قبل الشغل.

وكادوا بالصعود للاعلى، فاوقفهم عمر الذي هم بالهبوط للأسفل:

_انتوا رايعين فين؟

اجابه معتز بغیظ:

_كلك نظر الصبح داخل وحابين نريح شوية.. ايه وجه الاعتراض هنا!

اضاف جاسم:

_مش فاهم حقيقي!

اشار عمر للأسف وهو يلوك حبات البندق الشهية:

_شيلوا الحيوان ده وطلعوه لمراته.

جحظت عين جاسم الذي تحرر عن مرقد عصبية:

_لأ... شيل ثاني لأ... حرام عليكم انا هموت منكم هنا..

وصعد للاعلى وهو يردد بحنق:

_ومفیش تصبحوا على خير..

غادر من امامهما والاخر يتابعه بصدمة، اتبعت سؤاله:

_ماله ده؟

اجابه معتز بضحكة ساخرة:

_عمك قام معاه بالواجب.

عاد ليلوك ما بيده بتسلية، ثم اشار لمن يقف قبالة:

_بيننا نطلعه احنا.

وبالفعل اتجه عمر ومعتز لحمل حازم والصعود به للاعلى.

وبعد محاولات مستميتة لحمله، نجح عمر ومعتز في نقله للمصعد، فalcوه جانبًا ثم اخذ

كلا منهما يلتقط انفاسه بارهاق، صاح عمر بعصبية:

_الاسانسیر هیتحرك من نفسه ولا ايه!

فهم معتز ما يلقيه عليه، فعبث باززر المصعد بالطابق الرابع، ووقف كلا منهما يترقب لحظة وقوف المصعد، عادوا لحمله ثم استدروا تجاه باب غرفته، فطرقوا الباب ثم ولاوه

ظهورهما حتى لا يكشفن عن ستر زوجته، فما ان فتحت الباب حتى تفاجئت بوجودهم،

فحمدت الله بأنهم منحوها بعض من الخصوصية، فعادت للداخل وعقدت حجابها ثم

اتجهت اليهم تتساءل بقلق:

_في ايه يا عمر؟

اجابها وهو يشير لها بالتنحي جانباً:

_ولا اي حاجة... هو واخذ بنج رباني هياخله بتاع اربع خمس ساعات تغفيلة كده..

متقلقيش.

اتبعتهما للداخل قائلة بسخرية:
_ههلق ليه هو اللي جايب لنفسه المشاكل وجاييلي وجع الدماغ جنبه.
القه معتز على الفراش وهو يصيح بغضب:
_تعبت امي يا جدع... يا ساتر!
ثم تطلع لنسرين وقال ببسمة عريضة:
_احنا اسفين اننا دخلنا في الوقت ده بس ما باليد حيلة مكنش ينفع نرميه تحت مع ان
كان نفسي والله بس دكتور عمر قلبه رهيف على المرضى بتوعه وشايف ان المريض
حاله هتتحسن في سريره من باب يموت في فرشته احسن ما يطلع عين اللي حوله
صح يا دكتور؟
أشار له باعجاب لاتقانه حكمته المتفانية:
_بالظبط..
ثم تطلع لها وهي يسحب الاخير خلفه:
_زي ما قولتلك بلاش تقلقيه سبيه ينام براحة راحته... تصبحي على خير..
وغادروا معًا وظلت هي محلها تتامله بغيطٍ وغضب تردد بهمسها الساخط:
_هبيت ايه المرادي!

وعد أحمد عدي بالحديث معه بالمقر صباح اليوم التالي، فاحترم الاخير رغبته واغلق
الهاتف، فقال ياسين بقلق:
_الموضوع كبير للدرجادي!
وضع عدي هاتفه بجيب بنطاله ثم اعتدل بجلسته وهو يجيبه:
_يمكن الموضوع متعلق بليان.. البنت كبرت واسمها هسبيلها مشاكل نفسية كبيرة..
متنساش كمان تعلق اسيل الكبير بيها.. وخصوصا بعد ما حملها ما كملش.. حتى بعد
السنين دي كلها لما ربنا عوضها بأويس بس حبها مازال أكبر لليان.
كاد بأن يجيبه ولكن قاطعها صوت طفولي رقيق، ينادي بخفوت:
_بابي.
انتبه عدي لصوت ابنته التي تقف بالقرب من الدرج ويبدو عليها الحزن الشديد، فقالت
بانزعاج:
_بقالي أكثر، من ساعتين مستانية حضرتك ومامي زعلانه مني عشان معاد نومي فات
من بدري.
نهض عدي عن الاريقة، ثم اقترب من ابنته وانحنى على ركبتيه ليكون على مستوى قريبًا
منها، فضم خديها بين لائحة يده وهو يخبرها:
_أنا آسف يا روح قلبي، حقيقي انشغلت ونسيت انك مستانياني.
وحملها بين ذراعيه ثم استدار تجاه ياسين ليسترسل بضيق:

_هو انا هفتكر أي شيء خاص بيا طول ما أنا وسط المشاكل!
وحملها واتجه للأعلى ومازالت بين يده، ولج لداخل الغرفة، ثم افسح المجال للخادم الذي
اتى بعلب الطعام مثلما طلب منه، فوضعها على الطاولة وغادر على الفور، دلف عدي
بابنته التي اجلسها على ساقيه ثم قال بحب:
_كلتا أذني صاغية... أيه بقى الموضوع المهم اللي عايزاني فيه؟
_قالت بنوم يغلب صوتها:
_مامي هتقولك..

بحث عدي بعينه عن معشوقة قلبه فلم يجدها، وفور سماعها لتلك المهمة التي وكلتها
بها ابنتها حتى خرجت من جوار السراحة تشدد:
_لا يا حبيبتي بلغي بابي قبل ما تروحي اوضتك.. عشان نبقى على نور كده.
راقبهما عدي بحيرة، الى ان قالت الصغيرة:
_أنا عايزة اطلع رحلة نظمناها انا وصديقاتي مع ادارة المدرسة لشرم الشيخ.
اعاد خصلة شعرها البني المتمردة على عسلية عينيها لخلف آذانها وهو يجيبها:
_طب وأيه المشكلة في كده؟ .. خدي ياسين معاكى.
_قالت بتردد ظهر بحديثها:

_ياسين عنده Test بعد بكره.. ومش هيقدر يطلع معايا... لكن فصلي اختبر خلاص.
رمش بعينه بثبات، ثم قال بنبرة مازال يدفئها حنانه المباغت به تجاه ابنته:
_خلاص يا رحمة مش هتقدرى تطلعي من غير اخوك.. أنا مش هقدر أخليك تسافري
لوحذك حتى لو المدرسة كلها كانت معاكى بالرحلة دي!
انشق الحزن على وجهها، فقالت بصوت يهزه الضيق:
_بابي ياسين تؤامي يعني من سني.. وحضرتك كل حاجة تخصني بتوكلها ليه هو!
وبرجاء قالت:

_انا هكون مع صديقاتي وهعرف اخد بالي من نفسي.
نهض عدي عن الاركة ثم اتجه للخزانة، يبدل ملابسه لبنطال قصير، وتيشرت أزرق قطني
يرريه من الحلى التي لا تفارقه، وقال وهو يعيد تصفيف خصلات شعره البني التي
طالت بعض الشيء:

_روما النقاش بالنقطة دي منتهي.. مفيش سفر لوحذك.. ممكن بعد ما اتفرغ الفترة الجاية
نسافر كلنا مع بعض لشرم.
واستدار لها وهو يستطرد:

_الوقت اتاخر ولازم تنامي... تصبحي على خير يا حبيبتي.
كبتت نظراتها المغتظة خلف دموعها، وغادرت بصمت، تطلع عدي لمن تقف على بعد
منه، شاردة بالاركة التي حملت طيف جسد ابنتها منذ قليل بحزن، فقال برفق صاحب
صوته الرخيم:

_مينفعش اخليها تسافر لوحدها من غير اخوها يا رحمة!
مجرد شعورها بخوفه من حزنها على قراره اسعدها، فدنت حتى باتت قريبة منه ثم قالت:
_انا معاك في قرارك يا حبيبي، انا نفسي رفضت بس اصريت انها تسمع الكلام منك
افضل.

منحها ابتسامة جعلت فرحة الكون باكملة تحتضنها، فضمها اليه وهو يشير للطعام
بعينيه:

_طب مش هناك!
هزت رأسها بالموافقة، واتجهوا معًا للطاولة المستديرة بالشرفة، فجلست تتناول الطعام
بشروء تام، فتساءل بنظرة تغلغل لداخلها:
_بتفكري في ايه؟

وضعت الطعام عن يدها ثم ازاحت بقاياها بالمناديل الورقية، واعتدلت بجلستها وهي
تحاول البوح عما تود قوله بارتباك:
_اعتمادك على ياسين كبير جدًا.. بحس اوقات انك شايفه شاب كبير وبتتعامل معاه على
ده الاساس بالرغم من انه زي ما رحمة قالت من شوية من سنها.. وانت شايفها صغيرة
ولسه بتشيلها وبتعاملها كأنها طفلة.. طب ليه الحنان ده كله مش بحس بيه مع ياسين
ابنك يا عدي؟

ترك كوب العصير عن يده، ثم نهض عن الطاولة واتجه للسور الحديدي للشرفة، ظنته
غضب لما قالته، فنهضت عن محلها واتجهت لتقف جواره، وجدته يبتسم وهو يراقب بقعة
بعيدة عن غرفتهما، فراقبت ما يراه فوجدته يتطلع تجاه شرفة غرفة اولادهم المجاورة
لغرفتهما، فرأت ياسين يجلس على الأرجوحة ويحتضن رحمة، يحاول بشتى الطرق ان
يوقفها عن البكاء، كان يعاملها كمن يسبقها عشرات الاعوام وليس عشر دقائق فقط،
والعجيب انه ظل يهمس لها بكلمات غير مسموعة وانتهى الامر بها بالابتسامة والغفوة
على قدم اخيها، ابتسمت رحمة وهي تراقب ابنتها وابنها الحنون، واتجهت نظراتها لعدي
الذي ردد:

_هو اللي بييجر اللي حواليه يعاملوه انه شاب..
واستدار تجاهها ليشير لها بشكل مضحك:
_لو بطل يستفزني ويأيد ياسين الجارحي كنتي هتشوفينا في اطار صداقة محصلتش
لمية سنة ورا.. بس ده اختياره الوحيد اللي غبي فيه.
تعالت ضحكاتهما بعدم تصديق لما يحمله من غيرة تجاه حب ابنه لجده، فاحدت نظراته
تجاهها لتشير بجدية مصطنعة:
_خلاص خلاص مش هضحك.

وفجأة انفجرت من الضحك وهي تخبره:
_مش يمكن اختياره يكون صح.. وبالتالي هو اذكى مما تتوقع!

اتسعت حدقتيه بانذار صريح لما قد يصيبها، فتراجعت للخلف وهي تشير له بمرح: _
انا بفترض معاك عشان نلاقي حل للمشكلة دي... بدل ما اللي بيحصل بينك وبين والدك
يتكرر مع ابني ساعتها هعيش نفس الدور اللي عايشاه ماما آية وهبقى انا الضحية!
ظل يقترب منها وهي تتراجع للخلف ويدها مضمومة لشفتيها لتجبرها عن التوقف عن
الضحك حتى لا تقابل مصير قد تندم عليه لاحقًا، ومع ذلك انسحب عنها مرحها حينما
باتت سجية لعواطفه، تلك العاطفة التي قذفتها بوابل من المشاعر العاشقة لادق
تفاصيلها، التي تناهت عن عقابها لتخطيها تلك الحدود، فتخطت المشاعر الآن كل حدود
العشق التي تحفظت بها عليهما!

طوى ضياء الشمس ظلمة الليل الكحيل، لينعم باشراقة خلاصة بالصباح الباكر، حاول عمر
فتح عينيه مرارًا مع شعوره بوخزة من الألم الحاد بذراعه ومع غلبة النوم كان يندرج خلفه،
ومع حدة تكرار الألم انصاع لايقاظه، ففتح عينيه وهو يتأوه بوجع، أصابه بصدمة حينما
وجد نور تجلس جواره وتنغزه بسن دبوس الحجاب الحاد، تفحص يده التي ازدادت
بالاحمرار وردد بذهول:

_أيه اللي بتعمله ده يا مجنونة!
وكأنها كانت تنتظر تلك الدفعة لتفجر ما بداخلها، فانطلقت به:
_انت لسه شوفت الجنان اللي على اصله، بقى أنا جايلك جري من عند الدكتوراة افركك
بابنك اللي في بطني القيك مشغول بتقييم المسائل.
ردد بسخط:

_مسائل!! وايه ابنك اللي شايله في بطنك ده واخداله ايجار جديد ولا آيه!!
عادت لتنغز سن الدبوس داخل لحم ذراعه، فصرخ بالم وهو يبعد ذراعها عنه مشيرًا لها
بتحذير:

_نور بطلي جنان على الصبح..
حاولت الاعتدال بجلستها الغير مريحة بالمرة، فتأوهت ألمًا، وقدمت يدها له تخبرها
بلطفٍ لا يتناسب مع جرمها المشهود:
_ساعدني كده الله يكرمك.
أمسك عمر يدها حتى اعتدلت بجلستها التي جعلتها تتمكن منه، فعادت لتسترسل حديثها
المندفع:

_يعني انا يا ابن الحلال كل يومين هجي اقفش من عندك ستات!! لا في عيادتك رحمني
ولا في المقر وسط الناس المحترمين رحمني قولي على حل واحد اسلكه معاه وانا
هسلك!

احتضن جبهته بألمًا، فعاد ليتمدد على الفراش وهو يشير لها بنوم:
_اطفي بس النور هريح شوية وهنسلك كل الحلول مع بعض بعون الله.

جحظت عينيها في صدمة، فعادت لنغزه من جديد، ففزع في رقده، نجح عمر بلف ذراعها من خلف خصرها ومن ثم انتشل ما تحمله وهو يردد باستهزاء:
_شغالة اشراف في تعذيب سجون 5غرب!
استحضرت دموعها الماكرة في دقيقة وراجت تندب بتأثر:
_بتضربني بعد السنين دي كلها يا عمر... لا وبتلوي دراغي اللي ياما اعملك الطفح ورتبلك هدومك!

تفاجئ بما تقوله، فابتعد عنها وهو يشير لها بتحذير:
_نور أنا مش أد مكرك... ارحميني لوجه الله... الاكل اللي بتعمله بتجربي فيا قبل ما تديه لبنتك وترتيب الهدوم والكلام الابهل ده مهو اللي طريقة محترمة للتفتيش على اساس اني لو ماشي مع واحدة هخبىها في هدومي مثلاً..
واستطرد بسخرية:

_انا فاهم كل حاجة وعامل نفسي عبيط.. يعني بالبلدي كده واكلها بمزاجي عشان انا طيب وبحبك بس... زي ما عديت اللي عملتية امبارح ده عشان بس كان على معدتي لاني مكنتش طايق البت دي ولا طايق قعدتي معاها..
صفقت يدها بطريقة مضحكة وهي تقول:
_بدليل انك ساهران معاها وراجعلي وش الصبح!
رفع اصبعه امام وجهها باعتراض مضحك:
_لا عندك... مسمحكيش انا دكتور محترم وليا سمعتي..
_دكتور ايه بقى ما خلاص ياسين الجارحي علم عليك يا حبيبي..
_ولو حتى لو بشتغل ميكانيكي بس بسمعتي اللي زي الجنية الذهب برضه..
واسترسل ببسمة عنجهية:
_وبعدين انا كنت مع اخويا بنحل شوية امور وتقدر تروحي تسأليه..
ثم اشار لها ساخرًا:
_وسعي بقى انتي وبطنك دي.. خليني اقوم اخد شاور امشي من هنا قبل ما دماغي تنفجر من عمايلك..
ابتعدت عن حافة الفراش وهي تتطلع لبطنها بعد كلماته بتفكير، فهمست بتوعد:
_ماشي يا عمر.. وربى لاوريك.

انتهى من عقد جرفاته السوداء حول رقبتة، وجذب البرفنيوم الخاص به ليضعه على معصمه، كان يتألق كعادته فحتى وإن كان يعمل بالصخر وسط المجرمين كان يهتم بمظهره، انتهى عدي من ارتداء حذائه وانتصب بوقفته الشامخة ليغادر جناحه، اتجه ليجذب هاتفه عن الشاحن المتصل به، فوجد اكثر من خمسة اتصالات متتالية من صديقه مازن، اعاد زر الاتصال ليجده يجيبه:

_أخيرًا... انا بحاول اكلمك من بدري.

اتاه رده الجاف:

_لسه فاكّر تتصل.. انا اديتك ساعات عشان تجبلي المعلومات اللي طلبتها منك جايلي

بعد ايام وتتكرم باتصالك ده!

اجابه بجديّة تامه:

_عدي الشخص ده مخيف بدرجة ترعب، خافي كل حاجة وراه بشكل مش معقول، وده يخليني اكدلك انه له في الشمال بس على تقيل، رجل اعمال ومعروف زي ده اكيد مش هيهتم بالثغرات اللي وراه بس كونه حريص بالشكل ده يخلينا نتأكد انه وراه مصايب مش مصيبة واحدة... والغريب في الموضوع ان أكثر من حد أكدلي إن مهاب أبو العزم ده راجل كبير وقديم في السوق، بس لما راقبته وشوفته لقيته شاب صغير بتاع 31 سنة وده ميتطابقش مع الكلام والمعلومات اللي جمعتها عنه!

ضيق عسلية عينيه بغموض، فقال بثباتٍ ماكر لا يبرز ما خلفه من تفكير عميق:

_خليك بعيد يا مازن... سبلي انا الموضوع ده.

وانهى اتصاله بكلمة مختصرة:

_هكلمك تاني.. سلام

خرج عدي من غرفته ليجد ابنته تقف امام بابه وعلى ما يبدو بانها كانت بانتظاره منذ فترة، منحها ابتسامة وهو يشير لها بالاقتراب لاحضانه، تعلقت برقبتة حينما رآته ينحني تجاهها، فنهض بها وهي بربت على ظهرها بحنو، رددت برجاءٍ طفيف:

_عشان خاطري يا بابي.. انا نفسي اروح معاهم..

ابعدھا عنه لتقابل صدق خوفه القابع بعينه:

_يا حبييتي انا مش ممانع بس زي ما انتي شايفة اخوكي مشغول.. مين اللي هيروح معاك!

انفلتت بنوبة حارقة من البكاء، وخفضت ساقها عنه، فتركها تنخفض عن ذراعيه، ركضت الصغيرة بعيدًا عنه باكية، فرآها ياسين وسألها بقلق:

_في ايه يا حبييتي؟

لم تجيبه الصغيرة، اكتفت بتلك النظرة المنكسرة اليه وتابعت ركضها تجاه اخيها الذي يبعد عنهما بمسافةٍ ليست بالبعيدة، دنا ياسين من عدي وتساءل بفضول:

_مالها رحمة يا عدي؟

تمعن بالتطلع تجاه ابنه الذي يحتضن شقيقته ويرمقه بنظرةٍ ثائرة، مغتاظة لما تسبب به لشقيقته، تدافعت ذكريات تلك النظرة لذهن عدي ليتذكر كيف كان يجابه اباه بنفسها، كم هي مؤلمة للغاية ان يناطحه المد بالمد وإن تمكن من شرح وجهة نظره الأكثر حكمة منه له سيتفهم الامر، ترى ما الذي فاته هو أيضًا مثلما فات صغيره!

ترى من الصائب أباه أم هو؟!

_عدي!!

أفاق عدي من شروده على هزة يد ابن عمه وهو يعاود بسؤاله:

_في ايه انت مزعل البنت ليه؟

قاطع سؤاله اقترب ابنه يحيى، وهو يخبرهما بتوتر:

_أنا ممكن أطلع الرحلة مع رحمة يا انكل عدي.

جحظت نظرات ياسين الذي تكونت بعقله فكرة عما يحدث عنها، فقال بارتباك:

_رحلة ايه، انت مش اختباراتك كمان اسبوعين!

قال على الفور:

_ايوه.. بس ممكن اخد كتبي واللاب معايا واذاكر هناك.

حانت منه نظرة جانبية تجاه عدي، فدفع ابنه برفق وهو يحثه على الانصراف بطريقة

كوميديّة:

_امشي عند ماما يا حبيبي.

رفض الصغير الانصراف وتابع:

_انا هخلي بالي منها.. حرام دي زعلانة خالص.

صاح به ياسين بغیظ:

_ابوها واقف..الوحش فاكراه!

رمقه عدي بنظرة غاضبة سببها طريقة تعامله مع ابنه العدوانية ففهمها غير ذلك لذا

تابع ببلاهة:

_معرفوش..

وحك رقبتة وهو يهمس له:

_ولد وغلط.. حقه مدفوع.

تجاهله عدي وانتقلت نظراته ليحيى فاخبره ببسمةٍ صغيرة لاحت على شفتيه:

_موافق يا يحيى.. لاني واثق انك هتخلي بالك منها.

تهللت اسارير الصغير الذي غادر تجاه ياسين ورحمة ليخبرهما قرار عدي، بينما تابعه اباه

بصدمة وهو يتساءل ماذا يخطط عدي للانتقام من صغيره!

افاق ياسين تلك المرة على صوت عدي الذي يخبره:

_ياسين... كنت عايز اعرف معلومات عن الصفقات اللي نجح مهاب أبو العزم انه ياخذها.

تلاشت ملامحه المرحّة للجدية التامة، فسأله بريية:

_ليه انت هترجع للشرطة تاني!

نفى ما قاله بشكلٍ غير صريح:

_محتاج للمعلومات دي يا ياسين هتقدر تجبهالي ولا لا؟

اجابه بسلاسة:

_طبعا أقدر.

ابتسم وهو يشير له:

_تعجبني.

وتركه واستدار ليكمل طريقة للمصعد فاذا بجاسم يهرول تجاههم، فخرج صوته متقطع
من بين انقطاع انفاسه:

_في كمين منصوبك تحت يا وحش... البنت كلهم وعمك يحيى رئيس الحزن!
ازدادت ابتسامته الماكرة وهو يردد:

_اتاخروا!!

بالأسفل..

رددت مليكة بنفاذ صبر:

_يعني يوم ما نحتاج نتكلم معاه يتأخر كده؟

اضافت أسيل بنفاذ صبر:

_يمكن مش هينزل النهاردة..

اكدت رحمة عليهم:

_لا انا سايباه بيلبس ونازل!

ردد احمد بشك:

_هو في ايه؟

اضاف رائد بقلق وهو يتناول طعام الفطور:

_تجمعهم على الصبح كده ميظمنش.

تناول معتز الشطيرة التي امامه وهو يضيف:

_عايزين تشتكونا للوحش بدلا من ياسين الجارحي ولا ايه؟

اجابته شروق بخبث:

_يمكن محدش عالم اللي في النفوس.

ضحكت نور وهي تشيح بنظراتها تجاه عمر:

_توقعوا مننا اي حاجة.

انتهت الاحاديث الجانبية حينما هبط عدي بصحبة ياسين وجاسم للأسفل، فقال بمكر:

_خير على الصبح.

اسرعت مليكة بالاقتراب منه وهي تذكره بوعده القاطع:

_وعدتنا انك هترجع بابا وماما قبل عيد جوازهم.. وخلاص مفيش وقت!

جذب مقعده وجلس يتناول طعامه بكبرياء وجمود، والجميع يترقب سماع ما سيقول
وبالاخص الشباب، يرتعب قلوبهم لما يضمرة لهم عدي تلك المرة، فتحرك لسانه اخيرًا

حينما قال:

_وانا لسه عند وعدي... ياسين الجارحي بنفسه هيكون عندكم بكره.. بس المهم تشوفوا

انكل يحيى.
اتجهت نظرات الفتيات جميعًا تجاه يحيى الذي يترأس الطاولة، فقال بخوف مصطنع:
_مش هبلغه اي حاجة..
واتجهت نظراته لعدي فسأله بفضول:
_بس ايه السبب ورا مساعدتك دي يا عدي!
جذب احد ثمار الفاكهة يتناولها بتلذذ قبل ان يجيبه:
_ياسين الجارحي فاكر اني مش هعرف اوصل لمكانه، فحببت اوريه اني لما بحط حاجة
في دماغي بعملها من غير كلام كتير..
واتجهت نظراته لاخته وببسمه خبيثة قال:
_جاهز للرحلة يا عمر؟
ابتلع ريقه برعب وهو يردف:
_قصدك جاهز لهلاكى!
ابتسم يحيى وهو يردد:
_انت مكبر الموضوع ليه!!.. هو موديك لعذرائيل ده أبوك يا حبيبي!
قال وهو يتطلع تجاه اخاه الذي يستكمل طعامه وكأنه ذاهب لقضاء عطلة صيفية:
_مهو الحظ لما يجي على الغلبان يبعثله اب زي ياسين الجارحي واخ زي المفترى اللي
جنبك ده.

الفصل الثامن

تراقص البخار الصاعد من إبريق الشاي الساخن ليمتزج مع رائحة القهوة الشهية، فوق
الطاولة المتحركة التي تتحرك تجاه حديقة القصر الخارجية حيث يقطن أفراد العائلة، لرسم
مخطط متفق عليه لتزين القصر في مهلة قصيرة، أقصاها يومًا كاملًا، فما أن رحل

"عمر" برفقة "عدي" حتى جلسوا يخططون لكل شيء، فنشب بينهم معركة يعهدها كل فريق ينقسم بين الرجال وتاء التأنيث، فما خطط إليه "جاسم" و"رائد" لم ينال إعجابهن، حيث صرحت "رانيا" ساخرة:

_ لا طبعًا فكرة تقليدية ومهروسة أوي!
اكتظم غضب "رائد" من اهانتها لاختياره الدقيق، فأضافت نور:
_ حتى اللون اللي اختاره للبلونات مش حلو.
قذف "جاسم" القلم من يده وهو يناطحهم بغضب:
_ لا بقولكم أيه أنا معنديش خلق للهيل ده.. بقالنا أربع ساعات بنحطلكم خطط وديكورات وكل شوية تطلعنا واحدة بحجة شكل!
هز "رائد" رأسه بنفور:
_ ده لو مشروع كان زمانه اتنفذ أسهل من كده.

راق لمعتز حديثه المتعلق بمجال عمله، فقال بتريث:
_ مكبرين الموضوع والحكاية كلها تتحل في كام بلونة وشمعتين!!
لوت "شروق" شفتيها باستنكار قبل أن تردد:
_ البلونة والشمعتين اللي بتضحك عليا بيهم كل سنة مينفعوش مع ياسين الجارحي يا استاذ معتر!
احتدت عينيه في تأهب لمعركة جدالية قد تنشب هنا، وتساءل:
_ قصدك أيه؟

أنهى "يحيى" المعركة قبل إعلان الدفوف حينما قال:
_ احنا متجمعين عشان ننجز مش نتخانق ونحقق في تفاصيل الخناقة!
استغل "أحمد" ما يحدث ليثبت له بأن عليه الذهاب بعيدًا عن تلك الأجواء، فقال بمكر:
_ شوفت يا عمي.. مخلينا أنا وياسين نسيب الاجتماع المهم ونقعد نتفرج على خناقات البلالين.. خليهم يحلوا موضوع القصر وسبنا نروح احنا نمشي المقر.
شدد على قراره بتصميم:

_ مينفعش يا أحمد.. احنا معناش وقت ولازم نخلص قبل رجوع ياسين.
ونهب عن مقعده ثم تنحنج قبل أن يتلبس رداء الحزم المصطنع:
_ يلا قسموا المهمات عليكم.. وابدأوا عشان تلحقوا تخلصوا قبل رجوع عدي.

وأبعد مقعده للخلف وهو يستعد للمغادرة، فعاد وهو يشير تجاه زوجته، فغمز لها بخبث ومن ثم فرد ذراعه:

_عايزك في موضوع مهم يا ملك.
كبتت ابتسامة كادت بالانفلات منها، فنهضت وهي تشير للفتيات:
_طيب يا بنات شوية ورجعالك.
اتجهوا معًا للقصر الداخلي ونظرات الشباب تفترسهما، حمل "معتز" مقعده البلاستيكي واتجه ليجلس جوار "ياسين" الذي يتابع اباه بنظرة تحمل الدهشة بين طياتها، فانحنى على أذنيه يهمس بصوتٍ كان مسموع للشباب الملتف بمقعدهم من حولهما:
_أبوك مش بيضيع الفرص.. أنا حاسس إنه صغر ٢٠ سنة وابتدى يتعامل على الاساس ده. التف برأسه تجاهه، فمنحه نظرة غاضبة لحديثٍ بدى متشابهًا لابناء أعمامه بالفترة الأخيرة، وكأن قصر آل الجارحي لم يتبقى به سوى أبيه ووالدته، قطع "رائد" الاجواء المشحونة فيما بينهما حينما اقترح:
_طب يا شباب أنا بقول كل مجموعة تزين مكان وهنخلص بإذن الله.
لاح على شفتي جاسم بسمة خبيثة، فقال:
_ادخلوا انتوا ظبطوا القاعة والقصر من جوه وأنا وداليا هنشتغل هنا.
انتصب أحمد بوقفته بمللي اتبع نبرته المتصلبة:
_لا كده مش هنخلص السنادي.. لو كل واحد هيقضيها بالشكل ده فيها كمان اسبوعين..
عشان كده سييلي أنا الطالعة دي أنا بتفسي هقسمكم.

وبالفعل بدأ بتوزيع المهام عليهم، وشمل الفتيات ببعض الامور البسيطة، فأغلبهن يبدو عليهن إرهاب الحمل، فكان بهن رحيماً، نهضوا جميعاً عن مجلس المناقشات الخاصة بهم، وقبل أن يفترقوا اقترب ياسين من أحمد، واستند على كتفه وهو يعدل من حذائه الذي كاد باسقاطه بالمسبح، فسأله باستغراب:
_أمال فين اخوك؟ مختفي من الصبح!
رمش بعينه بذهول وهو يحاول تذكر آخر مرة رآه، فاستدار تجاه الجميع وسألهم بدهشة:
_حد شاف حازم يا شباب؟
كاد أحدهم بالرد عليه ولكن سبقه صوت نسرٍين المستنجد من الاعلى، وهي تردد دون توقف:

_الحقووووونني!

حاوطت بطنها المنتفخ بذراعيها وكأنها ستسقط منها، ولاذت بالفرار حتى إختبأت خلف أحد الستائر، ظنتها ضخمة ولن يكتشف مكانها السري أبدًا، قفز "حازم" من خلفها وصاح بصوتٍ غريب عن طبقة صوته المعتادة:
_أنتي يا بت روحتي فين اطلعي؟!

وحك جبهته بألمٍ شديد وهو يهمس بحيرة:
_هي قالت اسمها أيه؟!

وحينما لم يجدها كاد بالتوجه للردهة الخارجية لجناحه، ولكنه توقف فور رؤيته لهذا الانعكاس الغريب بالمرآة، اقترب "حازم" من المرأة وهو يتمعن فيما يراه بذهول، فكان لا يتضح من الستار سوى بطن منتفخة لجسد غير مرئي، تمددت شفثيه ببسمة شيطانية، فجذب أحد المضارب الخاصة بنظافة الفراش، وتصنع بأنه مازال يبحث عنها وهو يدندن:
_روحتي فين لسه في حوار بينا مخلصش.
وفجأة انقض على الستار، فازاحه وهو يشير لها بالمضرب:
_قفشتك!

ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة بالغة وهي تراقب ما يحمله بيده، فقالت بصعوبة بالحديث والابتسامة المصطنعة تحاول الصمود أمام ما تراه:
_حازم أنا على وش ولادة ومش حمل هزارك السخيف ده.
انكمش وجهه بغضبٍ وصاح بانفعال:
_مهو انتي اللي متعاونة معايا يا اسمك أيه إنتي! قولتلك انتي مين مش راضية
تجاوبيني! وفوق كل ده عارفة اسمي وجايباني في مكان أول مرة أشوفه.
وانحنى تجاه الشرفة وهو يتفحص المكان، ثم عاد ليقف مقابلها بنظراتٍ صدمة، جعلتها تحتضن جنينها بخوفٍ اتبع نبرتها الهامسة:
_أيه!

رمش بعينه عدة مرات وهو يحاول استيعاب ما يحدث، فقال:
_انتني خطفاني في بيتي!!
هزت رأسها بالنفي سريعًا فأكد لها وهو يطرق بالمضرب خلف ظهرها:
_لا أيه.. ده بيتي.
صاحت بألم، وهرولت تجاه المقعد، فلحق بها وهو يسترسل بذهول:
_بس دي مش اوضتي.. أنا اوضتي أصغر من كده بكثير.

ارتفعت نبرته وهو يستكمل باقي جملته:
_يا بجاحتك يا شيخة قاعدة كده عادي.. ماليش أهل يسالوا عليا طول الفترة دي!
اعتصرت رأسها وهي تحاول التفكير فيما أصاب ذاك المعتوه، فحاولت للمرة الاخيرة
الحديث بعاطفة مخادعة علها تستميله:
_حازم يا حبيبي مالك كده النهاردة، انا نسرين حبيبتك ومراتك وزى ما انت شايف حامل

ومش حمل فرهدة الله يسترك يا شيخ تفتكر لحسن أنا مش حمل جري ثاني كده هولد بدري وأنا مش عاملة حسابي.

تعمقت تعابيره باتخاذ الحزم والجدية التي جعلتها تعتقد بأنه عاد لرشده، أو توقف عن مزحه السخيف، فاستندت على حافة المقعد وهي تحاول أن تنظم مجرى تنفسها براحة، فما كان منه الا أن اقترب منها ليعيد ضربها بقوة جعلتها تقفز كالقنفذ وهي تحاول الفرار مجددًا، والاخير يلحق بها ويصيح بصوتٍ كان مسموعًا للجميع بوضوح وخاصة حينما اقتربوا لجناحهم:

_فاكراني اهيل وعبيط يا بت ، حمل أيه وهباب أيه ده أنا لسه متعرف عليك من كام ساعة، وعمال اقول عندها انتفاخ من البطيخة اللي قومت لقيتها لابساها ونايمه برأسها جواها!

ركضت تلك المرة تجاه باب الجناح الرئيسي فما ان فتحته حتى وجدت الشباب قبالتها، فتوسلت لهم بإرهاق:

_انجدوني يا تطلقوني منه وتبقوا كسبتوا فيا ثواب.

انتقلت الأعين تجاه من يركض من خلفها حاملًا للمضرب، وصوته المتحشرح يزعج الآذان: _مفيش حد هيدفغلك فدية فيا.. أنا كفيل أساعد نفسي بنفسي.

هوى المضرب على ذراع "معتز" فجلس على المقعد وهو يرفع ذراعه إليه بألم، انتبه حازم للصحبة المتجمعة في غرفته، فتساءل بخفوت:

_لسه فاكرين تيجوا تنقذوني!

احتضن ياسين مقدمة رأسه وهو يسأله بصبر يحاول التماسه:

_ننقذك من أيه بالضبط؟

اشار على نسرين التي تحتضنها رحمة وتحاول شروق ومليكة تهدئتها، فصاحت به نور بشراسة:

_روح الهي تلتهمك سمكة قرش وتجرجرك على الساحل يا بعيد!

قوس جبينه بغضب:

_أنتي مين ؟

انخفض بصره لبطنها المنتفخة، فصاح بسخط:

_معبية وخاطفة مين انتي الثانية؟

جذبه رائد من تلباب قميصه وهو يصيح به:

_حازم لم نفسك وفوق على الصبح كده.

راقب يديه التي تحيط بملابسه ومن ثم تطلع اليه وهو يردد بتعب:

_أنا شوقتك فين قبل كده.. أنت ظابط صح!

ضحك جاسم بصوته كله ثم قال بسخرية:
_دي بوادر كارثة جديدة.. حازم دايمًا بيستغل الوقت المهم لصالح مصاييه.
أغلق عينيه بتعبٍ واحتضن أنفه، ثم قال وهو يعتصر ذكرياته:
_أنا آخر حاجة فاكرها اللودر اللي جبت فيه.
وفتح عينيه وهو يشير لهم على اثر الكدمة:
_حتى بصوا كده.
وفجأة سلطت عينيه على أخيه الذي يراقبه بملل ونفاذ صبر، وقبل أن ينطق لسانه طالته
لكمة أخرى في نفس الموضع، جعلته يترنج على ذراع معتز وجاسم، فدفعوه للنهوض
مجددًا، تصلب جسده وبالأخص وجهه، فأغلق عينيه ثم اعاده ويده تعدل من وجهه، فمال
بجسده مجددًا على صدره، ورفع رأسه تجاه وجه أحمد وهو يخبره بغیظ:
_في نفس المكان.. في نفس المكان!!!
تراجع أحمد للخلف وتركه يسقط أرضًا، ثم اتجه للخروج وهو يشير لجاسم:
_هاته.. هيساعدنا في حاجات كثيرة.
أحنى رأسه بتسليية:
_تحت أمر معاليك.
غادر احمد للاسفل، بينما انحنى ياسين بجسده تجاه حازم الممدد ارضًا وبابتسامة خبيثة
قال:
_اتمنى تكون ذاكرتك رجعتك يا حازم.
رفع إصبعه يشير له بإعجابٍ وتأکید صريح لعودة ذاكرته دون أن يلجئ أحدهم لمعاونته
للتذكر، فجذبه جاسم وهو يشير له ساخرًا:
_طب سند ياخويا.
استند على ذراعه واتجه للمغادرة، فحانت منه نظرة لمن تلتف الفتيات حولها، فقالت
بانفاسٍ متقطعة لما بذلته من مجهودٍ:
_مش عايزة أكثر من إن ربنا يهد حيلك زي ما هدتني..
منحها نظرة حزينة، قبل أن يناديهما بنديم:
_حقك عليا يا سوسو....انتشاليني من الضباع أنا ليا حق عليكى!
جذبه معتز بقوةٍ ومن ثم أغلق الباب من خلفه، فانفجرت الفتيات ضحك، خاصة رحمة،
سالت دمعاتها من فرط الضحك واخبرتهم بصعوبة:
_صعب عليا والله.
ردت عليها نسرین بحنق:
_يستاهل اسكتي..

خلعت "مليكة" حجابها ثم بدأت تعدله بإتقان أمام المرأة قبل أن تضيف:
_كده هنتأخر يا بنات.. يلا

بمكان بعيد عن أجواء محبة قصر آل الجارحي.
شقت ابتسامة مرعبة على وجه الشيطان بحد ذاته، لما استمع إليه من اقتراح من رجله الهام، الذي يعده ذراعه الأيمن، لذا أراد أن يمنحه الجواب الأمثل لسؤاله، فقال:
_تحب تلعب؟

ابتلع ريقه المتحجر بصعوبة بالغة، فهو يعلم هوسه المريض بقتل ضحاياه بألعاب مخيفة، فحاول جاهداً رسم بسمة لم تجدي نفعا بظهورها، وهو يجبر لسانه على الحديث:
_بلاش يا باشا أنا آ...

انقطعت باقي كلماته حينما وجد نظرة كادت بسلخ جلده بعيداً عن جسده، فتراجع للخلف بخطواتٍ مرتعشة حتى مال بجسده على الحائط الأصفر المخصص للعبته المعتادة، عصب عينيه بغمامة سوداء ثم جذب بعض من السكاكين الصغيرة الشبيهة بالشوك الحاد، وأخذ يسدد حول جسده بعشوائيةٍ دون أن يرى هدفه، فاخرقت اثنتان من الشوك جلد ذراعيه، والأخرى ساقه، فصرخ ألماً ولم يجراً عن التنحي جانباً، فهو أعلم بشروط لعبته الحقيرة، إن تنحى جانباً يعني هلاكه وموته السريع، أزاح الغمامة عن عينيه، وحده بنظرة مستمتعة لما ناله من إصاباتٍ لا بأس بها كعقابٍ بعدما اقترح عليه أن يقتل "عدي" بنفسه ويريقه من وضع تلك الخطط التي تستنذفه، جذب آخر شوكة موضوعة على الطاولة الحديدية، ودنا منه وهو يردد بغموضٍ مقبض:

_كان ممكن دي تكون في قلبك.. بس أنا محبتش أريحك بسهولة، حبيت انك تتألم وتحس بجروح رجلك وايدك الاول، وده معناها ان الاستمتاع الحقيقي انك تعذب ضحيتك قبل ما تمنحها السلام الابدي.

احتقنت عينيه بذاكرياتٍ جعلتها تموج احمراراً، فزاد من ضغط اصابعه حول الشوكة حتى نزفت يده بجرح عميق:

_واللي عمله عدي فيا عقابه مش هيطوله هو بس... هو وعيلته وكل اللي بيعجبهم.. أنا هدمره وهدمر أي شيء بيستمد منه القوة والسلطة وبالأخص ابوه اللي شايف نفسه بيه!

انقسمت المهام بين الشباب، فكان من نصيب ياسين ورائد تزين وجهة القصر، ومهام جاسم وحازم تزين القاعة الداخلية، بينما أحمد ومعتز تزين الردهة الرئيسية، حتى الفتيات تقاسمن بما سيفعلن، فزينت نور ومليكة الدرج، بينما قامت شروق ورانيا بتغليف المقاعد بالاشربة البيضاء التي تتناسق مع لون البلالونات، أما نسرين ورحمة فكانوا يعدن الكعكة

الشهية بإتقان، حتى أسيل وداليا نسقوا الردهة بمساعدة الخدم بحمل أغلب الاساس حتى لا يظل بها سوى المقاعد والطاولة الضخمة، كان الهدوء يخيم على الاجواء، الجميع يعمل بتمعن وتركيز، صدى الدبوس الصغير قد يصدر جلبه مع تلك السكينة، وكعادته يأبى الانسجام مع تلك الاجواء، فكان سريع للغاية باتخاذ فعل مخالف، حينما القى ما يحمله من البالون وهو يصيح بمن يعلو الدرج الخشبي:
_يا عم قرفتني.. انت بتعمل آيه فوق كل ده... ده أنا ناولتك بالونات تكفي الجدار كله بتأكلها ولا آيه!

هبط جاسم درجة، ليتمكن من رؤيته جيدًا واقترح ساخراً:
_ما تطلع تشتغل بدالي بدل طولة لسانك دي!
أجابه حازم بكل غرور:
_أنزل وأنا اوريك أحلى شغل.

ابتسامة عريضة، ماكرة، تملكته، فهبط وهو يشير له بالصعود، صعد حازم الدرج بعنجهية، وكأنه يصعد سلم المجد، ثم التقط البالون منه وحاول أن يلصقها جوار الاخرى مثلما كان يفعل جاسم، تقطب العرق على جبينه وهو يحاول التمدد بعيدًا عن الدرج ليصل لها، فكان يظن إنه إن كان أقصر من جاسم قليلًا لن تعيقه أي مشكلة بوجود الدرج، انحنى حازم أبعد عن نطاقه المسموح فاهتز الدرج به حتى تمايل جانبًا، تشبث حازم بالعمود الذي يقابله لينجو من سقوط الدرج المهلك، وصاح بألم سرى بذراعيه التي تتعلق بحافة الاعمدة الحاد:

_الحقني يا جاسم.. هات السلم هنا بسرعة.
قهقهه عاليًا وهو يحاول التماسك ليجذب الدرج الخشبي، ولكن رؤيته معلق هكذا ذكرته بالقرد الذي يتشبث بأحد فروع الأشجار الهاشة، ثم يلقي مصيره المحتوم، قرب جاسم الدرج وحازم مازال يحاول وضع قدمه على أحد درجاته بينما الاخير يكاد يسقط أرضًا من فرط ضحكاته، فزم حازم شفثيه ساخطًا منه:
_ساعدني يا أخي على الأقل.. آيه شايف ارجوز برجواني بيتنطط قدامك!
كبت ضحكاته أخيرًا وأشار له بغرور:
_متقلقش أنا هتصرف.

صعد جاسم الدرج حتى وصل إليه، وعاوناه على الصعود على كتفيه، فوضع ساقيه من حول رقبتة، تعلق حازم برأسه حتى احتضن جبهته فمنع عنه الرؤيا، فصرخ به جاسم:
_هشوف ازاي بايدك دي، والله ارميك من هنا وأخلص.
ابعد يده عن عينيه فتابع الهبوط حتى وصل للاركة فقفزه بعيدًا عنه والاخير يحيه ببسمة واسعة:.

_الف شكر يا عمهم.
استند الاخير بيده على الدرج وهو يشير له بخبث:
_ها حابب تكمل ولا؟
_توبت يا باشا اتفضل.
قالها وهو يفسح له المجال، فصعد جاسم وهو يمنحه نظرة استحقار ورضا، غلت الدماء بعروق الاخير،فانتظر حتى صعد وبدأ بعمله، وانحنى بيده تجاهه وهو يناديه:
_فين بقية البلاين يا حازم.. انجز.
امسك باحد البالونات واحتضن جبهته وهو يتصنع شعواره بالدوار، فأخبره بتعب مصطنع:
_شكلي هيغمن عليا ولا آيه!
واندفع بثقله تجاه الدرج حتى اسقطه بين زواياه أرضًا، فانطبعت معالم وجه جاسم على أرضية القصر بحرافية ريشة فنان مبتكر، تعالت ضحكات حازم وأسرع تجاهه وهو يردد
بمكر:
_يا عيني عليك يا ابني.. طمني عليك مستقبل العيلة بخير ولا في ذمة الله؟
ما أن اقترب منه حتى عركل جاسم قدميه ليصبح هو من يحتضن الارض والاخير يحاصره من الاعلى، يكيل له اللكمات وهو يصيح بعصبية:

_بتلعب مع واحد متهور.. قولتلك الف مرة تجنبني.. ولا أنت مستبيع عمرك؟
أشار له بلا، فعاد ليلكمه من جديد، ولم يتوقف الا حينما وجد أحمد يستند على الدرج المائل وهو يتابعهما بملل ونظرة باءت بالكثير، فنهضوا معًا وكلا منهما يعدل من ملابسه، لجئ حازم لخداعه الذي كان يجدي نفعًا مع أخاه بالماضي فقال:
_شايف بيعاملوا اخوك ازاى.
رفع احد حاجبيه ساخرًا من طريقته المملة، فتجاهله واتجهت نظراته لجاسم ومن ثم قال
برزانة:
_اسحب منه المنفاخ خليه ينقطع نفسه وهو بينفخ البلاين.
ضحك بشماتة وهو يسحب المنفاخ بكل سرور:
_عنيا يا باشا.
جحظت عين حازم بصدمة، فهمس له جاسم:
_عملت ايه فيه.. ده كان أطيب واحد فينا قلبته هو كمان ربنا ينتقم من الظالم.
استدار اليه وهو يشير له بحق:
_هينتقم من الظالمة أمثالكم بإذن الله.
رفع إليه الكيس البلاستيكي وهو يأمره بمكر:
_طب انفخ يا حبيبي..

التقط منه البالونات وأخذ يعيد نفخهم حتى انقلب لون وجهه للاصفرار، تسلل لمسمع حازم صوت ضحكات مكبوتة، فالتفت ناحية باب القصر الداخلي، فوجد أحد الحراس يتبع "عثمان" للداخل، وكلا منهما حاملاً كرتون ضخمة، اقتربوا من ياسين فأشار له عثمان كبير حرس آل الجارحي، بوضع الكرتون والانصراف، فوضعه وكاد بالمغادرة، فوقفه حازم وهو يناديه بغضب:
_تعالى تعالى.

وحاول وضع يده حول كتفيه ولكنه لم ينجح فقال:
_انزل شوية.

اخفض الحارس جسده قليلاً ومازال يكبت ضحكاته على منظر حازم وهو يفعل ما بوسعه لنفخ البالون حتى كاد بأن يتقيء خلفه، فأشار له بجلب احد المقاعد ثم جلس واضعاً قدمًا فوق الاخرى وهو يشير له بحزم:
_بقى أنت بتضحك عليا.. طب ورحمة جدي عثمان لاعرفك مقامك.

وأشار للكيس البلاستيكي الموضوع جانباً:
_انفخ يا وحش لما نشوف طاقتك.

توسعت نظرات الحارس بدهشة، هل خاض الكثير من التمارين والرياضة المرهقة لينتهي به الأمر بنفخ البالونات! ، ومع ذلك بدأ بتنفيذ ما قاله، بينما يرتشف حازم عصيره وهو يتابعه، انهى عثمان عمله بالداخل بعدما سلم ياسين بنفسه الشحن الذي قامت الفتيات بطلبه، وحينما كان بطريق عودته لمح رجله ينفخ البالونات بجوار حازم، فاقترب منه وهو يسأله باستغراب:

_بتعمل أيه هنا أنا مش قولتلك اطلع على البوابة!
اتاه الرد من خلفه يجيبه:

_أنا اللي قولتله يفضل عندك مانع يا عثمان.
استدار عثمان للخلف وهو يحاول التماس هدوئه بعيداً عن الابتسامة التي تلاعبه، فقال:
_لا طبعًا يا حازم باشا زي ما تحب.

أشار له حازم بالاقتراب، فلف كتفه حوله وهو يجبره على الخروج معه، وقبل أن يترك الردهة استدار فجأة وهو يشير للحارس بصرامة:
_كمل نفخ.. شوية وراجعالك.

هز رأسه بطاعة، بينما عثمان يترقب ما سيقول حازم، فخرج معه للحديقة الخارجية ثم قال:

_طبعًا انت عارف إنك غالي عليا يا عثمان صح؟
بدأت علامات التوتر تجوب وجهه ومع ذلك هز رأسه فقال الاخير:

_وعارف ان اخويا وولاد عمي مفتريين وزى ما شوفت خلاوني مسخرة بنفخ البلالين وأنا
عشان واثق فيك فمش هأذيك لاني عارف ومتأكد انك مستحيل هتتكلم بس لازم ناخد
قرار مصيري بالنسبة للاخ اللي بينفخ البالونات جوه ده.
حك عثمان وجهه بتخبط وهو يحاول جاهدًا بفهم ما يود قوله، فوقف حازم قبلته واستدار
يأمن الطريق من حوله قبل أن يخبره:
_لازم تقتله قبل ما يفضحني للحرس اللي بره.. ما أنا مش هقدر اطلع وادخل وهما
شايفني نفاخ بلالين!
صعق مما استمع اليه وبدى عليه عدم تمكنه من فهم الالغاز الحادثة هنا، فردد باسترابة:
_أقتل مين يا باشا؟
اجابه ببساطة:
_الواد اللي جوه ده عشان ميتكلمش.

همس بصوت لم يكن مسموع:
_يا مثبت العقل والدين يا رب.
وبابتسامة عملية قال:
_مفيش داعي اننا نقتله يا باشا.. متقلقش رجالتى آمان محدش فيهم هيفتح بوقه.
تساءل بشك:
_على ضمانتك يا عثمان.
ضحك رغماً عنه:
_على ضمانتي يا باشا.
شعر بالارتياح.. وقال ببسمة واسعة:
_حيث كده بقا ابعتلي طقم الحرس كله ينفخ البلالين لاني نفسي انقطع..
ضيّق عينيه بصدمة:
_نعم!
أشار له بجديّة:
_ابعتهم وانا شغل كثير واقف انت على البوابة النهاردة يا عم... هما ليهم شغلة غير
الواقفة والمرقعة وقبض كل شهر اد كده.. خليهـم يعملوا بلقمتهم.
هز رأسه وهو يتصنع محبته الزائدة وطاعته:
_اللي تؤمر بيه..
_متعملش الهبل اللي بيقول عليه! روح شوف شغلك انت يا عثمان.
كلمات حازمة تحررت على لسان رائد، فهز عثمان رأسه وهو يجيبه:
_تحت أمرك يا باشا.

زفر حازم بضيق:
_انت كمان بتتدخل في قرارتي ليه.
منحه رائد ابتسامة تخفي نفاذ صبر عظيم ثم قال:
_انا عايز مصلحتك.. فكك من اخوك وتعالى زين معانا الحديقة في الهوا الطلق.
القى باقي البلونات عن يده وهو يلحق به ببسمة عريضة:
_ايوه كده أفضل... شوف الناس اللي بتفهم بالذوق مش زي ولاد عمك ال..
كمم رائد فمه سريعًا وهو يهمس جوار اذنيه:

_بلاش.. انت مش حمل عواقب تانية.. صح؟
هز رأسه بالتأكيد، فعدل من ملابسه وهو يثني عليه:
_شاطر... تعالى ورايا.

بالداخل.
تفحصت "أسيل" الاغراض بحرص، فرددت ببسمة رقيقة:
_الحمد لله كله تمام..
تساءلت مليكة:
_جابوا الشموع اللي طلبتها؟
جذبتها إليها:
_ايوه أهى.. بصراحة عندك حق شكلهم شياكة..
جذبتها منها مليكة، ثم قالت:
_هروح اديهم لرحمة عشان تحطهم على الجاتو.
أومات برأسها إليها، فغادرت وتبقت أسيل تتفحص باقي الاغراض، فاستغل أحمد بقائهما بمفردهما واقترب وهو يتطلع لما تفعله فجر مشاكستها:
_طلبتي حاجة معاكي؟
وضعت يدها على صدرها وهي تهمس بخفوت:
_خضتني يا أحمد.
غمز لها بخبث:
_سلامة قلبك وقلبي من الخضة يا روح قلبي..
ابتسمت وهي تشير له بخبث:
_حبيبي جيت بالوقت المناسب.
تطلع خلفه قبل أن يجذب خصرها إليه، وبشوق جعله أسيرًا لتأمل حدقتها قال:
_نفسى مرة تستغليني صح.. بعيدًا عن المصالح.. يعني لو مصالح مشتركة وخاصة بينا

الموضوع ييفرق.

ابتسمت وهي تبعده عنها، ثم وضعت على الطاولة بعض الشطائر والعلب المنفردة،
وناولته بعض الفواكه وهي تخبره:

_الاولاد زمانهم على وصول ومحدث فينا فاضي يعمل غدا.. فانا وانت هنعملهم واجبة
صحية خفيفة بدل ما يطلبوا أكل من برة.
زم شفتيه بحزن، وجذب أحد العلب ثم بدأ يملأها بالطعام وهو يردد على مضض:
_قولتك بتستغليني غلط!

انقضت ساعات النهار بمشقة على الجميع، وحينما اسدل الليل ستاره المظلم استلقى
الشباب محلهم، فتمددوا أسفل الدرج بانهاكٍ شديد، وحينما خرجت الفتيات من المطبخ
بعدها وضعوا الكعك والأطعمة بالبراد، فتفاجئوا بهم ممدودن على الأرنك والأغلب على
الدرج، ضحكت نور وهي تشير عليهم:

_شوفتوا الشقى بيعمل أيه؟ بتخيل حالهم لو شغالين في السراميك أو الحدادة كان
زمانهم اتطردوا من أول يوم.

شاركتها رحمة مازحة:

_بيننا نطلع المهمة دي تبعهم مش تباعنا.

استندت نور على يد رحمة وغادورا بالمصعد للأعلى، بينما وزعت الفتيات نظراتها فيما
بينهن البعض ومن ثم افترقتا وكل منهن تحاول إيقاظ زوجها، اتجهت شروق تجاه الممدد
على الأريكة، هزته برفق وهي تناديه:

_رائد..قوم نطلع فوق..

لم يجيبها وكأنه بكوكب آخر لا يسمع حتى ندائها، فأشارت للفتيات باستسلام بعد محاولة
أخرى، رددت داليا بسخرية:

_بداية مبشرة... لما أشوف حظي هيكون شكله أيه؟

واتجهت لزوجها الغافل لجواره على نفس الاركة فحركته وهي تهمس له:

_جاسم..

انتظرته يجيبها، ولكنه لم يأتها بالرد، فصرخت به:

_قووووم بقا يا جاسم الله.

بدأ بفتح عينيه وهو يجاهد بالنهوض، وحينما فشل قال:

_عايزة مني أيه سبيني هنا أفضل أنتي مش راضية تلبسي القميص اللي آآ.

كملت داليا فمه وهي تردد بحرج:

_يخربيتك هتفضحنا... قوم وانا هلبس اللي أنت عايزه.

منحها ابتسامة شيطانية وحاول الاستناد على ذراعيها، فما ان نهض حتى همس لها
بإرهاق:
_انتى فاكرة كلامك؟

أومأت برأسها بعدم فهم، فقال وهو يتمدد جوار رائد من جديد:
_هطالبك بيه بكره.. أطلعي نامى وللحديث بقية.
راقبته بصدمة وهي تردد للفتيات الضاحكات:
_دبست نفسي على الفاضى!
طلت مريم على الدرج وهى تنادى والدتها بنوم:
_يلا يا مامى أنا مش عارفة أناام لا أنا ولا أسر.
اشارت لها رانيا بتعب:
_حاضر يا مريومة جاية.
ثم تطلعت لداليا وقالت:
_بيننا نطلع يا داليا هما مستحيل يصحوا.
أومأت برأسها ولحقت بها للأعلى، فاتبعتهما نسرين، توقفت رانيا عن الصعود وسألتها
بمرح:
_أيه يا بنتى واخداها من أصرها من غير ما حتى تحاولي تصحيه.
استكملت طريقها للأعلى، وهى تلوح لهم:
_أنا لسه بتعافى من اللي عمله فى الصبح.. تصبحوا على خير..
تعالت ضحكاتها وهي تشير لها:
_وانتى من أهل الخير يا روى.
غادت الفتيات لغرفهم حتى شروق ايقنت بأنها من المستحيل أن تجعل معتز يثق من
نومه الثقيل، وتبقت آسيل ومليكة بالاسفل، فتساءلت آسيل بحيرة:
_هنعمل آيه نطلع ولا آيه؟
أجابتها مليكة بعد تفكير:
_نحاول مرة مش هنخسر حاجة.
على الفور بدأت آسيل بإيقاظ أحمد الغافل على أحد المقاعد، فما أن نادته حتى ردد
ومازالت عينيه مغلقة:
_اطلعي ارتاحى يا آسيل أنا هفضل هنا عشان لسه فى شوية حاجات هنعملها الصبح أنا
وياسين..
ربتت على يده وهي تخبره:
_طب هبعثلك غطا.

منحها ابتسامة صغيرة قبل ان يسترخى لنومه مجددًا..
انحنت مليكة تجاه ياسين، فنادته من على بعدٍ خشية من أن يرتكب فعل يجعلها ترتدي
لباس الحرج:
_أبو يحيى.
اتاها صوته الساخر يردد:

_اطلعي يام يحيى معاهم انا صاحي من أول محاولة فاشلة ليكم.. اطلعي..
هزت رأسها وصعدت خلف آسيل بنوم جعل الجميع يغفو باكراً على غير العادة!

صوت بوق السيارة المصفوفة بباحة القصر الخارجي بالصبح لم يكن مسموعًا للشباب،
هبط "عدي" و"عمر"، واتجهوا معًا للداخل، دفع "عمر" باب القصر فتفاجئ بابناء أعمامه
بالداخل، استدار لعدي الذي يعبث بهاتفه وهو يناديه بدهشة:
_عدي!

تطلع لما يراه أخيه باهتمامٍ، فوجد الشباب بأكملهم بالأسفل، اتجه عمر لايقاظهم بينما
صعد عدي للأعلى بغموض يود أن ينتهي منه في تلك اللحظة.

اجتمعوا حول عمر، وكان أول اسئلتهم عن ياسين الجارحي وعدم عودته، لذا انتهى من
الجدال والأسئلة التي تسببت له بالصداع منذ الصباح وقال:
_بابا وماما رجعوا معانا بس بابا طلب منا نرجع القصر وقال انه هيجصلنا.
بدى الغموض سيد الموقف بين الجميع، فقالت مليكة بحزن:
_يعني بعد ما قدرنا نوصلهم ونرجعهم مصر اختفوا ثاني!
اكد لها عمر:

_لا يا مليكة راجعين ثاني.. اللي فهمته انها مسألة ساعتين أو أكثر.
واستأن بالانصراف ليبدل ملابسه، بينما تابع جاسم ومعتز باقي العمل..

بالأعلى..

ولج عدي لغرفة ابنه، فوجده مازال نائمًا على فراشه، جذب أحد المقاعد وقربها من فراشه،
ثم جلس يترقب لحظة استيقاظه دون رغبة منه بإيقاظه هو، ظل لجواره لساعة ونصف
كاملة ولم يمل على غير عادته، كان يتأمل به شيءٍ من الريبة والخوف، هناك الكثير من
المعارك التي تعلن دفوفها بداخله، وكل معركة فيهم أصعب من التي تنافسها، انتهت
مشقته حينما فتح ياسين الصغير عينيه، فوجد أباه يجلس قبالة، اتكأ بيده على فراشه
وهو يفرك عينيه بنومٍ:

_بابا.. حضرتك رجعت امته؟
ظل صامتًا لبرهةٍ قصيرة قبل أن يجيبه بمكر:
_ياسين الجارحي مبلغكش اننا رجعين من رحلة اليخت ولا ملحقش..
ارتبك الصغير أمام أباه وقال:
_لا.. معرفتش..

هز رأسه والابتسامة الغامضة تتحكم بشفتيه، ولاذ بفترة صمت مجددًا قبل أن بمزقها بقوله:
_ياسين انت ابني، يعني بعيدًا ان إنك المفروض تكون في صفي بس على الأقل متخالفش تربيتك ولا شخصك عشان أي حد.
ضيق عسلية عينيه بعدم فهم، فأخبره عدي بشكل مباشر:
_ياسين أنت دخلت مكتبي وسمحت لنفسك تدور في أوراقى وتبلغ ياسين الجارحي باللى يخص شغلى!
اعتدل الصغير بجلسته، وهو يراقب انفعالات أبيه الباردة عكس ما يوحى به حديثه، وخاصة حينما استرسل ساخرًا:
_هو ده اللي بيحاول يربيك ويزرعه فيك!
خرج الصغير عن صمته الطبيعى لطفل قد يوضع بمثل هذا الموقف وصعقه برده الرزين:
_حضرتك من اول ما بدأت تتكلم حطيت افتراضات طبيعية بين الاب وابنه، بس السؤال هنا ليه أنت معندكش نفس الميول دي.. يعني شايف انى لازم أكون مع حضرتك ضده ومش شايف إنك المفروض تعيد حساباتك فى علاقتك اللى بينك وبينه.
رد عليه بعصبية خرجت عنه:
_قولتلك الف مرة متدخلش فى الموضوع ده.
نهض عن فراشه واقترب ليكون على مقربة منه، وردد بحزن:
_مممكن يكون تصرفى غلط وأنا عارف ده.. بس انا قبلت اعمل كده لانى واثق فى جدى وعارف إن أكيد فى مغزى قوى للى بيعمله وبالأخص باللى بيطلبه منى أو من غيرى...
بس للأسف الثقة دي مش عندك تجاهه.. عن إذن حضرتك.
تركه الصغير متخبطًا فيما قاله، وغادر للحمام غرفته، خرج عدي من غرفته وعقله بات مشتتًا عن ذي قبل، وأقسم بأن أباه قد جعل من ابنه شخصًا لا يرى سواه هو!

بالطابق العلوي وبالأخص غرفة حمزة.
حاول أحمد بشتى الطرق أن يجعل أبيه يتراجع عن قراره الغريب، فقال برجاء:

_الله يخليك يا بابا بلاش، حازم غبي ومش هيعرف يعملك اللي أنت عايزه..
احتدت نظرات "حازم"، فمنح أخيه نظرة شرسة قبل أن يجيبه:
_وأنت مالك أنت، حاشر نفسك بين الأب وابنه ليه، أما أنت انسان مستفز بشكل يا جدع..
لكزه" أحمد" بغضب، فرفع حمزة المنشفة عن وجهه ثم قال بضيق شديد:
_انتوا متعرفوش تعملوا حاجة في حياتكم غير الخناق، حتى في يوم مهم زي ده، مش
فاضل على وصول ياسين الحفلة غير ساعة واحدة بس ده اللي هتكجولوني وتظبطوني!
رفع حازم غطاء الرأس عن حمزة ثم قال بابتسامة واسعة:
_متقلقش يا حاج الصبغة دي هتصغرك ولو ثلاثين سنة وهتخلي تالي تعجب بيك جدًا
النهاردة..

اتسعت ابتسامة حمزة وهو يشير له بغرور:
_وهو ده المطلوب يا فهمني انت، سيبك من أحمد اخوك ده قالب على عمك ياسين
اليومين دول ودماغه صعب تتماشى معاها، اشتغل بتركيز وفكك منه.

كبت أحمد غيظه فقال من بين اصطكاك اسنانه:
_خليك فاكرا اني قولتلك بلاش..
وجذب احد المجلات يلهي ذاته بقراءتها لحين ان ينتهي حازم من كارثته الجديدة، فما كان
منه الا سماع صراخ عاصف بعد اقل من ساعة، فرفع المجلة عنه ليجد أبيه يجذب حازم
من قميصه كاللص الذي يتسلل لسرقة الملابس من أعلى المنازل، ونبراته يعكسها
الصدمة والحيرة:

_أيه اللي هيبته ده يا حيوان، صبغلي شعري بالاحمر ليه هيفاء وهبي!
ضحك أحمد وهو يتطلع لابيه وحينما يحاول التغلب على ضحكاته تزداد الامور سوءا كلما
لمحته عينيه، فصاح حازم بخوف:
_انت مش فاهم حاجه في الموضة يا حاج ده بني محروق وشيك اوي عليك مخليك جنتل
وقمور... ما تتكلم يا احمد الله يحرقك..
جاهد احمد للحديث فقال من وسط ضحكاته:
_انت متأكد ان ده بني!

ردد بهمس ساخر:
_انما الاعمال بالنيات يا ابني.
ثم هرع من بين يد أبيه والآخر يركض خلفه حاملا عمود النور الذي يضيء الغرفة، فولج
لغرفة الشباب ليصيح برعب:
_الحق—وني...
رفع ياسين الاستشوار عنه ثم تساءل بقلق:

_ عملت ايه المرادي يا وش الغراب...
اجابه رائد بضيق وهو يتناول طبق الفاكهة:
_ هو احنا هنخلص من بلاويه السوداء مش كفايا جاسم اللي لسه مخلصينه من تحت ايده
بصعوبة
بينما ردد عمر باستياء:
_ حازم انا النهاردة سعيد ومش عايز حاجة تعكر مودي وبصراحة وشك ببعضبني..
ضحك جاسم ثم قال:
_ لو المصيبة ينفع تتاجل أجلها النهاردة يوم مميز ومش عايزين حاجة تنكد علينا، اقولك
اطلع لعدي فوق يحل الموضوع واهو لو خلص عليك تبقى اتحلت من عند ربنا..
تعالى ضحكات معتز ، بينما صعق الجميع حينما ولج حمزة من خلفه، وهو يصيح بغضب:
_والله لاقتلك يا كلب...خد هنا..
هرول حازم تجاه الباب الخارجي ولكنه تراجع عدة خطوات للخلف برعبٍ، جعل من خلفه
يغلبهم الضحك والصدمة بأن واحد حينما ظهر من امامهما ياسين الجارحي!

الفصل التاسع

ارتبك الجميع في حضرته، وكأن هالته تصنع فجوة تلتهم من حوله، الصمت أحيانًا لا يعد خوفًا ممن أمامك، ربما هو وقار وامتنان لهيبة ذلك الرجل ذو النظرات الصارمة التي تنجح بخلق أجواء مضطربة للجميع، وكأنه يخلق نظام عسكري نجح بتأسيس تلك القواعد داخل قصره الخاص، ذاك الصمت قطعه صوت صديق الطفولة والمقرب إليه حينما رحب به

بكل حب وبهجة:

_حمدلله على السلامة.

سحب نظراته عن عدي الذي يراقبه بنظرة نجح بفهم سبب ما يجول بعقله وخاصة بأن حديثهما الاخير عن تولي ادارة الصفقتين لم يكن بعيدًا، واتجه ليحيى فقال بثبات:

_اتمنى ميكنش ناقصكم حاجة.

ابتسم الاخير وهو يردد:

_ناقصنا طبعًا وجودك.

منحه ابتسامة هادئة قبل أن يستكمل طريقه للمقعد الأسود، استرخى بجلوسه عليه وعينيه تتنقل بخفة بين حمزة وحازم، فقال بتريث:

_مش ناوي تعقل يا حمزة؟

تلقائيًا رفع يده يتحسس بها شعره وكأنه يحمل كارثة ملموسة، فاندفع بما يضيق ب صدره حينما قال:

_كويس انك رجعت يابو عدي يا غالي، عشان انا في غيابك بتبهدل من الغبي ده.. قولتله يصبغ شعري لون يصغرني راح محولني لهيفا!

فشل الشباب بالسيطرة على نوبة ضحكاتهم بالرغم من وجود ياسين حتى يحيى ضحك بصوت مسموع، فاتخذ حمزة برهانه الأكيد:

_شوفت يا ياسين بيتريقوا عليا ازاى!

حانت منه نظرة جانبية تجاههم، فكفوا جميعًا عن الضحك ومن ثم اتجهت لمن يقف يرتعد كأنه يرتدي معكب هائل من الثلج، وراح يردد بخوف:

_النية كانت بني محروق النتيجة مكنتش في الخطة.. بس أنا أوعد حضرتك اني هجتهد

وهجوله لنفس للاسود أو للونه الابيض عشان يتلم آآ أقصد عشان يديله وقار كده.
قطع تلك الأجواء المربكة صرخة نور الحماسية وهي تردد:
_أنكل ياسين رجع يا بنات.

وفي ثوان معدودة تراصت الفتيات بالأسفل من حوله بفرحة جعلته يبتسم بمحبة لم
يشعر بها فور تجمع الشباب بأكملهم، نقاط ضعفه تكمن ببنااته أولًا وبمن هبط يناديه
بشوق:
_جدوا!

تلقائيًا فتح ذراعيه لمن هرول إليه يضمه بشوق وهو يردد:
_القصر مالوش معنى من غير حضرتك.. أنا كنت بعد الأيام عشان أشوفك تاني.
حده عدي بطرف عنيه بنظرة حزينة، ثمة مشاعر غيرة تفور بداخله، فحينما يغيب لشهور
عن القصر لم يحظى بمثل تلك المشاعر التي ينعم بها أبيه من ابنه الصغير، بالرغم من
جمود ياسين الجارحي وصرامته كيف تمكن من كسب قلب صغيره بمثل تلك الدرجة؟!
راقبهما باهتمام وإن بدى انشغاله بالتطلع للفراغ، ولكنه كان يتلصص لسماع ما يحدث
بينهما باهمية، جابت عينيه القاعة وهو يبحث عن والدته، فكاد بالسؤال عنها ولكن سبقته
رحمة حينما تساءلت:
_فين ماما آية؟

ربت ياسين بيده على حجابها وهو يشاكسها بلطف:
_يعني مش فرحانة برجوعي وهمك آية أكثر مني!
شعرت بالحرج قليلًا، وأسرعت بالحديث:
_لا طبعًا احنا كلنا كنا بننتظر رجوع حضرتك.. بس انا استغربت لما مش لقيتها مع
حضرتك.

أشار لها بتفهم، ثم قال بثبات:
_آية بره مع رعد ودينا.
صاحت داليا بحمايس:
_أيه ده؟ بابي ومامي رجعوا!
وقبل أن تتجه للخارج وجودتهما في طريقهما إليهم، يبدو أن اليوم بات مميزًا بعودة أغلب
أفراد العائلة!

بالخارج..

كانت تتبع شقيقتها للداخل، ولكنها توقفت عن المضي قدمًا وراقبت الدرج الخارجي للقصر بابتسامةٍ حالمة، لا تنكر بأن تلك الرحلة القصيرة ستظل محفورة داخل قلبها قبل أن تختتم بذاكرتها، مازالت تتذكر الطريقة التي اصطحبها بها لقضاء تلك الرحلة بالرغم من انها كانت تظن نفسها تتوهم، مازالت تتذكر كيف اعتنى بها طوال تلك الفترة، وانفردت معه بعشق خلد طوال تلك السنوات، استندت "آية" على درابزين الدرج وصعدت، فوجدت من يساند يدها حتى وصلت للأعلى، رفعت عينيها تتأمل من يشدد على يدها، فابتسمت قائلة:

_عدي.. حبيبي!

منحها ابتسامة دافئة ومازال يرفعها حتى انتهت صعود الدرج، فانحنى يقبل يدها، أغلق عينيه تأثرًا بلمساتها الحنونة فوق شعره الذهبي، وصوتها الرقيق يعلو:

_ربنا ما يحرمني منك.

استقام بوقفته فبدى فرق الطول بينهما، وكأنه أبًا لها وليس ابنها، ضمها اليه واختفى جسدها بهالة حضوره، فقالت بصوتٍ بدى قريبًا للبكى:

_الحمد لله انك لسه واقف قدامي.. قلبي كان هيقف وأنا شايفاك بتغرق قدام عيوني.. كنت هرمي نفسي وراك بس لولا باباك انقذك.

عاد المشهد ليتجسد أمامه، فربت على ظهرها وعقله شارد فيما حدث بالأمس حينما كان على اليخت برفقتهم، وكلماته لا تفارقه، تحرك بها للداخل بعدما لف ذراعه حولها وبمكر سألها:

_انا كويس.. بس قوليلي اخذك فين واتاخرتوا كده!

انشغال عقله بما يخص أبيه جعلها تبتسم، فالعلاقة بينهما غير مفهومة، كالأسد الذي يمقت وجود شبله بغابة يكون هو سيدها ولكن بالوقت ذاته قد يمزق أي وحشًا قد يمسسه بخديش صغير، فاتبعته للداخل قائلة:

_ياسين كان حبيب نكون لوحدنا في يوم زي ده.. وبالاخر رجعنا ليكم ولبيتنا.

منحها ابتسامة صادقة ارتسمت فور شعوره بسعادة والدته، صمت الأذان فجأة بصراخ مليكة وهي تناديهما بفرحة:

_ماما.. حمدلله على سلامتك يا ست الكل.

أشارت آية لها قبل أن تصل لها:

_بالراحة على البيبي!

تشبثت بذراع عدي الذي حال بينها وبين السقوط، فطرق على رأسها بخفة:

_أنتي جاية من على الطريق الزراعي! اهدي واعقلي.

ابعدت ذراعه وضمت والدتها التي قابلتها بمحبة كبيرة، واخبرتها بشوق:
_وانتي كمان وحشتيني أوي يا ملاكي.. طمينيني عنك وعن يحيى.
وراقبت الطريق من خلفها باستغراب:
_هو فين مجاش معاك!
قالت وهي تزيج دموع فرحتها عنها:
_يحيى مسافر مع رحمة في رحلة تبع مدرستها.
تلقائيًا اتجهت نظراتها تجاه عدي الذي زم شفتيه وهو يخبرها:
_اضطريت أوفق.. الولد اخرجني بذوقه.
استأذن بالانصراف فتابعته ببسمة صغيرة زرعت الفضول بمليكة لمعرفة سببها فهمست
لها بخفوت:
_في أمل ان اخوكي يتغير..

اعترضت على أملها بذلك وقالت:
_انا مش عارفة ليه عايزينه يتغير.. عدي ليه كارزما مختلفة عصبي بس حنين، عاقل بس
مجنون شوية، متكبر بس بنتفاجئ بتواضعه أحيانًا.. الخلاصة ابنك مش مفهوم ربنا يصبر
رحمة ويديها ويدينا طاقة تحمل.
قهقهت ضاحكة على وصفها الدقيق، فدفعتها للخطى جوارها وهي تهمس لها بنفس
نبرتها المنخفضة:
_صدقيني في أمل.. تعالي نشوف رحمة ونور وحشوني أوي.

انسحب "ياسين" عمدًا من الداخل، وبحث عن عدي حتى وجده يقف على التراس، وعلي
ما يبدو إليه بأنه شارد الذهن، اقترب حتى بات يقف قبالة، فالتقط نفسًا مطوّلًا قبل أن
ينفثه في ملل:
_كنت عارف إنك هتيجي ورايا.
أبعد ياسين المقعد قليلًا حتى يتمكن من الوقوف لجواره، فتأمل شلال المسبح المرتفع
وهو يتساقط بنظرة تعمقت بما قد يفكر به عدي، وقال بعد صمت طويل:
_أنت خايف من رجوع عمي يا عدي؟
ابتسامة شبه ساخرة تمايلت على شفتيه، فردد بسخط:
_شخص زي ياسين الجارحي يتخاف من بعده مش من قربه.

تقوس جبينه بحيرة:

_بمعنى؟

أجابه بمكر:

_بمعنى إنه من الأفضل يكون قدام العين عشان تنتبئ بخطواته.. طول مهو بعيد طول ما هو غامض ومش مفهوم.

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيه، وردد بثقة:

_عمي مش مفهوم لاي حد حتى لو عاش معاه عمر كامل.

سحب نظراته عن الشلال وسلطها تجاهه وهو يخبره:

_بالنسبالك.. أنا لا.

اشار بيده وهو يقترب ليجلس على حافة التراس المتدلي:

_يمكن.. بس اللي انا واثق منه إن ورا عمي لغز كبير يا عدي.. أكبر من جو التحدي اللي بيخلقه بينكم.. وصدقني مدام هو بنفسه قالك بلاش أحمد قصاد رائد يبقى تنفذ كلامه لانه ليه نظرة بعيدة وهو أكثر منك خبرة.

انكمش وجهه بعاصفة حلت لتستحضر غضبه:

_هو اللي حملني المسؤولية دي.. يبقى مستحيل هسمحله يتدخل في قرار أنا سبق وأخدت.. حتى الطريقة اللي بيحاول يكشف بيها مخططاتي قدامه طريقة متناسيهوش! وهو ده اللي مأكدلي ان في حاجة كبيرة عمي بيحاول يخبيها.. فكر في كلامي كويس يا عدي.

كلمات أخيرة قالها قبل أن يغادر ليتركه يحسم أمره المتعلق باختيار أحمد ورائد، فبالرغم بأنهم ذو كفاءة وخبرة أكثر من الشباب ولكن ياسين فقد اقتناعه التام باختيار عدي فور اعتراض ياسين الجارحي على اختياره، لانه لديه ثقة بأن هنالك شيئًا هامًا لا يستطيع أحدًا رؤيته سوى ياسين الجارحي ذاته!

اجتمع الجميع حول مائدة الطعام، بعد أن فتشت المفاجأة التي يستعد لها الجميع، وبالرغم من جفاء الأجواء من الأحاديث الا أنها كانت محفوفة بالبهجة والمحبة لوجود ياسين وآية بينهم، بدأ الجميع بتناول الطعام، إتكا "ياسين" على مرفقيه ووزع نظراته بين الجميع، وبالأخص لزوجته التي تجلس على يمينه وابنه الجالس على يساره، ومن أمامه على نهاية الطاولة يجلس رفيق دربه، أخفى حنينه لتلك الأجواء المختلفة، ولمذاق الطعام الرائع، فشرع بتناول طعامه، وفجأة علق الطعام بجوفه، سعل بقوة جعلت وجهه يتلون بالأحمر القاتم، وقبل أن يمد يده على كوب المياه، وجد كوبًا قريبًا من فمه، واحدهما يعاونه على ارتشافه بأكمله حتى هدأت نوبة سعاله، وصوت من يقف قبالبته بالكوب

يتساءل بلهفة:

_حضرتك كويس؟

لم يكن سوى عدي المتلهف لسماع إجابة صريحة من أبيه، أول من أسرع إليه بقلبي تمزق مع كل سعلة خرجت منه، هز ياسين رأسه إليه بأنه على ما يرام، فاستقام عدي بوقفته وقد هدأت أنفاسه المنفعلة فعاد لمقعده من جديد وتابعه بتلصص من حين والآخر، المشهد برمته كان يتابعه الجميع ببعض الدهشة والحيرة، لم يعد أحد يفهم ما يدور بعقولهم، عدي لم يعد مفهوم بالمرة، عاد الصمت يكمم الأفواه من جديد الى أن مزقه ياسين وهو يردد بنبرة استهزاء:

_أنا شايف إن نور كويسة .. خليني أعترف ان حجتكم كانت مقنعة ونجحت بس محبتهاش تتكرر ثاني.

وألقى منديله القطني على الطاولة، ثم نهض وصعد للأعلى والجميع يراقبه حتى تخفى من أمامهم، تحرر الجفاء بينهم فقال رعد ممازحًا:
_الحصار اتفك.. ها طمنوني عاملين أيه؟
أجابته داليا وعينيها تلتهم جاسم:
_احنا بخير بس الخناق اللي بينا مازال مستمر..

وأضافت رانيا:

_يا أنكل البيت ده محتاج ليكم لانه من غيركم فوضى.

جز رائد على أسنانه بغيط:

_بتقولي أيه يا حبيبتى سمعيني؟

ابتلعت ريقها بتوتر ألزمها بالصمت، فقالت نور باستنكار:

_انتى خايقة ليه.. ما تتكلمي وتقولي لانكل رعد على اللي بيحصلنا هنا!

ضحك يحيى بصوته الرجولي المميز وقاطع حديثهما:

_نور أنا شايفك مش مقصرة مع حد في لسته الشكاوي.. مش فاهم لسه محتاجة أيه بعد

رجوع ياسين الجارحي بنفسه!

اقترحت عليها ملك بخبث:

_انا بقول تجمعوا الشكاوي وتطلعوله فوق هو اللي هيقدر ياخدلكم حقكم.

صاح بها حازم:

_أيه يا طنط خليكي محضر خير.

ونكز ياسين بخوف:

_ما تشوف أمك.

تجاهله واستكمل تناول طعامه، بينما اجتمعت الفتيات وصعدن للأعلى لتقديم الشكاوي

المقترحة، ولحق بهم رعد ويحيى فلم يتبقى سوى الشباب، استغل عدي بقائهم بمفردهم
وقال بخشونة:
_كويس اننا بقينا لوحدها.
اعتدل احمد بجلسته وسأله باهتمام:
_خير يا عدي.

انصت الشباب إليه بانصاتٍ وخاصة حينما تابع وقال:
_أنا اخدت قرار بخصوص الصفقتين واختارت ان أحمد ورائد.
تطلع رائد لأحمد بدهشةٍ من اختيار عدي الغريب، وتساءل بذهول:
_مش هسألك ليه اختارتنا بالذات.. بس هقولك الموضوع صعب ومستحيل تتم الصفقتين
لصالح شركتنا!
اعترض على حديثه:
_الأتنين هيكونوا تبع امبراطورية الجارحي يا رائد.. انت مش أول مرة تمسك مناقصة ولا
أحمد.. يعني عندكم الخبرة الكافية اللي تخليكم تهزموا مهاب أبو العزم.
اكتفى بإيماءة صغيرة من رأسه، ثم قال مرغمًا على ادعاء اقتناعه:
_هحاول.

اتجهت نظرات عدي لأحمد الذي ردد هو الآخر:
_مفيش مشكلة.. هشتغل على العرض ومش هتخرج من ايدنا.
منحه ابتسامة هادئة قبل أن يتشتت الجمع فيما بينهم..

اتجه عمر لغرفته لينال قسطًا من الراحة، اتجه لفراشه وألقى بثقل جسده عليه بعد يومًا
شاق للغاية، فتسلل إليه بكاء صغيرته من الغرفة الملتصقة به، رفع الوسادة على رأسه
وهو يردد بخفوت:
_مش وقتك أنا مش قادر.

عادت بالبكاء من جديد، فنهض عن فراشه قسرًا، اتجه لغرفتها فوجدها تجلس على الفراش
بملل، أضاء إنارة الغرفة ثم تمدد جوارها وبنويع جعله يتثأب أكثر من مرة قال:
_أكيد مفيش حد هيشيل الليلة غيري.. وأنا حقيقي يا حورية البحر أنتي راجع تعبان ومش
قادر.

وتمدد على قدميها الصغيرة الممددة على الغطاء وهو يسترسل برجاء:
_سبيني بس اريح نص ساعة وأنا اوعدك هقوم وأعملك قرد بعدها لحد ما تنامي.

تعالى ضحكات الصغيرة ببراءةٍ، وأخذت تلهو بخصلات شعره، فاستكان وغفى تمامًا على قدميها.

تسللت نور للداخل بحذر، فهي تعلم بأن عاقبة ما فعلته بالاسفل لن تمر مرور الكرام، بحث عنه وحينما لم تجده تهللت أساريرها، فأبدلت ملابسها واتجهت لغرفة صغيرتها، خيم العشق بابه العتيق بين حدقتيها حينما رأيته يحتضن ابنتها ويغفو بإرهاق، انصرفت عنها كل فكرة دفعتها لمشاكسته فسحبت الصغيرة برفق لغرفتها، ثم أطفأت الاضاء، واقتربت منه لتطرح غطاء على جسده، انتفضت فرغًا حينما قرب يدها إليه، طبع قبله رقيقة على كفها هامسًا بنومًا يغلبه:

_بحبك.

ابتسمت وهي تحتضن كفها، وقبل أن تغادر لغرفتها انحنت لتطبع قبله على جبينه، ورحلت سريعًا لابنتها، وقرارها أن تقضي الليل بصحبتها الليلة.

خلع قميصه عنه حينما شعر باختناق يهاجمه، وضع بمكان لا ينتمي إليه وكعادته لا يحاول التقليل من ذاته وتقبل الهزيمة بسهولةٍ، وها هو يشعر بثقل المسؤولية التي يحملها على عاتقه، فتح نوافذ الغرفة لتلفحه تلك النسيمات الباردة عليها تتمكن من التخفيف عما يجتاحه، استند على حافة باب الشرفة وهو يراقب انارة حمام الغرفة بترقب، يتنمى أن تنتهي رحمة من حمامها وتخرج إليه سريعًا، ربما لا يحب الحديث المبالغ به، ولكن وجودها لجواره يمنحه كل ما يحتاجه في تلك اللحظة، عاد ليتطلع أمامه من جديد، تسلل إليه تأوهات خافتة جعلته يستقيم بوقفته وهو يناديها بقلق:

_رحمة!

وحينما لم يستمع لردٍ منها، اقترب من باب الحمام وطرق وهو يكرر ندائه:

_رحمة.. فيك أيه؟

فتحت باب الحمام وهي تحاول التصنع بابتسامةٍ صغيرة:

_مفيش.

وتركته واتجهت للفراش بخطواتٍ متهدجة، توحى له بما تشعر به في تلك اللحظة، راقبها بنظرةٍ تخللت إليها، وخاصة حينما احتضنت الوسادة وهي تحاول محاربة ألمها، جذب عدي قميصه وارتياده باهمالٍ، واختفى من امامها ثم عاد بعد لحظاتٍ قليلة، وجدته يجلس جوارها ويضع على الكومود مشروب النعناع الساخن، وبعض المسكنات، احمر وجهها خجلًا بعدما كشف ما أصابها فجأة، فابتسم وهو يشير لها بمكر:

_تحبي تبدأي بأيه الأول المسكن ولا السخن؟

أخضت عينيها عنه بحرجٍ، فضحك بصوته الرجولي وهو يداعبها قائلاً:

_حبييتي السنين اللي بينا تكفي إني أحفظ حالتك وبالمواعيد.
رفعت عينيها اليه فوجدته يضع المسكن بذاته أسفل لسانها ومن ثم قدم لها المياه،
فارتشفها وتمددت بتعبٍ جعلها تنن بخفوتٍ وهي تواجه ألم عاداتها الشهرية، جذب عدي
الغطاء ليدأثرها جيدًا ثم تمدد لجوارها ويده تضم جسدها اليه، حنان قلبه يختبئ خلف
حاجز قسوته الغامضة، يمتلك الرأفة والحب وغيرها من المشاعر السامية ولكن يغلبها
حاجز صنعه بذاته، حاول عدي الاستسلام للنوم ولكنه لم يحظى به فما أن شعر بغفلتها،
فتسلل بهدوءٍ من جوارها ثم عاد لشرفته من جديدٍ، عبث بهاتفه بملي فتفاجئ باحدى
الأخبار تعلن عن وفاة ظابط شرطة بطريقة مأساوية، حيث تم قتل أفراد عائلته أمام عينيهِ
ثم ذبح واشتعلت النيران بمنزله، دقق بإسمه جيدًا، وكانت صدمة كبيرة له، فبحث عن
اسم بسجل هاتفه وما أن أجابه صوت المتصل به حتى ردد بذهول:
_مين اللي قتل كمال بالوحشية دي؟

استمع لرد زميله وهو يبزر بتوتر:
_لسه موصلناش للقاتل... ولا لأي دليل لان البيت كله ولع للأسف.
رد عليه بضيق شديد:
_مش محتاجة أدلة دي واضحة زي الشمس.. ده انتقام ومش هيطلع غير من مجرم له تار
عند كمال!
=احنا شغالين وهنوصله ان شاء الله.
_ابقى بالغني بالجديد أول بأول، ولو احتجت مساعدتي متترددش أنت عارف كمال كان
غالي عليا ازاي، ياما اشتغلنا مع بعض.
=عارف يا باشا ومقدر موقوفك.. ان شاء الله هكون على تواصل مباشر مع حضرتك.
وانتهت المكالمة فيما بينهما، بينما لم تنتهي رباطة فكره بما حدث لزميله وبالسيارة التي
كانت تراقب تحركاته منذ قريب، ربما هناك ما يثير الشكوك بالأمر!

غيابهم ليومين متتاليتين جعل هناك ازدحام هائل من الأعمال، لذا انصرف الشباب صباح
اليوم التالي باكراً قبل استيقاظ أحدًا من القصر، عملوا بجهدًا كبير قبل أن يصل "ياسين
الجارحي" لتفقد الأمور بالمقر، لف "معتز" رأسه يمينًا ويسارًا بتعبٍ ثم قال بإرهاق شديد:
_أنا خلاص تعبت، مش هقدر أكمل غير لما أخذ ساعة راحة على الأقل..
أغلق "جاسم" حاسوبه، ثم تمدد على سطح مكتبه وهو يردد بتعبٍ:
_مين سمعك، أنا خلاص ارهقت..

أضاف "رائد" وهو يقاوم النوم بصعوبة:
_أنا بقالي ساعة شغال على الملف ده ومش عايز يخلص تقولش بيعاند هو كمان!

خلع "عمر" سترته السوداء ثم حرر الجرفات الخاص به وهو يصيح بغضب:
_يا جدعان أنا دكتور والله العظيم دكتور مش محاسب، جاييني اراجع حسابات أول مرة
أشوفها.. ده أنا حتى كنت بخلع من حصة الرياضة اتقوا الله!
ضحك "أحمد" ثم قال وهو يوزع نظراته بين أبناء عمه:
_أيه يا عصب الجارحي، نختوا أوام كده أمال فين كلام الكفاح والمستقبل والعزيمة بتاع
امبارح!

رد عليه جاسم بغضب:
_اقعد يا عم انت طول عمرك واخد على المرمطة دي ذنب أمنا أحنا أيه!
سأل معتز باستغراب:
_أمال فين ياسين وعدي وحازم!
أجابه عمر قائلاً:
_عدي وياسين فوق في مكتب عمي بيخلصوا شوية إجراءات على اللاب بتاعه، أما
الحيوان ده فمعرفش فين بس أي كان هو فين فاكيد بيعمل كارثة جديدة..
ردد أحمد بعصبية:
_هو أحنا لحقنا!

قال رائد بغضب:
_قوم يا أحمد شوف أخوك في انهي داهية، وقسمًا بالله ما قادر لاي مصيبة جديدة واديك
شايف بعينك شكلنا عامل ازاي... قوم.
زفر بضيق ثم ترك حاسوبه ونهض عن مكتبه، فما أن اقترب من الباب حتى وجده يدخل
حاملًا بين يديه كارثة ستفتك بهم جميعًا، انتبه الجميع لما يحمله بين يديه فكانت علبة
قيمة للغاية، فتحها ليبرز ما تحمله بداخلها، رفع أحمد حاجبيه وهو يردد باستغراب:
_شوкола تشاكوبولجي مرة واحدة، جبتها منين دي؟
قال معتز بدهشة:
_ولا انت سارقها صح! ، لحقت تجبها ازاي دي!
تساءل رائد بذهول:
_وقدرت على تمنها ازاي وانت أبوك صاحب منك الفيزا وكل ما تملك بعد حوار الشعر
الأحمرىكا!

تدخل عمر حينما صاح بغضب:
_ما تنطق يالا هنتحيل عليك.
ابتسم حازم بغرور ثم وزع عليهم قطع الشوكولا ليقول وهو يلتهم احد القطع:
_عشان تعرفوا اني حنين لما سرقت سرقت عشانكم انتوا!

ضيق احمد عينيه وهو يردد بذهول:
_سرت مين؟!
أجابه بفخر، وكأنه يجلب كنوز مقبرة فرعونية إليهم:
_الواد ياسين جايب لمليكة مراته أفخم انواع الشوكولاتة في العالم وسايينا هنا
هنموت من التعب.
جذب أحمد ياقة قميصه وهو يردد بعصبية:
_يعني أنت سرت فعلاً!

هز رأسه وهو يخبره بعنجهية:
_اخذتها من المندوب اللي جاي بنفسه يسلمها، ابن ال... مرضاش يدهاني الا لما شاف
بطاقتي وصدق اني من العيلة.
تناول رائد القطعة الصغيرة التي بيده وهو يردد بتلذذ:
_لا جدع يالا، بصراحة طعمها لا يقاوم..
تناولها عمر وهو يردد بحزن:
_هي طعمها حلو مقولناش حاجة بس ياسين هيتضايق.
قال معتز وهو يجذب قطعة من العلبة التي يحملها حازم:
_ولا هيتضايق ولا حاجة هيطلب غيرها، المهم اننا لقينا حاجة تفتح نفسنا على الشغل..
أجابهم أحمد بسخرية وهو يراقب ما يفعلونه:
_انت بتحلم، انت عارف عشان يطلب نوع فاخر من الشوكولا دي تاني هياخد معاه وقت
وفلوس اد أيه، دي بتتباع بالدولار يا حبيبي!
تناول حازم قطعة اخري ثم قال وهو يلوكها بنهم:
_وهو هيغلب يعني!
ضحكوا معًا وتقاسموا الغنيمة الباهظة، ولكن سرعان ما تلاشت الابتسامة حينما عاد
ياسين وعدي، فجحظت النظرات المسلطة عليهم بصدمة، فتساءل عدي باستغراب:
_أيه اللي بيحصل هنا ده، كل واحد سايب شغله وقاعدين بتحلو!
اقترب منهم ياسين والخوف يدب بقلوبهما، فجذب قطعة من الشوكولا ثم تناولها وهو
يقول بتلذذ:

_جميلة اوي، جاييها منين دي يا حازم؟
توقفت قطعة الشوكولا في فمه، بينما ردد عمر بصدمة:
_هي العلبة دي دي مش كانت جايلك يا ياسين؟

انكملت تعابيره بدهشة:
_لا وأنا هطلب شوكولا لمين هنا!
لف معتر العلبة وهو يقول:
_ازاي بس!
قرأ أحمد الاسم المدون بصوت مقبض:
_السيد ياسين الجارحي!
ردد حازم بصوتٍ انقطعت اوتاره وكأنه يحاول تصديق ما سيقول:
_اهو مكتوب ياسين الجارحي!
ثم تطلع تجاه ياسين قائلاً:
_مش أنت اسمك ياسين يا ابني ولا انا اتحولت؟
سكنت الصدمة وخيما بالوجه وخاصة حينما ولجت السكرتيرة للداخل لتخبرهما بعملية:
_ياسين باشا وصل المقر.
لقى حازم العلبة من يده لاحمد، والقاها أحمد لياسين وياسين لعمر وعمر لرائد ورائد
لمعتر ومعتر القاها للوحش الثائر ثم في لحظة وجد الغرفة فارغة بأكملها، فأختبئ كلا
منهم أسفل مكتبه، ولم يظل سوى عدي الذي يتطلع لهم باستغرابٍ وهو يحمل العلبة،
وحينما استدار للخلف وجد أبيه يقف مقابله!

الفصل العاشر

لم يكن بالأحمق حتى لا يجمع خطوط ما يحدث هنا، وخاصة حينما ولج "ياسين الجارحي" للمكتب، خطف عدي نظرة للعبة التي يحملها وخاصة للأسم المدون، ومن ثم بطرف عينيه منح من يختبئ أسفل المكتب بنظرة اشتعل بها الغضب فعلموا بأنه كشف الأمر أسرع مما ينبغي له، ربما هم بمأزق جميعًا، وخاصة باختيارهم الضحية الغير مناسبة بالمرّة، سيقرب عليهم الطاولة وهيئات بين الشبل والأسد الجامح، ربما هم في عداد الموتى دون الحاجة للدفاع عن أنفسهم، وضع "عدي" اللعبة على المكتب المجاور له، ثم وضع يده بجيب سرواله وهو يتابع ما سيفعله أبيه، اقترب "ياسين" منه بخطاه الثابت، ومن ثم قال برزانة:

_مستخبثش ليه أنت كمان؟

استقام بوقفته فور تقدم أبيه ناحيته، وأجابه بثقة:

_معملتش حاجة غلط عشان اتدارى منها، ولو حصل وعملتها هواجه مش ههرب.. أنا مبخفش من حد.

ضيق عسلية عينيه بنظرة أحاطته بصلاية وقوة، وصمت جعل "عدي" يسترسل بمحبة غلبت جفاء حديثه:

_الغلطة دي عندي.. في ظرف ٢٤ ساعة هيكون عند حضرتك لعبة جديدة.

رفع أحد حاجبيه وردد ساخرًا:

_أيه الكرم ده؟

أجابه بإيجاز كافي لشرح وجهة نظره:
_لأنها تخص والدتي.. أنا عارف أد أیه هي بتحب النوع ده من التشوكلیت.. فأکید أنا مش
سعيد باللي حصل هنا حتى لو كان بالغلط.
أشرقت شفتيه عن بسمه خافته، اتبعها كلمة هامسة:
_أقنعتني!
ومن ثم اتجهت عينيه لأسفل طاولات المكتب، وأشار لهم بحزم، جعل الجميع يندفع
للخارج واحدًا خلف الآخر، انتقلت النظرات بينهم بجفاء، حتى تعلقت بأحمد، وياسين،
ورائد، وعمر فردد ساخرًا:
_آخر حاجة كنت أتوقعها وجودكم تحت هنا! .. المفروض إنكم كبار وعاقلين بس الواضح
قدامي غير كده.
حلت السعادة لقلب "معتز" ، و"جاسم" لسنهم الأصغر عن الباقية، لذا كان يختبئون خلف
أكبرهم، تابع ياسين حديثه الغاضب:

_شكلكم هیکون أیه لو حد من الموظفين دخل وشافكم مستخبين كده! هتقدروا تتحكموا
في ادارة المقر ازاى من تحت الترابيزة!!
اشتعلت الدماء بعروقهم، وخاصة أحمد الذي كاد بأن يقتل من فرط الحرج أمام قدوته، لذا
قرر الخروج عن صمته حينما قال:
_أنا بعذر عن اللي حصل نيابة عن الكل يا عمي، بس صدقني أنا ملیت من مصایب
أخويا.. بقيت بخاف أشوفه من كتر اللي بيعمله فيا وفي ولاد عمي.
على همس خافت ظنه غير مسموع، فخاب ظنه واستمع اليه لمن بالغرفة:
_بلاش ياسين الجارحي يا أحمد.. حرام عليك يا جدع هيقطع رقبتی!
نظرة صارمة منه جعلتهم يتنحوا جانبًا لتشمل من بقى أسفل الطاولة بعد، فزحف حتى
خرج عنها وجسده يرتجف برعب، وخاصة حينما قال بحسم:
_على مكبتی!
وترك الغرفة بأكملها واتجه للمصعد ليتجه للطابق العلوي حيث تم انشاء مكتب جديد له
بأمر من "عدي" ، بينما بالأسفل ردد "حازم" بخوفٍ وعينيه تراقب الفراغ الذي تركه "ياسين
الجارحي" من خلفه:
_ليه قالي أروح وراه؟ اشمعنا طالبني أنا بس!

منحوه نظرة ساخطة قبل أن يتجه كلاً منهم لمكتبه، الا "عمر" اقترب منه بابتسامةٍ
واسعة، ووضع يده على كتفه وهو يخبره بعد تفكير ساخر:

..يمكن هيفتح كرشك ويطلع التشاكوبولوجي منها.. وهتبقى مودة قدريه عشان تحرم تعيد
السرقه يا حزومي!

اهتز جسده حينما ضربته رعشة جعلته يهتز كالبناء الهائل للسقوط، فاسرع لمكتب أخيه،
ولكنه تراجع للخلف سريعًا فور رؤية تلك النظرة النارية التي تمردت من حدقتيه بتحذير
بعدم الاقتراب والا سيحرص على قتله بنفسه، تراجع للخلف ولم يمتلك أي سبيل للاختيار
سوى الصعود للأعلى..

أسرع السكرتير بفتح باب المكتب، مع اقتراب صعود المصعد للطابق المنشود، خرج من
المصعد يتفحص الطابق بنظرة سريعة، قبل أن يتجه للداخل، رمش بعينه بدهشة خلقت
داخل حدقتيه فور رؤية مكتبه الجديد، كان على مساحة أكبر من مكتبه الرئيسي بالمقر
بمرتين، ومصمم بطريقة مميزة جعلته يراقب كل تفاصيله بانبهار، فمن يراه يكظم بأنه
لمالك الشركات بأكملها، على عكس ما يريده "عدي"، شعر بوجود أحد خلفه فقال دون أن
يستدير برأسه للخلف:

..ده المفروض يكون لمين فينا؟

بخطوات منتظمة اتجه ليكون قبالة، فحانت منه التفاتة تجاه مقعد المكتب الأساسي،
تأمله لدقيقة كاملة وكأنه يبحث عن إجابة لسؤال أباه، وفجأة حينما قال بكل ثقة:

..المكان ده مينفعش يكون لحد غير حضرتك!

وعاد ليتطلع إليه وهو يستطرد:

..بتمنى إن ذوقي يكون عجب ياسين الجارحي!

حل أزرر بذلته السوداء وهو يعتلي مقعده، ثم قال بإعجابٍ تعمد أن يجعله بارزًا له:

..عجبني، بس زود عندي الفضول أعرف ليه اختارته ليا وأنت بنفسك حاطط شروط إن

محدث يتدخل في الادارة غيرك!

دنا "عدي" من سطح المكتب، فجذب المقعد المقابل لابه، ومن ثم جلس براحةٍ اتبعت

نبرته الهادئة:

..ولسه شرطي مستمر، بس ده مينفعش أن اللي حضرتك عملته لامبراطورية الجارحي

يحترم وله مقام محفوظ وأنا بنفسى حرصت على ده.

ضحك ياسين بصوتٍ مسموع على غير عادته، وإتكأ بمعصمه على سطح المكتب حتى

بات قريبًا منه، وقال بمكر:

..وانت شايف نفسك تستحق مكاني هنا، ولا شايف ياسين ابنك هو اللي يستحق يكون

وريث لامبراطوريتي؟

حسبته هالة من الادخنة العابرة، فجعلته يشعر باختناقٍ ضاق ب صدره، انتصب بوقفته وهو

يتطلع لآبيه بعينين لامعتان ببريق ظنه الأخير انعكاس لدمعةٍ كادت بأن تهين رجولته
لتنسدل على خديه، فمزق جلباب سكونه القاتم حينما قال:
_محدث يستحق يكون هنا غير حضرتك.. ولا حتى أنا!
واسترسل بنبرةٍ تمكن من خلالها ياسين الشعور باختناق اورده:

_ربنا يديك طولة العمر.
لم يحتمل البقاء أكثر من ذلك، فانسحب للخروج سريعًا، وكأنه طفلًا صغيرًا يلوذ بالفرار،
فاوقفته كلمات صارمة تحررت بسرعة البرق:
_هستنى أشوف انجازاتك في أيام غيابي عن المقر، ومتنساش باقي على المناقصة
يومين بس.. وقتك بينتهي يا سيادة المقدم.
توقف عن المضي قدمًا، فرفع رأسه عن الأرض وقال دون أن يوليه ظهره:
_متقلقش مش ناسي.
وتركه وغادر على الفور، تابعه ياسين بابتسامةٍ صغيرة رسمت بحبٍ وفخر، يحاول بكافة
السبل اخمادها خلف ثباته المهيّب، ولكنه لا ينكر بأن صموده أمامه ومشاعره الدافئة
التي يحاول اخفائها تروق له!

اقتحم "عدي" مكتبه، فكادت قوة ذراعيه التي تدفع بابه باقتلاعه، أسرع للداخل وأغلق من
خلفه، جاب الغرفة ذهابًا وإيابًا وتلميحه ينخر داخل قلبه كالمنقار الحاد، عقله باتت مشتت
عن ما الذي يريده منه أبيه بالتحديد، وكأنه يتعمد خلق تلك الدائرة المربكة من حوله،
ليضمن تشتت عقله كليًا!
طرقات باب مكتبه جعلته يتهدج بخطاه المنفعل، ويخبر الطارق بالدخول، فولج "ياسين"
للداخل، ليضع عدة أوراق على مكتبه وهو يخبره:

_الأوراق دي واقفة على توقيعك يا عدي.
تعمق بالتطلع إليه، وكأنه اهتدى لنقطةٍ ما، فتعجب ياسين من طريقة تطلعه به، وتساءل

بريئة:

_في أيه؟

اقترب منه عدي وسأله بجدية تامة:
_ليه ياسين الجارحي مختاركش أنت أو أحمد تكون بداله وتدير المقر؟
كان سؤال غريب في وقتٍ أغرب، ومع ذلك أجابه ياسين:
_يمكن لانه شايفك جدير بالمنصب ده أكثر منا.

ضحكة ساخرة تلاحقها نبيرة مستهزئة:
_على اساس إني حوت في ادارة الاعمال!
واسترسل بخشونة:

_خليك ذكي يا ياسين أنا لحد الآن مش عارف اندمج معاكم بالشغل ده، مش قادر أشوف نفسي غير ظابط بوليس.
تشتت عقل ياسين بما أقنعه به، فقال بعد فترة من التفكير:
_عمي سبق وقالك أنت وعمر إن الشغل كبر ومبقناش نقدر نسد على كل ده لوحدا
عشان كده خلاكم تسيبوا شغلكم وتيجوا على المقر.
سد عليه حخته للدفاع عن ياسين الجارحي:
_تمام يبقى على الأقل ميكنش ده مكاني.. المكان ده المفروض يكون لشخص أكثر خبرة
مني زيك وزى أحمد.. كان ممكن يخليني زي عمر أساعد واتعلم!
أحاطه الضجر من عصبية تفكير ابن عمه التي لا تتركه هنيئًا، فسأله بجرأة:
_عدي أنت سبت شغلك عشان عمي اللي طلب منك ده؟
رفع أحد حاجبيه بدهشة:
_ليه بتسأل السؤال ده!

واجهه بما يشك به:
_لاني مش قادر أقتنع بده.
زفر بيأيس، وارتفع بجسده ليجلس على سطح المكتب قبالته، مرر عدي يده بين خصلات شعره الطويل، فحرفها عن انضباطها وأخذت تموج بعشوائية خلف رقبتة، ومن ثم حرر جرفاته وهو يجيبه على مضض:
_عملت كده عشان رحمة يا ياسين.
بدا متفاجئًا للغاية لما استمع إليه، فترك عنه الملف، ثم جذب أحد المقاعد وقربها إليه وهو يردد بفضول:
_رحمة!
هز رأسه بتأكيدٍ قائلًا:
_لما طلبت مني أبعد عن شغلي رفضت وأصريت أكمل، عملت الحاجة الوحيدة اللي اتعودت عليها عانت، وقدام عنادي استسلمت وبطلت تطلب مني كده.
سأله بحيرة:
_أمال هي السبب ازاى في إنك تقدم استقالتك؟

ابتسامة حملت عشق خالد توزعت على شفتيه، وبالرغم من سكون حركة جسده الا أن حنان صوته وبسمته كانت كافية لجعل من أمامه يستكشف قيمة عشقه هذا:

_نظرة الرعب والخوف اللي كنت بشوفها في عيونها لما برجع البيت متأخر شوية كانت بتقتلني، كنت حاسس بالعذاب اللي هي عايشة فيه من غير ما تتكلم، خوفها عليا كان بيبان في عيونها، ومعنديش استعداد اشوفها بالحالة دي عشان أرضي غروري..
عبثت أصابعه باللافتة الصغيرة الموضوعة على مكتبه، فحملها بين يده وأصابعه تمر فوق حروف "عدي الجارحي" ببطء ونظرة لا تحمل الرضا عن تخلي لقبه كمقدم عليها، مثلما كانت تحمل تلك اللافتة بمكتبه السابق، واسترسل بوجع دافين:
_حتى لو كان ده على حساب حبي وشغفي لشغلي.

ترك عن يده اللافتة واستقام بوقفته وهو يتطلع له، ويخبره بصدق:
_اللي مهون عليا اللي أنا فيه ده هي.. كفايا اني برجع في أي وقت بلاقيها نايمة ومطمنة.. القلق والخوف بعد عنها وده كافيل يخليني استحمل أي شيء في الدنيا مش تحديات ياسين الجارحي بس!
وأشار له ببعض المرح:
_بس ده ميمنعش اني حابب أثبتلكم اني استحق مكانتي مش لان ياسين الجارحي أبويا..
لا لشخصي أنا كعدي.
وبنصف عين سألته:
_عندك اعتراض على كلامي!

ضحك ياسين وهو يشير له باستسلام:
_محدث يقدر يقول غير كده يا وحش.. المهم انك توقعلي عشان ورايا شغل كثير.
انحنى تجاه الحبر الموضوع بعلة قيمة للغاية، ووقع باسمه على الاوراق، ثم ناولها له وهو يشدد عليه:
_خليك مع احمد ورائد لازم نكسب المناقصة بأي شكل من الاشكال.
جذب الاوراق منه وهو يخبره:
_احمد ميتخافش عليه سبق ودخل أكثر من مناقصة صعبة لوحده في ايطاليا، رائد اللي محتاج أبص عليه وأشوف خطته أيه؟
_ماله رائد يا سي ياسين.. أيه ميقدرش يعتمد على نفسه ولا أيه؟
كلمات حادة تفوه بها من يفتح باب مكتب عدي ليقذف بوجهه تلك الكلمات التي نالت منه، ارتبك ياسين من وجوده ورسم ابتسامة وهو يشيد به:

_طبعًا معنديش شك فيك يا رائد.. بس المناقصة دي صعبة جدًا وآآ.
قاطععه "رائد" بحدّة:

_صعبة عليا ومش صعبة على أحمد من وجهة نظرك!
كاد ياسين بالرد عليه ولكن اعترض عدي حديثهما حينما قال بضيق:
_ياسين أكيد ميقصدش يا رائد، أنت مش عيل صغير عشان تفهم الكلام غلط ونفضل
نبرلك.. كبر عقلك شوية وركز في العرض اللي هتقدمه!

مررها حتى وإن كان أثرها عالق بجوفه، وإدعى بأن الأمور على ما يرام، حينما رسم بسمّة
مصطنعة وردد:

_محصلش حاجة.. وخليك واثق يا ياسين اني هبذل ما بوسعي عشان المناقصة دي ترسى
علينا.. عن إذنكم.

وتركهم وغادر على الفور، فحمل ياسين ملفه ولحق به ليصلح ما أتلفه دون قصدًا، وما
كان من الأخير الا ان تقبل اعتذاره بصدر ضاق من تلميحاتٍ حديثه وتبقى عالق بنقطة
ستعيق ما يود فعله!

مرت أكثر من ساعة كاملةٍ ومازال يقف أمام باب المكتب وهو في حالةٍ من الهلع،
استجمع "حازم" شجاعته أخيرًا، وطرق على الباب، فما أن استمع لاذن الدخول حتى اهتزت
ساقه بخوفٍ مما سيلاقاه بالداخل، اقترب حتى بات قريبًا من مكتبه، فراقبه وهو يتفحص
الحاسوب من أمامه بثباتٍ عجيب، وكأن أحدًا لا يشاركه الغرفة، فكسر صوته الرخيم
الصمت، حينما أمره:
_اقعد يا حازم.

جلس على أحد المقاعد من أمام مكتبه الكبير، وعاد لنفس لحظات الترقب من جديدٍ،
أغلق "ياسين" الحاسوب من أمامه، وشمله بنظرةٍ جعلته يرفع أصبعيه وهو يباشر الدفاع
عن ذاته:

_والله ما كنت أعرف إنها لحضرتك، أنا مستعد اتكفل بكل الخسائر يا عمي، حتى لو سرقت
الفيزا بتاعت أبويا ودفعت بيها تمنها.

أغلق عينيه باسترخاءٍ، وأشار له بالصمت حتى يسمع ما سيقول:
_اللي بتعمله ده آخرته أيه يا حازم.. أنت بطيشك ده بتأثر على أخوك وولاد عمك.. يعني لا
سايهم يشوفوا شغلهم ولا أنت نفسك مركز في شغلك عشان كده أنت هتتنقل لقسم
الحسابات وده هيكونلك ردع عن جنانك ده.

وضغط على زر خشبي بجانب الحائط، فولج للداخل أحد موظفيه الخاص، فأشار له بحزم:
_ اشرحه طبيعة الشغل يا مصطفى.
_ أوما الشاب برأسه باحترام:
_ اللي تؤمر بيه يا باشا.. اتفضل معايا يا أستاذ حازم.
لحق به بسعادةٍ لا توصف، وكلمات تتردد دون توقف:
_ أنا حي! الحمد لله..

هبط الدرج الجانبي من خلفه بابتسامةٍ واسعة، وكأنه نجا لتو من نزال كان سيلقى حتفه
به لا محالة، فراقب من يتبعه باهتمامٍ، ومن ثم خطف المسافة بينهما وهو يردد
بمشاكسةٍ:
_ متعرفناش بالجميل.
رمش الموظف بعينه بدهشةٍ، ومع ذلك أجابه بمراوغةٍ:
_ أنا مصطفى موظف في قسم الحسابات وآآ..
قاطعته بمرح:

_ يا عم فكك من المقدمات اللي متأكلش عيش دي وخش على الجد.
تساءل بحيرةٍ وهو يحاول فهم ما يود قوله:
_ جد أيه يا فندم مش فاهم حضرتك.
رفع يده على كتفه وهو يخبره بنبرةٍ عميقة:
_ شوف يا مصطفى يا ابني، انت عنيك كلها حزن وهموم.. قللي فيك أيه ومتحاولش
تخبي.. يمكن أعرف أساعدك.
بتوتر أجابه:
_ لا آآ.. آنا..

قاطعته مرة أخرى وهو يشير له ببسمة هادئة تحته على الحديث:
_ يا راجل اتكلم ومتقلقش سرك في بير.
بدت معالم الحزن تختلج معالم الشاب، وردد بارتباكٍ:
_ أصل انا عريس جديد وآآ..
كمم فمه سريعًا، وهو يشير له بغضبٍ:
_ هوووش تفاصيل زي دي متتحكيش هنا يا راجل!
أبعد يده عنه، فهمس الاخير بصدمة من رد فعله المبالغ به:
_ آمال فين؟

أشار له قائلاً:
_تعالى ورايا..

اتبعه الموظف بتريث، حتى وصل لغرفة مكتبه الخاص، فمنحه إذن الحديث، لذا فاض بما يضيق به والآخر يستمع إليه بصمتٍ حتى انتهى من حديثه، وترقب ما سيقول، فحك حازم مقدمة رأسه بحيرةٍ وهو يحاول البحث عن حل مناسب لتلك العقبة، وفجأة فرك أصابعه وهو يخبره:

_بس مفيش غيره.
تراقص الأمل بحدقتيه وردد:
_مين؟

اجابه وهو يجذبه ليخرج خلفه مهرولاً:
_الواد عمر.. دكتور اد الدنيا وله في كل خرابة عفريت.
ارتعب الشاب وجذب يده منه وهو يشير له:
_بلاها عشان منقلش الباشا.
بسط له ما يخطط له:
_يا عم متقلش كده.. عمر ده عسل وكريم شانتية.
ابتهج الاخير ولحق به حتى وصل لمكتب عمر..

بالقصر..

طرحت الفتيات غطاء أسوء كبير بالحديقة، ووضعوا الطعام بانتظام على سطحه، وجلسوا جميعاً يتناولان الطعام بجو من الألفة، ومن حولهم يلتف بهم الاولاد، وأغلبهم يقومون بسباق وألعاب جعلتهم في غاية السعادة، بينما اكتفت الفتيات بمراقبتهم بحب، تأملت "نور" الطعام الموضوع من أمامها بضيق، فسألتها "رحمة" باستغراب:
_مش بتأكلي ليه الأكل مش عاجبك؟

زمت شفيتها بنفور:
_أنا زهقت من الأكل ده.. حابة أغير بقا وبصراحه نفسي أكل حوادق كده.
وفجأة رددت وأنفها يلتقط تلك الرائحة التي أنعشت قلبها:
_في ريحة داخله عليا تهفهف.. شمين؟
نكرت داليا ما تشير اليه:
_لا مفيش حاجة..

ضحكت أسيل وهي تخبرها:
_نور لو نفسك تأكلي حاجة عرفينا لتطلع في وش البيبي.
مازحتها شروق هي الاخرى:
_نور اتوحمي على حاجة حلوة أهو ينوبنا من الحب جانب، مش كده ولا أيه يا روني!
التفتت مليكة حولها بريبة:
_لا فعلا كلامها صح أنا كمان شامة نفس الريحه.
منحتها رانيا نظرة ساخرة:
_واضح ان الحوامل بس اللي بيشموا ولا أيه.. انتي ايه الاخبار عندك يا نسرين.. شامة أيه؟
منحتهم نظرة مغتاظة قبل أن تجيبها:

_فقدت حاسة الشم وأي حواس بعد المدعوق الجواز... جوازة منيلة بنيلة.
اصابتهم نوبة من الضحك، وخاصة حينما ناولتها رحمة طبق من التسالي قائلة:
_كلي يا نسرين وفكك.. خلي البنات تيجي مفرفرشة متبقيش بومة!
رُفِعَ الغطاء المحكم عن العلبة، فباتت الرائحة تنتقل بينهم، اتبعوا مصدر الرائحة فوجدوا
دينا تقف مقابلهم، ولجوارها آية وملك، ويحملن علبة مغلفة وعدد من الخبز، نهضت
مليكة واتجهت اليهن وهي تتساءل بلهفة:
_اوعوا يكون اللي دماغي..
فتحت دينا العلبة وهي تردد:
_هو بشحمه ولحمه.
واضافت ملك:
_ومفيش غيرنا.. كل الشباب برة.
جذبت منها مليكة العلبة وانخفضت لتحرر محتوياتها على الأطباق، فهمت نور بالتهام
احدى القطع وهي تردد بنهم:
_ده احنا ليلتنا فل.
همت أسيل لتناول احدى القطع وهي تردد بحماسة:
_واووو.. فيسخ!

ابعدت نسرين يدها عن الطبق وهي تشير لها بسخط:
_الكلمتين ميمشوش جنب بعض يا حبيبتى.. دي أكلة الناس اللي بتفهم.
انحنت آية تجاههم ووضعت علبة أخرى، ثم جذبت الخبز وتناولت وهي تشير لهم سريعًا:

_كلوا بسرعة قبل ما حد يرجع.. بدل ما نلاقي نفسنا على الرصيف باللي بناكله ده!

تعالى الضحكات فيما بينهم، فقالت نور:

_انا من رأيي شروق وداليا يروحوا يأمنوا البوابة لحد ما نخلص.

تذمرت الفتيات ورددن بضيق:

_اشمعنا احنا بقا.

وضعت ملك العصائر جوارهم، وانضمت إليهم ثم قالت وهي تلوك احدى قطع الخبز:
_انتوا مكبرين الموضوع ومهما بتعملوا بنتقفش كل مرة يبقى قفشة بقفشة ونتهنى بقا بالاكل.

تناولت رحمة ما بيدها بنهم، وجذبت احد الاطباق وهي تشير لها بإعجاب:

_انا معاكي يا طنط نتهنى الاول وبعدين اللي يجي بعد كده ربنا يسهل بيه!

بمكتب الشباب الجماعي!

عبث بعينييه وهو يجاهد شعوره بالحرج، ومع ذلك تماسك وهو يدون اسم أحد الاطباء، ثم قال ببسمة صغيرة:

_متقلقش.. ده صديق ليا وهيساعدك تحل مشكلتك بإذن الله.

التقط منه الشاب الورقة، وشكره بإمتنان ثم غادر، فما أن تأكد عمر من رحيله، حتى أسرع باغلاق الباب من خلفه واتجه لمن يجلس واضعًا قدمًا فوق الأخرى بتعالى، وكأنه منحه وظيفة براتب شهري ضخماً، اقترب منه عمر والغضب يتراقص بمقلتيه وفجأة انقض عليه كالوحوش الجارحة التي تتلاعب بضحياتها قبل أن تغرس أنيابها بلحمها الطازج، وصرخ به وهو يسدد لكلماته اليه:

_يا جدع أنا مش لاقى كلمة أقولها لشخص في برودك.. شايفني دكتور مسالك بولية ولا شغال مع هبة قطب في حل المشاكل الزوجية!

حاول الاعتدال بجلسته وهو يعدل من ثيابه الفوضوية، وبصعوبة بالغة قال:

_يعني منساعدش الراجل في محنته!

كز على اسنانه حتى كاد باقتلاعها وصرخ به:

_وأنا مالي ومال مشاكل الناس يا عم... انا كنت مكفي مشاكلك ومصايبك السوداء عشان اكفي غيرك!

صاح بعنفوان وهو يدفع جسده للخلف:

_انت انسان متكبر يا عمر.. وانا اللي فكرتك عجينة تانية غير اخوك.. بس للأسف

كلكم زي بعض.. حد يكره مساعدة الناس يا عالم!!

مزق شفتيه السفلية من فرط ضغطه عليها بغيط، ف جذب المزهريه وقربها منه، تراجع

الاخير للخلف وهو يردد بخوف:
_هو انتوا ليه رابطين موتي بالقازات.. اسلحة المديرية انقرضت ولا أیه؟

جذبه عمر من تلباب قميصه وهو يصرخ بعصبية:
_حازم.. أطلع من دماغی.. اقولك استنى..
وتركه واتجه لدرج خزانته والاخير يتراجع للخلف وهو يتساءل برعب:
_هتعمل ایه.. مسدس لا لا..
جذب عمر إطار شهادته الخاصة واتجه اليه وهو يسأله بغضب:
_ده أیه يا حازم؟
دقق النظر لما يحمله ثم قال:
_شهادة تخرجك من طب العيون!
هز رأسه بجنون وهو يؤكد له، ومن ثم طرق بها على المكتب فتهشم زجاجها ومن ثم
جذب ما بداخلها ومزقها وهو يصيح:
_اهي يا حازم أهی عشان ترتاح وتبعد عني!
ضرب كف بالآخر وهو يردد بحزن:
_لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. الواد اتجنن!
صوت تحطم الزجاج جعل الشباب بأكملهم يسرعوا بالتجمع بالغرفة المجمعة، فصعقوا
حينما وجدوا عمر يمزق شهادته، فلم تزيد صدمتهم فور رؤيتهم لحازم بالغرفة، ترك أحمد
مجال صدمة الجميع واتجه لمن يقف بزواية الغرفة، فجذبه اليه وهو يهمس من بين
اصطكاك أسنانه:
_هبيت أیه المرادي يا مصيبة عيلة الجارحي!

هز يده وهو يشير له:
_نسلکم اللي مضروب ومحتاج قطع غيار صدقني!
أحمرت عينيه بغضبٍ جعل الأخير ينفلت ويهرع لاحدى الخزانات وهو يردد بصدمة:
_هتتحول ولا أیه!!

الفصل الحادي عشر

تعاونت الفتيات بجمع الأطباق، ومنهن من قامت بتنظيف المكان جيدًا، ومن جمعت الأطباق المغلفة ثم قمن بإلقائها بسلة المهملات، انتهت حملة نظافتهم على أكمل وجه، وجلسوا يرتشفون المياه الغازية بعد تناولهم لتلك الحموضة، ضحكاتهن الطائفة من قلوبهم تغزو قلب من يراقبهن منذ فترة، يترقب فور انتهائهن من تلك الوليمة الغير محبة إليه، لذا اختار الجلوس بالداخل واكتفى بمراقبتهن من أعلى التراس، وما أن انتهت جلستهن حتى استعدن للدخول للقصر، فحملت الفتيات الأغراض واتجهوا، انقطع طريقهم بذهول حينما وجدوا الاضاءة تسري بالقاعة الرئيسية، فنادت "آية" أحد الخدم وهي تساءله بدهشة:

_ في حد من الاولاد رجع؟

هز رأسه وهو يوضح لها:

_ لا يا هانم.. ده الباشا اللي رجع من نص ساعة.

فغرت فاهها صدمةٍ تشاركت بها مع من حولها، وخاصة حينما ظهر "ياسين" من أمامهم، اتجه بصمتٍ عجيب للمقعد الجانبي للصالون، وجلس يراقب نظرات توترهم باستمتاع، لم تمتلك أحدهن القدرة على اختيار كلمات تخفف عنهن حدة هذا الموقف، تأملهم بهدوءٍ وروية وهو يباغتهن بصوته الثاقب:

_ حفلتكم خلصت ولا لسه؟

ابتلعت "آية" ريقها بتوترٍ، بينما هزت "ملك" رأسها عدة مرات تؤكد له ذلك، فhez رأسه

بتمهل وهو يردد بحبور:

_عظيم.

وجذب الجريدة الموضوعية من أمامه يتفحصها ببطء تحت أنظارهن المراقبة لكل ردود أفعاله، فقال وهو يقلب بين أوراقها:

_هتفضلوا بصينلي كده.. لو حابين تقعدوا ونقلبها جلسة نقاش معنديش مشكلة. فور نطقه لتلك الكلمات تفرقنا سريعًا من أمامه، فهرولت الفتيات لغرفهن، بينما تبقت هي تراقبه بغيطٍ يموج داخلها حد الانفجار، وكأنها تتحدى كل ذرة برود يمتلكها، وقد ربح هو كعاداته فظل يتابع قراءته للجريدة بسكينة جعلتها تتمرد عن صمتها حينما دنت لتجلس قبالة وهي تردد باستغراب:

_غريبة انك متضايقتش يعني!

أغلق الجريدة بنظام، ثم وضعها لجواره وجذب كوب القهوة يرتشفها على مهل:

_هتضايق من حاجة بتسعدك ليه؟

رفعت احد حاجبيها بدهشة، لحقت بسؤالها:

_بتفرحني بس بتضايقك!

ابتسم أمام وجهها المحبب إليه بكل تعابيره، وقال:

_اللي يضايقني أقدر أتقبله من بعيد عشانك!

ضحكت وهي تخبره على استحياء:

_مش عارفة إنت أيه اللي حصلك اليومين دول.. قلبت على قيس مرة واحدة.. قولي بس

فين ياسين الجارحي بجبروته!

رفع حاجبه وأخفض الآخر وبنبرة اخشوشنت في حديثها قال:

_تحبي استدعوهلك؟

أشارت نافية:

_لأ... لأ... كده مرتاحين مع بعض أكثر.

ارتخت معالمة ببسمة تحررت لتخبرها بصدق مشاعره:

_متقلقيش قدر بعد السنين الطويلة دي يتعلم ازاى يصرفه عنك انت بس!

أشرق وجهها المجعد ببسمة جعلتها في غاية سعادتها، فنهض عن مقعده وهم بالصعود وهو يشير لها:

_كفايا سهر.. اطلعي الجناح وأنا شوية وجي.

واتجه للمصعد بعد صعوده الدرج الصغير الجانبي، متجهًا للطابق العلوي، وبالأخص

غرفة أغلى من يمتلك معزة خاصة بقلبه!

توقفت السيارات تباغًا أمام باحة القصر الخارجية، هبطوا جميعًا وكادوا بالاتجاه للداخل، فاستوقفهم صوت تأوهاتٍ خافتة تأتي من صندوق أحد السيارات، كبت "معتز" ضحكة كادت بالانفلات منه، فقال برجاء:

_ ما تفكه يا أحمد خلينا نتفض!

جذب "أحمد" حقيبة حاسوبه من السيارة، وهو يصيح به:

_ أي حد هيفكر يفكه هيتعلق مكانه.. الواد ده اتمادى ولازم يتربى.

اقترب منه جاسم محاولًا استمالته:

_ معلش يا ابو حميد قلبك أبيض طول عمرك.

تساءل بدهشة وهو يوزع نظراته بين الجميع بحيرة:

_ ده خلى عمر يقطع شهادته!

ارتسمت بسمه شبه ساخرة على وجه ياسين الذي يستند بجسده على السيارة ويتابع ما يحدث بتسليية:

_ خلاص يا أحمد هو عمر يعني ماشي يلف على المستشفيات الحكومية بيدور على شغل ومش لاقى يأكل! ده عنده مستشفى باسمه يا حبيبي هيطالبوه هناك بالشهادة في ملكه!!!

خرج "عمر" من السيارة، واتجه اليهما ليفصل بذلك الحوار الذي يتسبب له بالضيق قبل أن يمسه:

_ فكه يا أحمد.. أنا كده اخدت رزقي منه يا عالم الدور على مين فيكم؟

تسلل لوجوهم ارتباكٍ ينجح ذاك الأبله بخلقه بين دائرة جمعهم، فجذب معتز جاكيتته الأسود واتجه للأعلى، لحق به جاسم وهو يحذره:

_ اوعى تفكه يا أحمد.. سيبه في شنطة العربية للأسبوع الجاي يكون عقل كفايا.

ربت ياسين على كتف أحمد وهو يغمز له بمشاكسة:

_ القرار يخصك لوحداك، مينفعش نتدخل بين الأخ وأخوه.. تصبح على خير.

مشط المكان من حوله بنظرة يحومها الاستهزاء، فحانت منه نظرة خاطفة لرائد الأخير بهبوطه للسيارة، اتجه "أحمد" إليه وهو يتمعن به بنظرة حائرة، ختمها بسؤاله المباشر:

_ مالك يا رائد من الصبح وأنت مش عاجبني.. أنت تعبان؟

أغلق باب سيارته ثم فعل القفل الإلكتروني، وهو يحاول الا يتطلع إليه فينكشف غضبه الذي يحاول اخفائه، واكتفى بتلك الكلمات المقتصرة:

_مفيش حاجة يا أحمد.. أنا بس راجع مصدع شوية ومحتاج ارتاح.
هز رأسه بتفهيم، ومن ثم سأله باهتمام:

_جهزت عرضك للمناقصة ولا لسه؟
استقام بوقفته من أمامه، وببسمية ساخرة أجابه:
_هيفيد بأيه.. والكل متأكد إنني هخسر المناقصة والغريب انهم حاطين ثقة كبيرة فيك!
اندهش من سماع ما قاله، وردد بصدمة:
_أيه الهبل اللي بتقوله ده! انت أول مرة تدخل مناقصة ولا أيه؟
منحه نظرة ثاقبة وكلمة ساخطة:
_الظاهر كده.

وتركه وهم بالصعود وهو ينهي الحديث بطريقة بدت لاحمد غريبة للغاية:
_تصبح على خير.
وتركه وصعد للأعلى بينما ظل أحمد محله جوار سيارته، على صوت "حازم" من الداخل،
فرفع "أحمد" غطاء السيارة عنه، انحنى بجلسته وهو يشير له على القماشة التي تمنعه
عن الحديث، فازاحها عنه بنفاذ صبر، ليردد الاخير بحزن:
_كده يا أحمد عايز تقتل اخوك الوحيد!

لم يعبئ بما يقول فعقله شارد بما استمع اليه للتو، حل عقدة يده ثم استند بجسده على
السيارة ومازال يتطلع للفراغ، وقف "حازم" جواره يتطلع له بضيق، فاستمع لحواره مع
رائد من البداية، لذا قال:

_رائد متهور يا أحمد.. لو خسر المناقصة دي الموضوع مش هيعدي بسلام.
رفع عينيه إليه، وكأنه كان بحاجة الحديث مع أحد ولم يجد حوله سوى أخيه المشاكس،
الذي قرر التنازل عن مزحه الدائم ليخبره بعقلية رجل متزن:
_اختيار عدي من البداية كان غلط، يمكن لو كان اختار ياسين بدال رائد كان أفضل، وده
مش تقليل من رائد بس رائد انسان عصبي ومتهور وصعب انه يفهم إن حريك دي لصالح
اسم العيلة مش لصالحك انت.

تهدلت معالمة بحزن شديد، وسأله باختناق:
_طب والحل.. أنا مستحيل أسيب الفجوة دي تتخلق بينا يا حازم.
ضم شفثيه معًا، وكأنه يفكر بحل مثالي لتلك المعضلة، أجلى أحواله الصوتية وهو يخبره
بعد لحظاتٍ من الصمت:

_لو رائد مكسبش المناقصة دي يا أحمد مش لازم أنت كمان تكسبها.
رفع أحد حاجبيه بذهول:

_تقصد أيه؟

أوضح له مقصده، حينما قال:

_متكشفش ورقك كله، جهز عرض بديل للمناقصة دي، لو رائد كسبها يبقى هتقدم العرض اللي هيضمن نجاحك أنت كمان، ولو منجش يبقى مفيش قدامك أي اختيار غير انك تقدم العرض البديل ومتنجش أنت كمان.
ابتلع ريقه بتوتر من سماع ما قاله، وأخبره بتردد:
_بس لا ياسين الجارحي ولا عدي هيقبلوا بده يا حازم، خسارتنا قدام مهاب أبو العزم هتقيم حريقة في المقر!

أبعد عنه جرفاته بنفور من ارتداء تلك الحلى الغير مريحة، وردد قائلاً:
_عارف وعارف كمان أن عمي مش هيكون راضي عن اللي هيحصل بعد كده بينكم يا أحمد، ومش بعيد كمان يحط اللوم على عدي وهتكون في مشكلة جديدة!
فكر جيداً بما قاله أخيه الأصغر، بعدما سد عليه كل فجوة كان يلجئ إليها، فوجد أن الحل الذي قدمه إليه هو الأمثل بالتأكيد، انسحب من شروده وتطلع إليه بإعجاب يطفوه الدهشة بعنوان لا يستدعي إخفاءه، فاستقام بوقفته عن السيارة وتساءل بتشتت:
_أنت حازم أخويا بجد ولا ركبك عفريت وهيختفي بعد عشر دقائق!
رفع رأسه عاليًا وهو يجيبه بعنجهية:
_أنا هو نفس الشخص.. عجبتك!

واسترسل وهو يبحث عن نظاراته بجيب سرواله، فارتداها وهو يستطرد بغرور:
_أنا المفروض تشكروني على الجو اللي معيشكم فيه جوه غابة ياسين الجارحي.. وبدل ما تفرحوا باللي بعمله عشانكم بترموني في شنطة العربية!
قهقه "أحمد" عاليًا، وضم يده حول كتفيه وهو يحثه على الصعود برفقته للأعلى، وأخبره بسخط:

_انت ثروة لا تقدر بتمن يا أبو خالد.

تهجمت تعابيره غضبًا:

_وليه بس السيرة العكرة دي ما كنت ماشي كويس!

تعالت ضحكاته فشاركه الضحك انتهازًا لتلك الفرصة التي لا تعوض فيما بينهما..

طرقات خافتة متتالية على باب الغرفة، جعلت الصغير يعلم بكنية الطارق، فهرع تجاه بابه ليكن باستقباله بنفسه، رحب به ببسمةٍ كادت بأن تصل للأذن:

_جدوا!

ضمه إليه بمحبةٍ لا تسع كون لوصفها، ودخل به حتى جلسوا معًا على الأريكة التي تنحدر بكراتٍ صغيرة زرقاء تناسب أجواء الغرفة تخص الصبي، رفع ياسين يده على خد الصغير بحنان بالغ:

_طمني عليك يا بطل؟

ابتسم الصغير وهو يخبره:

_انا بخير وبقيت أفضل لما حضرتك رجعت، كنت خايف انك تفضل بعيد عن القصر أكثر

من كده.. بس الحمد لله إن بابا قرر يرجع حضرتك.

رفع أحد حاجبيه بشكٍ راوده لما استمع اليه:

_أفهم من كده انك اتعمدت متحذرنيش إنه عرف مكاني!

تطلع له ببركةٍ جعلته يردف بشجاعة تحلى بها:

_بصراحة آه لاني كان نفسي أشوف حضرتك.

رفع كفيه يحتضن خده بمحبةٍ، فحانت منه نظرة جانبية لمكتبه، فقال متلهفًا:

_أيه آخر انجازات الفنان بتاعنا؟

ركض مسرعًا تجاه مكتبه، وجذب أحد لوحاته ثم عاد بها إليه، فقلب ياسين بين محتويات ما رسمه بحرافيةٍ، والبسمة لا تفارق شفثيه لجمال ما رآه، استوقفه عدة صور تخص طباط الشرطة وأغلبها رسومات لشتى أنواع الاسلحة، جذب انتباه صورة أخيرة قريبة حدًا ما لعدي ابنه، وعلى ما يبدو بأن ذاك الصغير الذي يرتدي ملابس الشرطة ويقف لجواره تخص حفيده المهوس بكل ما يخص الشرطة، وعلى ما يبدو بأنه يختار نفس الدرب الذي سلكه ابنه من قبل، وبذل كل ما بوسعه ليمنعه من ذلك، والآن سيقف مكتوف الأيدي من جديد، لاح على وجهه ابتسامة عابثة، ابنه الشرس لا يتناحى عن تحديه ويظن بأن ابنه لا يود أن يكون مثله هو بل مثل جده، ليته يعلم حقيقة مشاعره.

أغلق "ياسين" اللوحة الضخمة من أمامه، وراقب قلق الصغير الذي يتراقص بحدقته،

فربت بحنان على معصمه وهو يخبره:

_اللي أنت عايزه هتحققه بنفسك ومحدث هيقف في طريق ولا هيعارض اختيارك..

اطمن أنا في صفك مش ضدك.

لمعت الفرحة بعينه وارتوى بأحضانه يتعلق به بأمانٍ يرغب دومًا بالشعور به في

حضرتہ!

مشاعره الثمينة يقدرها ويقدر ما يحتاج إليه، لذا فضل البقاء بمفرده، وعدم العودة بصحبة الشباب للقصر، فأتجه لأكثر مكانًا قد يريحه، ولم يجد راحته سوى بالجلوس أمام المياه التي يتردد صداها بحافة الصخور التي تلامسها بعناق طويل، اشمر "عدي" عن بنطاله، ثم طوى قميصه حتى كشف عن ذراعيه وحرر أول أزراره حتى مقدمة صدره، وجلس فوق الصخور القريبة من المياه، لا يعلم كم ظل على تلك الحالة الساكنة، يتأمل المياه بصمتٍ عجيب، أزعج جلسة سكونه صوت رنين هاتفه، فجذبه من جواره وهو يتأمل اسم المتصل على مضيض، فضغط على زر الاجابة وتركه لجواره وهو يجيب بتأففٍ:

_عايز أيه يا مزعج؟

تردد صوته المرتبك إليه، فنجح بزرع التوتر بداخله لمعرفة ما به:

_عدي.. إبعد عن طريق مهاب أبو العزم الراجل ده خطير.

نزع عنه سماعته وجذب الهاتف لأذنيه وهو يسأله بقلق:

_في أيه يا مازن؟

رد عليه مسرعًا:

_الراجل ده مش سهل يا عدي.. مخيف ولازم تاخذ حذرك منه.

بنفاذ صبر صاح:

_ما تنجز وتقول في أيه؟!

أوضح له ما حدث:

_الشاب اللي استدرجته وعرفت منه المعلومات اللي بلغتالك من يومين اتقتل بطريقة

غامضة ومحدثش لاقى تفسير لموته.. بس طبعًا أكيد اتفهم سبب موته!

أبعد خصلات شعره الذي بدى يزعجه بطوله عن عينيه وهو يخبره:

_مازن أنت لازم ترجع مصر بسرعة.. أكيد هيهاجمك في أقرب فرصة.

طمنه حينما قال:

_لا معتقدش إنه هيعرف يوصلني.. لأنني مدتش للشاب ده أي معلومه توصله بيا.. اطمن

أنا لو حسيت بالخطر هنرجع فورًا.

حذره مجددًا:

_خد بالك من نفسك.. وسبلي أنا مهاب ده.

أغلق هاتفه وعقله ينجرف خلف عدة طرق كلاهم لا يتفق بمقابلة الآخر، ولكنها تتحدان

لتأيد نقطة واحدة، بأن عليه أن يواجهه وجهًا للآخر!

شاشة ضخمة تحتل منتصف ردهة يملأها عدد مهول من الحرس الخاص، المكلف بحماية رجل من حيتان رجال أعمال الشرق الأوسط، وبمنتصفها مقعد ضخم يحده اثنين من تماثيل النمرور الجامحة، يعتليه "مهاب أبو العزم" وهو يتأمل صورة عدوه الجديد الذي انضم لقائمة تخص "عدي الجارحي"، وذراعه الأيمن يقف لجواره وهو يتابع الصور من أمامه، فعبث أحد الرجال بالريموت الالكتروني من على بعدٍ ليقلب باقي الصور، فخرج "مهاب" عن دائرة صمته المخيف حينما سأل من يقف على يمينه:

_مين ده؟

أجابه بثقةٍ تجعله مثير للشكوك، وكأنه يعرف أفراد آل "الجارحي":
_ده "مازن أحمد الباز" صديق عدي المقرب وزميله.. يعني مش أول مرة يساعده وينقله معلومات عنك يا باشا.. ده متعود يكون الكلب اللي بينج ورا صاحبه.. وزى ما قدر يسحب المعلومات دي من الحيوان اللي قتلناه يقدر يعمل أكثر من كده لانه ظابط وده جزء من شغله.

واسترسل بفحيح شيطاني:

_وجوده بدبي خطير علينا كلنا يا باشا.

أمره دون سماع المزيد:

_اخلص منه.

ارتسمت السعادة الغامضة على وجه هذا الأرعن الذي انضم إليه لينتقم لنفسه، وكأن كل اعداء عدي اجتمعوا ليعلنوا حربًا شيطانية لعينه، عاد الرجل ليقلب بالريموت عدة صور التقطها لمازن بعد مراقبته لثامنيةٍ وأربعون ساعة، حتى أتت قبالتهم احدى الصور، فأمره "مهاب" سريعًا بالتوقف، انحنى بجسده للأمام وهو يتأمل تلك الصورة المعروضة، واصبعه يشير لمن يراقبه بتكبيرها، وبعد لحظات خرج سؤاله مسحور خلفها:

_مين دي؟

أجابه ذراعه الأيمن باستغرابٍ مما يحدث إليه:

_مروج بنت عم عدي وتبقى مرات مازن!

شروده بصورتها كان بمثابة انذار بخطر مهيبٍ، فنهض عن مقعده واتجه إلى الشاشة بخطواتٍ بطيئة، مرعبة، حتى باتت يده تمسد على وجهها برغبةٍ دنيئة، فهمس بشر عظيم:
_مفيش مانع تكون وسيلة تساعدنا في الانتقام من الحقير ده هو واللي وراه.

وببسمِ ماكرة، ردد:
_بس يا ترى هقدر أقنعها بالوش ده بعد عملية التجميل!

أسرع من خلفه وهو يردد بضحكة لا تخص سوى شياطين الانس:
_انت تعجب الباشا يا باشا.. وبعدين العملية دي هي سر نجاتك.. ومستحيل عدي يقدر
يوصلك.. ولا هيعرف عمره كله يوصل لعدوه اللي بيضربه من تحت لتحت حتى لو شافك
وش لوش!
شاركه الضحك لينقطع عنه فجأة، ليتابع بقسم لعين:
_كل اللي عمله فيا جواه السجن عقابه هيكون عسير أوي.
واستدار تجاهه وهو يأمره:
_احزلنا تذكرتين على بكره بليل، هحضر المناقصة دي بنفسي وهشوف اذا كان هيعرفني
بالوش ده ولا لا.
واستكمل بتحذير قاطع:
_بس خد بالك.. ظهورك لعدوي هيكشفنا.. مش لازم يشوفك لا هو ولا أي حد.. سامع.
أوما برأسه عدة مرات وهو يؤكد له:
_متقلقش يا باشا.. أنا مش تلميذ!
وعاد ليتطلع تجاه الصورة المعروضة، فوزع نظراته بينها وبين من يراقبها بانبهار وجراءة،
فغمز له بمكر:
_بس قولني انت ناوي على أيه؟
عاد ليلامس الصورة من جديد:
_النية مش بتحقق المراد!

ودع القمر لقائه الغرمي واستقبلت الشمس بداية اليوم بترحابٍ غامر، ومع بداية اشْرِقتها
غمر آذان الفجر الاجواء، وهو ينادي "الصلاة خيرًا من النوم"
أغلق "عدي" عينيه بتأثرًا، فنهض عن الصخور وإتجه لأقرب مسجدًا إليه، شرع بالوضوء
ومن ثم التحق بصفوف المصلين، وأدى فريضته بخشوع تام اعتاد عليه بفضل توجيهات
والدته، فلم يترك يومًا فردًا، حتى عمر ومليكة نشأوا على تلك التربية التي احتدت بالحزم
تجاه ما يخص الله عز وجل، فلم تتهاون آية يومًا مع أحدًا حتى وإن كانت رقيقة طيبة
القلب، انتهى "عدي" من صلاته، ثم جلس على سجاده يتربع المسجد من حوله بنظرةٍ
متفحصة، فاسند ظهره على احد الاعمدة، ولا يعلم كيف غفى واستسلم للنوم سريعًا..

_كنت على طول بخالفك وواقف في وشك في أي قرار بتأخذه، كأني كنت واخذ عهد على نفسي اني اتحدأك طول ما أنا عايش... أنا النهاردة ضعيف ومحتاج لوجودك... محتاجلك ولأول مرة أعترف بيها.. أنا من غيرك مش مسنود أنت كنت السند والحماية ليا حتى وأنا رافض ده... بجد محتاجلك أوي...

تقهقهرت الدمعات على خديه مع تلك الصفحة القاسية التي يواجه بها نفسه لأول مرة بمكان ليس به سواه هو، يبوح بما يصعب على لسانه العاجز البوح به، يخرج ما يأجج داخل صدره في ذلك المكان المنعزل، لا يأنس وحدته سوى تلك الدمعة الحارقة التي تحررت أخيرًا من معتقلها، وفجأة شق صوت عذب ذاك الصمت المقبض وهو يجيب صراخه المهتاج:

_أنا هنا يا عدي... جنبك ومستحيل هتخلي عنك!

استدار بجسده للخلف، فوجده يتكأ على تلك الصخور، وعلى ما يبدو بأنه كان يستمع لحديثه من البداية، نهض عدي عن الأرض بابتسامةٍ ازاحت غمة الحزن وكلمة واحدة تتردد بسعادة عالم بأكمله:

_بابا!!!

انتفض بنومته فزعًا من ذاك المنام الغامض، والغريب له احتفاظ عينيه بالدمعات وكأنها تقسم بأن تذكره بمنامه الغريب، أي منامٍ هذا الذي يترك من خلفه وجعًا يضرب روحه ويطعن قلبه دون رحمة، كانت رسالة ربانية غريبة، لم يفهم مغزاها حتى الآن، حتى توقيت رؤياه للحلم كان الامثل لاعتباره رقية، وهل هناك أمثل من وجوده باحد منازل الله عز وجل؟!

نهض عن سجادة الصلاة، وهو يتأمل المكان من حوله بعينين دامعتين، فأخرج محفظته الجلدية ثم أخرج مبلغًا صخمًا، واتجه لصندوق المسجد وانحنى ليضعه وهو يردد بألم: _أنا مش عارف أيه اللي بيحصل.. بس أنا بتمنى إنك تحفظلي أبويا من كل شر.. احفظني من نفسي ومن شيطاني يا رب.

وانحنى برأسه للأسفل وهو يسترسل بحزن:

_كل اللي حواليا نقاط ضعف ليا فيا رب متورنيش السوء في حد فيهم.. افديهم بروحي يا رب.

واستدار ليغادر المسجد تاركًا من خلفه سكينته وراحته القصيرة، التي قضاها بداخل بيته الكريم، غادر "عدي" واتجه للقصر بعد أن قضى ليله به.

فتحت عينيها الساحرة بتكاسلي انصياغًا لليد التي تحرك جسدها، فرددت بنوم:
_ في أيه يا مارثا؟
ذكرتها الخادمة بما أخبرتها به قبل غفلتها أمس:
_ موعذك مع طبيبة الاسنان سيدتي!
فركت "مروج" جبهتها ببعض الألم، فاعتدلت على الفراش وهي تحاول فتح عينيها بصعوبة، فمازال النوم يسيطر عليها، حررت يدها عاليًا وهي تشير لها:
_ جهزيلي الحمام يا مارثا.
هزت رأسها بطاعةٍ وانصرفت تلبي طلبها، بينما نهضت "مروج" عن سريرها واتجهت لخزانتها، تنقي ما يليق لزيارة الطبيبة، اغتسلت وارتدت بنطال قماشي من اللون الأسود الفضفاض، وقميص من اللون الوردي طويل يصل لبعد ركبتها، عقدت حجابها جيدًا، استعدت للمغادرة، وقبل أن تغادر شددت على الخادمة:
_ خلي بالك من عز وهمسة يا مارثا.. عز يخلص واجباته وهمسة جهزيلها الرضعة بتاعتها في وقتها.
ردت عليها بود:

_ لا تقلقي سيدتي.
غادرت "مروج" بعدما اطمئن قلبها على أولادها، فصعدت لسيارتها واتجهت للعيادة الخاصة، انتظرت دورها حتى دخلت، وحينما انتهت غادرت مسرعة حتى لا تتأخر بعودتها على ابنائها، فولجت للمصعد وضغطت على زر الطابق الأرضي، فتحرك بها المصعد لينخفض عشرة طوابق ومن ثم علق بها بالطابق العشرون، انقبض قلبها وهي تعيد الضغط على ازور المصعد، ولكنه لم يستجيب إليها، انقبض قلبها رعبًا، وخاصة حينما تلاعبت الإنارة وكأنه مشهد من فيلمٍ رعبٍ يعاد على مخيلاتها، سعلت "مروج" بقوةٍ كادت بإغلاق مجرى تنفسها، فمسدت يدها على حقيبتها الصغيرة، أخرجت هاتفها واختارت رقم زوجها، حاولت الاتصال به ولكن الشبكة بالمصعد كانت تحت الانقاض! ، لم تحصل حتى على شرطة واحدة تنقذها مما تتعرض له، والمحزن بالأمر بأنه مبنى ضخماً يحتوي على أربعة مصاعد، فلن يعبئ أحدًا إن تعطل احداهم، جلست مروج أرضًا وقد احاطتها وابل من الدموع، وجسدها يرتجف بعنفٍ، فسجلت رسالة صوتية لزوجها ومازال الأمل يولد داخلها، علها تصل له ويأتي لنجرتها:
«مازن الحقني.. الاسانسير عطلان بيا في عيادة دكتورة يمنى، أرجوك ساعدني أنا خيفة وحاسة إن نفسي بيتسحب مني»..

هوت دموعها مع سقوط الهاتف عن يدها، مرت ساعة كاملة تجاهد بها لالتقاط الاكسجين ومحاربة الاغماء، وفجأة شعرت بصوتٍ قريبًا منها يتساءل:

_في حد جوه؟

نهضت على قدميها وهي تصيح بلهفة:

_أيوه.. ساعدني أرجوك!

اتاه صوتًا رجوليًا يجيبها:

_متقلقيش يا آنسة.. بحاول أفتح الباب.. عايزك بس تبعدى شوية.

ازاحت دمعاتها عنها والسعادة عادت تلوح لها بعد فقدان أمل عزيز لها، فتسلل لمسمعها صوت ضربات قوية تصيب الباب وأداة حادة تخترقه حتى نجحت بفصله عن بعضه من الجزء العلوي، فوجدت ذراع ممدود لها وهو يحثها على الاقتراب:

_حاولي تمسكي ايدي بسرعة.

لم تفكر أبدًا، نجاتها بالوقت الحالي هو اسمى امنياتها، لذا حملت هاتفها وحقيبتها وتشبثت بذراعه، فرفعها بكل قوة حتى تمكن من اخراجها للهواء الطلق، جاهدت مروج للوقوف على قدميها ومازالت نوبة البكاء تجتازها، فقدم لها هذا الرجل زجاجة من المياه قائلاً بلطفٍ:

_اتفضلي.

تناولته منه مروج، وتجرعت منها كمية كانت كافية لانعاشها، وقد بدأ اتزانها يعاود لذهنها ولكنه غائب عن جسدها المرتجف، فقالت بلسان مضطرب:

_مش عارفة أشكرك ازاى.

ابتسم وهو يتأملها بنظراتٍ عميقة، وبنبرة غامضة قال:

_مفيش داعي للشكر.. انا كنت في ميتنج بالدور ده ولما جيت استخدم الاسانسير لقيته عطلان.

وقدم يده ليصافحها:

_أنا مهاب.

استندت على حافة العمود الذهبي حتى وقفت على قدميها، تأملت يده الممدودة بحرج، فتعمدت تمسكها بحقيبتها وهي تردد على استحياء:

_اتشرفت بحضرتك.. واللي عملته معايا حقيقي مش ممكن أنساه.

سحب يده الممدودة بغضبٍ دفنه خلف ابتسامةٍ زائفة، وهو يخبرها بلباقةٍ:
_أنا معملتش غير الواجب.
منحته ابتسامة صغيرة واتجهت بخطواتٍ شبه متعثرة للدرج، فاوقفها بذهول:
_هتنزلي كل ده احنا في الدور العشرين!
ازدردت ريقها الجاف بصعوبةٍ، فهي بحالةٍ لا تسمح لها بالهبوط كل تلك المسافة، ومع ذلك تخشى الصعود للمصعد مجددًا، فما حدث سيجعلها تمقت صعود أي مصعد قط، وزعت نظراتها بحيرةٍ بين المصعد والدرج، فقطع حيرتها حينما قال بخشونة:
_اسمحيلي انزلك بالاسانسير.

هزت رأسها نافية بلباقةٍ:
_مفيش داعي أنا هنزل لوحدي.
اعترض طريقها ولحق بها وهو يخبرها بلطفٍ زائد:
_مش محتاجة تخبي الحالة اللي انتي فيها لانها باينة.
لم تكن بحالةٍ تسمح لها بالجدال، وخاصةً بأن ما كونته عنه لم يكن بالسييء، بالنهاية قدم لها يد المساعدة في وقتٍ ظنته الاخير من حياتها، ولجت معه مروج للداخل، فهاجمتها نوبة حادة من الدوار، ومشاهد ما حدث لها بالداخل منذ قليل ترتطم بها بوحشيةٍ قاتلة، رفعت يدها تتحسس جبهتها بألمٍ جعلها تهوى دون اي ارادة لها بالنهوض، حان بينها وبين الارض فسقطت بين ذراعيه وابتسامته الخبيثة تسري على شفثيه وهو يتأملها عن قربٍ
خطر!

اليوم كان عطلة لرائد وأحمد، للتركيز للمعاركة التي تنتظرهما بالغد، فباشر الشباب العمل من المنزل، كان "عدي" بطريقه للأعلى حينما وجد أبيه يستعد للهبوط، فوقف قبالة بوجهه الشاحب الذي أثار قلق ياسين، فسأله بنظرةٍ تلتهم تعابيره:

_أنت كويس؟
أوما برأسه بخفةٍ، فعاد ليتساءل من جديد:
_كنت فين لحد دلوقتي؟
ابتسامة ساخرة لحقت بكلماته المشككة:
_اللي بيرقبوني مبلغوش حضرتك بمكاني؟

تعمق بالتطلع لحدقثيه الغريبة، وهو يردد:
_قولتلك قبل كده واجبي اني أحامي العيلة كلها.. وانت دلوقتي منصبك حساس والعيون

كلها عليك.

عقله الذكي يرفض تصديق ما قاله، فأخبره بدهاءٍ حينما قال:
_يعني مفيش فرق بين شغلي وشغل حضرتك.. هنا حياتي في خطر وهناك نفس الوضع
طب ليه حضرتك أصريت أسيب شغلي مدام نفس المصير بيلاحقني!
هبط الدرج دون أن يقدم اجابته إليه، وحينما كاد بالانعراج عن استقامة الدرج قال بنبرة
وخيمة:

_يمكن لاني حابب ده.
وتركه وغادر من أمامه، فاستكمل الاخير طريقه للأعلى وخاصة لغرفة رائد وأحمد ليطمئن
بنفسه أن كل الامور على ما يرام.

غرفة "ياسين"

كان يتطلع للملف من أمامه وهو يثبت شاشة الحاسوب إليه، بعد أن ضمن الاتصال
بالفيديو على الشباب، ليكون بديل الاجتماع بالحضور هاتفياً لمناقشة بعض الامور الهامة،
فانتظر حتى يجتمع الجميع واستغل وقته بتجهيز الملفات المقصودة بسبب اجتماعهم،
وفي أقل من دقيقة كان يملئ الشباب شاشة حاسوبه، فحياهم على مضض:
_صباح الفل يا رجالة.. ركزوا معايا كده عشان ننجز الاجتماع بوقت قصير ونستمتع بالاجازة
براحتنا.

تطلعوا اليه من خلف شاشة الجاسوب، فكاد بأن يعرض الملف من أمامهم، وفجأة قبل
أن ينطق يعرضها من أمامهم، استمع لصوت باب مكتبه يفتح، واشترأت بعنقها من خلفه
وهي تردد:

_ياسين أنت هنا؟

كان على شفا أن يجيبها، ولكن ألجم لسانه حينما رآها تسرع إليه، ومن ثم جلست على
قدميه وهي تشير له:

_أهم حاجه بنتي تكون قاعدة مرتاحة..

عدلت من بطنها المنتفخة، ولفت ذراعيها حول رقبتة وهي تهمس له بنبرة مثيرة:
_النهاردة المفروض اجازتك.. هتقضيه برضه في الشغل.

جحظت عين ياسين وهو يحاول اخبارها بالكاميرا من أمامهما التي تجعلها كالبلث المباشر
الحي، أشارت له مليكة بتهديد ولم تترك له فرصة الحديث:
_ شكلي هشتيك لبابا ثاني.. وساعتها بقا شوف عقوبتك المرادي هتبقى أيه
واستطردت بحزن مصطنع:
_ انا قولت انك هتستغل سفر يحيى وتهتهم بيا أنا وبنتك بس انت مش سأل على حد فينا!
_ أنا من رأيي ترفعي عليه قضية خلع يا مليكة..
صعقت حينما استمعت لصوت عمر يخترق مجلسهما السري على ما بدى لها، فتطلعت
ناحية الباب بتوتر اتبع رجفة نبرتها:
_ مش ده صوت عمر!
رد عليها جاسم بمزح:
_ مش عمر بس ده المحلة كلها هنا وبتشجع بضمير..
ردد معتز بشماتة:

_ الراجل كل يومين يعملنا اجتماع ومحاكمة وهو نفسه محتاج يتحاكم!
ضحك أحمد وهو يردد بصعوبة من بين ضحكاته:
_ عذرك معاك يا ياسين اقفل وانا همسك بدالك.
اتجهت أعين مليكة تجاه شاشة الحاسوب وهي تردد بصدمة:
_ ده أيه؟
ضيق ياسين عينيه بغضب:
_ ادتيني فرصة اشرحلك أنا!!
نهضت عن قدميه وتباعدت عن محيط مقعده بحرج، فحمدت الله مرتين بأنها ترتدي
حجابها، وقبل أن يغلق الشباب، استمعوا لصوتٍ آخر يقتحم مكالمتهم الجماعية، صوتًا
ممزوج بالصراخ:
_ عمر الحقني انا بولد.
اجابها بلا مبالة وهو يتابع مكالمته:
_ لسه لسه.. انا فاهم في الموضوع ده أكثر منك.
تعالى صيحة انفلتت منها لتصم آذانهم جميعًا، فصعق من يتأملها بعدما انخفضت المياه
عنها، فلكرته بغضب وهي تواصل صراخها:
_ لسه محتاج اثباتات ثانية... الحقني!
_ يا نهار اسود.. دي ولادة فعلا!
_ يا شيخ!!!... تصدق اني افكرتها رحلة استكشافية للبيبي... الحقني!

الفصل الثاني عشر

استندت على ذراعه القوي الذي يمنعها من السقوط أرضًا، ورددت بخفوتٍ ويدها تحتضن
بطنها بألمٍ:

ـعمر مش قادرة!

جذبها ل صدره وهو يحاول جذب اسدال الصلاة الخاص بها، فمال برأسه على جبهتها وهو
يمسد بخديه عليها:

_متخافيش يا حبيبتي.. حالاً هنتحرك للمستشفى.

جذب الإسدال وألبسه لها، ومن ثم الحجاب فعهده جيداً وبإحكام حول خصلات شعرها القصير نسبياً بعدما قامت بقصه مؤخراً، حرص على اخفاء خصلاتها الأمامية حتى وإن كان هذا يفقده الكثير من الوقت، ومن ثم حملها وهرع للخارج، وفور خروجه من الغرفة تفاجئ بالشباب بأكملهم أمامه، تركوا هواتفهم وأسرعوا ليكونوا لجواره، أسرع بها "عمر" للأسفل، فصعد بسيارة "عدي"، وجعلها تتمدد بالخلف على قدميه، ويحاول تهدئتها بكافة السبل، إتكات "نور" على مرفقيها حتى باتت قبالتها، فهمست بصوتٍ خافت:

_هنوصل أمته؟ أنا مش قادرة أتحمل!

اتجهت نظرات عمر المرتعبة لأخيه، ومن ثم عادت إليها ليهمس بصوتٍ خافت:
_بلاش تستفزي عدي.. مش هنوصل لو عفريت السواقة حضر، وساعتها يا قلبي بدل ما تدخل على العمليات هتدخل الانعاش.

رمشت بعينيها عدة مرات، وكأنها تحاول استيعاب ما يخبرها به في تلك اللحظة، فتأوهات وهي تقترب لتميل على عنقه، فرددت بصوتٍ ظننته غير مسموع لمن يجلس بمقعد القيادة:

_أنت بتحلو وأنا في آخر أيام حياتي ليه؟

رمش بعينه بذهول، رفعت عينيها إليه ثم رفعت يدها لتمررها على ذقنه:

_بقول إن شكلك بالدقن أحلى.

أبعد يدها عنه سريعاً، مردداً بضجر:

_أنا عارف هلاوس ما قبل الولادة دي!

وبنفس هدوء نبرته أخبرها:

_نور يا حبيبتي إحنا ربنا رزقنا وركبنا مع الوحش، نمسك نفسنا بقى بدل ما يرمينا عند عتبة بوليس الآداب!

استفزتها كلماته، هل يخبرها بالانتباه لتصرفاتها وهي بوضع هكذا، استدار برأسها تجاه "عدي" ثم صاحت بإنفعال:

_عدي هو أنا راحة أزور خالتي وراجعته، أنا راحة أولد وبالشكل ده مش هلحق لسنة قدام! منحها نظرة سريعة من طرف عسلية، ومن ثم شدد على المكبس من أمامه، وبسرعة جنونية كادت بأن تقذفهما من نافذة السيارة، لدرجة جعلتها تحتضن بطنها بيدٍ واليد الأخرى تكاد تقتلع عنق عمر من شدة تعلقها به، ولسانها يردد دون توقف:
_انقذ ابني واجري بسرعة!

ود لو قذفها بعيدًا عنه بعد ما تسببت بفعله خاصة وقد قام بتحذيرها بنفسه، فصاح بها وهو يحاول منعها من السقوط عن أريكة السيارة:

_دي عربية الآخرة وبدون حساب إن شاء الله، أنا معنديش طموح أشوف ابني أنا عندي طموح ألم أشلائي من الرصيف!

تهدجت سرعة السيارة تدريجيًا، لتظهر المشفى من أمامهما، حمدوا ربهما معًا بصوتٍ يتحد بنطق:

_الحمد لله!

فتح "عمر" باب السيارة أولًا، فكاد بالسقوط أرضًا من فرط الدوار الذي ضربه بعد هبوطه عن تلك السيارة المخيفة، انخفض ساق نور عن السيارة وأشارت بيدها لمن يحاول الحفاظ على توازنه:

_عمر ساعدني!

اقترب منها ومن ثم حملها واتجه بها للداخل، وعدي يتبع خطاه بصمتٍ وإتزان مخيف.

عاد منهكًا من عمله، فولج لشقته وهو يخلع عنه جاكيتة الأسود، ومن ثم حرر جرفاته وهو يتوسط الأريكة المقابلة له بإرهاق، اسند "مازن" رأسه لمقدمة الأريكة ويده تفرك جبهته بألم، على غير عاداتها لم تستقبله بنفسها ككل يوم، فنادها بقلق:

_مروج! ... حبيبتي إنتِ فين؟

خرجت الخادمة من غرفة أبنائه تحمل الصغيرة بين يدها وهي تحاول أن تهددها بين ذراعيها، وقالت:

_السيدة لم تعد للمنزل حتى الآن.

رفع ساعديه يتأمل ساعته وهو يتساءل بذهول:

_ليه هي خارجة من أمته؟

أجابته وهي تحاول أن تهدأ الصغيرة:

_منذ أربع ساعات تقريبًا.

أشار لها بالإنصراف، واعتدل بجلسته وهو يخرج هاتفه، مرددًا بأستغراب:

_اتأخرت ليه كده؟

فتح "مازن" هاتفه، فوجد رسالة صوتية على الواتساب منها، جز بأسنانه على شفتيه السفلية بقوة، فما زال يمتلك عادة بقاء هاتفه بالوضع الصامت بعمله، فتح الرسالة والسكينة مازالت تفرد سيطرتها على معالمة، وفجأة انتفضت عروقه فزعًا مما استمع إليه، تفجر القلق داخله وسهام من نيران تستهدفه دون رجعة، هل كانت زوجته بحاجة لتلك الدرجة وهو يريح رأسه بوضع هاتفه على الصامت ليستكمل عمله بتركيز؟، لا يعلم

كم استغرق بالتحديد لجذب مفاتيح سيارته ويركض كالمجنون للأسفل، فسارع السيارات وكأنه في سباق عنيف، يضع محبوبته وزوجته الغالية في كفةٍ أخرى من الميزان، فلم يستغرق سوى دقائق معدودة حتى وصل أخيرًا للمبنى الذي يضم به مكتب طبية الأسنان الذي تقصده زوجته من الحين للآخر، تلقائيًا اندفع للرواق المتخصص بالمصاعد، وأخذ يتفحص كلاً منهم، ارتخى جسده المتشنج قليلًا حينما وجدهم فوارغ، فأسرع لأحد أفراد الأمن يسأله بإيجاز:

_كان في حد محبوس بالأسانسير؟

رد الشاب نافيًا وهو يهز رأسه:

_لا.. محصلش حاجة زي دي!

عادت أنفاسه تنعشه من جديد، حتى وإن لم يُرفع عنه القلق ستاره كليًا، فأسرع للمصعد قاصدًا عيادة الطبيب، ومن ثم للسكرتيرة فعاد مرة أخرى لدائرته المغلقة حينما أكدت له بأنها أتت بالفعل في موعدها المحدد ولم يستغرق بقائها بالعيادة سوى ساعة الاربعة، شعر بنغزةٍ عارمة قد تصيبه في مقتل، إلى أين اختفت فهي لا تعلم أحدٌ هنا، حتى أنها لم ترغب قط بالخروج للتنزه دونه لعدم علمها بالطرق بعد!

كضابط شرطة كان سريع المَعْيَى وحاذق، لذا كان يعلم ما يتوجب عليه في تلك اللحظة، فهبط مسرعًا للأسفل، ومن ثم قصد غرفة المراقبة الخاصة بالمبنى، فوقفه أحد من رجال الأمن وهو يحذره بعدم الاقتراب:

_مينفعش تدخل هنا يا أستاذ ممنوع.

أخبره على مضضٍ وهو يحاول إبعاده عن طريق عبوره:

_مراتي مرجعتش البيت من وقت طويل، محتاج أشوف تسجيلات الكاميرات.

حال بذراعه القوي بينه وبين الدخول، وهو يشدد على كلماته بنزق:

_قولتلك ممنوع، ولو حابب تمسح الكاميرات يبقى بأذن!

سيطر "مازن" على غضبه بصعوبةٍ، فود لو أطاح بمن يقف عائق بينه وبين الاطمئنان على زوجته، ولكن هذا لن يفيدَه بالوقت الحالي، فلن يفيدَه الا خسارة للوقت، لذا برتابه وعقلانيةٍ أخرج جواز سفره ومن ثم كرنيه الخاص ليقدمه إليه، رتبته بالشرطة كانت كافية بجعله يزيع يده عن مدخله، وما زاده ريبة حينما ردد مازن بتحدي صريح:

_مراتي اللي مش قادر أوصلها تبقى مروج عز الجارحي.. ها لسه محتاج لإذن تاني؟

من لا يعلم بسلطة عائلة تفشت نفوذها بين العالم، الجميع بات على علم بإمبراطورية الجارحي وبالأخص بمالكها المتحكم بأفرعها "ياسين الجارحي"، من لم يسبق التعامل معه

شخصيًا يكفيه سيطه المخيف والصارم! ، لم يجرأ أحدًا على منعه من عرض الفيديوها
المسجلة للمبنى، ولأول مرة يلجئ فيها مازن لنفوذ عائلة زوجته، وإن أضطر كان ليفعل
أكثر من ذلك لأجلها، وخاصة بأن ما حدث بالآونة الأخيرة يجعل قلقه يزداد الضعف.
استمرت رحلة بحثه لدقائق استطاع بها رؤية تسجيل واضح لزوجته، وهي تدخل للمبنى،
وما أثار رهبته رؤيتها تخرج بين يد هذا الرجل الغامض، سقط قلبه بين قدميه، وأشار بيده
للعامل:

_قرب الصورة.

حاول أن يقربها ولكن كانت معالمه غير واضحة لارتدائه كاب أسود ونظارة سوداء تلتهم
أغلب وجهه، وحينما فشل بتحديد معالمه أشار له مجددًا:
_شغل.

أعاد تشغيل الفيديو مجددًا، فرآها يحملها ويضعها بسيارة سوداء، وفجأة استدار الرجل
تجاه الكاميرا الموضوعة أمامه، وكأنه يعلم كيف تسير عصبة تفكيره، فأزاح عنه الكاب
والنظارة وهو يتعمد اظهار معالمه لمن سيعرض تلك اللقطات، ارتد مازن للخلف
بصدمة وهو يردد بصوت يكافح للخروج:
_مهاب أبو العزم!

أوشك المحلول على الإنتهاء، فتمسكت نور بعنق عمر وهي تهمس له بخوف:
_أنت عارف أيه اللي هيحصل دلوقتي؟
فشل بحماية رقبته من أظافرها الحادة، ومع ذلك نجح بتصنع الهدوء وتلك البسمة التي
تحمل الحب لها:

_أيه يا حبيبتي اللي هيحصل، احكي لي؟
أشارت له على باب الغرفة الأبيض، وقالت:
_هتدخل الممرضة ام كرش مدلدل دي وهتقولي بصوت مخيف "جاهزة يا مدام"
هز رأسه وهو يستمع لها بنفاذ صبر، فزادت من تشبثها به وهي تردد برجاء:
_وأنا وعهد الله ما جاهزة يبجوا كرشي النهاردة، تعالى نهرب من هنا يا عمر.

التقط نفسًا مطولًا وهو يحاول تقبل تراهات النساء وخاصة في موقف كذلك، فإن تحمل
عقبات التسعة أشهر من تقلب الهرمونات وغيرها من معضلة شرسة أفتكت به ألن
يحتمل تلك الساعات البسيطة؟!
مسد "عمر" على ظهرها بحنان زائف:

_اهدي يا حبيبتى.. دي كلها نص ساعة وهنمشي تانى.
قبل أن تقرر اجابتهو، قُتِح الباب بعد دقائق الخافقة وطل الطبيب من خلفه، فدنا من عمر
وهو يبادلله السلام الحر:
_يا أهلاً بالدكتور اللي مش سأل على زمايله.
حاول أن يرفع يده بيد صديقه الممدودة، فنور تحتجز جسده بأكمله حتى ذراعيها، فنهض
عن الفراش بجزءها العلوي المتشبه به كالطفلة التي تخشى الآبرة، بادلله السلام بصعوبة
وهو يحياه بمحبة:
_ازيك يا مالك أخبارك أيه؟
هز الطبيب رأسه باستحسان:
_أنا بخير.. وحقيقي مبسوط اني بشوفك النهاردة بعد زمن.
مازحه عمر بسخطة:
_بعد زمن أيه يا راجل، ده أنا كل شهر هنا أنا والعيلة الكريمة.

انفجر ضاحكًا، فكان له من الحظ الأوفر من المال لمتابعة الفتيات حملهن معه بالفترة
الأخيرة، كبت عمر صرخة مداوية كادت بالخروج لتزيح عنه شعوره بالآلم لحظة نغزها
بأظافرها بعنقه مجددًا وهي تهمس له بصوتٍ وصل للطبيب قبله:
_مش هولد مشيني من هنا بقولك، مكفكمش فتحتوا كرشي مرتين قبل كده.. هتعملوا فيا
أيه تاني يا ظالمة!
رسم بسمة مصطنعة، وأبعدها عنه للفراش وهو يخبرها بتريث:
_طب خليك هنا وأنا هتكلم مع مالك في الموضوع ده وراجعلك تاني.
ابتعدت عنه بعد تفكير، فجذب عمر مالك كالمجرم الذي يتوسل الشرطي بالرحمة، وخرج
به للخارج وهو يخبره بنبرة تشبه الترجي:
_خلصني يا مالك وخدرها جوه، أنا تعبت صدقني.
حانت منه نظرة متفحصة لرقبته التس تشبه الخريطة المتفرعة، وردد بشفقة:
_لا مهو باين.
وكبت بسمته وهو يشير الممرضات التي اتت بالسريير المتحرك إليهما:
_مينفعش تتخدر جوه أنت دكتور وعارف.. بس خلاص المحلول هخلص ولازم تدخل
العمليات حالًا.
سأله باستنكار:
_ودي هتخرج من جوا ازاي؟
ضحك بصوته كله ومن ثم طرق على كتفيه بحمايس:

_مهمتك الأخيرة يا بطل!

مل الجميع بانتظارهم المطول أمام غرفة العمليات، ومازالت "نور" بداخل الجناح الخاص بقسم النساء والتوليد، لم تدخل بعد للعمليات، وفجأة تلاشى الصمت المهييب بين جلستهم حينما استمعوا لصوت احتكاك سرير جرار يقترب منهم، فوجدوا الممرضات يبذلان مجهودًا لدفعه للداخل في حين اعتراض نور لذلك، حتى انها اعتدلت بجلستها عليه وجذبت عمر من جاكيتته وهي تصرخ باندفاع:
_بقى ده وعدك ليا.. بتقولي هنمشي من هنا وهفسحك دي الفسحة من وجهة نظرك يا دون!

حاول ابعادها عنه وهو يردد:
_هخرج معاكي ازاى بس وأنتي بالوضع ده.. أولدي وأنا وعد مني هلفكك مصر حته حته.
رفعت حاجبيها بسخط:
_مصر! ده تمامك يعني؟!
تدخل أحمد وياسين بينهما على الفور، فقال أحمد بوجه يكافح الا ينحاز للضحك:
_نور بلاش فضايح احنا في مستشفى محترم.
استدارت تجاهه ومن ثم تفحصت الجالسين وجهًا لوجه، فصاحت بوجوم:
_هو مفيش غيركم! أمال فين البنات!
وقبل أن يجيبها استطردت:
_ومالكم ضارين كلكم طقم بدل سودة ليه جاين تعزوا في ميت! بتفوووولوووا عليا!

ضحك ياسين حتى فشل بالسيطرة على ذاته، فخلع عنه جاكيتته الأسود وأشار للشباب وهو يخبرهم:
_اقلع يا ابني منك له الاسود وخلوها أبيض عشان نور نفسيتها تتعدل ونخلص.
انصعوا إليه جميعًا، فقال ياسين بمرح:
_كده تمام ولا أيه؟
تهدلت معالمها في يأس، فكل حجة تلجئ لها تسد من امامها، دنا منها حازم وقال بملل:
_ما تنجزى بقا يا نور.. محدش بيطلع عنيانا من البنات غيرك.. صدقي بالله احنا عودنا بنشيل هم حملك عشان اللحظة دي!
ردد عمر بنزق:
_آه والله.. ده كابوس بيرادوني من ٩ شهور.

كبت "رعد" ضحكاته، ومع ذلك أخبرها بثبات:
__ عز وأدهم لسه قدامهم ساعة علي ما طيارتهم توصل.. بس يارا وشذا على وصول
متقلقيش.
وكأنها وجدت الأمان بمخرج جديد:
__ نستناهم احنا ورانا أيه يعني؟
شدد عمر على شعره بنفاذ صبر، وأشار لمالك الذي سقط من فرط الضحكات:
__ ما تتصرف يا زفت.
أجابه بمرح:
__ أتصرف أعمل أيه؟ ثم إن دي مش أول مرة مدام نور تعمل كده!
تدخل "عدي" حينما وجد "عمر" على وشك الجنون فأنحني تجاهها، وقال بمكر:
__ نور هو أنتِ خايفة فبتكتسبي وقت قبل الجراحة ولا نظامك أيه؟
أجابته بغرور خادع:
__ أخاف ايه بس يا وحش عيب عليك.
وَإستدرات برأسها للخلف لتتفحص الوجوه ثم صاحت برعب:
__ مبدهاش بقي، أنا عايزة ارجع القصر لماما "آية" أنا جيت هنا غلط وعهد الله لسالي
شوية.
ردد رعد بصدمة:
__ المستشفى كلها أتلمت علينا؟!

ردد ياسين ساخرًا لأحمد الواقف جواره:
__ دا دليل اني داخل علي أيام سوده.
أتاه صوتًا متمرد يجابهه:
__ بتقول حاجة يا حبيبي؟
استدار للخلف فوجد الفتيات بأكملهن أمامه، حتى "عز" و"أدهم" الذي دنا منها وقال:
__ شوفتي حظك يا نور قدرنا نخلص ونركب معاهم على نفس الطائرة..
بينما أضاف عز ببسمته الجذابة:
__ ربنا يقومك بالسلامة يا حبيبتى..
ابتلعت ريقها بتوتر، حينما اندفعت الفتيات إليها من كل صوب، حتى "آية" انضمت إليهن،
فربتت على يد نور وهي تخبرها بحنان:
__ متخافيش يا حبيبتى كلنا جنبك..
انحنت تجاهها رحمة وعدلت من حجابها الغير منظم ثم قالت بشفقة:
__ متخافيش كلها دقايق وهتخرجي.

منحتها ابتسامة ممتنة، فتراجعت للخلف وسمحت لآسيل بالاقتراب، فانحنت تجاهها
وهمست هي الاخرى:
_تفكيرك هيتعبك سببها على الله.
ضممتها يارا لحضنها وهي تربت بحنان عليها:
_كنت هزعل لو مكنتش لحقتك قبل ما تدخلني.. بس الحمد لله.

وقالت شذا:
_ياللا يا نوري مستنينك تقومي بالسلامة عشان نرغي في حاجات كتير.
واضافت مليكة:
_مستنين نشوف الباشا اللي هيشرف عيلتنا بس بلاش اسماء متكررة بقا الله يكرمك ملينا
من اللخبطة.
اكتفت ببسمة صغيرة ممتنة بالحب لعائلتها التي لا تنفك تقدم كامل دعمها لها، الجميع
لجوارها اليوم، ابتعدت الفتيات للخلف وتبقى عمر وعدي لجوارها، فأشارت لعدي مرة
اخرى، انحنى تجاهها ليسمع ماذا هناك مجددًا فقالت بحرج:
_معتش ليا حاجة؟
أكد لها:
_بالظبط.
هزت رأسها وهي تسترسل:
_خلاص خلي أخوك يدخل معايا.
رفع عسلية عيناه لمن يتابع الحوار بينهما، فردد باستسلام:
_أمري لله.
عادت نظراته تجاهها مجددًا بعدما حقق لها مطلبها، فقالت:
_توكلت على الله.. شوف بقى يا وحش عشان لطفك الغريب ده معايا! انا لو جبت فعلاً
واد هسميه على اسمك تيمناً بالموقف اللي مش مفهوم منك ده.

ابتسم وهو يخبرها بمرح:
_ادخلي انتي بس وانا راضي بأي حرف من اسمه بس اعقدي النية بس!
ضحكت بصوتها كله، وأشارت لعمر بأن يدفع السرير، وفجأة اوقفته فصاح معتز بنفاذ
صبر:
_أيـه تـاني؟
قالت بتذمر وهي تشير لعدي:

_يشلني زي ما عدي شال رحمة ودخلها العمليات.. ولا هي يعني عشان كانت حامل في
تؤام يعني!

انفجرت رحمة من الضحك حتى توردت وجنتها، فصاح به رائد بملل:
_شله يا عم وخلصنا!

ود لو حملها وألقى بها بصندوق المهملات الضخم الذي رآه جوار المشفى في طريق
عبورهما بالطائرة التي قادها أخيه، لوهلة كان يظن بأنه هو من سيقذف بها من نافذة
السيارة والآن يتمناها لزوجته التي تمادت بأفعالها الطفولية، لذا حملها وولج بها لغرفة
العمليات بخطواتٍ شبيهة للركض، تاركًا من خلفه تهليلات شكر وحمد لتخليصهم منها!

بدأ تأثير المخدر يتلاشى عن أطرافها، فبدت الرؤيا معتمدة بعض الشيء، مررت يدها على
جبينها وهي تقاوم الألم الشديد الذي يصفع جسدها، فبدأ يتضح لها معالم المكان
تدريجياً، غرفة فخمة للغاية، خزانة ضخمة من اللون الأبيض وكومود ضخمة يقابله شاشة
عرض، وسريرها يتوسط تلك الغرفة، بدى لها بأنها بأحد الفنادق الباهظة، فتحملت على
ذاتها ونهضت وهي تردد بخفوت:
_أنا فين؟

حاولت جاهدة تذكر أي شيء قد يساعدها بمعرفة هذا المكان، فتذكرت صعودها للمصعد
ومساعدة هذا الرجل الغامض لها، وما حدث لها فور ارتشفها لتلك المياه الغريبة، مررت
أصبعها على جبينها ودموع فزعها هاجمتها بكل ما أوتيت من قوة، وفجأة تحرر صوت
رجولي جعلها تتراجع للخلف برهبة وهي تبحث عن مصدر الصوت:
_حمدلله على سلامتك.

وجدته يجلس على مقعد جانبي بنهاية الغرفة، هو نفس الرجل الذي أقدم على مساعدتها،
فرددت بخفوت:

_أنا جيت هنا ازاي.. أنت عايز مني أيه؟

نفث أدخنة سجاره بنشوةٍ حقيرة، ونظراته تقبض قلبها تباغًا، فتعمد التباطؤ بحديثه:
_عايزك أنتي!

حظت عينيها بصدمة لحقارته ولفظه الخادش، فضحك بصوتٍ مسموع وهو يخبرها:
_بس مضطر أحافظ عليكى لانك مش هدفي.

حرصت على فرد فستانها على جسدها لتخفيه عن أعين هذا الأرعن، وتساءلت بعدم فهم:
_هدف!

هز رأسه بإيجاز:

_جوزك وصاحبه يلزموني.. ولحد ما اجيب رقبتهم تحت جزمتي عايزك تكوني هادية

ومتعمليش مشاكل، وزى ما انتي شايفة أنا مش خاطفك في بير ولا في أماكن مشبوهة
زي جو الافلام القديمة دي، أنا سايبك في فندق ٥ نجوم واتمنى تقدرى ده.
ونهض عن مقعده ليغادر أمام عينيها بكل عنجهية، جعلتها تفور غيظًا، فلحقت به وهي
تصرخ:

_انت رايع فين... أنت أكيد مجنون خرجني من هنا والا هصوت وألم عليك الناس..

أغلق الباب من خلفه بوجهها وقال ببرود:

_خدي راحتك.

تعجبت من جموده، هل يعقل بأنه يحتجزها بمكان مثل هذا ولا يخشى أن يعلم بوجودها
أحد، من المؤكد لها بأنه فندقه الخاص لذا اكتسب كل تلك الثقة، ومع ذلك لم تستسلم
"مروج"، فطلت تطرق على باب الغرفة وتصرخ بصوتها عل أحدًا يسمعها، وما أساء لها أن
الشرفة مغلقة بسياج حديدي ضخم جعلها تنهار وهي تبكي من خلفه مرددة بصراخ:
_ساعدوني... مازن!

غادر "مهاب" وهو يتابع رسالته الهامة على حسابه، بعدما وصل ذراعه الأيمن للقاهرة،
وقد رتب له أمر المناقصة بالغد، فاتجه للمطار حتى يلحق به، وبداخله قسم بأنه سينتقم
من عدي وممن تسبب بسجنه لتلك السنوات، حتى وإن كان الآن يعيش بهوية غير هويته،
ووجهًا غير وجهه، ف جذب تلك الحقيبة الصغيرة الموضوعة لجواره على المقعد وهو يتأمل
بطاقته التي تحوي اسمه الحقيقي

"أمجد السلاموني"، شعر برعشة تضرب جسده بقوة وهو يتذكر كل تلك الايام البائسة
التي قضاها خلف القضبان، وكأنه حبس فيهم ظلمًا، تذكر ما وجده خلفها وما فعله بيده
الحقيرة وارتكابه لابشع الجرائم التي تخالف الشرع والدين، وكأنه ملاك لا يتوجب على أحد
محاسبته على ما قام به من معصيات وجنایات لا يتهاون معها القانون، لذا كان الاختيار
الأمثل للوحش الثائر لكبح هذا الشيطان عن جرائمه، وحينما نجح هو وفريقه كان جزائهم
القتل الشنيع على يد هذا اللعين والآن يرى أن من المنصف القضاء على القائد الأعلى
للفريق "عدي الجارحي!"

حاول "مازن" الاتصال هاتفيًا بعدي ولكن هاتفه المغلق جعله يلجئ لأخ زوجته "معتز"،

الذي بدى له صوته مقلق فسأله بشك:

_في أيه يا مازن.. مروج فيها حاجة؟

صاح بعصبية بعد وابل اسئلته التي لا تنتهي:
_معتز مفيش معايا وقت ادي التليفون لعدي لو جنبك ضروي.. أحتك حياتها في خطر
سااااامعنى!

على الفور ركض معتز للأعلى، قاصدًا الطابق العلوي للمشفى، حيث توجد العائلة بأكملها بغرفة نور بعد خروجها من العمليات.

وزعت نظراتها السعيدة بينهم وبين صغيرها المحمول بين أيديهم، ومن ثم قالت بحرج يتراقص بين حياء نبرتها:

—أنا بعذر يا جماعة اني دوختكم معايا، بس ده فتح كرش مش فتح حساب بنكي
فالموضوع مش سهل!

تسرت الضحكات بينهم، فقال حمزة ساخرًا:

عندك حق يا نور... والمفروض انك تحرمي تعملها بعد كده.

بينما ردد يحيى بالانتماء هادئة:

نور دی حقایقہ واللہ..

قاطع جلستهم الآسرية، دخول معتز والقلق يبرز على وجهه بوضوح، رؤيتهم بتلك السعادة جعلته يتراجع عما يجول بخاطرهم، وبالأخص رؤيته لوالديه، فلم يمر على عودتهم الا سويقات قليلة، لذا رسم ابتسامة باهتة وهو يشير لعدي:
_عدي من فضلك عايزك.

لحق به عدي، وانتهى الجميع بمزحات الفتيات التي تتشاجران على حمل الصغير، ولم يلاحظ احدُ العاصفة التي تضرب بين ثلاثتهم بالخارج.

تساءل عدی یا استغراب:

في أيه يا معتز؟

ناوله الهاتف وهو يردد بعصبية بالغة:

_أنا اللي محتاج أفهم وحالًا.

لم يعلق على حديثه، وجذب الهاتف عن يده ثم رفعه على آذنيه ليستمع لصوت المتصل فقال بذهول:

مازن أنت کویس!

أُتاه عبارة مختصرة تضم مهالك عظيمة:

مهاب أبو العزم خطف مروج يا عدي..والشغالة كلمتني وقالتلي ان جالي رسالة للبيت مكتوب فيها لو عايز مراتك ترجع سليمة المناقصة مترساش على شركات الجارحي..أوعى

تدخل المناقصة دي يا عدي حياة مروج في خطر سامعني!
ضيق عينيه بنظرة قاتمة فشل من يراقبه بفهم مغزاها، أو أي إشارة قد تخبره بما حدث
لشقيقته، والغريب بأنه أغلق المكالمة دون أن يتفوه كلمة واحدة، واتجه لمغادرة
المشفى بثباتٍ غامض، جعل معترز يلحق به وهو يسأله بلهفة:
_ في أيه يا عدي.. مروج مالها؟
لم يجيبه، أكمل طريقه لسيارته دون أي اجابة منه، فعاد ليصرخ به:
_ رد عليا يا عدي مروج مالها، وليه مازن قال ان حياتها في خطر يقصد أيه بكلامه؟
استدار اليه بكامل جسده وهو يجيبه باتزان صارم:
_ هزار سخيف عشان أرد عليه لاني مشغول وقافل تليفوني.
عبس بملامحه بسخط:
_ ده مكنش صوت واحد بيهزر!
بحزم لزم التحلي به قال:
_ حكيتلك اللي حصل.. اطلع وخليك معاهم.
وتركه وغادر والاخير يكاد يجن من فرط قلقه على شقيقته، فحاول العودة باتصاله لمازن
ولكن لم يجيبه هو الآخر!

نبت داخلها قلق عجيب تجاه ما يحدث، فخرجت "شروق" خلف زوجها علها تعلم ماذا
يحدث، لحقت بها "رحمة" وأغلقت الباب من خلفها ونادتها وهي تتسائل بدهشة:
_ رايحة فين يا شروق؟
أجابتها وهي تشير باصبعها للدرج:
_ مش عارفة معترز ماله هشوفه.
وقبل أن تخطو وجدته يصعد من تلقاء ذاته، وحينما وجدها سألها باستفهام:
_ رايحة فين؟
لحقت به للدخل وهي تبرر له قلقها الزائد عليه، فأخبرها بأنه على ما يرام، تابعتهم رحمة
ببسملة صغيرة وكادت باتباعهما للدخل، ولكنها توقفت فجأة حينما استمعت لصوتٍ
غريبٍ يناديهما، اقتربت من حافة الدرج المؤدي للأعلى باستغرابٍ، وحينما كادت بالعودة
لغرفة نور عاد الصوت ليتردد من جديد، مما جعلها تصعد للأعلى لتستكشف الأمر، لم
يكن سوى طابق يعيد تحضره بالدهانات والمعدات الحديثه، فكان لا يحتوي على أحدٍ
سوى المعدات، انقبض قلبها لعدم رؤية أحدًا، لذا استدارت لتعود ادراجها، فعاد الصوت
ليعلو من جديد، اتبعته "رحمة" والقلق يلتهم لحمها مرورًا بقلبها الضعيف، فتحت الباب
المقابل لها فوجدتها لغرفة فارغة، وعادت لتفتح الباب المجاور لها، ظلت برحلة بحثها حتى

انتهت تمامًا من الطابق بأكمله، وحينما لم تعثر على شيئًا استعدت لعودتها خوفًا من سماع هذا الصوت الذي لم يكف عن مناداتها، فاستدارت وهمت بالركض ولكن جسدها تصلب محلها كتمثال الشمع حينما شعرت بقبضة أحدٍ يشدد على معصمها، ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة، والتفت رويدًا رويدًا لتقابل وجه من يقف قبالتها بعينين محدقتين بصدمة وفزع، وفحيح صوته يردد:
_وحشتيني..

تراجعت للخلف وهي تشير نافية لتلك الحقيقة الصادمة، لسانها يرفض تصديق ذلك فازعن:
_لأ... لأ.

ابتسامته الشيطانية أكدت لها وجوده قبالتها فقال بحنين مخيف:
_بعد كل السنين دي لينا نصيب نتقابل يا آآ... بنت عمي!
هزت رأسها بجنون ومازالت تتراجع للخلف وهو يقترب منها بسعادة رؤيتها ترتجف خوفًا كذلك، فعاد ليهمس لها:
_شكلي موحشتكيش زي ما أنتي كنتي وحشاني.. متقلقيش المرادي محدش هيخلصك مني وهتفضلي معايا على طول..
ذكريات ذلك القبو المظلم عادت لتضرب كل خلايا جسدها، المقعد الخشبي الذي ظلت مقيدة به بتلك الغرفة المقيتة، وجع قلبها لفراق ابنائها وكذبتة بشأن وفاتها، بعدها عن معشوق روحها طوال تلك الفترة التي استنزفت كل قطرة حي داخلها، تلقائيًا دموعها انهارت لتذكر تلك الفترة القاسية بحياتها ناهيك عما يخبرها به، لذا صرخت بوجع:
_ابعد عني.

ضحك بشر وهو يدنو منها:
_محدش هيخلصك مني!
دفعته عنها وهولت بكل ما امتلكته من قوة، وفجأة اصطدمت بأحدٍ منعها من السقوط أرضًا، رفعت "رحمة" رأسها لمن يقدم لها المساعدة لتجد ذاتها أمام هيبة تستدعيها بالاطمئنان... وجدته يضمها خلفه، ومن يتأمل به بسخطٍ يشعر داخله بخوفٍ غريب وهو يتأمل نظرتة القاتمة التي تشبه ظلام الليل، فردد بلسان تصنع قوته:
_ياسين الجارحي!

تشبثت به "رحمة" وبكائها لم يتوقف قط، فرفع يده بثباتٍ قاتل، يربت على تلك الأصابع التي تحتضن بها أمانه، ومصطفى يتابعهما ويردد ببسمةٍ ساخرة:
_كان نفسي أقابلك وش لوش من زمان.. بس محصليش الشرف.

أخفض جفنيه بحركة ثابتة إشارة لمن ينتظرها، فعلى الفور أسرع بتلبية إشارة سيده وانهاى عليه بضربة قوية على رأس مصطفى من الخلف، جعلته يتمدد أرضاً أسفل قدميه، انحنى ياسين تجاهه ومن ثم قبض على عنقه بقوة جعلت الأخير يختنق وهو يتابع حركة شفتيه بعدما تخلص عنه صمته:

_وحصلك الشرف بس وأنت في مكانك الطبيعى تحت رجلها!

والقاءه تجاه رجاله وهو يشدد عليهم:

_الكلب ده عايزه يتربى.

حملوه بين أيديهم والأخير يصيح بجنون:

_انت فاكراى لوىدى.. رجالتى كلها مالبة المستشفى.. ياكلوك حى يا باشا.

ابتسم بثباتٍ جعل الأخير يرتد رعباً، وخاصة حينما اشار لرجل ضخم على ما يبدو بأنه القائد للحرس:

_أبقى خليه يلقي نظرة أخيرة على رجالاته قبل ما يندفوا يا عثمان.

انحنى رأسه وهو يجيبه ببسمة واسعة:

_عيونى يا باشا.

وأشار لرجالهم فحملوه وتخفوا به على الفور، بينما أصدر ياسين أمره الأخير لعثمان:

_عايزه حى.. هو اللي هيوصلنا للكلب اللي وراه.

هز رأسه بطاعة وانصرف على الفور..

راقبت رحمة كل ما يحدث من محلها الأكثر أمناً، خلف ظهر "ياسين" الآمن، ولسانها عاجز عن التنطق، ترفض تقبل كل ما تراه، مجرد أنها بأمان يصعب عليها تصديقه!

استدار ياسين للخلف ليكون قبالتها، فرفع يده على رأسها وهو يخبرها بحنان:

_متخافيش أنتى فى أمان.

رمشت بعينيها بارتباكٍ، وكأنها تحاول استيعاب ما يحدث، فاشارت باصبعها تجاه المكان

الذى كان يخص مصطفى وقالت:

_مش هيسبنى.

وانهارت باكية حتى سقطت أرضاً تجاهد ما يحدث لجسدها الهزيل، اخفض ذراعه تجاهها

وجذبها لتنهض قبالتها ثم قال بصرامة:

_مفيش حد يقدر يمس بنت من بناتى.. خليك واثقة انى عمري ما هسمح بده.

لانت نظراتها ومازال بكائها يتسرب اليها، فضمها اليه ياسين وهو يخبرها:

_اوعدك انك مش هتشفوى الحيوان ده مرة ثانية فى حياتك، لو كان عدى اكتفى بحبسه

فأنا مش هيكفينى فيه غير موته.

وأبعدها عنه بعدما هدأت، ومن ثم تعمق بالتطلع لها وقال بتشديدٍ وتحذيرٍ لها:

_رحمة.. أوعي عدي يعرف حاجة من اللي حصلت هنا دي.. فهماني.
بدون تردد هزت رأسها بتأكيد، ومازال تأثير الصدمة يحيط بها، فناولها منديلًا ورقيًا وأشار لها:

_امسحي دموعك.. وانزلي تحت مش عايز حد يحس بحاجة.
منحته ابتسامة صغيرة وازاحت عنها دمعاتها ومن ثم هبطت للأسفل، بينما جذب ياسين هاتفه وطلب اللواء، وأخذ يملي عليه بما يتوجب عليه فعله!

عاد الجميع للقصر وصعد كلا منهم لغرفته بعد هذا اليوم الشاق، خاصة بأن الجميع يستعد لمناقصة الغد، الجميع سرعان ما غفاهم النوم الا هي، بقت مستيقظة حتى عودة زوجها، فتصنعت النوم خوفًا من أن يكشف ما بها، القى عدي مفاتيحه على الكومود باهمال، وانحنى ليخلع عنه حذائه ثم القى بثقل جسده على الفراش دون أن يبدل ثيابه، عقله يكاد يمزقه الفكر،

ومازال هنالك خطط استثنائية للغد، اليوم سيكون صعب للغاية، تنتظره حربًا كبيرة، وعليه القتال لأخر انفاسه مثلما اعتاد، وسرعان ما غفى لنوم ظنه سيرجه قليلًا مما يتعرض له..

مرت ساعتين على غفلته حينما تسلل اليه صوت بكاء خافت، وشهقات تسري بقلبه قبل أن تمتد لآذنيه، فتح عدي عينيه بتثاقل، فوجدها تنتفض بنومتها وجسدها يرتحف بعنف، مال بنومته تجاهها وهزها بخوف:

_رحمة!

لم تنصاع ليده التي تحاول ايقاظها فعاد ليناديها:

_حبيبتي مالك فيكي أيه؟

فتحت عينيها وهي تبحث حولها برعب، ومن ثم تعلقت عينيها به، فرددت بصوت متقطع:
_عدي!

رفع وجهها اليه، فوجد عينيها متورمة للغاية، فتساءل بلهفة:

_مالها عيونك.. فيك أيه؟

تهربت منه فاحتضنته وهي تردد بخفوت:

_شوفت كابوس.

ضمها إليه بكاملها حتى اختبأت داخله ومن ثم طرح الغطاء فوقها وهو يهمس لها بصوته الرخيم:

_مش هتبطلني الطفولة دي.. ولا هتبقي زي نور انتي كمان!

على أثر ذكره لنور ضحكت من قلبها لتذكر ما فعلتها صباح هذا اليوم، فارتخت معالمة

براحة حينما وجدها تبتسم، وأخذ يربت عليها حتى ظنها غفت مثلما تصنعت ذلك، فمال برأسه عليها ونام بعمق، ففتحت عينيها وأخذت تتأمله ببسمة صغيرة تحيطها هالة من الأمان لوجوده جوارها!

أشرقت شمس يومًا جديد حافل بأول مناقصة تخص الصفقة التي تولاهـا "رائـد الجارحي"، كان الشباب ورجال آل الجارحي حاضرين للمناقصتين لاهميتهم الشديدة، فذهل الجميع من العروض المقدمة للمناقصة، لم ينكر أحدًا بأن عرض رائد كان مميزًا للغاية، ولكن عرض آخر تابع لشركة "مهـاب أبو العزم" قلب الموازين وأصببت شركاته أول اهدافها بالحصول على هذا العقد، مما جعل الجميع في صدمة لا توصف، وجعل أحمد في موقف لا يحسد عليه، هاج الغضب وماج داخل عدي، فلم يسمح لهذا الرجل بتحقيق ما يريد، وقد علم بما يدور برأس أحمد الجالس لجواره، فكان يوزع نظراته بين الملفين بتوتر، جذب عنه عدي الملف وهو يخبره:

_هسهل عليك الاختيار... الشغل مكان مفهوش عواطف يا أحمد عشان كده لو خايف من مواجهة رائد فأنا اللي هكون الطرف المنافس مش انت.

وحمل عنه الملف، ثم صعد ليقدم عرضه على مرمى الجميع، وقبل أن يصل للاستيدج وجد رجلًا غامضًا يقف قبـالته، خلع عنه نظارته السوداء ومنحه ابتسامة خبيثة وهو يردد:

_المقدم عدي الجارحي.. كان نفسي أشوفك من زمان.

حانت منه نظرة منفرة، شملته من رأسه لأخمص قدميه وبخشونة ردد:

_أنت بقا مهـاب أبو العزم؟

ضحك وهو يجيبه:

_هو بعينه.

وانحنى تجاهه وهو يهمس اليه:

_اتمـنى تكون فـاكر صاحبك وبنـت عمك!

ضيق عينيه وهو يردد بدهشة:

_حاسس اني سمعت صوتك قبل كده.. سبق لينا واتقابلنا!

استقام مهـاب بوقفته وهو يجيبه بنـظرة خبيثة:

_معتقدش.

واسترسل بسخط:

_أنا شايف ان مكانك الطبيعي يكون في قسم الشرطة يا حضرت المقدم.. هنا اللعب

بيكون لحيثان السوق اللي للاسف مش هتقدر تكون منهم..
ابتسامة ساخرة تسلفت اليه، وبشبات قاتل ردد:
_بالعكس ده أنسب مكان للعب.. مبروك عليك عرضك.. ودلوقتي دورك انك تباركلي.
وقدم عدي الملف أمام أعين من يتأمله بصدمةٍ اتبعت نبرته المستنكرة:
_متنساش بنت عمك تحت رحمتي.

رمش باهدابه الطويلة بتذكر، وبسخرية قال:
_أنا معنديش فقدان للذاكرة.. أنت اللي اعتقد مش بتفهم.. عرضك اترفض من شوية.. أما
بنت عمي فده ليه حساب لوحده.
وتركه مصدومًا وغادر من أمامه، وفجأة وجد رسالة صادمة تزف على حسابه، أما عدي
فعاد ليحتل مقعده جوار أحمد ببسمة خبيثة، عله لم يرى ما يحدث الآن وخاصة على وجه
رائد الذي غادر القاعة بغضب سيكون نقطة مفقودة وصلالها مرتبط بالوحش الثائر!!

الفصل الثالث عشر

أعلن مطار القاهرة الدولي عن وصول الطائرة القادمة من دبي، فجر السلم المرتفع لباب
الطائرة الضخمة، وأخذ يستقبل المسافرين للهبوط على أرض مصر ، وكان من بينهم "
مازن"، هبط للأسفل وهو يحمل صغيرته على يد، واليد الأخرى تشدد على يد صغيره
"عز"، اصطحبهما وهبط للأسفل وقصد الباص الأبيض ومن ثم خرج من المطار ليصعد
للسيارة السوداء القاتمة التي كانت بانتظاره، الحزن والخوف ينهشان عينييه بتمكن، ناهيك
عن ذاك الوجع الذي يطيح بقلبه المتألم، وكلما احتد به الألم حاول تضميده بضمة أولاده
إليه، ربما تلك الرضيعة لا تعي شيئًا سوى بكاء غامض لعدم وجود والدتها، بينما أخيها
كان يبلغ الثامنة من عمره ولم يكف عن السؤال عنها، حتى بتلك اللحظة سأل أباه والدمع
يتلألأ بحدقتيه:

_مامي فين؟ وليه مسافرتش معانا يا بابي!
ربت مازن على ظهره بحنان، ومال برأسه عليه ليطلع قبلة دافئة على جبيه، لتعود به
خانة الذكريات للخلف قليلًا وبالأخص للأمس

##

شدت على هاتفه بجنون وهو يخرج ما كبت من غضب:
_يعني أيه اللي بتقوله ده، أرجع مصر ازاى ومراتي مخطوفة يا عدي؟
اتاه صوته يخبره عبر السماعة:

_اسمع اللي بقولك عليه يا مازن، خد الاولاد وانزل حالًا من الشقة، هتلاقي عربية تحت قدام العمارة اركب معاهم والحرس هياملك الحماية الكاملة لخروجك من دبي.
كز على أسنانه بقوة كادت باسقاطهم:

_معنى كلامك أنك قررت تدخل الحرب يا عدي ومش فارق معاك حياة بنت عمك!
بثباتٍ قاتل أجابه:

_مازن أنا مش حابب ندخل في معركة الجدل دي، لو أنت صحيح بتثق فيا هتنزل حالًا من شقتك وتركب مع رجالتي، وخليك على ثقة اني مش هسيب الكلب ده يمسه أختي!
عاد من شروده ليتأمل طريق العودة، كان متلهفًا ليرى عدي بتلك اللحظة، فمازال يحاول الاتصال به ولم يجيبه منذ الصباح، يحمل طاقة غضب هائلة يود قذفها بوجهه فور رؤيته، وبداخله قسم مهيب بأن ان حدث لزوجته مكروه هو بنفسه سيحرص على قتله إن لزم الأمر!

انتهت المناقصة الهامة بين حيتان رجال الأعمال بانتصار شركات "الجارحي"، وهدفًا آخر سجلته شركات "مهاب أبو العزم"، التعادل لم يحقق الانتصار الكامل لاحد الأطراف، وفور الانتهاء اتجه الجميع للمقر، وقصد "عدي" مكتب "ياسين الجارحي" فور تلقيه رسالته مع أحد أفراد الأمن، بالاتجاه لمكتبه فور وصوله للمقر، طرق الباب مرتين متتاليتين قبل دخوله، وحينما استمع لصوته الصارم يخبره:

_ادخل.

ولج للداخل وهو يتفحص من يجلس مقابل أباه باستغرابٍ، فتساءل على الفور دون أن يلتقط أنفاسه:

_أيه اللي جاب ياسين هنا؟

اتجهت نظرات "ياسين الجارحي" لحفيده الجالس قبالة بنظرة مطولة، أنهاها حينما ردد ساخرًا متعمدًا تجاهل سؤاله:

_فوزك بصفقة واحدة محققش انتصارك بالرهان اللي بينا.. أظن ان شروطي كانت باينة ليك من البداية.

عَبَسَ وجهه فور تلقيه كلمات لازعة تقابله فور دخوله، فاستكمل طريقه حتى بات يقابل مكتب أبيه، فضم يده اليسرى على اليمنى بثقةٍ لحقت نبرته:

_بالنسبالي حققت انتصار كبير بستدعي الفخر، خاصة إن لا ده مكاني ولا مجالي.

ارتسمت بسمة صغيرة على شفثيه، وهو يتابع حديثه باهتمامٍ، ومن ثم قال:

_عندك حق.. بس اللي أنا أعرفه انك لما تشتغل في مكان متعرفش فيه حاجه لازم تكتسب خبرة من اللي كان فيه لسنين طويلة قبلك.. وأنا سبق وحذرتك من اختيارك ودي

كانت النتيجة.

واستطرد بنظرة جامدة توحى بالكثير:

_نجاحك ده ما هو الا بداية لمشاكل هتدمر كل اللي أنا ويحيى سعيينا ليه.

ونهض عن مكتبه ليجابه بنفس حدة نظراته المتمردة:

_وأنا مش هسمحلك بده.

قبل تحديه، حينما سأله بتمعن:

_أنا معملتش شيء يستدعي وجود خلافات بينا!

أجابه بنفس الاتزان وسكون نبرته، تارگًا حفيده يتابع الحوار بينهما بترقب:

_أنت اختارت رائد بالرغم من انه عصبي ومتهور، وبالرغم من كده كان لسه معاك الفرصة

انك تكسب بيه المناقصة، لانه ميقلش عن أحمد في شيء، بس أنت تجاهلت مشاعره

اللي ادمرت وهو شايف الثقة في عيونكم لاحمد.. قللتم منه وكنتم متوقعين انه هيقدر

يركز في العرض اللي هيقدمه!

وبنبرة اندفعت لتمزق سكينته:

_لا قدرت تحافظ على مشاعره كونك الأكبر والأوعى، ولا قدرت تكون بداله وتحارب

بالعرض ده!

تَوَعَّرَ صَدْرَه من تلك المجادلة المعتادة بينهما، فقال بيأس:

_العواطف مينفعش تكون موجودة في أي شغل!

عارضه حينما ردد بصرامة:

_ده اللي أنت اتعودت عليه في شغلك مع الشرطة مش هنا!

واسترسل بحدّة جعلت عروقه تنتفض غضبًا:

_هنا في احترام لمشاعر كل اللي حواليك.

وأشار لمقعده وهو يستطرد:

_أنا حققت المستحيل بوصولي للكرسي والمكانة اللي بقت عليها امبراطورية الجارحي

من غير ما أدوس على حد من عيلتي، بالعكس أنا دمار وعاصفة تدمر أي حد يفكر يمس

حد شعرة منهم.

رفع عسليته إليه بتيهة، فاخشوشنت نبرته وهو يخبره:

_قولتلك قبل كده ويقولها تاني مش هسمحلك تدمر الكيان اللي بنيته يا عدي.. ودلوقتي

عايزك تكون جنب ابن عمك وتقوم بواجبك نحيتة على أكمل وجه.

هز الشرس رأسه بخفوتٍ وانصياغًا!! ، فاستدار ليغادر ليوقفه مرة أخرى:
_استتنى.

استدار إليه بتيهةٍ، فأشار لحفيده الذي حمل حقيبته السوداء على ظهره وهم بالوقوف لجواره:

_خد ياسين بطريقك.. وعدته إني هاخده واشتريله اللوحات والالوان اللي حابب يشتريها بس عندي مشوار مهم انا ويحيى.

أشار للصغير فطبع قبلة صغيرة على خد "ياسين" الذي ودعه بابتسامة وأصابه تعبث بخصلات شعره الطويل، وقبل أن يغادر المكتب، أخبره:
_وياريت تبقى تتعب نفسك وتبص على رسوماته.

عقله شارد بالنقطة الهامة التي طرحها من أمامه منذ قليل، فلم يسعى لنشوب حدة نقاش بينهما في ذاك الوقت الذي يتلهف للخروج من المقر قاصدًا مشواره الهام، ربما نجح بإخفاء استيائه حينما طلب منه الذهاب معه لشراء ما يناسبه لتأخره عن المكان الهام المقصود بزيارته، فقاد بسرعةٍ فائقة ثم توقف أمام مول ضخماً يخص متعلقات الأطفال، هبط "عدي" بصحبة ابنه، ثم قصد أحد المحلات المتخصصة بالألوان ومشتاقتها، ظن ببدأ الأمر أنه سيعاني بوقفته لحين أن يتفحص ابنه المكان جيداً، ومن ثم يختار ما يريد، ولكنه فجأه حينما اتجه لأحد الرفوف وببراعةٍ جذب كل ما يحتاجه في أقل من ثلاثة دقائق، واتجه ليضع ما انتقاه للكاشير، وعدي يتابعه ببسمةٍ صغيرة، فاتجه ليناول العامل بطاقته ف ضربها على الجهاز المقابل له، وببسمة استحقت التواجد فور قراءة لقب عائلة من يقف أمامه، ردد:

_المكان نور بوجودك يا باشا!

منحه ابتسامة تشكلت بالكد، ومن ثم جذب ابنه وغادر لسيارته، فما أن صعد حتى راقبه وهو يرتب ما استراه داخل حقيبته السوداء بعنايةٍ، فأخرج ما بها وهو يحاول تنظيمها حتى يستجاب سحابها بالغلق، سقطت نظراته على الاسكتش الموضوع لطرفيه، فتح "عدي" الاسكتش بانبهار من رؤية رسومات ابنه، واستوقف صفحاته الرائعة حينما وجد عددًا كبيرًا منها تخصه هو شخصيًا وهو يحمل عدد من الاسلحة النادرة، والتي يصعب على أحد التعرف عليها، على الفور رفع عينيه عن الرسومات وهو يسأله بذهول:

_أنت تعرف عن أنواع الاسلحة دي ازاي؟

ابتسم "ياسين" وهو يخبره:

_بقراً وبتابع أي شيء متعلق بالسلح والشرطة، وبقي عندي خلفية صغيرة عن أنواع الاسلحة.

ضيق عسلية عيناه بدهشةٍ من صغيره الذي بدا، وكأنه يتعرف عليه لأول مرة، فحمل

الورقة الاخيرة إليه وهو يسأله:

_ده أنا!

هز رأسه على الفور، فسأله بَغَرَاتِي:

_ليه كل رسوماتي وأنا بزي الشرطة؟

رد عليه ببعض التوتر الملحوظ للآخر:

_لأنني مش حابب أشوفك غير كده.. أنا نفسي آآ... أكون زيك في يوم من الأيام..
التمعت عيناه ببريق جعلها تعكس ما بداخله من صدمة وفرحة، وبدى متخبطًا بسؤاله
الحائر:

_وياسين الجارحي عارف بالكلام ده؟

هز رأسه وهو يؤكد له:

_عارف وقالني أنه هيفضل جنبي.. وأنا هسعى أني أكون ظابط شاطر زي حضرتك.
أشار له عدي بأن يقترب منه، فحمل الصغير حقيبته ليضعها جانبًا، ثم دنى منه بدهشة
من اشارته، فضمه إليه "عدي" بقوة، جعلت الصغير يتعلق به بفرحة، عبث بأصابعه بين
خصلات شعره البني وهو يهمس له:
_هتكون أحسن مني يا ياسين.

رفع الصغير عسلية عيناه المتدفقة حول بنية عيناه، وهو يمنحه ابتسامة هادئة، فأشار له
عدي وهو يحك مقدمة أنفه:

_يلا لم ألوانك وحاجتك عشان هنتحرك.

أوما برأسه، وشرع بجمع أغراضه وعدي يراقبه بصمتٍ وشرود، فدار بينه وبين نفسه حوار
ومعادلة صعبة نهايتها بسؤالٍ يتردد داخله
«يا ترى أيه السبب اللي خلى ياسين الجارحي يصمم اني أخذ ياسين معايا، أكيد مفيش
غير احتمال واحد إنه عارف المكان اللي أنا ريحه من البداية»!!

وصلت السيارة أخيرًا للقصر، فهبط "مازن" مسرعًا للدخل يبحث عن "عدي" بجنون،
فاخبرته الخادمة بأنه لم يعود بصحبة الشباب بعد، هبط "معتز" للأسفل فور سماعه
بعودة مازن، فمنحه نظرة متفحصة جعلت قلقة يزداد بشكل مقبض، فصاح بانفعال:
_مروج فين يا مازن؟

ما يحاربه بتلك اللحظة يكفيه ويفيض عن حاجته، لا يحتاج لأي ضغوطات تقيده عما
يشغله، عاد معتز ليتساءل من جديد وصوته يعلو حتى أصبح مسموعًا لمن بالقصر:
_بكلمك رد عليا!

تمسك بالصمت لآخر انفاسه، حتى بعد أن هبط الجميع للأسفل، وتدخل بينهما عز وهو

يسأله بدهشة:
_بتزقق كدليه؟!

اتجه رعد الى مازن ليرحب به ببسمته البشوشة:
_حمدلله على سلامتك يا حبيبي.
بلهفة تسألت يارا وهي تحمل الصغيرة:
_فين مروج يا مازن؟
صاح معتز بضيق وهو يهزه بعنف:
_نفس السؤال اللي بسأله ليه وهو لسه زي مهو ساكت ومش بينطق!
إستشاط عز غاضبًا من تصرفات ابنه الوقح لزوج أخته، فنهزه بغضب:
_أنت ازاى تكلم جوز أختك بالطريقة دي!
أجابه بعصبية خرجت عن طورها:
_جوز أختي اللي حضرتك بتدافع عنه كلمني امبارح واحنا مع نور بالمستشفى وقالى
أختك فى خطر، وبعدها مبقاش يرد على مكالماتى وقفل موبايله والنهاردة راجع لوحده
وهي مش معاه عايزنى أعامله بأنهي طريقة!
قتل الشك والرعب الجميع فى مقتل، وخاصة يارا التي تمسكت بذراع زوجها وهي تجاهد
لخروج الكلمات على لسانها:
_بنتي فيها أيه يا مازن.. بنتي فين؟
أخفض وجهه أرضًا بوجع لا يضاهيه مثيل، فكيف سيجيبهم ان كان لا يجد الجواب
المناسب لسؤاله، شعر بوجع يصيب ذقنه، وعاد ليشعر بحدته حينما عاد معتز بلكمه
مجددًا وهو يصرخ بعنف:
_انطق مروج فين؟

تدخل بينهما أحمد فدفعه للخلف وهو يحاول الفصل بينهما، حتى عمر اندفع ليعبد معتز
للخلف، وحينما لم ينجح لكمه بقوة اسقطته أرضًا وبضيق أخبره:
_أنت كل حاجة عندك متتحلش غير بمد الأيد.. ما تصبر وتسمع منه!
تحمل على ذراع جاسم الذي يسانده للوقوف، وهو يتحداه بشراسة:
_هو ده اللي عندي ولو منطقتش هخلص عليه مكانه.
نظرة حازمة من أبيه جعلته يتراجع للخلف بهدوءٍ يجاهد به التغلب على غضبه الثائر،
اتجهت نظرات عز لمازن، بجدية تامة سأله:
_مراتك فين؟

تحرر عن صمته حينما جلس بإهمال على المقعد وهو يخرج ما يثقل عليه تحمله، والجميع
ينصت له بصدمةٍ وعدم استيعاب لما فعله عدي!

طال الطريق بهما، والأغرب انجرافه عن الطريق الرئيسي المؤدي للقصر، فانتقلت نظرات
الصغير لأبيه وسأله بدهشة:
_ هو احنا رايعين على فين؟
أجابه وعينيه مازالت مسلطة على طريق قيادته:
_ مشوار هيعجبك.

رسم على وجهه بسمة محمسة، فلم يتشارك اللحظات الخاصة برفقة أبيه الا نادرًا، وها
هو يصطحب مرتين في نفس اليوم، لذا سيجلس بصدر رحب وهو يترقب مشواره الهام..
دقائق معدودة وصل بها لوجهته، وربما هو بذاته يقود ابنه لمصير لا يليق سوى بحفيد
"ياسين الجارحي"، فتح "ياسين" نافذة السيارة وهو يتابع تلك القصور العظيمة باعجابٍ
تألق بحدقتيه المتسعة على مصرعها، فوجد أبيه ينحدر للقصر الذي يترأس الأربع قصور،
فاستقبله أحد الحرس وحل محل مقعد قيادته، فهبط عدي تاركًا له مجال صفها، ومد يده
لمن يقف جواره متعمقًا

بنظراته تجاه القصر، فاتجه إليه الصغير ووضع يده بيده الممدودة، لحق بخطاه للداخل
وهو يترقب ذلك المسبح الضخم المشابه لمسبح قصرهم، حتى عدد الحراس الضخم
كفيل بنقل صورة مشابهة لما يحدث بقصره، وفجأة خرج من الداخل بخطواته الواثقة،
وابتسامته الهادئة المنفلتة على وجهه البشوش، فاقترب منهما وهو يثني معصم قميصه
الأبيض الذي يبرز عضلات جسده الرياضي، وصوته الرخيم يتحرر عن ثقة:
_ أهلاً بالوحش.. ليك وحشة!

منحه "عدي" ابتسامة تماثل ترحبه به، فاستقبل ضمته بترحابٍ وهو يردد:
_ قولتلك هنتقابل تاني يا جوكر!

ضحك "مراد زيدان" بصوته الرجولي وهو يشير له ساخرًا:

_ مقابلتنا مبقتش تنص غير على الكوارث يا صديقي!

ومن ثم حانت نظرة تائهة من زرقة عينيه، وهو يخمن نسب الصغير:

_ ده أكيد ابنك! شبهك جدًا ما شاء الله.

وانحنى بقامته على ركبتيه وهو يمد يده لياسين قائلاً ببسمته الوسيمة:

_ أهلاً يا بطل.. مبسوط اني هتعرف عليك.. أنا مراد وأنت؟

التفتت الصغير برأسه تجاه عدي، فعبث بخصلاته وهو يحثه بالاقتراب منه، اقترب الصغير
ووضع يده بين يده، وأجابه:

_أنا اسمي ياسين.
رفع أحد حاجبيه باستنكار:
_أممم... خطفت اسم امبراطور آل الجارحي.. أكيد وراث منه كثير غير اسمك.

منحه الصغير ابتسامة بشوشة وهو يجيبه بنباهة:
_ولو مش وارث أكيد هحاول أكون شبيهه وأورث نفسي اللي أقدر عليه منه.
ضيق عينيه وهو يهيم بالتطلع به بغموض، فرفع كفيه وهو يشير له بمنحه الصفقة،
فطرق ياسين بيده على يده والآخر يردد بإعجاب:
_ذكي... عجبتي!

ضحك وهو يتابع سؤاله بفضول:
_هو حضرتك ظابط زي بابا؟
حانت منه نظرة جانبية لعدي قبل أن يجيبه بجدية:
_مفيش حد زي أبوك!
وتابع بنفس الابتسامة:
_أنا مش معروف زيه لاني شغلي بيكون أغلبه للقضايا اللي برة مصر، وده بيجبرني أكون مخفي عن العيون ومينفعش أكون معروف لحد، أما أبوك بقى فسيطه واخده لأي مكان وده تقرئ اللي بيوقعه بالمشاكل دايماً!
ضحك عدي وهو يتابع حوارهما، فانتصب الجوكر بوقفته وهو يشير لحارسه الخاص بالاقتراب، وأخبره وهو يلف ذراعه حول ياسين:
_خد ياسين على الحديقة الخاصة وخليه يلعب مع الاولاد.
أوما الحارس برأسه وهو يصطحب الصغير، مردداً:

_حاضر يا باشا..
وغادر به ليواجهه بطرف الخيط الذي سيشكل مصيراً مختلف لذاته، لتلك التي ستجعله لم يرى ولن يتمكن من رؤية أي مسمى لفتاة بعدها... ربما بداية لملمة مثيرة ولم يسبق لتاريخ العشق بذكرها قط!

استغل "مراد" بقائهما بمفردهما، وسأله باسترابة:
_مالك يا عدي؟
حاول الهروب من اجابة ذاك السؤال الذي بات يجهل كلمات اجابته، فقال وهو يمشط المكان بعينه:

_مروج كويسة؟

أجابه بثقة:

_أكيد انت عارف اجابة سؤالك بدون ما أجابك.

ابتسم وهو يهز رأسه بسكون، ووضع يده بجيب جاكيتته ثم مال على السور المنحرف حول
السد الصغير الذي يعلو المسبح الضخم، فمال "مراد" بجسده على السور وهو يسأله من

جديد:

_مش عايز تقولي مالك؟

اكتفى بمنحه ابتسامة باهتة، فالقى نظرة متفحصة على البذلة الانيقة التي يرتديها ثم
قال بخبث:

_لايق عليك جو المدراء والشركات.

ضحكة ساخرة انفلتت ليتبعها نبرته الساخرة:

_كلها شبه بعضها، عندنا حروب وهناك حروب.. هنا نتعامل مع مجرمين وهناك نتعامل
مع الأصعب منهم، وفي كلتا الحالتين لازم تفكر وتدور على طرف الخيط والادلة
والمعلومات عن اللي هتواجهه.. كأن الحياة كلها اتخلقت للمواجهة والتحدي والصراع!
لمس بنبرته تغييره الغريب، ومع ذلك قال:
_حاسس انك مخنوق ومش حابب اللي أنت بقيت عليه.

ومن ثم وضع يده على كتفيه وهو يحثه:

_ارجع لمكانك يا عدي.. أنت زي السمك اللي لما يخرج من المية بيتسحب منه الروح!
التفت اليه برأسه وبحزن قال:

_معتش ينفع يا مراد.. خلاص سبق واختارت.

وببسمه حالمة أخبره:

_اللي كنت بحلم بيه وبتمنى أحققه ابني هيحققه نيابة عني... عشان كده اتعمدت اجيبه
معايا النهاردة.. عايزك تكون جنبه وتعلمه بنفسك.. عايزه يكون أحسن مني.

ضيق عينيه باستغراب وذهول لما يستمع اليه، فردد بسخط:

_أنت أفضل يا عدي.. علم ابنك انت.

هز رأسه نافياً:

_مش هقدر.. اعتبره واجب صداقة لازم تقوم بيه.

مسد على كتفيه وهو يخبره بيقين:

_أخوة قبل ما تكون صداقة.

وبمزح أخبره:

_أنا قاعد اديك نصايح ومواعظ وأنا نفسي مقبلتش أعمل كده مع بنتي وساييها لرحيم

يدربها ويمشي معاها المشوار اللي رفضت امشييه.
اتسعت عينيه على مصراعها وهو يتسأول باسترابة:
_بنتك.. معقول!
ضحك وهو يخبره:

_لو سمعتك هتقتلك وقتي.. أي شخص بيقلل منها كينت حتى من غير ما يقصد عينك ما تشوف الا النور.. شايفة نفسها من دلوقتي الرائد "مرين مراد زيدان!"
تعالى ضحكاته الرجولية وهو يشير اليه بصدمة:
_ويوم ما تختار مدرب لبنتك تختار الاسطورة يا راجل قول كلام غير ده!
حك جبينه وهو يشير له بمزح:
_هو أشرس مني هيعلم البنت أكثر مني.. وبعدين أنت كأب لما اختارت لابنك حد يمشي معاه المشوار ده اختارت حد غيرك مع انك من أكفئ الطباط، وده يدل انك خايف تكون حنين معاه يعني تقريبًا نفس السبب اللي عندي!
هز رأسه باقتناع، ومن ثم تساءل بفضول:
_طب هو فين.. وحشني القعدة معاه؟
أجابه بتذمر:
_طالع مغامرة لوحده.. وحالف ميت يمين اننا منشغلش مع بعض تاني، كل واحد عنده مهمة يطلعها لوحده.
أثار حافضة فضوله، فردد ساخرًا:
_متقوليش أنكم بعد كل الانجازات دي اكتشفتوا فجأة انكم مختلفين بطريقة الشغل فقررتوا تنفصلوا!
ضحك بصوته كله وهو يشير له نافيًا وبدى صوته مضحك بتقمصه شخصية الاسطورة:
_لا بقى شايف اننا في رقبتنا عيلة غفيرة، فقالك بدل ما نموت سوا بيقى في واحد بديل هنا يحيا لأجل البقية، بس ده طبعًا الواضح لينا بس بنساعد بعض من تحت لتحت.. انا براقبه وهو بيراقبني وقت ما حد فينا بيحتاج مساعدة محدش فينا بيتردد... يعني يا صاحبي تقدر تقول رجعنا لشغل القط والفأر تاني بس بطريقة لطيفة كلها محبة وخبث.
ولكزه بمشاكسة:
_زيك أنت وياسين الجارحي كده!
ضحك باستهزاء وهو يغمغم:
_محدث زي ياسين الجارحي، على الأقل انتوا الاتنين عارفين أولكم من آخركم.. أنا مبقتش قادر أفهم حاجة!

عدد مهول من الألعاب الضخمة تنفرد بتلك الحديقة الواسعة، على يساره خيمة ضخمة تحوى عدد من الكرات، وأخرى تضم أكثر، من خمس أرجيحات تتدلى من أطرافها الفتيات وتلهو بسعادة، أما الفتيات فكانوا يتسابقون على الدراجات، ومنهم من يقوم بقيادة السيارات الصغيرة التي تعمل بالريموت الالكتروني، بدى له من وجود هذا العدد من الاطفال بأنها عائلة ضخمة مثل عائلته، وبالرغم من احاطته بعدد من الفتية الا أنه لم يجد ذاته بينهم، يذكرونه بابناء أعمامه ونفس ميولهم باللهو بالألعاب، وكعادته كان يحاول الاندماج سابقًا معهم والآن يحاول أيضًا وحينما فشل إختار الجلوس على أريكة منعزلة عنهم، فتسلل لمسمعه صوت طلقات نارية، تغدو قريبة منه، تتابعها "ياسين" حتى وصل لسور صغير يفصل تلك الغرفة عن الحديقة، كانت تشمل عدد من التماثيل الالكترونية، التي تحمل لوحات تحدد بها اصابات الجسد البشري، بدى له بأنه المكان المخصص لتدريب الجوكر المزعوم، شعر ياسين بالخزي لتمامه بالتجول بالمكان دون السماح له بذلك، فاستدار ليغادر ذلك المكان، ولكنه توقف فور سماعه لذاك الصوت الانثوي الهادئ:

ـ أنت مين؟

استدار تجاه الصوت، وهو يحاول تحديد مظهره، فوجد من تخلع عنها خوذتها السوداء وتبرق له بعينيها الزرقاء، متسائلة بتعجبٍ عن هذا الغريب المتطفل، خطف "ياسين" نظرة سريعة لما تحمله بيدها، فاسبل عينيه باستغرابٍ من نوعية السلاح الذي تحمله، رفعته "مرين" تجاهه وهي تتسائل بذهول:

ـ عجبك؟

أكد لها بتلقائية حديثه:

ـ طبعًا ده نوع نادر من الاسماء اللي جمعتها في النوت بتاعي.

ابتسمت بفرحةٍ، بعد أن وجدت من يساورها الحديث فيما تحبه وترغب بسماعه ولم تجده من المحيطين بها:

ـ فعلاً هو نوع نادر بس استخدامه مش سهل.

ورفعته تجاهه وهي تخبره بتردد:

ـ تحب تجربته؟

رفع يده إليها بترددٍ، فجذبه منها وهو يتأمله بتمعن واهتمامًا، فتح ياسين خزنه ومن ثم تطلع إليها وهو يردد:

ـ ده فيه رصاص؟

ابتسمت وهي تخبره:

_مش حقيقي متقلقش.. أونكل رحيم مشدد عليا في نوعية الرصاص اللي بستخدمه.
رفع احد حاجبيه بذهول، ما بنقصه ذلك رؤية فتاة تعشق الاسلحة مثل هوسه، وما يثير
دهشته تمكنا من حمل السلاح ولم يتمكن هو على حمله من الاساس، ومع ذلك سألها
بفضول:

_عمك اللي بيعلمك كل ده.

أشارت له بتأكيد، وانحنت تجاه احد الصناديق الجانبية ثم حملت سلاحًا آخر واقتربت منه
وهي تخبره:

_أنا اخدت دول منه بصعوبة... عمي بيحب يحتفظ بالاسلحة المختلفة والنادرة دي بخزنته.
تفحص النوع الاخر الذي تحمله بانبهار، فسمحت له أن يحمله، راقبت "مرين" اعجابه
بالسلاح ببسمة تخطف على وجهها بطفولية، ومن ثم تمادت في جديتها بعدما عادت
لتفكر بكنائته فقالت:

_مش هتقولي بقا أنت مين؟

منحها السلاح وهو يجيبها:

_بابا يبقى صديق والدك.. وواقف بره معاه.

واسترسل ببعض الحرج:

_والدك طلب من الحارس يدخلني الحديقة العب مع الاولاد بس بصراحة لما سمعت
صوت الرصاص مقدرتش امنع نفسي اني ادخل!
سألته بفضول:

_انت كمان عايز تبقى ظابط؟

هز رأسه بكل تأكيد:

_وهكون كده بإذن الله.

غمرته بوابل من الأسئلة واولهم:

_انت باباك ظابط؟

رد عليها بنبرة من الحزن:

_كان.. بس دلوقتي مقدم استقالته.

اخبرتة وهي تعقد خصلات شعرها الاسود للخلف:

_يبقى لازم تجتهد وتكون انت الظابط اللي في عيلتك.. عشان لم اي حد يقع في ورطة
يجيلك جري.

ضحك بصوتٍ مسموع وهو يخبرها بصعوبة:

_هيلجئولي في وجود ياسين الجارحي!

قوست جبينها باسترابة:

_مين ده؟

همس بمكر:

_تحبي تسمعي حكايته من أول فين؟

بالرغم من أنها تبذل قصارى جهدها لتخرجها من القلق الذي ينخر عظامها الا أنها كانت تشفق على حالتها، وضعت "حنين" صينية المشروبات من أمامها وهي تحتها بلطفٍ:
_طب عشان خاطري اشربي أي حاجة.. والله ما حطلك حاجة فيه.

ورفعت حنين الكوب ثم تناولت منه لتشير لها بمرح:

_أهو يا ستي عشان تتأكدي.. ثم اني ام لبنتين اللي مرضهوش عليهم مرضوس عليكي يا ستي.

ولوت شفتيها بحركة مضحكة وهي تردد بهمس:

_الواحد يسافر ويرجع يدخل على مراته بهدية... بوكيه ورد.. وأنا جوزي كل ما يسافر مكان يرجعلي بضحية شكل!

انفجرت مروج من الضحك، فازدادت سعادة حنين لوصولها لمبتغاها، لذا استغلت الفرصة وقدمت لها العصير:

_والنبي انتي عسل.. خدي خدي اشربي بلا وجع دماغ محدش أخذ من الدنيا حاجة.

تناولت منها الكوب بابتسامة صغيرة، وقالت وهي تتمعن النظر بها:

_أنتي بتشبهني نور مرات ابن عمي أوي.. سبحان الله نفس الشخصية ويمكن عشان كده حبيتك.

رفع احد حاحبيه بسخط:

_كل اللي بتعمله معايا ده وحيتيني!! ده انتي من ساعة ما جيتي امبارح وانتي مطلعة

عنيا عشان تشربي حاجة!

ضربت معالمها وهي تردد بحزن:

_غصب عني.. اللي مريت بيه مش سهل وميخلنيش اثق بحد بسهولة.

ربتت بحنان على يدها:

_عندك حق.. وعمومًا يا ستي انا بعثلك أهو اضافة في الفريند لما ترجعي البيت اقبلي

الطلب وعرفيني على نسختي نور دي.

تهدل جسدها بجلسته وهي تتسائل بشك:

_تفتكري اللي جابني هنا ده هيرجعني لاهلي.

طرقت اصابعها بسخرية:

_ده جوزي يا ستي راجل طيب وغلبان وفي حاله.. متقلقيش هيرجعك سالمة غنمة بإذن الله.. هو متعود كده كل سفريه شغل له يدور على أي حد مخطوف من أهله ويكسب فيه ثواب ويرجعه.. زي ما تقولي بيتخسر يرجع فاضي!
انغمست بوابل من الضحكات المتلاحقة حتى كادت انفاسها بالانقطاع، فقاطعهما دخول حازم ليخبرهما وعينه أَرْضًا تتحاشى التطلع لأي منهن:
_عدي باشا بره وطالب الهانم.
فور سماع اسم اين عمها انتفضت بجلستها وهي تردد بفرحة وتمسك بقشة نجاتها:
_عدي!! خدني ليه بالله عليك.
هز الحارس رأسه وهو يشير بذراعه لباب الخروج بآلية تامة، كادت مروج بتتابعه وتراجعت خطوتان للخلف وهي تقف أمام حنين بترددٍ باختيار طريقة وداعهما، وفجأة القت بذاتها على ذراعيها وهي تشكرها بود:
_شكرًا لانك هونتني عليا الساعات دي.. شكرًا لخفة دمك ولواجب ضيافتك يا حنين..
حقيقي انتي شخصية جميلة ودي هتكون بداية لصداقة بينا.
مسدت بحنان على ظهرها وهي تجيبها:
_يا حبيبتى انا يشرفني صداقتك والله.. وان شاء الله ترجعي لبيتك واولادك بخير.. في رعاية الله..
وداعهما كان قصيرًا، لرغبتها بالهروب للخارج تملي عينيها برؤية من أتى لتخليصها، وفور رؤيته هرولت مروج تجاهه وهي تردد بلهفة:
_عدي!
تعلقت بذراعه، فربت عليها وهَمَّهَمَ:
_الحمد لله انك بخير.
رفعت عينيها الدامعتين إليه، وهي تهمس له:
_عايزة ارجع البيت لمازن.. أرجوك يا عدي احجزلي تذكرة لدبي..

تفهم سبب قلقها ورغبتها بالعودة، فقال:
_مازن والاولاد هنا في مصر يا مروج.
وجذب مفتاح سيارته من جيب جاكيتته ثم منحه لها، وهو يشير على سيارته:
_اركبي بعربيتي وأنا هجيب ياسين وأحصلك.
التقطت منه المفتاح واتجهت لسيارته بخطواتٍ سريعة، والاخير يراقبها ببسمة هادئة فما ان استدار عدي اليه حتى ردد بسخرية:

_وأخيرًا اقتنعت اني هرجعها لاهلها! أنا جبتها لحد هنا عند زوجتي وعيلتي يمكن تقتنع انها
كام ساعة وراجعه وبرضه نظرات الشك ملية عيونها.
ضحك وهو يجيبه بخشونة:
_الستات تبحث عن النكد أينما كان يا صديقي!
ضحك لتقليده نبرته، وغمز له بمكر:
_لا خبير أنت بالستات يا وحش!
عدل من جاكيتته وأشار للحارس الذي أتى إليه، فطلب منه إحضار ياسين للمغادرة، وفور
ذهابه تحدث الجوكر بجدية معه ليحذره من هذا اللعين:
_خد بالك من مهاب أبو العزم ده.. شكله مش سهل.. دماغه مش دماغ رجل أعمال أبدًا.
واسترسل ببعض الحيرة:
_اللي مستغربه انك كان ممكن تستغل اختطاف بنت عمك وتحبسه!
أغلق زر جاكيتته وهو يحرص على تنسيق ملابسه، وأجابه بما يشعر به:
_كان ممكن أعمل كده بس ده مكنش هيفيدني بحاجة، أنت أكثر واحد عارف انه يقدر
يطلع منها بسهولة، ثم ان دخلته ليا غريبة ومش مفهومة، طريقته معايا أكدتلي انه
يعرفني وداخل المناقصة دي عشاني... وانا وراه لحد ما أشوف اخرته أيه.
هز رأسه بتفهيم ومع ذلك عاد لي طرح تحذيراته:
_برضه خد بالك من تحركاته لانه وارد يعيد اللي عمله تاني.
طمنه حينما قال:
_لا متقلقش المرادي أنا صحيله كويس!

الوقت مر بصحبته بسرعة البرق، فلم يرغب أبدًا بالرحيل، حتى هي أرادت أن يظل معها
لأطول وقتًا، إلى أن حانت لحظة الوداع التي خلقت داخلها ضيقًا غريبًا، حينما أخبرهما
الحارس باستعداد والده للمغادرة، فنهض ياسين عن مقعده ثم ودعها ببسمة صغيرة
وهو يردد:
_سعيد اني اتعرفت عليك يا مرين.. ومتزعليش من كلام الاولاد عنك.. بالعكس انتي
مميزة ومختلفة.. وأكد في يوم من الأيام هتوصلي للي أنتي حابة توصلي ليه.
اتسعت ابتسامتها حتى برزت غمازتها الساحرة، فنهضت هي الاخرى، وردت عليه برقة:
_ميرسي يا ياسين.. وأنت كمان ربنا يوفقك وتكون زي ما أنت حبيب.
أجابه بثقة:
_هحقق حلمي أكيد ويمكن يكون لينا فرصة نتقابل تاني لو بقينا في نفس المجال.
صفقت على يدها وهي تشير له بحماس:

_وعد؟

منحها ابتسامة هادئة وهو يرد:

_وعد..

وتركها وغادر وهو يخطف النظرات السريعة اليها من الحين والآخر، ربما اعتاد سماع من يخبره بأن عاقل وحديثه يفوق عمره أضعافًا، والآن قد أمن بحديثهم فور رؤيته لذلك النموذج القريب منه، استكمل ياسين طريقه لينضم لعدي الذي أمسك يده واتجهوا معانا للخروج، هبطوا الدرج القصير المؤدي للطريقة الطويلة أمام السيارة، والجوكر يقف على مقدمته يتأمل رحيلهما، توقف "عدي" بذهول فور سماعه لصوت رقيق يردد اسم ابنه، حتى مراد استدار للخلف بدهشة، فرأى ابنته تهول وتجتاز الدرج القصير حتى أصبحت قبالتها، فهبط من خلفها وبات يقف جوارها يراقب ما يحدث، مجرد رؤية عينيها الزرقاء ووجهها القريب بالملامح للجوكر أكفته بمعرفة تلك الفتاة، فتابعها باهتمام، أخرجت "مرين" ما تحمله لتقدمه لياسين الذي حمل الحقيبة الصغيرة التي يزينها رسومات باللون البنك والفراشات، كانت تخص الفتيات وما تحمله بداخلها يعاكس ذاك الذوق الانثوي، فتحتها ياسين وجذب ما بداخلها ففغر ففاهه بصدمة، وهو يحمل السلاح ويرفعه مقابل عينيها، فتابعت مرين حديثها ببسمة هادئة:

_ده هدية مني ليك.. وأتمنى لما تتقابل بالشرطة في يوم من الأيام يكون معاك.

رمش بأهدابه الطويلة وهو يردد بدهشة:

_مش ده هدية عمك ليك.. مقدرش أقبل هدية غالية زي دي!

التقطته منه ثم اعادته لنفس الحقيبة ووضعتها بين يده مجددًا وهي تخبره:

_أنا قولتلك إن أنكل رحيم اداني اتنين.. وأنا حبيت يكون معاك واحد لأنك الوحيد اللي

متريقتش عليا زي باقي الاولاد هنا.. وبالاخص زين ابن انكل رحيم!

وحينما وجدته مازال مترددًا، التفتت لوالدها وهي تشير له برجاء:

_بابي بليز خليه ياخده.

أسبل بعينيها وهو يتطلع لعدي الذي يتابع الحديث، ليهمس اليه بسخطة:

_بداية غير مبشرة بالمرّة!

ابتسم وهو يهمس بنفس نبرته المنخفضة:

_مش كنت حابب متشوفش وشي تاني.. شكلنا هنتجمع في مصايب كتيرة جاية بس

المرادي احنا مش أطراف فيها!

جاهد الجوكر لرسم ابتسامة كبيرة بوجه ابنته التي تتابع حوارهما باستغراب وفضول

لمعرفة ماذا يتهمسان، فلكزه عدي وهو يهمس له:

_بتبالغ..

ضيق ابتسامته قليلاً، وتحرر عن صمته حينما اشار لياسين:
_ اقبل هديتها يا ياسين وافتكرها كويس أوي لان مرين بنتي بالذات مستحيل تهادي أي حد
في حياتها شيء يخص رحيم زيدان.. فده ان دال على شيء يدل إننا داخلين على منعطف
تاريخي.

لكزه عدي مجددًا، فعدل حديثه وهو يمسك كتفيه بآلم:
_ أقصد انكم هتكونوا اصدقاء ومفيش صديق بيرفض هدية صديق.. صح يا عدي؟
أوما برأسه بتأكيد، وأشار لابنه بقبول الهدية، فجذبها منها وهو يحك ذقنه بتفكير، فحملها
واتجه للسيارة وهو يشير لها:
_ طب ثواني.

عاد بعد قليل يحمل حقييته السوداء، فحرر سحابها ومازال عدي ومراد يراقبان ما يحدث
بذهول، فأخرج ياسين منها متعلقاته وهو يبحث عن شيئاً ما، لمحت مرين لوحاته التي
يضعها على حافة الدرج ليصل لما يود، فحملتها وهي تتفحص محتوياتها باعجاب شديد،
وسألته باهتمام:

_ دي رسوماتك؟
أوما برأسه لها، فرددت بإعجاب:
_ الله.. انت بتأخذ كورسات أكيد؟
هز رأسه نافيًا وبرر لها:
_ بتعلم اون لاين.

وانتصب بوقفته وهو يقدم لها هديته قائلاً:
_ جدو علمني مقبلش بهدية غالية من حد الا لما اهديه بهدية قيمة... وده هديتي ليكي.
جذبت منه مرين ما يحمله بأعين متسعة، كان مجسم صغير لشرطي يحمل سلاحًا قوي،
ويبدو بأنه مطعم بالذهب، ربما لم يجذبها طلائه الذهبي الجذاب لصناعته منه، ولكنه نال
اعجابها بشكل كبير، لا تعلم لانها تذكر من هذا الفتى المختلف لها عن ابناء أعمامها ولا
لكونه مميزًا فقط، حملته مرين وهي تشكره بفرحة:
_ جميل أوي بجد... شكرًا

منحها ابتسامة صغيرة وهو يعيد متعلقاته للداخل، ونهض ليقف جوار اياه مجددًا فقالت
بمزح:

_ بس أنت شكلك هتكون رسام كبير يا ياسين مش ظابط!
ابتسم وهو يشير لها:

_دي هواية مش أكثر.
وأشار لها وهو يصعد بالخلف جوار مروج التي غفاها النوم على المقعد من شدة الاجهاد،
كاد عدي بالصعود لمقعده، ولكنه أغلق بابه وهو يحك جبهته بتسليية أراد استعمالها لمن
يقف من خلفه يده تشدد على ابنته التي لا تفارق عينيها ياسين وهو الآخر يتابعها
باهتمام، أشار له عدي بالاقتراب فأسرع اليه ليخبره بصوتٍ منخفض:
_لسه مصمم تخلي أخوك يدرّب الولد؟
هز رأسه بإعتراضٍ جنوني وهو يخبره:
_يا باشا أنا الفترة الجاية هحرص بنفسي ان أنا اللي أدربه، على الأقل أعلمه ذوقيات
التعامل مع انثى، لو سبته لرحيم هيضيع مستقبل بنتي!
تعالّت ضحكاته الرجولية، فتابع وهو يغمز له بمكر:
_كده تعجبني... وعلى رأي المثل تربيته على ايدك أحسن ما تكتشف شخصيته أنت وبنتك
بعد الجواز!
شاركه الضحك وهو يردد ساخرًا:
_إنه القدر يا صاح!
ضرب كف له واستعد للمغادرة وكلا منهما يظنه مزحة قضا بها بعض الوقت، لا يعلم
كلّا منهما بأنها ما هي الا بداية لقصة ستختم بين عائلتين ذات نفوذ وسلطة مهيبة، قصة
ستخلد بين حوائط مملكة "الجارحي" ... ومملكة "زيدان.."

الثورة التي تطيح بالجميع بالأسفل فشلت بسحبه خلفها، فكان بعالم منعزل عن الجميع،
يجلس لأكثر من أربعة ساعات بمفرده، وزوجته تراقبه بين الحين والآخر بقلق، تعلم بأنه
وقت ضيقه يصبح عصبي للغاية، ففعلت كما تفعل كل مرة، تتركه بمفرده حتى يهدأ ومن
ثم تتدخل لتعرف ما به، ولكن تلك المرة طالت به وحدته، لذا استجمعت قوتها واقتربت
منه، وجدته يجلس امام سور الشرفة على ذراع المقعد العريض، شاردًا بالتطلع من
امامه، رفعت اصابعها على كتفيه وهي تناديه:
_رائد.

احتدت نظراته المسلطة للفراغ، فتابعته رانيا بارتباك:
_مالك يا حبيبي.. من ساعة ما رجعت من المقر وأنت قاعد كده؟
أطاح يدها بعيدًا عنه وهو يخبرها على مضض:
_سبيني لوحدي يا رانيا من فضلك.
تحركت لتجلس على المقعد ذاته لتكون قريبة منه، فامسكت يده وهي تردد بتوتر:
_اسيبك ازاي وانت بالوضع ده.. أنا أول مرة اشوفك كده!

سحب يده بالقوة ونهض عن المقعد ليصرخ بها:
_انتي مبتفهميش بقولك سبيني لوحدي.. صعبة دي.
قال كلماته الاخيرة وهو يلقي بالمزهريّة الموضوعه لجواره أرضًا، صوت الحطام القوي
القادم من الاعلى كان كافيل بجعل رعد ينسحب ليصعد للاعلى، حتى يتفقد ماذا يحدث
وخاصة بتخمينه لما قد يصيب ابنه بموقف كذلك.
ارتعبت رانيا من رؤيته بتلك الحالة، فنهضت عن محلها واتجهت للمغادرة، فاستوقفها
نزيف يده، اندفعت تجاهه برعبٍ وهي تحتضن كفة يده:
_رائد أنت بتنزف.
فقد أعصابه، فحاط خديها بيده التي لطخت وجهها بالدماء، متعمدًا الضغط على فكها
بقوة جعلتها تدفع صدره بعيدًا عنها، ليصيح بها بجنون:

_قولتلك اخرجي من هنا... اطلعي!
والقى بها بعنفٍ جعل جسدها يندفع بقسوةٍ تجاه الطاولة المربعة الزجاجية، فاحتك
ذراعها بطرفها الحاد فمزقت ذراعها بجرح بالغ للغاية، حول فستانها الأبيض لوابل من
الدماء، احتضنت رانيا ذراعها وهي تتأوه بوجع جعله يستعيد جزء من وعيه المهدور، هرع
اليها وهو يتفقد اصابتها العميقة، وردد بلهفة:
_حبيبتي أنا مقصدتش قولتلك آآ...
بترت كلماته حينما تحرر صوتًا ذكوريًا صارمًا:
_ابعد عنها..

انتصب بوقفته وهو يتأمل ابيه الذي يلتهمه بنظراته الحادة، فأشار له بتبرير:
_أنا مقصدتش أنا آآ...
قطع الطريق بينهما حتى بات يقابله وجهًا لوجه، وبغضب اخبره:
_أنت أيه؟ أقولك أنا الراجل اللي بيمد ايده على مراته ويطلع عليها غضبه يبقى أيه!
كاد بالحديث فعاد ليووقفه من جديد وهو يصيح بحدّة:
_مفيش مبرر هيشفعلك عندي.. حسابك المرادي هيكون عسير يا رائد.
وتركه وانحنى تجاهها فعاونها على الوقوف وحثها على الخطى بصحبته، لحق بهما رائد ،
فقال وهو يحاول الاقتراب منها:
_طب على الاقل خليني اطمئن عليها يا بابا.
دفعه بقوة للخلف وهو يشير له بسخط:
_روح كمل تكسير جناحك كله يمكن الحقد اللي جواك يزول ولا اقولك هات أولادك وطلع
غضبك عليهم بالمرة.

اخفض رأسه للأسفل بخزي، وخطف نظرة لعينيها التي تطالعه بانكسارٍ وألم، فهمس لها

بحزن:
_والله مقصدت يطولك الأذى يا حبيبتي.

ضحك رعد وهو يخبره باستهزاء:
_المرّة الجاية ابقى ارميها من التراس وقولها مقصدتش يا حبيبتي..
واستدار ليقابله فجأة بنظرة صارمة تتبعها تحذيره:
_متحاولش تقربلها ثاني غير بأذني... من النهاردة مش هتشوف دوفرها لحد ما أنا أربيك
ازاي تعامل بنات الناس.
وجذبها وغادر والأخير يراقب بقع الدماء الماسدة فوق السجادة من أسفل يدها بدمعة
خائنة، فلم يحجب ذاته بالبقاء منعزلاً واندفع للأسفل من خلفهما.

رؤيتها مزقت جمعتهم المخيفة، فأسرعت الفتيات اليها بفزع، حتى الشباب ورجال القصر
اجتمعوا من حولها، فكانت دينا اول من تساءل:
_في أيه يا رعد.. مالها رانيا؟
أجابها بضيق:
_ابقي اسألني ابنك المتربي!
فهم الجميع مغزى ما حدث، فعصبية رائد معروفة للجميع، القى ياسين نظرة خاطفة على
جرحها، فقال بشفقة:
_الجرح كبير يا عمي.. محتاج خياطة.
اشار جاسم لعمر:
_تقدر تخطيه يا عمر.
أوما برأسه، واتجه إليها، فلقى نظرة متفحصة عليه بحزن، نادى أحد من الخادم وأمره
بالصعود لجناحه وجلب حقيبته الخاصة التي مازال يحتفظ بها بخزائنه، وطلب من الفتيات
بمعاونتها بالتمدد على الاركة الجانبية، فعاونتها "أسيل"، ورحمة ومليكة بالنهوض، اتى
صغيرها "آسر" من الخارج فصعق من رؤية والدته بتلك الحالة، فبكى وهو يسأل بريية:
_مامي مالها؟
حملة "حازم" وربت عليه بحنو وهو يخبره:

_مفيش يا حبيبي اتجرحت بس وهي بتعمل الأكل... وانكل عمر هيعالجها فوزًا..
وحمله وغادر للحديقة حتى لا يرى ما سيحدث هنا، جذب عمر الحقيبة من الخادم، ثم فرد
محتوياتها، وقد اتى أحد الحرس بحقنة المخدر البسيط، فشرع بتجهيزها وبدأ بتصميم

جرحها ببراعةٍ، والآخرى تتمسك بذراع رحمة باكية من الألم.
هبط للأسفل ليجدها تبكي بألم وعمر يخيظ جرحها العميق، أسرع ليحل محل رحمة،
فتمسك بذراعها وهو يردد بندي:
_أنا آسف..

دفعه قوية جعلته يرتد للخلف، فوجد أبيه يقطع طريقه وهو يصرخ به:
_قولتلك مشوفش وشك تحت هنا.. نازل ليه وأنت السبب في اللي هي فيه!
خرجت الامور عن طور سيطرتها، فهرعت دينا لتحيل بينهما، في ذلك الوقت عاد يحيى من
الخارج بعدما كان بصحبة ياسين بالخارج طوال اليوم، فكان عليه معرفة اجابات على كثيرًا
من الاسئلة، ظن أخيرًا بأنه علم ما اصاب صديقه المقرب ولكنه وضعه باختبار اخر، حينما
طلب منه العودة للقصر والتدخل فيما هو حادث الآن بينما عاد هو من المدخل الخارجي
متعمد البقاء بغرفته دون تدخله بما يحدث، وكأنه يترقب أحد آخر ليحيل محله هنا حتى
يعتاد على مثل تلك الامور.

تدخل يحيى بينهما وهو يردد بصدمة:
_في آيه؟

رفع رعد عينيه اليه وببسمه ساخرة اجابه:
_في ان ابني المتربي من ساعة ما خسر المناقصة وهو راجع النار عامية عيونه وعائز
يطلعها في أي حد ومراته كانت اول مرة ناره تطولها.
حانت من يحيى نظرة سريعة لحالة رانيا ومن ثم عاد ليتطلع لرائد الذي يكبت غضبًا
عظيمًا متعلق بذاك الامر، وفجأة قسم جلستهم بكاء يارا وهي تصرخ بجنون:
_كفايا...بدل الخناق اللي انتوا فيه ده شوفي فين بنتي!
كاد الجميع بتناسي أمرها الهام وسط تلك الاحداث، فحاول احمد جاهدًا الاتصال بعدي
للمرة التي تخطت المائة مرة، عاد القلق يلعب على أعصاب الجميع فاستهدفها دون
رجعة، وحينما حاول معترز ابلاغ ياسين الجارحي بما يحدث هنا منعه يحيى وتصدى له،
حينما قال بخشونة:

_مستحيل هتعمل كده يا معترز.. هتقعد وهتستنى ابن عمك لما يرجع ونسمعه.
ردد بعدم تصديق:

_نسمع آيه يا عمي... عدي مبيهموش غير نفسه وبس.. عدي مكنش ينفع يمسك
المنصب ده من البدايه هو السبب في الحالة اللي بقى فيها رائد ومراته وهو السبب أن
حياة مروج دلوقتي في خطر.. عدي انسان اناني وميهموش حد في العيلة.
أوقفه رائد حينما قال باستهزاء:

_بلاش تغلط فيه يا معترز والا هتتعرض لعقوبات انت في غنى عنها... ده الكبير

ومينفعش تقول إنه غلط وبيغلط وهيغلط طول مهو بالمنصب ده..
وصاح بعصبية بالغة:

_كأنك ارتكبت ذنب كبير.. مع ان أكثر اتنين يستحقوا المنصب ده هما ياسين وأحمد بس
عمي لما اختار مخترش غير ابنه!

صفعة قوية هوت على وجه رائد ولم يكن صاحبها سوى يحيى الذي خالف التوقعات،
وبأصبعه أشار له بغضب:

_الكلام ده مالوش مكان بينا... الغضب اللي جواك ده يندفن ميخرجش براك... حبكم
لبعض زرعناه فيكم من طفولتكم ومش هتكون أنت سبب الفتنة دي!

جحظت عينيه وهو يتطلع له بصدمة، ف جذب عز يحيى وهو يخبره بذهول:
_أيه اللي بتعمله ده يا يحيى؟

رد عليه بانفعال:

_اللي لازم يحصل... أنا مش عمه أنا ابوه ولازم يحترمني ويحترم اللي ربناه عليه.
شجعه رعد حينما اضاف:

_سيبه يا عز يربيه.. مدام أنا تربيتي مكنتش في محلها!
وزع معتز نظراته بينهم بسخطة وصاح:

_هتربينا كلنا من أول وجديد يا عمي عشان بنقول الحقيقة؟
سأله بجمود:

_أي حقيقة؟!

اجابه بتحدٍ:

_عدي مينفعش يكون في المقر ولا بالبيت ده بعد النهاردة... قسمًا بالله لو اختي جralها
حاجة ما هيكفيني فيه رقبته!

تعالى صوت بكاء رحمة وهي تستمع لحالة القسوة المسيطرة على الاغلب من زوجها،
فحانت منه نظرة جانبية اليها، وردد بسخطة:
_أول مرة تعرفي حقيقة زوجك المحترم!

جذبها عمر اليه، وبيده الاخرى دفعه للخلف وقد فاجئ الجميع بانقلاب شخصه الرزين،
وكأنه تلبس رداء اخاه بتلك اللحظة، كاد معتز بالاختناق من يد عمر القوية، فهدر به
بخشونة:

_انت اتماديت حدودك كلها أنت واللي واقف جانبك.. كلمة زيادة تمس أخويا أو مراته
ومتلومش غير نفسك يا معتز.

كان الجميع بحالة من الصدمة، وخاصة حينما تدخل يحيى بينهما وهو يصرخ بعصبية لم
يسبق له التحلي بها:

_ارجع انت وهو لورا... أيه مش ملين عنيكم!! مشاكلكم مبقتش تتحل غير في وجود ياسين الجارحي؟ لا أنا ممكن ابقى ابشع منه لو شوفتكم بالوضع ده!
جذب ياسين معتز للخلف، بينما عاق أحمد طريق عمر وهو يهمس له:
_عمر ارجع لوعيك.. انت ازاي تعمل كده؟؟
صاح بعصبية يراها الجميع لأول مرة:
_واعمل اكر من كده لاي شخص يحاول يتكلم بالاسلوب ده على اخويا...
تحملت نور على ذاتها رغم ألم ولادتها، فحينما طلب منها الخادم حقيبة عمر ارتعبت لحدوث شيئاً بالأسفل، خاصة مع سماعها لتلك الاصوات، هبطت بصحبة "شروق"
ونسرين للأسفل، رغم محاولة كل منهما لايقافها، فخرجت من المصعد لتجد زوجها في تلك الحالة الغامضة، خافت أن يطوله الآذى من اندفعه تجاه معتز بتلك الشراسة، فرددت بتعبي:
_عمر!
استدار تجاه المصعد، واسرع ليساندها عن يد الفتيات، وردد باستياء:
_أيه اللي منزلك وانتي بالحالة دي؟

تجاهلت سؤاله ورددت وعينيها الباكية تتجول عليهم:
_أيه اللي بيحصل هنا ده؟
أجابها عز ساخرًا:
_بيحصل اللي عمره ما حصل جوه بيتنا يا نور وكل ده بسبب سوء تفاهم مينفعش يكون موجود بينهم اساسا..
واستطرد بغضب وعينيها تكتظم ابنه معتز:
_الظاهر ان تماديك انت كمان هيكونله حد.
سأله باستهزاء:
_أيه حضرتك هتمد ايدك عليا زي ما عمي عمل مع رائد.
دفعه مازن للخلف وهو يصيح به باندفاع:
_كفايا بقا يا معتز.. فوق لنفسك!
كاد بأن يجيبه ولكنه توقف فور سماعهم جميعًا صوت مروج وهي تردد بفرحة:
_مازن!
اتجهت جميع الأعين اليها وهي تركض تجاههم، احتضنتها يارا ببكاءٍ حتى جلست بها أرضًا، والجميع قد خدمت جزء من نيرانهم فور رؤيتها تقف قبالتهم بأفضل حال، ضمها عز اليه وهو يسألها بحنان:
_طمينيني يا حبيبتي انتي كويسة؟

أكدت له ذلك:
_بخير يا بابا..
سألها مازن بدهشة:
_انتني رجعتي على مصر ازاى!
قالت وهي تتطلع للباب الرئيسي:
_عدي باعتلي صاحبه وهو اللي خلصني من المكان اللي كنت مخطوفة فيه.. وجابني لحد هنا.
اتجهت جميع الأعين تجاهه، والآخر يوزع نظراته بينهم بدهشة، ابتداءً من رائد لمعتز حتى رانيا المتمددة على الاريقة بتعبٍ شديد، ترك عدي يد ابنه وأشار له:
_اطلع فوق.
انصاع له على الفور، فاقترب منهم عدي وهو يتساءل باسترابة:
_في أيه؟
تحرر معتز عن صمته وهو يجيبه باشمئزاز:

_ربحت الصفقة وكسبت قدام ياسين الجارحي... طب ومهمكش أن صاحبك ده ممكن ميقدرش انه ينقذ مروج!
فهم تليمحات صغيرة لما يحدث هنا، فأجابه بثبات:
_مروج كانت برة دبي من قبل المناقصة ما تبدأ يا معتز..
رد عليه بجمود:
_بأمان!! أنت كان يهملك أيه من الصفقة دي اساسًا وهي جاية على حياة عيلتك؟
واسترسل بحدة:
_ولا تحديك الطايش أهم من عيلتك!
صاح به عز بغضب:
_معتز.

خرج عدي عن صمته حينما قال:
_بالعكس انا باللي عملته أثبتله اننا ملناش نقطة ضعف.. كان ممكن انفضله اللي هو عايزه بس ده كان هيخليكم عرضة لاي حد داخل قصادكم مناقصة، وهما عارفين نقاط ضعفكم أيه... انا ادبته وادبته درس عمره ما هينساه عشان يكون عبرة لغيره..
تابعه يحيى، ورعد، وعز باعجابٍ، حتى أحمد وياسين والشباب بأكملهم، الا رائد مازالت هناك عاصفة تأبى الخضوع لما يستمع اليه، لانت ملامح وجه معتز لما يستمع اليه، وخاصة حينما قال عدي بنبرة دافئة بعيدة كل البعد عن صرامته المعهودة:

_مروج وأسيل وداليا عندي زي مليكة بالظبط يا معتز... ومستحيل هقبل أعرض حياتها للخطر.

رمش بعينه بخرج شعر به فجأة رغم مناطحته الشرسة، فارتسمت بسمة صغيرة على طرفي شفتي من يتابعهم من أعلى الدرج ولم يلاحظ وجوده أحد، قطع صمت جلستهم صوت صفقات متتالية، فاتجهت جميع النظرات لمصدرها، فلم يكن سوى رائد الذي اقترب ليبدو قريبًا منه، وتوقف فجأة وهو يشير له بإعجاب:

_لا حقيقي عظمة ولازم كلنا نصقفلك صح؟

وفجأة تلبس السخط والحقد معالمة، وردد بعنف:

_دورك البطولي اللي بتحاول ترسمه ممكن يأكل معاهم كلهم بس أنا لأ... أنت انانيتك ملهاش حد يا عدي.. وحقيقي أنا ندمان لصورتك النبيلة اللي رسمتها لك جوايا طول السنين اللي فاتت دي.. أنت متستحقش انك تكون ابن "ياسين الجارحي" ... متستحقش إنك تكون هنا وسطنا لانك مبتفكرش غير في نفسك وغرورك وكبرياك الغبي! عاد وجهه ليستقبل صفة أخرى أشد قسوة من صفة يحيى، فجابهه تلك المرة أبيه الذي حال بينهما وهو يشير له بصوت محتقن:

_اعتذر لابن عمك وفورًا.

قاطعه عدي حينما قال:

_مفيش داعي يا عمي أنا مقدر الحالة اللي هو فيها.

أشار له يحيى بالصمت وأيد عز بقراره ر فكاك رائد بتمزيق شفتيه السفلية من فرط ضغطه عليها، فتراجع للخلف وهو يشير له بالنفي، فعاد رعد ليقترب منه وهو يشدد على حديثه:

_لو تربيتي ليك كانت صالحة ٢٠ في المية هتعتذر يا رائد!

كلماته طعنت قلبه، فخنق اليه وهو يجابه كبريائه، فاقترب من أبيه مجددًا وهو يستعطفه بنظراته الا يفعل به ذلك، فوجده يتطلع له باصرار وغضب، لذا اتجه ليقف قبالة عدي مجددًا ليغلبه غيظًا وصمًا جاهد لقطعه، فاطبق بقوة على يده التي زاد نزيها وهو يردد بجمود:

_آآ... آسف.

وفور نطقه بتلك الكلمات الثقيلة هرول للخارج مسرعًا قاصدًا لسيارته والجميع يراقب ما يحدث بتأثر وخوف، ظهر "ياسين الجارحي" من أمامهم، فتابعوا نظراته الغامضة بذهول، وخاصة منبعها المتصل بعين عدي، الذي هز رأسه في طاعة، وغادر لينفذ أمر أبيه بعدم

تخليه عن رائد في تلك الحالة، فصعد لسيارته ولحق به على الفور.

قاد سيارته بسرعة فائقة، وسمح لذاته بأن يحرر دمعاته المحتبسة عنه، شعوره بالظلم وبالاهانة التي تعرض لها على يد عمه وأبيه انغرست داخل قلبه، لا يعلم لما تمادى هكذا ولكنه يثق بأن عصبيته هي أبشع ما يمتلك، خرج من بوابة القصر تحت أعين من ينتظرون تلك الفرصة المناسبة التي يظنها ذاك الشيطان المتربص لهم للنيل من الكيان الذي يتباهى به شرطي بحجم عدي الجارحي، علم من جاسوسه الأرعن بالخلاف الناشب بالقصر، فأراد أن يطرق على الحديد الساخن، لذا رفع هاتفه وهو يردد لمن ينقل له صورة حية من أمام قصر الجارحي:

_نفذا!

خرج عدي بسيارته مسرعًا خلف رائد، وبالرغم من تفاوت السرعة والمسافة بينهما إلا أن عدي بمهارة قيادته استطاع الاقتراب من سيارة رائد، وحرص على القيادة محاذاته وهو يشير له بالتوقف عن القيادة، وحينما رفض الانصياع به صاح بصوتٍ صاخب:
_رائد اسمعني... وقف عربيتك وخلينا نتكلم شوية... صدقني أنا مقصدتش أقلل منك بالعكس.

لم يجيبه وتابع القيادة في محاولة للبعد بسيارته عنه، فعاد عدي ليلحق به وهو يناديه ويخبره:

_أنا عارف اني مستحقش المنصب ده.. وأوعدك انك مش هتشوفني تاني بالمقر... بس ارجوك اقف خلينا نتكلم شوية.

حديثه جعل الاخير يردد بعصبية:

_سبني في حالي يا عدي عايز ابقى لوحدي!

تفادى عدي احد الدراجات النارية التي اجتازت من منتصفهما، وعاد ليكون جواره وهو يصيح عاليًا:

_مش هسيبك..أقف واسمعني!

حمل سائق الحاوية (تريلا) هاتفه وهو يخاطب "مهاب أبو العزم"، يخبره على مضض:
_في عربية محاولة لعربيته يا باشا... وعلى ما أظن إن اللي فيها عدي الجارحي..
البسمة الخبيثة تجوب وجه هذا الماكر، اتاته الفرصة على طبق من ذهب، إن كان يود التخلص من رائد لزرع الفتنة والدمار بين روابط العائلة بعد اطاحتهم بذنب وقوفهم مع عدي ضده، والآن فرصته بزيادة النيران بالحطب، فإن وقع اللوم على عدي بتلك اللحظة

سيضمن نجاح خطته الدانيئة، لذا شدد بحرص على من يسمعه:
_ اخلص من رائد.. وأوعى تمس عدي سااااامع لو عدي حصله حاجة أنا اللي هقتلك
بنفسي!

ارتدت سيارة رائد للأمام فجأة، مما جعلهما يراقبون ما يحدث خلفهما، تفاجئ رائد بوجود
الحاوية الضخمة من خلفه، ففسح لها طريق آمن، ولكنها كانت تلحق به بأي اتجاه يقصده،
وحينما عادت تحتك به من جديد تأكد حدثه بحرصها على التخلص منه، حتى عدى تفاجأ
بالأمر، وفجأة صعق السيارة والتريلا تجرها من خلفها، ففشل رائد بالتحكم بالمقود، وراقب
لحظاته الاخيرة بصدمة، وفجأة وقبل أن ترتد سيارته وجد من يدفع ليتفادى عن صدام تلك
الحاوية العملاقة، لتصبح سيارة عدي في مواجهة ذاك اللعين، وبالطبع فشلت بالتصدي
لها، وانقلبت عن مسارها الطبيعي لأكثر من ثلاث مرات، حتى هادت من فوق الجسر، فلاذ
صاحب الحاوية الضخمة بالفرار، وبقي "رائد" بمقعده يتابع ما يحدث بصدمة وعدم
استيعاب، الى أن نزع عنه حزام الأمان وهول زاحقاً تجاه الجسر وهو يتأمل السيارة التي
ضربت النيران بصدمة، فصرخ بجنون:

_عدي!!

انفطر بالبكاء كالطفل الصغير حتى كاد بأن يلقي ذاته من خلفه، فأوقفه سماعه لصوت
تأويها خافتة تأتي من جواره، فانحنى برأسه ليتفاجئ به يتعلق بأحد فروع الأشجار بعدما
لقى بذاته خارج السيارة قبل أن تنجرف عن الجسر، ساعده رائد بحرص حتى خرج للأعلى،
فسقط فاقداً للوعي بين يده وجسده تغطيه بركة من الدماء، حركه رائد بين يده وهو
يناديه بكاء حارق:

_عدي... رد عليا ارجوك.. عدي!!!

تلوثت يده بدماء ابن عمه واخيه الاكبر، فرفعها اليه وهو يتفحص دمائه برجفة مزقت قلبه
قبل ان تصل لاطرافه، فرفعه اليه وهو يحتضنه ويردد بجنون:
_لأ... مش هيحصلك حاجة لأ..

وفجأة حمل هاتفه واخذ يعبث بالارقام، يحاول انقاذه وهو يجهل ما يفعله كأنه فقد ادراكه
الحثي، لطف الله به وانطلق هاتفه برنين رقم ياسين، فتح على الفور ليجد الاخر يخبره:
_رائد انا مقدر حالتك بس ارجوك ارجع ونتفاهم بالعقل... كلنا بنحبك وبنحترمك..

بناء على طلب ياسين الجارحي، جعله ياسين يطلبه لعله قد يجيبه، وفور فتحه المكالمة
فتح ياسين السماعة على مسمع الجميع، خرج صوت رائد الباكي يخبره:
_ياسين... عدي ييموت بين ايديا ارجوك اطلب الاسعاف بسرعة..
هوى قلوبهم الجميع مع سماع تلك الكلمات المقتصرة، واولهما ياسين الجارحي الذي

نهض عن مقعده والجنون يحيل باعصابه حد القتنة، وآخر ما استعبه بتلك اللحظة صراخ
رحمة وهي تردد بصدمة:
_عدي!!!

الفصل الرابع عشر

ما قاله لم يكن هيئاً لمسمع أحد، الجميع يجابه تلك الكلمات المفجعة، والأغلب يزعم عدم
سماعهم الجيد لما قال، ومع ذلك حطم شكوكهم حينما عاد ليكرر بصوته الباكي:
_اتصل بالاسعاف يا ياسين.. عدي قاطع النفس!

لم يخونه قلبه من بداية شعوره بتلك النغزة القاتلة، لم يكن يتعلق به الأمر إذن بل كان لتؤامه الشقيق، هو من يجابه الموت بين تلك الرقاق، وذاك اللعين من ينغز بالآلام الطاعنة لقلبه، لا يعلم من أين أتى بذاك الثبات وبداخله يبكي بانهيار، فأسرع تجاه الهاتف الذي يحمله "ياسين" بصدمة، ثم جذبه إليه وهو يصيح بحزم:
_رائد اسمعني... أي عربية اسعاف عشان تجيلك هتحتاج وقت.. خده بعربيتك على أقرب مستشفى بدل ما حالته تسوء أكثر من كده... سامعني!!
أتاه صوته المتقطع يخبره:
_عربيتي عطلانه يا عمر... التريلا كانت بتحاوط على عربيتي أنا وعدي هو اللي رمى نفسه قدامها..

صرخات آية و مليكة انطلقت لتحطم قلوب من حولها، بالرغم من تجمع الفتيات من حولهن الا أنهم لم ينجحوا بتهديتهم ولو قليلًا، الرجال يغلبهم الصمت والنساء العويل والبكاء، والهاتف فقط من يحدد ذاك المصير المقبض لفلذة كبده، شعر "ياسين" بالاختناق، فحرر جرفاته عن رقبتة وهو يتابع المكالمة، يحاول السيطرة على طوفان قلبه المهلك، يرغب بالحديث بالتعبير عما

يشعر به، يتمنى بداخله أن يغلق جفنيه وحينما يفتحه يعاد المشهد من أمامه، حينها كان سيتمسك بذراعه ويمنعه من الخروج من القصر، كان سيضمه ويخبره بما احتبسه بداخله طوال تلك الأيام، كان ليخبره بأنه لم يعتمد تحديه بل كان يحميه من الخطر بينما يلاحقه هو خارج قلاعه الآمنة!!

مزق صوت رائد صمتهم التعيس حينما ردد لذاته بتيهة:
_أكيد لو طلعت على الطريق الرئيسي ألقى عربية تساعدني..
وعلى الفور اسند جسد عدي الفاقد للوعي أرضًا بحرص، ومن ثم هرع راكضًا والدماء تغزو جبينه جراء اصطدامه بتابلو السيارة حينما كانت تحاول الحاوية استهدافه هو، وصل "رائد" للرصيف، فاستهدفت عينيه سيارة (ميكروباص) قادمة من على بعد، لوح لها عدة مرات حتى توقفت، ففتح الراكب نافذة السيارة المجاورة له بالمنطقة الأمامية جوار السائق الذي ألقى نظرة متفحصة عليه وهو يتساءل بقلق:
_خير يا ابني..

ردد رائد بعشوائية جعلت حديثه مرتبك:
_أرجوك ساعدني... أخويا بينزف وهيموت لو منقلتوش أي مستشفى!
منحه السائق ذو الخمسة وأربعون عامًا نظرة متفحصة، ثم عاد ليتطلع لابنه الجالس لجواره، فوجده يشير له بتحذير، عله فخًا منصوب إليهما لسرقة الاتوبيس المصدر الوحيد لدخلهما، جذب "رائد" محفظته ثم أخرج مبلغ طائل من المال، فقدمه اليهما قائلًا بتوسل:
_

_ خد المبلغ اللي تحبه ولو حكمت هكتبك شيك بس أرجوك ساعدني انقله لاقرب مستشفى.

نظرته بمن يقف أمامه لن تخيب، حتى وإن دلت ملابسه على ثرائه الفاحش الا أنه رآه شابًا يليق به الأخلاق ولن ينحدر أبدًا لذلك المستوى، لذا أشار له وهو يوجه حديثه لابنه الشاب:

_ عين فلوسك يا ابني.. انزل معاه يا مسعد وساعده يشيل أخوه لحد ما أدور العربية. لم يجبذ فكرة أبيه، وخاصة بما قد يصيبهما من أذى وتحقيقات الشرطة حول الحادث، وهما أناسًا بسيطة لا تقوى على محاربة كل ذاك، فقال:

_ بس يابا آآ..

انهى نقاشه قبل أن يستمع للمزيد:

_ في انسان بين الحيا والموت.. وأبوك راجل مبيقمش من على سجادة الصلاة.. لو كملنا طريقنا مش هسامح نفسي!

هز الشاب رأسه في انصياغ، وخرج على الفور من الاتوبيس ليلحق برائد الذي هرول من منحدر جانبي والاخير يلحق به ببعض القلق من أن تكون شكوكه صحيحة بأن يستدرجه بعيدًا عن أبيه حتى تباغته مجموعة وتسرق الاتوبيس وما يقلقه حقًا إيذاء والده التي قد تصيبه في مقتل، بدأت معالمة بالاسترخاء قليلًا حينما وجد شخصًا ملقى أرضًا بإهمال، فأسرع بخطواته حتى ركض من خلفه حينما تأكد له صدق حديثه، انحنى الشاب "مسعد" تجاهه، ثم أشار لرائد الذي يحاول حمله:

_ خد بالك يا باشا ليكون عنده كسور في رقبتة..
بارتباك! تساءل:

_ طب اشيله ازاي؟

اشفق الشاب على حالته، وخاصة برجفة يده التي نقلت له حبه الشديد لآخيه، فأشار له على ذراعيه وحمله:

_ كده.. ارفعه معايا بسرعة.

ساعده رائد وأسرعوا معًا للطريق الرئيسي، فأسرع العجوز بفتح الباب ثم عاونهما على وضعه بالاريغة الامامية، حيث جلس رائد على مقعدها وحمل جسد عدي تجاهه، فتحرك بهم السائق بسرعة البرق للمشفى القريبة منه، والعائلة بأكملها تنتظر على الهاتف، فاستعلموا عن المشفى التي يقصدها السائق الذي بدوره ردد بصوتٍ عالي للسماعة المفتوحة بينهم، فعلى الفور تحركوا جميعًا لسيارتهم وأوقف يحيى أحمد وياسين، فأشار

لهم بصوته الواهن:
_احمد هات من الخزنة مبلغ كويس..
اشار له وهو يسرع لغرفة المكتب الرئيسية:
_حاضر يا عمي.. حالآ.
واسترسل حديثه وهو يشير لابنه:
_ياسين بسرعة جهز باسبور وأوراق عدي عشان لو حكمت ننقله بره مصر بأسرع وقت..
وحصلنا انت وابن عمك.
اسرع للأعلى ليبحث عما اراده والده بينما أسرع يحيى خلفهم بسيارته.

صرير مزعج تصدره عجلات السرير المتحرك للمشفى، صريرها ييث القشعريرة بالنفوس، غامت روحه في ظلام دامس، حياته شبيهة بالمعركة التي لا تنتهي أوتارها، وكلما انتهى من شق فتح خندقًا آخر يعيق قدميه، سئم من المحاربة وانقطعت انفاسه في سباق تعمد بأن يكون أحد متنافسيه، يشعر الآن وبذلك اللحظة بأنه بحاجة للراحة والاسترخاء بعيدًا عن تلك الضغوطات، ولكن ما يضيق صدره بتلك اللحظة بأن مع عتبة رحيله هناك ما يتشبث بيده بقوةٍ ويأبى تلك السلام لروحه، معشوقة قلبه ومن يشعر بكل هفوة قد تمسها تمزق نياط قلبه أولًا قبل أن تمسها، ردد لسانه الثقيل بحروفٍ لم تكن مسموعة سوى لقلبه المستجير للنجاة لاجلها هي:

_ر... ح... م... ة.. رحمة!!

يشكو ما يصيبه اليها، يحاول المقاتلة ولكن فقد شغفه بكل شيءٍ حتى الحياة، ضوء قوي ضرب عينيه فجعله يرمش بجفنيه المغلق بانزعاج، تليه أبرة غليظة تبث بأوردته وبعدها فقد احساسه بأي شيءٍ يجري حوله، وكلما كان يشتد به ألمه لسماعه صراخها كان يحرك جفنيه بحركةٍ خافتة، يستمع هسيس الاطباء وهم يحاولون انقاذه، وآخر ما استمع اليه سؤال متحير لاحداهم:

_معقول ده يكون ابن رجل الاعمال المعروف ياسين الجارحي!!!

مازالت الممرضة تلج عليه بالدخول لاحد الغرف حتى ترى جرح رأسه وما أصابه من بعض الكدمات المتفرقة، وهو يحاول بكافة السبل ردعها عنه وتركه بمفرده، عينيه مازالت معلقة على باب غرفة العمليات ونظرة يخطفها بين الحين والآخر ليديه المغرقة بالدماء، ومن جواره كان يجلس العجوز وابنه بعدما رفضوا الذهاب لاي مكان الا بعد الاطمئنان على ذاك الشاب، ولم تمر سوى خمسة وعشرون دقيقة الا وصفوف سيارات الجارحي كانت تسد المشفى الحكومي البسيط، وكأن وزير الصحة بزيارة سريعة

للمشفى الذي انقلب رأسًا على عقب فور تسرب خبر نسب المصاب بالحادث للجميع،
توافدوا تجاه الطابق الثاني، فوجدوا رائد يجلس منكس الرأس في حالة يغمرها الحزن ألف
عامًا، أسرع عمر تجاهه وهو يتساءل بفزع:
_الدكاترة قالوا أيه!

بانكسار تطلع له وهو يجيبه:

_لسه محدش خرج.

تعالت شهقات "آية" الباكية، فاقتربت لتمسك جاكيت زوجها وبخفوتٍ شديد قالت:

_ابني يا ياسين... ابني!

لم يمتلك تلك القوة التي اعتاد التحلي بها دومًا، فتطلع تجاه ابنه وردد:

_عمر.

ضمها عمر إليه، حتى تراجعوا معًا للخلف وصدى صوتها يتردد للجميع ولأول مرة:
_ابني لو جراه حاجة مش هسماحكم العمر كله... أنا ساكنة ومستحيلة كل اللي بيحصل،
كلكم جاين على عدي حتى أبوه جاي عليه ليه كل ده ليه حرام هو عملكم أيه؟
تفاجئ عمر من حالة الانهيار الغريبة المسيطرة على والدته، وخاصة حينما تابعت:
_وانت يا رائد انت مش ابن عمه بس ابن خالته كمان ازاي تسيء ليه بالشكل ده ازاي؟
انكس رأسه بحزن جعل دموعه تناسب دون توقف، همت اليها مليكة بدموع قاتلة، اشارت
لها برأفة:

_كفايا يا ماما عدي هيبقى كويس والله عشان خاطري اهدي اعصابك!

على يمينها عمر وليسارها مليكة، أولادها يقدمون الدعم بينما قلبها يختلج الف آه لعدم
وجود ثالثهما، بعدتهم عنها وتمردت لتقف أمام "ياسين الجارحي"، وفاضت بما يضيق
بصدرها:

_عمري ما عارضتك وكنت بحاول أحن قلبك على ابنك اللي معرفش ليه مليون بالقسوة
عليه.. بس النهاردة عمري ما هكون في صفك تاني يا ياسين أبدًا.

رفع عسلية عينيه القاتمة تجاهها، فانفجرت شفيتها بصدمةٍ حينما وجدت عينيه غائرة
بالدموع، تصلبت وانصاع جسدها لدينا التي تجذبها لاحد المقاعد بينما عينيه لم تترك
وجه زوجها، اعتادته قويًا، صلبًا، صارمًا، ليتها وجدته كذلك بتلك اللحظة ربما كانت نيرانها
ستزداد فلن تهدأ ثورتها أبدًا، ودت لو كانت هي له السند بتلك اللحظة فضمته لصدرها
لتمنحه الدعم بينما نياط قلبها يتمزق دون رحمة...

على درب من الشوك كانت تنزف قدميها، ومع ذلك تحاول الصعود مجددًا، وكلما زاد بها الجرح عافت للوصول أكثر، قلبها بأس يشتد حدته كلما فارق محبوبها يدها، فتركض لتتشبث بيده من جديد، وبكائها يتوسل له ألا يتركها، اضطراب نبضات قلبه بالداخل والاطباء يحاولون انعاشه كان قلبها يخفق ببطء بالخارج، بينما الجميع يترقبون سماع أي خبر من الأطباء كانت هي على اتصال روحي به، تعلم حالته الآن وكيف يصارع الموت ويتعركل ثم يحاول النهوض مجددًا، سكون جسد "رحمة" زرع القلق بنفس نور التي رفضت تركها، فظنت أن ما يحدث لها من توابع صدمتها، لذا ضمتها لصدرها فكانت بعيدة عن أعينها فلم ترى ما يصيبها!

كان يحيى لجوار ياسين يشدد على كتفيه من الحين للآخر، والجميع يترقب لحظة خروج أي طيب يطمئن قلوبهم، وفجأة انفتح باب العمليات وطالت من خلفه إحدى الممرضات فهرولت سريعًا للخارج، وما لبثت سوى دقائق حتى هرولت الأخرى فاوقفها أحمد وهو

يتساءل بقلق:

_في أيه؟؟!

قالت على وجه سرعتها:

_محتاجين نقل دم فورًا... بنخسر المريض!

أوقفها عمر وهو يصيح بها:

_أنا نفس الفصيلة.. اسحبني مني.

أشارت له وهي تهتم بالدخول:

_بسرعة من فضلك... انت بتعاني من أي مرض مزمن.

أشار لها بالنفي، فالتقطت انفاسها براحة:

_طب الحمد لله.. اتفضل معايا.

كاد بالدخول خلفها، فأوقفه ياسين حينما أشار له بالتراجع:

_أنا اللي هتبرع لابني.

رمش بعينه بدهشة، ومع ذلك حاول أن يختار كلماته:

_يا بابا أنا موجود.. وحضرتك كبرت والسحب ده هيتعبك.

حدها بنظرة صارمة، وقولًا ساخر:

_وأيه كمان كمل... محتاج لعكازات!

وضع عمر رأسه أرضًا وهو يعتذر عما بدر منه:

_العفو.. أنا مقصدتش طبعا.

عينيه ارسلت اشارتها فتراجع عمر للخلف وتابع ياسين دخوله مع احدى الممرضات، وبينما كادت الاخيرة بتتابعها اوقفها عمر ليستميلها:
_أرجوك تسحبي مني والذي مش هيقدر على الكمية دي، أنا دكتور وفاهم.
باتت بحيرة من أمرها، فقال:
_اسحبي منه حاجة بسيطة وكملني مني بدون ما يعرف.
هزت رأسها بموافقة وأشارت له على غرفة جانيه:
_اتفضل يا دكتور.
لحق بها عمر، وجاسم من خلفهما، فما ان ولج للغرفة حتى قال للممرضة:
_أنا كمان نفس فصيلة عدي.
منحته ابتسامة عملية وهي تخبره:
_لو احتاجنا كمان هنسحب من حضرتك.

سحبت الممرضة كمية قليلة من "ياسين" بناء على طلب عمر، وأكدت له بعدم حاجتهم للمزيد، فأصر على رؤية ابنه قبل خروجه من قسم الجراحة، وأمام رغبته انخضعت له وسمحت له بالدخول بعدما تم تعقيمه جيدًا وارتدى كمامة طبية ورداء خاص بغرفة الجراحة، كانوا قد انتهوا من جراحته وتبقى نقل الدم لانعاشه قليلًا، رؤية الدماء تحيط بالغرفة وبسريره الخاضع له صنعت فجوة عارمة ابتلعت بها انفاسه، تركزت عينيه على وجهه الخاضع لمسك التنفس، مرر "ياسين" يده على رأس "عدي" بحنان، فتخللت أصابعه خصلات شعره البني الطويل، استجابات دمعاته لتأثير ما يراه فانهمرت ببطء على خديه، وبصوته المتقطع ناداه:
_عدي!

حرك جفنيه الثقيل، وهو يحاول جاهدًا بفتحهما، بدت الرؤيا مشوشة قليلة ومن ثم اتضحت ملامح من يقف قبالة، وإن أخفت الكمامة نصف ملامحه عينيه كفيلة بجعله يلامس معالمه، رددت بلسانه الثقيل وحروف تندفع ببطء:
_بابا!

خلع عنه ياسين الكمامة وأزاح دموعه عنه، ومن ثم مرر يده على جبينه وهو يهمس له:
_قاوم عشاني... لو حصلك حاجة عمري ما هسامح نفسي.. حاولت احميك طول الفترة اللي فاتت والمرة الوحيدة اللي طلبت منك تخرج ورا أخوك مأمنتش حمايتك الكافية... أنا
أسف!

صوته مشوش لدرجة لم تجعله يستمع اليه، بدى إليه وكأنه يردد شيئًا فحاول استيعابه ولكن تعبته سحبه لنوم عميق، صوت الاجهزة من حوله كانت تنعش قلب ياسين قبل أن

تنعش قلب ابنه، انتصب بوقفته بكل عظمة فور دخول الاطباء للغرفة لتفقد أمره،
فاستدار اليهم وهو يتساءل بجمود:
_ حالته أيه... وبدون ما تزيف الحقيقة!
أجابه الطبيب على الفور:

_ اطمن يا باشا.. الحمد لله وضعه دلوقتى مستقر النزيف وقف.. وزى ما حضرتك شايف
مفيش غير كدمات متفرقة في دراعه وكتفه اللمين.. واحنا بننقله الدم وكلها دقايق
وهيفوق بإذن الله.

عاد ليتطلع اليه وهو يشير له بنبرة تحتضن الرجاء والحسم بآن واحد:
_ انقله الدم في اوضة تانية غير هنا من فضلك.

وأشار للدماء المتفرقة بكل مكان بالغرفة بألم، تفهم الطبيب حالته وعلى الفور أعده
للخروج، فعاونه ياسين بدفع سريره المتحرك خارج الغرفة، وفور رؤيته تجمهر الشباب من
حوله ليعاونهم على دفع السرير لاحد الغرف، حمله ياسين وحازم

بمعاونة معتز وجاسم، فوضعه على السرير، وخاضت الممرضات معركة اخرى بوضع
المحاليل والاجهزة الطبية من حوله، وقف الجميع حوله بالغرفة الا رحمة بقت بالخارج
محلها والصمت والسكون جعلها مقبضة، ومع ذلك لم يشعر بحالتها احدٌ، هرع عمر تجاه
غرفة اخيه بعدما انتهى من سحب الدماء، فولج وقميصه مرفوع عن ساعده، فمنحه
ياسين نظرة مطولة فتهرب من لقاء عتابه حينما اندفع تجاه الفراش يقبل جبهة اخيه
بدموع اغرقت وجه عدي الذي شعر برائحة أخيه ووجوده لجواره، فناده عمر بصوتٍ باكي:
_ عدي.

جاهد لفتح عينيه مجددًا، فارتسمت على وجه عمر ابتسامة واسعة وهو يشير له:
_ سامعني!

هز رأسه ببطءٍ شديد ثم انغلق جفنيه مجددًا، وفجأة اعاد فتحهما وهو يردد بلسان ثقيل
وصوت مسموع للجميع:
_ رائد؟

علموا ما يقصده بسؤاله هذا، فاكد له عمر:
_ متقلقش رائد كويس.

حينها غلق جفنه انصياعًا لنوم يغلبه، فطرح حازم الغطاء على جسده العلوي العاري، بينما
اتجهت الأعين لرائد الذي تراجع للخلف بدوار هاجمه، اسنده أحمد وهو يسأله بشكٍ:
_ فيك أيه!

انسدلت الدماء من جانب وجهه، فازحها سريعًا وهو يجيبه:
_ أنا كويس.

اسرع إليه عز وأدهم، فرفع خصلات شعره الطويل للخلف ليتفاجئ من الجرح الغائر أعلى
جبهته، فصاح ادهم بفزع:

_جاسم اطلب حد من الدكاترة فورًا.

كانت الممرضة بطريقها للداخل، فاتجهت اليه وقالت بعصبية:

_بقالي ساعة بتحيل على حضرتك تدخل للدكتور يشوف جرحك.. وأنت مش سامح لحد
يقربلك ومتعصب علينا كلنا.

رد عليها رعد بنفور عجيب:

_ده طبعه ومستحيل هيغيره.. يمكن لما يخسرنا كلنا واحد ورا الثاني يفكر!
صوته الصارم خرج ليوقف تلك المهازل:

_رعد!

على الفور ابتلع جملته لنفسه، فاسترسل ياسين حديثه بغضب:

_قوم ارفع ايدك عليه تاني.. ما خلاص بقيتوا بتحلووا مشاكلكم بالضرب!

وقصد بحديثه يحيى، وعاد ليستطرد بنبرة ساخطة:

_مرة واحدة قررت فيها متدخلش في مشاكلكم وأنا واثق انك انت ويحيى موجودين
وهتحلوا مكاني عملتوا ايه؟؟

اقترب منه رعد وهو يبرر له:

_يعني كنت عايزني اعمل ايه.. اقف معاه ضد عدي وعدي مغلطتش في حاجة.

_تفهمه بهدوء مش تحسسه انك واقف مع ابن عمه ضده!!! الابن مهما كان بيستنى رد
فعل رحيم من أبوه.. انت شوفت ان الكل واقف ضده ومغلطه متبقاش أنت كمان ضده
فهمه بالعقل!

كلمات فاض بها بنفاذ صبر، ومع ذلك استرسل بهدوءٍ عجيب:

_عمومًا ده لا مكانه ولا وقته.. خد ابنك ووديه للدكتور.

هز رأسه بانصياح واتجه للاريفة الجالس عليها فأشار له بالنهوض، أبى رائد التحرك للخارج

واتجه ناحية النافذة التي يقف ياسين جوارها، وبحزن وارتباك شديد قال:

_أنا آسف يا عمي..

واخفض عينيه أرضًا سريعًا حينما استدار تجاهه ياسين:

_مكنش قصدي كل ده يحصل والله... عدي انقذني من الموت وعمل المستحيل عشان

اقف واسمعه بس أنا آآ..

ضمه ياسين اليه بحركة مفاجئة للجميع، فبكت دينا تأثرًا به بعدما ظنته سيعاقبه أشد

العقاب لما حدث لابنه الذي لو ود لحرق العالم بأكمله لاجله، ربت على كتفه ومن ثم
أخرجه ليقابل عينيه ليملي امره اليه:
_مفيش حد حاول يقلل منك أبدًا ولا هتحصل جوه قصري... المقر ده انت وياسين شلتوه
سنين طويلة، مكنش فيه حد من اولادي معاكم واحمد نفسه كان بايطاليا ومش موجود..
أنت محتاج تدي لنفسك القيمة اللي تستحقها.. ودلوقتي متفكرش في حاجة واخرج مع
ابوك للدكتور عشان يعقملك جرحك..
هز رأسه بابتسامةٍ شاحبة، وقبل ان يستدير للخروج منح عدي نظرة أخيرة وعلى الفور
اتجه للخروج..
جلست آية على المقعد المجاور لعدي، وأمسكت يده بين يدها، طبعت قبلة عميقة على
يده ومن ثم رفعت عينيه لمن يراقبها بهدوءٍ، أما عمر فحرص على مراقبة الأجهزة باهتمامٍ
واخذ يتفحص مواعيد الدواء وغيره.
طرقات خافته على باب الغرفة، جعلت معتز يفتح بابها فتفاجئ برجل بسيط يقف على
بابه ولجواره شابًا بسيط، ولمتابعتهم المكالمة مع رائد خمن بأنه الرجل الذي نقل عدي
للمشفى، فسمح له بالدخول بعد أن رحب به باحترامٍ، اقترب الرجل من سرير عدي ليلقي
عليه نظرة متفحصة ثم قال:

_حمدلله على سلامته.. ربنا يباركلكم فيه يارب.. انا محبتش أمشي أنا وابني غير لما اطمن
عليه.. ربنا يتم شفاه على خير يا رب.
ردت آية عليه بمحبة:
_يا ررب.. تسلم يا حاج..
بينما اقترب منه ياسين، فصافحه وهو يخبره بامتنان:
_اللي عملته ده عمري ما هنسهولك أبدًا.. أنت انقذت ابني واللي عملته لينا صعب
يتوصف..
ربت العجوز على يد ياسين الجارحي وهو يخبره ببسمته البشوشة:
_معملناش غير الواجب والاصول يا بيه.. والوقتي نستأذن..
اوقفه حينما أشار لاحمد الذي فهم مقصد عمه فجذب الحقيبة التي تحوي مبلغًا طائل من
المال وقدمه له، فحمله ياسين ورفع للعجوز قائلاً:
_ده مش مكافأة للجميل اللي عملته لان كنوز العالم كله ميوفيش حقك، دي هدية
بسيطة تقدر تأمن بيها مستقبل ابنك..
جحظت عين الشاب لرؤيته مبلغًا هكذا، أغلق الرجل الحقيبة ودفعها تجاه أحمد وهو
يلومه:
_احنا مبنخدش تمن لكرامنا يا باشا.. اي حد كان مكاني كان عمل كده.

عارضه ياسين:

_لا.. مش كلنا زي بعض.. ثم اني قولتلك اعتبره هدية مني لتأمين مستقبل ابنك.. انت قدمت مساعدتك لابني وأنا بعمل نفس الشيء!

تبتسم الرجل وحمل منه المال بأعين دامعة، ثم قال بنبرة انعشت قلب ياسين:
_أنا راجل بسيط أه بس عندي نظرة في اللي قدامي... وأنت يا بيه شخص عنده حب كبير لربنا.. أنا فاهم انك بتحاول تساعد حد وبتتمنى من ربنا انه يفاديلك ابنك.. شكلك بالبدالة وباللي حواليك يخلي اللي يقرب منك يتربع ويفكر ينفذ بجلده ويجري بس طيبة قلبك ورزانة لسانك اللي بيفهم هيفهم انك مختلف من جواك.. وأنا مقدرش اقف بينك وبين صدقة حابب تعملها لابنك.. وهدعيلك ان ربنا ميحرمكش منه وانه يقوملك بالف سلامة. منحه ابتسامة صافية، فبالرغم من بساطة حديثه الا انه زرع البسمة على وجوه الفتيات والشباب، فأستأذن بالانصراف ولم يعترض ياسين لذلك، بعد خروجه اقتربت مليكة من الفراش لتلقي نظرة متفحصة على اخيها، فإشار لها ياسين بالاقتراب، ومن ثم ربت على كتفيها وهو يخبرها:

_خدي البنات وارجعي القصر يا حبيبتى.. اخوكي بقى كويس.

أشارت له بكاء:

_مش قبل ما اطمئن عليه يا بابا.

ضمها اليه وهو يهمس لها:

_اللي في بطنك له عليكى حق.. روحى ارتاحي وانا الصبح هبعثلك السواق يجيبك

المستشفى اللي هنقل عدي ليها.

هزت رأسها باستسلام، ودنت مجددًا من فراشه فانحنت لتطبع قبلة على جبينه وهي

تهمس لآخيها:

_انا همشي وهجيلك بكره يا عدي.. ربنا يشفيك يا حبيبي.

واتجهت الفتيات لنور ورحمة لاستعدادهم للمغادرة، حاولت نور تحريك رحمة وهي

تحسها على النهوض:

_رحمة حبيبتى عدي بقى كويس ونقلوه اوضة تانية.. تعالي نروح مع مليكة والبنات نغير ونرجع..

لم تنصاع اليها، فهزتها مجددًا عن احضانها بدموع:

_عشان خاطري يا رحمة متعمليش في نفسك كده... احمدي ربنا انه اتعدى مرحلة الخطر.

انحنت تجاهها مليكة وهي تشير لها:

_والله بقى كويس.. تعالى حتى بصي عليه قبل ما نمشي.
تعجبت من سكونها، حتى حدقتها لم ترمش بها ولو لمرة، رفعت أسيل رأسها اليها
ولطمت خديها وهي تنادياها:

_رحمة!!

اخرجت نسرين زجاجة المياه الباردة من حقيبتها ووضعت على وجهها وهي تحاول ان
تجعلها تسترد وعيها، بينما مازالت مليكة تهز رأسها وهي تردد بصراخ:

_رحمة ماالك؟؟؟

ابعدتها عنها نور وهي تتفحص وجهها البارد والمقبض للانفاس بصراخ عاصف:
_رحمة....

وحينما لم تستجيب اليها صرخت بصوت عالي لمن بالغرفة التي تقبع على بعد ليس
بكبير عنهم:

_عمر الحقني!

على الفور خرج الشباب تجاه صوت نور، فانحنى عمر تجاههم وهو يتساءل بدهشة:
_في أيه؟

ردت عليه مليكة لبكاء:

_منعرفش رحمة مش بترد على حد ولا بتتحرك.

تفحص عمر وجهها بنظرة قلق لما يحاوره في تلك اللحظة، بينما جذب احمد المياه من
زوجة اخيه نسرين واخذ يرش المياه على وجهها، تفحص عمر حدقتها وهي يناديها بفرع:
_رحمة سامعاني؟ رحمة!

تأكدت شكوكه تجاه ما اصابها فانتصب بوقفته بحزن، ليجد ابيه اتي من خلفهم فسأله
بصدمة:

_مالها؟

أجابه بحزن:

_حالة نفسية حادة.. صعب تفوق منها بالوقت الحالي.. لانها لا حاسة بشيء ولا سامعة ولا
شايقة اللي حولها... لازم تنتقل مستشفى متخصص حالا.

أغلق عينيه بقوة وهو يحاول احتمال ما يصيبه، الا يكفيه ابنه حتى يختبر الان باحد بناته،
حارب كل ذلك حينما قال:

_حازم جهز العربية هنتحرك فورًا من هنا.

ركض للخارج وهو يسرع لسيارة الاسعاف ومن خلفه معتز، ليستعدوا جميعًا لنقل عدي
ورحمة لاحدى المستشفيات التابعة لياسين الجارحي!

هاجت ثورته وماجت فور سماعه بذلك الخبر، فرفع سلاحه وهوى بحافته على رأس
الجالس أمامه وهو يصيح بانفعال:
_ غبي قولتلك أوعى عدي يتصاب... عايزه حي يا حيوان.
وكاد بتمزق شعره من فرط ضغطه عليه وهو يردد:
_ بوظت كل اللي عملته عشان انتقم من الكلب ده!! قولتلك رائد هو اللي لازم يموت
عدي لا..

واسترسل بجنون نفسي مخيف:
_ معقول هيموت كده ببساطة من غير ما انتقم منه.. ده انا عملت كل ده عشانه.. غيرت
وشي وبقيت رجل الاعمال "مهاب ابو العزم" عشان اجيبه تحت رجلي.. لا يا عدي مش
هتموت بالسهولة دي اللي عملته معايا صعب انسهولك صعب!!

##

داهمت قوة الشرطة العقار المهجور بناء على تعليمات المقدم "عدي الجارحي"، وأخيرًا
بعد رحلة بحث وصلت لثلاث سنوات عن هذا الارهابي المدعى "أمجد السلاموني"،
فنسب اللواء المهمة لعدي بعد أن فشلت القوات فشل ذريع بالقبض عليه، لما ثبت
بنشاطه مع الأخوان وغيرهم مما لهم علاقة با لما سو نية، لذا كانت مسؤولية كبيرة على
عاتقه ومع ذلك اجتهد "عدي" حتى كان لا يغفو الليل أحيانًا وهو يحاول الوصول لهذا
اللعين الذي يخون بلده ويطعنها برعونته وما يفعله من افعال تدينها، وبعد رحلته
المجهدة تمكن أخيرًا بمعاونة فريقه من الوصول لمكانه، وعلى الفور تحركوا بسرية تامة،
فحاوطوا العقار بحرافية تامة بناء على خطة عدي حتى لا يتمكن من الفرار مثلما فعل
سابقًا، وبالفعل سقط رجاله حينما فشلوا بتحديد مكان الرصاص الذي يقذف عليهم
واضطر "أمجد السلاموني" بالخضوع اليهم، فوضع يده خلف رقبتة وانحنى ارضًا وهو
يتابع المكان من حوله بريية وخوف، وفجأة ظهر عدي أمامه فسبب له صدمة بأن من
يتبادل الرصاص من الداخل هو بصحبة ثلاث عساكر فقط، بينما القوة بأكملها تحتشد
بالخارج، وقف عدي قبالته ومن ثم ركله ليسقط اسفل قدميه وهو يردد باستحقار:
_ كنت فاكرك انك هتهرب المرادي! يبقى أكيد مسبقش ليك انك سمعت عن عدي الجارحي.

وانحنى ليكون مقابله وهو يستطرد:
_ أنا مفيش قضية مسكتها ومجرمها فلت مني!

وببسمه ساخرة ردد:

_ حظك بقى..

ابتلع ريقه الجاف بصعوبةٍ لحقت بحديثه:
_ساعدني اهرب وانا مستعد احولك مبلغ عمرك ما كنت تحلم بيه.. بلاش تسلمني
للحكومة وانا اوعدك هخليك ملك.
عبث بسلاحه ببرودٍ ومن ثم جذبه بشراسة ليكسر الباب المتهالك الحائل بينه وبين فريقه،
فدفعه اسفل الاقدام وهو يردد بمقتٍ:
_مديك عذرك بالنهاية متعرفش مين انا عشان تفكر ترشيني بالفلوس!
طبعت معالمه داخل حدقتيه الحاقدة، وبالاخص الضرب الذي ناله من فريق عدي تشفيًا
لما فعله بالاطفال والنساء ولما تسبب به من خسائر يبكي القلب عليها دمًا، لذا قرر
ببساطة الانتقام منهم ومع اول فرصة هروب من السجن حقق انتقامه منهم جميعًا
وتبقى رئيسهم، فاختر له موتة بطيئة لم يحبذ الراحة له مثلما فعل مع فريقه!
عاد من ذكرياته على صوت احد رجاله وهو يخبره:
_مفيش اي معلومات قدرنا نوصلها عن مصطفى ولا حتى الرجالة اللي كانوا معاه يا
باشا فص ملح وداب.
لهى بسلاحه وهو يجيبه:
_مش محتاجة ذكاء.. اكيد عدي الجارحي اتخلص منهم زي ما قدر يخلص بنت عمه.
وأشار لمن يقبع ارضًا ينتظر عقوبته برعبٍ:
_غور راقب المستشفى ولو جبتلي خبر موته هخليك تحصله!

أصر عمر على عودة نور برفقة الفتيات، لتأثر جرح ولادتها بشكلٍ سييء، كانت من أصرت
على الذهاب معهم من البدايةٍ لذا منعها من التوجه للمستشفى، توجهت السيارات
لمشفى "ياسين الجارحي" وتبقت سيارة ياسين، وحينما نجح عمر بارسال نور بسيارة ياسين
ومليكة كاد بالتوجه لسيارته ولكنه انتبه لسيارة ابيه، اتجه اليه وانحنى تجاه نافذته الخلفية
فاستمع لمكالمته وصوته المنفعل:
_يعني أيه مش راضي يتكلم؟ اسمع يا عثمان الكلب ده لازم ينطق ويقول مين اللي وراه
فاهم؟

واسترسل حديثه بعصبيةٍ بالغة:
_واعرفلي مين الكلب اللي بيوصل تحركات ابني واللي بيحصل في القصر.. لو حكمت
امسح القصر حته حته يمكن تلاقي اجهزة تصنت!
وأغلق هاتفه ثم القاه جواره بغضبٍ، قُتِح باب السيارة وجلس "عمر" جواره بصمتٍ، مزقه
ياسين حينما التف برأسه تجاهه ثم قال بثباتٍ:
_مش حابب تسأل عن حاجة؟

هز رأسه بالنفي، فردد باتزان عجيب:
_عظيم.
ثم أمر السائق بالتحرك فتساءل:
_على المستشفى يا باشا.
اشار له بالنفي فتحرك بانتظار ما سيخبره به من تعليماتٍ، خرج عمر عن صمته حينما ردد
بتوتر:
_اللي حصل ده كان مقصود؟

التقط نفسًا مطولًا ثم زفره على مهل وهو يجيبه:
_الحرب طويلة يا عمر.. الضربة فيها صعب تتوقع وقتها.
ثم التفت اليه وهو يسترسل:
_اللي عملته في المستشفى انا عديته ومتكلمتش بشأن أنت كمان ليك حق على
أخوك... الحب الاسري مفهوش عقوبة زيه زي الحب كل شيء مباح فيه!
رمش بعينه مرات متتالية بعدم استيعاب:
_مش قادر افهم حضرتك.. طب يمكن اللي بيحاول يقتل عدي هو مهاب ابو العز ده.. يوم
المناقصة كان باين عليه ان فيه شيء غريب جواه نحية عدي!
رد عليه بغموض جعل الاخير بحيرةٍ من امره:
_ويمكن يكون في حد بيحركه ومتعمد يخلية الستارة اللي بيتحامى فيها..
وبنظرة شفقة على حالة العدم فهم الذي تضربه قال:
_هتفهم لما نوصل اللي حابب أوصلهولك.

تعجب الجميع من غياب ياسين الجارحي وعمر الملحوظ، ومع ذلك انشغلوا بنقل عدي
لغرفته ورحمة بالغرفة المجاورة له، فالتف من حولها عدد من أطباء الطب النفسي، وكلا
منهم يحاول أن يجعلها تسترد وعيها، وحينما فشلوا وصلوا الاجهزة لاعضاءها ليحرصوا
ببقائها على قيد الحياة، بينما بنفس الطابق هناك من يشعر بخفقات قلبها الثقيل، وكلما
بدأ يسترد وعيه وجد والدته لجواره تقرأ القرآن الكريم بصوتها العذب ويدها لا تفارق يده،
صوته بترديد اسمها كان منخفضًا لدرجة لم يستمع اليه أحدٌ، ومع ذلك ما زال يردد

بخفوتٍ:

_رحمة!

اتبع عمر أبيه وهو لا يدري لماذا أتى الى هنا بالتحديد، إن كان بحاجة لتقديم البلاغ فلما يزور مكتب اللواء بنفسه!

قُتِح الباب من أمامه، فنهض اللواء ليكون باستقباله بنفسه، تبادلوا السلام وأشار له اللواء بالجلوس ثم اختار بالجلوس قبالة دون اللجوء لمقعده الاساسي وهو يردد بترحاب:

_ أهلاً بيك يا ياسين باشا.. نورت الداخلية كلها والله..

وأشار لعمر:

_ اتفضل اقعد..

والتقط سماعة الهاتف وهو يتساءل باهتمام:

_ تحبوا تشربوا ايه.

جذب منه ياسين السماعة ووضعها مجدداً، وبجدية تامة قال:

_ مفيش داعي لترحيبك ده، خيلنا نتكلم في المهم... أنت طبعا عرفت باللي حصل مع عدي..

أوما برأسه بحزن وهو يشدد على حديثه:

_ واحنا مش ساكتين بندور في آآ..

طرق ياسين على مكتبه بعنف وهو يصيح بعصبية رعب قلب عمر وهو يحاول فهم ما يحدث هنا:

_ استكفيت من كلامك ده.. أنا طول الفترة اللي فاتت وأنا بحاول ألهي عدي عن كل اللي بيحصل حوله، وده لاني عارف انه لو لاحظ ان الكلب ده هرب وبيطارده هيرجع للقرق ده تاني.. حاولت اشتته لحد ما توصل ليه وتقبضوا عليه بس لحد كده وكفايا أنا اللي هاخذ موقف.

وأشار باصبعه وهو يردد بصرامة:

_ اللي يمس شعرة واحدة من ابني أمحيه من على وش الأرض... مهاب ابو العزم من بداية ظهوره وأنا عارف ان في حد بيحركه عشان يقف في وش عدي، وأنا قبلت بلعبته واجبرت عدي يمسك الصفقتين وأنا بنفسى براقبه وبحاول اوصل للي وراه وفعلنا اللي حسبته طلع صح.. اعداء عدي اتحالفوا مع الحيوان امجد السلاموني عشان يخلصوا منه وانت لسه قاعد وبتقولي هنوصلهم.. هتوصلهم امته لما يخلصوا على ابني!

بخزي ردد:

_ انا مقدر موقف حضرتك بس احنا فعلا مش ساكتين.. بذلنا جهد كبير ومقدرناش نوصل لاي حاجة تخصه كأنه مالوش وجود.

ضاقت عسليته بوجوم وهمس بخفوت:

_ لو جن هحضره بايدي وهرقه!

وتركه ونهض عن مقعده وهو يشير له:
_لو انت مش قادر توصله وانت بمنصبك ده أنا اللي هوصله وبنفسي!
وتركه وغادر وعمر يحاول أن يلحق به وقد بدت له خيوط ما يحدث الآن، عاد ياسين
لسيارته وفور صعود عمر تحرك السائق للمشفى بأمر منه، عاد الصمت يتراقص على
أوتاره من جديد الى أن كسره عمر وهو يردد بحزن:
_عشان كده كنت بتصعب الدنيا على عدي بالتحدي اللي بينكم؟ كنت بتحاول تبعده عن
ايدى المجرم ده؟
اشار ياسين للسائق بالتوقف، ومن ثم هبط واتجه ليقف أمام المياه الراكدة يتأملها
بنظرات شاردة، تأخر الوقت جعل المكان من حوله ساكن، يستقبله بترحاب ليخفف عنه
حدة ما يشعر به، اقترب عمر من خلفه ثم قال:
_طب ليه محاولتش تنبه عدي ان المجرم ده هرب؟

أجابه بهدوءٍ، ومازالت عينيه تتطلع للمياه بشروءٍ:
_أخوك عنيد يا عمر.. كان هيرجع لشغله تاني عشان يمسك المجرم ده.
ردد بضيق يحاول اخفائه:
_ولو رجع ده شغله وهو حابب يكون موجود فيه أكثر من المقر.. عدي مش لاقى نفسه
بينا يا بابا.. انت بتحرمه من الشيء الوحيد اللي بيحبه!
استدار ليكون قبالة ثم ردد بصوت يتألم:
_أنا بعترف اني اناني... أنا اناني في حبكم انت واخواتك.. مش مستعد افقد ابن منكم.. أنا
واثق ان ربنا سبحانه وتعالى لو قادر يقبض روح هيقبضها لو كانت بأخر مكان على
الأرض، بس انا مش مستعد ارمي ابني للنار واقف اتفرج عليه وهو بيتحرق... انا مش
مستعد لده يا عمر... حرمتك تكمل في شغلك عشان عدي ميقرنش نفسه بيك ويفتكرني
بميزك عنه... عارف اني ظلمتك وظلمته بس انا مش هقدر اموت في اليوم الف مرة
وهو بعيد في شغله... والدليل قدامك لما بعد عن شغله اول مجرم هرب بيحاول بكافة
الطرق يوصله عشان يقتله!
وأنكس رأسه وهو يسترسل باصرار:
_مستعد ابقى ابشع من كده في نظره بس هو يكون قدام عيوني.. انا مش زي الأباء اللي
عندهم قوة تحمل ومش بيملكوا غير دعواتهم لاولادهم!
واستطرد باصرار:
_وزي ما حميته من مصطفى واللي قبله قادر احميه لحد اخر يوم في عمري..
وتطلع اليه وهو يخبره:

_ زمان لما والدي اتقتل كنت ما بين اختيارين.. يا أكون ضعيف قصاد اعمامي وزى ما اتخلصوا منه هيتخلصوا مني يا أعيش وأكون قوي عشان اختي.. اختارت الخيار الثاني لان الضعف مش في قاموسي، حاربت الدنيا كلها لحد ما بقوا نفسهم يتربعوا مني.. ساعتها كان ممكن تشوف العيلة دي بشكل مختلف وبالرغم من كده زرعت بينهم الحب لاني محبتش حد يعيش اللي انا عيشته، اللي عيشته صعب ومتمنهوش لاعدائي، ولما ربنا كرمني بيكم كنت على ثقة انكم هتعيشوا حياة مختلفة عن اللي عشتها لاني بنتلكم بيت كله من الحب والترابط، وفي لحظة عدي خالف توقعاتي وساب الطريق اللي زرعت له واختار طريق صعب ارجع امشي فيه تاني طريق كله عداوة وانتقام ومكنش عندي مانع ادخله مرة ثانية وتالته..وبدل العقبة هحط قدامه الف عقبة عشان ميحاولش يرجع!!

واسترسل ببسمة صغيرة:

_صحيح التحديات غيرته وغلبت عناده وشراسته بس أنا مستمتع وانا شايفه بيحاول يحتويكم كلكم.. وأهي فرصة يقرب من ولاد عمك ويعرفوه عن قرب.. عدي طبعه مخيف للي ميصرفوش لكن لما يقرب ليه هيعرف طبعه كويس..

واتسعت بسمته وهو يشير لذاته:

_زبي تمامًا حتى لو هو مش مقتنع بده.. مصير الايام تثبتله.

تمرد الدمع عن عينيه الممتلئة بالدموع، وتهاوت لتزيح عنه غمامتها، فاقترب اليه وهو يردد بصوتٍ شاحب:

_أنت أعظم أب في الدنيا دي.. واثق ان عدي لو فهمك هيحبك اضعاف الحب اللي جواه ليك.

ابتسم وهو يرفع رأسه بكبرياءٍ جعل الاخير يبتسم:

_مين قال انه مش بيحبني!

ومازحه ببسمة ساخطة:

_بس أعتقد هيغير رأيه لما يعرف اني بحاول أروض شراسته وعناده!

ضحك بصوته رغم دموع عينيه، فدنا منه وارتمى على صدره، احتضنه ياسين وبجدية تامة همس اليه:

_بلاش انت كمان تزعل مني يا عمر.. صدقني في اقرب وقت هترجع لشغلك وللمستشفى.

ابتعد عنه وهو يتأمل به بسمته تحمل حب العالم بكنايتها:

_أنا عمري ما هكون عقبة تشيلك ذنب وعذاب ضمير يا بابا... خلي عند حضرتك ثقة ان المكان اللي هتقرر اني هكون فيه هتقبله وانا في كامل سعادتي لاني عارف ان حضرتك بتختار مصلحتنا قبل أي شيء.

عاد ليضمه اليه مجددًا ولم يعلم الى أي ساعة ظل بها هكذا، كأنه هو من كان بحاجة له وليس العكس، وبعد دقائق ابعده عنه ثم عاد ليجابه بشموخ ويده تعتلي جيب سرواله ليشير له بجدية:

_يبقى لازم نتوه الحادث ده عن تفكيره، والاهم من كده أخليه يدخل بتحدي جديد بينا.. لازم اشغل عقله عن اللي بيحصل حوله على الاقل الفترة دي لحد ما اوصل للي ورا مهاب ابو العزم!

بالمشفى...

قارب عقرب الساعة على الثالثة بعد منتصف الليل، ومازال الشباب يتجهر خارج غرفة عدي بانتظار افاقته من المخدر واستعادة وعيه كليًا، غفى بعضهم على مقاعد الاستراحة والاخر يغفو محل مجلسه الا رائد بقت عينيه مفتوحة، جفاه النوم وهو يتردد على غرفة عدي بين الحين والآخر، فجلس أمام باب غرفته بحزن، يود أن يستعد وعيه سريعًا ليعتذر له عما بدر منه، شعر رائد بيد موضوعه على كتفيه، فرفع عينيه ليجد ياسين لجواره يخبره بحزن:

_هيفوق وهيسمعك واللي بينكم هيتصافى لان مفيش بينا مكان للخلافات يا رائد. منحه ابتسامة صغيرة قبل ان يزيع نفسه ليجلس الاخر جواره، فقال بضيق:
_انا السبب في اللي حصله يا ياسين.. يمكن لو كنت وقفت وسمعتة مكنش كل ده حصل. اتاه رد أحمد الذي ظنوه يغفو باستناده على جسد المقعد مغلق العينين:

_ده نصيب ومكتوب يا رائد.. والحمد لله عدي بخير وشوية وهيفوق.
سأله بتوتر:

_تفتكر هيسامحني!

اجابه معتز تلك المرة:

_انا وانت غلطنا في حقه ومحتاجين نعتذرله..

ردد جاسم بسخط:

_انتوا عندكم العصبية والاندفاع طبع عمره ما هسيبيكم مش عارف مش بتبقوا غسل زي

احمد وياسين والعبد لله ليه؟

لكزه حازم بغضب:

_بلاش انت يا تايسون ده انت أصعب منهم.. بالصلاة على النبي العيلة دي مفهاش غير

عمر دكتور المسالك البولية!

اتجهت اعينهم تلقائيًا لما يشير اليه فوجدوا عمر يدنو منهم، وياسين يدلف لغرفة ابنه

ليتحققه..

تساءل احمد باستغراب:
_كنت فين لحد دلوقتي؟
اجابه وهو يجلس لجوارهم بتعب:
_كنا قاعدين على البحر شوية.
اشار له بتفهم، فسأله عمر بلهفة:
_عدي مفاقش؟
هز رأسه نافيًا فعاد الوجوم ليتخلل معالمة من جديد..

وجدها تغفو على حافة فراش ابنهما، أثار تورم عينيها لا تفارقها، تضم مصحفها اليها،
كانت قاسية اليوم معه ومع ذلك لم يغضب منها، فإن كان مستعد لمحاربة العالم لاجل
ابنه يحق لها اكثر من ذلك، مرر ياسين يده على وجهها بلمسة جعلتها تردد في منامتها:
_ياسين!

ابتسم حينما وجدها تفتح عينيها، ففركتها بألم تشعر بحرق يهاجمها جراء بكائها
المتواصل، استقامت آية بجلستها ثم رددت بصوتها المبحوح:
_متزعلش مني أنا مقصدتش انا آ..
جذبها لتنهض عن المقعد وهو يخبرها:

_انتني مغلطيش بتدافعي عن ابنك بعد اللي حصل بينه وبين ابن اختك... طبيعي اللي
حصل يا آية.. بس عشان خاطري متحاوليش دايماً تشوفيني بالنظرة دي... عدي يبقى
ابني يعني انا اكثر حد يهمني أشوفه باحسن حال... حتى كل اللي بعمله ده فعشانه..
كادت بالاعتذار مجددًا فأوقفها حينما شدد على كلماته الصارمة:
_محبش اشوفك بالشكل ده ولا حابب اسمعك بتعذري.. السنين اللي بينا تكفي انها
تخليكي تفهمي حبي لابني..

هزت رأسها بتفهم، وقبل ان يستكملا حديثهما دق هاتف ياسين وحينما رفعه وجده حفيده،
التقط نفسًا مطولا قبل ان يجيبه فوجده يردد بصوت متقطع من البكاء:
_بابا ماله يا جدو... وماما ليه مرجعتش ارجوك قولي.

اجابه بحب:
_مفيش يا حبيبي مجرد اصابة بسيطة وهنتأكد بنفسك لما تيجي الصبح... نام دلوقتي
وبكره هبعثلك عمر ياخذك.
اجابه بدموع:

_رحمة رجعت من الرحلة ومن ساعتها مش مبطله عياط على ماما وبابا... انطي مليكة
ومروج معاها بس هي مش راضية تهدأ ولا تبطل بكى.
هز رأسه بتفهم وهو يخبره:
_متخافش انا وآية هنرجع حالا وهنديها.
واغلق الهاتف بحزن شديد، فتساءلت بلهفة:
_في ايه يا ياسين!
قال بحزن شديد:
_حفيدتك محتاجالك..
تطلعت لعدي بحيرة لا تعلم اتركه وتختار ابنته الصغيرة ام تظل لجواره، ضمها ياسين
اليه وهو يخبرها:
_متقلقيش عمر والشباب بره مش هيسبوه.. خلينا نروح للاولاد محدش هيعرف يهديهم
غيرنا والصبح هنيجي على طول.
أومأت برأسها بتفهم، واتجهت لابنها الذي يتسنى له سماع كل شيء، فقبلته وهي تهمس
له:
_ربنا يقومك بالسلامة لاولادك يا حبيبي..
وتركته وغادرت بصحبة ياسين، ليتوجهوا معًا للقصر بعدما احاطت الحرس كلتا الغرفتين
بأمر من ياسين الجارحي..

ساعة كاملة مضت وهو يجاهد لفتح عينيه إلى أن تمكن أخيرًا من استعادة وعيه كليًا،
شعر عدي بوجع قاتل يصيب كتفيه الأيمن، ومع ذلك حرك رأسه برفق للغرفة، فوجد أحمد
يغفو على الاركة ورائد لجواره، وجاسم يتمدد أرضًا جوار معتز وحازم، وعلى يمينه عمر
وياسين، حاول عدي تحريك جسده ولكنه لم ينصاع اليه ابدا، فنادى القريب منه:
_ياسين!
وحينما لم يستجيب له عاد ليناديه:
_ياسين..
استيقظ ياسين وعمر معًا، فاشرقت وجوههما عن سعادة كبيرة فور رؤيته يسترد وعيه،
امسك عمر يده وهو يتساءل بلهفة:
_عدي.. انت كويس!
ابتلع ريقه بصعوبة وتعب بدى لهما، ثم قال بصعوبة:
_مية.

على الفور جذب ياسين المياه ثم حمله اليه ليعاونه عمر على ارتشاف المياه، بينما رد

ياسين بفرحة:
_حمدلله على سلامتك يا وحش.
منحه بسمه صغيرة ولم يقدر على الحديث، بينما يمرر نظراته على الغرفة جاهد للحديث
مجددًا:
_رحمة؟
زرع القلق على ملامحهما مما جعله يصصر على سؤاله:
_فين رحمة؟

قال عمر وهو يطرح الملاءة على صدره العاري:
_هتيجي الصبح مع البنات.. ارتاح دلوقتي.
منع يده من طرح الغطاء بيده اليسري وردد بصعوبة:
_مستحيل تسييني..رحمة فين؟
أجابه ياسين بحذر:
_رحمة تعبت شوية لما عرفت بالحادث.
انقبض قلبه وارتاع ألمًا فتساءل بخفوت وهو يجاهد لجعل صوته اعلى مما عليه:
_هي فين يا ياسين؟
أشار له:
_بالاوضة اللي جنبك.
نزع عنه عدي الاجهزة وحاول جاهدًا الانتصاب بوقفته، فانحنى وهو يرتد لفراشه من جديد
بوجع قاتل جعله يتأوه بخفوت، اسنده عمر وهو يعاتبه:
_قولتلك ارتاح الجراحة لسه شادة عليك!!
تطلع له برجاءٍ فلا يحمل اي انفاس للمجابهة بمعركة معه:

_خدني ليها.
اوماً برأسه بحزن شديد، فخلع عمر عنه جاكيتته ثم وضعه حول اخيه، وسانده من الجانب
الايسر لاصابته البالغة، حاول ياسين اسناده من الجانب الاخر فمنعه عمر حتى لا يتأذى
جرحه، وأشار له:
_انا هساعده..
واسنده اليه ثم خرج به حتى وصل لغرفة رحمة، صعق عدي وهو يراها ساكنة كالموتى،
عينيها لا تفارق سقف الغرفة، بصعوبة جلس لجوارها على حافة فراشها، فمنحها نظرة
متفحصة ثم عاد ليتطلع لعمر وهو يسأله بخوف:

_مالها؟

اجابه "ياسين" بارتباكٍ وخوف ان تتأثر حالته بها:

_الدكتور بيقول ان اللي هي فيه ده تتبع لحالة نفسية عندها من فترة طويلة، وانها المفروض كانت تتابع مع دكتور نفسي بسبب اللي حصل معاها يوم ولادتها.. وان اللي حصلها خلاها اي ازمة تعدي عليها تقارنها باليوم ده، اللي بيحصلها ده مش هيكون اخر مرة لو متعالجتش!!

ليته يعلم بأن رؤيتها لابن عمها ايقظت جروح الماضي، وعادت هواجسها بفقدانه مجددًا تلتهمها وها هو الآن يحقق اسمى هاجس لديها بفقدانه، عساه يعلم بأنها لا تمتلك سواه هو، حتى وان كان عالمها مليء باناس يحبونها بصدق، هو عالمها وكفى... عساه يعلم بأنها ستستكفى بحبه هو لأخر لحظة بحياتها... لآخر نفسًا يزور أنفاسها، مرر عدي يده على وجهها وهو يناديها بصوته الواهن:

_رحمة.... رحمة حبييتي أنا جنبك هنا.

لم يصدر عنها اي رد فعل فعاد ليكرر:

_سامعة صوتي.. أنا جنبك!

وأمسك يدها وهو يشدد على أصابعها ويسألها بوجع:

_حاسة بايدي؟

اخترق صوته عالمها المتحجر، كانت تضم جسدها بيدها وتخشي رفع رأسها خارج ذاك السور العالي، صوته الدافئ جعلها تنهض بعزم وهي تركض باحثه عن مصدر صوته الرخيم الهادئ، ترفع يدها اليه ان ينجدها ويحملها بعيدًا عن الوحش الذي يعيقها باغلال قاسية، تحرك جفن عينيها بإشارة صريحة بافاقتها، فإشار له عمر بسعادة:

_عدي بدأت تفوق!

تطلع تجاه عينيها بلهفة، فاختل الدمع منهما وتحرر، ومن بعده رمشت، ولسانها يردد ببكاء

مزق قلب عمر وياسين:

_ع_دي... عدي!!!

أجابها واصابعه تحتضن اصابعها:

_شوفتي الحالة اللي وصلتلها بسبب تفكيرك وخوفك عليا... قولتلك انا جنبك وهفضل جانبك!

حانت منها نظرة جانبيه لمن بالغرفة فكبتت ما بداخلها بوهن، جعلهما ينسحبان على الفور، فما أن انغلق الباب حتى احتضنته وحررت ذاتها من حجزها فانفجرت بالبكاء والاخر يشدد عليها بذراعه الأيسر، وحاول بصعوبة ضمها بذراعه المربوط برباط يصل لرقبته، ظلت لاكثر من ثلاث دقائق تخرج ما بداخلها، وهو يستقبلها بصدرٍ رحب حتى وإن كان

جرحه يشتد مع استناد جسدها عليه، تحامل قدر الامكان لشوق بقائها جواره، رفعت عينيها الباكية اليه تظمن ذاتها بأنه ليس حلمًا، فمالَت على وجهه بقبلاَت متفرقة، يمزجها بالبكاء، رفع يدها اليه وطبع قبلة رقيقة على كفها وهو يخبرها بخفوتٍ:

_والله انا كويس... متقلقيش.

تحرر صوتها الخافت اخيرا:

_محستش بده.. انا حسيت انها هتكون اخر مرة أشوفك فيها يا عدي.

احتضن جانب وجهها بيده ثم تمدد لجوارها وضمها اليه، مرت اكثر من ساعة حتى غلبها نومًا بين احضانه بفعل الادوية، وكأنها لم تغفو لعامٍ كامل، فمال على رأسها واستسلم للنوم بغرفتها مع ان فراشه كان مريحًا عن ذلك، لم يتمكن عدي من النوم عينية تراقب كل انشئ بوجهها، يدها المتكأة على صدره تلامس خفقات قلبه لها، سمع لطرقات باب غرفته ومن بعدها لصوت رائد الذي يردد من خلفه:

_عدي محتاج اتكلم معاك استنيت انك تخرج لاوضتك بس انت لسه باوضة رحمة.!

اتاه الواهن يردد:

_ثواني يا رائد.

جذب عدي حجاب رحمة المائل خلف رأسها، فعدله على رأسها، ثم حاول جاهدًا النهوض عن الفراش ليحملها عنه، سيطر عليه الوجد وعاد ليطرحه على فراشه بضعفٍ لم يعهده من قبل، فناده وهو يخبره؛

_من فضلك يا رائد ناديلي عمر.

رد عليه سريعًا:

_حاضر..

وبالفعل ما هي الا ثوان حتى ولج عمر للداخل، فاقترب اليه يتساءل في قلق:

_حاسس بايه؟

أشار له بخفوتٍ:

_أنا كويس.

واشار لزوجته وهو يخبره بانفاسٍ مضطربة:

_شيل رحمة للسريِر الثاني وشد عليها الستارة..

علم بأن الحالة المجهدة التي تسيطر عليه لمجهوده بمحاولة حملها، وحينما فشل لجئ لاخته الشقيق، انحنى عمر تجاهه وحمل رحمة الغافلة بسباتٍ عميق تأثرًا بالمحاليل والادوية، وضعها على السريِر المجاور لاخته وجذب الغطاء عليها ومن ثم فرد الستار حتى

لا يراها احدٌ، وعاد ليقف قبالة، يتفحص ذراعه واصابة رأسه باهتمامٍ، فهمس له عدي
بابتسامةٍ خافتة:

_بالراحة عليا اخوك معتش فيه حنة سليمة.

ارتسم الحزن على معالمه، فانحنى ليقبل جبهته وهو يربت على يده:
_هتقوم احسن من الاول..

ثم قال:

_مازن والشباب كلهم بره محدش فيهم روح ومستنين يطمئنا عليك.

بلل شفتيه الجافه بلعابه وبارهاق شديد قال:

_دخلهم.

هز رأسه بإيجاب:

_حاضر..

وبالفعل فتح عمر باب الغرفة وأشار لهم بالدخول، توافدوا للداخل والجميع يخبره

بامنياتهم بالشفاء العاجل، انحنى تجاهه معتز وردد بحزن:

_انا اسف يا عدي صدقني انا كنت مشتت لما عرفت باللي حصل لمروج متزعلش مني!

رد عليه بتعب شديد وعينيه تتوزع بينه وبين صديقه الذي يتطلع له بالم:

_مش زعلان منك يا معتز... مقدر الحالة اللي كنت فيها.. بس صدقني انا مدخلتش

الصفقة غير لما مراد طمني ان مروج بأمان وبمصر.. وقبل ما هو يقتحم الفندق اللي
كانت فيه آآ..

سعل بقوة وهو يجابه المة جراء حديثه ومع ذلك استرسل:

_قبل ما ياخذ اي خطوة طلبت من مازن يخرج من دبي هو واولاده عشان مهاب

ميهاجمهمش اول ما يعرف اني هربت مروج.. ويرجع يهددني بيهم.

قال مازن بتأثر:

_ارتاح يا عدي احنا مش عايزين نسمع اي مبررات المهم انك بخير وفي وسطنا..

التقط انفاسه بصعوبة، وتحرك وجهه تجاه رائد الذي يتابعه بحرج ويجاهد للحديث، اشار

له عدي بالاقتراب والجلوس لجواره، فجلس وهو يتابعه بأعين دامعتان، وقال بوجع:

_معتز كان عنده مبرر قوي للي عمله لكن انا معنديش مبررات يا عدي.. انا عصبي ومتهور

ومتعلمتش من عصييتي لما رانيا وبنتي بعدوا عني العمر ده كله رجعت زي الاول

وأوحش!

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يجاهد فعليًا للحديث:

_لما تندم على شيء عملته افضل الف مرة من لما متكنش عارف غلطك يا رائد.. اللي

عايزك تعرفه اني مقللتش منك...

الكل كان متوقع اني هختار ياسين واحمد للمناقصة، بس انا كنت شايفهم زي بعض دماغهم نفس التفكير، كنت على ثقة انهم هيقدمو عروض متشابهة بنسبة كبيرة وده هيقبل نسبة ربحنا للمناقصة، لكن انت دماغك مختلفة واكيد مش هتكون بنفس تفكيرهم بالتالي فرصتنا أكبر..

وسعل بقوة جعلت جسده يرتد وعمر يسانده ويتوسل له بالصمت والهدوء، ولكنه رفض واسترسل:

_انت فاقد الثقة في نفسك مع ان عرضك عمل حالة من الجدل بين الشركات المنافسة،

لدرجة ان في نفس اليوم جالنا عقدين بمبالغ وهمية عشان عرضك!!

رمش بعينه بدهشة فاسترسل حديثه بوجع يجتاز رأسه وكتفه:

_افتح اللاب بتاعي بالمقر هتشوف بنفسك العقدين.. يمكن وقتها يكون عندك ثقة بدماغك الغبية دي.

ضحك رغم انهمار دمعاته، فمسد على كتفه وهو يردد بصوت باكي:

_انت فدتني بروحك وفكرت فيا بلحظة كنت حاقد فيها عليك ارجوك سامحني. مازحه ببسمة:

_خف ايدك عني انا متدشمل افوقلك بس وهظبطك.

تعالت ضحكاتهم الرجولية معًا، فاستطرد بجدية:

_انا كمان كنت غلطان.. كان ممكن امسك بدالك بس مكنتش جاهز يا رائد.. انا بحاول اتعلم على قد ما اقدر.. واحمد وياسين بيحاولوا معايا.. بس ميولي ودماغي مش جاياني غير للشرطة..

ردد احمد بمرح:

_لولا دماغك البوليسية دي مكنتش هتوصل لمروج وتنقذها بالوقت القياسي ده.. استطرد جاسم هو الآخر:

_ولا كنت هتعلم على مهاب ابن ال ****

هز رأسه بوجع:

_اول قرار هاخده لما اقف على رجلي استقالتني من المقر.

اخفى عمر بسمته الخبيثة لا يعلم ماذا يخطط له ياسين، قاطع حازم مجلسهم حينما انحنى تجاه عدي وقال:

_بقولك يا وحش بما انك في حالة سلام واصابة جايبة أجلك كده كنت عايز اقولك الشوكولاته اللي طلبتها لوالدتك وصلت فأنا بقول تطلعها زكى على روحك وفكك من

عيد الجواز اللي لحد الآن مش عارفين نحتفل بيه ده.. حتى اخوك الحزين لما فكر يسمى
ابنه عدي كنت هتطوح مننا يا جدع.
حدجه بنظرة قاتمة ثم اشار تجاه الشباب ليخبرهم:
_انتوا شايفين حالتي تستدعي وجود الحيوان ده؟!
تبادلوا النظرات والاخير يتراجع للخلف بصدمة ويشير لهم:
_اوعا حد يقرب عليا النعمة افجر المستشفى باللي فيها وآ..
بترت كلماته حينما تلقفه مازن ثم اسدل فوقه الملاءة الموضوعة لجواره، فحملوه وكأنه
جثة تستعد لكفنها ثم عادوا به لصندوق السيارة مكانه الذي نشأت بينهما علاقة حب
وعشرة!

الفصل الخامس عشر

ظل الشباب جواره لأكثر من ساعتين، وبعد إصرار "عدي"، اتجهوا للمغادرة وأخبروه بأنهم
سيعودون بعد وقت راحة قصير، ولم يتبقى بصحبته سوى عمر بعد أن فشل عدي
بالسيطرة على عناده، اتجهوا معًا لمرآب المشفى، فتفاجئ "أحمد" بصندوق سيارته
المفتوح على مصرعيه، فأتاه صوت مازن المستنكر:
_حازم فطس ولا أيه؟
بسخرية أجابه أحمد:
_ولا يفرق معانا.. الفارق دلوقتي شنطة عربيتي اللي سابها الحيوان بالشكل ده!
كبت ياسين ضحكة كادت بالانفلات منه، وسأله بجدية:
_هو راح فين طيب؟
مقاطعة معتز لحديثهم كانت بمثابة اجابة صريحة، اتجهوا اليه فوجدوه يشير لنهاية
المرآب، وحينما اقتربوا وجدوه يجلس جوار أفراد الأمن وأخبرهما وهو يرتشف كوب الشاي
الساخن:

_بس يا سيدي ومن وقتها وهما بيعاملوني أسوء معاملة، وكانوا عايزين يتخلصوا مني
عشان الورث اللي سابهوري أبويا اللي يرحمه فحبسوني بشنطة العربية عشان الاكسجين
ينقص ونفسي ينجلط وأموت بعد عنكم وعن السامعين.

بدت علامات الشفقة والتأثر على الشابين، فارتشف حازم من الشاي بتلذذ وهو يستمع
لاحداهما يخبره بضيق:

_لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، معقولة الفلوس تعمل كده بين الاخوة.

رد عليه حازم بتأكيد:

_وأكثر من كده كمان.. بس أنا عشان ربنا بيحيني بعنكم ليا في الوقت ده بالذات عشان
تنجدوني!

أجابه الآخر بدهشة:

_ده مطرحنا يا بيه هنرحوا فين يعني!!

ورسم ابتسامة صغيرة وهو يسترسل:

_المهم انك بخير يا واد عمي.. وربنا يرحمك من خواتك الظالمة دول.

رفع "حازم" كلتا يديه وهو يؤمن:

_آمين يا رب.

شُلت أطرافه حينما كمشه أحدٌ من تلباب قميصه، وكأنه يتنشله من وسط مياه البحر التي
تغرق جسده، حانت منه نظرة جانبية لمن يقف جواره، فابتلع ريقه بصعوبةٍ بالغة، ثم رفع
يده وهو يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه:

_هما اللي فهموا غلط!

وقف رجال الأمن من جواره، فتساءل احدهم بدهشة:

_مين دول؟

لف جاسم ذراعه حول رقبته وهو يجيبه بحدّة:

_احنا اخواته اللي بنحاول نتخلص منه ليك شوق في سؤال تاني!

ارتعب الشاب وهو يوزع نظراته بينهم بخوفٍ لحق حديثه المرتجف:

_لا تأذونا ولا نأذيكم يا باشا.. خدوا أخوكم وتوكلوا على الله.

أجابه رائد ساخرًا:

_يا عم احنا لا عايزينه ولا طايقين نشوف خلخته أساسًا.. ده كارثة منتقلة لو اتساب على

العالم هينقرض!!

أضاف ياسين بمزح وهو يلف كتف الشاب:

_سبيك منهم يا أخينا وقولي أنت تحب تأخذ كام وتتبنى المرحوم!

اتسعت حدقتيه رعبًا، فدفع حازم بسخط:

_هو ده يندفع فيه كُمان!!!
رفع أحمد يده بتسليةٍ وهو يشير لآخيه:
_شوفت جنبنا حاجة من عندنا؟
جذبه معتز بالقوة ليدفعه تجاه سيارة أخيه وهو يشدد بسخرية:
_يلا يا حلوة خشي بيتك البحري اللي اتعودتي عليه بدل ما نخلص هنا قدام اصحابك.
ازدرد ريقه بتوتر، فاندفع تجاه صندوق السيارة ثم اشار للشابين قبل أن يغلق الصندوق؛
_سلام يا رجالة نتقابل مرة ثانية لو لينا عمر.
جز أحمد على بغيظٍ، فأغلق باب الصندوق بقوة طرحت الاخير أرضًا..

حرك يده المكبله بالأغلال بصعوبةٍ بالغة، وهو يحاول التماسك أمام سيل الضربات القاتلة التي يتلاقاها على يد "عثمان" مسؤول حرس "ياسين الجارحي"، ارتجف جسده رعبًا حينما نهض من يرمقه بعينيه الثاقبة، فاقترب منه وصوت حذائه الثابت يجلده كالسوط الغليظ، ذاك الرجل بالرغم من كونه حسن الوجه الا أن لثباته واتزانه رهبة تزلزل من يجابهه، ابتلع "مصطفى" ريقه بتوتر حينما وجده يرفع وجهه اليه، ومن ثم تحرر صوته وهو يخبره بخشونة:

_هتتكلم يعني هتتكلم حتى لو اضطرينا نقطع لحملك لكلااب السكك.
حرك لسانه بصعوبة، ليجبره على تردد تلك الكلمات الملقنة:
_ما انا قولتلك يا باشا، مفيش حد ورايا أنا اللي كنت راجع انتقم من عدي بعد ما رماني بالسجن كل السنين دي!
هز ياسين رأسه بثقلٍ، وفجأة هوى على وجهه بصفعةٍ أطاحت الدماء على شفتيه، فلف شعره حول يده وهو يردد بهدوءٍ لا يتطابق مع عنفه الشديد معه:
_متفكرش انك ذكي وهتخدعني.. أنت سبق واتعاملت مع ابني المفروض بعد اللي عمله فيك تفكر مرتين وأنت بتتعامل مع اللي رياه!
تذكرة مقبضة صرح بها اليه، فإن ذاق ما فعله به عدي ماذا سيفعل به ياسين الجارحي؟، تركه ياسين ثم انتصب بوقفته واضعًا كلتا يده في جيوب جاكيت الرماذي، فمر من أمامه ذهابًا وإيابًا متعمدًا ازعاجه بصوت حذائه، ومن ثم وقف قبالته وهو يخبره بغموض:
_علاقتك أيه بمهاب أبو العزم!

جحظت عينيه رهبةٍ، بعدما تسلل إليه أول الخيوط، فأنكر بجنون:
_معرفووش.. مسمعتش عنه قبل كده!

الريكة التي تسيطر عليه جعلت ياسين يتأكد من حدثه، فأشار بعينه لعثمان الذي أوماً برأسه وأشار لرجاله فهاجموه بركلاتٍ حادة جعلته يردد بألم قاتل:
_ خلاص.. خلاص هتكلم.

رفع ياسين أصبعه لرجاله فابتعدوا عنه، بينما اتجه لمقعده، فجلس واضحاً قدمًا فوق الأخرى وهو يردد بعزّة:
_ سامعك!

هز رأسه باستسلامٍ وهو يباشر اعترافه:

_ أعرفه.. أنا من رجالته.

سأله بشكلٍ مباشر:

_ اتعرفت عليه فين!

نال منه خوفه بالدرجة التي تثاقلت انفاسه، فرجل خطيرًا مثله ربما يكون على دراية بأمد السلاموني، إن أخبره بأمر السجن ربما سيشك بأمره، لذا قال:
_ بعد ما خرجت من السجن ومن يومها وأنا شغال معاه.

بسمة ساخرة لاحت على وجه ياسين، فتعمد التحلي بالصمت قليلًا ليلعب على أعصاب فريسته ومن ثم ردد بخبث:

_ يعني أنت ومهاب اتحالفوا على ابني.. طب أنت عدواتك معاه معروفة، عداوة مهاب أبو العزم أيه سببها؟!

راقبه بارتباكٍ وهو يشير له بعدم علمه، فرفع رأسه تجاهه ليواجهه بنظرة مقبضة قبل أن يردد بثباتٍ:

_ مين اللي وراك أنت وهو؟

رفع أحد حاجبيه بذهول، فاستطرد بمكر:

_ خليني أجاب أنا على السؤال اللي وترك ده.. أمد السلاموني اللي نهايته مش فاضلها غير القليل!

اتسعت حدقتيه صدمةً، فإن كان قريبًا لتلك الدرجة من المؤكد بأنه قريب لكشف سر مهاب أبو العزم، ان علم بأنه نفس الشخص سيقتلها معًا، جاهد للتحلي بالقوة الزائفة وهو يخبره:

_ أنت متعرفش هو يقدر يعمل أيه.. خرجني من هنا قبل ما يبدأ حربه عليك وعلى عدي.. زمانه عرف باللي حصلي.

رسم ياسين ملامح الخوف بنجاح وهو يردد بصدمةٍ:

_ هيعرف منين باللي حصلك..

تمردت قوته الخاضعة من خلف رهبته حينما نجح ياسين بإيصاله لتلك المرحلة، فقال:

_رجالته في كل حنة وأكيد هيوصلولي في أي وقت.
ارتسمت على معالمه بسمه مستهزئة، فدنا حتى أصبح قريبًا منه ثم قال:

_تقصد ده؟

اتبع اشارة يده، فوجد عثمان يدلف للمخزن وهو يدفع احداً معصوب العين، ومن ثم ازاح عنه العصبة وألقاها اسفل اقدمهما، تهاوت كل ذرة شجاعة امتلاكها حينما وجد الحارس المخلص لهم مكبل بالاغلال، ينازع للحياة بعد ما تعرض له من ضرباتٍ قاتلة، احتدت نبرة ياسين وهو يصيح به:

_ودلوقتي مفيش قدامك اي اختيارات تانية غير انك تتكلم وتقوللي مكان أمجد ده فين؟

وصلت السيارات للقصر، فتوجهوا جميعًا لغرفهم بإرهاق شديد، بعدما قضوا الليل مستيقظين للاطمئنان على عدي، كان أحمد بطريقه لغرفته حينما وجد "نور" تهبط للاسفل بتعبٍ شديد، تحمل "حور" على يدها وتمسك باليد الاخرى رحمة، اسرع اليها وهو يلتقط الصغيرة عنها، فسألها باستغراب:

_راحة فين وانتي بالحالة دي يا نور؟

اتكأت على درابزين الدرج بتعبٍ يبدو عليها، وأجابته:

_راحة اطمئن على رحمة.. وكمان روما مش راضية تبطل عياط من غير ما تطمئن على عدي هخدها معايا.

ربت على الصغيرة الباكية بين ذراعيه، ومن ثم قال بضيق:

_مينفعش تخرجي وانتي بالحالة دي.. رحمة كويسة وبخير.. كلميها على الموبيل وهي أكيد هتتفهم حالتك!

لمع الدمع بحدقتها، فامتزج بصوتها الحزين:

_مش ههدأ غير لما أشوفها بنفسي.

اتاه ردًا بصوت رقيق يخبره:

_وفر طاقتك يا أحمد.. انا من الصبح بحاول معاها أنا ونسرين ومفيش فايده.

تلقائيًا رسمت ابتسامة ساحرة على وجهه حينما وجد زوجته تقترب منه، منحته أسيل

ابتسامة صغيرة قبل أن تلتقط عنه الصغيرة، فحاولت أن تهدهدها وهي تشير له:

_روح أنت ارتاح يا حبيبي وأنا هحاول معاها محاولة فاشلة قدام عناد نور اللي مبينتهيش.

ذمت الاخيرة شفتيها وقد بترت كل ذرة حزن بداخلها، لتجيها بشراصة:

_مالها نور يا أسيل هانم؟ يلا أنا بقالي يومين مستفرضتش بحد وشكلي هستفتح بيك!

تهدلت معالم آسـيل بيأس، فـرـبـتـت عـلى ظـهـرـها وهـي تـشـير لـها بـابـتـسـامـةٍ واسـعة:
_أنا أقدر يا حبيبتي.. رـوحـي انـتـي ورحمة المستشفى وأنا هـخـلي بالـي مـن حـور لـحـد ما
تـرجـعي.

بـبـسـمة رـضا رـدـدـت:
_كـدـه تـعـجـبـينـي.. خـدي بالـك مـن البـت لـحـد ما نـرجـع.
وأشارت للصغيرة المتعلقة بيدها:
_يـلا يا حبيبتي..

هـبـطـوا مـعًا لـلـأسـفـل، فـاوقـفـتـهـما مـلـيـكة وهـي تـكـاد تـسـرع لـلـدرج:
_اسـتـنـي يا نـور أنا جـايـة مـعـاك.
عـدلت مـن عـقد حـجابـها جـيـدًا ثم هـبـطت لـلـاسـفـل، فـوجـدت يـاسـين يـتـجـه لـلـدرج ومـا أن رآها
حـتى اتـجـه اليـها فـقال وهـو يـتـفـحـص ثوبـها الواسـع الرقيق:
_رايـحة المـسـتـشـفى؟
أكـدت لـه ذلـك، وأخبرته:
_مـجالـيش نـوم ومـصـدقت الصـبـح طـلـع عـشان اطمـن عـليه.
تـورم عـينـيـها كان كـفـيل بـنـقل ما اخـبـرتـه هـنا بـدونـه، ضـم رأسـها لـرقبـته وهـو يـطـبـع قـبـلة عـلى
جـبـينـها مـحاوـلاً لـيـطمـنـها:
_عـدي كـويس وفاق.. وأنتِ بـنـفـسـك هـتـشـوفـيه.
ودت لو تـمـكـنت مـن ضـمـه ولـكن بـوجـود الفـتـيات تـراجـعت لـلـخـلف وهـي تـمـنـحه ابـتـسـامـة
صـغـيرة، عـاد لـيـجـذب مـفـتـاح سـيارـته عـن الطـاولـة واثـار لـهما:
_هـو صـلـكـم بـعـربـيتـي.

اعـتـرضت مـلـيـكة بـتـشـدٍ:
_لا طـبـعًا مـش هـسـمـحـلك أنت راجـع تـعـبان ومـحـتـاج تـنام.
أخبرها ببسمة تنجح بالتسلل لقلبها دومًا:
_هـو صـلـكـم وهـرجـع أنا م.
تلك المـرة قاطعتـه نـور حـينـما قالـت:
_مـفـيش دـاعـي يا يـاسـين أنت سـهـران طـول اللـيل أطلـع رـيح شـويـة واحـنا هـنـركـب مـع
السـواق.
أصـرت مـلـيـكة عـليه، ومـنـحتـه عـذر لـيلـهـي ذـاتـه حـينـما قالـت:
_خـليـك عـشان تـقـدر تـرجـع لـعـدي بـعد سـاعـة او اتـنـين.. وخـد بالـك مـن يـحـيى لـحـد ما أـرجـع.

أوماً برأسه باستسلام فغادروا بينما استكمل هو طريقه للأعلى، ولكنه اتجه لغرفة ابنه، فوجده مازال يغفو بنوم عميق، فمازالت الساعة لم تقارب على الثامنة صباحًا بعد، حرر ياسين الستارة عن مرقدتها ليضمن عدم انزعاجه بالضوء، ثم خلع عنه قميصه وتمدد جوار ابنه، فجذبه لاحتضانه وغفى سريعًا بإرهاق!

جفاها النوم ومازالت تنتظر عودته، مضت ساعة كاملة منذ ان حدثها عبر الهاتف، وأخبرها بأن عدي استعاد واعييه وحالته استقرت بشكل كبيرًا، حتى أنه سيعود برفقة الشباب بعد قليل، فظلت "مروج" بانتظاره، فُتِح باب غرفتها، فنهضت عن فراشها وأسرعت للباب، عينيها تتمنى أن يكون هو، فحينما كانت تسكن بشقة صغيرة كان قلبها يتغرد بالسعادة فور سماع نغمة مفتاحه الخاص، ولكن الآن باتت بوكر الحبايب بأكملهم، ترى من سيكون أبيها أم والدتها، أو ربما معترز أخيها الذي لا ينفك عن تركها بمفردها بعد ما تعرضت له، تهللت أساريرها حينما وجدته هو، ركضت اليه فضمها حتى رفع جسدها عن الأرض، شدد من ضمها وأنفه تستنشق عبير خصلات شعرها التي اعتاد على رائحة الياسمين التي تضعها باستمرار، ظلوا هكذا لمدة احتاج بها التأكد بأنها جواره وبين يديه، تحتاج هي للتأكد بأن كابوسها مضى والآن عادت لمقرها الآمن، فهمست بصوتٍ مختنق بالدموع:

_كنت خائفة مرجعش ومعرفش أشوفك ثاني!

مال على أذنيها فطبع قبلة وهو يخبرها:

_اللي فات جزء مش مهم.. المهم انك هنا ومعايا!

بعدت عنه لتمنحه نظرة حبسته خلف وجعها وهواجس هاجمتها بمفردها، فقالت:

_بعثلك على موبيلك وأنا جوه الاسانسير.. اتمنيت انك ترد عليا وأسمع صوتك قبل ما يجريالي حاجة.. حتى لما كنت بالمكان ده كنت محتاجة احس انك مستحيل تتخلي عني. ضم وجهها بين يديه ويدها تحاط باصابعه التي تضم خاتم زواجهما المميز، فقال بوجع اخترقها دون معافرة:

_أتخلي عنك ازاي وانت جوايا!! أنا كنت بعد كل لحظة عشان أرجع اشوفك قدامي.. والحمد لله ربنا مآردش يفرقنا بالنهاية البشعة دي.. ربنا كتبنا لنا نعيش مع بعض الباقي من حياتنا.

ابتسمت وهي تقبل يده، فجذبها اليه ومن ثم حملها ليضعها برفق على الفراش، تمدد مازن لجوارها وضمها إليه بحنانٍ يود به تعويضها عما خاضته، فاستقبلته بشوقي وعاطفة

أجبت مشاعرهما الصادقة!

اتجه للخروج من المخزن، بعدما تأكد من صدق حديثه، وبقي لغز وجود "أمجد السلاموني" مجهولًا بالرغم من محاولات رجاله المستمعية معه لمعرفة أي دليل قد يساعده، اتجه ياسين لسيارته القابعة على بعد من المخزن، فوجد يحيى يتكأ بمرفقيه على مقدمتها، وما أن رآه حتى هم إليه وهو يتساءل باهتمام:

ـ ها يا ياسين قدرت تعرف منه حاجة؟

منحه نظرة عميقة تطل على صداقة عريقة، دامت لأكثر من أربعين عامًا، لم يتخلى يومًا عنه حتى بعد أن واجهه يحيى بعد عودته للقاهرة بتغييره الصريح، فقدم له نصائح بالافتعال تحديات قد تجعله يخسر ابنه من جديد، فتفاجئ بما يخفيه ياسين، حتى وإن ازم الأمر وقتًا ولكنه بالنهاية لم يتمكن من حجب سرًا عنه قط، دنا منه ياسين وبضيق قال:

ـ بيقول ميعرفش مكانه.

حانت منه نظرة شك لما يدور برأسه، فسأله:

ـ وأنت مصدق أياه؟

مال بجسده للسيارة، ثم وضع يده بجيب جاكيتيه وهو يجيبه:

ـ الواد ده عارف كل حاجة.. بس زي ما أنت شايف ضاغطنا عليه بكل السبل، أكثر من كده هيموت وساعتها مش هنوصل لحاجة.

بتعصب شديد قال:

ـ يعني أياه هنفضل ساكتين لحد ما يتعرض لعدي مرة ثانية؟

اجابه بهدوءٍ وبنظرة تحمل المحبة لعصبية تلك:

ـ مش هيحصل يا يحيى.. انا قادر أحمي ابني لأخر يوم في عمري... ولو حكمت يومي هيكون قبله!

نكس رأسه بحزن، فعبست معالمه وهو يحاول التودد له بما يود قوله، ابتسم ياسين على طريقة صديق الطفولة التي لن تتخلى عنه، حينما يود التحدث عن أمر قد يثير غضبه يبدو كالطفل الصغير الذي يهاب أبيه وقت غضبه، فقال بشكٍ:

ـ عايز تقول أياه؟

رفع عينيه إليه، ثم قال بضجر:

ـ أنا مش قادر أسامح نفسي اني رفعت ايدي على رائد، بس صدقني انا كنت عاجز وأنا الوحيد اللي في وسطهم عارف الحرب اللي أنت فيها عشان تحمي عدي، مقدرتش اقف

واشوف خطة الكلب ده بتنجح انه يفرق بينهم ويستهدف عدي.
انتصب بوقفته وهو يتساءل بجدية:
_قصّدك أيّه؟

نفث هواء عميق عالق بداخله قبل أن يخرج هاتفه ويطرح احد الفيديوها من أمامه،
للحاوية (التريلا) التي تحاول بكل السبل اصابة سيارة رائد حتى تدخل عدي وقلب سباق
الموتى لصالحه هو، ابعد يحيى الهاتف عنه ثم قال:
_واحد من الرجالة قد يمسخ الكاميرات من البنزيمة اللي على الطريق.. لو ركزنا في الكلام
اللي قاله رائد وفي المقطع ده هتتعرف انه مكنش مستهدف عدي.. كان عايز يخلق فتنة
بيننا واللي اخرها ان عدي اللي اتسبب في الحادث لرائد.. من البداية هو عارف بالخناقة
اللي جوه القصر وعارف بكل اللي بيحصل والحمد لله انك وصلت للحارس اللي كان
بيوصله كل حاجة.

واسترسل بعصبية بالغة:
_من البداية ونيتّه واضحة، لما خطف مروج وخط مازن في مواجهة عدي، كان قاصد انه
يفرق بينهم... الشخص ده مش سهل يا ياسين وعارف هو بيعمل أيّه كويس، بي فصل
عدي عن كل اللي بيحبوه ويبسانده.. وهيجي اليوم اللي لو شك انك بتحميه منه مش
بعيد يحاول يتخلص منك شخصيًا!!

تمرد غضبه عن مجال سكونه وهدوئه، ففتح باب سيارته وأشار ليحيى بشراسة:
_خليه يهاجمني على الأقل يكون قادر يخرج من جحره عشان يواجهنني.
ثم تابع وهو يغلق الباب من خلفه؛
_خليك مع عثمان يمكن تقدر تعرف منه حاجة.
تقوس حاجبيه بتعجب:
_طب وأنت رايح فين!
قال وهو يلف يستعد للقيادة:
_هاخد ياسين لعدي زي ما وعدته.
وتحرك بالسيارة للقصر ليجد الاخير بانتظاره بصحبة آية، فتحرك بهن للمشفى ليحقق
وعده الذي منحه اليه فور عودته للمنزل.

مضى على غفلته ما يقرب الساعة، ففتح عينيه بتعبٍ وألمًا يسري لقدميه، حاول عدي
التملص برقدته ولكنه لم يستطيع فقدميه تعيقه عن الحركة، تطلع لنهاية الفراش فوجد

”عمر“ يغفو فوق قدميه بإرهاق اكتسبه بعدما قضى ليله وجزء من النهار برعايته وتقديم الادوية إليه بالموعد المحدد قبل أن تدخل إحدى الممرضات للقيام بمهامها، حتى الأبر الطبية كان هو من يحقنها بنفسه، تسلفت بسمة صغيرة على شفثيه وهو يراقبه، فمرر يده على ظهر أخيه بحنان، ود لو تمكن من الوقوف على قدمه ليعاونه على التمدد محله ولكنه يجاهد للاعتدال بجلسته بتعبٍ يغزو أضلاعه!

لذا تمدد على ظهره وتركه يغفو بهدوءٍ، حتى بعد أن مرت نصف ساعة يشعر بها عدي بالملل لبقائه على الفراش هكذا، ولكنه احتمل حتى لا يوقظه، دق هاتف عمر عدة مرات فخشى عدي بايقاظه، لذا سحبه ببراعةٍ من جيب جاكيتيه، فأدمعت عينيه تأثراً حينما وجده المنبه ومدون على شاشته (أدوية عدي)، يخشى أن تطول غفوته فينسى علاجه بالرغم من وجود الكثير من الممرضات الاتي تشرفن عليه بأنفسهن! رمش بعينه بتكاسل، فكاد بالسقوط عن المقعد، استيقظ عمر وفور فتحه لعينه اتجه للفراش، فتفاجئ به مستيقظاً، عبث بعينه وهو يردد بنوم:
_ مصحتنيش ليه؟

منحه نظرة ساكنة، فجذب عمر الدواء عن الكومود الطبي، ومن ثم رفع رقبته ليعاونه على ارتشاف بعض المياه بعد تناول الحبوب الطبية، وساعده ليستلقى من جديد، جذب عمر مقعده لجوار الفراش، وبحماسٍ قال:
_ شايفك أحسن من امبارح، الحمدلله.

مال عدي برأسه إليه ثم قال ببسمة يحوم بها الخبث:
_ ياسين قالي على اللي عملته في معتز ورائد عشاني!
حل الوجوم على وجهه لدقيقة، ثم قال بضيق:
_ مكنوش عايزين غير كده.. اتمادوا بكلامهم وكانوا عايزين اللي يحطلهم حد، مكنوش احترام لأعمامي عشان كده كان لازم أتدخل..
واسترسل بغضبٍ:

_ رائد متهور ومعتز مندفع، لا ده قادر يهدى ويفهم ولا الثاني قادر يسمع ويستوعب.
واستكمل حديثه باندفاع يخفيه داخله:

_ اتمادوا بكلامهم عنك وناسين ان البيت ده فيه مراتك واولادك والاهم أنا وياسين الجارحي..

وبمزح حاول به يخفف حدة انفعالاته قال:
_ وما بالك من أنا بقى.. أطيق العمى ومطقش اللي يجيب سيرة حد من عيلتي مش تؤامي!

ابتسم عدي وهو يشير له باحد حاجبيه، حركته الشهيرة التي ورثها عن أبيه:

_فاجئتني حقيقي يا عمر.
ووضع يده على كتفه وهو يخبره بحزن:

_خليك زي ما أنت اوعى تتغير، أنت أحسن واحد جوه قصر الجارحي.
ضحك وهو يمازحه:
_مش للدرجادي يا وحش.. هنيجي فين جنبك أنت وياسين الجارحي!
تعمد الضغط على كتفيه وهو يشدد على حديثه بجدية:
_أنت أحسن مننا يا عمر.
وضمه اليه، فادمعت عين عمر وهو يتعلق به، ورغمًا عنه انسابت دمعاته على كتفي
عدي العاري، واتبعه صوته الباكي:
_قلبي كان هيقف أكثر من مرة وانت جوه باوضة العمليات.. أنت مش اخويا وبس انت
مشاركني في كل حاجة حتى وجعك بحس بيه من قبل ما تتكلم..
وابتعد عنه ليزيح باصابعه الدمعات العالقة باهدابه وهو يتابع:
_الفرق ممكن يكون بينا دقائق بس بحسك أكبر مني بسنين، بشكيلك وجعي وأنا واثق
انك هتساعدني وهتحل كل مشاكلي بعقلك وحكمتك اللي اخدتها من بابا.. حتى لو عملت
غلطة بتحامى فيك من غضب ياسين الجارحي، وأنت طول عمرك بتنسب الغلط ليك
وبتتحمل عقابه بدل مني!!
ضحك بصوته الرجولي المسموع، وترك بقوة على كتفيه وهو يخبره بضحك:
_أنت جاي تقلب عليا مواجع الطفولة ليه يا دكتور.. عيون ياسين الجارحي في كل مكان
وزي ما أنت شايف أنا لا قادر لا لمناقشة ولا لمواجهة!
شاركه الضحك، فعدل من جاكيتته وهو يتصنع ثبات اباه القاتل:
_متقلقش أنا جنبك هحميك لحد ما ربنا ياخد بيدك.. وبعد كده معرفكش.
هز رأسه بسخط:
_أخرك دقيقتين قدام ياسين الجارحي لو صمدت أكثر من كده تبقى بطل!
همس بصوت مضحك:

_مش لو صمدت الدقيقتين طموحاتك مدمرة سقف الاحلام!
قاطع حديثهما المرح صوت تأويها خافتة من خلف الستار العازل لسرير رحمة، فتحته
وهي تحتضن مقدمة رأسها في محاولة للتغلب على تأثير الادوية التي تجبرها على النوم
بشكل مبالغ به، رددت بخفوت وهي تجاهد ذاك الدوار الحاد:
_عدي!

امسك عمر معصمها حتى وصلت لمقعده المجاور لسريه، راقبته بنظرة متفحصة ثم سألته بلهفة:

_ بقيت أحسن؟

تأمل وجهها الشاحب بنغزة تصيبه ألماً فوق ألمه، فقال بصوت رخيم جذاب:

_ أنا كويس يا رحمة.. اهتمي انتي بنفسك!

وجذب العصير المغلف من أعلى الكومود ثم ناوله لها وهو يصر على أن تتناوله، فقال عمر وهو يراقبهما ببعض الصمت:

_ عدي معاه حق.. حالتك مش سهلة يا رحمة كلي وخدي ادويتك بانتظام.

اعترضت على الدواء الذي يناوله لها معللة بضيق:

_ لا مش عايزة بمجرد ما بخده بنام ومش بحس باللي حواليا.

اشار لها قائلاً:

_ معلشي هي أغلب المهدئات كده.. وبعدين ده لفترة قصيرة لحد ما تتابعي مع دكتور نفسي كويس.

هزت رأسها باستسلام، فتناولت قطعة صغيرة من المعجبات ومن ثم التقطت منه الدواء،

حمل عمر حقيبة الدواء جانباً ثم أشار لعدي قائلاً:

_ هنزل أغسل وأصلي وراجع لو احتاجت حاجه رنلي.

أشار له فغادر عمر متعمداً تركهما بمفردهما لقليل من الوقت، فمن المؤكد بأنها تحتاج للاطمئنان على زوجها، انعكاس حزنها الحائل بحدقتها دفعه لسؤالها بقلق:

_ مالك يا رحمة؟

رفعت عينيها اليه ببطء، ومن ثم تهاوت بانكسارها وهي تردد:

_ كنت نسيت قلقي وخوفي عليك من بعد ما سبت شغلك.. مخاوفي كلها رجعت

تطاردني تاني يا عدي!

اعتدل بجلسته بصعوبة ليكون قبالتها، فقال بتريث:

_ ده قدر ومكتوب يا حبيبتي... هشوفه حتى لو كنت جوه بيتي.. والحمد لله أنا قدامك

كويس ومفيش فيا حاجة.

منحته نظرة حزينة، فداعب ذقنها بإبهامه بعدما احتضن جانب وجهها بيده:

_ كل ازمة اتعرضنا ليها بتعدي مع كل الصعاب طول ما احنا جنب بعض يا عمري!

ابتسمت فخفق قلبه تأثراً بابتسامتها، يا الله مصير قلبه البائس قابع بين طرفي أصابعها،

ان ابتسمت ابتسم للعالم حباً وعشفاً لها وللحياة، وإن تهاوت دمعاتها غمرته غمامة كحيلة

تهاجمه بظلام يكسر أجنته وتحرره من حريته ليصبح أسيراً لا يشوبه سوى حلم التحرر!

على طرق الباب الذي تغاضى عن مسمعهما، سمح عدي للطارق بالدخول، فدخلت نور

بصحبة ابنته التي ما أن رآته حتى هرعت اليه باكية بطفولية، ضمها عدي اليه وبدي متفاجئاً من وجودها، والاخيرة تتعلق برقبتة وتردد ببكاء مرير:
_بابي.

ربت على ظهرها بحزن شديد لسماعه بكائها المتعصب، فتطلع لنور وقال بانزعاج:
_جبتها هنا ليه يا نور؟
علمت بأنه لا يود أن تراه بتلك الحالة، فبررت له:
_رفضت انها تقعد.
حاولت رحمة حملها عنه، ولكنه رفض وأصر على خروجهما، فاستغلت نور ذلك واتجهت برفقة رحمة للحمام حتى تساعد على الاغتسال وتغير ملابسها..
مالت الصغيرة برأسها على كتف عدي الأيسر، واخبرته ببكاء:
_أول ما شوفت الاخبار مصدقتش حاولت اكلم حضرتك على الموبيل ولما مجاوبتنيش عرفت انها مش أشاعة!
مرر يده على خصلات شعرها الطويل بحنان، والابتسامة لا تفارق ثغره:
_هما الصحافة كده.. دي لعبتهم اللي بتأكلهم عيش حتى لو على حساب الغير!
استكانت بين يده وهي تستمع اليه، حديثه يطمئنها بأنه على ما يرام، ابعدها عنه عدي ثم ازاح دمعاتها وهو يخبرها بمشاكسة:
_كل ده عشاني.. مش كنتي مش طايقاني عشان الرحلة.. فجأة سبتها وجيتي!
ابتسمت وهي تزيج دموعها وتخبره:

_رحلة أيه بس يا بابي أهم حاجة صحتك!
قبلها عدي وضمها اليه مجددًا، فسألته بصوتٍ خافت:
_هي مامي مالها، هي تعبانة هي كمان؟
مال على رأسها وهو يمرر يده على خصلاتها الطويلة:
_لا يا حبيبتي.. هي بس مبتحبش تسبني لوحدي!

بالأسفل..
صعدت مليكة خلف نور برغبة منها، وقبل أن تتجه للمصعد وجدت عمر يخرج من أحد الغرف، فأشار لها بانتظاره، صعدوا معًا للمصعد فعاتبها بضيق:
_أيه اللي، جابك يا مليكة وانت بالحال ده، ما انتي كلمتيني أكثر من مرة وطمنتك؟
احتضنت بطنها المنتفخ ببعض الألم، ثم قالت:

_مكنش ينفع يا عمر.. انا قلقانه عليه ومحتاجة اتطمئن بنفسى.
هز رأسه بتفهيم، فاخرج هاتفه ليتفحص اخر رسائله فتفاجئ بانغلاقه، تساءلت باستغراب
حينما وجدت معالمه قد تبددت تماما:

_فى ايه؟
اشار لها بمرح:
_التليفون فصل شحن!
ضحكت وهى تسأله:
_وعايزه فى ايه طيب.
اجابها وهو يضغط على زر الطابق العلوي:
_كنت حابب اطمئن على نور كان باين عليها امبارح انها تعبانه.
ضحكت وهى تخبره بمشاكسة:
_متقلقش هتلاقىها فوق مع رحمة.
_بجد!
أكدت له وهى تجاهد شعورها بالألم:
_أنا جاية معاها بس قولتلها تطلع الاول عما اريح تحت شوية وآآه.
أمسك يدها التى تشدد على جاكيتته، فقال بقلق:
_مالك يا مليكة؟

جحظت عينيها وهى تشير له، فانكمشت معالمه وهو يشير بصدمة:
_لا أبوس ايدك لا أنا اتبهذلت مع مراتى واخوكى مش جاهز لولادة تانية أنا!
صرخت بصوتها كله وهى تصيح به:
_ده وقته... بقولك بولد الحقنى يا عمر!!
وختمت حديثها بصرخة مداوية، جعلته يعود بالمصعد للأسفل، فحملها واسرع لقسم
الجراحة، تراجعت به للخلف وهى تشير له بانفعال:
_لااااا.. مش هولد هنا ودينى لدكتورى!
رمقها بنظرة ساخطة، ومن ثم قال:
_انتى بتتآمري وانتى بالحالة دي!
صرخت بالم وهى تشير له:
_خدنى لدكتورى يا عمر مش برتاح غير عنده هموت!
حملها مجددًا وأسرع تجاه باب الخروج، ومن ثم اتجه لسيارته ليتحرك للمشفى المتخصص

للنساء والتوليد.

جن جنونه حينما لم يجدها بغرفتها، لم يترك "رائد" شبرًا بالقصر الا وبحث عنها به، مازالت اللهفة تعتريه ليقدم الف اعتذار لها، كان يود ضمها ليطمئن على جرح ذراعها، اتجه لغرفة آسر ومريم، فما أن ولج للداخل حتى تجاهله الاولاد تمامًا، وكأنه شفاقًا، حاول رائد أن يقترب من ابنه ولكنه رفض الحديث معه، فلم يستسلم وحاول مع ابنته، وسألها بلهفة:
_مامي فين يا مريم؟

منحته نظرة حملت عتاب قايٍس ومن ثم قالت:
_أخذت حاجتها وسابت البيت.
صعق لما استمع اليه، فاسرع للأسفل ومن ثم صعد لسيارته ليتجه لمنزل شقيقها، لا يعلم كيف وصل هناك بذلك الزمن القياسي من القيادة، طرق رائد على شقة اخيها، وبعد دقائق فتح الباب وهو يردد بذهول:
_رائد؟
وضمه بترحابٍ لحق بسخرية نبرته:
_عاش من شافك يا ابو نسب... ايه غيرت معادك من العيد للعيد ولا أيه؟
ملامحه لم يتنسى لها التأقلم على مزحه، فقال بجدية:
_رانيا فين يا مجدي؟
ضيق عينيه بدهشة:
_انت بتهزر.. مهى بالبيت يا ابني لسه قافلة معايا من شوية وقايلالي انك مع عدي بالمستشفى!
صمت مطوّلًا مما جعل الاخير يزداد قلقًا، فقال:
_في أيه يا رائد، قلقتني؟
رد عليه وهو يرسم ابتسامة مخادعة:

_مفيش أنا لسه راجع من المستشفى وافتكرت انها هتعدى عليك فقولت افوق اخدها.. يلا هكلمك تاني.
وتركه وغادر قبل أن يعود لاسئلته التي لا يحمل جوابها، عاد رائد للقصر، فاتجه للصالون بالاسفل حيث يجلس رعد يتابع جريدته وهو يرتشف كوب قهوته بتلذذ، وفجأة وجده يقتحم مجلسه وهو يسأله:
_مراتي فين؟

ضحكت الصغيرة وهي تراه يزعم شفتيه تأفقا من الدواء اللازم المذاق، فما أن خرجت
المرضة، حتى عنفها بمزح:
_بتضحكي على آيه؟
قالت من وسط ضحكاتها:
_عشان لما أخذ الدواء بعد كده ما تبقاش تتريق عليا يا بابي!
رمقها بنظرة حادة ومن ثم انفجر ضاحكا هو الآخر، فردد بمكر:
_انتى جاية تشمتى فى يا رحمة لا الافضل ترجعى القصر.. أنا كده كده راجع بليل.
وضعت قدما فوق الاخرى وهي تعدل من فستانها الازرق الطويل، قائلة بغرور:
_خلاص هضطر اقعد وارجع معاك.
رفع حاجبيه باستنكار:
_هضطر!

أومات برأسها وهي تخبره باقتناع:
_امال مين هياخد باله منك غيري!
ضحك وهو يسألها بفضول:
_أمال أخوك فين!
كادت باجابه فقاطعها دخوله، فاتجه اليه بخطوات مرتبكة، وقف ياسين لجوار الفراش
وهو يتلاشى التطلع لابه، من يراه يظن بأنه مجبورًا على القدوم الى هنا، وفجأة رفع
عينيه المحتقنة بالدموع وهو يتأمل كل خدش بوجهه وجسد عدي، فانهمرت دمعته وهو
يردد بصوته الباكي اللاجئ للثبات بأقصى ما فيه:
_حمدلله على سلامة حضرتك

استنساخه الصغير، نجح بنقل معاناته له، ما قد يفعله إن مر بنفس ما يمر به، اشار له
عدي بالاقتراب، وحينما دنى منه ازاح دمعته بيده وهو يخبره بصوت يشوبه الحزن والتأثر:
_مش عايز أشوف دموعك تانى يا ياسين.
رفع عينيه العسلية اليه، ثم رددت ببكاء:
_غصب عني.

ولف يده حول رقبة عدي وهو يحتضنه بقوة، فضمه عدي اليه هو الآخر، وفجأة تسلل
صوتا رجولي اليه:

_مكنتش متوقع يكون شايلك كل الحب ده؟
اندهش حينما وجد أبيه يستند على باب غرفته ويتابع ما يحدث بينهما، فترك محله ودنى
منه وهو يسترسل بغموض:

_يمكن لانك أب! فتهقدر تقيم أحساس ابنك كويس زي ما أنا قادر افهمك وأفهم كل حاجة
بتدور جواك، بس يا ترى أنت كمان فاهمني زي ما ياسين فاهمك!
ومنحه ابتسامة ثابتة قبل أن يستدير ليتجه لسرير رحمة، ولكن سرعان ما توقفت خطاه
حينما قال عدي:
_أيه الخطر اللي مقدرتش تحميني منه وخلي ياسين الجارحي بنفسه يعتذر لابنه وهو
بيصارع الموت!

الفصل السادس عشر

من قال أن الأخ لا يعوض وجود الأحبة من جوارك!، مساندته صادقة لا تزينها أي نفاق، ربما ستجد الكثير لجوارك قبل دخولك لغرفة الجراحة إن شاء الله لك بذلك، عساك بمفردك برحلتك المخيفة، التي تبدأ من رؤية باب الغرفة، ستجد أهلك جوارك يدعمونك وستجد من أتى خصيصًا لقضاء الواجب ولرد زيارة قد سبق لك زفها لفرد من عائلته، علك تبحث عن يشاركك قلقك ويحتجز قلبه خلف ذاك الباب الأبيض الذي يحدد مصير حياتك، ستستعين الدعم من أعين من حملتك برحمها لتسعة أشهر وهي تحتل ضغط بنتيك داخلها، علك تبحث عن نصفك الآخر (الزوج، الزوجة)، ثاني من يلتاع قلوبهم خوفًا على ابنائك، ومن تلك الحسبة العقلانية ستجد أخيك لجوارك.

ضمة يده فوق يدها، وتشبثه بالسرير المتحرك الذي تدفعه الممرضات، بدد خوفها القابع بداخلها، كانت بحاجة لزوجها وعائلتها، ولكن لم يسعفها الوقت الا بوجود أخيها، فلم يخيب ظنها أبدًا، سد كل تلك الفجوات التي تنساب بالقلق حيال وجود زوجها ووالدتها، شددت "مليكة" على يد عمر وهي تهمس له ببكاءٍ ووجعًا يضرب أسفل بطنها: _أنا خيفة.

منحها ابتسامة دافئة وهو يمرر يده على وجهها ليزيح عنها عرقها الذي يبيل جبينها:

_خيفة من أيه يا مليكة، أنا جانبك ومش هسيبك.

هزت رأسها بخفوتٍ وهي تدعي تمسكها بقوة زائفة، دفع عمر السرير ليدخل بها لباب الغرفة، فتشبثت بيده وهي تهمس له سريعًا قبل أن تنفصل يدهما:

_عايزة ماما... كلمها وكلم ياسين يا عمر.

ظنت بأنه سيتركها عند هذا المطاف، فولجت لداخل غرفة الجراحة وهي تحاول السيطرة على بكائها، خاضت مرحلة شاقة مع أول ولادتها بابنها "يحيى"، فعلمت بمشقة ما ستعانيه مجددًا، خاصة بأن ولادتها ليست سهلة بالمرة، أغلقت مليكة عينيها وهي تحاول السيطرة على دمعاتها، هي حقًا بحاجة لوجوده جوارها، وفجأة شعرت بضمة يد تربت على أصابعها ويد أخرى تمسد على حجابها الغير مرتب، فتحت عينيها بلهفةٍ عساها تراه، فتقوس حاجبها وهي تردد بدهشة:

_عمر!

تفاجأت بوجوده لجوارها مرتديًا زي الجراحة وكمامة طبية، بعد أن تم تعقيمه بالكامل، فظل جوار رأسها يربت على خصلاتها وهو يخبرها بحنان:

_أنا جانبك يا مليكة.. متخافيش.

تساءلت بشك:

_ماما وياسين!

ازاح عنه الكمامة، ومال ليستند على رأسها وهو يهمس بمرح:

_موبيلي فاصل شحن وفشلت أفتح موبيلك.. فكرت اجهولك تفتحيه هنا بس شكلنا هيبقى مسخرة واحنا بنكلمهم من هنا.. فمتحلميش اني اسيبك لوحداً أبداً، لما نطلع من هنا مع بعض ومعانا البنوتة اللي طلعت عنينا دي نبقى نكلمهم.
ضحكت حتى أدمعت عينيها، ومالت برأسها تجاهه، تناست عدم وجود أحد لجوارها، حنانه ومحبته غمرتها وجعلت الامان يطوفها، وكلما استسلمت للمخدر النصفي كان يباغتها بسيل من الاسئلة والحديث الذي جعل مؤشراتنا الحيوية تبدو جيدة للطبيب الذي يتابعها من الوقت للأخر بقلق، فحينما يجد عمر يجبرها على الحديث كان يمنحه نظرة امتنان لحرصه على مساعدته دون أن يطلب بذلك، كونه طبيب كان يتابع الاجهزة بقلق يساوره كلما اغلقت عينيها، وفجأة خفق قلب عمر كأول

خفقة انتابته فور سماعه لصوت ابنته، صوتها كان مشابه لتلك الصغيرة، اتسعت ابتسامته وهو يحملها بين يديه، فحرص على أن يساعد الممرضة في تحضرها ولفها بالملاءة الصغيرة، حملها عمر وهو يبتسم بسعادة، فاتجه بها للفراش، حاولت مليكة حملها فوضعها عمر لجوارها وهو يعيد خصلاتها المتمردة على عينيها داخل حجابها، فطبعت قبلة صغيرة على جبينها، وعادت لتستلقى بتعبٍ، ضمها عمر اليه وهو يخبرها:
_ما شاء الله عسولة أوي...شبهك أوي يا مليكة.

أجابته ببسمة رقيقة:

_لسه مش هيبان دلوقتي.. أنا عايزاها شبه ياسين على فكرة فسبني احط أمل!
رفع حاجبيه بسخط:

_ما الواد طلع شبهه.. هيبقى الولد والبنت!

وردد بتذمر:

_الستات أغلبها كده..عايزين اولادهم شبه الأب مع أن لو حد قال ان الطفل شبهها هي المفروض تفرح!!

فتحت عينيها وهي تشير له بدلال جعل الاخير يضحك بصوته كله:

_مش كل الستات... الست اللي بتحب جوزها بجد عايزة أولادها كلهم نفس السنحة بتاعت جوزها!

وضع الصغيرة بين يد الممرضة التي تود نقلها للغرفة الخاصة، بينما يتم تحضير مليكة للخروج، فانحنى عمر تجاهها ثم طبع قبلة على جبينها وهو يردد بمحبة:

_حمدلله على سلامتك يا حبيبتي، هخرج لحد ما يجهزوك وأنا بنفسي هنقلك للاوضة..

ومازحها حينما استطرد:

_أكيد بعد ما البلونة نزلت الشيلة هتبقى أخف مش زي واحنا جايين..لحسن ظهر اخوك بقا
محتاج صيانة واصلاح بعد ولادتين وعملية!!
ضحكت بصوتٍ جعلها تصرخ وهي تشير له:
_بره يا عمر.. متضحكنيش!

رفع يده باستسلام:

_طالع!

وتركها واتجه للغرفة الداخلية لجناح العمليات، فوجد صديقه ينزع ملابسه ومن ثم يعقم
ذاته قبل ارتدائه الملابس الخضراء التي تحمل رمز المشفى، وضع يده على كتفه فجأة
فردد الطبيب بفزع:

_خضتني يا عمر.. أنت مبقاش وراك غيري ولا أيه؟

اجابه ساخرًا:

_مش قولتلك سلسال العيلة طويل وكل شوية هتلاقيني نططلك.

ضحك وهو يشير له بتعقيم يده، فاتجه عمر للصنوبر الصغير الموضوع جانبًا، ثم خلع عنه
تلك الملابس، وبعد ثوان معدودة وجد إحدى الممرضات تخبره بأنها جاهزة للانتقال
للغرفة المجهزة، على الفور توجه عمر للداخل، فاستمع لها وهي تتحدث مع إحدى
الممرضات بخوفٍ:

_لا مش عايزة السرير ده.

اقتрحت عليها بشفقةٍ لحالة الذعر المسيطرة عليها:

_تحبي أجيلك كرسي متحرك.. بس معتقدش انك هتقدري تقعدى عليه!

حملها عمر بين يده وهو يشير للممرضة بأنه سيتوالى أمرها، منحته مليكة نظرة امتنان،
ومالت برأسها على صدره مستسلمة لنومٍ تام بعد اطمئنانها بأنها غادرت تلك الغرفة
أخيرًا، حملها للغرفة التي يزينها اللون الوردي استقبالًا للفتاة الصغيرة، فوضعها للفراش
ومن ثم حمل الصغيرة عن فراشها، طرقت إحدى الممرضات على الباب الذي لم يغلق
جيدًا وهي تخبره ببسمة عملية:

_موبيل حضرتك.

التقطه منها فوجده قد اتم شحنه، لذا على الفور مرر اتصاله بياسين الذي أجابه بعد أكثر
من مرتين جاهد بهما بالاتصال عليه، فأتاه صوته الناعس يردد بفزع:

_أيوه يا عمر.. عدي كويس؟!

أتاه صوته الهادئ يطمئن قلقه الزائد:

_بخير اطمئن.. أنا عايزك في موضوع مش عارف هتستوعبه ولا أيه؟
زاد قلقه قلقًا، فقال بعصبية:

_ما تنجز قلقتنني!

قاطعهما صوت بكاء الصغيرة التي سلبت قلب خالها الحنون، فهزها برفق وهو يردد
بحب:

_يا روعي على الجمال والصوت الجميل والحلاوة... طب أنا هعمل بيك أيه دلوقتي!
استمع ياسين لهمساته المنخفضة لصوت البكاء الذي تسلل إليه، فسأله باستغراب ظنًا
من ان ذلك الصوت يخص صغيره عدي (ابن عمر):

_أنت هنا بالقصر؟

أوضح له وهو يهدد الصغيرة:

_لا... اللي سمعته ده صوت بنتك مش ابني.

تجعد جبينه بدهشة:

_بنت مين؟ أنت بتقول أيه!

أجابه بتخبط:

_قولتلك مش هتقدر تستوعب، مليكة ولدت الاحداث جت بسرعة لدرجة عدم الاستيعاب..
أنا تقريبًا حولت تخصصي لدكتور نسا وتوليد!

لغزًا يجاهد لفك اطرافه، فأصابه حالة من الصدمة، اتابعها صياحه الغاضب:

_أنت بتهزر يا عمر... ولدت أمته وازاي وأنا كنت فين من كل ده!

جاءت الغرفة ذهابًا وإيابًا وهو يبحث عن خزائنه، حالة التوتر سيطرت عليه فجعلته لا يعي
ماذا يفعل أو ماذا يرتدي؟ ، كل ما يفعله هو الصياح المتعصب فتباعد عنه هدوءه ألف
ميل:

_وانت ازاي متكلمينيش، جاي دلوقتي تعرفني!!

ابتسم الاخير بانسجام تام مع الصغيرة، ورد عليه ببرود يتحلى به من يتطلع لتلك الفاتنة:
_موبيلي فصل شحن فجأة، وبعدين يا عم أيه الدراما دي هو أنا بقولك جوزت بنتك لابني
وتعالى لم الموضوع، بقولك

البرنس شرفت الدنيا هنقولها ارجعي لحد ما نوصل لابوكي! أما أنت بني آدم غريب!
جز على شفثيه السفلية بقوة كادت ببتريها، فردد بغيط:

_ابعتلي عنوان المستشفى واقفل يا عمر!

وأغلق هاتفه والقاءه على الفراش، ثم أسرع لخزائنه فجذب أول ما تلقفته يده ليسرع
للذهاب للمستشفى!

بالأسفل..

عاد لي طرح سؤاله من جديد، حينما تجاهله أبيه عن عمدٍ:

_فين رانيا يا بابا؟

ترك الجريدة عن يده ثم رفع رأسه ببطءٍ إليه، فمنحه نظرة قاتمة تخفي من خلفها غضبًا

يموج لأفعاله الصببانية التي لا تليق برجلٍ مثله، ومن ثم قال:

_عايز تعرف مكانها ليه بعد اللي عملته فيها... هيجيلك عين تقف قدامها بعد اللي

اتسببت فيه!

اقترب "رائد" منه حتى بات قريبًا منه، وقال بحزن تلاً لأ بصوته المتألم:

_غلطت وعارف بده.. خليني أعتذرلها وأطمئن عليها.

ترك رعد مقعده، ثم ابتعد عن محيطه وهو يخبره بقسوةٍ:

_مظنش إنك هتتعلم من غلطك أنت هتفضل كده على طول، طايش ومش أد

مسؤوليتك كزوج أو أب.

تابعت دينا حوارهما بوجع على حال ابنها الوحيد، بالنهاية هي أم، مهما حمل الابن من

أخطاء ستواجهه الأم للصواب وتنصحه ولكن قلبها سيئن وجعًا حينما تراه يعاقب عما

فعل، فاقتربت من زوجها ثم قالت بعاطفة تنجح يومًا باستمالته:

_ملهاش داعي الطريقة دي يا رعد، هو خلاص عرف غلطته.

استدار تجاهها ومازالت يده موضوعة خلف ظهره، فقال بلطفٍ تحلت به نبرته الجافة:

_من فضلك اطلعي فوق يا دينا.. ده موضوع بيني وبينه بلاش تتدخل في فيه.

عاتبته بضيق:

_متدخلش ازاي ده ابني يا رعد!

فك يده عن مقبضها، ووقف قبالتها يتابع حديثه بتحذير:

_وابني أنا كمان ومن واجبي أعرفه غلطه.. وغلطته المرادي كبيرة حتى لو الكل سامحه،

ابنك لو انا موقفتش في وشه هيغلط مرة واتنين ومليون، حبييتي اطلعي أوضتك وانا

شوية وجايلك نكمل كلامنا.

أومأت برأسها وتركت الساحة لزوجها بهدوءٍ، تابعتها رائد حتى اختفت بالمصعد، فعاد

ليتطلع لأبيه بحزن، فأشار له بغموضٍ:

_كويس انك متابع حوارنا... معتقدش اني حاليًا هادي أو في أحسن حال، أنا متعصب

ومنفعل من أفعالك جدًا ومع ذلك متعصببتش على والدتك ولا مديت ايدي عليها حتى لو

بالغلط، ولا عمري عملتها قبل كده تفتكر أنت باللي بتعمله ده عايز ابنك يطلع شبه مين

فيينا!

الابن بيطلع لابوه، ابنك طول مهو شايف طريقتك مع والدته بالشكل المهيين ده تفتكر

هيعامل مراته ازاي؟

وتابع حديثه بهدوءٍ معاكس لحالة غضبه:

_الست بطبعها مبتقدرش تتحكم في قلقها، القلق بيسيطر عليها لما تشوف جوزها أو ابنها أو أي فرد من عيلتها راجع مهموم، الف سؤال هيدور في رأسها، يا ترى هو تعبان ولا اتخانق مع حد ولا سبب خنقته دي أنا! وأشار اليه وهو يسترسل:

_وأنت المفروض تطمنها على الأقل لو مش قادر تتكلم تعرفها سبب زعلك وانك مش جاهز تتكلم في تفاصيل، ولم هتهدا هتكلمها فيها ساعتها هتسبك مساحة خاصة بيك وهي عارفة على الأقل انت مالك، لكن اسلوبك ده مينفعش.. بنت الاصول جت بيتك عشان تعامل فيه زي الملكة مش جارية فيه! اقترب منه رائد حتى هبط الدرج القصير الذي يفصل الرسيشن الجانبي عن قاعة القصر الرئيسي، فقال بتأثر:

_اديني فرصة على الأقل اصلح غلطي.. أرجوك يا بابا! لانك نظراته القاسية تجاهه، فود لو ضمه اليه ولكنه لم يتمكن، غمره الجميع بالعفو فإن تساهل هو الآخر معه حينها سيعتاد على ما فعله بحق زوجته وبحق عدي، لذا كان عليه عدم الاستسلام.

كان يحيى بطريقه للأعلى حينما استمع لحوار رائد وتوسله لاباه، فانجرف عن طريقه واتجه ليقف قبالة رعد ورائد الذي لم يشعر بوجوده، كان يقف خلفه بالتحديد لذا انطلق صوته ليحيط آذانه حينما قال:

_انهي العناد ده يا رعد وقوله فين مراته، الامور عمرها ما هتتصافى بالبعد، بالعكس لما هيقعد معاها هيقدرها يحلوا اللي بينهم.

انتبه رائد لوجوده، فاستدار اليه بخرج، فقطع يحيى المسافة بينهما، ثم وضع يده على كتف رائد ليشير له بأنه سيتولى الأمر، ارتبك رعد من وجود ابنه بينهما، فما سيقوله لا يود أن يسمعه هو، لذا لجئ للمماطلة حينما قال:

_بعدين يا يحيى لما يتأدب هبقى أقوله.

أصر يحيى على موقفه وهو يشدد على كلماته:

_يعني أيه بعدين؟ أنت شايف حالة الولد تسمح بده.. متبقاش قاسي عليه هو خلاص عرف غلطه!

كان عليه أن يخبره بالحقيقة حتى لا يظنه يخفي امرها عنه، لذا اخبره:

_يحيى أنا الموضوع ده بره ايدي.

رفع حاجبيه بدهشة:
_ازاي يعني مش فاهم؟
صارحه بما حدث:
_ياسين هو اللي أخذ رانيا من هنا.
واسترسل بضيق وهو يتجه للمصعد:
_لو مستعد تخش في جدال معاه بسبب ابني اللي شایل نفسه غلط كبير ادخل لكن أنا لأ.
وتركه وغادر متعمدًا ان يريه قسوته لما فعله بحق عدي لآخر لحظة، وقف يحيى محله
لثوان يزن ما حدث هنا بعقلانية، سامحه ياسين الجارحي عما فعله بحق ابنه ولكنه الآن
يعاقبه عما فعله بآبنة هذا البيت!!
ما يحدث لأي فتاة هنا بمثابة جريمة اضرم النار بها ومن الصعب التغلب على اطفائها،
لذا التفت لرائد وربت على كتفه وهو يخبره بحنان:
_ولا يهملك.. أنا هكلم ياسين وان شاء الله هقنعه إنه يرجع رانيا للقصر أو على الأقل يخليك
تقابلها.
منحه ابتسامة امتلأت بالامتنان، وقال:
_مش عارف أشكرك ازاي يا عمي.
رد عليه بتأنيب ضمير:

_متشكرنيش أنت ابني يا رائد.. انا كمان لازم اعتذرلك اني رفعت ايدي عليك.. صدقني انا
كنت بحاول أفوقك من اللي أنت فيه.. اللي مسمحتش بيه يدخل بينك وبين اخواتك وانتوا
صغيرين كان صعب يدخل بينكم وانتوا كبار وواعيين!
اعترض على طلبه للصفح، حينما قال:
_لا طبعًا حضرتك مغلطتش.. أنا اللي لازم أعتذر من حضرتك ومن عمي عز وكل اللي
كانوا واقفين... انا اللي كنت غلط يا عمي مش حضرتك أبدًا.
ضمه يحيى اليه وهو يشدد من احتوائه، فتفاجئ بياسين يهرع للأسفل وهو يرتدي ملابس
على الدرج بطريقة زرعت القلق للجميع، فدنى منه وهو يتساءل بحيرة:
_في أيه؟
أجابه ياسين وهو يرتدي حذائه:
_مليكة ولدت.
ضيق عينيه بدهشة:
_أمته ده.. ومقولتش ليه؟
أشار له بقلة حيلة وهو يخبره:
_أنا نفسي لسه عارف دلوقتي من عمر.

جذب بحبي جاكيتته الموضوع على المقعد، ولحق به ورائد من خلفهما.

أرادت آية الحديث مع رحمة بأمر هام، لذا اتجهت اليهما قبل صعودها، وباشرت بما تشعر به تجاهها، فقالت:

_رحمة انتِ الفترة الاخيرة مرتبكة وعلى طول سرحانه، من قبل حادثة عدي وفيكي حاجة مش مضبوطة.. انتي مخبية علينا حاجة؟
عاد الارتباك ليسيطر عليها من جديد، فلعلقت شفيتها عليها تمنحهما بعض الرطوبة، ومن ثم قالت:

_أنا آآ..

قاطعتها آية حينما قالت:

_اتكلمي يا حبييتي ومتخافيش!

هزت رأسها وهي تخبره ببسمة مصطنعة:

_مفيش حاجة.. انا الفترة اللي فاتت كنت تعبانة واللي حصل مع عدي تعبني أكثر.

احتضنت يدها وهي تربت باليد الاخرى على كتفها:

_هيبقى كويس وهيرجع بيته بالسلامة.. فوقي انتي لنفسك ولصحتك عشان أولادك محتاجينلك يا حبييتي.

كبتت نور ألمها الشديد الذي هاجمها فور صعودها للأعلى بالرغم من صعودها بالمصعد، شعرت بأن مكان جرحها يضرم نيران تكاد تمزق أحشائها، فكبتت تأويهاها المتألّمة، حتى شعرت آية باحتقان وجهها فعنفتها بضيق شديد:

_طبعًا تعبانة وموجوعة بسبب عنادك وتصميمك انك تيجي هنا... يا بنتي مينفعش

الخروج وانتِ بحالتك دي، ورحمة أكيد متفهمة ده كويس مش هتعاتبك انك مجتيش أو مكنتيش جانبها وانتِ محتاجة للي يكون جنبك!

ردت عليها نور وهي تجاهد ما يعترئها:

_أنا اللي كنت حابة أطمئن عليها.. بس أنا محتاجة فعلا ارجع البيت لاني حاسة اني تعبانة.

أمسكت آية يدها، ثم عاونتها عن الوقوف قائلة بقلق:

_طب اسندي عليا لحد ما نخرج للسواق.

تشبثت بالمقعد وهي تخبرها ببسمة صغيرة:

_اطلعي انتي لعدي وأنا هرجع لوحدي.

أصرت على قرارها:

_ لا مش هسيبك طبعًا وأنتي بالحالة دي.. هرجع معاكي وانا بنفسى اللي همنعك من
الخروج الفترة دي.
والتفت تجاه رحمة ثم تساءلت:
_ هتقدري تطلعي لوحديك يا رحمة؟
أكدت لها حينما قالت:
_ أيوه انا كويسة الحمد لله.. خليكى مع نور شكلها تعبانه خالص.
أشارت لها بإيماءة صغيرة ثم عاوتتها لتغادر بها المشفى.

_ أيه الخطر اللي مقدرتش تحميني منه وخلقى ياسين الجارحي بنفسه يعتذر لابنه وهو
بيصارع الموت!
شامخًا هو لم يهتز له جفن، وكأنه لم يستمع لشيءٍ لتو، بثقةٍ استدار تجاهه، انخفضت عينيه
لحفيدة الذي يراقب حديثهما الغامض بدهشةٍ، فزف أمره اللين إليه:
_ خد أختك يا ياسين وإنزل عند نور ورحمة.
إنصاع الصغير إليه، فأمسك يد شقيقته، ثم خرج بها للأسفل وأغلق الباب من خلفه ليترك
لهم مجال الحديث، فمال بجسده تجاه النافذة القريبة منه، وهو يجيبه بنبرته الثابتة:
_ أحميك من الهوا اللي ممكن يتسببك بأي أذى، من أي شيء عجزت اني احميك أو أحمى
حد من أولادي منه!
تعمق بالتطلع إليه، ومن ثم قال بشجن:

_ كنت سامعك وحاسس ببيك وأنت جانبي وماسك ايدي!
استدار إليه ببطءٍ شديد، ثم جذب أحد المقاعد ووضعها جوار سريره، ثم جلس بهدوءٍ اتبع
نبرته المتزنة ونظراته لا تترك عين من يراقبه بفضول:
_ ده مكاني الطبيعى يا عدي... جانبك، في دهرك.. حتى ولو مقدرتش تشوف ده.
ورفع ساعديه حتى لمس كف يده رأسه، فمررها برفق على رأسه وهو يتابع:
_ طول ما فيا النفس عمري ما هتخلى عنك.
وعاد بجسده للخلف وهو يتعمد التطلع إليه وهو يستكمل حديثه:
_ أنت متوقع مين فينا بيستمد قوته من التاني؟
وابتسم ساخراً وهو يردد:
_ ياسين الجارحي مالوش نقط ضعف من وجهة نظرك.. بس النهاردة خليني أعرفك عن
أهم نقطة ضعف ليا يمكن تقدر تغلبني بالتحديات اللي مش بتنتهي بينا.
وبإشارة من عسلية قال:
_ أنت نقطة ضعفي.. وأنت أساس قوتي!

ومن ثم انحنى ليده التي تغزوها الآبر الطبية، فطبع قبلة صغيرة عليها وهو يخبره بجمود
نبرة لا تليق بما يقول ويفعله:

_مستعد أحارب لآخر نفس فيا عشانك وعشان اخواتك.. أنت مش شايفني غير بنظرة أنا
اتعمدت انك تشوفني بيها.

أدمعت عين عدي تأثرًا، فابتسم ياسين وهو يتابعه باهتمام:

_خليني أعترفلك النهاردة انك الوحيد اللي جوه عيلة الجارحي بتشبهني في عنادي
وكبريائي اللي صنعتة لنفسه، بس اللي عايزك تفهمه اني اللي كان في مواجهتي جدك
وكان يستحق اني أكون كده لكن أنا لا يا عدي... أنا مش زيه ولا هكون في يوم كده.
وضم يده بين كفه وهو يشمل به حنان ودفء حديثه:

_أنا لو الكون كله ضدك هتلاقيني أول واحد في صفك وبدافع عنك.

تهاوت دمعاته على خده، فنهض ياسين عن مقعده بعصبية اطاحت مقعده بيده، للحظة
لم يفهم عدي ما أصاب والده، الا حينما ولاه ظهره وهو يردد بانفعال شرس:

_مش عايز أشوف دموعك في حياتي كلها... سامع!!

أزاح سريعًا دمعة الخائنة، وقال بصوت واهن:

_بس أنا شوفتها لأول مرة بعيونك وأنا في العمليات!

استدار تجاهه فوجده يجاهد للوقوف على قدميه، لم يحاول مساعدته قط، ضم يده
للخلف وراقبه بثبات مهيب، يتمنى رؤيته يخطو بثبات قامته التي اعتاد رؤيته بها، اقترب
منه عدي ثم قال بابتسامة شقت الطريق على شفتيه:

_أنا معنديش شك انك بتحبني لانني ابنك، بس عندي الف سؤال بيطرح نفسه مع كل
تحدي صعب بتحطه قدامي، كأن حضرتك حابب تشوفني عاجز ومش عارف أحل!

تعمق بالتطلع اليه وأجابه بتريث:

_الصعب بالنسبالك انك تطلب مساعدتي مش الاختبار يا عدي!

ارتبكت نظراته حينما بدى عاريًا أمام أبيه الذي بدى يعرفه أكثر من نفسه، فاسترسل
ياسين:

_أو كي أنا حابب أشوفك كده.. بصراحة أنا عندي فضول أشوف نهاية عنادك دي أيه... وزى
ما تقول كده مبقاش في شيء يسألني غير التحديات اللي بينا.

ابتسم عدي بالرغم من عينييه الدامعتان، واقترب منه وهو يخبره:

_بس أنا مش عايز اخوض تحديات تاني.. أنا عايزك جنبني دايماً يا بابا!

ضمه ياسين إليه بألم يشعل صدره، ود لو تخفى به لأبعد نقطة على وجه الأرض حتى لا

يطوله الأذى، ومع ذلك سيطر على انفعالاته وضعفه الذي لم يحتل لافتة من صفحات دفتره، فأبعده عنه وهو يخبره بحنان:

_قولتك أنا جانبك حتى لو أنت بنفسك رافض وجودي...مفيش انسان بيقدّر يستغنى عن عين من عيونه وأنت وأخوك وأختك بصري اللي من غيره مقدرش أشوف!
وفجأة أشار له بصرامةٍ، جعلت الآخر يكبت ضحكاته:
_من فضلك ارجع لسريرك وبطل تعيش دور العيل الصغير سبق وقولتك لو صبغت شعري هبقى أصغر منك!

ودفعه للخلف برفق وهو يتابع باتزان وحزم:

_هالك نفسي بالرياضة والتمارين وفي الآخر يتعلق بيا ويقولني بابا! ياسين الجارحي أفضل مفهوم؟

فشل عدي بالسيطرة على ضحكاته، فمنحه ياسين نظرة حادة جعلته يشير له باحترام بأنه سيتوقف بالحال، ولكنه لم ينجح بالسيطرة على ذاته فضحكوا معًا في لحظات ربما لن تنتسى، قاطعها صوت رنين هاتف ياسين، فحينما رفعه وجد رسائل من عمر لم يراها الا الآن بولادة مليكة فتركه وتوجه للمشفى على الفور..

بمكان آخر بعيد عن القاهرة، وربما سيكون ضيف به لعدة أيام،قتلك احدى ميزاتة لذا يصعب على أحد الوصول اليه لتغيره للاماكن كل فترة، صُدم مهاب مما استمع اليه، فود لو أنه أخطئ سماعه لذا عاد ليسأله من جديد:
_يعني أيه؟

أجابه كبير رجاله وهو يهاب القادم:

_زي ما فؤاد قالك يا باشا.. عدي الجارحي ميعرفش إن مصطفى خرج من السجن أساسًا، في شخص تاني بيحمي عدي ومانع اي أذى يطوله وهو نفسه اللي حازر مصطفى عنده وقتل رضا الحارس اللي زرعناه جوه بيت عدي الجارحي.
واستطرد حديثه بناء على ما جمعه من بيانات:

_التوقيت اللي مصطفى دخل فيه المستشفى عشان يخطف رحمة بنت عمه عدي مكنش موجود في المستشفى اللي كان موجود وقتها نفس الشخص اللي بسببه معرفناش ندخل المستشفى اللي انتقل فيها عدي ولا نعرف حاجة عن حالته

الصحية لحد اللحظة دي..

تجمع غضب الكون بأكمله بمقلتيه وبصراخ جنوني صاح:

ـيطلع مين ده؟؟!
أجابه وهو يتحاشى غضبه:
ـياسين الجارحي... أبوه!
أظلمت عينيه بهلاكٍ قاتل، فابتسم بسخرية وهو يردد بفحيحه الخبيث:
ـبسيطة.. نلاعب الأب وابنه!

الفصل السابع عشر

ضمة حنونة على أصابعها، قبلات متفرقة على جبينها، أنفاس دافئة لفحت جبتها، والمميز رائحة البرفنيوم الخاص به، استحضرتها حواسها إليه، فرددت بهمين ومازالت عينيها مغلقة:

_ياسين!

هلل إليها صوته الرجولي المحفور داخل ذهنها قبل أن يحتل غرف قلبها الاربعة، توثب إليها وهو يردد:

_حبيبتي!

فتحت عينيها بتعبٍ يبدو على انزعاج قسماتها، فوجدته قريبًا بمقعده منها، عاد ليلثم أصابع يدها المتعلقة بيده برقّة، وهو يعاتبها بألمٍ وضيق:

_ازاي متعرفنيش يا مليكة، أنا هتجنن وأنا بتخيل اني مكنتش جنبك في يوم زي ده!

منحته ابتسامة مشرقة، وبعدها نبرة يغوص بها عدم الانزعاج:

_عمر، كان جنبي.. أنا كويسة الحمد لله والبنت كمان بخير.

ضم وجهها بين يده وهو يقربها كليًا إليه، فتأوهت ألمًا حينما تحرك جسدها، أعاد رأسها للوسادة مجددًا وهو يشير لها بندم:

_مقصدتش أنا أسف!

عادت لتمنحه ابتسامتها الهادئة، فجلس ياسين لجوارها ثم جعل ذاته قاعدة صلبة لمرساها، فحملها اليه لتتكأ على صدره، حاوطها بذراعيه ومال على رقبتها وهو يخبرها بحزن:

_حتى لو عمر كان جنبك طول الوقت، ده ميمنعش اني لازم أكون موجود جنبك.

ابتسمت وهي تهمس له بمزح:

_نعوضها المرة الجاية.

ضحك وأخبرها وهو يستند لرأسها:

_معتقدش اني هتحمل أشوفك كده تاني... يحيى وملاك نعمة وفضل كبير من ربنا.

مالت برأسها اليه كليًا، وهي تردد بدهشة:

_ملاك!

ضمها لصدره وهو يجيب تساؤلاتها:

_قولتلك هختار اسم يقربني منك يا ملاكي!

تعلقت به بقوةٍ، فضمها ويده تعبت بخصلات شعرها المفرد، حانت منه نظرة جانبية

لمن يغفو على السرير المجاور لها محتضناً الصغيرة بين يديه، وكأنه يخشى أن يختطفها أحدٌ بعدم وجود أحدًا من العائلة، ورغبته الواهنة للنوم جعلته يستسلم بتعبٍ شديد، نهض ياسين ثم عاونها على التمدد بعدما رفع مستوى السرير للأعلى، فوضع وسادة من خلفها وجعلها تسترخي بجلستها، دنا من عمر فحاول سحب يده عن الصغيرة ليحملها بين ذراعيه، ولكنه فشل بتحريرها من بين ذراعه، فخشى أن يوقظه وهو يعلم كم غفى تعبًا لما بذله، لذا هبط على ساقه ليكون على نفس مستوى السرير، وتأمل صغيرته بعاطفة وسعادة كبيرة، فمرر يده على ذقنها الصغير وهو يردد بصوتٍ منخفض:
_ملاك وأنتِ ملاك تبارك الله.

طريقة سريعة وبعدها تحرر مقبض الباب ليظهر "ياسين الجارحي" من خلفه، بصحبة يحيى الذي انتهى من اجراءات المشفى، اندفع تجاه فراش ابنته، فانحنى وطبع قبلة على جبينها قائلاً:

_حمدلله على السلامة يا حبيبتى.

اتسعت ابتسامتها فرحًا وهي تردد بسعادة:

_الله يسلم حضرتك يا رب.

تراجع للخلف بينما دنى منها يحيى وهو يقدم باقة من الزهور البيضاء، وعاتبها بمشاكسة:
_كده يا مليكة مش تعرفينا نكون جنبك؟

التقطتها منه بامتنان، ثم قالت بحبور:

_جت صدفة والله لولا قابلت عمر بالتوقيت ده مكنتش عارفة هتصرف ازاى!

تلقائيًا انتقلت الاعين تجاه السرير الذي يحتله عمر بالصغيرة، فاسرع يحيى اليه وأشار لياسين:

_حبيب أشيلها.

ضحك وهو يخبره:

_مش عارف أسلكها من عمر.. تقريبًا بيقرأ كثير عن الاطفال اللي بتتسرق وبتتبدل من المستشفيات!

تحرك ياسين الجارحي تجاه عمر بنظرة عميقة أحاطتها الشفقة، فهزه برفق وهو يناديه:
_عمر.

مجرد سماعه لصوت أبيه نهض عن الفراش سريعًا وهو يجيبه بنومٍ يجاهد بإخفاء أثره عن عينيهِ:

_بابا.. عدي عامل أيه دلوقتي؟

وضع ياسين يده على كتفه الأيمن وهو يشير له بحزم:

_ارجع القصر كمل نومك.. ومتقلقش عدي خارج النهاردة.

كاد بالاعتراض فسحب العالق على لسانه حينما رأى نظراته الصارمة، جذب جاكيتته وأشار لياسين قبل أن يغادر:

_مبارك ما جالك.. تتربى في عزك ان شاء الله.

منحه ابتسامة هادئة وهو يجيبه:

_تسلم يا عمر.. حقيقي مش عارف أشكرك ازاي.

أشار له بابتسامة صغيرة، وغادر وهو يجاهد تمزق أضلاعه وصداع الرأس الذي لا يفارقه منذ الأمس، حمل ياسين الجارحي الطفلة ببسمة تسلفت اليه، قبلها على خديها ثم قال بمحبة:

_شبهك يا مليكة.

زمت شفتيها وهي تردد باستياء:

_كنت عايزها شبه حضرتك.

رفع احد حاجبيه بمكر، فقال وهو يضعها بين يدها:

_معتقدش.. ميولك الاكبر لياسين مش ليا.

احمر وجهها خجلًا، فابتسم ياسين وهو يتأملها بحب، استقام بوقفته فاضاء هاتفه برسالة جعلته ينسحب على الفور بضيق شديد..

كان عليه ادارة المقر بمفرده بعد غياب "عدي" و"ياسين" و"رائد"، فعاونه "جاسم"، و"معتز"، فرك "أحمد" رأسه بتعبٍ شديد، فحرر جرفاته باختناق يجاهده وهو يعمل بتخبط على عدد من الملفات، فبحث عن ريموت (التكيف) حتى يرفع من درجاته قليلًا، فاستمع لصوت اشارته وبالفعل علت درجاته دون أن يستعمله، التفت جانبًا فوجد "حازم" من قام برفعه، ثم اقترب من مكتبه ف جذب احد المقاعد وهو يشير لمن يتابعه:

_خليني اساعدك.. هراجع الحسابات وأنت راجع ورايا.

رفع أحمد حاجبه بشك:

_من أمته ده؟

ابتسم وهو يخبره:

_صعبت عليا وجاي أساعدك.. ثم إني ملزوم بواجبات تجاه أخويا الكبير!

منحه أحمد ابتسامة هادئة وراقبه وهو يراجع الحسابات بمهارةٍ واتقان، فعاون أحمد على انجاز عدد ضخم من الصفقات المؤجلة، ولج "جاسم" للداخل وعلى ما يبدو بأنه يحاول استيعاب ما يحدث بالداخل والسبب الذي أتى به لمكتب احمد مهرولاً، تغاضى عما يحدث مع حازم بتلك اللحظة ورفع الورقة أمام أحمد الذي تساءل بدهشة:

_ده أيه؟

قال بانبهار وذهول تام:
_أنت اللي المفروض تفهمني الفاكس ده وصلنا ازاى والصفقة اخدها مهاب أبو العزم!!
التقط احمد الفاكس منه بسعادة، وانتصار تلاًلاً على حدقتيه، فوضعه جانباً واسترخى
بجلسته وهو يرد على سؤاله:

_الرد المناسب على اللي عمله الكلب ده.. خطف مروج مكنش ينفع نعيده بالساهل، هو
كان فاكراً انه اخذ المناقصة ميعرفش اني عشت عمري كله بالسوق وعارفه أكثر منه، عدي
اداه الضربة الصح وأنا كملت عليه بتعديلات عرض رائد أظن ان الدرس اللي أخده
دلوقتي هيعلمه ازاى يتعامل مع شركات الجارحي كويس!
رمش بعينه عدة مرات وهو يحاول استيعاب ما يحدث هنا، فقال:
_يعني عايز تفهمني أن مهاب ده خسر المبلغ الكبير اللي دفعه مقدم للمناقصة!
هز رأسه بتأكيدٍ، فألقى جاسم الفاكس عن يده وانحنى فوق المكتب حتى لامس كتف
أحمد، فصاح بحمايس:
_دماغ معلم بصحيح.

تأوه أحمد من شدة الضربة، فانتصب جاسم بوقفته وهو يشير له بمزح:
_حقك عليا... بس أنت دماغك دي دهب والله العظيم.. اللي عملته مع مهاب هيسمع في
السوق كله لان العرض اللي اتقدم منك للشركة كان بإسم أحمد الجارحي.
غامت عينيه بشعلة من الغضب، فردد بشراسة:
_اللي خلاني اعمل كده يا جاسم لاني حسيت ان الكلب ده هو اللي ورا اللي حصل لعدي..
مش عارف ليه عندي احساس قوي انه حب ينتقم منه بعد اصراره انه يكمل في
المناقصة، أنا مهمنيش الخسارة اللي هتحملها في تقليل المبلغ اللي قدمته بالعرض
عشان اضمن انه أفضل من عرض شركة مهاب حتى لو هدفع الخسائر من حسابي
الخاص بس المهم ان الصفقتين مطلعوش بره شركات الجارحي.
قاطع حازم حديثهما حينما قال:

_انا كمان شكيت انه يكون ورا اللي حصل لعدي، بس لما فكرت كويس في كلام رائد
حسيت اني توهت، ليه عايز يتخلص من رائد طالما عدي اللي لابعه على تقيل!
رد أحمد بحيرة:

_مهو ده اللي أنا مش فاهمه.. بس الاكيد ان عمي عارف بكل الحوارات دي من الاول
عشان كده داخل عدي قصاد مهاب.. في شيء احنا منعرفهوش!
فتح معتر الباب وهو يجيبه ساخرًا:
_بمناسبة كلامك عن ياسين الجارحي فهو اول ما وصل من دقيقة طلبك لمكتبه حالاً..
وحالاً دي تقلق!

ابتلع حازم ريقه بصعوبةٍ بالغة، فتعلق بذراع اخيه وهو يشير له:
_بلاش تروح يا أحمد.. هتتعلق.
انفجر جاسم ضاحكًا، وردد بسخرية:
_خايفة على، أخوكي يا بيضة.
لكزه بعنفٍ وهو يتابع حديثه بمرح:

_بص يا أحمد انت صعبت عليا وأنا قررت اساعدك على هذا الاساس، لكن ياسين الجارحي
والحوارات اللي اكبر مني دي مقدرش انجذك منها.. روح شوفه عايزك ليه وأنا هستناك
هنا لحد ما ترجع.
وزع نظراته بينهما بسخطٍ، فتركهما وكان بطريقه لمكتب ياسين حينما دق هاتفه للمرة
الثالثة، رفع احمد الهاتف قائلاً:
_أيوه يا حبيبتي.
انكمشت تعابيره بدهشة:
_دلوقتي! لا صعب يا أسيل انا مشغول جدًا روعي انتي المدرسة وشوفي في أيه!
مرر يده على جبينه وهو يحاول حجر انفعالاته:
_يعني يا أسيل من غيري مش هتعرفي تحلي الموضوع.. أنا نفسي أحس انك يعتمد
عليكي مش عندي ثلاث أطفال.
جز على شفتيه من نبرته القاسية، وعاد لاتزانه مجددًا وهو يخبرها:
_دقايق وهكون عندك.
وأغلق الهاتف ثم اعاده لجيب سرواله البني، وتابع الصعود للأعلى حتى ولج لمكتب
ياسين الجارحي.

هاجمته عواصف رعدية جعلته مخيفًا وهو يعبث بسلاحه الأسود، ومع ذلك استجمع
الرجل شجاعته وهو يسترسل حديثه الغير مرغوب بسماعه بتلك اللحظة:
_الادارة باعتلنا فاكس الصبح ووقفوا تنفيذ العرض لصالح شركة تانية.
بشباتٍ قاتل قال ومازال يلهو بسلاحه فوق ذاك المقعد الذهبي:
_شركة مين؟
ازدرد الرجل ريقه الجاف بصعوبةٍ بالغة، وهو يصرح عن آخر اسمًا قد يود سماعه:
_الجارحي... أحمد الجارحي اللي قدم العرض.
رفع يده بكل سلاسة واطلق الزناد ليغزو رصاصة صدر من أمامه يحاول استعاب الصدمة
والألم الحاد الذي توغل لصدوره للتو، ارتعب من حوله وهم يراقبون مصير زميلهم لمجرد

نقله لهذا الخبر اللعين، نهض "مهذب" عن مقعده وهو يصرخ بعصبية فاقت الجنون:
_معتش ورايا غير عيلة الجارحي.

وعاد ليطلق نيرانه عليه من جديد، فاصابه مجددًا بكتفه الايسر حتى أغلق عينيه استسلامًا
للموت، فاستكمل صراخه المريض:
_بتكلمني عن خسارة الصفقة بكل برود... بروح أمك دول ٣٠ مليون دولار!!!
واستدار تجاه من يراقبه ليصيح بانفعال:
_كمال... انا عايز كل اللي يخص الواد ده حالا... لازم يدفع تمن الخسائر دي.
هز رأسه بخفة، ومن ثم قال بتردد:
_يا باشا العيلة دي مش سهلة، كل ما هتفكر تقف في وش واحد فيهم هتلاقي اللي
يأذيك ومش هتعرف الاذية جيا لك منين.
واسترسل حديثه حينما وجده يتابعه باهتمام:
_أول حاجة لازم تخلص من عدي لانه هو الشوكة اللي هتصيب ياسين الجارحي، صدقني
بعدها مس هتلاقي اللي يقفلك.
هز رأسه نافيًا وهو يتابع نسخة العقد الذي قدمه أحمد من أمامه:
_الواد ده باين عليه مش سهل، ولو قرر يضربني في شغلي مش هيكون عندي اللي
اتسند عليه عشان اكمل اللي في دماغي.. اعرفلي عنه كل حاجة.
استسلم لما يجوب برأسه وغادر لينفذ ما يريد... عساه بات على عتبة الخلاص من ذاك
العالم برحلة نهائية لا عودة منها.

بمكتب "ياسين الجارحي"

طرق أحمد مرتين متتاليتين، وحينما استمع لصوته الرخيم يأمره بالدخول، ولج للدخول
بخطوات مرتبكة، فوجده يجلس أمام الشرفة ويرتشف قهوته بثباتٍ قاتل، دنى منه أحمد
ثم تنحنج بتوتر:
_حضرتك طلبتني؟
رفع عينيه عن النافذة ثم تطلع له بنظرة ثاقبة، فألقى على الطاولة التي تفصل بينهما
نسخه من عقد الاتفاق وقال بصرامة:
_فهمني أيه ده؟

رمش بعينه بارتباكٍ وهو يراقب العقد، ثم قال:
_ده رد معتبر على الحيوان ده بعد اللي عمله، مهو أكيد مش هنسكت بعد اللي عمله مع
مروج وعدي... أنا واثق ان اللي حصل لعدي كان هو اللي وراه يا عمي.
نهض ياسين عن مقعده بغضبٍ، جعل أحمد يضع عينيه أرضًا بوقارٍ له، فتحررت كلماته

الحازمة:

_خليك برة الحوار ده يا أحمد ومتحاولش تتدخل بأي شكل من الأشكال.

رفع عينيه تجاهه ثم قال باستنكار:

_ازاي وهو كان هيقتل أخ من اخواتي! هو مش حضرتك علمتنا ندافع عن بعض ولو

وصلت للحرب هنعارب عشان واحد مننا ميمسوش مكروه!

اقترب منه ياسين ثم قال بهدوءٍ تحلى به بعد سماعه:

_الحرب دي لو أنا مش موجود فيها يا أحمد، أنا بنفسى اللي هحل الموضوع ده.

وأشار على العقد وهو يسترسل بنفس نبرته:

_أنا عارف انك ذكي وقد ثقتي فيك، وجودك انت وياسين بالمقر هو أساس كماله اللي

عملته انا ويحيى، بس بلاش تدخل شغلك في رهان هيجي عليك وعلى اللي يخصك..

الانسان ده مش سهل اللعب معاه يا أحمد أنا اللي فاهم دماغه وعارف هو بيفكر ازاى،

واللي عملته ده هيكون له ردة فعل أنا هكون جاهز ليها..

انتابه الشك أكثر بعد سماع ما قاله، فسأله بلهفة:

_هو أنا ليه حاسس ان حضرتك عارف حاجة خطيرة عن مهاب ده وسأكت.. فعلا اسلوبه

وطريقته مع عدي مش مفهومه!

وضع ياسين يده على ذراعيه ثم قال:

_متشغلش بالك بالموضوع ده.. انا عايزك تفوق للمقر لحد ما الدنيا ترجع زي الاول.

هز رأسه بتأكيدٍ، واستأذن بالانصراف للذهاب لمدرسة ليان ليعلم ماذا هناك، بعد رحيل

أحمد ولج يحيى للداخل وعلى ما يبدو بأنه كان يستمع للحوار المتبادل بينهما من البداية،

فاقترب منه ثم قال بملل:

_وبعدين يا ياسين حوار مهاب ابو العزم ده طول أوي ولازم يتحطله حد.

استدار تجاه النافذة من جديد، ثم وضع يده بجيب جاكيت بذلته الانيقة، ليحييه بضيق:

_عثمان قدر يعرف المكان اللي مستخبي فيه ولما اخذ الحرس وراحوا المكان مكنش له

وجود!

جلس يحيى على الاريدة الجانبية وهو يردد بتفكير:

_تفتكر أمجد السلاموني ده اللي بيحميه!

ضيق عينيه بغموض تام:

_بالعكس امجد السلاموني متداري ورا اسم مهاب أبو العزم والحياة الجديدة اللي هو

بناها وسط كبار رجال الاعمال.

واستطرد بغضب:

_اللي عمله أحمد الكلب ده مش هيعديه بالساهل، وخصوصًا وجود مصطفى عندي،

هيكونله رد فعل والاكيد ان القصر مبقاش أمان بالوقت الحالي، على الاقل البنات
وأولادهم يكونوا بمكان بعيد عن القصر.
سأله يحيى بدهشة:

_وهنعمل ده ازاي؟
مرر يده بين خصلات شعره البني الذي يكسوه اللون الأبيض بتناغم:
_ده اللي بفكر فيه!

رأته يقف أمامها برأس تشبه الأفعى، سمه الخبث يموج فكاد بأن يصل إليها، تراجعت
للخلف وهي تتوسل له بالا يزيد من قربه البغيض، ومع ذلك كان يتعمد الاقتراب منها،
البرودة تسلفت لأطرافها رويدًا رويدًا، حتى لسانها كأنه أصيب خلف حاجز من البرودة
جعلته يحجز عن الحديث، حررت صرخة كبنت داخلها رغمًا عنها، فتسللت لمسمع الغافل
جوارها، نهض "عدي" عن فراشه بصعوبة، ثم تحرك للسريير المجاور له، تفاجئ بتصلب
جسدها الغريب، فأمسك يدها وهو يناديها بفزع:

_رحمة فوووقي مالك؟
وعاد يناديها من جديد بصراخ تسلل اليها:
_رحمة!

فتحت عينيها الباكيتين على مصرعهما، وهي تبتعد عنه ظنًا من إنها مازالت محاصرة
بنفس الحلم اللعين، استعادت واعيتها الغائب وتمعنّت بمن أمامها، انهمرت دمعاتها وهي
تزحف تجاهه، فالقت ذاتها بين احضانه تبكي كالصغيرة التي تشكو مما رأته، فرددت
بانها:

_عدي!

ضمها اليه بذراعه الايسر وقد اعترته الشكوك لما يحدث لها، وبنسبة قليلة ظن بأنها
مازالت تخاف أن يحدث السوء اليه، حتى وان تراقصت ظنونه حول ما يحدث معها قبل
الحادث، فضمها اليه وهو يهددها بصوته الهادئ:
_متخافيش أنا جنبك... حاولي تستوعبي اننا عدينا المرحلة دي يا حبيبتي.. خلاص كل شيء
انتهى وانا هنا جانبك!

ابتعدت عنه وهي تجاهد لرسم ابتسامة صغيرة، فخشيت بأن يعلم بما تخفاه لذا أشارت
له وهي تتفحص ساعتها:

_هقوم اتوضى وأصلي الظهر قبل ما السواق يجي يرجعنا القصر.
اكتفى بإيماءة بسيطة لها، فتابعها حتى ولجت لحمام الغرفة بغموض!

وصل أحمد لمدرسة ابنته الخاصة في دقائق معدودة، فصف سيارته على طرف الطريق، ثم التقط الكيس الذي يحوي الحلوى والشوكولا، وهبط مسرعًا للداخل، قاصدًا غرفة المدير، طرق الباب مرتين متتاليتين وحينما استمع صوت يأذن له بالدخول، ولج للداخل وهو يبحث بعينه عن زوجته وابنته، فحانت منه نظرة جانبية لفتاة تبكي وتتعلق بيد والدتها التي تصيح بوجه آسيل بانفعال:

_حتى لو بنتي غلطت بنتك ملهاش الحق انها ترفع ايدها عليها!

احتضنت آسيل ليان ثم قالت مدافعة عما فعلته ابنتها:

_بنت حضرتك هي اللي استفزتها بالكلام ومش دي أول مرة تعملها، ليان سبق وحكتلي انها بتتعمد تناديه باسمها الكامل وتقولها ليكي أبين!!

واسترسلت حديثها بشراسةٍ واندفاع:

_المفروض تربى بنتك الاول ازاى تتكلم مع زميلاها قبل ما تقفي وتغلطي بنتي!

تدخل احمد على الفور، بعدما تسرب لمسمعه صورة مختصرة لما حدث هنا، فقال برزانة: _مفيش داعي للعصبية دي في وجود البنات، ممكن نحل الموضوع بطريقة أفضل من كده.

ارتحت تعابيرها المشدودة حينما وجدته لجوارها، فتركت له الساحة باطمئنان، أسرعت ليان تجاهه، فتعلقت بيده وهي تتابع بكاء زميلتها بنظراتٍ حزينة، تطلعت تجاهه الأم وتساءلت بهدوءٍ غريب لا يلامس حالتها التي كانت بها منذ قليل:

_حضرتك والدها؟

أجابها ويده تشدد على يد ليان الصغيرة:

_أيوه.

ثم اشار لهم وللمدير قائلًا:

_لو ممكن هاخذ بنتي بره شوية أعرف منها اللي حصل وبعد كده نحل الامور.

نهض المدير عن مكتبه وهو يشير للباب بصدر رحب:

_اتفضل حضرتك.. خد راحتك.

خرج بها أحمد، واختار الجلوس على الأريكة المزخرفة برسومات كرتونية مبهجة وسط ساحة المدرسة، جلست ليان جواره بصمت والضييق يتمكن من ملامحها الغاضبة، جذب احمد الحقيبة التي يحملها، ثم جذب قالب من الشوكولا وقربه منها، فحملته بابتسامةٍ واسعة، ضمها اليه وهو يخبرها:

_مش عايز أشوفك زعلانه تاني.

هزت رأسها بانصياح، فاستغل فرصته حينما قال:
_قوليلي أيه اللي حصل.. وفعلًا انتي رفعتي إيدك على البنت؟
عادت لتهمز رأسها حرجًا لما فعلته، لم يبعدها عن احضان حنانها، واسترسل حديثه بهدوء:
_مهما كان اللي قالته أو عملته مينفعش ترفعي ايدك عليها يا ليان.. حبييتي أنا عارف
انتني بتواجهي أيه بس عايزك قوية.. تقفي في وش أي حد وتجوابي على سؤالهم اللي
مش هتخلصي منه طول حياتك.

ورفع وجهها اليه وهو يستكمل:
_عرفيهم أن الأب هو اللي ربي وكبر وإنني باباك حتى لو اسمي مش ورا اسمك.
ازاح دمعاتها عن وجهها، وطبع قبلة على خدها الرقيق ثم قال بحزن:
_لو أنتي ضعيفة قدامهم محدش هيرحمك.. ودلوقتي عايزك تعتذري عن اللي عملتيه.
وناولها قطعة اخرى من الشوكولا ممائلة لما تحملها وهو يشير لها:
_اعطيها لزميلتك.

أزاحت دمعاتها عنها ثم نهضت وتعلقت بذراعيه فعادوا معًا للداخل، تفاجأت آسيل حينما
وجدت ابنتها تعتذر وتقدم الشوكولا للفتاة، التي بدورها اعتذرت لها هي الاخرى فضمت
كلا منهن الأخرى، لينتهى هذا الجدل سريعًا، شكرته والد الفتاة متعمدة ابداء اعجابها
بشخصه المتزن، فقالت باعجاب:
_أنا بشكر حضرتك انك اتفهمت الموقف وحلته بدون ما يكبر، حقيقي اتشرفت بمعرفتك يا
أستاذ احمد.

كبت أحمد ضحكة كادت بالانفلات منه وهو يراقب النيران تكاد تتقاذف من عين آسيل
التي تراقبها بغيظ، شكرها بعملية باحتة ثم استأذن المدير بالانصراف، رفضت آسيل
الصعود لسيارة أحمد، فسألها بتعجب:
_أنا غلطت في أيه دلوقتي!
ضحكت ليان ثم قالت بمكر:

_كنت عارفة إن مامي هتتضايق من طريققتها مع حضرتك بالكلام.
أشار لها بابتسامته المرحّة:
_سبينا نتناقش بالموضوع يا ليو.. اركبي انتي.
صعدت الصغيرة للسيارة بالمقعد الخلفي، فانفجرت آسيل بما خبئته بداخلها بغيظ:
_اتشرفت بمعرفتك يا استاذ أحمد.. كان ناقص تقولك هات رقمك عشان متبقاش آخر مرة
نتعرف فيها!

تقمص دور الحزين بامتياز، حينما قال:
_كده مش انتي اللي اتصلتي بيا وطلبتني أجي!

ذمت شفتيها بسخط:
_وياريتك مجت ضيعت حق البنت.
أوقفها بإشارته الجادة:
_الأتنين غلطين..ومكنش ينفع انك تتعصبي على البنت بالشكل ده!
ثم أشار للسيارة بضيق:
_اركبي نقعد في أي مكان ونتكلم.. هنا مينفعش.
واسترسل حديثه وهو يعبث بازرار هاتفه:
_انا هكلم حد يجي ياخد عربيتك ويرجعها القصر.
استسلمت لما قال، وصعدت جواره بالمقعد الامامي، فاتجه بهما لاحد المطاعم التي
تحبها ليان كثيرًا لوجود مكان خاص بالاطفال، يحوي الكثير من الألعاب الشيقة، فما ان
انتهت من تناول طعامها حتى اتجهت للحديقة تلهو أمام أعينهم، فاستغل أحمد بقائهما
بمفردهما، وقال بصوته الرخيم:
_آسيل.. أنت اتضايقتي من طريقة كلامي معاكي على الموبيل؟

التفت برأسها تجاه ليان متعمدة الاتجيبه، فاستدار جانبًا وهو يتفحص المكان من حوله،
ثم تسلل بيده ليدها التي تضم كوب العصير، تفاجأت به، فتطلعت تجاهه لتجده يمنحها
أجمل ابتسامة تعشقها، وهو يخبرها:
_حقك عليا كنت بايخ بصراحة.. بس لازم تعرفي ان ده بوادر الارتباك قبل دخولي لمكتب
ياسين الجارحي.

بررت سبب استيائها حينما قالت:
_لا مزعلتش.. أنا اللي مضايقني المواقف اللي بتمر بيها ليان.
قرب مقعده منها وحاول قدر المستطاع البقاء قريبها عليها تلامس صدق حديثه:
_اللي بتمر بيه مش سهل.. بس انا مش هتخلي عنها يا آسيل هكون جنبها دايمًا.
ابعدت كوب العصير عن يدها وهي تخبره بسخرية مؤلمة:
_لحد امته يا أحمد... هنكون جنبها ازاى بره البيت ولو دافعنا عنها مرة هنقدر الثانية!
الموضوع ده لازم يتحل انا مش مستعدة اشوف بنتي بالحالة دي.
واستطردت حديثها قائلة:

_انا أساسًا قدمت ورقها في مدرسة تانية وهتنقل ليها من أول الشهر الجديد.
قال باستنكار لحلها الذي تعتقد كونه مثالي لحالة ابنتها:
_وده الحل!

تعمقت بالتطلع لعينييه وهي تجاهد السيطرة على دمعاتها، ان نجحت بتخبئة الأمر عن زوجها كيف ستنجح بالصمود أمام صديق طفولتها الذي يعلم ما بها من قبل أن تخبره!، ضيق أحمد عينييه بدهشة وهو يتابع تلك التجمعات بعينيها الدامعة، فردد باستغراب: _اللي حصل ميستهلش كل ده!

تدفقت تلك الدمعة لتحرر معاناتها، فتساءل أحمد بقلق: _مالك يا آسيل؟

سحبت يدها عنه وابتعدت مقعدها وهي تدنو من الحديقة مرددة بفزع:

_ليان فين؟؟ ... فين ليان يا أحمد؟

نهض خلفها ثم جذبها لتكون قبالة:

_ليان بتلعب قدامك.. قوليلي بتخبي عني أيه وخايفة عيونك تفضحه!

رفعت عينيها تجاهه ثم قالت بصوت باكي:

_أأنا.. أنا.

وتركته واتجهت لحقيبتها ثم جذبت ملف وقدمته له، التقطته منها ثم فتح محتوياته

فصعق مما رآه، رفع الشهادة التي يحملها تجاهها ثم قال:

_ازاي قدرتي تعملي كده؟!

أجابته بصلابة مخادعة:

_قدرت... قدرت وانا مبفكرش غير في المعاناة اللي بنتي عايشاها.. أنا بنتي كل يوم

بترجع من مدرستها ودموعها في عينيها، أنا خلصتها من أكبر عذاب هتعيش فيه.

حظت عينييه في صدمة، فصاح بعصبية بالغة:

_وأنا مكنتش قادر اني اكتبها باسمي واعمل اللي عملتيه؟!

والقى الشهادة ارضًا وهو يصرخ بها:

_ده غلط وربنا محرمه ازاي ترتكبي ذنب كبير زي ده ومن ورايا بتخططي وتنفذي من ورايا

يا آسيل؟

وجذبها من معصمها وهو يسترسل:

_ويا ترى بقا دفعتي رشوة كم عشان تعملي كده!!

وزعت نظراتها بينه وبين الناس التي تجمعت من حولهم، حتى ليان اتت اليهما بسرعة، استعاد أحمد ثباته بصعوبة بالغة، فاتجه للطاولة ثم وضع مبلغ من المال واتجه للخارج سريعًا، جمعت آسيل الأوراق واسرعت من خلفه حتى صعدت للسيارة، لزم الصمت طوال الطريق، حتى هي خشيت الحديث أمام الصغيرة فتستمع لحديثهما، وما أن وصلوا للقصر

حتى ولجت من خلفه لغرفة المكتب الرئيسية، نزع عنه جرفاته ومن ثم خلع جاكيتيه

واستدار ليكون قبالتها، فاوقفها قبل ان تلفظ بحرفٍ وهو يشدد على كلماته:

_أي وسيلة هتحاولي تبرري بيها اللي حصل هتسقطك من نظري أكثر يا آسيل...
متحاوليش!

ترقرقت عينيها بالدموع وهي تشير له:

_على الاقل اسمعني يا أحمد.

_اسمع ايه! الموضوع ده مخلصش في يوم وليلة انتي مرتباله بقالك كتير أنا كنت فين
من حساباتك دي كلها!

قالها مشدوفاً وهو يحاول استيعاب ما فعلته، قطعت المسافة القصيرة بينهم، ثم
وضعت يدها على يده الموضوعة على المقعد من أمامه، وقالت بصوت متقطع من
البكاء:

_يا أحمد اسمعني أنا آ.

سحب يده منها، واستقام بوقفته وهو يخبرها بجفاء:

_اللي عملتيه ده مش مشكلة هتتداري فيا وهحميك، ده ذنب وعقابه كبير عند ربنا أنا ولا
أنتي نقدر نقف قصاده!
ببكاء رددت:

_واللي بيحصل مع بنتي ده أيه؟ حلال!

اعاد خصلاته المتمردة للخلف بعصبية بالغة:

_دي انساب يا آسيل ولما انا كنت حابب اعمل ده سمعت لشيخ من الأزهر واتراجعت..
انتني ليه مش قادرة تفهمي!
_في ايه يا ولاد صوتكم عالي وطالع لما لبره!

سؤال طرحه أدهم الذي أسرع اليهما بقلق من سماع صوت شجارهما الصاخب، وحينما لم
يستمتع لجواب واضح لسؤاله دنى منهما وهو يطرح سؤاله بشكل مباشر:
_في أيه يا أحمد؟

لم يعتاد أن يكون في واجهتها وضدها حتى تلك اللحظة يكاد يقتل ببطء على أن يشكو
مما فعلت لأبيها، لذا جذب جرفاته وجاكيتته وقال باحترام قبل أن يتوجه للخروج:
_أنا آسف يا عمي.. الموضوع عند آسيل لو هي حابة تتكلم ليها حرية الاختيار لكن أنا مش
هقدر اتكلم.. عن إذن حضرتك.

وكاد بتركهما فاوقفه ادهم قائلاً:

_لو مش حابب تتكلم يبقى على الاقل تستتنى وتسبني أشوف بنتي غلطت في أيه؟
أوما برأسه فاختر الجلوس على اريكة بنهاية الغرفة، اما ادهم فجلس على المقعد
القريب من ابنته، ثم أشار لها بالجلوس، جلست وهي تخفض عينيها أرضاً خشية من
مواجهة ابيها، فركت اصابعها بتوتر بالغ مما ستخبر به أباه، فقال بخوفٍ من حالتها الغير

مباشرة بالمرّة، خاصة وانه طوال تلك المدة كان بين الحين والآخر يتدخل بحل بعض المشاكل المتبادلة مع ابنه جاسم وزوجته داليا، ولكن لم يسبق له ولو لمرة التدخل بين ابنته وأحمد الزوج المثالي الذي كان يقدم لها حماية تطوف بها عن أهلها حتى وان كانت مخطئة كان يصر على المواجهة بينهما دون أن يتدخل طرف ثالث، والآن رغمًا عنهما قد ذاع عنها، وزعت نظراتها بينه تارة وبين ابنيها تارة أخرى، تمنّت لو تدخل أحمد للدفاع عنها مثلما كان يفعل دومًا ولكنه بقى صامئًا يتابعهما بسكون، ترقب ادهم ما ستقول فخرجت عن صمتها حينما قالت بتوتر:

— أنا غيرت شهادة ليان يا بابا.

انتابه غضبًا شديدًا وبدأ الامر مما فعلته، ولكن حالتها جعلته يسترخي ويتحكم بانفعالاته، فقال بثبات:

— مش هسالك ليه عملتي كده لاني عارف هتقولي أيه، بس قوليلي انتي راضية عن اللي عملتيه!

رفعت عينيها تجاهه وانفطرت بالبكاء وهي تجيبه:

— لو ده هيحميها من المشاكل وهيخليها سعيدة فانا راضية.. أنا عارفة ان ربنا رحيم وميقبلش الظلم.. مش هيهون عليه يشوف بنت صغيرة بتعاني.

بعقلانية اخبرها:

— ولنفترض ضمير ابوها صحي بيوم من الايام ورجع يطالب ببنته ساعتها هتعملي أيه؟ انتفضت عروقها بانفعال قاتل، ورددت بشراسة:

— محدش هياخد مني بنتي ولو على موتي... انا عملت كل ده عشان احميها منه ومن اللي عايز يعمله؟

صعق كلا منهما، فتساءل ادهم باستغراب:

— يعمل أيه؟

ابتلعت ريقها بتوتر قاتل، فنهض احمد عن الاريكة واقترب منهما وهو يتساءل بشك:

— أنتي مخبية ايه تاني يا آسيل... اتكلمي!

بكت بصوت مسموع وهي تحاول الحديث من وسط نوبة بكائها:

— من فترة بيوصلني رسائل تهديد منه انه هياخد ليان مني لو محولتوش كل أول شهر المبلغ اللي بيطلبه، ونبه عليا اني معرفش حد بالموضوع وفعلًا كنت بيعتله الفلوس بس الموضوع زاد عن حده بقى يظهرلي في كل مكان اروحه!

كانت صدمة لهما ولكن لاحمد النصبب الاوفر، فقال بغضبٍ جامح:

— يعني بتكلميه وبتبعتيه فلوس وزورتي شهادة ميلاد للبنت وكل ده وأنا فين من حساباتك!! كنت مستانية أيه عشان تقوليلي مستانية الكلب ده يخطف البنت ولا يطلب

شيء منك ألعن من الفلوس مهو شايفك سهلة معاه وبتلبيه كل طلباته!!
وضعت يدها على فمها تكبت شهقاتها صدمة مما استمعت اليه، فاستدارت لابيها الذي
قال بحزن:

_كلامه صح ومغلطش في حاجة، انتي غلطتك كبيرة ومفهاش عفو.. على الاقل عرفي
جوزك او حد فينا انتي مش عايشة لوحدك!
جذبها احمد من معصمها وهو يتساءل بشك:
_مين اللي ساعدك تعملي الشهادة، انتي متعرفيش تتصرفي ده لوحدك؟
قوليلي مين؟

_أنا اللي عملت كده.. لكن مكالماته ليها مكنتش اعرف عنها شيء.
صعق أحمد وادهم حينما ولج جاسم للداخل وهو يعترف بمساعدته لشقيقته التي لجأت
اليه، ولم يقوى على تحمل رؤيتها بتلك الحالة، فانصاع اليها وقدم كل مساعدته اليها،
منحته آسيل نظرة اعتذار لما جعلته يخوضه من موقف لا يحمد بالوقوف أمام ابيه وأحمد،
وخاصة حينما تقدم ادهم ليكون قبالة ابنه فردد بصدمة:
_أنت بدل ما تعقل أختك وترجعها عن الغلط ساعدتها تعمل كده؟ لو مكنتش عارف
تتصرف على الاقل كنت ترجعلي!!!
واسترسل بحدة:
_انا ممتش لسه!!
رد مسرعًا:

_بعد الشر على حضرتك.. بس أنا عملت اللي شوفته مناسب.. ليان وآسيل بيعانوا لحد
النهاردة انا كنت حابب اساعد مش أكثر.
تدخل احمد بالحديث حينما قال بضيق:
_تصرفك غير مبرر يا جاسم.. انت عاقل كفايا عشان تميز بين الصح والغلط.
وجذب الهاتف عن يدها وهو يردد:
_انا اللي هوقف ال** عند حده.
وغادر من أمامهم، ليترك مجال الحديث بينهم، تطلع ادهم اليه بصرامة اتبعت حديثه
الحاد:

_اللي عملته انت واختك غلط وحقيقي انا مش عارف أقول ايه لاحمد؟
ارتمت آسيل على صدره تبكي بانهيال وهي تردد:
_غصب عني والله يا بابا أنت متعرفش اللي أنا بحس بيه وانا شايفة ليان بالحالة دي!
ضمها ادهم اليه بحزن، فربت على ظهرها وهو يخبرها بحنان:
_ده ميمنعش انك غلطتي.. مش عارف أحمد هيجل المصيبة دي ازاي!

وأبعدها عنه وهو يشير لها:
_هنتكلم بعدين.. اطلعي ورا جوزك أهم.
هزت رأسها بتفهم، مسحت دموعها واسرعت خلفه للأعلى، لم يبقى سواهمت بالغرفة،
نظرات أبيه كان بها عتاب قاس، لذا تخلى جاسم عن صمته حينما قال باستسلام:
_ممكن اكون اللي عملته غلط بس حسيت انه هيريحها وآ..
قاطععه بحسم دون جدال بتلك النقطة:
_الحرام والحلال مفهوش حسيت بالراحة! ، وبعدين مسألتنش نفسك لو الواد ده قدم بلاغ
انه أبوها الحقيقي مصيرك ومصير اختك كان هيكون أيه؟
واستكمل بسخط:
_هيبه عيلتك ومكانتها مش فوق القانون يا جاسم.. انت بمساعدتك دي زودت الفجوة
بينها وبين جوزها.. والعلم لله هنتحل ازاى!

توقفت سيارة حازم قبالة الدرج الداخلي للقصر، فهبط معتز أولاً ثم عاون عدي على
الهبوط، وانضم اليه حازم يعاونه، صعد عدي بصحبته حتى وصل للمصعد ومن خلفه
آية ورحمة.

فتحت باب الغرفة، ثم بحثت عنه بعينيها فوجدته يجلس على المقعد الخارجي للتراس،
ولجت للداخل ثم وقفت تراقبه بعينين دامعتين، تخشى الاقتراب أو حتى مناقشته بما
فعلته، وإن كانت تعلم بخطائها، انحنت آسيل على قدميها، وحيث على ركبتيها حتى
وصلت إليه، حضنت ساقه وأراحت رأسها فوق قدمه، وقالت بإنكسار وصوتها الشاحب
يصف حالتها:

_أنا غلطت سامحنى يا أحمد.. صدقني كنت بموت من قلقي وخوفي لحظة ما تعرف
باللي عملته.. أول مرة أخبي عنك حاجة بس والله مكنت قادرة أواجهك.

أعاد رأسه للخلف باستسلام وردد:

_لأنك عارفة اني مش هوافقك!

رفعت وجهها الغارق بالدموع إليه لعل قلبه العاشق يرق لها، فجابها بنظرة قاسية ترأها
لاول مرة، فهمست بخفوت:

_أحمد!

نفث ذاك الهواء العالق بتثاقل على صدره، ومن ثم استقام بوقفته وهو يجذبها معه،
ابتسمت وهي تظنه سينهي هذا العذاب، ولكنها وجدته يبتعد حتى اتجه للخروج من
الغرفة، هرعت من خلفه فحالت بينه وبين باب الغرفة، قائلة بتصميم:

_مش هتخرج غير لما تسامحني أو على الأقل تدينني فرصة.

برق بعينه بقسوةٍ تابعت نبرته:

_فرصة!! انتي مش مستوعة حجم اللي عملتيه؟!

انهمرت دمعاتها فتماسكت قليلًا:

_أنت عمرك ما كنت بالقسوة دي يا أحمد.. أنا حبيتها أكثر من ابني، أنا خوفت انه لم ياخذ
الفلوس اللي هو عايزها ياخدها مني أنا مفكرتش بالحل ده غير عشان خوفت... خوفت
عليها أكثر لو انسان زي ده اخدها أيه اللي هيحصلها! محدش هيقدر يمنعه فكرت انت
المعانة اللي هي هتعشها ولا احنا هنقدر نتحمل ده ازاي!

واقتربت حتى مالت برأسها على منتصف صدره ويدها تشدد على يده المتهدلة
باستسلام، أفرغت وجعها مع بكائها الحارق، فرفع يده ببطءٍ وأحاطها بين ذراعيه، ابتسمت
وهي تزيد من تعلقها به وتهمس بصوتها الشاحب:

_آسفة..

ثم رفعت رأسها اليه تستشفيه عشقًا، تسحب عواطفه ومشاعره رويدًا رويدًا مع تلك
البتلات الرقيقة التي تزور رقبتة تارة ووجهه تارة أخرى، حتى وجد ذاته يسلم رايته، ويقود
هو تحت جناح عشقه الذي صمد ومازال يصمد أمام تلك العقبات!

بغرفة عدي.

ضحك من قلبه وهو يرى ما تقدمه له صغيرته، فحذرتة حينما ارتفع صوته قائلة بخوف:

_ياسين كده هيعرف يا بابي.

كبت ضحكاته بصعوبة وهو يتطلع للرسومات التي أخفاها ياسين وهو ببداية تعلمه
للرسم قبل أن يتقنه بمهارةٍ، وكلما تفحص رسمة جديدة ضحك مرة أخرى ثم قال:

_أعرف بس جبتي الرسومات دي ازاي؟

أشارت له بالاقتراب قليلًا فهمست اليه قائلة:

_سرقتها!

جحظت عينيه متعمدًا ابداء الصدمة على معالمة:

_لا مينفعش يا رحمة تعملي كده.. رجعيها فورًا واحترمي خصوصيات أخوكي!
هزت رأسها وهي تحمل اللوحات وتسرع للغرفة الملحقة بغرفته، ثم عادت وهي تشير له
بمرح:

_بريء يا باشا.

تعالت ضحكاته وهو يتابع تلك التي تراقبهما بغیظٍ، فقالت ساخرة:

_أنت من ساعة ما رجعت من المستشفى وانت مش شايف غيرها.. على فكرة هي واخدة

اسمي بس مش مكانتي صح ولا أيه؟
ابتسم وهو يشير لها:
_محدث يقدر يأخذ مكانتك يا روعي!
منحته ابتسامة هادئة ثم ارتدت حجابها، فسألها بدهشة:
_راحه فين!
قالت وهي تعقد الحجاب من خلفها جيدًا:
_ملیكة رجعت من المستشفى، هشوفها وبالمرة هعدي على نور كانت تعبانة الصبح.
ضيق عينيه بذهول:
_ملیكة بالمستشفى لیه؟!
انتبهت لعدم معرفته بما يحدث، فسبقتها ابتنتها بالحديث:
_طنط ملیكة جابت ملاك.
تساءل بلهفة:
_هی ملیكة ولدت؟
هزت رأسها بتأكيد، ف جذب كم قميصه ثم حاول ارتدائه وهو ينهض عن فراشه:
_ازاي محدش يقولي.
اسرعت تجاهه فحاوطته وهي تشير له بخوف:
_مینفعش تتحرك يا عدي.. خليك مرتاح هی أكید مقدرة حالتك.
قال وهو يجاهد شعوره بالألم:
_هی بتاني دولة.. جناحها جنبي.

ثم انتصب بوقفته وهو يشير لها بالابتعاد لحاجته بالاعتماد على ذاته، ارتسمت السعادة على وجهها وهي تراه يمضي خطواته بمفرده، تهللت تعابيرها وهي تلحق به حتى وصل لجناح ملیكة.

اتجه حازم لغرفته، ليبدل ملابسه بعد قضاء يومًا كان مهلك للغاية، اندهش حينما وجد غرفته تسودها الظلام الحالك، أضاء انوار الغرفة، فتفاجئ بنسرين تغفو على الفراش ويبدو عليها الارهاق، اسرع تجاهها، فحركها وهو يناديها بقلق:
_نسرين انتي كويسة؟
أجابته ومازالت عينيها مغلقة:
_تعبانة شوية يا حازم.. سبني انام.
انقبض قلبه وهو يراقبها بلهفة:
_طب قومي البسي نروح لدكتور.. لتكوني بتولدي انتي كمان!

جذبت الغطاء على جسدها وهي تخبره بنوم:

_لا لسه بدري.. سبني اريح بس مش قادرة.

أغلق الضوء وهو يشير لها:

_نامي بس لو حسيتي بحاجة ناديلي.

أومأت برأسها فتركها وابدل ثيابه، وبين الحين والآخر كان يراقبها، منح الغرفة بعض السكينة حتى لا يزعجها شيئاً، فاتاه الازعاج يرنو على حافة من الأذى حينما ولج خالد للداخل بدراجته التي تصدر صوتاً مزعج، أسرع حازم اليه فحمله بالدراجة خارج الغرفة وهو يشير له بتحذير:

_متدخلش جوه تاني.. ماما نايمه تعبانه مش عايزين نعملها دوشة.

ضحك الصغير بمكر وهو يفكر جاهداً كيف يستغل ذاك الامر، فقال بخبث:

_على شرط تنزل تلعب معايا بالجنيينة!

لوى فمه بتقزز، ومع ذلك انصاع اليه حينما حمله من تلخف بملابسه وبيده الاخرى جذب الدراجة.

حمل عدي الصغيرة بين يده بسعادةٍ شعر بها فور حملها، فطبع قبلة على جبينها وناولها لمليكة قائلاً:

_ربنا يباركلك فيها حبييتي.

ادمعت عينها وهي تتفحص ذراعه المصاب بتأثر، فقالت بصوت واهن:

_كنت هموت من القلق عليك.. أنا كان نفسي اطلع اشوفك بس مقدرتش من الوجد حقك عليا.

نهض عن مقعده، وجلس جوارها للفراش، وضمها اليه فتعلقت به، ربت عليها وهو يخبرها بدفءٍ نبرته:

_أنا كويس يا حبييتي.. شيدي حيلك انتي أنا تمام.

قاطعه صوت قادم من الخلف:

_خيانة لسه أنا.

تعالى ضحكات الفتيات التي تحيط بسرير مليكة حينما اندفع تجاههم عمر، بعدما قدم صغيرته حلاً لشروق التي حملتها عنه، مال بجسده على ذراع عدي المصاب فتأوه الما وهو يدفعه للخلف:

_ايدي يا عمر.. انت مش طبيعي!

ضحك وهو يضمه مرددا بحماس:

_اتعصبت! مرحب برجوعك يا وحش.

ضحك ياسين وهو يتابعهما ثم قال:
_ ناقص بس تشتم وهيبقى حمدلله على السلامة بالجامد كمان..
استند عدي على ذراع عمر، فاتبعهما ياسين وهو يتساءل:
_ على فين؟
رد عليه عدي وهو يجاهد لفرد ذراعه:
_ هنزل الحديقة شوية اتخنقت من السرير.
اشار له ببسمة واسعة:
_ يلا الشباب كلهم تحت اساسًا.
فتح ياسين باب الغرفة، فوجد نور امامه تحمل صغيرها، ابتسمت حينما وجدت عدي يقف
قبالتها، فقالت:
_ حمدلله على سلامتك يا عدي.. نورت بيتك.
منحها ابتسامة صافية، فرفع الغطاء عن وجه الصغير وهو يتأمل به فرحة، انتهت بقوله:
_ ما شاء الله.. ربنا يحميه ويباركلكم فيه.
اشارت له بعنجهية:
_ سميته عدي عشان يطلع جان وكارزما كده زيك.
ضحك وهو يعيد الغطاء على جسد الصغير مجدداً:
_ هيبقى احسن مني.
تركته ودلفت للداخل، لتجتمع الفتيات احتفالاً بمليكة...
أما بالاسفل.

قام معتز وجاسم بفرد سجادة ضخمة بأرضية الحديقة، واجتمع الشباب باكملهم، منهم
من يتمدد أرضاً ومن من يعبث بهاتفه، انتبهوا جميعاً لعدي الذي يستند على ياسين،
فعاوناه أحمد حتى تمدد جوارهم أرضاً، انزعج الجميع من صراخ حازم وهو يركض خلف
درجة ابنه ويطالبه بالتوقف قبل السقوط بالمسيح، جذب رائد قدم معتز ثم استكان برأسه
عليه واغلق عينيه استسلاماً للنوم، فحاطوه الاخير بذراعه ثم قال بمشاكسة:
_ مش عارفة تخشي الجناح وهي مش فيه يا حلوة... نامي يا ضنايا عشان تحرمي بعد كده
تتعصبي على خلق الله!
فتح عينيه ومنحه نظرة ساخطة، فنهض عن قدميه، جذبه جاسم ليعفو على قدمه وهو
يشير له بسخرية:
_ نام نام فكك منه... قال انت حرمت يا رائد وشعرت بالندم ولا أیه دنيتك؟
لكمه رائد بقوة اطاحت به أرضاً، فانفجر ضاحكاً وهو يخبره:
_ وانا مالي يا عم ياسين الجارحي اللي نفاها من القصر!

تساءل عدي بجدية:

_ده بجد؟

اجابه عمر بتسلية وهو يلتهم حبات العنب الاحمر:

_فاتك حاجات كتيرة يا وحش.

ضحك أحمد وهو يجذب طبق الفاكهة بعيدًا عنه:

_كفايا عليك تعب المستشفيات سبلي انا الحلو يا حلوا!

وتطلع تجاه عدي وهو يخبره بمرح:

_كنت عايزك في سبقة يا وحش.. نستغل انك كنت ظابط وليك معارفك حابب اعلم على

واد ابن***

تعالت ضحكاته الرجولية وهو بشير له بيده:

_عيوني هيتروق بس مين المحظوظ ده؟

أشار له وهو يلتهم حبات العنب الذي يحاول عمر جاهدًا الحصول عليه:

_هوفيك بالتفاصيل فيما بعد.. حاليًا مش فاضي!

دنت منهم مريم، فأشارت لهم بالجيتار الذي تحمله:

_تحبوا تسمعوا آخر تدريباتي!

اشار لها ياسين بالجلوس:

_طبعًا طبعًا يا أنسة مريم..اتفضلي.

خلعت حذائها وتسلفت عنهم جميعًا لتختار الجلوس جوار عمر وعدي الذي استقبلته بقبلة

على خديه.. فهمس معترز لرائد ساخطًا:

_هموت واعرف العيال بيحبوه ازاي ومش بيخافوا منه!

منحه نظرة محتقنة بالغضب، فجذب كوب العصير ثم ارتشفه بتلذذٍ، بدأت مريم بالعزف

على الجيتار، وكلًا يميل بسماعها، تمتلك حقًا الموهبة باطراء تلك الاجواء الحماسية..

بالاعلى..

راقبت القتليات ما يحدث بالاسفل، وكلا منهن تحاول تهدئة صغيرها، فدنت نور منهن ثم

وزعت نظراتها المغتظة بين الشباب والفتيات البائسات، فقالت بغضب:

_يعني هما يقعدوا تحت يسمعوا العزف واحنا هنا بنلحن قصاد العيال!

سألتهآ آسيل بدهشة:

_يعني هنعمل ايه يا نور؟

قالت بابتسامة شيطانية:

_انا هقولك نعمل ايه؟

ونادت بصوت صاخب:
_يا عمرا!
انتبه الشباب جميعًا لصوت نور، فتفاجئوا بزوجاتهن يراقبن ما يحدث بالاسفل، نهض عمر
ثم ارتدى حذائه وأسرع ليقف اسفل شرفة مليكة، ليسألها بدهشة:
_في أيه؟
_قالت بغضب:
_اطلع خد بنتك.. انت سايب البت والواد عليا وقاعد تحت تسمع موسيقى، خدها يا حبيبي
تتمزك معاك.
صك على اسنانه وهو يخبرها:
_اخدها فين!
_رفعت الصغيرة بتهديد:
_هتخذها ولا احدفلك انا لسه قايمة من ولادة وخلي اد خرم الابرة!
اشار لها بصدمة:
_هي الهرمونات منصرفتش خلاص خلاص طالع.
وبالفعل صعد وحمل عنها الصغيرة، فولجت للغرفة ثم جلست على المقعد واضعة قدمًا
فوق الاخرى بتعالي وغرور:
_شوفتوا!
هزوا رؤوسهم، وبدأت أسيل بتنفيذ مخططها حينما نادت ليان ثم ناولتها الصغير وهي
تشير لها:
_خدي اويس لبابي واقعدي معاه تحت في الهوا شوية..
بينما وضعت داليا تولين ليحيى ابن مليكة واخبرته بحملها لوالدها، راقبتهم رحمة بغضب
فاشارت لابنتها التي تلهو بهاتفها ثم قالت بصرامة مصطنعة:
_انتني كمان سيبي موبيلي وانزلي الحفلة مع باباكي..

بالاسفل..
امتلات الجلسة المريحة بالاولاد، فالقى حازم كل ما تتلقفه يده وهو يشير لهم:
_مش تبعي دي.. انا تايب من زمان..
واخرهما وضعها بيد معتز وهو يشير له:
_تبعتك العينة دي يا ميزو.
ردد جاسم بتقزز:
_الواد مازن خدها من الاخر وخد مراته وعياله وخرجوا ينفسحوا قال مشفوش البلد من

قرن!

سئم حازم من مناولة الاولاد فصاح بغضب للشرفة التي تضم الفتيات:
_ انتوا يا عالم ياللي بتحدفوا العيال من فووق... اتلموا بقا مفيش مكان تحت هنا الله!
تحركت رحمة تجاه ابيها، فضمها اليه ثم حاوطها بالشال الصوف ليمنحها دفء من
البرودة، بينما حمل احمد الصغير الباكي وهو يحاول تهدئته فعاونته ليان حينما مسكت
لعبة صغيرة وحركتها من امامه، فربت على ظهرها ببسمة هادئة، اما معتز فدفع صغيرته
يارا عنه وهي تحاول اصابة وجهه بالخدوش، اما عمر فاخذ جوار المسبح ذهابًا وايابًا عل
صغيرته تغفو، اشار رائد لمريم بمتابعة العزف، فابتسمت واكملت براحه، تمدد ياسين
ارضا باسترخاء وهو يكبت ضحكاته لما يراه، فنجده يحيى حينما صعد للجلوس مع ابن
عدي، مرت ساعة كاملة عليهم فاشار عدي لعمر بحمل رحمة التي غفت على ذراعه،
تطلع له بدهشة ثم قال:

_ بقى انا رايج جاي من الفجر عشان البت تنام وانت تشيل رحمة يجيلها تخدير لا ارادي!
واشار له:

_ طب ثواني..

وحمل رحمة ثم قدم له حلا وهو يشير له ببسمة مصطنعة:
_ الله يعينك يا وحش.. سلام.

اهتدت نظراته الحانقة فور رؤيته لابتسامة الصغيرة، قبل اصابعها وصوت ضحكاتها ترتفع
فتجعل من حولها يضحك على صوتها اللطيف، وضع عدي وسادة ثم تمدد عليها ووضع
حلا بين ذراعه فاستجابت لنويم عميق، ومن جوار غفى احمد وابنه وابنته بين ذراعيه، بينما
مازال معتز يبذل مجهودًا للسيطرة على ابنته وحينما فشل نادى يحيى وطالبه بالعودة
بالصغيرة للاعلى، اما حازم فنال عدد من الضربات مع جاسم الذي يحاول تهدئة الصغيرة
حتى غفوا معًا تاركين الصغيرة تلهو بمفردها...

عاد ياسين الجارحي للقصر بصحبة يحيى وعز بعد الانتهاء من عشاء العمل مع احد رجال
الاعمال، فتفاجئوا بما يحدث بحديقة القصر، ردد يحيى بصدمة:

_ هما حولوا الحديقة لملجئ ولا أيه؟

هز عز راسه نافيًا وهو يؤكد له:

_ دول مطرودين باين!

الفصل الثامن عشر

وضع ساقًا فوق الأخرى، وهو يتفحص الصور الموضوعة من أمامه ببسمة يسكن الشر بخلاياها، وكأن حياته باتت سوادوية لا يملأها نقطة من لون الصفاء، تفحص ما بيده بنظرةٍ ساخطة، فرفع بصره لمن يتابع ردة فعله، ثم قال:
_ ده اللي قدرت أوصل ليه، أحمد الجارحي فمفيش له أي شيء يدينه أو نلوي بيه دراعه.
لقى الظرف على الطاولةِ المقابلة له وهو يشير له ببسمةٍ مأكرة:
_ يمكن ده ميفدناش بحاجة بس على الأقل هيتوجع..
واسترسل حديثه بأمر خبيث:

_الظرف ده يكون على مكتبه بكره الصبح.
أوما برأسه وهو يجمع الصور بالظرف من جديد، وأغلقه ثم جذب القلم الموضوع جانبًا،
ليدون عليه بخطٍ عريض "إلى أحمد الجارحي".

كاد "عز" بالاقتراب منهم لمحاولةٍ إيقاظ أي منهم، فأوقفه "ياسين" بإشارته وهو يخبره:
_متقلقش حد فيهم.
والتفت تجاه حارسه ليشير له بإشارة أصبح يترجمها بامتياز:
_عثمان.

اتصرف من أمامهم، وعاد بعد دقائق معدودة بعدد من الأغطية، فوقف بينهما، تبادل
"عز" و"يحيى" النظرات الحائرة، وقد باء رحيل "ياسين" بمهامهما، فجذب "عز" و"يحيى"
أحد الاغطية وشرعوا بفرده بحرصٍ على الشباب، ضحك "يحيى" وهو يحاول فرد الغطاء
على ياسين الذي يبعده عنه بقدميه مثلما كان يفعل وهو صغير، فهمس بسخرية:
_كبرت ومكبرتش!

فجذب الغطاء وداثر حفيده جيدًا، ثم استقام بوقفته ليتجه للقصر، فتفاجئ بعز يتمدد
لجوارهم، سأله بدهشة:
_بتعمل أيه؟

أجابه وهو يخلع جاكيت بذلته ويلقيه أرضًا:
_التغير حلو والعيال دي بتفهم.. أنا عمري ما جربت نومة غريبة بالشكل ده ومش هسيب
في نفسي حاجة.

وداثر ذاته بالغطاء، فانحنى يحيى وجذب جاكيتته الملقي أرضًا، فحمله وهو يخبره
باستهزاء:

_هيبة البدلة راحت في الأرض!
وتركه يغفو جوارهم ثم اتجه للقصر الداخلي..

توقف المصعد للطابق المنشود، فخرج متجهًا لجناحه الخاص، كاد "ياسين" بتحرير
مقبض بابه، إلى ان استمع لصوت هامس يناديه:
_عمي!

استدار تجاه الدرج الضخم، فوجد احدى بناته تناديه من الطابق العلوي، اتجه للدرج
وصعد درجاته وهو يتساءل باستغراب:
_رحمة! أيه اللي مسهرك لحد دلوقتي.. الوقت إتاخر جدًا!
عبثت بأصابعها بارتباكٍ يحتل قسماتها الشاحبة، فاستكمل الدرج صعودًا وهو يعود
لسؤالها من جديدٍ بقلق:
_في أيه؟

رفعت عينيها تجاهه، وهي تجاهد بطرح سؤالها الذي يقلق منامتها إلى الآن:
_أنا ينفع أسأل حضرتك سؤال محيرني.

نظراته الدافئة جعلتها تسترسل بدمع لمع بحدقتها:
_هو مصطفى ورا اللي حصل لعدي؟

قطع طريقها الذي يقبض روحها، حينما قال بثبات:
_سبق ووعدتك يا رحمة انه مش هيكون له ظهور لا في حياتك ولا في حياة ابني.
تدفقت دمعاتها وبكاءٍ قالت:
_أمال ليه حصل معاه كده.

واستطردت بخفوت:

_اللي حصل معاه مكنش حادث عادي هو نفسه شاكك في كده.

سُلطت نظراته الجادة عليها، فسألها باهتمام:

_هو قالك كده.

أشارت له بالنفي، فبدى خوفها وتلعثم نبرتها بأنها تخفي شيئًا، اجلت ريقها وهي تخبره:
_امبارح سمعته في المستشفى كان بيتكلم مع شخص ويطلب منه يحقق في الموضوع
ويعرف مين اللي ورا الحادثة وأكدله انها محاولة قتل مش حادثة عادية.

ما خشاه يحدث رغمًا عنه الآن، كل خططه المحكمة لم تجدي نفعًا مع ابنه الشرس الذي لا
ينفك يريح عقله، ومع ذلك لم يستسلم أبدًا في تلك الحرب التي ستكون خسائرها روحه
وقلبه وكل شيء يمتلكه، لذا استعاد اتزانه وهو يباغتها بسؤاله:

_مين الشخص ده؟

عصرت رأسها لتتذكر ماذا ناداه، وبعد صمت دام لدقيقة قالت:
_اعتقد انه كان بيقوله جوكر!

ردد بهمس:

_مراد زيدان!

عادت بسمة الثقة تحتل ثغره، فأشار لها بهدوء:
_اطلعي كملي نومك يا رحمة ومتقلقيش وأنا موجود.
التفت ليغادر، فاوقفته حينما نادته من جديد:

_عمي.

استدار اليها مجددًا فوجدها الخوف يبتلعها بجوفه البارد، فقالت بتلعثم:
_أنا حاسة ان حضرتك بتخبي عني حاجة كبيرة، الموضوع مش بس مصطفى ابن عمي...
ارجوك صارحني أنا تعبت من التفكير.

التفت بجسده اليها، ثم دنى من الشرفة الزجاجية التي تفصل كلا الطوابق، واضع يديه
بجيوب بنطاله الأسود، وعينيه تتابع الحديقة بنظرة أحاطت عدي الذي يغفو حاضيًا ابنة
أخيه بحنان، ظل هكذا لدقائق كانت تقتل رحمة رويدًا رويدًا وهي تترقب سماع أي جملة
تريح توترها، ليقطع هذا الصمت صوته الرخيم:

_كل واحد من أولادي له طباعه اللي بتميزه عن الثاني، وبالرغم من ان عدي أعند واحد
فيهم الا إن قلبه صافي، أوقات بشوف في عيونكم كلكم اسئلة ملهاش آخر عن طريقة
معاملتي الغريبة ليه مع انه أول فرحتي، محدش هيقدر يفهمه أدى.

واستدار اليها ليسترسل:

_ابني لو عرف ان حياته في خطر وشخص بيحاول يتخلص منه هيروحله برجله وهيواجهه،
وده اللي الثاني عايزه.. عايزه يروحله برجله عشان يعرف ينتقم منه صح.. عشان كده انا
بحط قداه الف عائق مش عايزه ياخذ الخطوة دي.

واستكمل حديثه وهو يخبرها:

_أظن كده انتي اخدتي جواب صريح على سؤالك يا رحمة.. مصطفى وراه شخص شبيه
بالشيطان.. وأنا بحاول بشتى الطرق أوصله.. في اللحظة اللي عدي هيعرف فيها الكلام
ده هتكون نفسها لحظة انتصار ال*** ده.. وأنتي شايفة الحالة اللي هو فيها لسه

متعافاش من اصاباته وهيصمم يخوض حرب أكبر منه!

جحظت عينيها في صدمة، تحاول المحاربة لاستيعاب ما يخبرها به، وخاصة حينما قال:
_زي ما شتت عقله عن كل اللي بيحصل حوله قبل كده هعمل كده تاني وتالت، وأنتي
لازم تساعدينني يا رحمة.

هزت رأسها بأكثر من إشارة تؤكد له ذلك، وفجأة تسلل لمسمعه صوت شهقات باكية
تصدر من خلفه، بات يعلم مصدرها قبل أن يستدير، ليجدها تقف أمامه، فحينما كاد يفتح
باب غرفته شعرت به، وتعجبت حينما لم تجده بالداخل، فارتدت اسدالها وخرجت تبحث

عنها، فوجدته يقف أعلى الدرج بصحبة رحمة، صعدت "آية" الدرج لتستمع لحوارهما دون قصدًا منها، أسبلت بعينيها بصدمة، فصعدت ما تبقى من الدرج حتى باتت قبالتها، فرددت بصوتها المتقطع:

_مين اللي عايز يأذي ابني يا ياسين؟

اتجه اليها ثم حاوطها بذراعه وهو يحسها على الهبوط معه، حتى ولجوا معًا لغرفتهما، فعاونها على الجلوس لجواره، انهمرت تلك الدامعات اللامعة بحدقتها، وخاصة حينما قبل جبهتها وهمس لها:

_صدقيني مش هسمح لحد يمس شعرة واحدة من أولادنا... أنا افديهم بروحي يا آية.
بكت بصراخ جنوني:

_بتوعدني بأيه يا ياسين.. أنا بخاف عليك زيهم وأكثر!

ضمها إليه فتشبثت به بقوة، وهي تردد بانهار:

_عدي كل ما بيمر باختبار بيلاقى الأصعب منه... فوضت أمري ليك يا رب.

غمرها بين ذراعيه حتى استكانت تمامًا، ثم قال بحبي:

_ابنك بخير وقدام عنيك.. صدقيني مش هيحصل حاجة.

رفعت عينيها الباكية إليه، قائلة بحزن:

_أنا مش هقدر اتحمل حاجة تحصله ثاني يا ياسين.

مرر يده على خصلات شعرها القصير، وهو يخبرها بصوته الرجولي العميق:

_مفيش حاجة هتحصل يا حبيبتي.. أوعدك.

بالأسفل.

فتح عينيه بنومٍ، وأبعد عنه الغطاء ثم أعاده على أخيه، اتكأ بمعصمه حتى استقام بوقفته الغير متزنة، وقبل أن يتحرك عن محله استمع لصوت أخيه الناعس:

_رايح فين؟

التفت حازم تجاهه ثم انحنى وهو يهمس له وكأن الأخير سينتبه لنصائحه بالساعة الثالثة فجراً:

_طالع أشوف نسرين كانت تعبانه، خليني أقولك نصيحة نام هنا وفكك من نكد الحريم..

والمهم من كل ده خلي بالك من الواد لما أرجعك ده إن رجعت.

أغلق أحمد عينيه ثم جذب الغطاء وانقلب بجسده ليوليه ظهره، بعدم اكتراث لما يقوله،

فhez حازم رأسه وهو يردد بسخط:

_مفهوم.

وتركه يغفو ثم صعد للأعلى، أضاء ضوءًا خافتًا حتى لا يزعجها، اقترب من الفراش وهو يتأملها بنظرة متفحصة، فوجد وجعها مجعد من فرط شعورها بالالام، انكمشها على ذاتها جعله يعلم ماذا يصيبها بالتحديد، وخاصة حينما رأى قدمها متورمة، اتجه للسراحة ثم جذب

الكريم الطبي، واقترب منها ثم فرك أصابع قدمها بلطفٍ بالكريم الطبي، ارتخت معالمها لشعورها بالراحة، وخاصة حينما حملها ووضع الوسادة المطولة حول خصرها، فتحت "نسرين" عينيها بتعبٍ فوجدته يجلس أسفل قدميها، ويده تدلكها برفق، سحبت "نسرين" ساقها إليها وهي تردد بحرج:

_حازم! بتعمل أيه؟

فرد ساقها إليه مجددًا، ثم وضع القليل من الكريم الطبي، ليعود لفركما من جديد، أمسكت يده ومنعته مما يفعله وهي تشير له على استحياء:

_بقيت أحسن.. خلاص.

منحها ابتسامة وهو يغمز لها بمشاكسة:

_متأكدة انك بقيتي كويسة.. الواد وزعته تحت مع احمد.

لكزته بضيق، فاحتضن صدره وهو يتأوه مرددًا بمزح أضحكها:

_طول عمرك دبش ملكيش في الرومانسية المتدكنة!

عاد ليجذب قدمها مجددًا، فقالت بضيق:

_أنا مش حابه انك تلمس رجلي..أنا هدهن لنفسي.

تطلع لها بنظرةٍ حنونة اتبعها قوله المرح:

_وأنتي وصلتي للحالة دي بسبب مين.. أنا تقريبًا حفظت كلامك اللي بتقوله كل حمل...

واتقبلت اني السبب ورا اللي البشمههندس عامله فيكي ده فعلي الاقل خليني أريحك

على قد ما أقدر..

وعاد ليكرر فعلته فارخت جسدها براحة وامتنان له، ساد الصمت لدقائق قبل ان يحطمه بمشاكسته:

_نسرين.

_أمم..

_تفتكري الواد ده هيجي شبهي ولا شبه ابنك البلطجي؟

_وهو ابني البلطجي طالع لمين يا حازم؟

بدهشةٍ تساءل:

_بجد! لا يا شيخه فكرته طالعك وأنتي صغيرة عشان كده تقبلتي الوضع وعملتيا تاني

يمكن تصيب المرادي والواد يجي شبهي!

جزت على اسنانها وهي تشير له قبل أن تنفلت أعصابها:

_انزل كمل نوم جنب أخوك يا حازم.

اقترب منها وهو يخبرها بمكر:

_بقي بعد كل ده تتخلي عني وتطرديني، دي آخرتها يا نسرين؟

اعتدلت بجلستها أمامه وهي تخبره من بين اصطكاك اسنانها:

_اللي في دماغك مش هيجصل!

غمز لها بخبثٍ ومازال يقترب منها وتزحف هي للخلف:
_ هو أيه اللي في دماغي؟

دفعته بقوةٍ وهي تصرخ بغضب:
_ حازم الله!

كادت بالسقوط للخلف عن الفراش، فأمسك خصرها بين يديه وقربها إليه، تعلقت عينيها به وهو يبادلها تلك النظرات العاشقة، التي تسلفت لشفتيها المرتعشة تأثيرًا لقربه، ضم وجهها بيده فمالت برأسها على كفه الذي رحب بها بعاطفةٍ، مال على رقبتها وهو يهمس لها بكلماتٍ جعلتها تبتسم باستحياءٍ، فانصاعت ليدته وتمددت جواره على الفراش، تاركة ذاتها تخطو خطوة تجاه عالمًا ينجح هو بسحبها عنوةٍ إليه.

بددت الشمس عتمة الليل الكحيل، فأشرقت بضياءها الساطع لتغمر الحديقة باشعتها الذهبية، اهتز هاتف "أحمد" ليعلن عن موعد المنبه الرسمي باستيقاظه بالسادسة صباحًا، بحثت يده عن هاتفه، فأغلق المنبه ثم نهض بتكاسلٍ، اتجه لجاسم أولًا، فايقظه حتى يستعد للذهاب للمقر، وحرك معتر وهو يشير له بصوتٍ خافت:

_ معتر قوم راجع العرض اللي هتقدمه بالمناقصة.. وأنا وجاسم هنسبقك على المقر.
جلس وهو يفرد ذراعيه بنومٍ، وبدأ بفتح عينيه فتفاجئ بأبيه لجواره، قال جاسم بدهشةٍ:

_ عمي بيعمل أيه هنا؟!

حركه معتر وهو يناديه:

_ بابا حضرتك جيت هنا ازاي؟!

اجابه وهو يعبث بعينه بتكاسل:

_ عجبني النومه قولت أجرب هي جيت عليا..

عاونه جاسم على النهوض وهو يمازحه:

_ يا عمي لو كنت بس عرفتني كنت جبلك سرير مكانك بدل بهدلة الارض دي وآ..
بترت كلماته حينما استمع لصوت مندفاع قادم باتجاههما، ولم تكن سوى يارا التي صاحت بصراخ ايقظ الجميع:

30_ سنة يا عز عمرك ما في يوم نمت ليلة واحدة بعيدة عني.. حتى لما بتسافر كنت

بتاخدني معاك ودلوقتي بتتخلي عني واحنا في آخر حياتنا!!

حظت عينيه بصدمةٍ، وهو يحاول تبرير موقفه:

_ أنا!! يا حبيبتى انا محبتش اسيب ابنك ينام لوحده ليبرد فقولت خليني جنبه!

رفع معتر حاجبيه بسخطٍ، فغمز له عز وحينما لم يستجاب دعس قدمه بحذائه، فتأوه ألمًا وهو يجاهد لقول:

_ صح أنا اللي اترجيته ينام جنبى لانى بخاف من الضلمة!

انفجر رائد وعمر من الضحك، فتحولت نظرات عز اليهما وهو يشير بتحذير:

_ولد عيب.. ميصحش تتريقوا على عمتكم بالشكل البشع ده!
لكزهم ياسين وهو الاخر يتحكم بذاته، فصاحت يارا بانفعال:
_خليهم يضحكوا على عمايلك... من النهاردة اللي بينا انتهى يا عز.
وتركته واتجهت للداخل، فلحق بها وهو يردد بصدمة:
_انتهى أيه ده احنا بقا عندنا احفاد!! استني طيب كبرنا على الجري والكلام الفارغ ده.. يا
يارا استني!

فور أنا غادرت تحررت الضحكات الرجولية بين الشباب، حتى عدي ضحك وهو يرى عمه
يكاد يسقط ارضًا من فرط ركضه، توقف عز عن استكمال طريقه والتفت تجاههم ثم قال
بسخرية:

_اضحكوا هنشوف مين هيضحك على مين دلوقتي.. على الاقل انا راحت عليا.. انتوا
استلموا محضر الشكاوي اللي هتنزل لياسين الجارحي دلوقتي!
تهجمت الوجوه وبالاخص رائد الذي سيطر عليه غيمة الحزن والشوق لزوجته، زحف عدي
بجسده متفاديًا عمر وياسين، حتى أصبح جواره فربت على قدمه وهو يخبره:
_متقلقش هوصل لمكانها وأبلغك.

صاح بحمايس وهو يعتدل بجلسته تجاهه:

_بجد يا عدي.. هتتكلم مع عمي!

نفى ما قال باعتراض:

_لا طبعًا، بابا تصرفه كان صح لانك غلطت يا رائد ودي مش أول مرة، ولو فكرت فيها
بهدوء هتلاقيه ساعدك بدون ما تأخذ بالك..

تطلع له بعدم فهم فاستطرد:

_رانيا زعلها وحش انت ناسي السنين اللي بعدتها عنك وحرمتك من بنتك بسبب غرورك
وعنادك.. على الاقل مش هتقدر تعمل كده هي بمكان بابا يعرفه تحت عينه ويقدر
بسهولة يقولك عليه!

واسترسل وهو يهم بالنهوض:

_أنا معاك انك ندمت عشان كده هوصل لمكانها من بعيد بدون ما يعرف حاجة.. يمكن لما
تقابلها الامور تتصافى بينكم.

انتصب بوقفته واقترب منه وهو يشكره بامتنان، فربت على كتفه وهو يشير له:
_حاول توصلها على الموبيل، او على الاقل تسجلها صوتك عشان تعرف الحالة اللي انت
فيها.

وغمز له ببسمةٍ تترجع على شفتيه:

_يمكن الفويسات دي تشفعلك لما تشوفها!

ابتسم الاخير وهو يفهم مغزى حديثه، فتركه عدي واتجه للاعلى، لحق به ياسين، فسانده
وهو يسأله باهتمام:

_معقول هترجع تتحدى عمي ثاني يا عدي... مساعدتك لرائد هتقوم النار ثاني بينكم.
فتح باب المصعد ودخلوا معًا، فمنحه عدي نظرة غامضة اتبعها قوله الثابت:
_اللي بيني وبين ياسين الجارحي صعب حد يفهمه يا ياسين.. بابا لو شايف اني بعمل كده
لصالح العيلة واخويا مش هيقف قصادي.. زي ما هو بيقوم بواجباته تجاه بنت من بناته
هيسبني اقوم بواجبي ومش هيعترض طريقي.
اعاد هاتفه لجيب بنطاله وهو يسترسل اسئلته الفضولية:
_وامته يعترض طريقك؟
شرد عدي بسؤال ياسين وكأنه يصغى لكل حرفٍ يتردد على لسانه دون أن يتفهمه، فقال
بشروء قاتل:
_لما أكون مش شايف الصح وهو عايزاني اشوفه!
توقف المصعد امام الطابق المخصص للشباب، فاتجه ياسين لجناحه، بينما استكمل عدي
طريقه لجناحه هو الآخر، فاوقفه أحمد وهم بالاقتراب منه وهو يغلق جاكيتيه ويستعد
للمغادرة للمقر، فقال:
_كويس اني لحقتك.
منحه نظرة متفحصة ثم قال وهو يتفحص ساعة يده:
_نازل بدري ليه كده؟
رد عليه وهو يربط حذائه الأسود جيدًا:
_ياسين مش هينزل غير لما مليكة تتحرك من السرير وتتحسن، ورائد عقله أصلًا مش
معا، وعمر مستحيل يسبيك وأنت بالحالة دي، لذا أنا مضطر بمساعدة جاسم ومعتز
نكون بدالكم.
ابتسم وهو يخبره بثقة:
_أنت لوحذك اد المسؤولية وبزيادة يا أحمد.. حقيقي أنت رجل أعمال ناجح وذكي جدًا.
ضحك وهو يعدل جرفاته بعنجهية مصطنعة:
_الوحش بنفسه بيثني على شغلي.. لا أنا كده اتشهرت!
ابتسم وهو يسأله بتذكر:
_كنت عايزني ليه؟
حلت الجدية ملامحه، فقال بتريث:
_آسيل ارتكبت غلطة كبيرة وأنا عايزك تساعدني.
اشار عدي للاركة القريبة من النافذة:
_اقعد واحكي لي في أيه؟

بغرفة معتز.
بعد ساعة متواصلة من مراجعة العرض وتأكد بأن لا ينقصه شيئًا، ترك الحاسوب مفتوحًا

ثم خلع ملابسه وارتدى بنطاله وهو يتابع المراجعة ويرتدي قميصه الأبيض، اتجه لحمام
الغرفة ليضبط خصلات شعره بكريمه الخاص، وحينما انتهى اتجه للغرفة مجددًا فوجد
زوجته تعبت بالحاسوب، برق بعينه في صدمة، وصاح بها:

_شروق متلعبيش في حاجة!!!

ابتعدت عن الحاسوب بتوتر، وخاصة بعد أن لمحت عينيها كلمة "تم حذف الملف بنجاح"،
صعق معتر وهو يحرك ازرار الحاسوب فرفع عينيه اليها وهو يردد بصدمة:

_ايه اللي هبتيه ده؟!

ابتلعت ريقها برعبٍ وهي تحاول الحديث بصوتها الشاحب:

_أنا أسفة مقصدتش احذفه.. انا كنت عايزة اخرج من الملف وآ..

_وآيه!!!!

صوته المرتفع جعلها تبتلع باقي جملتها، القى معتر حاسوبه وهو يصيح بعنف:

_تفهمني انتي ايه في شغلي عشان تلعبى في اللي ميخصكيش!

لمع الدمع بعينيها واحتقن صوتها المردد:

_أنا استغربت بس ايه اللي واخذ عقلك على اللاب من ساعة ما طلعت وانت متحركتش
من قدامه حتى وانت بتلبس!

العذر الذي لجأت اليه كان أقبح من فعلتها، اقترب منها ثم قال ساخراً:

_فشكيتي اني مثلاً على علاقة بواحدة وبحب فيها بالنهار في بيتي وفي اوضة نومي

ومن لاب شغلي صح؟!

تدفق الدمع بعينيها وهي تشير اليه:

_طب اهدى أنا هعرف ارجعلك الملف.

تبسم ساخراً:

_لا بجد.. يعني أنا مكبر الموضوع على الفاضي!! ولا انتي اللي بتفهمني في شغلي أكثر
مني!!

خرجت عن هدوئها حينما ردت بضيق:

_بطل تحسني اني أقل منك.. أنت متجورني وأنا بشتغل واطن وجودي في المقر من
قبل علاقتنا دليل اني مش أي حد.

وبدموع شقت قلبه نصفين قالت:

_أنت بتلومني اني اتخلت عن شغلي عشانك وعشان بنتي.. أنا مش قليلة يا معتر!

وانحنت ارضاً ثم جذبت حاسوبه، وأخذت تضغط على أكثر من زر، وفي أقل من عشرة
قائق استعادت الملف، وضعت شروق الحاسوب بين يده، فراقب الملف بانبهار وعدم
تصديق، ظل لثلاث دقائق يفحصه ولم يفق من شروده الا على صوت انغلاق باب غرفته،
حاول اغلاق ازرر قميصه الابيض وهو يسرع من خلفها، فصعق حينما وجدها تحمل حقيبة
سفر صغيرة الحجم وتتجه ناحية المصعد، هرول من خلفها وهو يناديها بصدمة:

_شروق!!

انتبه عدي وأحمد لما يحدث أمامهما، وخاصة حينما وجدوها تحمل حقيبة، وقف قبالتها وهو يلتقط انفاسه بصعوبة لحقت نبرته:

_انتي مجنونة.. واخذه الشنطة دي وراحه على فين؟

منحته نظرة قوية قبل ان تردد بغضب:

_لسه حابب تهني وتقلل مني قبل ما أمشي ولا خلاص اللي عملته كفايا.

نهض احمد ثم اسرع اليهما وهو يردد ببسمة هادئة:

_في أيه يا جماعة.. صلوا على النبي كده واهدوا.

ومال على معتز وهو يهمس بغيط:

_هبيت أيه انت كمان احنا لسه بنلم في مصايب رائد!

اشار له بالانتظار، وقال وهو يجذلها برفق:

_شروق خلينا نكمل كلامنا في اوضتنا.

جذبت ذراعها منه عنوة وهي تردد ببكاء:

_مفيش شيء نتكلم فيه... دي مش أول مرة انك تهني بالشكل ده يا معتز.. من النهاردة

مش هتشوفني تاني لا أنا ولا بنتك..

يقال إن الانثى تحتمل وتغفر أي ذنبًا يقترفه الزوج بحقها، الا حينما يقلل من شأنها، تشعر

وكان العالم الذي ضمهما معًا رسب بسرابٍ قايٍس، نهض عدي عن الأريكة بارهاق، ودنا

منهم ثم قال بهدوءٍ:

_طب اهدي يا شروق وفهمينا بس ايه اللي حصل؟

انهمرت دموعها وهي تحاول جاهدة الحديث دون البكاء:

_في إن ابن عمك مش بيفوت ولا فرصة عشان يحسني اني اقل منه.. واني مينفعش

غير اني أكون ام وزوجة بالبيت بس رغم اني كنت بشتغل طول عمري من قبل حتى ما

أعرفه.. وكنت في يوم سكرتيرة ليه.. وده مش أول موقف ولا أول مرة يعملها يا عدي.

التفت عدي تجاهه فوجدها يتهرب من لقاءه، فعاد ليتطلع اليها وهو يتحاشى رفع بصره

تجاهها، وقال برزانة:

_هو غلط.. بس أكيد ميقصدش.. وبعدين في حلول تانية غير انك تسببي البيت.

واستكمل بمكر:

_مش هو اللي قلل منك يبقى من بكره تنزل معاه الشغل وتثبتيله نفسك أفضل ما

تسببي البيت.

لمعت حديثها ببريق مميّزًا، هدا بكائها ووضعت الحقيبة عن يدها، وقالت بصوتٍ رقيق

ساكن:

_بس هو مش هيرضى ينزلني معاه المقر.

التفت عدي لمعتز بنظرة جعلته يهز رأسه وهو يخبرها باستسلام:

_موافق.. بس المهم متسببش البيت.
ابتسمت بسعادة وهي تزيج دموعها، فاتجعت للغرفة وهي تهمس له:
_هات الشنطة يا معتز.
بسمتها أفتكت به، فراقبها وهي تدلف للغرفة بنظرة تملأها الرغبة، وحينما استدار ليحمل
الحقيبة، القاها احمد بوجهه بعنفٍ، وهو يردد ساخراً:
_شيل قرفتونا في حياتنا.. مش عارف ياسين الجارحي هيعمل معاكم أيه ثاني عشان
تتظبطوا!
وتركه وغادر للمصعد بسخطٍ، فابعد معتز الحقيبة عن وجهه وهو يتأمل عدي الذي يراقبه
بثباتٍ مهيب، فرسم ابتسامة مصطنعه وهو يردد:
_حقيقي من غيرك مكنتش عارف هتتحل ازاى يا وحش.. بس يعني انا مكنتش حابب انها
تنزل تشتغل آآ..
وقطع كلماته وهو يردد ببسمة واسعة:
_بس اهو حل أفضل ما كانت تسبب البيت وعمي يعرف واتعلق.. كده أفضل..عن اذنك
اروح اصالحها بقا.
توقف محله حينما جذبه عدي من ياقة قميصه ليشير له:
_أنت مش وراك عرض هتقدمه؟
هز رأسه بتأكيدٍ، فدفعه عدي بذراعه الأيسر وهو يشير له بحزم:
_ودي الشنطة وفكك من الغرغرينة اللي لاعبة جوه رأسك.. وأحسنك تلتزم بمواعيدك
بدل ما أنا اللي اطلع بروحك!
هز رأسه وهو يكبت ضحكاته بصعوبةٍ، وهمس قبل أن يركض لغرفته:
_كل ده بدراع واحد.. كتر خير صاحب التريلا انه سابلك دراع سليم عمل فينا جميل!
احتدت نظرات عدي، فأشار له معتز وهو يغلق باب الغرفة قليلاً:
_ميصحش اقفل الباب في وشك يا وحش تعالى كده او كده!
أكمل طريقه لغرفته بعدما شيعه بنظرةٍ قاتمة، فأغلق الاخير باب الغرفة بضحكة هادئة.

فتحت نسرین عينيها فوجدته يغفو جوارها ويده تحاوطها، ابتسمت بعشق وهي تتأمله،
فمررت يدها على وجهه وهي تناديه:
_حازم.. مش هتنزل النهاردة المقر؟
حرك رأسه للناحية الاخرة بانزعاج، ومن ثم ردد بنومٍ:
_لا هنزل للأسف.
واستقام بجلسته وهو يجاهد لفتح عينيه، فجذب التيشرت الخاص به ثم ارتداه على
مضضٍ:
_كنت زمان بروح اتسلى واطلع عينهم دلوقتي بضطر اعقل عشان الوضع مش

مستحمل.

ضحكت وهي تخبره بسخرية:

_معلش هتتعب فترة وترجع لراحتك.

ابتسم وهو يميل تجاهها ليطبع قبلة على جبينها:

_هما عارفين اني ماليش في جو رجال الاعمال ده.. مع اني بحاول حطي تحت بحاول دي

خطين وشرطة حمرا!

عادت لنوبة ضحكها، فغمزت له بمشاكسة:

_أنت قدها وقدوم يا زوما.

منحها نفس البسمة والغمزة الماكرة:

_أنا قد حاجات كتيرة بس انتوا اللي متعرفوش امكانياتي.

وتركها وجذب احد البذلات ليستعد للتوجه للمقر.

ولج عمر لغرفته، فوجدها مازالت تغفو جوار الصغير، فوضع حلا بغرفتها، ثم جذب ملابسه واتجه لحمام الغرفة ليغتسل.

نهضت نور عن فراشها بنوم، فاتجهت لخزانتها وجذبت اول ما تلقفته يدها، واتجهت للحمام بآلية تامة، وعينيها مازالت تجاهد للاستيقاظ، انحنت للحوض الابيض تغسل وجهها بالمياه، تصلب جسدها فجأة حينما وجدت ذراع يحاوطها، التفتت خلفها سريعًا فوجدته هو من يقابل عينيها المتلهفة، التقطت انفاسها على مهل، وهي تردد بصوت مرتعش:

_خضتني يا عمر!

ابتسم وهو يضمها اليه حتى ابتلت ثيابها من قطرات المياه التي تهبط عن خصلات

شعره، وبصوته المغربي قال:

_مين اللي يتجرأ يلمسك غيري!

ابعدته عنها وهي تشير له بغضب:

_كده بلتني!

وردت بصدمة:

_ثم انك دخلت عليا الحمام ازاى.

واستعابت ما يحدث هنا، فاخفت وجهها خلف يدها وهي تردد بعدم تصديق:

_معقول لا.. انا مكنتش اعرف انك جوه والله..

ضحك بصوته كله، واقترب منها وهو يردد بمكر:

_يبقى لازم تصلحي غلطتك ونتجوز.. مينفعش لو حد عرف يطير فيها رقاب!

كزت على اسنانها بغضب:

_بتتريق عليا!.. ماشي يا عمر.

واستدارت تبحث عن غايتها ومازالت تردد:

_ماشي اصبر عليا.

وجذبت المياه ثم القتها عليه، فحمل عنها خرطوم المياه المعدني ليغرقها به، ضحكت وهي تتلمص بين يده حتى سقطوا معًا اسفل المياه والعين بقاء تسطره العاطفة حتى وإن لم يحظى بها كاملاً يكفيه انها بين يده لحين ان ينتهي عذرها بعد ولادتها!

بغرفة عدي.

ولج للداخل فتفاجئ بالظلام يغمر الغرفة باكملها، اضاء الانوار، واتجه للفرش عله يمعن عينيه برؤيتها، انعقد حاحبه بدهشةٍ حينما وجده مرتب كما تركه بالامس، بحث عنها بالجناح بأكمله بلهفةٍ، فوجدها تغفو على مقعد مجاور للشرقة، دنا منها عدي فحرك المقعد الهزاز بخفةٍ جعلتها تفتح عينيها على مصراعيها، فوجدته جوارها، ابتسمت وهي تتسأل:

_عدي.. طلعت امته؟

اجابها بابتسامةٍ صغيرة:

_لسه حالا.

وضيق عينيه بنظرة متفحصة لملامح وجهها:

_انتي منمتيش كويس ولا أيه؟ شكلك كده معرفتيش تنامي بعيد عن حضني! اكتفت برسم ابتسامة باهتة على وجهها، واتجهت للخزانة، فجدت بنطال اسود وتيشرت رمادي، جهزت له طقم كامل وأشارت له ببسمة رقيقة:

_هضرك الحمام.

تلاشت ابتسامته تدريجيًا، فلحق بها وهي تجذب الشامبو الخاص بها والبرفيوم، وما ان استدارت حتى وجدته مقابل عينيها، كادت بالمرور فوضع يده ليمنعها ومن ثم رفع وجهها اليه وهو يتعمق بالتطلع لعينيها التي تتهرب منه، وقال:

_لأول مرة مقدرش اعرف اللي جواكي ولا أقراك زي ما اتعودت.. ويمكن دي المرة الاولى اللي تحاولي تتهربي من عيوني وكأنني هكشف شيء بتحاولي تخبيه عني يا رحمة!

بللت شفثيها بارتباكٍ، فابعده عنها وهي تبتسم:

_ايه اللي بتقوله ده يا عدي.. هخبي ايه بس!

وولجت للحمام سريعًا تضع اغراضه ثم خرجت اليه فوجدته مازال يحاصرها بنظراته، ف اشارت له بتوتر:

_حمامك جاهز.. هطلبك القهوة.

تركها ومضى للداخل، فترك جسده يغمره المياه عله يزيح دوامة فكره، وللحظة تذكر حديث مراد (الجوكر) عن يارا ابنة خالته الطبيبة النفسية، وارساله لرقمها، فحسم امره بالاتصال عليها ليتساءل عن توابع حالة رحمة وما يحدث معها تلك الفترة، انتهى عدي من حمامه، وخرج فوجدها ترتدي ثيابها لتستعد للهبوط، جلس على المقعد المقابل للشرقة، بينما كانت تعقد حجابها، فاستمعت لطرق الباب، فهمست وهي تتجه اليه:

_القهوة جهزت.

حملتها من الخادمة واتجهت للشرفة الضخمة الخاصة بغرفتها فتوقفت عن المضي قدمًا حينما وجدته يتحدث للهاتف وسماحته الخارجية مفتوحة فتسنى لها سماع المتصل وهو يخبره:

_الموضوع مكنش مرتبله يا عدي أنا بنفسي حققت مع صاحب التريلا.. كان شارب مش اكثر..

بتعجب سأله:

_بس ده مكنش كلامك يا مراد.. قولتي ان الموضوع فعلا مش طبيعي.. غيرت رأيك فجأة مش غريبة!

برر الجوكر رد فعله بثبات:

_قولت كده بناء عن كلامك واللي حصل من رجل الاعمال مهاب ابو العزم.. بس صدقني انا اللي حققت مع صاحب التريلا بنفسي!

التقط نفسًا مطولًا ثم زفره على مضض:

_لو دي مش ردة فعل مهاب يبقى اكيد هيكونله رد فعل ولازم أكون صاحي للخطوة اللي هياخذها وآ.

بتر حديثه حينما استمع لصوت صاخب يأتي من خلفه، وحينما استدار تفاجئ بها تجمع الزجاج المنكسر من كوب القهوة الذي سقط عن يدها، فقال بثبات:

_هكلمك تاني يا مراد.

وأغلق الهاتف ثم اتجه اليها، فقالت بارتباك وخوف:

_أنا اسفة مقصدتش انه يوقع مني.

أشار لها بقلق:

_مش مهم.. سيبني الازاز هياذيكى!

وجذبها لتقف قبالتها، فرفعت عينيها المرتبكة اليه، تمنع عدي بعينيها وما رآه تلك المرة جعله في قمة صدمته فقال:

_رحمة انتي كنتي بتتصنتي عليا؟

هزت رأسها نافية:

_لا انا كنت جايالك القهوة ولما سمعتك بتتكلم عن الحادثة أ..

_هشش

قالها ويده تلامس شفتيها، شعر وكأنه يتمادى بما يفعله، فضمها اليه قائلاً:

_دي مجرد شكوك وزى مسمعتش ملهاش وجود.. أنا عارف انك لسه متخطتيش اللي حصل..

وابتعد عنها وهي يخبرها ببسمة صغيرة:

_بس أنا هساعدك تتخطي كل اللي جواكي ده يا رحمة.

عادت لتتعلق باحضانه لتخفي دمعاتها فضمها اليه بكل قوته.

بالمقر الرئيسي لشركات الجارحي.

ارتشف القهوة بتركيز بامضته على العقود، فاستمع لطرق باب مكتبه، فردد بعملية:
_ادخل.

ولج حازم للداخل وهو يردد ببسمة واسعة:

_صباحو فل يابو حميد.. ها بدأت الشغل من غيري ولا لسه؟

رفع حاجبيه بدهشة:

_لا أنا مش بحلم بقا.. معقول يومين ورا بعض هتساعدني فيهم لا الدنيا مش بخير خالص.
جذب احد المقاعد جواره، ثم جذب رصة الملفات اليه بعدما خلع جاكيتته هامسًا بمرح:
_استعنا على الشقا بالله.

والتفت اليه وهو يخبره بغرور:

_انا بس اللي كريم وطيب.هتطوع واساعدك لحد ما الشباب ينزلوا.

ضحك وهو يقدم اليه كوب من القهوة، فارتشفها وهو يشير له بكبرياء:.

_كده نشتغل بضمير رجال الاعمال الكبار جدًا.

تعالى ضحكاتهم الرجولية ليعمل كلا منهما بتركيز تام..

طرق على باب الغرفة، فجذبت الحجاب ارتدته وهي تفتح بابها، فابتسمت وهي تزичه عن
خصلاتها الممزوجة بالابيض:

_عدي.. تعالى يا حبيبي.

ولج للداخل حاملاً بين يده علبة الشوكولا، فقدمها اليها، تناولتها منه آية، وهي تتساءل
باستغراب:

_معقول شوكولاته!

هز رأسه وهو يهمس لها بعدما مشط الجناح بعينه ليتأكد من عدم وجود ياسين الجارحي:
_عندي من زمان وكل ما افكر اجبهلك تحصل حاجة.. المهم انها سايحة زي ما بتحبيها.

تعالى ضحكاتها وهي تهمس له بنفس النبرة:

_محدث بيهتم بالتفاصيل غيرك.

اكدها بجدية:

_شوفتي بقا.. عشان تعرفي بس اني بحب حضرتك اكثر من ياسين الجارحي نفسه.

_بتقول ايه يا ولد!

استدار عدي للخلف بدهشة، وعاد ليتطلع لوالدته فهمس بخفوت:

_مقولتليش انه هنا!

بتوتر رددت:

_انت مسألتش! بس ولا يهملك.

تساءل بفضول:

_ليه!

قالت بثقة:

_هتحامى فيك طبقًا ودي فيها كلام!

ضحك عدي وشاركتة الضحك، فردد ياسين بغيظٍ وهو يوزع نظراته الصارمة بينهما:

_أيه اللي بيضحك.. كان بيقولك ايه؟

احتضنت العلبة وهي تشير لها:

_بيقولي انه جاييلي شوكلاته وانا بشكره ده مهما كان ابني الكبير ولا ايه يا عدي؟

لم يستطيع السيطرة على ضحكاته، كأنه يقبض عليها مع رجلٍ غيره، ومع ذلك قال

بصوت رجولي عميق:

_صح طبقًا.

استعاد ياسين ثباته مجددًا، فقال:

_هنرجع للجو ده تاني يا عدي!

اشار له باستسلامٍ وهو ينهض بعيدًا عن والدته:

_يا باشا انا كنت بوصل امانه ووصلت.. عن اذنكم.

وتركهما وغادر والابتسامة لم تتخلى عن وجه ياسين وآية التي استدارت اليه وهو متمم

بغضب:

_تاني يا ياسين.

زرر جاكيتته، ثم رفع نظاراته لعينييه واستعد للمغادرة وهو يخبرها:

_لما يعاملوكي بحدود هفكر أتغير!

بالمقر..

نهض أحمد عن مقعده واثار لحازم وهو يراجع الملف:

_شوية وراجع يا حازم..هراجع الورقة دي مع عمي يحيى وراجع.

أوما برأسه وهو يعيد حساب تلك المعادلة الصعبة، وفور مغادرة احمد ولج للداخل احد

رجال الامن يتساءل بوقار:

_كنت عايز احمد باشا.

تساءل حازم بانشغال:

_مش هنا ليه؟

قال وهو يشير له بالظرف:

_جاله الظرف ده واللي بعته مأكد انه يستلمه بنفسه.

رفع حازم عينييه عن الحاسوب، وقد لمعت عينييه بمكرٍ:

_طيب هاته وانا هسلمه ليه.
نازله اياها ثم غادر، فابتسم حازم وهو يحرر الظرف مرددًا بمرح:
_شكلك عامل بلوة وجتلي لحد عندي.. انا قولت الوش البريء والطيبة الزائدة عن اللزوم
دي وراها خيانة عظمى.
وحرر ما بداخلها، فامسك مجموعة من الصور مقلوبة عن وجهها، فقال بخبث:
_والله ووقعت يابو حميد.
لف الصور تجاهه فتلاشت ابتسامته تدريجيًا، والصدمة والغضب هما السبيل المتدفق
لعينيه التي احاطتها حالة من الجمود والحسرة، فكاد بتلك اللحظة بأن يصرخ من فرط ما
يشعر به!!!

دق هاتفه بمكالمة هامة، فرفع ياسين هاتفه ليستمع للمتصل، ثم ابتسم وهو يردد
بغموض:
_يشكرك على مساعدتك.. وقريب جدًا هيكونا لقاء يا مراد!

الفصل التاسع عشر

أي جراح ستفتك بنياد قلبي سوى الفراق، وأي فراق هذا الذي سيغتيال مشاعري وجوارحي
سوى فراقك، هل أخبرك بما يحدث داخلي! عساك تشفقين على عاشق ود لو لم يأتي
عليه هذا اليوم اللعين الذي سينهي سعادته، هذا اليوم الذي حُرمت من لقاء عينيك.
هل أخبرك سرًا؟
أنا دونك بلا روح... أنا دونك جسدًا يتحرك دون غاية أو ادراك منه... أنا الضائع في بحر تاه
فيه قاربه وبات يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومع ذلك يتمسك بقشة نجاة قد تصلني للنجاة..
وما النجاة سواك!
لمعت عينيه بالدمع وهو يتأمل الطاولة التي أصابت يدها، لطالما كان يخشى البقاء
بجناحه لفتراتٍ طويلة، ما يقضه لاجل تبديل ملابسه لا يقتصر سوى على خمسة دقائق،
لا يعلم لما اتجه للرواق الرئيسي فخانتته عينيه لمكان سقوطها، ألمه قلبه وهو يتخيل رؤيته
لدمائها، جذب "رائد" هاتفه ليتفحص رسائله فانتابته فرحة حينما رآها قد قرأتها بالكامل،
حتى وإن لم تجيبه، فسجل لها تلك المرة رسالة صوتية
«حبيبتى عشان خاطري ردي عليا، أنا هموت من قلقي عليكى، أنتى مش متخيلة الحالة
اللى أنا فيها، أنا مقصدتش أذكى، طلبت منك تخرجى وتسبينى لاني عارف اني لما

بتعصب ببقى غبي وأعمى، أنا آسف وعارف اني لو فضلت أعتذرلك من هنا لسنة قدام
مش هيكفي على اللي عملته ده، بس عشان خاطر اولادنا يا رانيا تردي عليا، أو على
الأقل طمنيني انك بخير»

عساها تمكنت من قراءة رسائله دون فتح المحادثة، فارسالة للتسجيل أثار فضولها، او
ربما اشتاقت لسماع صوته، حتى ولو اجتمع السخط والغضب منه بقلبها، فتحت التسجيل
فتهللت اساريه، فلم يتوقف عن ارسال الرسائل اليها، استغل كل ثانية كانت بها داخل
المحادثة، عله يتمكن من استفزازها للرد، ولكن صمتها ذبحه أكثر مما كان يعانيه!

عقله توقف عن استيعاب ما يحدث أمام عينه بتلك اللحظة، تسلل لمسمعه صوت
دعسات حذاء يقترب من باب المكتب، لا يعلم كيف تمكن بتلك اللحظة من استجماع ذاته،
فجذب الصور من أمامه ثم اعادها للظرف، ووضعها بجيب جاكيتته، أغلق "أحمد" الباب من
خلفه ودنا من المكتب وهو يراقب التغيرات الطارئة البادية على أخيه، فجذب مقعده
المقابل إليه وجلس وهو يتساءل بدهشة:

_مالك! تعبت ولا أيه؟

اشار له بإيماءة بسيطة:

_أنا كويس.

وجذب حاسوبه ليتصنع انشغاله بالحسابات التابعة للملف الذي يراجع، بينما عقله شارد
بعيدًا عن مجلس عقله، اتجه أحمد للبراد الصغير ثم جذب زجاجتين من المشروب، وضع
احدهما أمامه والآخرى أمام حازم، وقال وهو يعتدل بجلسته:

_مشروبك المفضل.. تقدر تعتبرها مكافأة لمساعدتك اللي لحد الآن بشكك فيها.

لم يأتيه ردًا مشاكسًا اعتاد عليه، فتأكد بأن شكوكه بمحلها، فناداه بصوتٍ مرتفع عله ينتبه
اليه:

_حازم.

استدار برأسه تجاهه، فقال بشكٍ:

_لا أنت مش طبيعي.. في أيه قلققتني!

ابعد المقعد عنه، ثم جذب جاكيتته ليرتديه على مضضٍ، واتجه للمغادرة وهو يخبره:

_أنا تعبان شوية ومش هقدر اكمل معاك النهاردة.. هرجع اريح شوية ولو اتحسنت كمان
ساعتين هرجع.

انتابه القلق، فنهض خلفه يتساءل بلهفة:

_تعبان مالك؟ تحب اطلبلك دكتور؟

منحه ابتسامة دافئة وهو يربت على كتفه:

_الموضوع مش مستاهل ، هرجع اريح شوية والدنيا هتضبط.

تعجب من نبرته الجادة وثباته الذي بدى له غير مبشر بالمرّة، ومع ذلك تركه ليغادر، عله

ينال قسّطًا من الراحة قبل أن يحاصره بأسئلته.

خلع عنه الحاجز الطبي الذي يريح كتفه الأيمن، ثم حرك يده ببطءٍ ببعض التمارين الطبية،
علها تحظى على تحسن ملحوظ، ركوده يجعل الملل يشد متاعه ويحكم من اغلاقها حوله،
تصيب عرقًا من شدة الألم ومع ذلك مازال يحاول، يكره استسلامه للتعب وقتًا طويلاً،
فكيف سيصمد للبقاء كل تلك المدة بالمنزل، تمدد عدي أرضًا، ثم بدأ بلعب تمارين
الضغط دون اللجوء ليده المصابة، ورغمًا عنه اختل توازنه فاستعان بها، ليتنحى جانبًا وهو
يتأوه من شدة الألم، هرع إليه من كان بطريقه للاطمئنان اليه، فعنفه بعتابٍ:

_بذمتك في حد قايم من حادث موت يفكر في رياضة!

وعاونه عمر على الوقوف ثم جذب أحد المقاعد اليه وهو يسترسل بضيق:

_أعملك أيه تاني طيب ده انا اخدت اجازة طويلة عشان أكون جنبك وأمنعك من أي

تصرف.. ومع ذلك بتعانى وتتفذللي في دماغك!

تلاش الألم عن نطاق حدوده المسموح، ورسم ابتسامة باهتة وهو يخبره:

_الحق عليا برجعك لذكريات الطب والاشراف على المرضى اللي نستهم وسط الحسابات
والمقر!

جذب احد المقاعد ثم جلس جواره وهو يردد ببسمة هادئة:

_بتقول فيها ده أنا وحشني البلطو والمستشفى وكل حاجة!

واسترسل بمرح:

_بس عوضت كل ده وأنا بشرف على حالتك البائسة.

رفع احد حاجبيه بسخط:

_بائسة!

هز رأسه ليؤكد له، فمنحه ابتسامة هادئة وهو يتابع تأثره بالحديث، وفجأة قاطعهما
صوت طرقات الباب الخافتة، لتطل صغيرته من خلفه، فولجت للداخل حاملة ابنه عمها
بين يدها، ثم قربتها منه وهي تخبره بابتسامة رقيقة:

_طنط نور بتقول لحضرتك حلا عاملة مشاكل وعدي بيعيط.

حمل عنها الصغيرة وهو يردد بتأففٍ:

_ما أنا قعدت للاستاذة حلا اللي كل ما أروح مكان القيه سابقاني فيه.

ضحكت الصغيرة بصوت مسموع، خاصة حينما التفت تجاه من يشاكسها، قدم لها عدي
اصبعه فتعلقت به ومازالت البسمة تنير شفتيها الوردية، راقبه عمر ببسمة خبيثة، ومن ثم
حملها ليضعها بيده وهو يردد ماكزًا:

_حبيبة عمه.. روحيله بقا.

واتجه مسرعًا للخروج ليشير لمن يراقبه بصدمةٍ لما فعل:

_مش ممكن البنت واقعة في غرامك يا وحش.. هروح أنا اشوف مليكة وياسين.

ابتلع ما كاد بالتفوه به، وانتقلت نظراته لابنته التي تعالت ضحكاتهما لترسم ابتسامة
ساحرة على شفتيه، فسألها بفضول:
_فين ياسين؟
اجابته وهي تلاعب الصغيرة:
_تحت في الحديقة... كلنا بنلعب تحت وهو كالعادة واخذ جنب لوحده.
أشار لها عدي وهو يحمل الصغيرة:
_تعالى نزلهم.. يمكن حلا تسكت تحت.
أمسكت يده واتجهوا معًا للمصعد، فتفاجئوا بنور بالداخل، فما أن رآته يحمل ابنتها حتى
التفتت للجهة الاخرى قائلة بتذمر:
_جبتها ليه يا عدي أنا مصدقت صرفتها، عايزاني اشيها وأقف وأنا تعبانة ومش قادرة.
انحنى عدي تجاه اللائحة وقال ساخرًا وهو يضغط على زر الطابق الاول:
_على أساس انها مش سامعة صوتك! متخافيش مستحيل تتعلق بيك وهي معايا.
اعتدلت بوقفها لتتفاجئ بالصغيرة غير عابئة بوجودها، فاتسعت ابتسامتها وهي تخبره
بحبور:
_انا هبعتهالك كل يوم مع رحمة.. أو مع عمر المهم اني أنام بليل براحة تامة.
مازحها قائلاً:
_أنا قعدت لانسة حلا ولا أيه؟
ضحكت ثم تساءلت باهتمام:
_فين رحمة؟
اجابها بتريث:
_مش عارف.. بس أكيد تحت.
توقف المصعد فتركها وغادر، بينما اتجهت هي للبحث عنها.

المدة التي قضاها بسيارته لم تكن بالقصيرة لاتخاذ قرارًا هامًا كهذا، ما يقع على عاتقه
ضخمًا لدرجة جعلت رقبته تلتوي لما يحمله، لذا قاد سيارته بأقصى سرعتها متجهًا لشركة
هذا الأرعن، نجح أخيه بتسديد ضربة قاتلة اليه ومازال يتخفى تحت رداء العمل والمنافسة
المتوقعة بين رجال الأعمال فيما لا يلومه أحد، بينما هو يختار المواجهة وجهًا لوجه
وليفعل ما شاء، توقفت سيارته امام الشركة، فرفع رأسه تجاه اللافتة الضخمة التي تحوي
اسم "مهاب أبو العزم" بنظرةٍ ساخرة، ومن ثم فتح باب سيارته واتجه بكبرياءٍ لا يليق سوى
برجل أعمال بحجم امبراطورية "الجارحي"، اتجه بكل عنجفية لمكتب السكرتارية الخاص
به ثم قال:

_عايز أقابل مهاب أبو العزم اديله خبر.
رفعت السكرتيرة رأسها اليه، وهي تخبره بأسفٍ:

_الباشا برة مصر.. حضرتك تقدر تسيب الكارت بتاعك ولما يرجع يحدد المعاد المناسب للمقابلة.

ضيق عينيه بنظرة أريكتها، فاخشوشنت نبرته المتعصبة:

_كلميلي أي مسؤول يجيلي هنا.

ابتلعت ريقها بتوتر حينما عاينت الحالة التي تسيطر عليه، فرفعت سماعة الهاتف وهي تردد بإيجاز:

_استاذ فؤاد هو النائب عنه.. ثواني هكلمه.

وبالفعل ما هي الا ثواني معدودة حتى أجابها، فأخبرته عن وجود شخص يريد مقابلته بأمر هام، فسألها عن كنياته، وبدورها نقلت سؤالها إليه فقالت:
_أقوله مين؟

حدها بنظرة قاتلة، متعمدًا تجاهلها، وتحرك بكل ثقة تجاه باب المكتب المقابل اليه، ومازالت السكرتيرة تراقبه وهي تحمل السماعة بين يديها بدهشة.

فُتح الباب على مصراعيه، فانتفض الأخير على مقعده وهو يتأمل ذاك الغريب الذي يستكمل مسيرته اليه، رمش بعينيه بحيرة وهو يحاول التعرف عليه، سبق له التعرف على أفراد عائلة "الجارحي" وبالأخص الشباب ولم يكن له سابق التعرف على اصغرهم، الذي يفضل البقاء بعيدًا عن امور المناقصات واجتماعات كبار رجال الأعمال، الذي حرص جميع الشباب بالحضور باستثنائه هو، لذا فشل بتحديد هويته، فقال بعصبية بالغة:

_أنت مين وازاي تدخل عليا بالشكل الهمجي ده!

جذبه حازم من تلباب قميصه، ليضع جسده على المكتب بعدما ألقى محتوياته أرضًا بفوضوية، وتحرر صوته الرجولي الخشن وهو يصيح به:

_أنت لسه مشفتش الهمجية اللي هتحصل هنا.

زرع الرعب داخل حدقتيه وهو يستمع لحديثه المقبض، فقال بصعوبة بالحديث:

_انت مين!

اجابه وهو يناوله لكمة أصابت فكه فاطاحته بالدماء:

_أنا اللي هشرب من دمك ودم اللي مشغلك.. الجبان اللي بيتحامي بألعيه ال** خايف يواجهنا راجل لراجل.. بعد ما العرض اتسحب منه لجئ لطريقة فتحت عليه أبواب جهنم وأنا اللي هحدفه فيها بايدي.

وسدد له لكمة أخرى وهو يصيح باندفاع:

_كنت عايزين الظرف يوصل لاحمد بس حظكم المنيل وقعكم في الاوس* منه.

وركله أسفل معدته فسقط بالمقعد أرضًا، فأتت السكرتيرة راكضًا، فما ان رأت ما يحدث هرولت للمكتب لتطلب رجال الامن، زحف "فؤاد" بجسده للخلف وقد استوعب الآن ما يحدث، فجذبه "حازم" ليقف قبالة، ولف يده حول رقبته وهو يصيح بتهجم مخيف:

_الا بيتعدى على حرمة عيلة الجارحي مالوش غير الموت... وأنتوا ارتكبتوا الابشع لما

فكروا تستغلوا والدتي وتدخلوها في الدائرة اللي هتتقفل فوق رؤؤسكم.
ورفعه عن الأرض حتى ازرق وجهه وهو يتملص بين يده بصعوبة، مجهادًا ليلتقط أنفاسه،
لولا تدخل رجلين من الأمن لكان لاقى حتفه بالتو، ابعده أحد الرجال للخلف، بين لكمه
الاخر جوار عينيه، فسعى الاخير لتكثيفه، ركل حازم قدميه ببراعة، ثم دفع رأسه ليصيبه
بجبهته، وناول له لكلمات متفرقة أصابته في مقتل، وحينما حاول الاخر الدفاع عن زميله،
جذب حازم الحاسوب الملقى أرضًا وسط فوضىة الاوراق المبعثرة، وهوى فوق رأسه
بضربتين متتاليتين حتى سقط مغشي عليه، ولم يتبقى سواه هو وفؤاد الذي يزحف برهبة
وفزع، فأشار له وهو يكبت دماء رأسه:

_ انا ماليش دعوة.. انا عبد المامور تارك عند مهاب باشا أنا هنا بشوف أكل عيشي!
ضيق حازم عينيه باستمتاع، فوضع يده بجيب سرواله ثم رفع قدميه على حافة المقعد،
ليخبره ببرود:

_ ده تمام الحريم لما بتتخط في وش المدفع، بتخاف وبتتراجع لورا.. عشان كده يا فوزية
عايزك توصلي الكلام اللي هقولهولك ده للبلغل اللي مشغلك.. ومتتنساش تضيف على
كلامي انه يشغل معاه رجالة ويدورلكم على بيت العدل بعد ما يحجبكم!
وانحنى ليكون قبالة والآخر يزدد ريقه الجاف برعي، حتى تحررت الكلمات المقبضة
على لسانه:

_ قوله إن الحرب بينا بقت على المكشوف، وإن الصور دي تمنها رقبتة وده وعد من أصغر
شاب جوه بيت الجارحي يمكن اللي حصل بمكتبه هنا ده يخليه يفكر مرتين قبل ما يحاول
يتحدى أسياده.

وأشار للرجلين المفترش باجسادهما الضخمة الارض:

_ خليه يتحامى ورا كوم العضلات النفخ دي.. احنا مش محتاجين اللي يحميننا وهيشوف
مصيره هيكون ايه.. اعلان الحرب ابتدت بكلمة مني.. واللي جاي خراب عليه وعلى
الشركات اللي أسسها هنشوف هيقدر يصد قدام الامبراطورية اللي ميحلمش ينطق
اسمها ولا لا.. وكل ده حسابه منفرد بعيد عن اللي عمله ويخص والدتي.
وحرر اخر كلماته بلكمة اخيرة جعلته يفقد وعيه ويترنج جوار رجاله:
_ متنساش ولا حرف من اللي قولته!

وانتصب بوقفته ثم اتجه للخروج بخطواتٍ تلامس الأرض بقوة، متعمدًا احداث جلبة
عظيمة من خلفه، ففتح باب المكتب ليغادر، فوجد السكرتيرة تختبئ أسفل الطاولة،
انحنى تجاهها ثم عاونها على الوقوف، فاحتضنت وجهها بيدها وهي تردد برعي:
_ معرفش حاجة والله.

ابتسم وهو يشير لها ساخرًا:

_ مبضربش أشباه الحريم.

ثم أشار بإبهامه للدخل:

_اتصلي بالاسعاف تيجي تسعف فوزية عشان بوصل رسالتى للبasha اللي مشغلك.
أومأت برأسها بهستريّةٍ عله يرحل قبل أن تتلقى مصيرًا مشابه، فوضع نظارته القاتمة
بغور محاولاً تقليد عدي وياسين الجارحي بقامتهم المثالية، فتحرك خطوة ثم عاد ليقف
قبالتها، فقال وهو يشير لها بتقرز:

_وابقي استري نفسك انتي نازلة تشتغلي في كبارية ولا شركة محترمة صاحبها سفاح!
أسرعت للبلطو الخاص بها، فارتدته لتخفي فستانها العاري، ونظراتها المرتعبة تراقبه،
تركها وغادر بهدوءٍ لا يتناسب عما خلفه من فوضى وهلاك بمثابة تهديد صريح لذلك
الأرعن!

جلس أرضًا جوار الصغار، مشاهدتهم وهم يلعبون من حوله بسعادةٍ جعلته يشعر المثل،
وخاصة حينما عزفت مريم على البيانو شعر وكأن قلبه يرفرف مع كل لحن تعزفه بحرافيةٍ،
لا يعلم لما تذكر بذاك الوقت اللقاء الأول الذي جمعه بمعشوقة قلبه، وكأنها تشبه ذاك
اللحن المحمل بقيثارةٍ من شوق، ود لو استمع اليها مطوّلًا لينعم بصفاء النفس الذي
يطوفه، انسحب من عالمه الوردي ليوزع نظراته بين الاولاد، فتعجب حينما لم يجد ياسين
من بينهم، حتى يحى كان يجلس على الطاولة البعيدة يعيد مذاكرة دروسه على حاسوبه
الخاص، نهض عدي ثم بدأ بالبحث عنه فوجده يقف بركن منعزل، يضع به لوحاته وألوانه،
ويرسم احدى رسوماته بتركيز تام، دنى منه حتى بات خلفه فتفاجئ به يرسم فتاة
بملاحها الرقيقة بحرافيةٍ، رفع احد حاجبيه وهو يردد بدهشةٍ:

_مرين!

صوته جعل ياسين ينتبه لوجوده، فنهض بعيدًا عن مقعده، ونظراته المرتبكة لم تترك أبيه
الذي حمل اللوحة ليراقب ما نقله ابنه باحترافٍ، ابعد نظراته عن اللوحة بدهشةٍ اتبعت
حديثه:

_دي بنت مراد اللي شوفتها.. معقول لحقت تحفظ ملاحها وترسمها بنفسك!
لعق الصغير شفتيه بارتباكٍ، قطعه حينما قال:

_متعودتش أنسى ملامح حد اداني شيء.. وهي ادتني هدية أنا حابتها.

لاحت على شفتيه ابتسامة مأكرة، فهمس بصوتٍ غير، مسموع:

_شكل موضوعنا مخلصش يا مراد.. ده بدايته!

ثم قال وهو يحك جبينه بسخريّة:

_ياسين مش عايزك تركز في الهدية وصاحبتها.. الاهم دراستك ومستقبلك ولو اصحاب
الهدايا بياخدوا اهتمامك وعد مني هجبلك صفقة أسلحه هنا.. عشان متبطلش ترسم
غيري.

ضحك الصغير وهو يهز رأسه بتأكيدٍ، فمرر يده بين خصلات شعره البني ثم انحنى ليضمه
اليه وهو يخبره بحزنٍ لمسّه ياسين بنبرته:

_عايزك تكبر وتحقق حلمك.. ومهما حصل اوعى تتخلى عنه.. خليك واثق ان اللي بيتعب ربنا بيقدر تعبته وأنت هتتعب وهتوصل لحلمك وحلمي اللي لسه وقف في نص الطريق ومقدرتش أكمله.

وابعده عنه ليطوف وجهه بيده بحنان:

_عايز أشوف نفسي فيك. يا ياسين.. مش بس الشبه لا أنا عايزك تحقق حلمي اللي عجزت عن تحقيقه.. مستعد تعمل كده؟

لمع الدمع بحدقتيه العسلية، وهز رأسه وهو يجيبه بصوت باكي:

_أكيد.. بس وحضرتك جنبي.

ضمه مجددًا وهو يخبره ببسمة هادئة:

_أكيد يا حبيبي جنبك وعمري ما هكون غير جنبك.

الابتسامة الساحرة تسلت لشفتي من يراقبهما من الاعلى، للحظة شعر بلمعة عينيه تأثرًا بسماع ما دار بين ابنه وحفيده، اغلق ياسين الجارحي نافذة مكتبه الخاص بعدما استمع للحوار المتبادل بينهما، وظل سؤال يطارده «هل ما فعله بحق ابنه منصفًا؟

وفي حين سماحه لحفيده بتحقيق حلمه بالالتحاق بالشرطة لماذا يحرم ابنه من هذا الحلم»!

شعر بتأنيب الضمير ولأول مرة يشعر بأنه أخطأ بحق عدي، ولكن ماذا سيفعل؟ اللعنة على ذاك القلب الذي يأبى الخنوع خوفًا من أن يصيبه السوء، فيعاتب ذاته مرتين ان أصابه شيئًا، عساه الآن لا يعلم أي طريق سيكمل مسيرته!

عاد أحمد للقصر ليطمئن على حازم، وخاصة بعد محاولاته للاتصال هاتفياً به، وكل مرة كان يحاول بها الاتصال به وجده مغلقًا، كان بطريقه للصعود اليه، فانتبه لوجود الفتيات بأكملهن بالاسفل، فاتجه للقاعة ثم قال وعينيه لا تفارق الارض:
_السلام عليكم ورحمة الله.

انتبهن لوجوده فاعتدلن بجلستهن، بقاء عينيه ارضًا منحتهم فرصة الاستعداد لوجوده،

اجابوه السلام فاتجهت عينيه لنسرين ليسألها بقلق:

_حازم عامل ايه دلوقتي.. بحاول أكلمه مش بيرد؟

بدد القلق معالمها، فنهضت عن الاريغة ودنت منه بخطوات بطيئة تتناسب مع حملها المرهق:

_ماله حازم.. مهو كان كويس الصبح وهو نازل المقر!

تساءل باستغراب:

_هو مش فوق!

هزت رأسها وهي تجيبه:

_لا لسه مرجعش! طمني ماله؟
رسم ابتسامة صغيرة وهو يخبرها ما تريح به أعصابها المشدودة:
_لا مفيش أنا افكرته رجع.. بس يمكن خرج مع معتز وجاسم.
وتركهم واتجه ليصعد للأعلى، فاوقفته داليا حينما نادته قائلة:
_أنا شوفت حازم من شوية كان طالع فوق.
هز رأسه بإيماء بسيطة، وأسرع للأعلى ليلحق به، وصل للطابق الثاني، فوجده يخرج من
المصعد، وعلى ما يبدو بأنه كان باتجاهه لجناح أبيه وما أن رآه حتى عبث بخصلات شعره
بفوضوية تخفى اللكمة التي تترك أثرها جوار عينيه اليسرى، قطع احمد المسافة بينهما،
حتى بات يقف قبالة، فسأله بلهفة:
_كنت فين يا حازم؟
تعمد الا يتطلع اليه حتى لا يكشف اصابة وجهه، فقال:
_كنت بتمشى شوية.
وتركه وكاد بالمرور من جواره ليستكمل وجهته، امسك معصمه واجبره على الوقوف،
فتمعن بالتطلع لوجهه وردد بدهشة:
_أيه اللي في وشك ده!
ابعد يده عنه ثم قال:
_مفيش ده خدش صغير.
لم تمر عليه خدعته، فجذبه ليقف قبالة ثم صاح بانفعال:
_بطل تلف وتدور عليا.. أنت مش طبيعي من الصبح.. قولني حاليًا فيك أيه؟
جذب يده بنفاذٍ صبر:
_أحمد أرجوك أنا مش متحمل خناقات بينا حاليًا سبني في حالي.
وكاد بالمغادرة فنجح أحمد بإيقافه مجددًا، وصرخ بغضب:
_مش هسيبك الا لما تقولي مالك؟
منحه نظرة قاتمة اتبعها تعصبه الشديد:
_عايز تعرف مالي... اتفضل.
وقال كلمته الاخيرة وهو يلقي تجاهه الظرف المطوي، فتحه أحمد وهو يتساءل بدهشة:
_ده أيه؟
تعلقت عينيه بما يراه بصدمة، كانت الصور تحوي والدته مع عدة رجال وهي بوضع مخل،
وملابس تكاد تكون عارية، اعادها أحمد للظرف سريعًا قبل أن تسقط بيد أحد، وجذبه
بغضب كاد بقتله بين يده:
_جبت منين الصور دي يا حازم!
اجابه على مضض وهو يحاول ان يتخطاه ليدلف لغرفة والدته:
_مكافاة مهاب ابو العزم ليك.. ومتقلقش وصله الرد المناسب.

وتركه تلك المرة وتوجه لباب الجناح الرئيسي، طرق عليه حتى استمع اذن الدخول، فاتجه للداخل باحثًا عنها، اغلقت تالين مئزرها وهي ترحب بابنائها ببسمة مشرقة:
_ايه الزيارة المميزة دي.

أمسك احمد يده وهو يهمس له بصوت منخفض:
_بلاش يا حازم.. خلينا نتكلم الاول.
تطلع له بنظرة ساخطة، اتبعها قوله المستهزأ:
_ليه خلينا نتكلم هنا ونعرف أيه اللي بيحصل بالظبط... الصور دي مش متفبركة يا أحمد.
وزعت تالين نظراتها الحائرة بينهما، ثم تساءلت بدهشة:
_صور أيه.. انت بتتكلم عن أيه يا حازم؟
أشار له أحمد برجاء، ولكنه لم ينصاع اليه، فجذب الظرف ثم جذب الصور الموضوعة بداخلها ووضعهم من امامها على الطاولة، انحنت تالين والتقطت ما ناولته يدها، فجحظت عينيها بصدمةٍ مما رأت، اهتزت الغرفة بحوائطها من حولها، فتراجعت بجسدها للخلف، اسرع احمد لمساندتها وهو يردد بخفوت:
_ماما!

ابتعدت عنه ثم جلست على المقعد وعينيها تنهمر بالدمعات، الموقف الذي وضعت به الآن يعد الأصعب على الاطلاق، اخفضت عينيها أرضًا بحرج، لا تمتلك القوة لمواجهة ابنائها، الماضي الذي ظنته قد دفن تحت الانقراض، عاد ليلاحقها بتلك اللحظة، والأبشع من ذلك من يواجهها به.

ما حدث لها طعن قلبه بسلاح نجح ذلك المعتوه بقصد قلبه هو بالأخص بعيدًا عن شقيقه، اقترب منها حازم وانحنى على قدميه ليقابل عينيها الباكية، بعينه الغارقة بالدموع، فطوف يدها مغمًا بين يده، كانت هناك عاصفة تقبض روحه وتهز أعماقه، يود معرفة ما الذي دفع والدته لتكن بيومٍ من الأيام كذلك، ولكن مجرد رؤيتها منكسرة أمامه، ضعيفة، لا تقوى على مواجهته اخترق قلبه نغزة حادة كادت باسقاطه ذبيحًا، ضم يدها ثم مال برأسه على ساقها وقال بصوتٍ محتقن:

_انا مش عايز أعرف حاجه عن الصور ولا عن الماضي.. انا اللي يهمني انك اعظم أم بالدنيا متفكريش إن اللي حصل ده هيقول من مكانتك عندي أنا بس كنت مشوش.. حقك عليا.
وقبل يدها تاركًا دمعاته تلامس كفها، رفعت تالين يدها وازاحت عنه الدموع، واحاطت وجهه بيدها ثم قالت بصوتها الشاحب الحزين:

_محدث بيقدر يهرب من ماضيه يا حازم، لازم تعرف اني اتجبرت اعيش بالشكل ده، بس أول ما لقيت فرصة اني اتغير وأرجع عن الطريق اللي كنت فيه ده متترددتش ومسكت في ايد باباك اللي مدهالي وبعدت عن كل حاجه يا حازم... والدليل تربيتي ليكم وانكم عمركم ما سمعتوا عني اللي يخليكم توطوا راسكم.
ضمها اليه وقبل جبهتها وهو يردد بحزن:

_انا أسف اني وريتك الصور دي.. حقك عليا متبكيش عشان خاطري.
ابتعدت عنه وهي تمنحه ابتسامة هادئة، تلاشت حينما استعابت شيئًا فسألته:
_بس ازاي وصلك الصور دي.
تلاشت ابتسامة احمد الذي يراقبهما بأعين دامعة، تدخل احمد على الفور حينما جذب
الصور ليعيدها بجيب جاكيتته وهو يهمس لهما:
_بابا خارج.
انتبهوا معًا لحمزة وهو يخرج من حمامه الخاص، برق بحدقتيه بدهشة:
_أيه اللي بيحصل هنا.. انتوا جيتوا أمتي؟
اجابه أحمد وهو يرسم بسمة هادئة:
_من شوية.
اشار على اخيه بسخط:
_بيعمل ايه الواد ده.. ماله لزق في أمك كدليه.
كبت احمد ضحكاته وهو يشير لحازم:
_قوم يا عم متجبلناش التهزيق الله يكرمك.
انتصب حازم بوقفته، ثم قال ممارحًا اياه:
_أمي ويحق ليا احضنها وأبوسها وأفعل ما شئت.
تهجمت ملامح حمزة، فاقترب من المدفأة ثم جذب سيخ الحديد المطول، وأسرع تجاهه
وهو يردد بغیظ:
_وانا يحقلي أقتص منك ما شئت..
هرول حازم للخارج واتبعه أحمد، فما ان ابتعدوا عن محيط الغرفة حتى سأله بجدية تامة:
_احكي لي حالا عملت ايه وازاي اتصابت بالكدمة دي؟
استقام بوقفته أمامه، وهو يسأله بشك:
_ثباتك لما شوفت الصور وطريقتك جوه تدل انك كنت تعرف ده من زمان!
رد عليه بنفور من تصرفه الاحمق:
_ايوه يا حازم كنت على علم بماضيها.. وبالي اختها عملته زمان مع ياسين الجارحي،
ومفكرتش للحظة أواجهها عشان محطهاش بالموقف اللي انت حطتها فيه.. أنا مش
عارف مخك ده كان فين وانت بتعمل كده!
وعاد ليتحكم بانفعالاته، فربت على كتفه وهو يخبره:
_سيبك من كل ده الوقتي واحكي لي كنت فين!

بالأسفل..

استغلت نور انسحاب الفتيات للخارج لتفحص الأولاد بالحديقة، فجلست قبالتها وهي
تتأمل شرودها بنظرة حزينة، فقالت بتريث:

_رحمة..

عادت لتناديها من جديد، فانتبهت اليها:

_بتناديني يا نور؟

قالت ساخرة:

_يقالي ساعة بناديلك.

انتقلت من مقعدها لتجلس جوارها على الاركة، ثم قالت بوضوح:

_انتي فيكي ايه... قوليلي.

كادت بتصنع نبرة دافئة تخبرها بها بأنها على ما يرام، فاوقفتها نور حينما قالت:

_اللي قولتيه ودخل على ماما آية بالمستشفى مش هيدخل عليا يا رحمة.. انا كنت عارفة

انك بتكدبي واستنيت الفرصة المناسبة عشان اتكلم معاكي ونكون على راحتنا.

ترقرقت عينيها بالدموع، وجاهدت للبوح عما يضيق صدرها، فقالت بتلعثم:

_نور أنا شوفت مصطفى.

انقبض قلبها لسماع ما قالت، فرددت بعدم استيعاب:

_مصطفى مين؟ ابن عمك!

هزت رأسها فجحظت نور عينيها بصدمة، وخاصة حينما قصت رحمة عليها ما حدث

بالتحديد، واتفاقية ياسين الجارحي معها والزامها بالصمت، وختمت حديثها بالـ:

_انا بين نارين لا عارفة اصارح عدي باللي عرفته ولا قادرة أخبي عنه أكثر من كده.. خوفي

وتفكيرى بيفضحونى يا نور.. غير انى هموت من قلقى عليه.

لعلقت شفيتها بتوتر، وهى تجاهد للحصول على حل مثالى لما تخوضه، فقالت:

_أنا من رأيى تعملى زى ما عمى قالك يا رحمة، عدى عنيد ومش هيقدر يحل الموضوع

ده بالعقل.. وانتي شايفة حالته.

قالت ببكاءٍ حارق:

_مهو المشكلة انى مش عارفة ادارى عنه.. عدى عارفنى أكثر من نفسى يا نور، لما

بيوصلى قلبى بيتقبض يعرف اللي خبيته عنه صدقيني لو عرف انى كنت عارفة وخبيت

عنه مش هيعدهالى!

_هو أيه اللي مش عايزانى أعرفه وياسين باشا محظر عليكى الكلام معايا فيه!

صعقت حينما وجدته يستند على الطاولة المطولة، وعلى ما يبدو بأنه يتابع حوارها منذ

البداية، ابتلعت ريقها الجاف بصعوبةٍ بالغة وهى تردد بصوتٍ يكاد مسموع:

_عدي!

قطع المسافة بينهما، وهى تتراجع للخلف بارتباكٍ وخوف يلمع بحدقتها، فاستدارت تجاه

نور التى تراقبهما بصدمة تماثلها، وانسحبت على الفور تأتي بنجاتها، بينما بقت رحمة فى

مرمى البصر أمامه، لم يعد هناك مفر من الهروب، وخاصة حينما أمسك راسخها، واجبرها

على الاقتراب منه ليسألها بصوت على الرغم من كونه هادئ الا أنه خطير بالدرجة التى

جعلت جسدها يرتجف بين يده:
_مخبية أیه عني طول الفترة اللي فاتت دي، أنا كنت واثق إنك بتداري شيء خطير وخيفة
أكشفه!

وتحررت عصبية بنجاح حينما صرخ بها:
_ودلوقتي حالًا هتنطقي وتقولي أیه اللي ياسين الجارحي مش عايزني أعرفه؟
أغلقت عينها برهية من صراخه، وترجته بنبرتها المرتجفة:
_عدي..

ذم شفتيه وهو يحركها بين يده بعنف:
_دموعك مش هتشفعلك يا رحمة، انك تخبي عني حاجة ياسين الجارحي عارف بيها دي
عندي كبيرة!
استندت بيدها على صدره الذي يعلو دقات قلبه بعصبية أسفل يدها، وقالت بصوتٍ
خافت:

_مقدرش ده موضوع يخص عمي وهو منبه عليا متكلمش فيه.. أرجوك قدر موقفني!
تجمع غضب العالم بأكمله ليسكن عسلية القاتمة، فرفع ذقنها اليه وهو يبعدها عن
أحضانه:

_لا مش هقدر.. أي شيء خاص بيك يبقى يخصني، الموضوع اللي مراتي فيه مبيقاش سر
وهتنطقي بكل حاجة.
_ابعد ايدك عنها فورًا.

صوته الصارم تحرر ليلقي أوامره على من يجابهه بنظرة عند وشراسة، احتدت نظرات
ياسين تجاهه، ومازال يحتجز وجهها بين أصابعه، فعاد ليكرر أمره بحسم:
_سمعت أنا قولت أیه؟

اخفض عدي يده عنها، فانتقلت نظرات ياسين لرحمة الباكية وأشار لها:
_اطلعي لمي هدومك وانزلي لعثمان تحت هو عارف هيوصلك فين.
جحظت عينيها في صدمة، فكيف ستتخلي عن زوجها وهو لم يتعافى كليًا، ترجمته بنظراتها
فلم تجد سوى نظرة جعلتها تهز رأسها في طاعة، وتحركت بجسدها لتتجه للدرج، وفجأة
وجدت من يمنعها بالصعود، أمسك يدها بقوة جعلتها تتصنم محلها، ونظراتها المرتعبة
تتوزع بينه تارة وبين ياسين الجارحي تارة أخرى!

ودت لو انشقت الارض وابتلعتها، كلا الاختيارين أصعب من الآخر، ولتكن صادقة كفة أي
ميزان مقابله ستختل أمامه، هو وكفى، هو العالم بالنسبة اليها، أمانها.. قربه كالاكسجين
وبعده سام كثاني أكسيد الكربون، قربه يعني حياتهما معًا، ارتعشت اصابعها فوق قبضة
يده القوية، فحاولت ان تحرر يدها عنه ونظراتها تترجاه خلسة، عسلية تمكنت من قراءة
ما ترسله له بسرية تامة، يده اهتزت من فرط رجفتها فخشى أن يصيبها السوء لما تتعرض
له بتلك اللحظة، فخفف يده عنها، رآها تهول للأعلى باكية، فسن قلبه وكأنه ينازع بالا

ينشق تحت قبضة ذاك الجلاد، اجتمع من بالقصر جميعًا من حولهما، فها قد عاد المشاغب
لحلبة تحدياته التي لا تنتهي، هبط عدي الدرج الفاصل بينهما، فوقف قبالته وهو يتساءل
بثبات قاتل:

ـ ممكن افهم ايه اللي بيحصل وانا معروفش!

بادله النظرات بصرامةٍ، والصمت هو سبيله، فعاد عدي يتساءل:

ـ من فضلك يا بابا محتاج أفهم اللي بيحصل.. أنا مش عيل صغير عشان حضرتك تخبي
عني وتجبر مراتي انها تعمل كده!!

ارتعب الجميع من الدخول لتلك الدوامة المغلقة، فخاضت آية تلك المعركة بمفردها،
حينما اندفعت تجاه ابنها، فحاوطة وجهه بيدها معًا، اجبرته على التطلع اليها ثم قالت:
ـ عدي عشان خاطري تهدى.. ياسين عمره ما بيفكر غير في مصلحتك.. عشان خاطري
تعالى معايا..

رفض الانصياع اليها وبقي كما هو، وجهه محاصر بين يدها وعينيه تحاصي عين أبيه،
اجبرته آية على التطلع اليها، وهي ترجوه بدموع انهمرت على خدها:
ـ عشان خاطري... بلاش تقف في وش باباك زي ما بتعمل.. صدقني هتندم يا عدي.. تعالى
معايا.

اخفض عينيه عنه بصعوبة ليتطلع لها، فانصاع ليدها التي تدفعه لغرفة المكتب، وفي
ذلك الوقت انتهت رحمة من اعداد حقيبتها، وما أن اتجهت للخارج حتى لحقت بها نور
وهي تحمل صغيرها، وقبل ان تتفوه بكلمة واحدة قالت:

ـ مستحيل اسيبك لوحدي وانتى بالحالة دي.. انا قولت لعمر، وموافق اني اروح معاكى.
لم تترك لها المجال للبقاء بمفردها، لحقت بها حتى لا بعد مكان تظن الذهاب اليه، وتبقى
الوحش ثائرًا لا سبيل لتهدئته سوى معرفة ما يحدث بالتحديد!

وصل لمهاب ابو العزم ما حدث بمكتبه بالقاهرة على يد أصغر ابناء عائلة الجارحي، فود
لو طالت يده رجاله ليضرم فيهم النيران بنفسه، ربما كان يسدد لهم الضربات خلسة ولكن
الآن قد اعلنوا الحرب عليه بمنتصف الساحة، وما هزمه بتلك اللحظة تلاقيه اخر ضربات
سددها له "ياسين الجارحي" بنفسه، حينما وصلته احدى مكالماته من رجاله بايطاليا
يخبروه بتسجيل صوتي

«ما فعله أحمد الجارحي سبب لشركاتك الكثير من الخسائر، وليس أمامك سوى تلك
الصفقة، عليك بكسب ذلك العرض لصالح شركتك والا ستعلن افلاسك، وما تسنى لنا
معرفته بأن ياسين الجارحي سيقدم عرضين لشركتين مختلفتين، سمعت بأن العرض الاول
المقدم باسم عدي الجارحي وياسين يحيى الجارحي، وأكثر من شاب، أما العرض الثاني
المقدم يخص شركة جديدة باسم مليكة الجارحي وعدد من الفتيات، اعتقد بأنه لن يفوت
تلك المناقصة سيفوز بعرضٍ منهما لا محالة!»!

كز على أسنانه بقوة كادت باسقاطهما، من كان يفكر بالأمس القضاء عليه يغلبه بالغد دون ترك له مجال كيفية التخلص منه، انتابته رهبة مخيفة من مواجهة ذلك الرجل لذا لم يجد أي حل يلجئ له سوى ما يحيل رأسه منذ اللحظة التي قرر بها الانتقام من عدي الجارحي، خرج عن شروده على صوت احد رجاله وهو يتساءل بقلق:

_هنعمل ايه دلوقتي؟

ابتسامة خبيثة دنست وجهه الشيطاني المخيف، واتبعت فحيحه وهو يردد:
_هنعمل اللي كنا عايزين نعمله من البداية... هنساوم ياسين الجارحي بابنه، بس الفترة دي خيلنا نلاعبه على الهادي لحد على الاقل ما اكسب المناقصة دي.

ارتعب وهو يسأله:

_بس ياسين الجارحي داخلها!

اجابه بسخط عظيم:

_الصفقة دي هتعوض الخسائر اللي الشركات اتعرضت ليها لازم نكسبها مفيش قدامنا اي اختيارات تانية... وبعدها هنعمل اللي قولتلك عليه وساعتها مش بس انتقامي من عدي هيكمل.. ياسين الجارحي بنفسه هيجيلي هنا زليل!

الفصل العشرون

كان على عاتقها مهمة شاقة، خاصة بأنها تقودها أمام ابنها الشرس، العنيد الذي مازال "ياسين الجارحي" بذاته يبذل مجهودًا شاقًا لتغييره، جلست "آية" جواره على الأريكة الجلدية السوداء، ثم أحاطت كف يده بقوة، وكأنها تخشى أن يتركها ويعود للخارج فيحدث جدال جديد بينه وبين أبيه، تألم عدي وهو يراقب نظرات خوفها، فردد بسخط: _ نفس نظرات الخوف اللي في عيون رحمة.. كلكم بيكون عندكم نفس النظرة قدام ياسين الجارحي.. الخوف وده أبشع شيء مبقدرش استحملة.

رفعت يدها على خده وهي تنفي ما يتودد لاعتقاده:

_ الخوف ده عليك أنت يا عدي.. عشان خاطري اهدى واوزن الأمور بالعقل.. باباك عمره ما فكر غير بمصلحتك وبس.

بهدوءٍ يماثل نبرتها قال:

_ ومصلحتي انه يبعد مراتي عني! فاكرنى زي رائد هبلع وهسكت!

ضغطت بيدها على وجهه، وشددت على كل حرفٍ تنطقه:

_ لا.. لا يا عدي.

واسترسلت بحدّةٍ يراها لأول مرة:

_ كل مرة بتعارض فيها أبوك بتندم لما بتعرف أیه اللي ورا معاملته وطريقته.. أرجوك بلاش ترجع لعندك وغرورك ده تاني.. يا حبيبي باباك مفيش في حنية قلبه وأنت شوفت بنفسك كتير عشان خاطري يا عدي بلاش تقف في وشه تاني.

انهمرت دمعاتها على خديها، فرفع اصابعه يزيحها عنها وهو يخبرها بحزن:

_ طيب ممكن تهدي.. أنا مش هعمل أي حاجة تزعلك وعد.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها، فضمها عدي اليه، اختبئ جسدها الهزيل داخل جسده الضخم، وكأنها ابنته التي يضمها اليه بحنان، انتبه "عدي" لمن يقابله بالنظرات الهادئة، فبقى محله يحتضن والدته وعينييه تتطلع اليه بضيق، اقترب ليبدو قريبًا منهما، فاعتدلت آية بجلستها وهي تهمس بخفوت:

_ ياسين!

انتصب عدي بوقفته، ثم دنى ليصبح قبالتها، ظل الصمت يلهو بينهما الى أن قطعه عدي حينما قال:

_ هستنى لحد ما حضرتك تقولي اللي رحمة مخبياه بنفسك.. ومش هحاول أضغط على حضرتك.

وتركه وصعد للأعلى وياسين يراقبه ببسمةٍ صغيرة، باءت جهوده الشاقة بثمارها وها قد

تمكن أخيرًا من ترويض شبلة الشرس!
عينيه تكبت غضبًا عظيم، والف كلمة تتردد على لسانه العاقد لها، ومع ذلك انسحب بكل هدوء وكأنه رفض الخوض بتلك المعركة التي ستجني على علاقته الشبه مثالية بابيه، تابعه ياسين بنظرة حنونة وقد بات الآن نسخة تكاد تقترب منه على حق، الآن تمكن من السيطرة على انفعالاته الطائشة، التحلي بالقليل من الصبر سمة لم تكن تمسه البتة، والآن تعلم اللجوء لأول درجاتها!

انتبه ياسين لمن تستند برأسها على ذراعه، فضمها إليه ثم طبع قبلة أعلى رأسها وصوته الجذاب الهادئ يخبرها:

_اطلعي أوضتك يا آية ومتخافيش على ابني.. كل شيء ماشي زي ما خططتله وصدقيني الكابوس ده هينتهي وقريب أوي.

رفعت رأسها إليه وهي تمنحه أجمل ابتسامة قد يتمنى رؤيتها بذاك الوقت، فهزت رأسها بخفوتٍ وتركته واتجهت للمصعد، اتجه ياسين لمقعد مكتبه، فجلس وهو يتربع بابيه بنظرات غامضة، جنت ثمارها حينما ولج أحمد وحازم للدخل بعد أن أمر جاسم باخبرهما بالذهاب خلفه لمكتبه الخاص.

العشرة وحفظ الطباع كانت كافية لمعرفة سبب استدعاء ياسين الجارحي اليهما، لذا لم يريد اقحام أخيه بالأمر فقال:

_عمي أنا بعذر عن اللي عملته بس الصور اللي شوفتها خرجتني عن هدوئي، ماما سبق وحكّلي أنا وأحمد عن ماضيها بس مقالاتش تفاصيل خاصة بعلاقاتها السابقة، أنا لما واجهتها كنت حابب أعرف منها أيه اللي ممكن تكون مخبياه تاني ويستغله حقير زي ده عشان أقدر امنعه.

استمع إليه بهدوءٍ قاتل جعله يسترسل بالميم:

_تخيلت للحظة إن الصور دي وقعت في ايد حد من ولاد اعمامي موقف والدتي قدامه كان هيكون أيه، والاصعب ان الكلب ده متعمد ينتقم من اللي عمله أحمد.. يمكن لو لجئ للانتقام بالشغل كانت هتكون منافسة رجال أعمال لكن اللي حصل ده واللي سبق وحصل لمروج مينفعش يتسكت عليه.

نهض ياسين عن مقعده ثم دنى ليصبح قبالة، فقال برزانة:

_متعتذرش على شيء مقلش منك.. شباب الجارحي رجالة ولو مكنتش عملت كده كنت هعاقبك بنفسي.

ابتسم حازم وهو يتابعه بنظرة مهتمة لسماع ما يقول، فاستطرد ياسين وهو يشير له:
_الظرف اللي معاك يتحرق وخليك واثق انه مستحيل يلجئ للكارث ده تاني.. وجودك هنا أنت وأحمد مش عشان السبب ده.

واتجه لمقعده مجددًا، فجلس وهو يخبرهما:

_أنتوا اديتله درس ميتنساش يعني اخدتم حقكم وبايدكم.. سبيوني أنا اللي أصفى باقي

الحساب..مش عايزكم تتدخلوا بأي شكل.. سامعني يا أحمد؟
هز رأسه بطاعة، فانتقلت عيناه لحازم الذي أكد له احترامًا لقراره:
_مش هعمل حاجة بدون اذن حضرتك.
منحه ابتسامة هادئة، فاستأذن كلاهما بالانصراف، فتسلل ندائه الخاص لصاحبه:
_خليك أنت يا أحمد.
توقف عن استكمال طريقه، فاستأذن حازم وانصرف على الفور، أشار ياسين له بالاقتراب،
فجلس على المقعد المقابل اليه، جذب ياسين ملف أسود من خزائنه الخاصة، ثم وقع
على الاوراق، ورقة تلو الاخرى، وأحمد يراقبه بدهشةٍ وعدم فهم، انتهى ياسين مما يفعله،
فوضع الملف من أمامه، تفحصه أحمد وهو يتساءل باستغراب:
_ده أيه يا عمي؟
أجابه وهو يسند ظهره لخلف مقعده بكبرياء:
_توكيل عام بادارة المقر ليك ولرائد.. أما ياسين فتعمله توكيل خاص بادارة شركة جديدة
باسم مليكة ورحمة ونور وباقي البنات.
ضيق عينيه بذهول، فتساءل بحيرة:
_أيوه بس ليه؟
رد عليه بثباتٍ فشل يومًا بالتخلي عنه:
_لانكم الاجدر بتولي المناصب دي ومتسألنيش في حاجة تانية.
واسترسل بصرامة:
_وطلبي الأخير منك هتنفذه.
تساءلت نظراته بلهفة عن ذاك الطلب، فأتاه رده السريع:
_المناقصة اللي داخلينها ممنوع انك تتدخل وتساعد عدي فيها بأي شكل من الأشكال..
عدي لازم يعتمد على اللي درسه في فترة وجوده بالمقر.. حابب أشوف تعليمك انت
وياسين له نهايته أيه.
ابتلع ريقه بتوتر وصدمة لمعرفته بما كان يحدث بينهم، فداعت شفتيه بسمة ساخرة
وهو يراقب حالته، فتهرب أحمد من لقاء عينيه الثاقبة حينما قال بتشتت:
_هو حضرتك أسست شركة جديدة!
نهض عن مكتبه ثم حمل هاتفه الخاص ومفاتيحه، واتجه للصعود وهو يردد بغموض:
_هتعرف كل حاجة بالوقت المناسب يا أحمد!

نهبت السيارة الطريق المتخلل للهواء المنعش، والاشجار تتمايل تناغمًا للتيارات الهواء
البارد، الحقول من حولهم سرت لتنعش قلوبهما، وهن يتأملن نوافذ السيارة بانبهار، حتى
توقفت أمام منزل كبير يحاوطه الحقول والمزارع، والأشجار الشاهقة، أسرع السائق
وعثمان الجالس لجواره بفتح أبواب السيارة، فهبطت رحمة ونور التي تحمل صغيرها

وتحاوطه بغطاءٍ ثقیل یحفظ جسده الصغیر من تلك الرطوبة، ولجوا معًا خلف عثمان الذي یشیر الیهما وعینیه لا تفارق الأرض، دث مفتاحه بالباب العتیق فانفتح من امامهما، ومن ثم وضع الحقائق وعاد بغلقه بعدم حرص بالتأكد على عدم حاجتهما لشيءٍ، الاساس المرتب بعناية جعل المنزل مریح للعين والنفس بآن واحد، كان یخلو من الطراز المتقدم وجماله متقن ببساطته الساحرة، ابتسمت رحمة وهي تردد باستمتاع:
_المكان ده جمیل أوي.

فتحت نور النافذة وهي تتأمل الحقائق بانبهار:
_فعلاً والله المكان یسحر..تسلم قرارات یاسین الجارحي.
_أیه ده نور ورحمة مش معقول!!
صوتها افزعهن، فلكرتها نور بغیظ:
_خضتینا یا رانیا.. دي دخلة بذمتك!
احتضنتها رحمة باشتیاق، وضمتها نور وهي تخبرها بجديّة:
_وحشتینا والله.. بس لما شوفت الجنة اللي انتی عایشة فیها عذرتك.
ابتسمت وهي تخبرها بوجع فشلت باخفائه:
_الجنة فی بعده نار یا نور.

رفعت حاجبها بسخطٍ، فوضعت الصغیر على الأریكة ثم توسطت بیدها خصرها وهي تصیح بهن:

_اسمعی یاختی منك لیها.. بالصلاة على النبی كده مفیش محن تانی، حکم أنا مش تاییه عنكم بالذات البت رحمة أول ما عدي یسبلها تنسی اسمها، انتوا هنا غضبین ومقهورین مش طالعین رحلة ولا شهر غسل.. یبقی تتلموا كده وتسبیونی اخططلكم واشوفلكم المناسب لتربية الزوجین المتهورین دول... اتفقنا؟
تطلعت كلا منهن للآخری ثم انفجروا ضاحکین فشاركتهن نور الضحك، ثم اشارت لرانیا قائلة:

_تعالی ورینی الاوض عشان انیم عدي وأغیر هدومي..
أسرعت رانیا بحمل الصغیر، واتبعت نور التي انحنى لحمل حقیبتها، فقالت بلهفة فشلت باخفائها:

_طب قولیلی رائد عامل ایه؟
توقفت عن صعودها للدرج، فجذبت منها الصغیر ورفعت الحقیبة وهي تشير لها بغضب:
_قولتلك مالیش فی المحن.. هاتی الواد وانزلی لصاحبتك اسالیها وانذبوا مع بعض للصبح.

وتركتها فارهة الفاه واسترسلت طریقها للأعلى، فأشارت لها رحمة بالهبوط بسخریة، ثم قالت وهي تتمدد على المقعد:
_متسألیش نور عن حاجة تانی.. بلاش تعصیبها الفترة اللي هنقعدها هنا.

سألتها بفضول:
_انتوا جيتوا هنا ليه؟
ردت عليها بحزن:
_اتخانقت انا وعدي وعمي قالي احضر شنطتي.
ارتسم الحزن على معالم رانيا، فربتت على يدها وهي تخبرها بحب:
_معلشي عدي بيحبك ومهما كان هيجيله الوقت اللي هيعرف غلطه.
قال باحتقان باحبالها الصوتية:
_هو مغلطش معايا يا رانيا.. انا اللي غلطانة ومش عارفة أبرر حتى موقفني.
تدفقت دمعاتها فضمتها رانيا اليها وهي تحاول التخفيف عنها، بينما قلبها يتمزق من لوعة
الفراق هي الاخرى.

يا ويل قلبي من عشق ملأ أعماقي، ليت غيمة الحب تمطر وتزهر الأشواق، ليأتي الغد
وتلقاني، فيختتم فراقنا باللقاء، فالشوق إليك مشتاق، ليتك ترق لقلبي وتهوى لقائي، ألم
تكتفي من البعد أم أن قلبك مازال يلوذ بقيود الصمت الشّاجي!
رسالة تتبعها الاخرى، ولم ينتابه الملل ولو للحظات، الليل قد غسق بظلامه الكحيل،
وظلمة قلب رائد تزداد وتشرق مع تحول رسالته لمقروءة، وتارة يرى أعلى شاشته خاصية
«يكتب» ، فيشرق قلبه بنور عشقها، ويترقب ما سترسله اليه، فيخيب ظنه من جديد حينما
لم ترسل بشيء، وكأنها تتردد بالضغط على الارسال، فارسل هو لها:
_قولي اللي مترددة تقولي يا رانيا.. عشان خاطري كلميني.
خاب ظنه للمرة التي فشل بعدها، فتمدد على الاريقة وعينيه لا تفارق فراشه الذي رفض
التمدد عليه وهي ليست تشاركه نومته!

أغلق عدي الهاتف مع مازن، بعد أن أخبره بأنه اتجه للساحل برفقة مروج ليعوضها
فراقهما عن مصر لسنوات، فالقى هاتفه على الفراش بملل، جفاه النوم وهي بعيدة عنه،
وما يقتله ببطء ما تخفيه عنه، كم مرة أمسك هاتفه وحاول طلبها وهو يعلم بأنها ستجيبه،
ولكنه رفض مواجهتها وبقلبه كل ذلك الغضب، فأبعد الرباط عن يده وهو يشعر بحاجته
للرياضة عليها تشفي نيران قلبه، نجح باداء بعض التمارين التي لم تحتاج لذراعه المصاب
حتى انتهى فجلس على المقعد المستدير وهو يحاول التفكير في الامر، فعزم امره بأنها
لربما تخفي عنه أمراً يخص حادثه الغريب الذي يوسم بأنه مدبر سابقاً، فان كان رجل
الاعمال مهاب أبو العزم خلف ذلك للانتقام مما فعله به اذن عساه يعود للانتقام
واستغلال بعد رحمة عنه، شعر بالاستياء لقرار ابيه ببعدها في حين انها لربما وجهة
للخطر، لذا جذب هاتفه وحرر اتصاله حتى استمع لصوت متصله:
_باشا. ليك وحشة!

املى أوامره دون أن يعبأ بحديثه:
_هبعتلك عنوان عايزك من بكره تاخد رجالتك وتحاوط البيت وتحمي اللي فيه.. سامعني.
_علم وينفذ يا باشا.
اغلق عدي الهاتف ثم القاه على الفراش، واتجه لحمامه الخاص عله ينعم ببرودة المياه
لتزيل ارهاق العودة للرياضة بعد انقطاع أيام.

توسطت الشمس كبد السماء، لتعلن عن زوال ذاك الليل الجاف، استعداد الجميع للذهاب
للعمل ومن بينهم معتز، ارتدى سروال أسود وقميص أبيض اللون، وجاكت الأسود، ثم
استعد للهبوط للأسفل، فتفاجئ بشروق تجذب حقيبتها الصغيرة وتلحق به، ضيق عينيه
وهو يتساءل بذهول:
_على فين؟

ضيق عينيه بدهشةٍ لعدم تذكره وعده القاطع لها، فقالت:
_أنت نسيت ولا أيه.. انت مش قولتلي هنزل معاك المقر من بكره؟
تسنى له تذكر تلك الحلقة الغير محبة، فرسم ابتسامة مصطنعة وهو يجيبها:
_آه افكرت طبعًا.
وبغيظٍ كبته داخله، أشار:
_اتفضلي يا حياتي.
وضعت حقيبتها على معصمها، واتجهت للمصعد بدلال رقيق:
_ميرسي.

لحق بها وهو يدعو أن تمر الامور علة ما يرام، فكيف سيحتمل عملها هذا وأغلب موظفي
المقر رجال، السيدات تشغل مناصب ليست كثيرة، إن لم يقدم وعده لها لكان تغاضى عن
الأمر في الحال، وأخيرًا وصلت سيارته للمقر، فصفها بالجراج التابع لمقر الجارحي، ثم اتجه
اليها، فوجدها مازالت تقف بالخارج بانتظاره، والارتباك يسمو عليها كالوحش المفترس،
وقف جوارها وهو يتساءل بقلق:
_انتي كويسة يا حبيبتى؟
هزت رأسها اليه، وحركت اصابعها امام وجهها عليها تحصل على الهواء، ورددت بخفوت:
_مرتبكة بس.. أنا بقالي سنين مجتش هنا.
أمسك يدها وهو يمضي جوارها، فمنحته نظرة ممتنة، حتى وصل أخيرًا لمكتبه الخاص،
فأشار لها على مكتب السكرتيرة الخاص به ثم قال على مضض:
_مكتبك.

وضعت شروق حقيبتها على سطحه، ثم جلست على المقعد تتحرك به بفرحةٍ، وهي
تتفحص المكان من حولها باعجابٍ، استند معتز على حافة مكتبها العلوي، ووزع نظراته
على من حوله بضيقٍ، وخاصة حينما أسرع تجاهه احد الموظفين فقال:

_لو مش هعطل حضرتك في اوراق مهمة محتاجة توقيعه.
عينيه الفضولية حانت منها التفاتة تجاه الفتاة التي استلمت العمل جديدًا، ومع ذلك
سحبها باحترام وهو يتابع رئيسه الذي انكمشت تعابيره تجهّمًا، فأشار له بغضب:
_سبها على مكتبي ولما هخلص هبعثك خبر.. ويا ريت تركز في شغلك وتبطل تبص
شمال ولمين.

شعر بالحرّ الشديد بالرغم من كونه شابًا مهذب، لم يصدر عنه السوء قط، وهذا بعث
الصغيرة لقلب معتر الذي حمل ذاته ذنب هذا الشاب، ففز على أسنانه وهو يحاول
التحكم في غضبه، انتبه لصوت شروق التي تناديه وهي تردد باستغراب:
_أنت هتفضل واقف كده كثير.. ما تخش شوف شغلك وخليني أشوف شغلي أنا كمان!
استدار تجاهها بنظرة جافة تعبت للغاية من رؤيتها، وخاصة حينما قال:
_يا ريت تتعاملني بحدود مع الموظفين انتي ست متجوزة ومش متجوزة أي حد.
عقدت حاجبها بصدمة من حديثه، ولم يسبق لها على ذاك المقعد سوى خمسة دقائق،
فنهضت وهي تشير له بغضب:
_تقصد أيه يا معتر! أنا لو مكنتش متجوزة يعني كنت هساير حد!! دي لا أخلاقي ولا
تربيتي.

واسترسلت بعصبية بالغة:

_خد بالك من طريقتك وبالذات هنا.. انا لا هستحمل اسلوبك ولا طريقتك دي معايا.. حتى
الشاب اللي كان واقف معاك من شوية أيه اللي حصل منه عشان تعامله بالطريقة دي!
تأثر صوتها من الحزن الشديد التي شعرت به، فجذبت حقيبتها وقالت:
_أنت عملت كل ده في أول خمس دقائق من قعدتي على الكرسي ما بالك لو استمررت
أكثر من كده.. أنا قولتلك قبل كده مش هرضى باهاناتك مهما كان التمن.. وأنا بنفسني
رافضة وجودي هنا لو هتعاملني بعدم احترام.
وتركته مشدوّهًا واتجهت لتصعد للمصعد، فلحق بها وهو يردد بدهشة:
_انتني رايحة فين؟ شكلك بتلككي!

منحته نظرة ثاقبة قبل أن تضغط على الزر الارضي للمصعد، فغادرت باحدى سيارات
الأجرة للمكان الذي توجب عليها الذهاب إليه منذ الأمس، فلم تعد رانيا فقط بصحبتها..
نور ورحمة لجوارها أيضًا.

بغرفة "أحمد"

شعر بأنفاسها تلفح وجهه، ففتح عينيه ببطء فوجدها تتأمله بابتسامتها الساحرة، ابتسم
وهو يميل تجاهها ليطلع قبلة على جبينها:

_صباح الخير يا حبيبتي.

أغلقت عينيه بحب جعل نبرتها ترسل بترنيم خاص:

_صباح الورد.. أتأخرت في النوم وأنا محبتش ازعجك.
انحنى بجسده ليجذب ساعته الموضوعة على الكومود، فأعاد خصلات شعره للخلف وهو
يردد بدهشة:

_أنا ازاي اتأخرت بالشكل ده.
وجذب الهاتف وهو يتفحصه بصدمة:
_المنبه مرنش ازاي وأنا عمله بايدي!
جذبت آسيل الساعة والهاتف منه، ثم وضعته على الكومود المجاور لها، ومالت برأسها
على صدره وهي تخبره بضيق:

_أنا اللي عملت كده عشان تقعد معايا النهاردة.
حاوطها بحنان وهو يقربها منه، فمال برأسه عليها ثم قال بدهاء:
_لو عليا نفسي أقعد عمري كله جنبك يا نور عيوني.. بس أنتي شايقة وضع عدي ورائد
حتى ياسين مبقاش يجي الفترة دي المقر.. الشغل كله عليا ولازم عمي والمدراء
ميحسوش بتقصير في غيابهم.

ابتعدت عنه وهي تتطلع اليه بطفولية، فضحك وهو يمنحها وعدًا:
_خلاص هحاول أخلص شغل بدري واعدي عليكى نسهر بأي مكان.
عاد وجهها ينير دنياه من جديد، فضمها براحه بعدما نجح بامتصاص غضبها، فنهض
وأسرع للخزانة، ثم جذب إحدى الحلى الكلاسيكية، ارتدت آسيل مئزرها، ثم اتجهت اليه
لتعاونه بغلق أزرار قميصه وهو يتابعها بشغفٍ وابتسامة ترسم فور رؤياها، رفعت عينيها
اليه وهي تحاول القاء سؤالها المتردد على لسانها، فقال بنفس ابتسمته:

_قولي اللي عندك.. أنا سامع.
وكأنها كانت تنتظر سماع ذلك، فقالت:
_كنت عايزة أسالك عملك أيه في موضوع ليان؟
جلس على المقعد وهو يربط رباط حذائه وقد لاح الضيق على وجهه، كان يود اخبارها
بالامس ولكنه فضل الصمت، فقال بتريث:
_عدي حل الموضوع.

أسرعت تجاهه وبدت الصدمة عالققة على ملامح وجهها:
_حله ازاي!

قال وهو يستقيم بوقفته:
_يعني وقعته في شر اعماله وقبضوا عليه وهو رايح برجله يشتري مخدرات تكيفه بفلوسنا،
وقدر انه يتخلص من الشهادات المزورة اللي انتي بدلتها بالسجل.
ابعدت يدها عنه وهي تجاهد تلك الصدمة، فقالت:

_يعني انت رجعت اسمها تاني لابوها الحقيقي اللي بقى رد سجون!!
_بلسانك نطقتيها يا آسيل أبوها الحقيقي.. وسبق واتكلمنا قبل كده وقولتلك اني عمري

ما هكون معاكي في اللي يغضب ربنا!
قالها مشدوّهًا من استيائها لما فعله، وخاصة حينما صرخت بانهيّار به:
_انت ازاى تعمل كده يا أحمد.. انا قولتلك انا اللي متحملة الذنب.. أنت ايه مش بيهون
عليك زعل بنتك!
واستطردت بعدم تصديق لما فعله:
_طب مجاش في دماغك انه بكره يخرج من السجن ويرجع يبتزنا تاني ويطالب ببنته!
قوس حاجبيه بصدمةٍ وهو يتمنى ان تكف عن الحديث، فصاح بها بانفعال تام:
_أنا مش مصدق اللي بسمعه.. من يومين كنتي منهارة تحت رجلي عشان اسامحك
والنهاردة بتجادليني.. يعني انتي مكنتيش معترفة بغلطتك من البداية وبتلعبي بيا عشان
أعدي اللي عملتيه!
وجذبها اليه وهو يسترسل بغضب:
_شايفاني عيل صغير ولا طيبتي وحي ليك حسستك اني هفق!
بكت وهي تحاول تبرير خطأها:
_قولتلك قبل كده هعمل أي حاجة عشان بنتي وآ..
قاطعها بنفور وقد ضاق صدره من الحديث بالامر:
_مش عايز اسمع حرف منك.. أنا مصدوم ومش مستوعب اللي بتقوله ده.. ده بدل ما
تحمدي ربنا ان عدي نجدك من الغلطة اللي كانت هتشيلك ذنب كبير لباقي عمرك!
وجذب حقيبته الموضوعة على مكتبه بطرف الغرفة، واتجه للمغادرة وهو يشير لها بحزم:
_النقاش معاكي في الوقت الحالي بدون نتيجة.. هسيبك تفكري مع نفسك يمكن تحسي
بغلطتك بجد من غير تمثيل!
وتركها وغادر وهي تتأمل الباب الذي تركه مفتوح من خلفه بعدم تصديق، مجرد تحطيم
ما فعلته جعلت النيران تتقاذف اليها دون رجعة، ظنت بأنها اخمدت نيرانه وفعلت ما
ارادت فمزق أمالها بما فعله، الهبها الغضب، ولم تجد سوى الابتعاد لفترةٍ تحسم بها
امورها.

بالمقر الرئيسي لشركات "ياسين الجارحي"
أسست الطابق العلوي بأكمله وتم تجهيزه خصيصًا للفتيات، وتم الاهتمام بالغرفة التي
ستضم المكاتب، فتم تحضيرها بالمعدات بفترة زمنية لا تصدق، تحت اشراف شخصي من
"يحيى" و"رعد.."

بالجناح الخاص بمليكة..
استند بجسده على حافة السراحة، ثم وضع كلتا يديه بجيوب سرواله القطني، ونظرات
عينيه الساحرة تحاصر تلك التي تتصنع العصبية باجتياز، بسمته تلك استفزتها، فقالت

بدموع تتصنعها:

_أنت بتتريق عليا يا ياسين؟

أشار لها بملامح شبه جادة:

_أنا يا ملاكي! بالعكس بسمعك بمنتهى الاهتمام... كملّي كنتي بتقولي أيه!

عادت ملامحها للغضب وهي تصيح بانفعال شرس:

_كنت بقول انك مش شايف غير شغلك أنا مبقتش بشوفك غير صدفة!

اتسعت ابتسامته، وقال بنبرة باردة:

_حبييتي أنا معاكي هنا من يوم ما ولدتي ما خرجناش من الجناح نهائي!

ابتلعت ريقها بارتباكٍ وهي تهمس بصوتٍ ظنّته غير مسموعًا:

_آه.. صح.

وعادت لتتصنع تعصبها مجددًا وهي تشير له بغضب:

_بس ده ميمنعش انك مش مهتم بيا ولا بتفاصيلي ولا آ..

قاطعها حينما قال برزانة نبرته الرجولية:

_مليكة أنتي بتتلككي عشان تروحي للبنات صح؟ أنا ابن عمك وفاهمك كويس!

ضغطت باسنانها على شفثيها بقوةٍ، فمالت برأسها على صدره تبكي بصوتٍ جعله

يتمادى بالضحك، غير مصدقًا لما يحدث هنا، وخاصة حينما رددت ببكاءٍ:

_مش عارفة اقعد من غيرهم يا ياسين..كانوا كل دقيقة واحدة تخط عليا وتقعد معايا.. أنا

خايفة انزل تحت مالقيش رحمة ولا نور.. حتى آسيل وشروق كلموني وقالولي انهم

طفشوا وراهم.

ضحك بصوته كله وهو يردد بعدم تصديق:

_طفشوا!! وانتي بقا عايزة تطفشي وراهم فقولتي أدور على حجة محترمة صح؟

فتحت نصف عين وهي تراقب انفعالات وجهه جيدًا، وحينما وجدته يتقبل الامور بصدر

رحب قالت:

_هو كده بالظبط.

رفع وجهها اليه ثم قال ساخرًا رغم ثبات نبرته:

_وعلى أيه كل ده يا روعي.. بديكي الأذن انك تروحيلهم بدون ما تحصل بينا خناقات والذي

منه.. بس بليز خليكي فاكرة اننا مفيش بينا شيء يزعل عشان لو نور حبت تقلبك عليا انا

كمان!

تحول بكائها المصطنع لابتسامة مشرقة، ثم عادت مجددًا للبكاء على صدره، فبرق بعينييه

بدهشةٍ دفعته ليتساءل:

_في أيه ثاني؟

قالت من وسط عويلها:

_مش قادرة البس واروحلهم.. مش عارفة نور بتتحرك بطلاقة وكأنها كانت في رحلة مش

طالعه من ولادة.. انا تعبانه يا ياسين ومش قادرة اتحرك!
ضحك مجددًا وتلك المرة أحمر وجهه من فرط ضحكاته المتكررة، فقال بصعوبة
بالتماسك:

_بس كده.. انا بنفسى هحضرلك شنطة صغيرة وهنزلك لحد العربية وده أخري للأسف
ياسين الجارحي عمل هناك حظر تجوال ومحدث يعرف بيودكم فين.. وان كان على يحيى
أمره سهل انا وهو هحاول نتأقلم مع بعض.
ابتسمت وهي تتأمله بحبٍ، فأحاطت رقبتة بذراعيها، وهمست بفرحة:
_تعرف اني بحبك.

طوف خصرها بيده والاخرى يبعد عن عينيها خصلاتها المتمردة:
_حبي فيا عشان اغير رأيي وأخليكي تدوري على حجة بجد عشان تمشي.
وابتعد عنها ثم جذب الحقيبة الصغيرة، فوضع بها بيجامات خاصة بها واسدالها الخاص،
والاهم من ذلك وضع سجادتها الخاصة ومصحفها الشريف الذي يحمل نفس لون
السجادة البينك، وقبل أن يغلق الحقيبة قال وهو ينحني فوق الحقيبة:
_وده يا ستي الروب بتاعك عشان لو الجو برد بليل تلبسيه.. لو في حاجة نسيته قوليلي؟
هزت رأسها نافية والعشق لذاك الرجل الحنون يتلأأ بحدقتها، دنى منها ياسين، فضمها
اليه ثم قال بصوت رخيم:

_خدي بالك على نفسك وعلى ملاك.
أومأت برأسها بخفية، فانحنى ليساعدها بارتداء حذاءها، ارتدته على استحياءٍ فما ان اعتدل
بوقفته حتى أمسكت كف يده ثم طبعت قبلة خافتة على يده لما قدمه من مساعدة لها،
مرر يده على شعرها بحنان ومازحها قائلاً:

_استمتعي بس براحة وانتي بتنمي عليا.
ضحكت وهي تعقد حجابها، فضمها اليه ليعاونها على الهبوط والخادمة تكفلت بحمل
الحقيبة والصغيرة، هبطوا معًا للأسفل فوجدوا الشباب بالاسفل، راقب عمر الحقيبة
وتساءل بدهشة:

_على فين العزم؟
حدجته مليكة بنظرة مشاكسة، فاجابه معتز ساخرًا:
_لباقي الحزب يا حبيبي.. شكلهم متفقين.
ضحك جاسم وقال:
_تستاهل انت اللي غيور بزيادة عن اللزوم.
وما كاد باستكمال حديثه حتى وجد داليا تسرع خلفها على الدرج وهي تحمل الصغيرة
لتناديها بلهفة:

_استني يا مليكة انا جالاية معاكي هتسيبوني هنا لمين؟
ضحك معتز ليرد له الصاع بينما راقب عمر ما يحدث بذهولٍ، مال حازم على نسرين

فدفعها برفق وهو يجذب عنها طبق الحلوى:
_ انتي مستانية ايه انتي كمان قومي شيدي رحالك!
منحته ابتسامة واسعة وهي تشير على الحقيبة الموضوعة جوار الاريكة:
_ شداها من بدري يا حبيبي وكنت بستنى مليكة تخلص..
ونهضت وهي تشير لهن بحزم:
_ هيا بنا يا فتيات.
توافدوا خلف بعضهما البعض والشباب يراقبن ما يحدث بصدمة والاخر انقلب الامر عليه
بالضحك كياسين ومعتز، بينما عدي صمته كان مخيفًا للغاية.
جلس ياسين جوارهم، فحل الصمت عليهم جميعًا الى أن وصل أحمد بسيارته فولج
للداخل بصحبة رائد، جلسوا قبالتهم فسأله ياسين بفضول:
_ ايه اخبار المقر يا شباب؟
اجابه رائد وقد بدت الحيرة تتراقص به:
_ في حاجات غريبة بتحصل هناك.. عمال بيشتغلوا في الطابق اللي فوقنا وبيجهزوا
مكاتب جديدة.
رفع عدي حاجبيه بدهشة:
_ مكاتب لمين؟
_ للبنات.. لانهم من بكره هينزلوا يشتغلوا وزيهم زيكم بالضبط.
رد قاطع أتى من يحيى الذي كان بطريقه للاعلى، صدم الشباب الا أحمد لم يتأثر بما
استمع اليه لعلمه مسبقًا، ابتسم عدي وهو يردد بسخرية:
_ وده طبقًا قرار ياسين الجارحي... عشان كده مشوا واحدة ورا الثانية لان أكيد الموضوع
ميحلاش بالنسباله غير بالتحديات.
اجابه يحيى:
_ لا يا عدي الفرع اللي هيمسكوه تابع لشركاتنا برضه.
واسترسل وهو يتجه للدرج:
_ عمومًا الكل لازم يكونوا موجودين بكره بالمقر.. في موضوع مهم ياسين هيكلمكم فيه...
عن اذنكم.
وتركهم وصعد للاعلى والجميع بدهشة مما يحدث، فقطع دخول مازن جلستهم، فجذب
احد المقاعد وضمها اليهم، فسأله معتز بدهشة:
_ انت مش كنت بالساحل مع مروج يا ابني!
رد بغيط وهو يكاد ينفجر:
_ البنات كلموها وراحتلهم!
همس عمر ساخطًا:
_ الحزب اكتمل!

بالمنزل الخاص بالفتيات.

استمعوا اليهن جيدًا، وما ان انتهوا من قص ما حدث، قالت رحمة بعتاب:
_شروق ممكن تكون معاها حق في تصرفها لكن انتي لا يا آسيل، أحمد معاها حق..
مينفعش تحلل اللي حرمه ربنا ولا نقبل بيه بأي شكل من الاشكال!
انكست رأسها بحزن، وقالت والدموع رفيقتها:
_غصب عني يا رحمة.. أنا مش جاهزة أعيش التجربة دي تاني.. أنا ببقى ضعيفة ومش
قادرة أقوى ليان!
ربتت رانيا على كتفها بحنان:

_معلشي ربنا هيقدرك وهتكونلي ليها ام عظيمة تصبريها على اللي هتتعرض ليه.. وزي
ما أحمد قالك عوديتها انها تكون قوية وقادرة تواجه كل اللي هتتعرض ليه.
واضافت نور:

_سببوها دلوقتي يا بنات.. لما هتهدي وهتوزن الامور هتعرف انها غلط وإن أحمد عمل
كده لمصلحتها.

واتجهت النظرات تجاه شروق الباكية، فقالت نور بمزح:
_قولتلك الف مرة جوزك ده عايز يتحط مع رائد في حبس منفرد.. الاتنين لا يصلحوا
للجواز عايزين اعادة تأهيل من أول وجديد.. وأنا اللي هساعدكم بعون الله..
ضحكت رحمة وهي تشير لها بسخط:
_طلاقهم على ايدكم بعون الله!

قاطع جلستهم صوت طرقات باب المنزل ومن بعده حرر عثمان المفتاح الخاص به،
فولجت الفتيات معًا للداخل، صعقت نور ورحمة حينما وجدوا مليكة وباقي الفتيات
أمامهن!

بالقصر.

أخبر عدي رائد بالمكان الذي نقل به ياسين الجارحي للفتيات، وأخبره بالا يذهب الآن
وينتظره بالصباح سيذهب بصحبته لرؤية رحمة، جفاه الشوق ولم يرف له جفن، فأتصل
بحازم وجاسم ومعتز وطالبهم بالمساعدة، وكان منهم ان استعدوا جيدًا لسطو المنزل
ورؤية زوجاتهم، صعدوا للسيارة وتحرك بهم رائد متبعًا الموقع الذي أرسله له عدي، فما
ان وصلوا حتى احاطوا المنزل لأكثر من ساعة كاملة حتى حددوا غرف الفتيات، فوضعوا
السلم الحديدي وعاونوا رائد على الصعود لغرفة رانيا، وجده تتمدد على الاريقة وتتأمل
شاشة هاتفها باهتمام، على ما يبدو بأنها تهيم برسائله دون أن تهتم باجابته، انتفضت
بجلستها بفزع حينما رآته يقف أمامها، تراجعت رانيا للخلف بصدمة اتبعت نبرتها الخافتة:
_دخلت هنا ازاى؟

اجابها ومازال يدنو منها بقربٍ خطير:
_فاكرة اني مش هعرف اوصلك!!
استدارت راكضة لباب الغرفة وهي تصيح:
_نور... رحمة.. بنات!

كمم فمها جيّدًا، ودفعها للحائط الذي بات معتقل اليها، يده تمنع حديثها واليد الاخرى تقيد حركتها المنفعلة، رمادية عينيه تشكو جفائها، وبحزن شديد أخبرها:

_ازاي قدرتي تبعدني عني يا رانيا؟ ازاي قدرتي تعمليها؟
تهاوت دمعاتها على خدها فلامست يده التي تحركت عن فمها لتزيحها ومن ثم احتضن وجهها بيديه معًا وهو يقطع اخر مسافة بينهم وبصوته الرجولي المجروح قال:
_عارف ان غلطي كبير.. مش طالب منك غير فرصة اصلح بيها غلطتي... انا متعمدتش أتسبلك بالجرح ده.. صدقيني غصب عني!

ابعدت يده عن وجهها وابتعدت قليلًا وهي تشير اليه:
_امشي يا رائد... امشي قبل ما انكل ياسين يعرف بوجودك هنا.
جذبها بقوةٍ اليه وصاح بعصبية بالغة:

_بعدتي مرة وعاقبتيني ونتيجتها ايه حرمتني من بنتي سنين طويلة، المرادي عايزة تعاقبيني بأي شكل على غلطة مقصدهاش يا رانيا!
احتدت عينيه بنظرة قاتمة لحقها نبرتها الساخرة:
_عصبيتك دلوقتي بتأكدلي انك عمرك ما هتتغير يا رائد... يلا مد ايدك عليا وارجع اتأسف
تاني وقول مقصدهاش!

مرر يده على خصلات شعره بجنون، ثم تلبسه رداء هدوئه وهو يخبرها:
_آسف.. بس أنا نفسي تحسي بيا أنا بقالي فترة قالب الدنيا عليكي وانتي بتشوفي رسايلي ورافضة حتى تطمينيني عنك!

واقترب مجددًا وهو يحتضن وجهها، وأجبرها على التعمق بعينه وهو يهمس بصوته الحنون:

_قدرتي تبعدني ازاي وأنا في الحاله دي.. قدرتي تنسيني وتدوسي عليا بالسهولة دي!
فقدت قدرتها على مفتاح قلبها الذي يملكه هو، فتحررت دمعاتها من جديد وبهميس ذبح قلبه رددت:

_مقدرتش.. أنا مقدرتش لانك ساكن في كل نفس بأخذه.. ساكن في قلبي وجوه روحي..
انا كنت بموت وانت بعيد عني!

ضمها اليه بقوةٍ جعلتها تنصاع اليه، همساته خدرت جسدها بين يده، وصوته الدافئ يخبرها بعاطفة:

_وحشتيني!!

كادت بأن تستسلم اليه بطوفان عشقهما الخالص، فقاطع صفوهم صوت صغير قوي

من جوار شرفتها ومن بعدها صوت جاسم المتعصب:
_انت يا عم روميو... انجز السلم هيقع فوق نفوخوا كلنا!

رمشت بعينيها بصدمة:

_ده صوت جاسم!

ضحك وهو يغمز لها بمشاكسة تجاه النافذة، فهرعت لتتفاجئ بجاسم ومعتز وحازم،
يحملون سلم معدني يتصل لشرفتها، فإشار لهم معتز بسخرية:

_انجزوا لسه لينا دور!!

اضاف حازم بسخط:

_انا بقا متنازل عن دوري مش طايق اشوف خلقتها اساسا انا جاي هنا بالغصب وتحت
تهديد السلاح لكن انا مصدقت اني طفشتها!

اضاف جاسم ساخرا:

_على آخر الزمن هنعيش زمن المراهقين من ثاني!

واشار للاخير بحدة:

_انجز بقا بدل ما ياسين الجارحي يعلقنا..

_ايه اللي بيحصل هنا ده!

انتفضوا جميعًا على الصوت القادم من خلفهم، ابتسم معتز وهو يردد بخفوت:

_ده عثمان... يعني اعتبروا الخبر في عب ياسين الجارحي..

صرخ بهم حازم وهو يترك السلم المعدني الذي بدأ رائد بسلكه فسقط أرضًا يصرخ ألمًا،
بينما هوى حازم تجاه عثمان مسؤول الحرس بالمطرقة الموضوعة جانبًا وهو يردد:

_اقتلوهوووه بسرعة قبل ما يبلغ عننا!

احتضن المطرقة وهو يتراجع للخلف بصدمة، حاول ابتلاع ريقه بصعوبة فلم ينجح لذا
استدار اليهم وهو يشير بأعين كادت بالتحول عن مسارها:

_طلع هنا... ياسين الجارحي هنا!

قالها ثم تمدد أرضًا فاقداً للوعي، ركض معتز وجاسم تاركين رائد يتأوه أرضًا وهو يشير
لهم بالعودة لحمله، فتعركلت قدميهما ليسقطوا من فوقه ومن ثم تفاجئوا بعثمان
ولجواره ياسين الجارحي الذي وزع نظراته القاتلة بينهم، نهضوا جميعًا واقتربوا ليقفوا
امامه، كالاطفال المرتكبين لذنوب فاضح أمام استاذهم، اسند ياسين يده لخلف ظهره وهو
يوزع نظراته ببطء بينهم، فشق صوته جلاباب الليل العتم:

_اظن أنا منبه ان ممنوع حد يجي هنا.

ردد رائد بحرج:

_يا عمي.

اوقفه بإشارة يده وهو يسترسل بثبات تام:

_زي ما واضحلي مين اللي وصلك لهن يا رائد.

اجابه بحزن:
_أنا بس كنت حابب اعتذرلها وآ..
أوقفه بإشارة مجددًا وهو يشير لهم بصرامة:
_امشوا من هنا فورًا... وبكره في الاجتماع ليا كلام تاني معاكم.
فور انتهائه مما قال غادروا جميعًا بلمح البصر، فاستدار ياسين تجاه عثمان وهو يشير له:
_مش عايز نملة تعدي من قدام البيت يا عثمان.. بالذات الفترة الجاية فتح عينك وخليك
جاهز لاي حركة يعملها مهاب..
أومأ برأسه عدة مرات، وغادر على الفور فاستكمل ياسين طريقه للأعلى، فتح باب المنزل
ليجد الفتيات بانتظاره على طاولة الطعام الصغيرة، جذب ياسين المقعد الاساسي وهن
من حوله يرقبونه ببسمة ممزوجة حب واحترام، فقال وهو يوزع نظراته بينهم:
_جاهزين تشوفوا مكاتبكم من بكره!
واسترسل بخبث:
_اعتقد اننا خدنا أول خطوة... الخطوة الجاية عليكم!

الفصل الواحد والعشرون

الليل في ثلثه الأخير، ومازال الجميع بخصام مع النوم، وكأنه عدوهم الغير مرحب به بذاك
الوقت، الهموم تهرول من خلفهم فتجعل الراحة أخر مسعاهم، هبط "عدي" للأسفل حينما
جفاه النوم دونها، اختار الجلوس أمام النافذة العملاقة، بالقاعة الرئيسية للقصر، مضى
لدقائق قبل أن يشعر بخطوات تقترب منه، وقبل أن يستدير ردد:
_لسه صاحي ليه؟
ابتسم عمر وهو يجذب أحد المقاعد ليصبح قريبًا منه:
_حسيت انك صاحي.. روحتك اوضتك ملقتكش فقولت أكيد هلاقيك تحت!
أجابه بضجر يحاوطه:
_مجاليش نوم.
انتبهوا معًا لاحمد الذي دنا اليهم بالمقعد الخاص بالسفرة، فوضعه محاذة لمقعد عمر
وهو يردد بمزح:
_الظاهر ان الموضوع جماعي.. ياسين نازل ورايا.
اتبعه ياسين ومازن، فجلسوا جوار بعضهم البعض، فقال مازن ساخرًا:
_فين باقي الحزب؟

اجابه ياسين:
_يمكن نايمين.
اردف عدي باستهزاء:
_محدث فيهم هنا.
ضيق عمر عينيه بدهشة:
_راحوا فين بالوقت ده؟!
اتاته الاجابة صريحة حينما صدح صوت السيارات بالخارج، ومن ثم خرجوا معًا واتجهوا
للداخل، جلسوا جوار بعضهم على أريكة مطولة، يراقبون نظرات باقي الشباب بتذمر،
وخاصة حينما اخبرهم حازم بما حدث هناك، فردد أحمد بسخرية:
_كنت فاكّر إن حازم بس اللي مش بيفكر بعقل طلع في عدد يفرح ما شاء الله.
منحه معترز وجاسم ورائد نظرة ساخطة، فردد ياسين بضحكة مشاكسة:
_هموت وأشوف منظركم قدام ياسين الجارحي كان عامل ازاى!
أضاف عمر ساخطًا:
_بتعيدوا المراهقة من تاني ولا أيه! المفروض اننا بنعقل انتوا فاهمينها بأي طريقة!
خرج رائد عن صمته بنفاذ صبر لما يستمع إليه، ما كان ينقصه شيئًا حتى يستمع
لسخريتهم، فقال من بين اصطكاك أسنانه:
_اللي عنده كلمة يحتفظ بيها لنفسه، احنا مغلطناش ولا ارتكبنا ذنب!
رفع عدي احد حاجبيه ساخرًا:
_ولما تطلع على السلم في نصاص الليالي ده الصبح يا عاقل!
انكس رأسه أرضًا بحرج، فاستطرد عدي بحدّة:
_أنا قولتلك استنى للصبح أنا والشباب كنا هنروح معاك بس أنت اللي اتصرفت من
دماغك!
فصل مازن بين الطرفين، حينما ردد بملل:
_خلاص يا عدي.. اللي حصل حصل.. المهم دلوقتي هنعمل أيه؟
تساءل معترز بعدم فهم:
_في أيه يابو نسب؟
وضع الوسادة المطولة عن يده، ثم قال بضيق يعتريه:
_أنا كنت راجع دبي أنا ومراتي أيه اللي رجعتي هنا معرفش!
اتكأ جاسم للمقعد بأريحية، ثم قال ساخرًا:
_سفر أيه.. خليك هنا مصر محتاجة لشباب في طيبة قلبك يا ميزو.
كبت أحمد ضحكة كادت بالانفلات منه، وقال بجدية مصطنعة:
_جاسم معاه حق يا مازن.. سفر أيه اللي زعلان علشانہ صدقني هنا أفضل من برة كثير.
قاطع حازم حديثهم حينما أتى من الخارج مسرعًا، ليخبرهم وهو يحاول التقاط أنفاسه:

ـياسين الجارحي وصل!

فور انتهائه من اخبارهم كان الجميع يهرول لاعلى، حتى ياسين وأحمد وعمر، الوقت بات متأخرًا وذاك أهم قانون بقاموس قواتين قصر ياسين الجارحي، فإن رآهم مستيقظين لذلك الوقت، باتت القاعة أكثر هدوءًا بمغادرة جميع من حوله، ومع ذلك لم يتبقى سواه، هو من قرر المواجهة في تلك اللحظة بعد ان كشف أبيه مساعدته لرائد. كان بطريقه للصعود للأعلى، فتوقف عن استكمال طريقه حينما وجد عدي يجلس على الأريكة المقابلة للدرج، اتجه بخطواتٍ بطيئة حتى أصبح قبالته، فتساءل وعينيه تحاوطه بجمود، وبثباتٍ تساءل:

ـمهربتش زيهم ليه!

ابتسامة صغيرة دأبت شفتيه، فاستقام بوقفته ثم دنا ليصبح قريبًا من أباه، ثم قال: ـوأهرب ليه.. أنا معملتش شيء يخليني أهرب من مواجهة حضرتك! رفع أحد حاجبيه بحركته المعتادة، فكشفت أهدابه الطويلة عن عسلية عينيه، فقال بصوته الحازم المعتاد على القاء أوامره:

ـاطلع نام.. كلها كام ساعة وهتنزل المقر.

والتفت ليغادر وسرعان ما توقف محله حينما قال الاخير:

ـسبق وقولت لحضرتك اني مش هرجع المقر تاني، وأعتقد حضرتك اتقبلت ده! ابتسامة غامضة تشكلت على طرفي شفتيه، فعاد ليجابه من جديد، وتلك المرة قال برزانية:

ـعمر ك شوفت تلميذ مدخلش الاختبارات بعد مذاكرة ودراسة طول السنة؟

فشل بفهم مغزى حديثه، فاستطرد بمكر:

ـوأنت كذلك لو عايز تسيب المقر يبقى لازم تنجح في المناقصة اللي هيتعرض تفاصيلها بكره، وبدون ما تلجئ لمساعدة حد، وأظن إن المدة اللي قضيتها مع أحمد وياسين كفيلة تخليك تنجح، وقتها أوعدك أفكر في كلامك. واستدار بجسده كليًا ليتجه للدرج وهو يردد:

ـتصبح على خير.

تسلل خيوط الفجر مع اشراقة آذانه الهادئ الذي تسلل لأعماقه، لا يعلم لما ود أن تتحقق إحدى امنياته التي فشل بتحقيقها في صغره، أسرع عدي خلف أبيه فمنعه من استكمال طريقه حينما ناداه:

ـبابا.

توقف عن صعوده، والتفت إليه يطالعه باهتمام، فقال بتردد بدى بثقل كلماته:

ـالفجر أذن، في مسجد قريب من هنا لو تحب حضرتك نروح مع بعض.

ضيق عينيه وهو يراقب ما يحاول ابنه الغامض فعله، فهبط الدرجات المتبقية بينهما، ثم قال بهدوء:

_المسجد اللي سبق ونمت فيه قبل كده.. واضح انك بترتاح فيه وأنا حابب أصلي فيه. وتركه مندهشًا واتجه للخارج، فتحرك عدي من خلفه ليتبعه بخطواتٍ سريعة، حتى أصبح على محاذاته فتبطنّت خطاه، الهواء المنعش كان يلفحهما، والشوارع الخالية منحتهما السكينة، ربما قلة ما تشاهد ياسين الجارحي دون سيارته الفارهة، الآن يسير على قدميه جوار ابنه الذي يحارب ما بداخله من مشاعر متصاربة، لا يعلم لماذا لا يستحضر غضبه وسخطه على ما فعله أبيه، وكأنه بات على ثقة بكل قرار يتخذه حتى وإن أراد ابداء غير ذلك، انحنى ياسين ليخلع عنه حذائه، فوضعه جانبًا جوار حذاء عدي الأبيض الذي يليق بزيه الرياضي، ثم ولجوا معًا للداخل، توضاً كلاهما وانضموا لصفوف المصلين، وأدوا فريضتهم خلف الإمام، وكأن الله عز وجل أرسل أراد أن يرشده بطريق ضالته، فأراد أن يشد على يده ليتمكن من رؤية ما فشل برؤيته، فقال بخشوع يهز القلوب قبل المس بالابدان

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَنْتَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا»

لا يعلم لما ادمعت عينيه خلسة وهو يشعر كلمات تلك الآية، لطالما كان بار بوالدته، ولكن أباه لا يعلم اجابته الصريحة على سؤاله، مجادلته وعناده الدائم جعله في موقف حيرة، لا يعلم إن كان ينطبق على أبيه نفس الذي ينطق على والدته، كل ما يعلمه بتلك اللحظة أن عقله انجرف عن طريقه الدائم، ربما نظرته لصغيره جعلته يفق لمعاملة أباه، فنظرته لابنه مماثلة لنظرة أبيه، ومن المؤكد هو مثله لا يرغب الا بالأفضل إليه، انتهى الامام من صلاته وهو يسلم يمينه ويساره ومن خلفه المصلين، وتششت جمعهم بعدها، منهم من جلس جانبًا بصحبة القرآن الكريم يقرأ وارده قبل عودته لمنزله، ومنهم من غادر المسجد لمنزله، أما عدي فاعتدل بجلسته وقد نوى بارية جلسته البقاء، وحينما شعر ياسين بذلك اعتدل لجواره هو الاخير، وفجأة اندهشت تعابيراته حينما وجد عدي يتمدد واضعًا رأسه على ساقه، تحير من تصرفه الشبيه للطفولي ومع ذلك جنى الخوف ثماره داخله، فمرر يده بحنان فوق خصلات شعره البنية، وما تعجب له حينما غفاه النوم سريعًا، ابتسم ياسين وهو يتأمل بهشودٍ، لم يسبق له يومًا الشعور بذاك الاحساس الدافئ، ابنه المشاكس يغفو على قدميه ببراءة طفلًا صغيرًا مسالمًا، لا يسعى لخلق المشاكل بينهما، شعر وكأنه هو الذي يفتقد ذلك الشعور وليس ابنه، مرت أكثر من ثلاث ساعات ولم يحاول ياسين افاقته أبدًا، يده مازالت تعبت بخصلات شعره الثقيل، ويده الاخرى تراسل زوجته التي انتفضت فزعًا فور عدم رؤيتها له عند استيقاظها، عبث بعينيه بانزعاج، ففتحهما ببطءٍ، برق بحدقتيه التي لمحت سجاد المسجد، فانقشعت غيمة التيهة حينما تذكر آخر احداثه، استقام عدي بجلسته وهو يتطلع لياسين بضيق لحق نبرته:

_أنا آسف.. أكيد حضرتك تعبت.

وبرر بحرج:

_أنا معرفش راحت عليا نومة ازاي!
نظراته كانت تتلهف لمعرفة شيئًا يبعد كل البعد عما يشغل عدي بتلك اللحظة، فقال
بإكترّاث:
_عمرك ما عملتها حتى وأنت صغير... طمني انت كويس؟
هز رأسه ببسمةٍ صغيرة، وقال بهمين شبه ساخر:
_حببت أعوض اللي فات من طفولتي.. ولا ياسين بس اللي مسموحه بده!
وبجديةٍ تامة ادهشت ياسين ، تساءل:
_هو معقول حضرتك تكون بتحبه أكثر مني فعلاً!
اتسعت بسمة على معالمة الثابتة، فاعتدل بجلسته ليبدو قريبًا منه، عله يستمع لحديثه
الهام:
_وتفكر أنا بعز ابنك واولاد اخواتك ليه؟
ابتسامة بلهاء رسمها وهو يحك رقبتة، فاستند ياسين على مرفقيه ثم انتصب بوقفته وهو
يشير له ومازالت الابتسامة تداعب شفتيه:
_يلا نرجع القصر.. آية قلقانه ومش جايلها نوم.
أوما برأسه ولحق به، فتوقف ياسين عند باب الخروج، ثم دث يده بجيب جاكيتة وأخرج من
مبلغ، ثم وضعه بالصندوق المدون عليه "كفالة اليتيم" ، وانحنى بالخارج يجذب حذائه،
وفور انتهائه من ارتدائه، بحث حوله بغرابةٍ حينما لم يجد عدي يلحق به، فتطلع لداخل
المسجد، ووجده يضع مبلغ من المال بنفس الصندوق، اتسعت ابتسامته وهمس بصوتٍ
غير مسموع:
_لما كل ده ينتهي اوعدك يكون بينا تحديات تانية بس المستفاد منها اللي يستحق
الصدقة والخير!
خرج عدي ثم شرع بارتدائه (الكوتشي الأبيض) ، وما أن انتهى حتى خرجوا معًا للقصر،
فصعد كلا منهما لجناحه الخاص.

اعتلت الشمس عرشها الذهبي بتألق، وكأنها تزف بداية هذا اليوم الهام، اجتمع الشباب
بأكملهم بالمقر، بالغرفة الرئيسية للاجتماعات بانتظار ياسين الجارحي، مرت عليهم
الدقائق بملل، حتى فتح الباب الزجاجي عثمان الحارس الشخصي، ومن خلفه دخل ياسين
بصحبة الفتيات، فاتجهن للجلوس على الجانب الأيمن لمقعده الرئيسي، وعلى يساره كان
يجلس الشباب في حالة من الحيرة والتخبط لما يحدث هنا، رفع عدي عينيه بها فوجدها
تتهرب من التطلع إليه، وكأنها لا تحتمل عتابه القاس، حتى آسبل كان لها النصيب الاكبر
حينما وجدت أحمد يتجاهل وجودها رغم جلوسها قبالة!
وشروق فطالعتة بقوة والغضب يسيطر على حدقتها باحترافٍ، أما نور فلوحت بيدها
بسعادةٍ لعمر الذي ابتسم باستهزاءٍ عليها، أما رانيا فاحتقن وجهها بحمرةٍ غامضة وعلى ما

بدى لرائد بأنها لا ترتاح بجلستها، افتقد ياسين لوجود مليكة، فحينما هاتفها بالصباح أخبرته بأنها مازالت لم تسترد عافيتها بعد لذا ستحظى ببعض الراحة لحين تعافيتها الكامل. خيم السكون عليهم والنظرات بأكملها تتجه للمقعد الرئيسي بترقبٍ لما سيخبرهم به، مزق صوته الحازم رداء الصمت العتيق، فقال بخشونة:

_سبق وأخذت قرار بتدخل البنات بإدارة المقر والشركات، واللي حصل انهم مخدوش الموضوع على محمل الجد، حاليًا الأمور اختلفت والمقر محتاج ليكم كلكم، عشان كده من النهاردة مفيش تهاون.

ووزع نظراته بين الطرفين وهو يستطرد بجدية تامة:

_الامبراطورية اللي سعيينا ليها أنا وابائكم على المحك بسبب مناقصة كبيرة نظمتها أكثر من شركة غربية (أجنبية) ، ومفيش قدامنا أي حلول تانية غير ان العرضين يكونوا لينا لان مينفعش حد ثاني يشاركنا في المشروع المرتبط بالمناقصة دي.

وارتشف من كوب القهوة الموضوع من أمامه على مهل، ثم تابع:

_فاكرنا أنا ويحيى كتير عشان كده لقينا ان الحل الأنسب يكون لينا شركة بلوجو مختلف، والشركة دي هيكونلها أكثر من فرع تابع للمقر بس خاص للبنات.

والتفت برأسه تجاه الشباب وبدأ باملاء أوامره:

_ياسين وأحمد اللي هيتولوا تدريب البنات وتجهيز العرض الخاص بيهم.

واتجهت نظراته للمحترف الثالث، ثم قال بغموض:

_وأنت يا رائد حضر نفسك للسفر، الشركة طلبت تنفذ العرض بتاعك ولازم تكون هناك بنفسك.

اتسعت ابتسامة عدي وهو يلهو ذاته بتأمل حاسوبه، كانت خطة محترفة من أبيه لابعاد الأكثر خبرة من حوله، ليجعله عاجزًا، ليعتمد كليًا على ذاته، عساه لم يعلم عنه الكثير، لم يكن بالضعيف يومًا ليعتمد على أحدٍ من قبل، ولكنه كان بحاجة ليجمع خبرة تمكنه من قيادة المقر بحرفيةٍ تفوق أبيه، وها قد حان وقت الاختبار وله ذلك، هدوئه واتزانه أصاب الشباب بالتخبط، توقعوا ثورته العارمة تجتاح قواعد ياسين الجارحي، ولكنهم زادوا دهشة حينما قال وهو يتفحص قائمة رجال الأعمال المشاركين بالمناقصة:

_مهاب أبو العزم مشارك!

تحرك مقعد ابيه الهزار تجاهه، فأكد له بحديثه الغير مباشر:

_المرادي مش هيخسر عرض واحد الاتنين!

منحه بسمة صغيرة، وحمل الحاسوب بذراعه الأيسر ثم اتجه للخروج وهو يردد:

_خسرهم من دلوقتي.

وترك القاعة وغادر لمكتبه بثقة وثبات سبب حالة من الحيرة للجميع، وعلى رأسهم عمر

الذي بات لا يعلم ماذا يدور برأس أخيه!

أنهى ياسين اجتماعهم حينما قال:

_تقدروا تكملوا شغلکم.

وتابع للفتيات ثم قال:

_احمد وياسين هیکونوا معاکم متقلقوش.

اشار لأحمد الذي نهض عن مقعده وأشار لهن قائلاً:

_اتفضلوا معایا.

لحقوا به جميعهن وتبقى ياسين محله، التفت إليه أحمد وتساءل باستغراب:

_مش جاي؟

اجابه بوجوه تغلل ليجعله حزيناً:

_هحصلکم.

أوما برأسه بتفهيم، واستكمل طريقه للأعلى، فاختبأ رائد بالخارج، واستغل أن زوجته كانت

الاخيرة بينهم فجذبها للرواق الطويل التابع لمكاتب الشباب..

بينما بداخل قاعة الاجتماعات.

راقب ياسين الجارحي نظراته المتوترة بتمعن، فقرأ ما يتردد داخل حدقتيه قبل أن يتحدث

لسانه، فخلع عنه جاكيتته ثم القاه على طرف المقعد الجلدي، ومنحه اذن الحديث:

_عايز تقول أیه يا ياسين..سامعک.

ترك مقعده الاخير بين الصفوف، ودنا حتى جلس جوار عمه، لعق شفثيه بارتباكٍ وهو

يبحث عن مدخل لائق بما يود قوله، واخيراً استجمع شجاعته وقال:

_عمي أنا عارف إن حضرتک بتعمل كده مع عدي عشان يكون مسؤول وقادر إنه يتحمل

مسؤولية المقر لوحده، وعارف كمان إن حضرتک عمرک ما فرضت على، حد فينا يكون

موجود هنا احنا دخلنا من البداية الكليات اللي تخدمنا وتضيف للمقر وللشركات، زي ما

عدي وعمر اختاروا اللي حابين يكونوا عليه.. اللي بقوله ده لسبب اني أفهم حضرتک انک

لو بتعمل كده عشان محدش فينا يبص لعدم مساعدتهم لينا بالمقر فأنا مش لاقى سبب

مقنع لده لأن حضرتک اللي ربينا وعارف اننا مستحيل نكون بالشكل ده.

وانقطع لبرهةٍ ثم استكمل بحزن:

_عمر مخنوق كل ما بيحاول يبان انه كويس ييفشل في ده.. أما عدي فحضرتک بتحاول

تكسر جناحته اللي اتعود يطير بيها.. أرجوك يا عمي تعيد نظر في قرارک ده بلاش تجي

عليهم عشانا احنا قابلين وراضين ووجود البنات معانا هيساعدنا كتير فمفيش داعي

لوجودهم.

ورفع عينيه اليه وهو يردد بتوتر:

_سامحني لو تجاوزت حدودي مع حضرتک بالكلام، بس أنا خلصت ذمتي.

صمته أثار قلقه بشكل كبير، وخاصة غموضه الغير مرهون، يفشل في فهم مغزى هذا

الصمت إن كان تقبل للأمر أم غضباً لما تفوه به، لمسة يد ياسين على يده هو من

طمئنت قلبه، وخاصة حينما تابع ببسمةٍ هادئةٍ تزيد وقاره وقاراً:

_ أنت مورثتش من أبوك غير قلبه الطيب يا ياسين، بحس دايمًا بالسعادة لانك اختيار
مليكة بنتي، ومتأكد ان ربنا بيحبها عشان كرمها بشخص زيك.
ونهض عن المقعد ثم جذب جاكيتته، واتجه للخروج وهو يخبره:
_ اطلع للبنات وخليك جنبهم.. وخليك واثق اني دايمًا بختار الأفضل ليكم كلكم.
وتركه يراقب فراغه وغادر لسيارته على الفور، فانسحب ياسين للأعلى ليتابع ما كُلف به.

جذبها لتقف أمام عينيها، ونظراته الثاقبة تحيط وجهها، استندت على ذراعيه، وهي تتطلع
اليه باستغرابٍ اتبع سؤالها:
_ في أيه يا رائد؟
وبخوفٍ مصطنع، رددت:
_ أنت هتتحول ثاني ولا أيه!
رد عليها بعصية بالغة:
_ خليني أنا اللي أسالك فيك أيه؟ احنا مش اتصالحنا امبارح وكله تمام ومقضين الليل كله
حب بالموبيل!

هزت رأسها تأكيدًا لما أحضره من دلائل قاطعة، فاسترسل بغضب:
_ آمال قاعدة مش على بعضك ليه وعمالة تبصيلي من فوق لتحت!
أخرجت ما كبتته بداخلها حينما اندفعت تبكي على صدره وهي تطرد ما بداخلها بانفعال
شديد:

_ أنا هموت من الوجد، نور الله لا يسامحها ملبساني كعب أطول من حياتي وقال أيه لازم
نبان اننا كسيدات أعمال راقين.
ابتسم رغمًا عنه ومع ذلك ساندها، فانهارت وهي تشير له على قدميها:
_ الحقني يا رائد مش قادرة أقف.
انحنى تجاهها فحملها بين يديه، ثم اتجه لاقرب غرفة ففتح بابها، والاحيرة تصرخ بها:
_ مكتوب عليها عمر الجارحي!
اجابها وهو يضعها على سطح المكتب بعدما أبعد الاوراق عنه:
_ مش مهم.. وريني.

انحنى على قدميه تجاهها، فرفع الصندوق الذي ترتديه بصدمةٍ، ما يعرفه عن زوجته بأنها
تمقت ارتداء الكعب المرتفع، ناهيك عن ذاك الارتفاع القاتل، حرره عنها وهو يعاتبها
بضيق:

_ انتي لازم تسمعي كلامها يعني!
قالت وهي تتأوه ألمًا:
_ انا كنت حابة أجرب الكعب العالي مع الجيب والجاكيت ده عشان أغريك وانتقم منك..
بس اتريني انتقمت في نفسي.

قالت جملتها الاخيرة ببكاء جعله يضحك تلقائيًا، فاستقام بوقفته ثم ضمها اليه وهو يوسيتها بطريقةٍ مضحكة:

_يا ستي أنا بني آدم بيتغري بالكعب الأرضي عادي جدًا، انتي بس اللي مضخمة الامور انتي ونور!

تعلقت به بشوق لوجوده لجوارها، فضمها بحنان، ومع فتح باب المكتب دفعته عنها بخجل، صعق عمر مما رآه فرفع يده وعينيه تتحاشى التطلع تجاههما مبررًا موقفه الذي ظنه سخيًا:

_أنا بعذر الظاهر اني غلطت وفكرته مكتبي.. خدوا راحتكم.

وخرج على الفور ثم أغلق الباب من خلفه، وعاد ليفتحه من جديد وهو يردد بسخط:

_لا ثواني أنا صح مش بهلوس.. ده مكتبي فعلاً!

انزعج رائد لحالة الخجل المسيطرة على زوجته، فاراد تخفيف حدة ما تشعر به، فثار بغضب:

_تعالى اتفضل شوف أخرة عمايل مراتك.

ابتلع ريقه الجاف بصعوبة، فأشار له بتقزز دون سماع شكواه:

_أنا already متبري منها.

ثم دنا ليصبح قريبًا من رانيا التي مازالت تفرك بأصابع قدميها المتورمة، انكمشت ملامحه فزعًا، فتساءل بقلق:

_ده من أيه؟

حمل رائد الحذاء الثقيل وقدمه لعمر الذي برق بعينيه بصدمة، فشدد الأخير على اخباره:

_نور اجبرتها تلبسه.. ولازم حالا تصلح غلطة مراتك وتعالجها.

لوى فمه بازدراء:

_هو انتوا ليه بتحسسوني اني ساحر!

وجذب ورقة من على سطح مكتبه، ثم جذب أحد الاقلام ودون مرهم طبي ثم قدمه لرائد وهو يشير له بضيق:

_ابعت حد يجبلها المرهم ده، ويفضل انك تروح بنفسك عشان تشتري لها حذاء طبي.

هز رأسه ثم وضع الورقة بجيب جاكيتته الرمادي، وحملها بين يديه ثم اتجه للمصعد، وهي تصرخ به:

_نزلني هتفضحني قدام مين تاني!

ابتسم وهو يصعد بها للأعلى ويهمس بغمزة مكر:

_للبنات بس.

وولج بها للطابق المخصص للفتيات ثم وضعها بغرفة المكتب.

بالمكتب الخاص بالفتيات.

بدت هناك بعض المشاغبات باختيارهن للمكاتب وكأنهن ينتقون فساتين يرتدونها، ضغط أحمد بيده على مقدمة أنفه بانزعاج لما يحدث أمام عينيه، فمال بجسده على الطاولة وأخذ يراقب ما يحدث بعدم استيعاب، تطورت الامور بينهن فقالت شروق بغضب:
_ أنا عايزة المكتب اللي جنب الشباك بتنخني أنا!

اجابتها نسرين بغضب يفوق حالتها:

_ أنا مش عاجباك بالكورة اللي قدامك دي، أنا أكثر واحده محتاجة المكتب ده.

ردد أحمد ساخرًا:

_ على أساس انكم قاعدين تحت الأرض ولا المكيف الله يرحمه ولا أيه مش فاهم!

طرق ياسين على الباب ثم استأذن بالدخول وهو يتساءل بغرابة:

_ في أيه؟

أشار له أحمد بنفاذ صبر لتلك المهمة الشاقة التي كلفوا بها:

_ تعالى حل الخناق اللي من أولها ده.. أنا حقيقي استسلمت!

كبت ياسين ضحكاته، واتخذ الوضع الحازم فقال بصلاية:

_ احنا هنا جاين نشتغل مش نتخانق.. وبعدين انتوا مترضوش ان الشباب يشمتوا فيكم من

أول يوم شغل ولا أيه؟

وزعت الفتيات نظراتها لبعضهن البعض، وكأن حديثه أفاقهم لنقطة هامة أتت كل واحدة منهن لاجلها، لذا وبهدوء أدهش أحمد الذي بذل أقصى ما بوسعه انسحبت كل فتاة لاقرب

مكتب إليها، برزت ابتسامة ياسين وهو يردد بإعجاب:

_ هایل.. كده نقدر نفهم بعض!

خلع ياسين جاكيتته ثم حرر جرفاته، وثنى قميصه وكأنه على وشك الالتحاق بملحمة تاريخية، بينما اتجه أحمد لمكتبه الذي يترأس الغرفة مقابل مكتب ياسين بنهاية الغرفة، وعلى طرفي الغرفة صف من المكاتب الخاصة بالفتيات، كادت آسيل بأن تقتل من

تجاهله الشديد إليها، وخاصة حينما قال ياسين:

_ ثلاثه هيكونوا مع أحمد وتلاتة معايا.

قاطعه أحمد حينما استغل قرب المكاتب منه:

_ نور وشروق ورانيا معايا.. هما القربين مني.

اخفى ياسين ضحكته وهو يراقب ملانج آسيل التي كادت بقتله حيًا، فحملت حاسوبها الوردي واتجهت لمكتب ياسين بكبرياء عجيب، اتبعتهما نسرين وكذلك حملت رحمة جهازها ولحقت بهن، فتكون حلقات جماعية حول ياسين وأحمد، الذي بدأ كل منهما بشرح طبيعة العمل المطلوب منهما وما قد يساعدهن بانشاء خطة العرض، فكان عليهم استغلال العشرة أيام المتبقية بتدريبهم بالعمل على أكثر من ملف، ومراجعة ما تم اصداره سابقًا من شركات الجارحي، فجذبت كل فتاة حاسوبها وبدأت بتدقيق احد الملفات وطرح وجهة نظرها بالكتابة بالورقة البيضاء التي قدمها اليهن ياسين وأحمد، وجلسوا معًا ينتظرون ما

سيقدمون، نهض ياسين عن مكتبه ثم اتجه لاحمد الذي يعبث بهاتفه متجاهلاً نظرات
آسيل المحتقنة، فجلس على المكتب قبالة ثم قال بمشاكسة:
_ملعوبة يا فنان.

أبعد أحمد هاتفه وهو يمنحه ابتسامة خبيثة، فخفض صوته اليه:
_الغلطان يستحمل الخصام!

تعالى ضحكاته الرجولية، وقال بصعوبة بالحديث:
_اهدى عليها كفايا نور زمانها قايمة بالواجب وزيادة معاهم.

ابتسم ثم تلبس الجدية وهو يسأله بشك:
_كنت عايز عمي في أيه؟

اخبره بضيق:

_قولته اللي واقف على لسانا كلنا.. بس كالعادة مخدتش منه عقاد نافع.
_باستنكار قال:

_المعروف عن ياسين الجارحي.. لسه أول مرة تكتشفه ولا أيه؟!
_على رأيك.. هروح أشوف عملوا أيه!

واعتدل بوقفته ثم اتجه ليرى ماذا فعلن، فاتجه لنسرين أولاً، فوجدها مازالت تراجع
معلومات الملف، ثم اتجه لآسيل، فقدمت له وجهة نظرها المدونة على الورقة البيضاء،
ضيق ياسين عينيه وتساءل بذهول:
_الميزانية مالها؟

ردت عليه آسيل وعينيها تمسك بمن يتابعها خلسة:
_الميزانية اللي اتحطت للمشروع ده كانت مبالغ فيها، حسيت ان اللي جيه من وراه مش
مغطي المصاريف اللي اتمول بيه المشروع.
ابتسم وهو يردد باطراء:

_برافو عليك يا آسيل.. شكلك مش هتتعيبيني.
ثم أشار لها على احد الملفات الموضوعة على طرف مكتب أحمد المسؤول عن الملفات
بأكملها:

_خدي ملف من دول وخليه معاكي لما ترجعي البيت لان صعب تخلصيه هنا، الملفات
دي اتقل من اللي رجعتها وزى ما عملتي هنا هتعملي بالبيت، ورقة بيضة وتحللى
المميزات والعيوب اللي نقدر نتخطاها بالمستقبل.

اكتفت بإشارة صغيرة من رأسها، ثم اتجهت لمكتبه وقلبها يخفق بشدة، تتمنى أن يمنحها
نظرة واحدة، الأمر ليس هين بالنسبة اليها، اعتادت على ابتسامته التي تقابلها فور لقاء
الأعين، تعذب قلبها وهي تراه يعمل على حاسوبه في صمت تام، فسحبت أول ملف
قبالتها وفي طريق عودتها فتحتة لتتفحصه بفضول، انتبهت آسيل لتوقيع كل ورقة كان
تحوي على توقيع "رائد الجارحي"، هتيقنت بأن أولى المراحل هي مراجعة الملفات التي

تمت عن طريق موظفي الشركات ذو المناصب الهامة، والمرحلة الثانية مراجعة عقود الصفقات التي تمت عن طريق المدراء، لاح على وجهه بسمة واسعة، فعادت سريعًا لمكتب احمد الذي أغلق الحاسوب وراقبها باستغراب، احدثت حالة من الفوضى، فقامت بفتح الملفات بأكملها وهي تراقب التوقيع حتى وقع بيدها الصفقة التي تمت على يد زوجها "أحمد الجارحي"، الملف الذي حملته جعله يفهم الآن ما تفعله، فابتسم وهو يهمس لها بسخريّة:

_متحاوليش.. مستحيل تطلعي لي غلطة في شغلي!
كونه تحدث إليها جعل قلبها يرقص على أوتار صوته التي ترأفت بحالتها، ومع ذلك قالت وهي تتصنع تحديه:

_هنشوف.

وتركته وعادت لمكتبها ونظراته تراقبها بشغفٍ

شوقها اليه كان يمزق نياطها، يتوسل لها بأن تتشيع منه وتستغل تلك الدقائق التي جمعتهم معًا، ليت ما تمناه يعود، تلك اللحظات التي لومت بها ذاتك على فعل كنت تود القيام به لن تعود مهما فعلت، وأكثر ما يقلقها هو صمته الغير معهود بالنسبة اليه، افاقت رحمة من حزنها العميق على صوت ياسين الذي يناديها للمرة الثالثة:
_رحمة!

رمشت بعينيها عدة مرات وهي تنبه لوجوده، فرفع ياسين ورقتها الفارغة وهو يتساءل بذهول:

_فين ملاحظاتك؟

تلاأت الدمعات بعينيها، فقالت بصوتها المحتقن للبكاء:
_أنا أسفة مرجعتش حاجة.. لو ممكن يا ياسين تسمحلي أخذ الملفين معايا وبكره بإذن الله هيكونوا جاهزين.

اعترض لما قالت وبرر قائلًا:

_بس كده هيبقى صعب أوي عليكى يا رحمة.

منحته ابتسامة فشلت باخفاء حزنها:

_هقدر بإذن الله.

لم يرد الضغط عليها أكثر من ذلك، خاصة وقد اتضحت له حالتها النفسية الغير مستقرة، فوافق على اقتراحها ثم سلمها الملفين..

حملت "نور" الورقة ثم اتجهت لمكتب أحمد، الذي قام بتفحص ما ابدته من ملاحظات نالت اعجابه، وخاصة رانيا التي ابهرته واخبرته بعنجهية:
_كنت بساعد رائد كثير بشغله واتعلمت منه كثير.

ابتسم وهو يراجع ما فعلته:

_باين بصراحه.

واسترسل وهو يتابع باقي الاوراق الخاصة بشروق:

_شروق انتي حقيقي مش محتاجة مرجعة ما شاء الله متقنة جدًا.

اجابته نور بسخط:

_طبعاً لانها كانت بتشتغل هنا.. يعني المفروض يا مستر تتوصى بيا لاجل الدرجات.

ضحك بصوته كله ثم قال مازحاً:

_عيوني يا نور.. بص ركزي انتي بس وفكك من الاحزاب اللي بتشنيها ضدنا دي وصدقني

ربنا هيباركلك والله.

منحته نظرة مغتظة، فضحك وهو يسلمهم الملفات ثم سمح لهم هو الآخر بالذهاب،

واتجه لمكتبه.

أغلق "أحمد" باب مكتبه من خلفه، فوجدها تلحق به، منحها نظرة ساخطة، ثم اتجه لمكتبه

فصعدت فوق سطح المكتب مقابله ثم قالت بحزن:

_دي مقابلة تقابلني بيها.

أبعدها عنه ثم قال بجفاء وخشونة:

_وعايزاني أقابلك ازاى وانتى سايبه البيت بدون إذن مني! قولتلك قبل كده بلاش تقللي

مني ولا تستغلي حبي وطيبتي معاكي لانك هتشوفي مني الابشع مني!

ابتلعت ريقها بارتباكٍ من جحيم عينيه القاتم، ومع ذلك لم تياس، لجئت لآخر طريقة تود

بها استعطافه، فقالت بضيق:

_أنا مش جاية أتكلم مع زوجي.. من فضلك انصرف وهاتلي صديق طفولتي المقرب

اشكيله حالي.

رفع احد حاجبيه باستنكار، فاقتربت بجسدها اليه وهي تردد بدلال:

_أنا محتاجه مساعدتك.. جوزي زعلان مني وعايضة اشتريله هدية شيك كده، وبما انك راجل

هتقدر تختارلي شيء قيم أصالحه بيه.. لاني غلطت فيه جامد وكل اللي حواليا مغلطينيني

حتى نور.

برق لعينه للحظة، فردد بعدم تصديق:

_ناصفة النساء وكارهة رجال آل الجارحي ضدك!

هزت رأسها عدة مرات، فابتسم وهو يهز رأسه بعدم تصديق، ذمت شفيتها وهي

تسترسل:

_ها قوللي أصالحه ازاى.

أثنى اصبعه فاقتربت اليه تلبية ل اشارته، فقال بخبث:

_قربي منه.. وبوسيه.. وقوليله وأنا أسفة.. بسيطة.

جحظت عينيها صدمة، فقالت بغضب:
_أنت بقيت قليل الادب على فكرة وبتستغل الصداقة اللي بينا لصالحك كزوج!
وضع قدمًا فوق الاخرى بتعالى، وهو يشير لها:
_بالعكس أنا بحاول أساعدك لضعف موقفك.
تلاشت ابتسامتها وجلست فوق قدميه، ثم اختبأت باحضانه وهي تردد بصدق نقلته له
مشاعرها:
_أنا آسفة يا أحمد.. حقك عليا.
ربت بحنان على ظهرها ومال برأسه على خصلات شعرها، فاستكانت بين ذراعيه بصمتٍ
اطبق على كلاهما.

بمكتب عدي
مضت الساعات عليه ولم يشعر بمن حوله، صب تفكيره على العرض المبدئي الذي
وضعه بنفسه، لم يشغل باله بأي شيئًا آخر سوى التفكير بهزيمة مهاب أبو العزم، كان
عليه رد الصاع اليه مجددًا، وهو يعلم بأنه الخلاص له من ذاك العمل الغير محبب اليه،
تسلل اليه طرقات باب مكتبه ومن بعدها ولج ياسين للداخل وهو يتساءل بحيرة:
_مش مروح ولا أيه.. الشباب مستانين تحت.
أشار له وهو يغلق حاسوبه:
_جاي.

ثم رفع هاتفه ليمرر اتصاله باحدهم، وهو يخبره:
_استنى أنت والرجالة هناك وأنا مسافة السكة وأكون عندك.
ضيق ياسين عينيهِ باستغراب، فساله باستفهام:
_مين دول يا عدي!
نهض عن مقعده ثم جذب جاكيتته، فعاونته ياسين على ارتدائه:
_دول حرس امنى يا ياسين... أنا مش ضامن مهاب أبو العزم اللي كان ورا اللي حصل
معايا أنا ورائد ولا لا، وبما إن البنات بقوا جزء من الشغل والصفقة فلازم نأمن ليهم حماية
خاصة انهم بالوقت ده بعيد عن القصر!

قال بتعجب:
_لو كلامك صح تفتكر إن عمي كان هيسيبه حي!!
اشار له بتخبط:
_مهو ده اللي مش فاهمه.. بس بحاول اتصرف على الاساس ده
واسترسل وهو يتجه للخروج:
_يلا نتحرك.

صعق ياسين حينما علم من عثمان بما يخطط عدي لفعله، وخاصة بعد ان تلاقى تفاصيل المناقصة، ما خشاه وابعده عنه بكل قوته يقترب منه عدي بذاته مثلما يريد هذا الارعن، صدمته زادت اضعاقًا حينما علم بأنه كلف احد رجاله بمعرفة كل شيء متعلق بمهاب ابو العزم، وانه يود اللقاء به باسرع وقت للتفاوض بينهم بامر هام!!، فامر به بضرورة التدخل ومنع ذلك الرجل من الوصول لشركة مهاب وبالفعل تمكن عثمان من ذلك وقد وصل لعدي خبر بما فعله ابيه!

اجتمعت الفتيات بالغرفة العلوية للمنزل، وكلا منهن تجلس أمام حاسوبها ومن أمامها أوراق الملف، اكتفت مليكة بمراقبتهم بصدمة وخوف من مصيرها، فهي لا تحبذ الخوض في تلك المشاقة، ولكنها سعيدة كونها ستكون برفقته، ولجت مروج للداخل، فوضعت صينية السندوتشات والعصائر على الطاولة ثم قالت بغرور:
_ عشان تعرفوا بس اني بحبكم.. ياريت متنسوش الواجب ده.
جذبت شروق احد الفطائر ثم قالت:
_ انتي ومليكة اللي خلعتوا.

اجابتها بمرح:

_ حبيبتي انا مالي بيبكم.. كلها كام يوم وهرجع انا وميزو دبي! انا بنفسى رفضت واقنعت عمى بصعوبة انى مش تبعكم.
رددت نسرین بسخط:

_ نفدتى يا بت والله.. بس مليكة كلها كام يوم وتشرف.
قالت رانيا بمزح:

_ لو تلاحظوا يا بنات مليكة كل ما تولد عيل عمى يصمم ينزلنا المقر المرة اللي فاتت نفدنا وكلنا اتلبخنا فى الاولاد المرادى معتقدش عمى مصمم اننا يكونلنا مكان.
قالت نور بجدية:

_ بصراحه شايفة انه معاه حق.. انتوا مش مليتوا تشفوا نفسكم غير ستات بيوت.. من حقنا يكون لينا طموحات واحلام نحققها ونسعى ليه.
اكدت مليكة عليها:

_ فعلا يا نور معاكى حق.. بس دى مسؤولية صعبة جنب مسؤولية الاولاد.
ردت عليها داليا قائلة:

_ الست بطبعها بتستحمل اى حاجة يا مليكة... والاولاد عمر ما هييجى عليهم وقت تنتهى فيه مشاكلهم ولا وقت مش هيحتاجونا فيه لذا انا مع نور جدًا اننا لازم يكون لينا هدف نسعى له.. على فكرة انا جاسم رفض انى اطلع معاكم النهاردة عشان كده فضلت عنده بالمكتب وعلمنى حاجات كتيرة جدًا، بصراحه اتفاجئت بيه.. هو مش بس زوج مثالى لا ذكى جدًا وعجبتنى دماغه.. حقيقى استفدت منه جدًا.

نور بملل:

_دخلنا في المحن اهو... البداية كانت حلوة وتحمس نهاية الكلام معجبتيش.

ضحكوا جميعًا، فتخلت رحمة عن صمتها ثم قالت بغضب:

_ما تسيبي البت تحب في جوزها ايه مشكلتك معاها كمان!

كادت بأن تجيبها ولكن فجأة تخلل اليهم مسمع صوت قوي قادم من الاسفل، ارتعبن جميعًا وتسللن للأسفل لمعرفة ما يحدث، لم تكن الفتيات تمتلكن شجاعة تألهن للسيطرة على الأمر، وخاصة بأنهن من تركوا القصر وتمردن على أزواجهن، فقد خطط "ياسين الجارحي" جيدًا للبقاء بمنزل منعزل عن الشباب بعد أن وكلهم بالوقوف أمام الشباب بتلك الصفقة، فازدادت الامور ربكة بينهم، لذا قرروا بترك القصر والانعزال بذلك المنزل حتى تتم المحاربة بينهم على ألهة من النيران، وها قد أتت لحظة ملأها الندم لاتخاذ مثل هذا القرار الأحق، كسر الصمت المطبق بينهن أسفل منضدة الطعام المطولة صوت "ملكة" المرتجف وهي تهمس اليهن:

_تفتكروا ده حرامي!

ردت عليها "آسيل" برعب:

_حرامي هيدخل يسرق أيه من بيت زي ده يا ملكة!

قالت "شروق" برهبة:

_طب يعني الصوت ده مصدره ايه، مهو الناس اللي برة دي مش جايلنا زيارة يعني!

ابتلعت "رانيا" ريقها الجاف بصعوبة بالغة، وهي تطرح خيارًا اضافيًا من امامهن:

_تفتكروا الشباب يكونوا بينتقموا من اللي عملناه فيهم فبعثوا ناس تخلص مننا؟

أكدت "نسرين" الأمر:

_أنا مع رانيا، اكيد طبعا بعد ما قلينا معاهم واستقويننا بعمي ياسين حبوا يخلصوا مننا خالص.

قالت مروج بندم:

_انا مش عارفة ايه اللي خلاني اسمع كلامكم بس، طب انا لا ليا لا في شغلكم ولا

لخططكم ايه اللي مشاني ورا كلام نور وخلاني اسيب بيتي وأولادي واجي هنا!

رددت شروق بخوف:

_اخرتها موة شريفة رحيمة وبنت ناس ومحترمة لينا وللي شار علينا الشورة المهبية دي.

صاحت "داليا" بغضبٍ سيطر عليها:

_كله من نصايح استاذة رحمة والمؤرخة نور اللي عملنا فيها جيمس بوند دي.

اجابتها "نور" بحدّة:

_تصدقوا انا غلطانه اني بعملكم كيان وقيمة قدامهم.. دول لغوا شخصياتكم خالص،

وبعد ما خليناكم تثبتوا نفسكم قدامهم تلومونا.. ايه ذنبنا ان رجالتكم طلغوا قتالين قتلة؟

لكرتها رحمة بغضب:

_ قطع لسانك عدي مستحيل يكون كده، هو بس واخذ على خاطره مني بس متوصلش
لدرجة انه يقتلني!!
كزت مليكة على اسنانها بعصية بالغة:
_ ده وقت خناق.. هتفرحوا يعني لما يلاقوا مكانا ويخلصوا علينا!!
تهدلت معالمهم بيأس، فقالت رحمة بصوتٍ اشبه للبكاء:
_ طب نعمل ايه دلوقتي، اتصل بعدي يجي يلحقنا هو خبير بالتعامل مع المجرمين
وهيعرف يتصرف!
كادت "آسيل" بأن تدك عنقها وهي تصرخ بانفعال:
_ بتسألينا نعمل ايه وانتي ووش الندامة دي السبب ده انا هطلع بروحك النهاردة.
فصلت بينهن مليكة وهي تصيح بتريث:
_ بس يا بت منك ليها، احترموا وجودي والله..
التفت نور اليهم لتشير لها بسخرية:
_ انتي من اول وقعة كده عايزة تجري لاحضان سي عدي ما تنشفي كده امال.
اجابتها بنفس النبرة الساخرة:
_ انشف!!.. نور يا حبيبتي انتي ليه مش مقدرة اللي احنا فيه يا ماما. في مجرمين برة
داخلين علينا باسلحة واحنا لوحدينا من غير راجل!!
رمشت بعينيها بملل:
_ وفيها ايه احنا يعني منعرفش ندافع عن نفسنا!
قالت "رانيا":
_ نعم هندافع عن نفسنا ازاى يعني واحنا مستخبين زي الفار المبلول، لا احنا نتصل بيهم
افضل انا مع حل رحمة.
اشارت لها بتفاؤل:
_ بصي على النقطة الايجابية احنا مستخبين بالمطبخ حيث الاسلحة وما يلزم استخدامه من
مسحات وحلل ومقشرات واهمهم السكاكين!
اشارت لها نسرين بصدمة:
_ سكاكين هي الحكاية هتوصل للدرجادي... لا انا على وش ولادة ابوس ايدك روحيني.
ربتت نور على كتفيها وهي تمنحها ابتسامة غريبة:
_ خلاص هنديكي مقشاة احسن.. المهم تكوني مرتاحة للسلح اللي هتجاري بيه عشان
تقدري تستهدفي اصابة صح.
ثم اتجهت نظراتها لهن لتبدأ بتوزيع المهام:
_ وانتي يا شروق هنديكي الغطيان بتاعت الحلل، عايزكي تمسكي الراس كده بالغطا
خبطة شمال وخبطة يمين بحيث يجيله ارتجاج بالمخ فهماي؟
حظت عينيها في صدمة، وقبل ان تستوعب ما تقول تسلفت نور من أسفل المنضدة ثم

بدأت رحلتها بالبحث بالمطبخ عما يمكن استخدامه، فناولت شروق اثنين من غطى
الاوعية، ولنسرين ورانيا عصا استخراجتها من المقشاة اليدوية، بينما قدمت لرحمة خبازة
معجبات البيتزا الضخمة، ولمليكة منحتها وعاء يحمل خليط من توابل الشطة والفلفل
الاسود، وهي تؤكد عليها استهداف الاعين، بينما منحت مروج ومليكة شوكات حادة وما
يتوفر لديهم من سكاكين صغيرة الحجم، واستخدمت هي مفتاحًا خاص بالانابيب ثم وزعت

نظراتها بينهن وهي تردد باعجاب:

_ كده تمام... توكلنا على الله.

اوقفتها رحمة بصدمة:

_ هو احنا اللي هنهجم كمان!

اشارت لها بتاكيد:

_ طبعا امال نستنى لحد ما يخلصوا علينا!

اقتربت منها مليكة ثم قالت بارتباك:

_ طب ما نكلم بابا أحسن.

صاحت بها بانفعال:

_ ونقلق عمي ليه الله الرجل لسه راجع من المقر هلكان بعد ما سلمنا المهمة، نشده
لجريمة هو بغنى عنها.. احنا نخرج ونقولهم احنا تبع ياسين الجارحي على طول ونديهم
درس مينسهوش.

ثم اتجهت ناحية الباب وهي تشير لهن، فاتبعوها للخارج..

خشى كبير الحرس من أن يكون أصابهن السوء، خاصة لعدم سماع أي صوت
بالداخل، فاقتحم وهو ورجاله المنزل، انتهى بعض الرجال من البحث عنهم بالاعلى وحينما
لم يجدوهم هبطوا لاستكمال البحث بالاسفل، فتسللت الفتيات بقيادة نور من خلفهم ثم
رفعت نور ما تحمله وهي تصرخ قائلة:

_ بينا يا بنات.

وهبطوا بما يحملوه فوق رؤوسهم والآخرين بصدمة كبيرة لم يتمكن احداً من الافاقة بما
يحدث هنا وخاصة بمن يقفوا على الباب وصدمة ما يحدث لرجاله قد كملت الافواه، تأوه
أحد من الرجال حينما لطخت عينيه بمزيج من الشطة الحارة فصاح بصراخ:

_ عيني... الحقونا.

ضحكت الفتيات بثقة لما تمكنوا من احداثه، فقالت نور بغرور:

_ بقوا انتوا سايبين الدنيا كلها وجايين عندنا برجليكم... ده احنا سيدات أعمال قويات... خد
دي.

وقامت بلكمه بالمفتاح الحديدي، فصرخ نجدة برئيسه الذي يقف بالخارج مصدومًا:

_ الحقنا يا عدي باشا.. أبوس ايدك!!

رددت رحمة بدهشة:

وَدَه يَعْرِف عَدِي مَنِين؟

قال أحد من الرجال بسرعة لينجو بحاله:

عدي باشا وأحمد باشا وعمر باشا وياسين والله نعرفهم كلهم.

قالت رحمة بشك:

يبقى انتوا استغليتوا اننا بعيد عنهم وجاين تنتقموا منا ، اكيد انتوا تبع الرجل اللي

خطف مروج .. اتوصوا بالرجالة يا بنااات...

انصاعت لها الفتيات وتحمسن حينما افتكت بهم ضرباتهم أو هكذا ظنوا فان شاء الرجال

لابرحوهم ضربًا ولكنهم يخشون حتى مجرد مقاومتهم خوفًا من رئيسهم، فقطع تلك

الفوضى صوت بات صادمًا للجميع اتاهم من خلفهم يردد:

ما شاء الله.. يقيتوا بلطحية كمان!

استدرت الفتيات للخلف فصعقوا حينما وجدوا الشباب من خلفهم، افواههم تكاد تصل

للارض، فاقترب احمد من اسيل ثم جذب الشوكة التي تحملها وهو يردد بصدمة:

_دي ايه يا اسيل انتي هاجمه على طبق سلطة!

اضاف حازم ساخرا:

المقشات لا يعلى عليها بس مش لحرب فيها اسلحة!!

وردد یاسین بغیظ:

– ارمي يا حبيبتى خلة السنان اللي انتي ماسكها دي وتعالى جنبى هنا.

القت مليكة السكين الصغير عن يدها ثم أسرعته هي واسيل لتقفن خلف نور ورحمة التي

کاد قلبها بالتوقف رعبًا، اشتعلت نظرات عدی غضبًا وصاح بمن جواره:

ساعدهم.

انصاع اليه جاسم ورائد فاسرعوا تجاه الرجال وكلا منهما يحاول ايقاف الاخر، فخطو ببطء

خلفهم، وقف زعيمهم أمام عدي ثم قال بفزع:

أنا نفدت أوامرك وحت هنا يا عدي باشا بس زي ما حضرتك شوفت اتبهدلنا انا ورجالتي.

اجابه وهو يحك مقدمة انفه بحرج:

معلش يا صلاح انا هعوضك انت ورجالتك عن الهبل ده.

اخبره عمر الذي تمكن من السيطرة اخيرًا على صدمته:

استنوني برة انا هعالج الجروح بنفسي..

هز راسه بوقار لهم ثم كاد بأن يلحق برجله ولكنه استدار تجاه الفتيات ثم تطلع لعدي

قائلًا:

دول مش عايزين حراسة ما شاء الله يحرسوا مديرية.

أسرعت نور تجاهه، فترجع الرجل للخلف بخوف ولكنه وجدها تخبره بابتسامة واسعة:

شكرا لشهادتك الغالية دي يا بوضلاح خد بالك بقى من نفسك ومتعملهاش تاني وتدخل

بيوت الناس من غير استأذان وخاصة لو كانوا ستات يكفيك شرهم وشر طريقك.

هز الرجل رأسه عدة مرات، ثم غادر على الفور بينما منحها عمر نظرة نارية ثم قال من بين اصطكاك اسنانه:

_ عملت ايه في حياتي عشان ربنا يبتلينني بيكي!
وأمسك بها من قبعة البيجامة التي ترتديها ثم هبط بجسدها للأسفل وهو يصيح:
_ عملالي فيها زعيمة عصابة، بتضربي الرجالة يا نور!!
قالت بخوف:

_ هما دول رجالة دول كسر حرب!
فصل عدي بينهما وهو يصيح بشراسة:
_ عمر ارجع مكانك.

استمع اليه وعاد ليقف محله، بينما خرج عدي عن زمام رزائته حينما اخشوشنت نبرته:
_ ارموا لعب العيال اللي في ايديكم ده واتفضلوا غيروا هدومكم وحالا على العربية
مفيش بيات هنا بعد النهاردة وشوفوا بقى مين اللي هيقدر يوقفني عن قراري ده..
_ أنا اللي هوقفك!

اتجهت جميع الأنظار تجاه الصوت الذي يعد مذبحة قابضة للشباب ونجاة للفتيات،
فرمش "عدي" بعينه عدة مرات وهو يحاول السيطرة على انفعالاته التي لن تجدي نفعًا
أمام أبيه، بل قد تزيد الأمور سوءًا أمام شخصان يمتلكان نفس العناد، فبالنهاية لن ينامح
أبيه، وبالتأكيد سيبدى رأيه ولكن باحترامٍ يستحقه من أمامه لذا اختار جيدًا ما أجابه به:
_ وأنا أكيد هحترم كلام حضرتك بس اللي حصل هنا يخليني أخذ قرار زي ده، فلنفترض أن
في حد فعلًا اتهم عليهم انهم يواجهوه تصرف صح!!
نظرات صلبة متحجرة، لم تنخضع أبدًا لذلك المبرر الغير مقبول منه، فحرر لسانه لينقل
عنه جزء من ثباته المعهود:

_ لما تعلم رجالتك الأول تحترم البيت اللي دخلينه تعالى وحاسبني على تصرفاتهم.
وأشار "ياسين" بيديه على باب المنزل وقد علت نبرته لتصبح أكثر من ذي قبل:
_ في باب يتخبط عليه أكثر من مرة لحد ما واحدة فيهم تفتحه.. اللي حصل ده حسابه
عندك وعند الكلب اللي دخل هنا.
ثم تابع بحدّة:

_ أما بقى بالنسبة لقرارك بالرجوع فأنا مش هجبر بنت من بناتي انهم ينخضوا لقرار حد،
كل واحدة عاقلة كفايا انها تقرر اللي هي عايزاه.
وأشار بيديه بغضبٍ قد سكن عسلية عينيه الساحرة:
_ مش عايز أشوف حد فيكم هنا، وخليك مطمئن أنا أعرف ازاى أحمل حرمة بيتي مش
مستنيك تبعت الاغبية دول يحرسوا بيت من بيوت ياسين الجارحي.
يعلم بأن ما ارتكبه بحق أبيه كان خطأ ولكن مازال حتى تلك اللحظة يدفع ثمنه هو
والشباب، انسحب الشباب بأكملهم للخارج خوفًا من أن تتطور الأمور بينهم وبين "ياسين"

وخاصة بأنه لن يمرر ما حدث هنا بسهولة، أما عدى فمنحها نظرة أخيرة تتوق لضمها إليه، فقلبه يئن لوعة لفراق عشقها، ثم كاد بالخروج خلف أبناء عمه ولكنه توقف والتفت تجاه أبيه الذي يقف بشموخ يضاهي الجبل الصامد بقرار اعتزاله رؤية العالم من حوله، فقال بحزن التمسه ياسين بلهجته:

_حتى لو أنا غلطت في اللي عملته فالشباب ملهمش ذنب يدفعوا تمن الغلطة دي معايا، أنا اللي أخذت القرار ده وأنا المسؤول عنه.
ثم اتجه للخروج فتوقف فور سماعه امره الصريح:
_مكانك.

استدار اليه عدي فوجده يدنو منه حتى أصبح قبالته، فتطلع اليه بنفس تلك الأعين التي ورثها عن أبيه، وترقب سماع ما سيقول....فاختلى ياسين بالصمت وكأنه ملجأ يتحكم به فمزقه حينما قاطعه قائلاً:

_الخسارة عمرها ما كانت فلوس وبس، لو فاكر أن غضبي وعقابي ليك دلوقتي سببه العرض تبقى متشبهنيش في شيء، كيان الجارحي مش بس مصدر قوته الفلوس والممتلكات، العلاقة اللي زرناها بينكم تعبنا أوي عشان تكون بالقوة والترابط ده، ومساندة ولاد عمك ليك دلوقتي أكبر دليل على نجاحي باللي عملته طول السنين اللي فاتت والمفروض انك تكون مكاني بالنسبالهم.
ورفع اصبعه أمام وجهه وهو يستطرد بانفعالي:

_أنت بالذات مينفعش تغلط... لأنك مسؤول عنهم لو غلطت هتوقع الكل والخسائر مش هتكون صفقات ولا فلوس الخسائر هتبقى أكبر من كده.. والمؤسف ان كل اللي بنيته انا ويحيى متوقف عليك وغلطة تاني زي دي هتهد كل اللي اتبنى، ويمكن المرادي أنا لحقت الموقف ومنعتك توصل للكلب ده وتتفاوض معاه بس الله أعلم المرة الجاية اذا كنت هقدر ولا لا..

ودنى منه قليلاً وهو يردد الكلمات ببطءٍ حذر:
_مش هسمحك تغلط تاني يا عدي... حتى لو كانت قسوتي عليك هتكرك فيا.
برر له قائلاً:

_مكنتش هتفاوض معاه.. دي حجة عشان اقابله في حاجات كتيرة محتاج اعرفها.. الشخص ده من وقت ما ظهر وفي حاجات كتيرة بتحصلي وللي حواليا!!
توترت نظراته وقد غامت بغضب ساكن فصاح به:
_بطل تداري فشلك ورا تحقيقات الشرطة اللي ملهاش مكان وسط رجال الاعمال دي.
وبجمود استرسل:
_حصل ولاد عمك.

تعمق بالتطلع اليه قبل أن يلحق بهم للخارج، بينما استكمل ياسين خطواته الثقيلة للداخل ثم جذب أحد المقاعد ليجلس بمنتصف الردهة مقابل الفتيات التي تنتشبن ببعضهن

البعض في توتر لحوار ياسين الصارم، فخشين أن يطالهم غضبه المخيف ولكنهم تفاجئوا حينما ارتسمت ابتسامة جذابة على طرفي شفثيه وهو يثنى عليهما بصوته الرخيم العذب:

_أنا فخور بكم!

القت الفتيات ما تحمله من اسلحة مضحكة واجتمعوا من حوله، فقالت مليكة:

_كنت واثقة ان حضرتك هتيجي.

ضمها اليه وهو يشير لها بحنان:

_أنا مقدرش اتخلي عنكم يا حبييتي.

ثم اشار لهم بمزح:

_انا طلبت اكل لينا كلنا... نتعشا مع بعض واطلعوا كملوا شغلكم مش عايزهم يشمتوا فيكم.

ضحكت الفتيات وبالفعل شاركهم ياسين العشاء ثم غادر للقصر مجددًا، فصعدت الفتيات باكملهن للاعلى للنوم بعد ان قضوا ساعات الليل بالعمل على الملفات، وتبقت رحمة بالاسفل تجمع الاطباق وتنظف المكان جيدًا بعد محاولتها للنوم الفاشلة، فقامت بتنظيف الردهة الرئيسية وفجأة استمعت لطرقات خافتة على باب المنزل، تطلعت للساعة الموضوعية على الحائط فوجدتها الثالثة صباحًا وقبل ان تتجه لتيقظ الفتيات استمعت لصوته يأتي من خلف الباب:

_رحمة أنا عدي افتحي!

ابتلعت ريقها بتوتر، فاتجهت لتحرر مقبض الباب، ولج عدي للداخل يتطلع لحدقتها التي

لا تفارق عينيه، اخفضت عينيه عنه وهي تردد بتوتر:

_رجعت تاني ليه يا عدي انت مسمعتش كلام عمي!

اخرجه عن هدوئه، فصرخ بها باندفاع:

_يعني انت اختارتي ياسين الجارحي وفضلتيه عليا يا رحمة!

ازدردت حلقها الجاف بصعوبة بالغة، وهي تحاول استجماع كل ذرة شجاعة امتلكتها يومًا، فقالت:

_مين قال كده!

قوس جاجبيه ساخرًا:

_اللي مخبيه عني ووجودكم بالبيت ده تسميه أيه!!

رفعت عينيه اللامعة بالدمع، فصاحت بصوت مرتفع يفرغ ما بداخلها:

_سميه ثقة في قرار أخده والدي، أو اختيار الصح ليا وليك، التهور والاندفاع اللي انت فيه ده يا عدي اخرته صعبة.

جحظت عينيه صدمه، فجذبها اليه وهو يردد بعدم تصديق:

_انتي شايفاني كده يا رحمة!

هزت رأسها وهي تؤكد له:
_الكل شايفك كده.

شدد من ضغطه على راسغها وهو يردد بتصميم:
_او كي... شوفيني زي ما تحبي بس أنا مش ماشي من هنا غير لما تقوليلي بتحاولي تداري عني أيه.

دفعته بعيدًا عنها وهي تفرغ ما بداخلها:
_كفايا بقى كفايا... انا مبقتش حمل نظراتك وكلامك.. مبقتش قادرة ادافع عن نفسي قدامك.. بقيت بكره ضعفي وبحاول ابرر لكل اللي حواليا انك أحن انسان عليا حتى بقيت ببرر لنفسي يا عدي... انا بقيت بكره تحكيماتك وشخصيتك الصعبة، عشت عمري كله بخاف من ابن عمي اللي كان محاصرني من كل اتجاه وجيت انت وعملت نفس اللي بيعمله بس الفرق بينكم اني حبيتك..حبيتك وأنا بتمنى اتغير من جواليا بوجودك.. نفسي استقوي بيك زي ما أي ست بالدنيا بتستقوى بجوزها.. انا بخاف حتى من اني اتعشم في الامل ده. وخرجت عن رزانتها حينما دفعت الزجاج المحاط بها، فتهشم واسقطت الطاولة وهي تصرخ بانهار:

_كفايا حرام عليكم.. انا بني آدمة ومن حقي اقول لا مش حابة اتكلم في شيء يخصني لانه ببساطة يخصني.. مش عايزة اخاف من حد غير من اللي خلقني.. مش عايزة اخاف منك ولا من غضبك الغريب.

ابعدھا عدي عن الزجاج وهو يشير لها بصدمة:
_طب اهدي... هتتأذي باللي تعمليه ده!

كان يعلم بأنها تتعرض لبوادر ازمة نفسية حادة، ولم يتمكن من احتوائها زاد من الامر سوءًا وها قد يحصد ثمار عصبية، ابعدته رحمة عنها وعادت لصراخها ببيكاء يفطر القلوب:
_علاقة حبنا ملهاش مثيل.. قصة غريبة مستحيل حد يصدقها، بس فيها عيب يخلي محدش يتمنى يعيشها.. الخوف والرغبة اللي عايشاهم بسببك يا عدي..
وببطءٍ رددت:

_أنا بسببك بقيت أضعف من الاول... بقيت بخاف من خيالي.. بخاف من صوت الباب بليل وانا لوحدي، يمكن بتطمن لوجودك بس لما بتغضب بحس انك بتكسر العالم اللي عيشتني جواه.. انت شايف ان رائد متهور انا شايفاك ابشع منه... يمكن تكون اتغيرت بالفترة الاخيرة بس انا مش قادرة اشوفك غير بالصورة اللي اتعودت عليها.
ولكزته بقوة وهي تخبره:
_اطلع بره... اخرج بره!

ليت انحطام قلبه يصدر مثل تلك الاصوات التي نتجت عن الزجاج المكسور، اخرجت تلك الضعيفة كل ما كيت داخلها، وها هي تمضي على اول خطوات علاجها النفسي مثلما أراد ياسين، تمضي وقلبها يزداد ألمًا، استدار ليغادر فمضى بخطواتٍ ثقيلة حتى وصل

لسيارته، القى بثقل جسده على الدركسون، احتضن وجهه لقليل من الوقت عله يتمكن من معافرة كل ما يناطحه، جسده لم يعد بحاجة لاستقبال المزيد من الجروح، جرحه بات نفسي وجسدي، حرك عدي مفتاح سيارته ليتحرك بها عائداً للقصر، فتفاجئ بها تقف أمام سيارته باكية بصوت صاخب، فاتكأت على مقدمة سيارته وارتوى جسدها منه للارض ولسانها يردد جملة واحدة:

_متمشيش!

أسرع خارج سيارته، ليحملها عن الارض بفزع، فوجدها تفقد وعيها تدريجياً وكلماتها تعيد على مسمعه من جديد:

_متمشيش!!!

الفصل الثاني والعشرون

أسند رأسها بين يده، وهو يراقب انغلاق جفن عينيها ببطء، ولسانها يردد دون توقف:

_متمشيش ... عدي!

تثاقلت رأسها على ذراعه، فاحنى يده أسفل ساقها، وحملها اليه، عاد بها للداخل، فشمل المنزل بنظرة خاطفة، خشى الصعود للأعلى فيجرح خصوصية الفتيات خاصة بعدم معرفته بأي الغرف تنتمي، لذا فضل البقاء بالأسفل، فولج لاحد الغرف الجانبية

المخصصة لاستقبال الضيوف، كانت تشمل عددًا من الأرائك المريحة، فاختيار ياسين للمنزل كان غريبًا للغاية، المنزل كان بسيطًا لا يتسم بمظاهر الثراء، تحيط به الحقول من جميع الاتجاهات، وبعيدًا عن المارة، اختياره كان الامثل ليحفظ سلامتهم وربما هذا ما زرع الشك بداخل عدي، لذا اتخذ قرارًا متهورًا هكذا، أبعد عدي الوسادات الصغيرة، ووضعها بحرص عليها، ثم عاد لسيارته مجددًا، فبحث بالدرج المجوف لها عن حقيبته السوداء الصغيرة، فتحها وعبث بما تحتويه من مشط صغير وغيرها من ادوات خاصة به، فجذب زجاجة عطره الصغيرة، ثم عاد اليها مجددًا، اسندها عدي اليه ثم قرب يده الممتلئة بالبرفيوم اليها، تسلل اليها دفء اجتاز مغارتها، كانت تركض وهي تسعى لايجاد طريق للخروج من تلك المتاهة، حتى اهتدت به وإليه، تمسكت بذاك الطيف بكل ما اتت به من قوة، حتى أخرج بها مما خاضته، ففتحت جفنيها الثقيل لتقاوم نوبة نومها بوقتها الغريب هذا، وجدته يضمها اليه، فاستدارت لتقبله وهي تردد بتوتر:
_عدي.

منحها نظرة نجح باخفاء حزنه فيها، فرددت بصوتها الشاحب:

_أنا أسفة.. معرفش أنا قولت كده إزاي!

ملامحه الصامته لم توحى لها بالكثير، ومع ذلك حاولت ان تعلم ما الذي يضمه لها، اعتدلت بجلستها حتى باتت قبالتها، تتمعن به وتترقب أي رد فعل قد يصدو عنه، تحرر لسانه الثقيل حينما تساءل باليم:

_إنتي شايفاني كده يا رحمة!

عاد الخوف يتدفق اليها من جديد، فازداد ألمه ضعفين وهو يراها تشير له بالنفي، قرب يده منها ثم ضمها اليه، احاطها بذراعيه فاخرجت ما بداخلها من بكاء حرق قلبه قبل أن تصل دمعاتها لقميمصه الأسود، فرددت بصعوبة:

_أنت اللي بتحسس اللي حواليك بشخصية مش شبهك.. محدش قادر يكون فكرته عن شخصيتك بسبب تصرفاتك!

تدفقت دمعاتها الصامته وقلبها يعاكس ذاك السكون، يصرخ داخلها عليها تفيض بالمزيد، إن تراجعته الآن ستخسر ما خاضته من البداية، فقالت بتردد:

_انا مش عايزاك تكون غامض ومش مفهوم يا عدي، عايزة اقدر افهمك وأفهم ايه اللي ممكن تعمله واللي يخليني اقف وأقول انك متعملش كده بكل ثقة، لو فكرت في كلامي هتلاقى ان اللي حواليك دايمًا بي فهموك غلط لانك مش قادر تبني ليهم انطباع خاص عنك.

فتح أزرر قميصه حينما شعر بالاختناق يهاجمه، فتابعت قائلة:

_أنا يتيمة وماليش حد، بعترك الورث الوحيد ليا في الدنيا دي، انت وعيلتك، ربنا رزقني بأب عظيم عوضني عن حرمان الاب اللي فقدته وانا عندي ١٨سنة، صدقني انا لو ابويا موجود لحد النهاردة مش هيعمل اللي عمي ياسين بيعمله معايا..

وانهارت بالبكاء وهي تسترسل:

_هو الوحيد اللي فهم الحالة اللي انا فيها، اخدني لدكتورة نفسية قعدت معايا وبعد كده طلبت انها تكون معاه لوحدهم، معرفش قالتله ايه بس اللي واثقة منه ان وجودي هنا وشغلي في المقر هما جزء من علاجي!!

رفعت جفنها لتتطلع اليه، وعاتبته بحزن:

_اللي انت عايز تعرفه مش هقدر اقولهولك لأنه ائتمني عليه، مقدرش أخون الامانة دي وبالذات بعد ما وصفتلك اللي بحسه نحيته!!

احاط خدها الأيمن بلمسة يده الحنونة، وقربها اليه ثم قال بصوتٍ عذب طبطب على خوفها وحالتها الغير مستقرة:

_مش عايز أعرف حاجة... كل اللي عايزك تعرفيه ان مفيش في الدنيا شيء يهمني غيرك انتي.

واستكمل بدمعة لمعت بعسلية عيناه:

_لو انا مكنتش الزوج المثالي ليكي بعد كل الوعود اللي ادتهلك فالغلط من عندي انا.

بسمه صغيرة احاطتها، وباستنكار تساءلت:

_تفتكر انا وصلت للدرجة المجنونة دي في حبك ليه! اكيد لانك أعظم راجل أنا حبيته، كفايا انك ابن ياسين الجارحي!

اتسعت حدقتيه على وسعهما، فردد وهو يتمادى بالضحك:

_بصراحة انا شايفه سبب مقنع!!

كزت على لسانها بأسنانها، وحينما وجدته يضحك شاركته الضحك، ضمها عدي اليه ثم جذب احد الاغطية الموضوعة جانبًا، فاحاطها به جيدًا، اتكأت برأسها على صدره حتى غفت تمامًا، بينما ظل هو مستيقظًا، تسجيلاته تمر ببطءٍ، فتريه ملخص سريع لعلاقته بعائلته، ما أخبرته به كان صائبًا للغاية، ربما لذلك يبذل أباه كل ذلك المجهود المفرط ليبدل عقيدته، وربما ما حدث بينه وبين رائد ومعتز كان لذلك، انغمس برحلة لم تكن هينة قط، حتى تسلل ضوء الشمس النافذ من الشرفة فغمرتها بضوئها، وبحذر شديد نهض عدي عنها، ثم اعاد طرح الغطاء الخفيف عليها، ومن ثم منحها نظرة أخيرة قبل ان يجذب مفاتيح السيارة ويغادر سريعًا خشية من أن تهبط الفتيات للأسفل دون علمهن بوجوده للأسفل، عل أحدهن لم تكن ترتدي ثيابًا مناسبة.

صف عدي سيارته للأسفل، ثم اتجه لجناحه الخاص، فما أن ولج للدخل حتى وجد عمر يغفو على المقعد الجانبي للصالون الخاص به، عقد حاجبه بدهشةٍ، فهزه وهو يناديه بذهول:

_عمر!

فتح عينيه بانزعاجٍ، فانتصب بوقفته بعيدًا عن المقعد، وهو يردد بنومٍ:

_رجعت أخيرًا.. أنا بستناك من بدري.
جلس على الأريكة المقابلة له وهو يتساءل باستغراب:
_مستنيني أنا ليه؟
احتل مقعده من جديد، ثم قال بتريثٍ والضيق يضجر معالمة:
_كنت عايز أعرف عملت أيه مع بابا وليه اتاخرت لحد دلوقتي.
منحه نظرة ساخرة قبل أن يخبره:
_هو ياسين الجارحي بيتعمل معاه حاجة يا عمر!
ترنحت منه ضحكة كانت مسموعة لمن تبدل نظراته للصرامة، فأشار له الأخير بحزم:
_الحمد لله ان المعلومة دي أخيرًا وصلتلك.
ونهض عن مقعده وهو يخبره بابتسامةٍ واسعة:
_كده أنا اتطمنت عليك أروح أنام بقى.
راقبه بأعين متسعة، لا تصدق البرود الذي أحاطه فجأة، فرفع ساعته يتفحص الوقت،
فوجدها السادسة صباحًا، جذب عدي حاسوبه الخاص ثم عاد ليستكمل عمله على ملفه
الخاص، عله يحصل على الخلاص من العمل بالمقر مثلما قال أبيه!

بالوكر الخاص بالأفعى الخبيثة.
زرع طلب عدي برؤيته لمهاب خوفًا وقلقًا عظيمًا، فنفت دخان سيجاره بشراسةٍ وهو
يستمع لحديث فؤاد بعنايةٍ، انهاه حينما أشار له بانفعال:
_لا معتقدش انه عايز يتفاوض معايا زي ما قال، عدي الجارحي مش سهل ولا ضعيف انه
يستسلم بالسهولة دي، أكيد وراه شيء أكبر من كده الا لو كان كشفني وعرف انا مين!!!
ارتعب من يستمع اليه، وتلقائيًا تساءل:
_طب والحل يا باشا.. هندور على طريقة نخلص منه تاني.
نفى اقتراحه بتشدٍ:
_لا طبغًا مستحيل اخلص منه بالبساطة دي... كل اللي بفكر فيه اكسب المناقصة دي
ووقتها هتنفذ اللي انا قولتلك عليه.
واسترسل بوجوم:
_ولحد ما ده يحصل لازم نتلاشى أي غلطة ممكن يمسكها علينا هو أو أبوه لحد ما
أفوقلهم!

ملأت رانيا وشروق الطاولة المستديرة بالطعام والشاي الساخن، فجلست الفتيات يتناولن
طعام الافطار قبل الاستعداد للذهاب للمقر، لاحظت نور ملامح رحمة الباهتة، فحاولت
مرارًا معرفة ما أصابها، وكل ما تخبره به بأنها على ما يرام فقط لم تحظو بالنوم المثالي،
وحينما فرغن من تناول الطعام تحركن للمقر على الفور..

استعد الشباب للذهاب للمقر، وتبقى عدي بغرفته يعمل على حاسوبه بانجذاب، جعله يتناسى ساعته المحددة، وحينما انتهى اغلق الحاسوب واسترخى بجلسته وهو يفرد ظهره بوجع، فرفع ساعده ليتفاجئ بتأخره الملحوظ، ولج سريعا لحمام غرفته، فابدل ثيابه ليستعد للهبوط، كان بطريقه لسيارته حينما لمح عمر يسرع من خلفه، فتساءل بدهشة: _أنت لسه هنا ليه!

رفع احد حاجبيه بسخط:

_وأنت يعني رايح أول الناس! ثم اني مش رايح دلوقتي في مشوار مهم كده هقضيه على السريع.

تجدد جبين عدي وتساءل باستفهام:

_ليه رايح فين؟

ارتدى نظارته السوداء بعنجهية وهو يشير له بتعالي:

_لما أجي هتعرف... عن إذنك.

وتركه مشدوها وغادر، فاستقل عدى سيارته وتحرك للمقر.

بالمقر..

اجتمع الشباب بالطابق العلوي المخصص للفتيات، وما أن وصلت الفتيات حتى ردد

جاسم بسخرية:

_العصاة وصلت.

اتجهت نظرات الجميع لهن، فنشبت حرب شرسة بين كلا الطرفين، وخاصة حينما قال معتز

بسخط:

_المره الجايه مش هتبقى خناقة بالمقشات والذي منه، هتبقى حرب أسلحة!

تعالى الضحكات بينهم، فاضاف حازم:

_ولسه في مواهب متدكنة تقريبا ياسين الجارحي اللي بيساعدهم على خروجها.

اتجهت كل فتاة لمكتبها بصمت تام، مما دفعهم للتمادي، فقال رائد باستهزاء:

_الهدوء القاتل ده مش لايق عليكم... شكلكم بتخططوا لكارثة جديدة مش مستريح

بصراحة!

خرجت نور عن طور هدوئها:

_هو في أيه يا أستاذ منك له، أنتوا فاكرين سكوتنا ده ضعف لا ثواني كده.

ورفعت سماعة الهاتف ثم استدارت تجاه ياسين الجالس جوار أحمد يراقبان ما يحدث

بصمت تام، وتساءلت:

_رقم ياسين الجارحي كام يا ياسين، خليه يجي يشوف اللي بيحصل هنا بنفسه.

اسرع حازم تجاهها، فأغلق سماعة الهاتف وهو يردد بخوف:

_الطيب أحسن يام عدي.

لاح على وجهها بسمة عريضة، وبغرور قالت:

_أيوه كده اتعدلوا.. احنا مش لوحدنا على فكرة.. صح يا بنات؟
اجابوا معًا:

_صح.

اتجهت نظرة كل شاب لزوجته، فحملت توعد ووعيد، فأصبهن وابل من الفزع لما هو
قادم، نهض أحمد عن مكتبه ثم قال بضجر:

_لو خلصتم المهزلة دي كل واحد يروح يشوف شغله.. احنا مش فاضين للعب العيال ده!
فور انتهاء جملته غادر الشباب الطابق بأكمله، واستعد أحمد وياسين لاعادة طرح ما
يفيدهن بالعمل المبدئي قبب الاستعداد للعرض، استغلت آسيل انشغال ياسين مع داليا
وانسحبت تجاه أحمد، وضعت الملف من امامه ثم قالت بصوتٍ منخفض:

_احمد عشان خاطري ساعدني أطلع عيب واحد.. شكلي هيبقى أيه قدام ياسين أنا طول
النهار براجع فيه ودماعي حرفيًا قفلت.

ضحك حتى ظهرت غمزات وجهه، وقال مستنكرًا:

_سبق وقوللك مش هتلاقي.. أنتي اللي صممتي تاخدي ملفي!

ذمت شفتيها بضيق اتبع تعصب نبرتها:

_يعني أيه هتتخلي عني..!

ضحك وهو يخبرها:

_عمرك شوفتي شخص بيقدر يطلع عيوب في شغله.. لو حابة استعيني بمساعدة اخوكي
يمكن يفيدك!

وجدتها فكرة ليست سيئة، فاخرجت هاتفها ثم التقطت صور للملف بأكمله، وارسلتها
لجاسم، فتفاجئت به يجيبها

«خلي الليدر بتاعتكم تساعدك»□

أرسلت اليه

«هتتخلي عن أختك الوحيدة يا جاسم»☺

رد عليها

«وعن أبويا نفسه لو اتحالف مع نور يا حياتي»☺

القت هاتفها بغضبٍ أصبح بدرجة خطيرة فور رؤيتها ابتسامة شماتة تتسع على شفتيه،
كزت على أسنانه بغیظٍ، فالتقت الملف وأسرعت تجاه مكتب ياسين وهي تناديه بحنق:
_ياسين..

رفع رأسه مسرعًا اليها، فالقت الملف من أمامه وهي تخرج ما قد يجعلها بالأمس مترددة
من قوله الآن:

_معرفتش أطلع عيوب في الملف ومش مضطرة اتزلل لحد يساعدني!

سألها بملامح جادة:

_هل أنا رفضت مساعدتك؟

أشارت له بالنفي، فقال باستهزاء:

_يبقى براحة طيب اتخضيت من الداخلة!

جذبت أحد المقاعد ثم جلست على بعدٍ منه تستمع ما يخبرها به للايقاع بأي عرضًا يقدم لها حتى وإن كان احترافي مثل زوجها، ومن ثم منحها ملقًا آخر، لتطبق درس اليوم مثل الفتيات، ولم يتبقى إليه سوى رحمة، لاحظ ياسين ارتباكها أمامه، واجتهادها للحديث، فقالت بحرج:

_أنا ماليش عين حتى أعتذرلك يا ياسين، حاولت والله بس مقدرتش.

ابتسم وهو يردد بمرح:

_انتي شكلك ناوية على طردي من المقر يا رحمة، ياسين الجارحي مش هيعجبه الحال ده.

واسترسل بهمينٍ ساخر:

_أنتي بالذات عليكي توصية زيادة!

رسمت بسمه باهتة، وحانت منها التفاته جانبية تراقب من حولها انشغال الفتيات بالعمل، وعادت تتطلع اليه وهي تجاهد لآخره ما تود، فقالت بتوتر:

_ياسين أنا كنت عايزة أسالك عن حاجه وأتمنى انك تساعدني.

اعتدل بجلسته وهو يجيبها باهتمام:

_لو أقدر مش هتأخر أكيد!

كان عليها فهم اللغز الغامض الذي فشلت بفهم مغزاه، فقالت بارتباكٍ جعل حديثها غير مرتب:

_امبارح عمي كان زعلان من عدي جدًا، وكانوا بيتكلموا عن تفاوض عمله عدي وده اللي

خلى عمي متعصب.. أنا مش فاهمه يعني أيه تفاوض وهيتفاوض مع مين وليه!

استمع اليها بحرص، وقد بدأت الخيوط تتصل ببعضها حتى تكونت فكرته الكاملة عما

حدث بالتحديد، فقال برزانة:

_بصي يا رحمة، التفاوض ده بيتم بين رجال الأعمال، بيكون بمبدأ تنازل وتعويض بمعنى لما تكون في مناقصة هتفيد حد من الطرفين أكثر من الطرف الثاني بيطلب منه ينسحب منها مقابل شيء بيتفقوا عليه، في رجال أعمال ممكن تنسحب من المناقصة مقابل مبلغ محترم وفي اللي بينسحب وعنده اليقين بالرد والتعويض في مناقصة تانية تجبر اللي انسحب عشان ينسحب هو كمان.

واسترسل موضحةً اهم نقاط هذا العرض الغير محب:

_بس المبدأ نفسه مرفوض عند كبار رجال الأعمال وبالأخص شركاتنا لانها تعتبر في عيون الخصم ضعف وعدم ثقة انك قادر تواجهه!

رددت بعدم استيعاب:

_طب ليه عدي يعمل كده مع مهاب ده، ليه يطلب منه ينسحب ويعرض مكانة المقر
لشيء زي ده!

أجابها بملامح بدت أكثر حزنًا:

_أنا فاهم عدي كويس، عدي مطالبش يشوف مهاب عشان يتفاوض معاها، عدي شاكك
انه ورا الحادثة اللي حصلتله واختفائه الغريب مأكدله ده، واللي ميعرفوش ان عمي فاهم
دماغه ومش عايزه يوصل للنقطة دي... من الآخر اللي حسيته من طريقة عمي انه مش
عايز يخلي عدي يكون عداوة ليها في المجال ده.

كانت تعلم السبب الحقيقي وراء ما يفعله ياسين الجارحي، لذا لجئت للصمت والشروء
فيما هو قادم!!

بالمكتب الرئيسي لمقر شركات الجارحي.

كان يجلس ياسين على مقعده باسترخاء، حينما استمع لطرقات باب مكتبه، فسمح
للطارق بالدخول، فتح الباب وولج للداخل بخطوتٍ متهدجة ربما أقرب للثقة بقراره تلك
المرة، جذب المقعد المقابل لابه ثم وضع من امامه الحاسوب، عقد حاجبيه وهو يتابعه
بريئة، يحاول دراسة تعابيره ليستكشف ماذا هناك؟

فتح عدي الحاسوب، ثم قرّبه من أبيه وأشار له بهدوءٍ غريب:

_كنت حابب أخذ رأي حضرتك في العرض اللي حضرته.

رمش بعينه وإن كانت حركة جسده ثابتة، فسحب عينيه لشاشة الحاسوب، ليتنقل من
صفحة لاخرى وملامحه يكسوها الانبهار، تابعه عدي ببعض القلق، وخاصة حينما انتقل
بعينه اليه، وبثباتٍ قال:

_اعتبر إن أول صفقة هتكون لينا بالعرض ده.

ابتسامة صافية رسمت على وجهه، فمنحه ياسين بسمة هادئة، ومن ثم أغلق الحاسوب
وهو يخبره بغموض:

_العرض كفيل يهزم مهاب وعشرة زيه، فياريت متلجنش للمقايضة دي تاني.

كاد بأن يجيبه فقاطعه بحزم لينهي ما خلق داخله:

_مش مهاب اللي ورا اللي حصل معاك يا عدي... شيل الاوهام دي من دماغك وركز للي
جاي.

هز رأسه بتقبل تام لما قال، وردد بحيرة:

_حسيت ان الموضوع مش طبيعي.

وحينما وجد نظراته تحتد رويدًا رويدًا، قال:

_أنا مش حابب أشغل دماغي بيه.

وعبث باصابعه باللافتة الصغيرة التي تحمل اسم اباه بشروءٍ، انهاه حينما قال بترددٍ:

_أنا ممكن أعرف الدكتور اللي رحمة راحتله شخص حالتها بأيه؟
لم يكن مندهشًا لمعرفته بالأمر، بل لزم رزانته وهيبته حتى في اجابته البسيطة:
_مش لازم.. اللي بعمله وعمله هو الأهم ليها خليك واثق في ده.
منحه ابتسامة صغيرة، ثم نهض يحمل حاسوبه ويتجه للخروج، فتوقف حينما نداه ياسين
قائلًا:
_عدي.

التفت اليه وهو يتساءل باستغراب:
_حضرتك بتناديني!
هز رأسه وهو يخبره بابتسامة صغيرة:
_أنا فخور ببيك وبالعرض الفريد من نوعه ده.. أثبتلي انك تستحق ادارة المقر من غيري.
ابتسم وهو يمازحه بضيق مصطنع:
_يعني ده معناه أيه لاني ابتديت اقلق، اتفارقنا كان إن العرض لو عجب حضرتك
والمناقصة رست علينا هأخذ حريتي!
عاد بجسده لمقعده ثم تابع العمل على الاوراق من أمامه وهو يخبره بثبات:
_أنا مبرجعش في كلامي وأنت عارف.
اتسعت ابتسامته وبنبرة ملأها الحب قال:
_عارف.. عن إذن حضرتك.
اكتفى بإشارة من يده فما أن خرج وأغلق الباب من خلفه، حتى ترك ياسين الاوراق من
يده والابتسامة تتراقص على شفثيه الباسمة!

اجتمع الشباب بالمكتب المخصص اليهم بالمساء بعد مغادرة الفتيات وأغلب الموظفين،
فتساءل أحمد بقلق:
_فين عمر من الصبح مش باين!
اجابه معتز وهو يلتهم الشطيرة بجوع:
_معرفش مجاش المقر النهاردة.
قال ياسين باستغراب:
_غريبة اول مرة يعملها!
واشار لحازم قائلًا:
_كلمه كده شوفه فين؟
جذب حازم هاتفه ثم طلب عمر فانطلق مسمع صوته اليهم، فتح الباب وولج للداخل وهو
يشير اليهم بغرور:
_لسه فاكريني!
سأله رائد باستغراب:

_نعمين أنا عارفة اني مش هعرف انام منك النهاردة... في أيه؟
برقت بعينيها للحائط عل الاخيرة ترى نا تراه، فصرخت بنفاذ صبر:
_ما تخلصي عايزة أنام.

اتبعث نظراتها تجاه الحائط فانتفضت بجلستها بفزع وخاصة حينما قامت المرأة بركلها
برأسها المحمولة بين ذراعيها، ولكن لم يصيبها شيئاً ملموس، لم يكن سوى اشكالا
الكثرونية لشريط العرض المتحكم به عمر، هرولت الفتيات للأسفل، خرجت نور على
صوت صراخهم، فتساءلت بانزعاج:
_خير يا بت منك ليها!

وجدتهن يهبطن جميعاً للأسفل ومن خلفهم يركض الشبح الحامل لرأسه كالكرة بين يده،
كاد بالهبوط من خلفهم ولكنه توقف فور رؤيته نور تحمل وساداتها وتتطلع له باعين
ترفض تصديق ما تراه، فرفعت اصبعها تشير للدرج وهي تهمس بصوت شبه مسموع:
_نزلوا.. نزلوا من هنا.

هرع الشبح للأسفل، وترك رأسه تدور من خلفه فنادتة الاخيرة بشحوب:
_كابتن رأسك وقعت!

وحينما تفهمت مجرى الامور سقطت ارضاً وهي تنادي بصراخ:
_رحمة الحقيني يا رحمة... اتصلي بالبوليس بسرعة او بالكهنة في شبح خرج من فيلم
هندي ومش عارف يرجع!

خرجت رحمة على صراخها، فوجدتها تزحف ارضاً ومن خلفها تزحف رأساً بكيس قماشي،
التقطت اذنيها صراخ من الاسفل، فطلت برأسها من الدربزاين لتجد الجسد بالاسفل يلاحق
باقي الفتيات، استجمعت شتات امرها ثم هرعت مرة واحدة لغرفتها فاغلقتها من الداخل
وانطلقت تحرر صرخاتها حتى صمت الاذان..

رفع عمر قدميه على حافة المكتب واسند ظهره للخلف، مستنداً بيده على رقبته، وبتعالي
قال:

_راقبوا موبيلاتكم وعدوا من ١ لتلاثة.

وقبل أن ينتهي من جملته انطلقت حفلة جماعية من الرنين المتوسل للجاجة وصراخ
الفتيات بالنجدة هو المسموع!!

صف سيارته على جانب الطريق، ثم هبط من سيارته واتجه ليقف قبالة النيل، خلع عدي
جاكيت بذلته الانيقة ثم جلس أرضاً على الصخور وعينيه شاردة بالمياه القاتمة من أمامه،
ربما كان يفضل البقاء بمفرده على الدوم ولكنه الآن يشعر بأن ثمة شيء ينقصه لا يعلمه
هو، المكان كان يعج بالمارة من حوله، حتى الباعة بكافة، تسلل لائفه رائحة الذرة المشوي
الذي يعشق تناوله وبالأخص حينما يجلس بذلك المكان، وكأنه يحمل مصباح سري ليجد

يدًا ممدودة بالذرة، التفت جواره فتفاجئ بمن يجلس جواره، التقط منه الذرة ثم قال
ببسملة غامضة:
_عرفت مكاني ازاي!

_عرفت مكاني منين؟

سؤال حائر تردد على لسانه، ومازال يراقبه بفضول، فرفع كوز الذرة إليه، ليلتهم جزء منه وهو يراقب المياه الراكضة من أمامه، متجاهلاً فضول الآخر بمعرفة الاجابة عن سؤاله، فوجوده هنا وبالوقت ذاته يعجز عقله عن التفكير بالأمر، وضع الاسطورة ما بيده جانبه، ثم استدار برأسه تجاهه ليخبره بنبرة ثابتة كتجلي المياه عن ثثرة مياها الغائرة:

_شخص دخل وسطنا ميسألش السؤال ده يا عدي!

هز رأسه ببسمةٍ ساخرة، ثم عاد يستقيم بجلسته بجمودٍ، فتابع "رحيم" قائلاً:

_الحالة اللي أنت فيها دي أكدتلي إن كلام مراد صح!

قال وعينيه تراقب الفراغ بجمودٍ:

_حالة أيه؟

رد عليه ومازالت عينيه لا تفارقه، فكادت بالتهامه عن قرب يستطلع به عما أصابه:

_أنت من غير شغلك ميت يا عدي.. قدامي بس روحك مش موجودة.

ورفع يده على كتفيه الأيسر وهو يحثه بكل عاطفة صداقة امتلكها بحقه:

_ارجع.. صدقني ياسين الجارحي بنفسه مش هيعارضك في قرارك وهو شايفك بالحالة دي!

اتسعت تلك البسمة الخافتة، فالتفت ليقابله العين بالعين، وتناطحه كلماته إن شاءت:
_مينفعش يا رحيم.. أنا بمكاني هنا بعيد عنكم وعن الشرطة وعاجز اني أعرف اللي بيدور حواليا.

واسترسل بغصة هاجمته بشراسة:

_مش عارف انا مالي، بحس إن رجال الاعمال اللي اتعاملت معاهم كلهم مجرمين ووراهم كوارث، معرفش ده بسبب شغلي اللي اتعودنا إن الشكوك تكون جزء منه ولا إني خسرت أكون انسان طبيعي!

تفهم ما يمر به جيداً، فصمت قليلاً يختار كلماته جيداً، ثم بدأ بالحديث:

_انك تأخذ حذرك بالتعامل مع كل اللي حواليك ميزة مش عيب يا عدي، بس لا ده مكانك ولا العالم اللي هتقدر تتكيف فيه.. ارجع وعيش في البيئة اللي انت بقيت جزء منها.

ونفض عن الحجر الضخم، فاستقام الأخير بوقفته حتى بات قبالتة، وضع رحيم يده بجيوب جاكيتة الأسود، ثم قال بحنكٍ:

_لو كان لينا لقاء ثاني مش عايز أشوفك بالشكل ده... أنا واثق انك قادر تواجه والدك وترجع لمكانك.. سبق ليا واتعاملت مع ياسين الجارحي شخصياً وقدرت أكون فكرة عن شخصيته.

انتبه لكلماته بحرصٍ، فاستطرد الاسطورة قائلاً:

_اصراره انه يدخلك المقر مع ولاد عمك غريب قصده بيه شيء ثاني، يمكن عايز يعلمك

حاجة أو يبعدك عن أذى وظيفتك المحاوط بيك.. بس حتى السبب ده مش منطقي لانك في دايرة الخطر من اللحظة اللي قبلت بيها بوظيفتك الا لو حس إن الخطر زاد عليك! أراد أن يرسل إليه رسالة مبطنة، وقد نجح بزرع شكوكه داخل من يستمع إليه بحرص، غادر رحيم وتركه يعيد حسابات حديثه جيدًا عله ينتبه لما يدور من خلفه، اتجه لسيارته السوداء، فما أن اقترب منها حتى أسرع السائق بفتح بابها استقباليًا لسيده، صعد رحيم لسيارته، ثم خلع نظارته القاتمة لتظهر زيتونية عينية الساحرة، حرر زجاج النافذة رغم برودة الأجواء، ولكنه كان بحاجة للهواء النقي يصل إليه، على رنين هاتفه فتناوله وهو يجيب على مضيض بعد رؤية اسم المتصل، ليجده يردد بانفعال:

_ عملت اللي في دماغك يا رحيم وروحت لعدي!!

وحيثما لم يجد رد من أخيه المتعجرف، فاض بضيق:

_ قولتلك والده بنفسه أصر عليا انه ميعرفش حاجة.. أنت مش مدرك ان حياته في خطر!

استمع اليه بجمود تام، حتى انتهى من ذروة غضبه، فقال بصلافة:

_ أنا عارف أنا بعمل أيه يا مراد، عدي لازم يأخذ احتياطاته ويفوق للي بيحصل حواليه..

ال*** ده هيهاجمه في اقرب وقت وساعتها لا أنا ولا أنت ولا حتى ياسين الجارحي نفسه

هيقدر يحميه، هو كفيل انه يحمي نفسه عدي مش ضعيف!!

بغيط دامي ردد:

_ رحيم زيدان مستحيل هتدي لنفسك فرصة تسمع اللي حواليك.. قرارك من دماغك مع

اني نبهتك يا أخي!

بعناد قال:

_ أنا صح.. وبعدين اللي أنا عملته من شوية يخليك تمدح في الاسطورة لسنين جاية قدام.

بفضول تساءل:

_ عملت أيه؟

ابتسامة مأكرة تشكلت على طرفي شفثيه المقوسة، فاسترخى بجلسته بخبثٍ تسلل

لوجه رويذا رويذا.

ساعده بفتح عينيه لشيء هام، ما يحدث حوله ليس طبيعيًا بالمرّة، وبالأخص الحادث الذي

كاد بقتله هو وابن عمه، تراجع عدي للحجر وهو يحمل كتفه الأيسر بألم مفاجئ اكتسح

أعلى كتفه، فحاول أن يحرك ذراعه ولكن الآلام جعلته كالعاجز، دقيقة كاملة استغرق بها

الألم رحلة شاقة حتى انتهت مفعولها سريعًا، ومازال يتفحص كتفه بدهشةٍ وسبب الألم

ليس معروف إليه بالمرّة، كاد بخلع قميصه ليتفحص جلده بعنايةٍ، ولكن رنين هاتفه برقم

رحمة جعله ينشغل عما أراد فعله!

بسيارة الاسطورة.

فتح الحاسوب الخاص به، وهو يتابع اشارات التعقب الذي زرعها بكتف عدي دون أن يدرك ذلك، لعبته التي لطالما برع بها وأضافت لاحدى مميزاته، لجئ اليها الآن ليضع تحركات عدي نصب عينيه، حتى يتمكن بالفريق المشكل بقيادته بالقبض على المجرم الهارب من العدالة، ابتسامة الرضا احاطته وهو يراها تعمل بحرفية ليبدو الآن بأن مهمته بتأمين رفيقه تمت على أكمل وجه!

بالمنزل الخاص بالفتيات..

وجد الشباب الباب شبه موصود، فدفعه رائد بقدميه، ثم ولجوا جميعًا للداخل، الهدوء والظلام كان يخيم على المنزل، وكأنه خالي من سكانه المشاغبات، شق صوت جاسم الغبار المتهالك وهو يتساءل بحيرة:

_هما راحوا فين؟

اتاه صوت أحمد الساخر يجيبه:

_تحت التريزة!

انطلقت النظرات لأسفل الطاولة الخشبية العتيقة، فوجدوهن يترصون أسفلها، يكادون يكتمون أصوات رجفتهم بصعوبة بالغة، رفع عمر ومعتز الغطاء المنسدل على طرفي الطاولة، فصرخن الفتيات رعبًا، وسرعان ما افرغت كلاً منهن ما تحمله بزجاجة الخاصة في أعين الأشباح المتطفلة عليهن، إلتهبت أعين الشباب فجأة حينما استقبلت وابل الشطة الحارقة، فتراجعوا للخلف وصوت تأوهات خافتة تحيط بمن كان في مقدمة العاصفة القاتلة، فكان عمر، وحازم، ومعتز، وجاسم من أوائل من تعرضوا لتلك الغارة، بينما ظل أحمد وياسين يرقبون ما يحدث باستغراب، اتجه رائد للائحة الكهربائية، فشغل المصابيح، فردد ياسين بغضب:

_اخرجوا وبطلوا شغل العيال ده؟

سماع صوته البشري أفاض بقلوبهن الطمأنينة، فخرجوا خلف بعضهن البعض، ليتأملوا ما أصاب الشباب بصدمة، جذب أحمد زجاجة مياه من البراد وأخذ يسكب على أعينهم بمساعدة رائد، فقال معتز بعصبية:

_دول لا نافعهم بلطجية ولا أشباح!

بينما صرخ حازم بألم وهو يفرك عينيه:

_آه عيني منكم لله.. حسبنا الله ونعم الوكيل.

نجح جاسم بفتح أحد عينيه، فقال بعتاب يستميلهم لما فعلوه من بطولة مشهودة:

_ده جزائنا اننا جينا على ملى وشنا نطمن عليكم، بتروشنا بالشطة!! ده انتوا لو بتهاجموا طبق كشري مش هتعملوا كده!

شعور الذنب بات مضاعفًا داخل كل فتاة، فوقفن يتأملن أزواجهن بخزي، تفرق جمعهم تاركين رئاسة القيادة عزلاء، واتجهت كل فتاة لزوجها بالمنشفة الورقية، تحاول مساعدته،

بينما ظلت نور بمفردها تتأملهم بغيظٍ، فصاحت باندفاع:
_ ده مكنش اتفاقنا!

تجاهلها الجميع، فدنا عمر منها ثم قال بسخطٍ:
_ منظرِك مش لطيف بصراحة!
استهزأ به جاسم:

_ ده تمامك يعني! المفروض تاخذ موقف قوي بحيث تتراجع عن اشعال الثورات ثاني، هي
أساس كل البلاوي دي اتعامل على هذا الأساس!
وقف جوارها، ثم همس وهو يشير لها باصبعه:

_ عجبك كده... جاييلي الكلام من الكل.. نفسي أعرف بس أنتي كان طموحاتك أيه في
الحياة.. لو حابة تعملي حزب سياسي وثورة على نظام الحكم يبقى بره بيت الجارحي مش
جواه انتي كده مش هتلتحي تدخلي المعتقل!
جلست على المقعد المجاور لها وعدلت من طرف فستانها الأسود بعنجهيةٍ لحقت نبرتها
المتغطرة:

_ أنا مستمرة وهستمر في قمح ظلم الرجال المستبدة اللي زيك وزى ولاد عمك، لحد ما
تلجنوا للتوبة الأكيدة وعلى ايدي بإذن الله.

خرج عن رزائته، فكاد بالسقوط بها للخلف وهو يصيح من بين اصطكاك أسنانه:
_ والله محد مستبد غيرك.. اعقلي يا نور وفكك من شبح ريتشارد قلب الأسد اللي ساكن
جواكي ده، الشباب لو حطوكي في دماغهم هيكروكي في نفسك.. لو عدي فاقلك
هيفرمك.

دفعته بقوةٍ للخلف وهي تصيح بانفعال نجح بجرف قدميها اليه:
_ عدي مين.. احنا معانا الكنج يا حبيبي، مكالمة واحدة لياسين باشا الجارحي يقعدكم في
البيت.

راقب الشباب ما يحدث بضجر وملل ينتابهم حينما يحاول أحدٌ منهم التوصل لحل حيادي
مع قوة زعامة النساء داخل نسل الجارحي، فتدخل أحمد بينهما، حينما قال بتريثٍ:
_ أيه اللي يراضيك يا نور وصدقيني مش هنختلف.

ابتسامة واسعة تسللت على شفتيها، فغمزت بمكر لعمر ومن ثم جذبت المقعد المجاور
لها، واتجهت لمنتصف الردهة، وضعته وجلست عليه لتكون قبالتهم، وجذبت ورقة وقلم
واخذت تدون أشياء مجهولة زرعت القلق بالنفوس، عما تخطط له، ومن ثم قالت:
_ نبدأ بالأكبر سنًا فالأصغر... ومعانا ياسين.

رمش بعينييه بذهو، ومع ذلك بدى ساكنًا بإشارة أحمد المتوسلة له، فتابعت نور قائلة:
_ والله يا بشمهندس سجلك نضيف لدرجة إنني زعلانه وأنا بناقشك بالشكوة التافهة
دي، بس ما علينا..

وتنجنحت وهي تسترسل بصوتٍ خشن:

_الزوجة تشتكي إنك أحيانًا بتقصر بواجباتك كزوج وإنك بتخرجها كل فين وفين، مع ذكر مميزات كثيرة تخلينا ممكن نتغاضى عن أخطائك.

ردد بصدمة:

_اخطائي!!

أشار له أحمد مجددًا، فرسم ياسين بسمه مصطنعة وهو يخبرها:
_حاضر يا نور، هحاول أخذ بالي من النقطة دي.. أي نصايح تانية؟
هزت رأسها بالنفي، وأشارت له وهي تمزق صفحته من دفترها:
_براءة.

وجذبت ورقة أخرى ثم قالت:

_أستاذ احمد.

كبت أحمد ضحكة كادت بالانفلات منه، وقال بثبات:

_خشي في العيوب على طول يا نور، انتي قريبة منهم وهتقدري تسمعي عيوب احنا
منعرفهاش عن نفسنا.. فالافادة خيرًا من المؤامرة.

ابتسمت وهي تخبره:

_سجلك أبيض وبورد فوشيا.

وضع يده على موضع قلبه بمرح:

_اللهم لك الحمد.

رفعت القلم تحذره:

_بس عندك ثغرة لازم تاخذ بالك منها.

ضحك تلك المرة وهو يخبرها:

_سامعك اتفضلي.

قالت وهي تطوي صفحته:

_اسمع الولية وسامح يا عم.. ده رمضان داخل المسامح كريم وكل سنة وأنت طيب.

وقبل أن يجيبها، فتحت صفحة جديدة وهي تتطلع للشخص المقصود:

_الأخ رائد بقا ما شاء الله كل تاريخه أسود، مفيش حاجة شفعتلك خالص.

أشارت رانيا الى نور لتتوقف عن حديثها هذا، ففضحت أمرها حينما قالت:

_بتشاورلي ليه مهو ضعفك وحبك الزايد ده اللي مخليه شايف نفسه عليكى يا خايبة، لو
كنتي مشيتي معايا في جلسات علاجه وعملتى لنفسك قيمة وكاريزما كان زمانه الوقتي
بيعض أصابعه ندمًا، لكن من أول يوم بوظتي خططنا وراحة تتكفي على وشك قدامه
بوظتي كل شيء!!!

كز رائد على أسنانه فكاد بأن يجيبها بكلماتٍ لازعة، لولا اشارة أحمد المتحكم بانفعالات

الجميع، فقال ببسمه ساخطة:

_أوعدك اني هتغير.

مزقت الصفحة وهي تردد بنزق:
_هنشوف ياخويا.. كل شيء هيتكشف وبيان.
ودونت على الصفحة الاخرى قائلة:
_كابتن معتر بقا.
قاطعها بتوعد:
_بلاش أنا يا نور عشان زعلي وحش.
هدرت بغضب:
_على نفسك يا حبيبي قولت انا مسنودة من ياسين الجارحي... وبعدين انتوا محتاجين حد
يواجهكم بعيوبكم عشان تفوقوا للجواهر اللي معاكم دول، حياة رجال الأعمال دي
متلزمناش انا بحارب عشان الغلبة دول!
تطلعوا تجاه الفتيات بناء على إشارة اصبعها، فوضعت كلا منهن بخاخة الشطة الحارقة
من يدها، وتوسدن ملامح البراءة المصطنعة، استرسلت نور قائلة:
_انت يا أخ معتر مش قادر تفرق بين كيان المرأة وبين طقم السكرتارية اللي محدش
طايقك فيهم.. الكلام جايلي وأنا في قلب الحدث ومع ذلك مصممة اساعدك تتغير، يبقى
تاخذ بالك وتلم الجلافي اللي ملهاش صاحب دي وتأخذ بالك من الغلبانه اللي قررت
تحارب عشان كيونة المرأة.
_أيه!
تساءل عمر بدهشة، فقالت وهي تمزق صفحته:
_كيان المرأة يا دكتارة روق.
اتجهت أعين عمر لنظرات الشباب المتوعدة له ولزوجته، فقال بخوف:
_مستعد أطلق!
رددت نور بصوت عالي:
_أستاذ جاسم.
أجابها بنفور:
_مش موجود.
تجاهلت ما قال وأخذت تدون وهي تردد بصوت مرتفع:
_انعدام المسؤولية.
حظت عينيه بصدمة، فاسترسلت:
_مينفعش ترمي مسؤولية البيبي على مراتك طول الوقت، دي بنت ناس اتجوزتك
واتشاركثوا معًا في عملية الانجاب كونك تخلع من مسؤوليتك بعد كده يخليك أب غير
مسؤول بالمرّة.
أمسك جاسم معصمه، حينما شعر بأنه على وشك مهاجمتها في الحال، وهمس إليه:
_عدي المركب تمشي.. دي الريسة يا باشا.

ابتلع ما تردد على لسانه وقال بهدوء زائف:

_ماشي يا نور.. هأخذ بالي حاضِر.

مزقت الصفحة من أمامها، ثم دونت الأسم التالي وهي تردد بضجر:

_حازم باشا انت صفحة واحدة لا تكفي العيوب اللي قدامي، أنت عايز مجلد يمتد إلى ما لا نهاية، أنا حقيقي والله مكسوفالك، بكبورت شكاي تم لصقه في صفحة شكواك لدرجة اني عاجزة اعاتبك عن آيه ولا آيه.

برق بعينه، فوزع نظراته بينها وبين زوجته التي تناطحه النظرات بكل برود، وكأنها لا تهرب من فعلتها، فتحرر لسانه عن لجام تحكمه:

_كل ده شكاي ليه يا بنتي هو القسم قصر معاكي في آيه؟ اطلعي واعمليلي بلاغ اني متحرش بالمرّة!

أغلقت نور الدفتر ثم قالت:

_احنا هنا مش للخناق يا حضرت احنا هنا عشان نحل المشاكل بالعقل والرقى.
لوى فمه بسخط:

_رقى! هو لو في رقى هيبقى في المهزلة دي.

وشكك بمصدقيتها حينما طعنها بسؤال فضح نواياها:

_طب وفيين استاذ عمر من المجلدات والسيدوهات دي! حالاً اطلعلي بصفحته!

بسمه شبه ساخرة ارتسمت على معالمها، واتبعها نبرتها الساخطة:

_تفتكر انا محتاجة اعمل مجلد.. أنا بتناقش معاه أول بأول لكن انتوا اللي حسيت اني قصرت في التحقيقات شوية بسبب انشغالي بالحمل والولادة والامور اللي أنا في غنى عنها.

كاد باستمرار المعركة بينهما، فقاطعهما أحمد:

_حازم خلاص..

واستدار تجاهها ثم قال بجدية تامة:

_نور أنا عارف إنك قريبة من البنات أوي، وبعترف اننا كلنا قصرنا بالفترة الاخيرة، عايزك تعرفي اننا مش مضايقين من مساندتك للبنات، بس ياريت كمان توضيحي ليه انهم كمان غلطين زيه زينا.. الغلط عمره ما كان عيب، العيب اننا منعترفش بيه أو نرمي مسؤوليته على الطرف الثاني.

ردت عليه قائلة:

_هم خدوا نصيبهم.. ثم اني مبقولش شيء مش باين لينا كلنا.. مشاكلكم يا محترمين مسمعة للقصر كله حتى رحمة الملاك اللي محدش كان بيعرف عنها حاجة انضمت للحزب.

وتساءلت بتركيز:

_هي فين رحمة صحيح؟

اجابتها آسيل:
_ طلعت من أول ما النور رجع.
هزت رأسها بخفوت، ثم اغلقت الدفتر وهي تتابع بمرح قصدته من البداية:
_ عموماً اعتبروا ان الدفتر اتقفل ومش هيوصل للباشا الكبير، بس بعد كده انا بنفسي
هاخذ توقعيه بعد استلام الشكاوي.. وده لاني جدعة وأخت عظيمة.
ناطحها حازم بغیظ:
_ أخت عظيمة أوي بصراحة.. انتي شاطرة بس كل سنتين تقومي علينا الحزب وآ..
ضمه رائد اليه وهو يغمز له:
_ ما خلاص يا حازم بتقولك هنفتح صفحة جديدة.
رددت نسرین بغضب:
_ سيبه يتكلم ويقول اللي عنده.. مهو الموضوع مش على هواه!
تدخلت داليا قائلة:
_ خلاص يا نسرین نبدأ صفحة جديدة وربنا يستر وتفضل بيضة.
دنت رانيا منهما ثم قالت:
_ ان شاء الله هتفضل بيضة يا بنات.. وبعدين انتوا من شوية اول ما لجئتموا لجئتموا لمين؟!
عم السكون بينهن الى أن قالت شروق:
_ يبقى لو كلامهم صح وفتحنا صفحة جديدة يبقى نشغل كلنا مع بعض وخصوصا
بالعرض اللي عمي طالبه.
أجابها رائد:
_ مفيش مشكلة.
تطلع كلا منهن للآخرى، ثم رددوا معاً:
_ واحنا كمان معندناش مشاكل.

آخر لقاء جمعهما كان محبباً للغاية، عبروا لمنتصف الطريق به وتركوا قلوبهما من خلفهما معلقة، تمنى لو تمكنت من رؤياه بالمقر، عساها تحظى بلقائه، تخشى أن تكون تسببت كلماتها بوجع يزيد ألمه ألماً، وربما ازدادت تلك الآلام بداخلها هي فعنفتها بقسوة لما تفوهت به، كل ما تريده الآن أن يضمها إليه، ويخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، فحاولت الإتصال به مراراً، وفي كل مرة لم يجيبها كانت تشعر بغصة تذبح صدرها، فأرسلت إليه رسالة قصيرة، تطالبه بالقدوم لرؤيتها فهي ليست بخير، لجأت لأخر طريقة تعلم بأنها ربما ستجدي نفعا معه، عشقه الجنوني إليها سيجعله يعبر البحور السبع إن تطلب الأمر لذلك، وقد كان لامنيتها التحقق بسماع بوق سيارته، تمهلت بخطاها وضربات قلبها تعلو بعنف، فشعرت بأنها لن تستحمل التحمل على قدميها لأكثر من ذلك، جلست رحمة على الأريكة المقابلة لباب الغرفة، عينيها متعلقة بمقبض الباب بلهفة تسبقها إليه،

دقائق طعنت وحدتها رغم تأكدها بأنه هنا، رغم رؤيتها لسيارته بنفسها، رغم سماع صوته
بالأسفل يسأل عنها، رغم كل شيء مازالت لا تحتمل تصديق وجوده هنا_ لجوارها_ قُتِح باب
الغرفة، وعينيها التي تلامس أرضية الغرفة ترى حذائه اللامع بوضوح، انتقلت ببطءٍ لتغدو
قبالة عسلية عينيهِ المضطربة، ولسانه يتحرر لينطق بقلق:

_انتي كويسة؟

انصهرت مشاعرها المتجمدة، ورددت بخفوتٍ:

_عدي!

أغلق الباب من خلفه، وهرع إليها، تخشعها بمقعدها جعله يتفحصها بعنايةٍ وهو يتساءل:
_قادرة تتحركي؟!

هزت رأسها وهي لا تعلم إن كانت تؤكد له أم تنفي، وجوده لجوارها هنا يربكها فحسب،
أمسكت رحمة يده تستند عليها حتى استقامت بوقوفها وانطوت داخل ذراعيه تبكي وهي
تردد بحزن شديد:

_أنا حاسة أنك لسه زعلان من الكلام اللي قولته، أنا بالغت في كلامي عنك يا عدي..
متزعلش مني أنا غلطت.

طالبته بالاحتواء ووجدته يرحب بها بحبٍ، حاوطها بذراعيه، ومال برأسه عليها، فعاتبها
باستنكار لحالتها تلك:

_سبق واتكلمنا عن الحوار ده يا رحمة وقولتلك اني مش زعلان.. أنا مبسوط إنك ماشية
كويس على خطوات علاجك.

اندهشت من حديثه، فابعدها عنه ثم ذهب بها للجلوس على الأريكة، فأبعد عن شعرها
حجابها المنفرد، ثم تمعن بالتطلع لحدقتها قبل أن يخبرها ببسمةٍ زرعت البهجة داخلها:
_أنا كنت بحاول أكون مختلف في علاقتي معاك بعيد عن عصبيتي وتهوري الغبي بس
الظاهر إني فشلت، ومواجهتك ليا هو السلمة اللي هتتعالجي منها واللي هتكون بداية
اني أفوق وأخد بالي من تصرفاتي كويس.

واسترسل بصرامة مخادعة بعدما استجمع طرق علاجها كاملاً:

_ثم أنك هتسيبي شغلك والعرض اللي وراكي وهتقعدي تفكري فيا ولا أيه؟ لا كده مش
هينفع لو ياسين الجارحي شم خبر هيقعدك في البيت تاني!
ابتسمت وهي تجيبه:

_جاهزة اقعد في البيت وفي الحبس نفسه لو أنت راضي عني ومش زعلان.

سكن الحزن عينيهِ وهو يرى عشقها يعمي عينيها عن أي شيء حولها، العالم بالنسبة إليها
لا يتشكل من غيره، هو وكفى، وليذهب العالم بأكمله للجحيم، تمددت رحمة على الأريكة،
واضعة رأسها فوق ساقه، فعبث بخصلات شعرها الطويل حتى غفت تمامًا، فرفض تركها
تلك المرة، وحملها للفراش الصغير الذي يتوسط الغرفة، تمدد لجوارها وهو يضمها اليه
ربما لأنه هو الذي بحاجة لها على عكس ظنونها باحتياجها الدائم لوجوده وحنانه الدافئ!

انتهى رائد وجاسم من صنع أكثر من خيمة، بعدما قام عمر ومعتز بعزل الأساس بغرفة منعزلة بالأسفل، فحسبة الغرف كانت ضئيلة بالنسبة لعددهم، لذا لجئوا لهذا الحل البديل، ليقضي كل منهم ليلة بصحبة زوجته، فكان اختيار الأربع غرف ينطبق لحازم ومعتز، لحصول زوجتهم الحوامل على الراحة، ولياسين لأن مليكة مازالت لم تتعافى بشكل كلي، وبالطبع كان الخيار الرابع لعدي دون سماعه لترشيحات أحد، انتهى الشباب من صنع ما بدأوا به، فراقبهم عمر بضيق اتبع نبرته:

_شباب اللي عنده رومايتزم ولا أي مرض عضوي يروح ينام في فرشته بدل نومة الأرض دي الله يكرمكم العملية مش ناقصة خنقة ولا جري وش الفجر!
منحه كلا منهم نظرة ساخطة قبل ان ينحنوا لخيمتهم ليظل بالردهة بمفرده!

بالأعلى وبالأخص بالغرفة الخاصة بمليكة..
كان يحمل صغيرته بحنان، يقتطف القبلات على خديها الناعم، انزعجت الصغيرة من لحيته النابتة، فابتسم وهو يراقب انفعالات وجهها بحبي، وضعها ياسين على الفراش مجددًا، ثم استعد للتمدد جوارها، فأخذ يهددها بطبطبة يده، وتسلسل اليه ضحكة خافتة، جعلته يستدير فوجد مليكة تراقبه، فدنت حتى تمددت قبالتهم ثم قالت ساخرة:
_حبيبي انت بتبذل مجهود يحترم بس البنت نايمة من ساعتين!!
وزع نظراته بينها وبين الصغيرة، فابتسم وهو يخبرها:
_صح.

وحملها بين يده ثم وضعها بفراشها الهزاز، وعاد ليتمدد قبالتها، حيث احتلت حرف الفراش وهو يجلس بمقدمته، وكلا منهما يواجه الآخر، انتظر ياسين فرصة جلوسهما بمفردهما ليخبرها ما يشغله، فقال بمكر:
_أنا شايفك بقيتي ما شاء الله افضل من الأول كتير ومع ذلك مجتيش المقر مع البنات ولا مرة!

بدى الارتباك يغلب وجهها الصافي، فقالت بتلعثم:

_بصراحه يا ياسين مش حابة أنزل معاهم.

اعتدل بجلسته وهو يسألها باهتمام:

_ليه يا حبيبتي.. حد ضايقك؟!

اجابته سريعًا:

_لا خالص.. بس مش حابة المبدأ نفسه، أنا عايزة أكون جنب يحيى وملاك مش عايزة

أقصر معاهم بشيء.. وشغلي هيجبرني أقصر.

ارتخت معالمه المشدودة وقال بتفهيم:

_فاهم بتفكري في آيه، بس ده مش مبرر يا مليكة لازم تحافظي على كيالك، مش عايزك

تنسي نفسك ولا تركني شهادتك لمجرد انك تكوني أم ناجحة!
واسترسل ما بداه قائلاً:

_ولو على المسؤولية فأنا كمان ليا واجبات زيك بالظبط، مينفعش أشيل ايدي منها.. تربية الاولاد عليا وعليك، وليكي عليا يا ستي لما تنزلي تشتغلي معانا هروحك بدري ساعتين تلاته بحيث متحسّيش بالتقصير مع إن وجود ماما وطنط آية مش هيخلق أي نوع من التقصير بس لو هيرحك فانا معنديش مشاكل نهائي.
تسللت الراحة اليها، فنمت عن ابتسامتها الرقيقة، دنت منه وهي تخبره ببسمتها الفتاة:
_أنا مش بحبك من قليل.

منحها ضحكة هادئة، وبادلها القرب منها بكلامه المعسول:
_حبي ليك صعب يتوصف يا ملاكي.

أغلق أحمد الستار القماشي جيّداً، ثم زحف ليتمدّد أرضاً بصمتٍ تام، فاجئ به آسيل، فلحقت به حتى باتت ملصقة به لضيق خيمتهما المؤقتة، تمددت جواره وأغلقت عينيها مدعية انغماسها بالنوم، وما مر عليها سوى دقائق بسيطة حتى زفرت بملي وهي تردد بشكٍ:

_أحمد هو أنت لسه زعلان مني!
وضع يده أعلى جبينه، وأغلق عينيه بهدوءٍ تام، جعلها تنحني بجسدها تجاهه فطرقت بيدها على صدره وهي تناديه:
_أحمد.

أحاط بها فجأة، ففتح عينيه وهو يشير لها بالصمت، هامساً بمزح:
_بيفصلنا عنهم حنة قماش.. صوتك!!
فهمت مقصده بعد وقت من التفكير، فطرقت بيدها على جبينها بحرج، وانفجرت ضاحكة فكمم يدها وهي يردد بمزح:
_أخوكي في الخيمة اللي جنبنا!

جلس رائد وزوجته، وجاسم في انزعاج داخل الخيم البائسة التي تقع خيمة عمر منتصفهما، فكانت صوت المشاجرة لا يعلو عليه شيء، وخاصة صوت نور كان يتردد بأنحاء الردهة بأكملها وخاصة حينما صاحت به:
_بتحاسبني على أيه يا عمر.. ولاد عمك افتروا على خلق الله.. أنت لما تقعد مع البنات وتسمع منهم قلبك هيرق.
صاح بها بانفعال تام:
_مينفعش تتدخل بينهم يا نور.. انتي بتفضحي أسرارهم يا بنتي! لو واحدة قالتلك كلمتين تعرفي جوزها باللي قالتها؟

أشارت باعتراض:

_لا في فرق.. اللي حصل قدامنا كلنا نعرفه مش شيء خاص.. وبعدين أنا كل اللي بعمله ده عشانهم والله.. بصراحة يا عمر حاسة إن ولاد عمك بياكلوا بعقول البنات..عكسي تماما معايا شخص بيقدر النعمة وعمره ما جيه عليا.

كز على أسنانه بغيظ وأهدر من وسط اصطكاك أسنانه:

_يا مغرورة هانم.. انزلي على الأرض وبطلي تخلقي مشاكل بين العالم انا معرفش هما مستحملك ومتقبلين عمايلك المنيلة دي.. واخده عليهم زلة!
قالت بعنجهية:

_لا هما عارفين اني بلطف ليهم الاجواء مع البنات بس بعد ما يعترفوا بغلطتهم.

خرج عن رزانتة:

_نور.. ابعدي عن المشاكل ودور ناشطة حقوق المرأة دي عشان هتزعلي من تصرفاتي صدقيني!

خرج رائد من خيمته، فحاول ان يطرق على قماش خيمتهم، فوجد جاسم يزحف جواره وهو يشير له بالحذاء الملقي لجواره ساخراً:

_اضرب فردتين ببعض عشان تعلن وجودك.

منحه نظرة صارمة، فتابع بسخط:

_اضرب خلينا ننام في الليلة ال ** دي.

انصاع اليه وأخذ بصدر صوتاً يجذبهما لوجوده، ومن ثم قال:

_يا عمر احنا مسامحينها ومدينلها الأذن تتدخل وتحل بينا، من فضلك ما تتدخلش بينا وسيب نور ترتاح وتريحني من الصداق ده.. وانا شغل بكرة.

واستشهد جاسم:

_نور بتسعى لنشأ امبراطورية جوه الامبراطورية ومدام معاها اذن الباشا الكبير يبقى

ازاي أنت هتعترض، نام واسكت يا عمر العملية مش ناقصة!

وعاد كلا منهما لخيمته ظناً من أنهم سيحظون بنومة هنيئة بعد محاولات فض النزاع، وشتان بين ذلك انطلق النزاع تلك المرة بينهما حتى سقطت خيمتهم بصحبة الخيم بأكملها!

كان صباح هذا اليوم ينتظره الجميع بصبر كبير، للخلاص من نومةٍ لم تكن مريحة بالمرّة، كُلف معتز وحازم بشراء طعام الافطار، فما كان منهما بالاستعداد للخروج، ففتحوا الباب ليغادروا معًا، تراجع حازم للخلف بفزع حينما وجد عثمان يقف قبالة يحمل العديد من الأكياس البلاستيكة بثبات فزع من يقف قبالة، وكأنه رأى شبحًا يطالعه بثباتٍ، فقال

برعب:

_في أيه يا عم على الصبح؟!

قدم لهم الأكياس وهو يجيبه:
_الباشا بعطني بالفطار ده.
تناول منه الأكياس وهو يشير له بارتباك:
_طب انصرف انصرف.
حمل عنه معتز بعض الأكياس ثم وضعها فوق الطاولة الخشبية، وعقله شارد بصورة
كانت ملحوظة لرائد الذي دنى منه وهو يردد بنوم:
_مالك مش على بعضك ليه؟
أجابه وهو يشير على الأكياس:
_عمي ياسين بعتلنا فطار.. وواضح من حجم الأكل انه عارف بوجودنا هنا!
تثاءب أحمد وهو يستقيم بوقفته بنوم:
_يعني تفتكر إنه ميعرفش حاجة زي كده!
وأشار لهم وهو يتناول أحد ثمار التفاح الأحمر:
_وزعوا الأكياس واستعدوا عشان هنتحرك.

لأول مرة منذ بدأ عملهن بالمقر تأتي كل فتاة بصحبة زوجها، توقفت السيارات بالچراج
الخاص بالمقر، وتوفدوا تباغًا للطابق المخصص للشباب حيث اجتمعوا جميعًا بمكتب
واحد، فنقل الشباب بنفسهم المكاتب للأسفل باستخدام المصعد، عملوا معًا كفريق
جماعي لايجاد معطيات مثالية للعرض المؤكل الفتيات به، وخاصة بعد أن تم قبول عرض
عدي، فجلست الفتيات تراجعن العقود جيدًا، وكلا منهن تحاول وضع مقترحاتها لأجل انشاء
العرض، انشغلت رحمة بتدقيق جزء خاص بالملف الذي تحمله، فقالت بعد تردد بدى
عليها، وكأنه يلجم لسانها عن الحديث بالأمر، بداخلها صوتًا غريبًا يخبرها بأن النقطة التي
ستتحدث بها ليست هامه بالمره، ربما ستخرج ذاتها بالحديث عنها، ولكن لا تعلم لما قالت
ببعض الحرج:

_هو ليه كل العمال اللي في المصانع رجالة؟
انتبه الجميع اليها، فترك الشباب مجلسهم البعيد عنهم بقليل، واقتربوا ليجلسون على
الطاولة الضخمة المحاطة بعدد ضخم من المقاعد، كقاعة الاجتماعات، فأجابها احمد قائلاً:
_لأن الشغل في المجال ده صعب أوي يا رحمة.
أضاف رائد قائلاً:

_هو مش من مبدأ التفرقة بس كمان المصانع على الطريق الصحراوي أعتقد مفيش
ستات هتقدر تروح المشوار ده كل يوم وترجع!
واستطرد جاسم:

_أنا نفسي روحت هناك قبل كده المشوار بعيد وصعب.. بس في نفس المكان مكانه
مثالي عشان الادخنة اللي ممكن تسبب مخلفة لو اتعاملت بمنطقة فيها ناس.

هزت رحمة رأسها وحاولت اقناع ذاتها، فقالت بعدم اقتناع:
_نقدر نعمل كده بدون ما ننقل مكان المصانع، لو وفرنا وسيلة مواصلات ثابتة ليهم
وظبطنا المواعيد ومرتببات كويسة أيه اللي هيمنعهم من إن يكون ليهم تواجد جوه
المصانع..

واستكملت بتردد:

_أي مكان مفيش فيه لمسة للست جواه بيبقى شبه السجن.. يعني أكيد المصنع مش
أنضف حاجة حتى لو عمال النضافة شغالين فيه ليل نهار.. يمكن وجودهم اضافة كبيرة..
حتى لو هنعملهم فرع ومكان مخصص ليهم.. متنسوش أن في ستات كتيرة مطلقة
ومحتاجة للشغل ده ويمكن كمان احتياجهم للمسكن يخلينا نعملهم مكان جوه المصنع
للسكن وده اختياري، لو واحدة حابة ترجع بيتها وترجع تاني مفيش مشكلة.
الصمت أطبق عليهم جميعًا، والفكرة تتراقص بعقولهم، ابتسم لها عدي ثم قال:
_ياسين نفذ فكرة رحمة عملي.. ده هيقوي من فكرة العرض خاصة لو نتيجتها ونجاحها
ملموس على الواقع.

وفتح محفظته الجلدية ثم اخرج منها الفيزا الخاصة به قائلاً:

_انا اللي همول المشروع ده بنفسي.

أخرج عمر الفيزا الخاصة به قائلاً:

_المشروع ضخم وهيحتاج سيولة كبيرة.. أنا معاك في تنفيذه.

نهض احمد ليضع خاصته هو الآخر قائلاً بمشاكسة:

_الموضوع محتاج مجازفة.. بس كرجل أعمال المجازفة جزء من شغلي.

اتبعه رائد ومعتز وحازم وكذلك ياسين وضع الفيزا الخاصة به مثلهم جميعًا وهو يردد
بفخر:

_رغم إن سكونك مكنش مبشر بالبداية بس ابهرتيني يا رحمة.. حقيقي براؤو مشروع زي ده

هيفتح بيوت ناس كتيرة أوي.. خاصة إن زي ما قولتي في جزء كبير من السيدات

المطلقات واللي محتاجة لشغل ومسكن فعلا.

ابتسمت بامتنان وعينيها لا تفارق أعين أول من كان الداعم لها... زوجها وشريكها في كل
نبضة امتلكتها يومًا.

ومن خلف الزجاج الشفاف المعاكس لما يحدث بالداخل، كان يراقبهم بنظرة ثابتة، نادرًا ما

تعكس خفيها، ومن جواره رفيق دربه يشاهد بعينيهِ عظمة جني ثمار تعب ياسين

الجارحي بما فعله، فقال يحيى بفخر:

_مكنتش قادر أفهمك بالبداية يا ياسين.. دلوقتي فهمتك!

الفصل الرابع والعشرون

انتصارًا جديدًا يحققه اليوم، ويشهد على مجهوداته رفيق دربه، الذي يتابع اتحاد الشباب لمساندة أزواجهن، وبالأخص رحمة، استقام ياسين بوقفته ورفع الريموت الإلكتروني ليغلق شاشته المرئية التي تفصله عنهم، ثم اتجه بخطاه المتهدجة لمقعد مكتبه الرئيسي، ليلحق به يحيى، الذي تهاوى على طرف لسانه الكثير من الكلمات التي تهاجم قوله في تلك اللحظة، حانت منه نظرة جانبية فقال بثبات:

_اتكلم يا يحيى.. أنا عارفك مش هتسكت عن اللي حابب تقوله.. اتفضل سامعك.
لم يفقد يومًا بسمته التي تنير وجهه البشوش، حتى وإن كان في أسوأ حالاته، رسمها تلك المرة بفرحة حقيقية، وقال ليستعطف قلب رفيقه:

_ياسين أنت شوفت بنفسك عدي نجح يعمل أيه مع الشباب، يعني فعلا قدرت تغييره، أو على الأقل تبرز الشيء اللي جواه ليهم وبقوا فاهمينه أكثر.

استند بذقنه على كفه وهو يشير إليه:

_متلفش وتدور يا يحيى.. عايز تقول أيه؟

استجمع قوته ليخبره بشيء قد يزعجه:

_رجع عدى لشغله.. بلاش تظلمه وتبعده عن الطريق اللي مشى أغلبه.. بلاش تحرمه من حلمه يا ياسين.

وأسرع ليغلق عليه مساره:

_عارف إن مهاب ال *** ده حطه في دماغه وعازيز يأذيه وانه متحالف مع أمجد السلاموني.. بس اللي واثق منه انك زي ما قدرت تحميه وهو في وش الكلب ده قادر تحميه في وكر الشياطين نفسه.

التقط نفسًا مطوّلًا يفرغ به ما يكتمه داخل قلبه الذي يئن لوعة قلق لما قادم، فقال بصلاية مازال يلجئ لها مثلما يفعل كل مرة:

_اللي فات كوم واللي جاي كوم تاني يا يحيى، بمجرد ما نكسب المناقصة دي هتبتدي الحرب.

اجابه برده القاطع:

_وليه نبداها.. ننسحب منها لو ده هيعرض حد من الاولاد للخطر!!

غامت عينيه بغموض تام وهو يخبره:

_عشان القلق ده ينتهي لازم الحرب.. ومفيش اختيار غير الانتصار.. مش هسمح لل *** ده يمس شعرة من ابني طول ما أنا حي، يتخطاني الأول قبل ما يأذيه!

من اللحظة التي تبنى بها الشباب الفكرة التي قدمتها رحمة وبات العمل عليها يُقام على قدمٍ وساق، تكاتف الشباب لبناء مصنع متكامل في زمن قياسي، فازداد عدد العمال وكأنهم خلية نحل نشطة تسعى لخلق عشهم بعناية، والجدير بالذكر تواجد الشباب معهم باستمرار، في حين مباشرة عدي وياسين والفتيات ادارة المقر بمفردهم، ويخص أحمد وعمر بالاشراف على مشروع رحمة، بينما وُكل معترز وجاسم بالتحالف مع مجموعة من سائقين الحوافل، لإيصال العمال بالأوقات المناسبة لساعة العمل، أما رائد وحازم كانت مهمتهم استقطاب النساء الأنسب لهذا العمل، من حيث احتياجهم للمال بشكل شهري، نجحوا في اتمام عرضًا متكاملًا تم تنفيذه على أرض الواقع ولأول مرة، فكان اقتراح عدي بالتنفيذ السريع يخدم قوة عرض رحمة الذي تُفذ عمليًا، وفي تلك الفترة كان عدي وياسين يحاولان مساعدة الفتيات وبالأخص رحمة ومليكة التي لم يسبق لها العمل معهن من قبل..

الايام مضت سريعًا وخلالها حققوا الشباب نجاحهم الخاص بسعيهم واجتهادهم، واليوم هو المميز إليهم على الاطلاق، اليوم سيكون لهم الزعامة على رجال الأعمال بأكملهم، ينقصهم تقديم العروض الموثوق بها فحسب، ولهذا توافد جميع رجال أعمال الشرق الأوسط لحضور مناقصة الأهم بتاريخ الصناعة، والتي يعد رابحها محظوظ للغاية، اجتمعوا بصالة ضخمة يعد مساحتها 20,000 متر مربع، تقسم المساحة داخلها كالدرج العملاق، كل درجة تحمل ملفوف من المكاتب الفخمة، وأمام كل مكتب ميكرفون باهظ

الثلث، وكوب من القهوة والمياه الباردة، وبعض المناديل الورقية، كانت تحوي حوالي أربعون درجة عريضة، كل درجة تحتوي على ثمانية عشر مكتب يصطف جوار بعضهم البعض، وكان الصف الأول لياسين الجارحي، ويحيى، رعد، عز، حمزة، أدهم، ومجموعة من رجال الأعمال فارهي السلطة والثراء، وبالصف الذي يليه كان يخص الشباب، أما الفتيات اختار لهم أحمد آخر صف حتى لا يكونوا محاط الأنظار، بدأت المناقصة بترحيب احد الاتراك بجميع لغات العالم، ومن ثم أخذ بالحديث مباشرة اعتمادًا على ما يضعوه رجال الأعمال من سماعة تترجم لهم لغته التركية، ومن أوائل رجال الأعمال الذين تم ذكرهم كان ياسين الجارحي وامبراطوريته التي تستحق الثناء، اكتفى "ياسين الجارحي" بهز رأسه بإيماءة بسيطة تتقبل تقديره اليه، في حين أن عينيه لا تفارق الباب الرئيسي للقاعة، كان من الغريب عدم حضور مهاب، وذلك ما أكد له ظنونه، مال عليه يحيى وهمس: _لو مجاش يبقى كلامك صح يا ياسين، هيفاف ان مصطفى يكون اعترف بحاجة. ابتسامة شبه ساخرة ارتسمت على شفتيه وهو يردد:

_أكيد بعث حد ينوب عنه بتوكيل.

مر على الاجتماع الضخم ثلاث ساعات كاملة، يقوم بها رجال الأعمال بتقديم عروضهم، إلى أن أتى دور شركة مهاب أبو العزم، وقد لاقت ظنون ياسين محلها، حيث صعد على المنصة فؤاد الذي تابع بتوتر من هبة هذا الرجل الذي يحاوطه بعينه:

_بالتوكيل ده هكون نائب عن الباشا مهاب أبو العزم.

وبدأ بتقديم عرضه الذي أعجب أغلب رجال الأعمال، حتى المسؤولون عن المنصة وصالة العرض، أخذ ما يقرب الثلاثون دقيقة لتقديم العرض الشبه مثالي للجميع منذ أن بدأ رجال الأعمال بتقديم عروضهم، ومع ذلك لم يهتز رمش لفردٍ من عائلة الجارحي، إلى أن أتى الدور على شركات الجارحي الأخير بناء على طلب ياسين أن تظل شركاته للعرض النهائي، فصعد أحمد للمنصة وهو يعدل من جرفاته الأسود التابع للحلى الأسود الآنيق، وبدأ بحديث اللغة الانجليزية قائلًا بثقة:

_أرحب بالسادة الحضور، اليوم يجتمع كبار رجال الشرق الأوسط ولأول مرة، فالحديث اليوم مميز للغاية، ويسعدني أن تتواجد شركات الجارحي معكم اليوم بعرضين. تعالت الهمسات بين الحضور، فاحتمالية مشاركة الشركة بعرض واحد فقط، كيف سيشارك بعرضين!

ابتسامة مأكرة تشكلت على فم ياسين، وهو يتابع ما أحدثه أحمد من قلق وعلامات استفهام فضولية، فاخفض رأسه بإشارة جعلت أحمد يتابع حديثه وبسمة الخبث لا تغادره:

_العرض الأول تابع لشركة السيد ياسين الجارحي والسيد يحيى الجارحي وشركائه، والعرض الثاني خاص لشركة مؤسسها السيدة مليكة الجارحي، والسيدة آسيل الجارحي وشركائهن.

وابتسم وهو يسترسل بمرح:

_ لن يطول حديثنا بالكشف عن أسماء الشركاء لذا فلتعلموا أن جميع افراد عائلة الجارحي تدير الشركات، والآن فلنقدم عرضنا الأول إليكم.

صعد عمر للمنصة، وبدأ بشرح عرض عدي بجدارية، والانبهار يثقل الأذنهان، فلم يحتاج أحد لتخمين من الراح اليوم، من المؤكد فوزهم بالعرض الأول، ويتبقى فرصة واحدة لآدهم ليفوز عرضه بالعرض الثاني، ولكن مفاجآتهم كانت مربكة للجميع، وخاصة حينما صعد ياسين المنصة ليعلن عن العرض الثاني فقال:

_ العرض الثاني مقدم باسم مؤسس الشركة "مليكة الجارحي"، وستنوب السيدة "رحمة الجارحي" بشرح عرضها بنفسها، والجدير بالذكر بأنه ولأول مرة يقدم عرض سبق تقديمه فعليًا على أرض الواقع، وقد حقق بالفعل نجاحًا في مصر، سنكتشف المزيد بالعرض الفعلي.

واسترسل وعينيه تجوب الصفوف ليتحدث بالعربية:

_رحمة افضلي قدمي عرضك بنفسك.

جحتت عينيه في صدمة غير متوقعة وهي تستمع لياسين يرشحها لتنوب شرح عرضها بنفسها بناء على طلب "ياسين الجارحي" منه، فقد أخبره سابقًا، أن يجعلها هي من تقدم العرض أمام كبار رجال الأعمال، اتجهت جميع الأعين إليها، فشحب وجهها المتعرق وهي تتمسك بنور التي تدفعها بدهشة:

_يلا يا رحمة، قومي الناس بتبص علينا!

تمسكت بها بكلتا يديها، وهمست بارتجاف:

_لا مش عايزة أطلع.. أنا عايزة أرجع القصر.

تعالت الصفقات المحمسة لها والجميع ينتظر لحظة صعودها للمنصة الرئيسية المقابلة للجمع الغفير، وعلى رأسهم بالصف الأول ياسين الجارحي، شعر ياسين بالحرص وهو يناديها للمرة الثانية، ففشل بفهم ما تواجهه بالخلف، فأنحنى أحمد تجاه الميكرفون وقال بصوته الرخيم:

_افضلي على الاستيدج من فضلك يا رحمة.

انطلقت الهمسات الجانبية مجددًا بين كبار رجال الاعمال، وتلك المرة تدين اختيارهم الغير موفق لتلك الفتاة، فاصابهم الهدوء بعد احداث العرض الأول لقلق صريح زعزع النفوس، وأغلبهم يهمس بأنه من المستحيل لتلك الفتاة الخجولة بوضع عرضًا قد يثير اهتمام أحد، انطلقت الاحاديث الهامسة بين الصفوف، ومن بينهم عدي المذهول مما يحدث، وفجأة انقطع الهمس مع هبوط رحمة بصحبة نور التي تتعلق بها بخوف هزم قلب عدي وجبروته المصون، صعدت رحمة الدرج القصير المؤدي للمنصة التي يحتلها ياسين وأحمد مقدمي عرض الفتيات، فاصفر وجهها وتبدل لون بشرتها الخمرى بصورة ملحوظة فور عودة نور لمقعدها بالخلف، توترت قدميها بمنتصف الدرج، فكادت بالعودة من خلفها هي الأخرى،

لولا وجود ياسين جوارها يحثها على استكمال صعودها، فتطلعت تجاه "ياسين الجارحي" بارتباكٍ، منحها بسمّة صغيرة جعلتها تتحمل جزء من قوة مجهولة، فلحقت بياسين حتى وصلت لاحمد الذي أشار لها بالوقوف محله، قدمت خطوة وسحبت الاخرى، والوقت ليس في صالحها، وقفت رحمة محل أحمد أمام الميكرفون الضخم، فانتقل الضوء الابيض ليحاصرها، برقت بعينيها وهي تتأمل هذا الحشد المخيف بتوتر جعلها تكاد تفقد وعيها، وزعت نظراتها بينهم بهلع، فجلوسها بالخلف منحها مخضع أمن، عكس بقائها أمام الكاميرات والاضواء والصحافة، والكثير من الأعين التي تحاصرها باهتمامٍ لسماع ما ستقول، اخفضت رأسها للأسفل تبكي بصمت جعل الجميع في ريبة وفضول من أمرها، كل ذلك يحدث وعدي منعزل عن الجميع، يحاول مجابهة تلك الصدمة القاتلة، تراه لم يكن ليعلم ما الذي تمر به رحمة بالتحديد الا الآن، ريثما رأى ذاته قوة وعظمة تضاف اليها، والآن يرى حبيبته الهاشة ضعيفة تختبئ خلف قناعه المخادع، هي دونه لا تقوى حتى على محاربة ذاتها، ليته قتل ولم يرى تلك اللحظة التي انتزعت قلبه من صدره لتمزقه بكل قسوة، التفت ياسين الجارحي ليقابل عدي بنظرة جعلته يعلم ما الذي دفعه لتظل رحمة بالمقر، وتحتل الصدارة بتقديم عرضها الناجح، كان يود أن تهزم خوفها وتواجه هواجسها، ما فعله ياسين جعل به عدي عاجزًا، عاونه ليكتشف جانب رحمة المعتم الذي تحاربه بمفردها بعيدًا عنه..

بكائها جعل الفتيات تشاركها البكاء، فكادت نور بالصعود لاجبارها على الهبوط دون حاجة منها لتتوب العرض بذاتها، وحينما كانت بطريقها للصعود، توقفت حينما اعتلى عدي المنصة بذاته، فانطلقت صفقات الجمع ترحيبًا بوريث امبراطورية الجارحي الأول، دنى عدى من المكتب الخشبي الحامل للميكوفون الضخم، فتراجع أحمد للخلف ببسمّةٍ ترحيب، وترك له حل تلك المعضلة لينقذ موقفهم المخرج أمام الجميع.

تمنت الأرض تنشق وتبتلعها من الحرج القاتل الذي تتعرض له حتى تلك اللحظة، أطبقت أصابعها على فستانها ومازالت عينيها أرضًا عسى أن لا يرى أحد دمعاتها، وفجأة وجدت يد رجولية تشدد على يدها، والمكتب يحجب نصف أجسادهما عن الجميع، فلم يكن ظاهرًا الا وقوفهما جوار بعضهما البعض، أبعد عدي يدها عن فستانها ودمس أصابعه بين اصابعها، دبالتها التي تزين يده جعلتها تعلم من يقف جواره قبل أن ترفع رأسها اليه، تلقائيًا رسمت ابتسامة صغيرة، ورفعت عينيها اليه فوجدته يتطلع للامام بثقة ولسانه يهمس لها حتى ان لم يكن يتطلع تجاهها:

ـ ارفعى رأسك يا رحمة.

وتلك المرة استدار ليشملها بنظرة حملتها بين جفنه وأرسلت إليها السلام النفسي، وخاصة حينما ردد وعسلته تتوجهها:

ـ واثق إنك هتنجحي مرة ثانية زي ما عملتيها قبل كده..قدمي عرضك.. أنا جنبك!
كلماته قدمت لها رداء من الصوف أحاطها في ليلة تعج بالثلج، فمنحها الدفء والأمان

ليجعلها تبدأ حديثها بأريحية:

_العرض الذي وضعته شركتنا اليوم، يخدم المرأة بشكل خاص، وقد سبق لشركاتنا تنفيذ جزء من مخططاتنا المذكورة بالعرض، وسنقوم بعرض الانجاز الذي قمنا به خلال الفترة الماضية على الشاشة.

ربط عدي الشاشة بالحاسوب وعاونها على طرح الصور بتناسيق احترافي على الشاشة، فغمز بطرف عينيه وهو يشير لها باستكمال حديثها، بدأت رحمة بشرح فكرة العرض بجراءة جعلتها كسيدات الاعمال الناجحات، لاقت استحسان من الجميع وخاصة ياسين ويحيى والفتيات، فما أن انتهت من حديثها حتى انتقلت نظرات ترقبها بين الصفوف، فكان ياسين الجارحي أول من صفق لها واتبعه الجميع على نفس منهجه، حتى أحمد وياسين وقفوا جوارها ويدهم تأيد ما فعلته بتصفقات مشجعة، وما جعل عينيه تدمعان فرحة رؤية عدي بنفسه ينضم للحضور بتشجيع ما قالت، وما زاد قهر الاعداء وانتصار ساحق اكتساح العرضيين التابعين لشركات الجارحي، وفوزهم المستقل، كان الفوز شبه متوقع ولكن لاحد العروض، كان الاحتفاء ضخم يليق بامبراطورية كالجارحي، فانطلقت التهنيئات من رجال الأعمال اليهم، انسحب الشباب ليساعدوا بخروج الفتيات من القاعة واتجهوا للمقر للاحتفال بما حدث اليوم..

نقل فؤاد ما حدث بالتفاصيل المعقدة لرئيسه، فجن جنونه لخسارته لمبالغ طائلة كانت تسانده طوال تلك المدة، والخطر إليه خسارة أموال الداعمين اليه، فسيعد هذا بمثابة اعلان دفوف الحرب ضده، فلم ينتصر عليه عدي قط، بل أصابه بضرر لن يمرءه أحد له أبداً، خرج عن طور هدوئه المخادع الذي انغمس به عنوة طوال الفترة الماضية، كان يصب تركيزه الكامل على المناقصة التي قد تعوض خسائره الفاضحة وجردته بأخر ما امتلكه، ثار العالم من أمامه ولم يعد يرى الا دمائه تفور من أمامه، لذا ردد على هاتفه للمتصل:

_نفذ.. سامع.. عايزه زليل هنا قدامي.. وأنت عارف هتعمل أيه بالظبط!

اجتمع الشباب بالمقر، فصنعوا طاولة عملاقة وضعوا عليها قالب الكيك الضخم، ومن حوله أكواب العصير في كؤؤس راقية، سكبت نور، وداليا العصاير، بينما قطعت رانيا وشروق قالب الكعك، وحرصت رحمة ومليكة على توزيع قطع الكعك، رفع عمر كأس عصيره ثم قال بفرحة:

_اللي عملناه النهاردة يستحق الاحتفال يا شباب.

سحب جاسم كأسه، فتجرعه وهو يردد:

_الفضل لربنا ثم رحمة قدرت تعجز الناس عن الكلام.

أكد معتز حديثه:

_ فعلا معاك حق.. انا نفسي انبهرت من طريقة شرحها.. خاصة ان دخلتها مكنتش تمام أوي.

ابتسم أحمد ثم قال:

_ مش مهم الداخلة المهم الخارجة.. والخارجة طلعت بقلم عظيم على قفا مهاب أبو العزم. تعالت ضحكات حازم ف جذب من زوجته قطعة الكيك، وتناولها بنهم وهو يخبرهم:
_ يستاهل.. وباعت فؤة تنوب عنه الجبان خايف يظهر لنأكله حي!
تابعهم ياسين بصمت تام، الى أن قُتِح من أمامه ما يخص مهاب أبو العزم فقال بتريث:
_ الموضوع مقلق مش مفرح.. الشخص ده لئيم اختفاء ده وراه مصيبة.

وضع رائد كأسه على الطاولة، ثم قال:

_ هيعمل أيه يعني يا ياسين.. زيه زي اي رجل أعمال دخل صفقة مكسبهاش!
غموض هذا الرجل وعدائه يضع ألف علامة استفهام، ما قاله رائد كان صائب، لماذا يضمّر عداً مثل هذا، وعمله يحتمه بالمواجهة المعتادة بينه وبين كبار رجال الأعمال، اللغز مازال يتخفى حول غايته الحقيقية!

اجتمعت الفتيات حول الطاولة، فتعالت ضحكاتهن فرحاً لتحقيق هذا النجاح، اللذة التي تحيط بهن غريبة وفريدة من نوعها، فلم يكتثروا بتجمع الشباب بنهاية القاعة، يرغبون بالحصول على بعض الخصوصية ومنحورهم ذلك، فقالت نور بسعادة:
_ مبروك يا بنات.. معقول حد يصدق ان رحمة اللي تطلع وتتكلم بالثقافة والراقي ده!
قالت رانيا بحزن:

_ متفكرنيش يا نور أنا زعلت عشانها وافتكرت انها مش هنقدر تتكلم ولا تشرح بس فجاتيني يا رحمة.

ابتسمت وهي تردد:

_ الموضوع مش سهل على فكرة، انك تلاقي نفسك واقفة قدام العدد ده كله شيء يخض ويربك أي حد.

مالت شروق بكتفها عليها وهي تخبرها بمكر:

_ بس المساعدة اللي جاتلك مش من أي حد.. ولا ايه يا نسرين؟

قالت من بين ضحكاتهما المرحّة:

_ عيون رحمة كانت بتطلع قلوب حمرا.. حسيت انهم أول مرة يتقابلوا!!

دافعت عنها مليكة بغضب مصطنع:

_ بص يا بت منك ليها.. مالكم كده سنين سكاكينكم عليها ليه!

ضحكت داليا ثم قالت بخبث:

_ اركني انتي يام ملاك الا السكاكين تتجه اليكي.. ما أنتي بقالك كام يوم راسمة دايرة غرام انتي وياسين وقال أيه بيعلمني عشان معرفش حاجة!! ده احنا مبقناش نشوف وشك.. واللي زايد بيروحك قبلنا كلنا واسطة ورشوة!

اجابتها شروق بمرح:
_مليكة محاطة بالواسطات... وسطة جوزها وياسين الجارحي باشا وعدي باشا والدكتارة
بتاع العيلة.
ضحكت رانيا.. ثم قالت:
_مسنودة اوي البت دي!
لوت فمها بازدرء:
_لا ارجعوا لرحمة وفككوا مني!
نهضت نور عن مقعدها ثم اشارت لهم:
_تعالوا نروح نحتفل معاهم وبالمرة نشوفهم بيقولوا ايه؟!
لحقوا بها، وانضموا اليهم، فبحثت رحمة بعينيها عن عدي، وحينما لم تجده سألت عمر:
_فين عدي يا عمر؟
اجابها قائلاً:
_معرفش.. قال رايح مشوار وجاي!

توقفت السيارة أمام مكان نشط قلبه لذكرياتٍ محببة، نغزة تطرق شريانه من الحين
والآخر، وقدمًا ثقيلة يصعب عليها التحرك عن سيارته ليكمل طريقه، هو بنفسه أبلغ
صديقه بالا يخبره بما طلب معرفته وأنه سيزوره بنفسه، وها هو يقف أمام مركز الشرطة
الذي كان يقصده يومًا، بزيه الذي يحمل ميداليات الشرق وتكريمات خاض بها ألف قصة
وكان هو بطلها الوحيد، هبط عدي عن سيارته بعدما انتصر على وجعه المستجد، وتابع
خطاه للولوج للداخل، طعنته تحية العساكر اليه، وابتسامتهم المرحبة به بعد غياب وفراقًا
طويل، لم يجرأ أحدٌ منهم على ان يركض تجاهه ويبادله العناق، شخصه الحازم الذي خلف
سجله من خلفه جعلهم مازالوا يضعون الحد والحذر، ابتسامتهم وفرحتهم بوجوده كانت
من القلب فوصلت لقلبه بسرعة البرق، ومع ذلك تخطى هيئته وصرامته الجافة، وبدأ
بالسلام هو عليهم، كان الجميع بحالة من الدهشة ولكن اقصى ما فعلوه الترحيب الذي
يليق بضابط شرطة عظيم مثله، والجمل الوحيدة المنطلقة:

_نورت القسم يا باشا..

_ليك وحشة والله..

_ياريت ترجع المكان محتاجك.

اكتفى بابتسامته الهادئة واتجه لمكتب زميله المقصود، طرق على بابه، فنهض عن مكتبه
ليستقبله بنفسه، جلس عدي قبالته ثم بدأ بحديثه:

_قولي باللي عرفته.

ارتعب "عادل"، الزميل السابق لعدي قبل أن يتم ترقية عدي لقسم آخر ورتبة أعلى،
فنهض عن مقعده ثم أغلق باب مكتبه وعاد ليجلس قبالته من جديد، فقال بتردد:

_لما كلمتني وقولتلي ادورك ورا اسم المجرم اللي بعتهولي.. كنت فاكر إن الموضوع سهل!

تقوس حاجبيه باستغراب:

_قصدك ايه؟

بلل شفتيه بلعابه وهو يجيبه:

_الملف بتاعه مالوش وجود... جاي اوامر من فوق أوي إن محدش يقدر يوصل لمعلومة تخص أمجد السلاموني، واللي بيحاول ينبش وراه بيتعرض للمحاكمة العسكرية!

برق بعينه بدهشة:

_للدراجادي!

هز رأسه وهو يسترسل:

_اللي ممكن يكون باين لينا كلنا انه مجرم دولي خطير ومعلومات زي دي مينفعش حد يعرفها، لكن لما تعمقت بالبحث عرفت انه هرب والقوات مكتمة على الخبر ده بس ليه الله أعلم.

بسمة شبه ساخرة تشكلت على جنبي شفتيه، فارتخى جسده على المقعد وهو يهمس بصوتٍ خافت:

_بس أنا عارف ليه!

بالمقر..

استعد العمال لقضاء صلاة العصر جماعة، حتى الشباب لحقوا بهم، وغادرت الفتيات المقر عودة للقصر، بعد أن سمح لهم ياسين الجارحي بالعودة، وحينما كانت مليكة تستعد لقيادة سيارتها، اكتشفت فقدانها لهااتفها، فرددت بضجر:

_نسيته فوق على مكتب ياسين! يا ربي!!

فتحت باب سيارتها البيضاء، وهبطت ثم اتجهت للمصعد لتستعد للصعود، كادت بالولوج للداخل، فأوقفها صوت صراخ قوي يأتي من خارج الجراج، فاتجهت لترى ما سبب تلك الصراخات الخافتة الغريبة، انقبض قلبها رعبًا حينما تسلل اليها صوتًا صاخب تصور لها بأنه طلقًا ناري، تراجعت مليكة للخلف بخوفٍ حينما رأت خيال لعدد من الأشخاص تقتحم الجراج خلسة، تراجعت بظهرها وببطءٍ حذر، تصلب جسدها فجأة حينما شعرت بيد تكمم فمها وتسحبها بكل قوة للخلف!!

عاد للمقر بعدما أمسك بيده طرف الخيط، جعله رحيم على بداية طريقًا سلط كل تفكيره على شخصٍ واحد، وقد تحققت شكوكه حينما أكد له زميله هروبه، ولربما عداء مهاب الغريب يكون خلفه هروب هذا اللعين، ولج عدي بسيارته للجراج الخاص فاندesh حينما لم يجد أفراد الأمن بالخارج على غير عادتهم بالتواجد، بالاضافة لحرس أبيه، لم يشغله

الأمر كثيرًا، تابع القيادة للداخل على نفس سرعة السيارة، اختار المكان الخالي ليصف
سيارته به جوار سيارة أحمد، جحظت عين عدي صدمة من هول ما رأى، ظن ببدء الأمر
بأنه لم يستوعب رؤيته جيدًا، فتمعن جيدًا ليتأكد رؤيته لمليكة مقيدة على مقعد خشبي،
فمها مكمم ويدها يعيقها حبال تصل لقدميها وكأنه يحتجز جسدها للأبد على هذا المقعد،
اختل توازن قيادته، فانجرف سريعًا عنها حتى يفاديها من صدامه المحتوم، فاخرقت
سيارته أحد الأعمدة الحجرية التي هدأت من سرعة السيارة، فاستجابت سريعًا للفرام، أبعد
عنه حزام الامان وفتح باب سيارته، هرول راكضًا وهو ينادي بذعر ولهفة:

_مليكة!!

بكائها وارتجافها بين ايدي هؤلاء كان يقشعر الابدان، لم يقوى عقله العاجز بربط الاحداث
بتلك اللحظة، ثورته كالأعصار حينما رآها مقيدة هكذا، أسرع إليها فحركت جسدها بالمقعد
بعنفٍ وهي تحاول تحذره من شيءٍ، وقف عدي محله بثباتٍ قاتل وحدقتيه تحوم من حوله
كالوحش المفترس الذي يتأهب لقتل فريسته، اذنيه التقطت دعسة حذاء حذرة تخطو من
خلفه، ورفعة معصم يعلو فوق رأسه بالتحديد، على الفور تقدم للامام ليتفادى ضربة
عصا غليظة كادت باصابة رأسه، فلف يده حول رقبته متحكمًا بالعصا ليخنق تنفسه، فنجح
بسلب روحه بين يده، ليلقي جسده أرضًا، وسرعان ما ثبت قدمه بقاعدة المعركة، سُلطت
عينيه على مرآة احد السيارات، ليستعلم عن أماكن ثلاث رجال يختبئون خلف السيارات،
انحنى بخفة وجذب العصا، ثم القاها على زجاج السيارة الامامية فاخرق زجاجها أعين
الذي يختبئ بمحاذااتها، فصرخ ألمًا جعل الاخرون يسرعون اليه، فاستهدفهم عدي بعصاه
وركلة قدميه، وما ان انتهى منهم حتى هرع اليها، أزاح عنها ما يكمم فمها، فبكت وهي
تردد بصوتها المرتجف:

_عدي!

سألها وهو يحتضن وجهها بلهفة:

_انتي كويسة؟ حد عملك حاجة؟

اشارت له بالنفي، ومازال جسدها يرتجف دون توقف، ازاح عنها الحبال ومازالت رأسها
تستكين على كتفيه، عاونها على الوقوف وحملها بين ذراعيه، ثم ركض بها تجاه المصعد
فاشار لها بحزم:

_اخرجي من هنا ومترجعيش فاهمه.

اشارت بالنفي وهي تشير له بتصميم:

_مش هسيبك ليهم لوحذك.. تعالى معايا.

ابتعد عنها حينما وجد احدهما يستعيد وعيه وصوته يصرخ بها:

_اطلعي من هنا فوراً يا مليكة.

اشتبك مع من كاد باستخدام سلاحه، ففتك به، وما أن استدار حتى تجمدت أطرافه حينما
رأى السلاح ملتصق بوجه شقيقته، ومن خلفها يظهر رجلًا يراه لأول مرة منذ بداية اشتباكه

معهم، اعتاد على دراسة قوة العدو، وقوة هذا الرجل تظهر بالذكاء المحاط بهالة عينية، وان لم تكن شقيقته أسيرة بين يده فلم يعنيه ذكاء ولا قوة سينتهي من أمره وهو على ثقة من ذلك، دموعها... فزعها... شفيتها الزرقاء المرتجفة... كل تلك الانفعالات أيقظت داخله براكين هلاك لطالما دفنها بداية من لحظة دخوله للمقر، هؤلاء استحضروا أسوء كوابيسهم، قذف عدي سلاحه أرضًا ثم قال بنظراته الثاقبة:

_أظن اللي بعتك قالك هو عايز مين... سبها تخرج من هنا وأنا أهو قدامك ولوحدي.
ابتسم حتى برزت أسنانه الصفراء جراء ما يتناوله من سموٍ قاتلة، وقال بصوته الخشن المخيف:

_القوة مبقتش بالدرع يا باشا.. بقت بالسلاح!!
واسترسل وهو يشدد من ضغط سلاحه برأس مليكة التي تأوّهت ألمًا وازدادت بالبكاء:
_ونقطة ضعفك اللي هتخليك تنحني للي عايزينه.
رفع حاجبيه بدهشة جعلته يندفع بعصبية:
_أيه اللي انتو عايزينه!! بقولك سبها وأنا أهو قدامك ومش خايف من اللعبة اللي في ايديك!

أشار بعينه تجاه السيارة السوداء التي اقتحمت الجراج فجأة، فخرج منها ثلاث رجال أقوياء البنية، اقتربوا منه بحذر، فابتسم ساخطًا لما يفكر به هذا اللعين، جذب احدهم حقيبة سوداء ثم أخرج منها محقن غليظ، ودانا من عدي، فلكمه بشراسةٍ قبل أن يصل اليه، زحف للخلف برعبٍ، فاستدار عدي تجاه الاخير وقال بتحذير:
_لو مسيت شعرة منها مش هتخرج من هنا حي لا أنت ولا اللي وراك... سبها وأنا هعمل اللي انت عايزه.

أشار له وهو يتراجع بها للخلف:
_ما انت مش بتساعدني... سبب الرجالة تحقنك بهدوء وساعتها أختك هتبقى في أمان.
صرخت بصدمة:

_عدي... لأ!!

استطرد قائلاً:

_احنا عبد المأمور اللي باعتنا ليك هو اللي هيصفي حسابك منك... احنا هنوصلك بيه.
يعلم بأنه في أعظم حروب العالم يستغل الخصم نقاط الضعف، ولكن تلك ليست نقطة ضعفه، تلك التي ستجعل الشبل يقبل ترويضه دون عذاب أحدٍ، وجوده في مكان هكذا جعله يخشى ان تصل الامور لابناء عمه، فخوفه الأعظم أن يطول أحدهم الاذى، إن كانت تلك معركته سيخوضها ولكن بمفرده، ان أصابته الجروح لا بأس، إن قُتل لا بأس، ولكن ما قد يؤلمه أن يُصيب أحدٌ من عائلته، ثم مد ذراعه له بثبات مخيف، جعل الاخير يده ترتجف وهو يغرس الأبرة بوريده، بدأت الرؤيا مشوشة أمامه، وبدأ الظلام يبتلعه تدريجيًا، حتى تلقفه بردائه المقبض، فترنح جسده أرضًا، وحتى في غفوته صنع الرعب بقلوب من

يحاول حمله للسيارة، خوفاً من أن يعود بشجاعته لساحة المعركة.
رؤيتها لاختيها يضحي بذاته لأجلها جعلتها تقودها للجنون، صرخت بانهيـار وصوتها المبـحـوح
لا يردد الا اسمه:

—عدي!!!

خشي أن ينتبه اليهم أحدٌ من صوتها، فهوى على رأسها بحافة سلاحه، قاصداً أن يجعلها
تفقد الوعي، استجاب جسد مليكة لضربه وتمددت أرضاً فاقدة للوعي، وحجابها الأبيض
بات مختلط بدمائها، ومازالت دموعها تنساب على خديها!

كان على ياسين ويحيى الجلوس بصحبة كبار رجال الاعمال، القادمون من الخارج،
مقابلات روتينية معتادة بينهم، فاختار ذلك الأرعن الوقت المثالي فعل فعلته، لعلمه
بعدم سماع ياسين بأن يصل الآذى لابنه، الوقت بالنسبة له مناسب لانشغاله التام داخل
القاعة الرئيسية بعيداً عن المقر، رغم كره ياسين الشديد لحضور مثل تلك الاجتماعات،
فاخرج هاتفه ليجد أكثر من ثلاثون مكالمة، وآخرهم رسالة صوتية مسجلة من الجوكر
"مراد زيدان" من ساعتين، فتحتها ليجده يردد بأنفاسٍ لاهثة:

—مهـاب أبو العزم هو نفسه أمجد السلاموني..أنا في أمريكا وجبت المعلومات دي من
المستشفى اللي اجري فيها عملية التجميل، عدي في خطر كبير لان مهـاب ده محاولته...
ارجوك امنع عدي يدخل المناقصة!!

حظت عينيـه صدمة، والعالم التف به بتلك اللحظة، كان يضع افتراضات وجود علاقة
بين مهـاب وهذا السفاح، ولكن الأمر تغاضى ظنونه، ليس ساحراً ولا منجماً ليكتشف هذا
الأمر، فعل المستحيل طوال تلك الفترة ليكشف أمره ونجح بحماية ابنه مرازاً ولكن الآن
الامر خرج عن طوعه رغماً عنه، استند ياسين على حافة المقعد القريب منه حينما شعر
بأنه ليس على ما يرام، فسلطت عينيـه على شاشة هاتفه حينما دق برقم مجهول، رفعه
ببطءٍ اليه ليستمع لصوت يخبره:

—ياسين الجارحي... بعظمتك وهليمانك اللي بتفتخر بيه ده مقدرتش تحمي ابنك
مني...ودلوقتي لو عايزني أشفق على ابنك واسيبه حي، تجيلي لحد عندي على العنوان
ده لوحـدك ، ومعاك مصطفى أصلي مبـقـدرش استغنى عن رجل من رجـالتي.. وانت عارف
يا باشا باقي الكلام اللي مش هـاخذ من وقتك واشـرحـلك لو بلغت البوليس أو لعبت كده
أو كده ابنك هـيـحصله أيـه!

كان عليه الذهاب للقاعة الرئيسية، فهبط أحمد بالمصعد للجراج حتى يستقل سيارته، اتجه
إلى المكان الذي صف به السيارة، فصعق حينما وجد زجاج منكسر يملأ الأرضية، وخط
رفيع من الدماء جوارها، جابت عينيـه المساحة الخلفية فوجد ابنة عمه تفتـرش الأرض
باهمالٍ، ابتلع ريقه الجاف بصعوبة، فركض نحوها، انحنى بقامته وجذبها اليه وهو يناديها

بخوف:

_ملیكة... ملیكة سامعاني؟!

شعر بشيءٍ لزع أسفل یده الموضوعة أسفل رأسها فساندها بذراعه الآخر، لیرفع یده، ازدادت صدمته حينما وجدها مختلطة بالدماء، فوضع رأسها على ساقه ثم جذب هاتفه من جاكيتته، اتصل بعمر وترك الهاتف من یده وهو يحاول مساندة رأسها بحرص حتى لا تتأذى..

بالاعلى..

كان عمر والشباب يعملون على الحاسوب بتركيز تام، الى ان دق هاتفه ففتحه وهو يجيبه على مضمین:

_أيوه يا أحمد.

صوته المفزوع كفیل بنقل حالاته المریبة:

_عمر انزل حالا على الجراج... ملیكة فاقدة الوعي وحجابها كله دم.. بسرعة من فضلك.

انتصب بوقفته وصاح بخوف:

_مالها ملیكة!

ما قاله ادهش من حوله وبالأخص ياسين الذي ترك مكتبه وهرع الى عمر يهزه بعنف:

_في أيه.. ملیكة مالها؟!!!

لم يجيبه كان يحاول سماع ما يقوله أحمد، فجذب ياسين عنه الهاتف ووضعته على أذنيه

فما أن سمع ما قاله حتى هرع للأسفل على الفور والشباب بأكملهم من حوله..

توقف المصعد ومعه آخر دقة قلب يمتلكها، ركض مسرعًا تجاهه، فصعق حينما وجدها

تتمدد كالجثة الهامدة بين ذراع أحمد، حملها عنه وهو يتساءل بصدمة:

_في أيه يا أحمد؟

استقام بوقفته وأجابه بحزن شديد:

_معرفش انا نزلت لقيت الدنيا متبهدة كده ولقيتها بالحالة دي.

صاح رائد بغضب:

_ازاي حصل كل ده والحرس والامن كانوا فين؟

وتركهم واتجه للخارج ليعنفهم فلحق به معتز، انحنى تجاهها عمر، وأشار لهم بالاستدارة،

تفهموا ما يوده وتركوا له المجال ورؤوسهم للخلف حتى اشاح عنها حجابها ليتفحص حجم

اصابتها، استغرق الامر دقيقتين مروا على ياسين ببطء شديد وخلالها اتصل جاسم

بالاسعاف، انتهى عمر مما يفعله ثم قال وهو يلتقط انفاسه بتثاقل:

_متقلقش اصابتها سطحية، شوية وهتفوق..

هدر بعنف:

_وايه اللي وصلها لكده... ده حد اتهجم عليها يا عمر!!

كز على أسنانه وهو يحاول استيعاب ما حدث هنا، هم اليهم رائد ومعتز بملامح مرتبكة،

فقال معتز:

_الحرس والامن مضروبين بالنار يا ياسين!
صمت عمر وصدمته جعلت اعين الجميع تتجه اليه وخاصة حينما زحف أرضًا حتى وصل
لشيء، حمله بين يده وهو يردد بصوت شبيه للبكاء:
_دي ساعة عدي!

الفصل الخامس والعشرون

تناسى نفوذه وما يمتلكه ويمكنه فعله، "ياسين الجارحي" اسمه ذاته يصعب على عدوه نطق حروفه، ومع ذلك هو الآن عاجز، يضعه القدر بعد كل تلك السنوات بإختبار يماثل ما تعرض له، ذاك الوجع النابض بين صدره سبق تجربته من قبل، حينما كان عاجزًا عن الاختيار بين زوجته وبين يارا، وحينها إختارها قلبًا وقالبًا، لم تكن أخته فقط بل ابنته وصديقه وكل ما يمتلكه بتلك الحياة، والآن الاختيار يمس فلذة كبده، ابنه وولي عهده، لكل ابن من الابناء مكانة خاصة، ولكن تضعك اللحظة الأولى أسيرًا لحبٍ خاصٍ رغمًا عنك، تستميلك لأول ضمة.. أول قبلة.. أو من رأت عينيك من نسلك، وكان عدي أول من حمله ياسين بين يده، كان أول من تعلقت عينيه به، أول من جعله عاجز عن التعامل مع عظامه الصغيرة، فكان يخشى أن ينطوي بين ذراعيه من فرط خوفه الشديد وحبه إليه، ربما كُل يبرع بمجاله، فتمكن ياسين من الانتصار على مهاب أبو العزم بجدارية حينما خاض معركة تخص مجال رجال الأعمال، والآن يحقق هذا الحقير انتصارًا يثبت مدى جدارته بعالم الجريمة، قاد سيارته بمفرده للمخازن، مما زرع القلق بقلب عثمان، فطلب يحيى وهو يخبره بقلق:

_الباشا طلب انه يسوق بنفسه وقالي أني ممشيش وراه أنا والحرس.. انا حاسس يا باشا
إن في شيء غلط..

أمره يحيى بحزم وهو يهرع لسيارته ليتجه للمخازن:
_خليك وراه أنت ورجالتك يا عثمان.. أوعى تسبيه!

بالمقر الرئيسي لشركات الجارحي.
انتهى الطبيب من فحصها، وعلاج جرح رأسها، فوضع عازل بين رقبتها وجسدها تحسبًا لوجود كسور في الرقبة، ثم تركها ترتاح بالغرفة السرية التابعة لمكتب الشباب، وجمع أغراضه الطبية، فدأثرها عمر بالغطاء بصمت قاتل مازال يستحوذ به من اللحظة التي حالت الشكوك بأخيه، هم ياسين بالطبيب يتساءل بريية:
_طمني عليها يا دكتور.. أرجوك.
منحه ابتسامة عملية، وهو يخبره:
_متقلقش زي ما قال دكتور عمر اصابتها سطحية.
نبرته مالت للعصبية وهو يصيح به:
_لو إصابتها سطحية مش بتفوق ليه؟!
تفهم الحالة التي تلتهم قلبه البادي عشقه الشديد لزوجته، فوضع يده على كتفه وهو يخبره:
_الخبطة كانت شديدة عليها فطبيعي انها تفقد الوعي.. بس وضعها دلوقتي مستقر..
شوية وهتفوق بإذن الله.
هز رأسه وهو يشير له:
_إن شاء الله.
وتركه واتجه ليجلس جوارها، فقبض يدها بين يده وهو يناديها بلهفة:
_مليقة.. أنا جانبك يا حبيبتي فوق عشان خاطري.
جلس عمر على المقعد القريب منه هائمًا خلف كوابيسه، متابعًا السيناريو المقبض الذي يطرحه عقله من أمامه، طرقات على الباب اصطحبها ولوج أحمد ومعتز، فقال وهو يدنو من الفراش:
_الدكتور قال أيه؟
اجابه ياسين بجمودٍ وعينية تتعلق بزوجته:
_كويسة.
واتجهت نظراته اليه وهو يتساءل بقسوةٍ افتكت عن شخصيته الهادئة:
_فرغت الكاميرات؟
رد عليه معتز قائلاً:
_رائد نزل مع جاسم من نص ساعة.
والتفت للخلف وهو يشير له:
_أهم جيهم.
ملاحظهم كانت مقبضة للغاية، وخاصة حينما ردد جاسم بصوتٍ بدى مرتجفًا:
_عدي اتخطف.
انتفض ياسين بوقفته وهو يردد بصدمة:

_اتخطف!! أنت بتهزرا!

رد عليه رائد بحزن:

_اللي حصل صعب يتحكي يا ياسين.

وجذب الحاسوب من جاسم، ثم انتقل للملف المسجل، فطرح من أمامهم تسجيل ما حدث منذ لحظة هبوط مليكة، إلى لحظة تخلي عدي عن قوته واختياره الأمان والسلامة لاخته الوحيدة، وتقبل ما سيواجهه بمفرده، سال الدمع على أعين معتز وجاسم بينما صاح أحمد بعصبية بالغة:

_ازاي كل ده يحصل واحنا فوق ومش حاسين بحاجة!!

ومرر يده على شعره بغضبٍ كاد باقتلاعه:

_مين اللي يجرأ يعمل كده؟

أجابه ياسين بصلاية وعينيه القاتمة مازالت تقابل الشاشة متعلقة بلحظة ضرب هذا الرجل لزوجته، حفرت معالمه داخل قسمه اللعين بقتله ألف مرة، وصوته الخشن يردد:

_هيكون مين غيره!

استرسل رائد:

_مهاب أبو العزم!

ركل أحمد المقعد بقدميه وهو يصيح بغضبٍ قاتل:

_الكلب وقسمًا بالله ما هنسييه لازم يدفع تمن اللي عمله ده وغالي.

قال معتز بقلق:

_طب هنعمل ايه.. هنبلغ عمي ولا هنتصرف ازاى.

صاح ياسين بانفعال:

_لا.. محدش هيعرف حاجة باللي حصل، لو الموضوع وصل لطنط آية ولا لرحمة حالتها

هتسوء تاني، احنا لازم نتحرك بدون ما حد يعرف بحاجة من اللي حصلت.

تساءل جاسم وهو يشير بعينيه للفراش:

_طب ومليكة!

حانت منه نظرة حزينة تجاهها، ونبرته الخافتة عكست ضعفه المقبض:

_مليكة هتفضل هنا معايا محدش هيعرف بحاجة متقلقش.

اتجه أحمد لعمر المنعزل عنهم، فوضع يده على كتفه وقال بشكٍ نجح بنقله للشباب:

_إنت كنت متوقع إن كل ده يحصل!

ظل هائمًا بالفراغ بجمودٍ جعل الأخير يحركه بعصبية:

_رد عليا يا عمر؟

نهض عن المقعد ببطءٍ جعل الأخير يسانده خشية من سقوط حركه جسده المترنحة، فقال

بصعوبة بالحديث:

_الموضوع أكبر من مهاب أبو العزم .. عدي في خطر أكبر مما نتوقعه.

اقترب منه ياسين بتمهلٍ والشكوك تتراقص بين حدقتيه، فردد بحزم:
_مخبي أيه عننا يا عمر؟

فُتحت المخازن من أمامه، فاستكمل خطواته الثابتة للداخل، ليقترّب من الماسد على
أحدى الاعمدة مقيد بالحبال، فتح مصطفى عينيه بإرهاق تام، وحرك لسانه ليردد بتعبي:
_اقتلني وريحني من العذاب اللي أنا فيه ده يا باشا.
تحركت نظراته الثاقبة لاحد رجاله، فقام بحل وثاقه، لف ياسين يده حول رقبتة فكاد بخنقه،
جاهد لانتظام أنفاسه بين يده المقبضة، فرفع حدقتيه اليه ليجده يخبره بصدر رحب:
_هيحصل قريب وعلى ايدي..بس في مشوار مهم ليك.. اعتبره مشوارك الأخير!
وجذبه ياسين بقوة كادت باسقاطه أرضًا، ففتح صندوق سيارته ثم ألقاه داخلها، وما كاد
بصعوده للسيارة وجد سيارات تحاط به، فهبط منها عثمان وهو يهرع إليه ويخبره بتوتر:
_مش هينفع اسيبك لوحديك يا باشا.. أنا والرجالة ضهرك في أي مكان.
أشار له بعينيه بالتنحي جانبًا وهو يخبره:
_هتحرك ولوحدي.

وضع عينيه أرضًا بخوف جعل اصطكاك أسنانه مسموع وهو يخبره:
_يحيى باشا أمرني مسبش حضرتك.. هو زمانه على وصول.
ضيق عينيه بنظرةٍ رعبت رجاله بأكمله، وخاصة حينما سحب سلاح عثمان على غفلة منه،
فتفاجئ به يصوبه تجاهه، وتلك المرة كان أمره مفتعلًا بتهديد قاطع:
_أنت هنا عشان تنفذ أوامري أنا وبس، ولو هتعارضني أنا بنفسي اللي هخلص عليك.
تراجع عثمان الخلف واتبعه رجاله، فالقى السلاح أرضًا، واستكمل خطاه بثباتٍ، حتى
استقل سيارته وغادر من أمام الجميع..

أصبح الجميع على علمٍ بما أخفاه ياسين الجارحي، فازداد خوفهم على عدي أضعاقًا،
نجحوا باختراق قوقعة عمر فشاركوه خوفه العظيم وقلقه القاتل، جلس أحمد على المقعد
بإهمالٍ ثم قال برعب:

_يعني عمي على علم بكل ده من البداية، وممكن يتدخل بدون ما يعرف حد!

احتدت نبرة ياسين وهو يهدر بانفعال:

_هنجيبه لو في آخر الدنيا.. المهم ان محدش لازم يعرف باللي بيحصل.

وأشار لمعتز قائلًا:

_اطلب مازن وخليه يجي حالا بدون ما يحسس مروج بحاجة.

أوما برأسه ثم التقط الهاتف وأسرع بطلبه، أغلق عمر عينيه وهو يعتصر تلك الدمعة التي
كادت بفضح ضعفه، خفقات قلبه تتثاقل بشكل يجعل رئتيه لا تستجيب للهواء المنعش
المنبعث من المبرد، يشعر بأن الخطر يحوم بأخيه فينعكس عليه ما يشعر به بتلك

اللحظة، فتح عينيه الباكية وصوته الهامس يتضرع لله:
_يا رب!

وأضاف بحزن:

_رحمة مش مبطله تسأل عليه كأنها حاسة ان في حاجة.
قال أحمد:

_قولها اننا في اجتماع مهم.

أجابه ببسمة ساخرة:

_بتحاول تصدق كلامي!

بدأت الغمامة السوداء تنقشع عنها تدريجيًا، فبدت الصورة غير مرئية، سكنة جسدها المرهق جعلتها تعود لغلقهما من جديد باستسلام لنوم آمن، فما أن اخترق مسمعها صوت زوجها حتى جاهدت لفتحهما من جديد، فتمكنت تلك المرة من رؤيته، يقف على مسافةٍ منها بصحبة أبناء أعمامها، ابتلعت ريقها الجاف لتجلى أحبالها الصوتية، فرفعت يدها تجاهه وهي تناديه بصوتٍ خافت للغاية:
_ياسين.

التفت تجاه الفراش بلهفةٍ، فابتسم بفرحة حينما وجدها استردت وعيها، أسرع اليها فمال بجسده قبالتها على الفراش، وضع يده على رأسها وهو يردد بشوق:
_فوقتي يا حبيبتى.. حمدلله على سلامتك.

مررت عينيها بالغرفة وهي تحاول تذكر كيف أتت إلى هنا، أو بالأحرى ماذا حدث بالتحديد، احاطها الشباب ليطمئنوا عليها، فتعلقت نظراتها بعمر وتلقائيًا رددت بصدمة استيعابها الكامل:

_عدي!!!

بحثت عنه بينهم وقد تسرب لها آخر مشهد ختمته عينيها قبل أن تفقد الوعي، انهارت باكية بصوت مرتفع ومن بين شهقاتها رددت بصراخ:
_عدي..

احاطها ياسين وضمها اليه، فشعر بدمعاتها تنتقل لحدقيته اللامعة بالدمع تأثرًا بحالتها الغريبة التي يراها بها لأول مرة بحياته، فقال:
_اهدي.. احنا مش هنسيبه.

بكلمات عشوائية حاولت نقل ما حدث اليهم ليساعدوه:
_في ناس خطفوه.

وأشارت على يدها برعب:

_حقنوه وأغمى عليه بعدها نقلوه لعربية سودة.

ضمها اليه بالكامل محاولًا امتصاص توترها المقلق هذا، فقال:

_شوفنا تسجيلات الكاميرات يا مليكة.. هنحاول نوصله متقلقيش.. ارتاحي انتي وأنا

أوعدك ان مفيش مخلوق هيمس عدي طول ما أحنا موجودين.
عاد الدوار إليها، فمالت برأسها على كتفه، تعلقت به وغفت بنومها الكامل، اعتدل ياسين
بجلسته لتسترخي بنومها، فهمس معتز خشية من ايقاظها:
_مازن في الطريق..بس حازم اللي مش مبطل رن عليا.
قال جاسم:
_ولا عليا انا كمان.
أشار لهم رائد بهمس حذر وعينيه تتابع مليكة:
_اوعوا تبلغوا حازم حاجة طول مهو بالقصر...يمكن حد جنبه يسمع والخبر يوصل لرحمة أو
لطنط آية.
أشار أحمد اليه:
_المهم دلوقتني لازم نستغل كل دقيقة ونتحرك باقصى وقت.
على هاتف أحمد بالمكالمة التاسعة عشر، فزفر وهو يجيب بضيق:
_مش وقتك يا حازم هكلمك بعدين.
اتاه صوته الغاضب يخبره:
_برن عليكم كلكم بقالى ساعة ونص... عدي اتخطف يا احمد كنت راجع المقر بعد ما
وصلت البنات ولقيت عربية غريبة طالعة من الجراج وفيها ناس سائدة عدي، انا ماشي ورا
العربية اللي هو فيها!
جحظت عين أحمد بصدمة، جعلت عمر يتساءل برعب بأن الخبر متعلق بأخيه:
_في أيه يا أحمد. طمني عرفت حاجة عن عدي!
تجاهل الجميع وهو يردد:
_خليك وراهم وابعثلي اللوكيشن.
جذب عمر الهاتف منه ثم فعل السماعة الخارجية وهو يحذره:
_حازم اوعى حد يحس انك وراهم الناس دي خطيرة..
اجابه وهو يقود بتمهل حذر:
_متقلقش يا عمر.. بس هما واخدينه في مكان بعيد جدًا على الطريق الصحراوي انا وراهم
بقالى ساعة ونص!!!
حمل عمر مفاتيح سيارته وهرع للخارج وهو يردد:
_ابعثلي حالا اللوكشين وواعى مهما حصل تدخل من غيرنا.. هتعرض حياتك وحياته
للخطر.. اتدارى واستنى لما نوصلك.
لحق أحمد بعمر، حتى معتز وجاسم ركضوا من خلفهما، وضع ياسين مليكة بفراشها ثم
قال لرائد:
_اتصل برانيا خليها تيجي تقعد جنب مليكة هي أنسب واحدة في البنات.. عاقلة كفايا
ومستحيل هتتكلم.

جذب هاتفه وطلبها وهو يركض خلفهم للمصعد، فقال بايجاز وهو يصعد خلفه ياسين والشباب المصعد:

_رانيا تعالي المقر حالا، مليكة تعبانة ومحتاجالك وأوعي حد من القصر يعرف أي حاجة..
انتظر لسماع قلقها المتصل بعباراتها المتسائلة فانهى اتصاله بكلمة مختصرة:
_لما هرجع هحكيلك كل حاجة.

توقف المصعد فاتجه الشباب بأكملهم للخروج، وما أن قُتِح باب المقر حتى تفاجئوا بيهيى من أمامهم، بعد أن بلغه عثمان بما حدث اتجه للمقر على يعلم ما الذي حدث ليُجعل ياسين يتصرف هكذا، وزع نظراته بينهم بدهشةٍ اتبعت سؤاله:
_على فين؟

توزع الارتباك على وجوههم مما زرع الشك ليحيى الذي شدد من نبرته:
_في أيه؟!

تطلع الشباب لعمر، فقال بعد صمت استحدثه لصياغة التفكير، من المستحيل أن يخفي أبيه شيئاً عن رفيقه، فقال:
_عدي اتخطف يا عمي.

جحظت عين يحيى في دهشةٍ جعلته لا يحتمل استيعاب ما حدث للتو، فردد بعدم استيعاب:

_مستحيل!! ياسين رايح برجليه لحد عندهم!!

تساءل أحمد باستغراب:

_مين اللي رايح برجليه.. تقصد أيه يا عمي؟

صاح بهم وهو يحاول أن يتمالك أمره:

_كنا متحفظين على راجل من رجالة، وأكد ال** ده هددته بعدي عشان كده أخده وراح لوحده.

اليوم هو يوم الصدمات الجماعية، تتفرق بينهم جميعاً والفرار من الأمر ليس هين، ليس عدي المعرض للخطر من أمامهم، ازدادت لائحتهم وليست أي زيادة، عصب تلك العائلة وأهم أضلاعها بخطر سيدمي العائلة بأكملها، تواصل يحيى مع حازم بعد معرفته بما حدث، وشدد عليه الحرص الا يشعر به أحدٌ، تحركت السيارات اتباعاً للموقع المطروح على الشاشات الصغيرة بالسيارات، وانضم اليهم مازن بأسلحة ضخمة حملها بصندوق سيارته، وطول الطريق زرع بقلوبهم التوتر والخوف من القادم!

جسده القوي مقيد على المقعد الخشبي المتهاك بمنتصف المغارة التي يحد قلبها بناءً خشبي يصنع داخل المغارة منزل بكافة استخداماته، مظهره من الخارجي يخادع العين بأنها مجرد فتحة داخل جبلاً حالك السواد، وداخلها وكراً خاص لهذا اللعين الذي لجئ لتغيير دينه مسبقاً وانحلاله لأكثر من طائفة ليحصل على السلطة والأمال، وكأنه وكر أفعالي

تتلثم بأسلحة وطول بنية قوية للغاية، كان عددهم بالداخل يتخطى الأربعون رجلًا، ومن الخارج خمسة وثلاثون يحاطون بالمغارة من جميع الاتجاهات بأسلحةٍ مخيفة، وبداخلها تتجمع الأفاعى حول هذا المغيب، ينظرون الآذن لحقنه مجددًا ليسترجع وعيه، هبط هذا الأرعن من الدرج الحجري ليصل للأسفل بمئزهة الحريري المتدلي من خلفه بفرو غليظ، وبيده مشروب من الكحول المحرم، الابتسامة تشكلت على وجهه فور رؤيته لخطته تنجح وتحقق صداها برؤيته له قبالة عينيه، دنا حتى أصبح يقف مقابله، تشمله نظراته بكرهٍ وحقدٍ دافين، قبض بيده على خصلات شعره البنية الطويلة، ليرفع رأسه اليه وهو يركز على أسنانه مصدرًا أوامره:

_فوقوه.

انصاع إليه من يتربص اشارته، فحمل المحقن واقترب منه، حقن مصمه بالأبرة فما أن مرت دقيقة كاملة حتى استرد عدي وعيه تدريجيًا، فتح حدقتيه على مهل والابتسامة تشق وجهه مما زرع الدهشة على وجه مهاب، وخاصة حينما قال:

_لسه زي ما أنت ومتغيرتش، فكرتك هتكتسب خبرة لما تخش مجال رجال الأعمال بس للأسف هتفضل زي ما أنت يا أمجد!

كانت مفاجأة غير لطيفة بالمرة، كسرت جزء من غروره، فانحنى تجاهه وهو يردد بهدوءٍ يعاكس ثورته:

_لا ذكي... لما قولتلي صوتك مش غريب عليا حسيت اني ظلمتك لما قولت عليك متهور وغبي!

اتسعت ابتسامته عدي، فاعتدل بجلسته قليلًا وهو يراقب الحبال الغليظة التي تكتف ساعديه، فقال دون إن يعبئ بما يحيطه من عدد مخيف:

_يمكن أكون عقلت بس للأسف أنت اللي متعلق بيا ومش حابيني أتغير للاحسن!

وتركزت نظراته تجاهه وهو يردد ببطءٍ ونبرة مخيفة:

_صحيت الوحش اللي جوايا.. بس أوعدك المرادي مش هعتقلك حي.. هسلمك جثة!

تعالت ضحكاته بجنون جعل من حوله يبتسم على حديث هذا الشاب المجنون، يتحداه داخل وكره الممتلئ برجاله وهو أعزل دون سلاحًا!

ورغم ذلك لم يرمش له جفن، وخاصة حينما انحنى مهاب ليكون قبالة وجهه لوجه، فقال من بين اصطكاك أسنانه:

_النهاردة محدش هينجذك من ايدي، اللي حماك مني مرة واتنين هو بنفسه هيبقى زليل تحت رجلي.

رمش بعينه بدهشةٍ، فأكد له مهاب ببسمة ساخرة:

_ياسين الجارحي كان بينجح كل مرة وييني ألف سد بيني وبينك، بس خلاص هو بنفسه اتحبس معاك جوه السد ده.

تأكدت ظنون عدي بتلك اللحظة، فادمعت عسلية عينيه تأثرًا، غامت سحبة قاتمة ابتلعت

مائها فور سماع أحد الرجال يردد:

_ياسين الجارحي وصل بره ومعاه مصطفى زي ما طلبت يا كينج!
ضحك بانتصار وهو يقذف تجاهه أساور حديدية (كلبشات) قائلاً:
_فتشه كويس وقيده.

ثار عدي فتحرك جسده بعنفٍ شرس على المقعد، وهو يردد بصراخ:
_هقتلك يا أمجد... وقسمًا بالله هقتلك لو قربت لابويا... خليه يمشي من هنا تارك معايا أنا!
ضحكاته المستمتعة كانت تحفز خلاياه، فتجعل قوته تخور عن مسارها، رفع عدي جسده
فنهض بالمقعد، واستخدم ساقه ليصعد فوق الصخرة المرتفعة ومن ثم القى بذاته من
ارتفاع شاق، فتحطم به المقعد وفكت قيوده، وفي لمح البصر قبض بيده على عنق أمجد
السلاموني(مهاب أبو العزم) ، والآخر يبرق له بصدمة، لولا تدخل رجاله لكان الآن بعدد
الموتى، سعل بقوة والرعب يحتضن حدقيته حينما رأى موته يرفرف بين أعين الوحش
الثائر، فقال بارتباك:
_قيدوه بالكلبشات.

انصاعوا اليه ولفوا ذراعيه لخلف ظهره وقيدوه بالكلبشات، فدنى منه أمجد بعد تأكده من
تقيده التام ثم انهال على وجهه بلكمة اصابت وجهه، وقال ببسمة ساخرة:
_هتحاسبني على أيه ولا أيه.. على محاولة قتلي لابن عمك ولا على الحالة النفسية اللي
مراتك فيها بفضل مصطفى اللي رجع بفضللي ولا على اني بعد ما هقتلك وأقتل أبوك
هخلص على نسل الجارحي كله بنفسي عشان ناري اللي جوايا منك تبرد.

وحك فمه بفوه سلاحه وهو يشير له:

_أنا بس مختار اختارك موة تليق بيك.. محتاج وقت أفكر.

وأشار لرجاله قائلاً:

_ارموه فوق لحد ما أشوف الباشا بنفسي.

جذبوه للاعلى وهو يحاول البقاء لرؤية أبيه، وصراخه مازال يعصف بالمكان:

_هقتلك لو قربت لأبويا... سامعني!

استعد مهاب للقاء ياسين الجارحي، فولج للداخل بعظمة وثبات طغى على من يراقبه،
عزيرًا هو حتى إن فقد قلبه طوع أمره، حتى وإن زف لموته بقدميه سيظل صامدًا عتيًا، لا
يقوى على كسره أحد، تحرر مصطفى فأسرع تجاه مهاب ببسمة انتصار لحقت بقوله:
_كنت واثق ان محدش هيقدر عليك يا باشا.

حانت منه نظرة خبيثة أحاطته من رأسه لأخمص قدميه، فقال وهو يرتشف مشروبه بتلذذٍ
عجيب:

_محدش يقدر يهزمني.. بس أنا معملتش كل ده عشانك..

واستدار ليقابل نظرتة المندهشة ببسمة شيطانية:

_اللي مستغربه انك عاشرتني وعرفت اني بكره الراجل الغبي والضعيف والصفيتين

اتجمعوا فيك يا صا صا.
وقبل أن ينهي كلماته إخرق رصاصة جسده فكاد بالترنج للخلف ولكنه جذبته إليه يضمه
بهمس مخيف:

_محبتي أخسر وداعك الجميل ده.. مع السلامة يا حبيبي.
وألقي جسده وهو يشير لرجاله:
_ادفنيه..

وتطلع تجاه ياسين بعنجهية، ظنًا من أن ما فعله سيزرع الخوف بحدقتيه الثاقبة، فلم يجد
سوى الصلابة والقوة، فقال ببسمة ساخطة:
_نورت المطرح يا باشا.. أنا طبعًا مكنتش حبيب اننا نتعرف بالظروف دي بس محدش
بيرتب حاجة.

تحرر عن ثباته وهو يردد:
_فين ابني؟

تناول مشروبه جرعة واحدة وقربه لرجله الذي أضاف كمية أخرى، وقال:
_مستعجل ليه.. أنا حبيب أتعرف عليك اللي أنت عملته طول السنين دي كلها يخليني
عندي فضول أتعرف على شخصية ياسين الجارحي اللي الكل بيعملها ألف حساب.
وجذب المقعد ثم جلس ووضع قدمًا فوق الأخرى وهو يردد بمكر:
_بس حقيقي متوقعتش انك هتسمع كلامي وهتيجي من غير رجالتك!
رفع احد حاجبيه وابتسامته الصغيرة لحقت به وهو يردد بصلابة:
_الجبان هو اللي بيتحامى في رجالاته.. وأنا مخوفتش من حد عشان يجي واحد تافه زيك
يزرع الخوف جوايا.

واسترسل بنظرة ثاقبة:
_أنت اللي لازم تخاف.. وتفوق من السكر اللي أنت فيه يمكن ساعتها تعرف انت اختارت
تلعب مع مين؟

ابتلع ريقه بارتباكٍ غريب، ذاك الرجل ما هو اللي نسخة عدي الأصلية، قوته.. قوام
شخصه.. ثقته الغريبة.. نظراته.. كل شيء يفرض به قوة وهيبة عظيمة، ومع ذلك لجئ
لتخوفيه فقال:

_متنساش ان ابنك تحت رحمتي.. وبيترجاني أرحمه.

قاطعته بنبرة اخترقت مغارته كقوة سيف يشق الجسد نصفين:
_ابني لو بيطلب رحمة من انسان حقير زيك أنا بنفسى هقتله.
وببسمة ثقة قال:

_أنا خرجته من حريك من البداية، وأنا وأنت اللي في الساحة.. فياريت متفرحش بانتصارك
المؤقت ده.

ولج أحد رجاله للداخل ليردد بارتباك:

_يا كينج.
أشار له بغضب:
_غور دلوقتي.
أصر الرجل للحديث معه، قائلاً:
_في حاجة مهمة لازم تعرفها.
مال ياسين برأسه تجاه الرجل وكأنه يعلم ما سيقول، وقال بانتصار:
_شوف رجلك عايز يبلغك بأيه.. وجمد قلبك لسه الحرب منتهتس.
ارتعب من وضع الافتراضات حول ثقته الكاملة تلك، فقال بعصبية بالغة:
_اتكلم.
أفصح الرجل عما أتى لاجله:
_البوليس قبض على رجالتنا في أمريكا ودبي.. وقبضوا على شركائنا بره وجوه مصر...
اتدمرنا يا باشا معتش لينا دعم بره..
جحظت عينيه في صدمة، واهتز طوله الفارع، وراح يردد بعدم تصديق:
_ده كذب محدش يقدر يوصل لاسمائهم ولا لأي شيء متعلق بيهم، بقالهم سنين بيحاولوا!
اخترقت كلمات ياسين الآذان حينما قال بثقة:
_مهو المسؤول عن اللي حصل مش أي حد... الجوكر والاسطورة بنفسهم الموكلين
بالمهمة دي.
واسترسل بسخرية:
_حقيقي أنت صعبان عليا، اختارت تحارب الشخص الغلط.. وقعت نفسك مع الشبل
وركزت حرك عليه ونسيت القبيلة بتاعته، من عيلة وأصدقاء وقبل كده أبوه اللي قبل ما
تفكر تكسره هد عشك فوق دماغك.. أنا طلبت منهم يتحركوا ويقبضوا عليهم في اللحظة
دي بالذات عشان متفكرش انك بتلوي دراغي بابني، بالعكس انا حابب لما أواجه الموت
أكون معاه كتف بكتف.. بس وانت كده مش قادر تفوق من الصدمات اللي انا السبب
فيها.. يمكن في المستقبل لو طلعت من هنا حي تأخذ الدرس كويس وتختار اللي تقف
قصاده كويس.
وجوده قبالاته بتلك اللحظة أربك كيانه ، فخشى أن يلاحظ ياسين ارتجافه أمام قوة حضوره
وتحكمه بلجام الفرس بإشارة صغيرة وهو يقف أمام عينيه، كان يظن بأنه يمتلك من
الرجال ما يجعله مميزًا لتلك الدرجة، ولكن قوته تلخصت الآن بذكائه، ابتسامته وثباته
جعله يشير لرجاله قائلاً:
_خدوه فوق لحد ما تتأكد من الكلام ده.
انصعوا اليه ورفضوا لمسهم واجباره على المشي فأشاروا له واتبعهم للأعلى برزانة وصلابة
مازال يلجئ إليها، حتى وإن اهترى قلبه قلقًا على ابنه وعدم وجوده بينهم كان يسن أعظم
سلاحًا إليه.

تسلل صوت الرصاص إليه بالأعلى زرع افتراضات كلاهما أصعب من الآخر، وأساء ما يحتلها إصابة والده بالطلق الناري، زحف عدي بجسده حتى استند بذراعيه المقيدة خلف ظهره على إحدى الصخور، وكلما حاول التمسك برزائته وقوة ثباته فشل فشلاً ذريعاً، وخاصة بتعلق الأمر بأبيه، فطرق برأسه على الحائط من خلفه وعينيه لا تفارق سقف الكهف الحجري، وكلما ارتبط الأمر بموت أبيه زاد بطرق رأسه لتتوقف عن طرح فكرة مشابهة لذلك، يشعر ولأول مرة بضعفه دونه، فأغلق عينيه ليعيد عنه أي أفكاراً غريبة، وفجأة تسلل لفقعته صوته الدافئ:

_عدي!

فتح عينيه على مهل فوجده يجلس جواره مقيد بالكلبش الحديدي، ارتخت معالم كلاً منهما وهو يجد الآخر على ما يرام، فعاد ليستند برأسه للخلف ورأسه يستدير تجاهه، فقال بحزن: _كنت بتعمل كل ده عشان تحميني، وأنا كنت بحاول أفهمك وأفهم أيه اللي بتحاول تداريه ورا تحدياتك، ودلوقتي فهمت.

واسترسل وهو يتطلع إليه بأعين دامعة:

_فهمت انك أعظم أب في الكون، كل تصرف عملته كان وراه ألف مبرر في وقت أنا مكنتش لقي مبرر واحد لتصرفاتك، بعدك للبنات عن القصر كان عشان رحمة تكون بامان بعيد عن المشاكل اللي أنا فيها!

استمع إليه بسكون وهو يستند برأسه على جسد الصخرة مثلما يفعل عدي، يسترخي تمامًا لأخر لحظاتها معاً، انهمرت إحدى دمعاتها وهو يختم حديثه:

_ادايه انت شخص عظيم وتستحق حب كل اللي حواليك.

تطلع تجاهه ليكسر صمته ببسمة هادئة:

_كلهم الا ابني!

رد عليه بصوته المحتقن من الدموع:

_لانه غبي ومتهور ومش مقدر النعم اللي في حياته.

ابتسم وهو يردد بمرح:

_يمكن شايف نفسه توم كروز ولما بعد عن كيانه وشغله حب يعيش مغامراته جوه قصر

الجارحي وملقاش حد يتحداه غير كبيره مثلاً!

افتر فمه عن ابتسامه، ثم قال بتريث:

_تعرف أن الكلب ده هيقتلنا!

أجابه بثقة:

_ده يبقى غبي بصحيح لو سابنا عايشين بعد القلم المحترم اللي اخده مني.

اعتدل وتساءل بجدية:

_قلم أيه؟!

رد عليه ياسين وهو يتعمق بنظراته إليه:

_مراد ورحيم مسكوا القضايا الدولية الخاصة بالمجموعة اللي بتساعده بره مصر، وفي اللحظة اللي كانوا هيقبضوا فيها عليهم كنت إنت اتخطفت، كانوا عايزين يتراجعوا بس أنا رفضت، لو مصيرك الموت هنموت مع بعض يا عدي.. بس الكلب ده মিحققش اللي في دماغه وميفكرش انه انتصر عليك!

استند برأسه مجددًا على الصخرة وهو يردد بعدم تصديق:

_حتى مراد ورحيم جندتهم!

ضحك حتى برزت أسنانه البيضاء، وقال:

_اعترف إنني خصم مش سهل، حتى وإحنا على مشارف الموت.

اتجهت نظرات عدي إليه، وقال بانفعال شرس:

_محدث هيقرب منك طول ما أنا حي.

ابتسم وهو يستمع لما قاله، وما أن تطلع إليه تلاشت ابتسامته تدريجيًا حينما وجد وجهه يزداد لونه بالأصفر القاتم، وجبينه يتصبب عرقًا، فزع ياسين فتحرك تجاهه يسأله بلهفة:

_عدي مالك؟!

كبت تأويهااته المؤلمة، فشك ياسين فيما يفعله، فحاول إبعاده عن الصخرة باستخدام يده المكبل بالكلبش ليعلم ماذا يفعل خلف ظهره، فتفاجئ به يمزق إبهامه بصورة جعلت جسد ياسين ينتفض وهو يصرخ به:

_انت بتأذي نفسك!

سحب إبهامه من الكلبش بسهولة، فتحرر يده، ضمها عدي إليه وهو يرسم بسمة خبيثة يتبعها قوله الماكر:

_كسر صابع أفضل من فصل رقبة يا باشا.

ومزق قميصه الأبيض ثم لفه على أصبعه وهو يخبره ببسمة صغيرة:

_غريب اني لسه فاكرك دروس مهنتي. !

ونهض من جواره يبحث عن شيءٍ حاد، فوجد قطعة من الحديد مطولة قد توفي بالغرض، فركها عدي بالصخور ليحصل على سن حاد، ثم دنى من ياسين يفك الأساور عنه بمهارة فائقة، فقال وهو يتطلع إليه:

_يمكن جيه الوقت الا تشوف بعينك تاريخ ابنك اللي عاشه في الشرطة مع المجرمين.

واندث بأحضانه ثم قبل يده وتطلع إليه وهو يخبره بصوته الباكي:

_أنا آسف اني كنت السبب في كل اللي عاشته.

ابتسم وهو يمرر يده على خصلات شعره:

_ولو لسه في عمري عمر هفيديك أنت وأخواتك لحد آخر نفس!

أزاح دموعه وهو يشير له:

_عارف وواثق من ده وآ...

بترت كلماته حينما تسلل اليه خطوات أحد يقترب منهما، فتسلل لخلف الصخرة وما أن ولج أحد الرجال حتى حاصره من الخلف، فكمم فمه وتحكم برقبتة بكلتا يده، وفي لحظة كسر رقبتة بين يده وألقاه أرضًا، ثم حمل السلاح عن يده، وأشار لوالده بتتبعه، اتبعه ياسين للخارج، فوجده يراقب الأماكن بعناية بالغة، وفجأة يختفي لتلك الصخور المرتفعة ببراهة، وفي لمح البصر كان ينجح بقتل فريسته، ويعود للآخرى من جديد، فاستخدم أحد الأسلحة القاتمة للصوت، وشق طريقه بالقضاء عليهم..

توقف العالم من حوله وأخذ يراقب كل ردة فعل يتخذها عدي، ربما شاء الله عز وجل أن يحدث كل ذلك حتى يرى بعينه ماذا يتمكن ابنه من فعله، هو ليس ظابطًا عاديًا مثلما أكد له اللواء واصدقائه، بل احترف مهنته وباتت بصميم قلبه، كان ياسين يخطو من خلفه ببطء، يشاهد ما تمكن من فعله، قلب زمام المعركة وهو بمفرده فماذا إن كان يقود فريقًا بأكمله..

نال احدهم الطلقة النارية وسقط عن الصخور للأسفل، فانتبه رجال مهاب لما يحدث بالطابق العلوي من الكهف، اتخذ الجميع مواقعهم، وشتان ما حدث حينما ولج من الخارج أحد الرجال، كان مصابًا بكتفه الأيمن يخبر رئيسه برعب:
_ في ناس هجمت علينا وموتوا كل الرجالة.

صعق مما استمع اليه، وتساءل:

_البوليس وصلنا ازاي؟

أكد له:

_لا مش بوليس..

تساءل بفضول:

_أمال مين؟

اتاه الرد قاتل، حينما ولج شباب الجارحي بأكملهم للداخل لتبدأ المعركة الآن، وكُل ينتقم لنفس الهدف، تشابك مازن بالاسلحة بمهارة، واختبأ أحمد ورائد خلف الصخور، تسللوا وهاجمهم من الظهر حتى يمنعوا هجوم مازن بالرصاص الحي، أما جاسم فجذب أحد أسياخ الحديد وهوى بها فوق الرؤوس، وتبادل معزز اللكمات مع من تتلقفه يده القوية، أما عمر فتركهم وصعد للاعلى يبحث عن عدي وأبيه بخوفٍ شديد، فعاد قلبه ينبض من جديد حينما وجد أبيه يتبع عدي للأسفل، ركض اليه فاحتضنه وهو يردد ببكاء:

_بابا.. الحمد لله انكم بخير.

اندهش عدي وياسين بوجوده، فاحتضن عمر عدي، فضمه وهو يشير له:

_مش وقته... هنموت كده.

تساءل ياسين بذهول:

_أنت وصلت هنا ازاي؟!

قال وهو يشير للأسفل:

_كلنا هنا.

اتبع اللواء اشارة جهاز رحيم المغارة بقواته الخاصة، بناء على مكالمة مراد الذي يتابع القبض على المافيا الدولية بأمريكا، وكان نصيب رحيم دبي لينهوا امبراطورية هذا الأرعن وأسياده، فوصل للمغارة ليضيف من قوتهم قوة، حاصروا المكان بأكمله وحينما ولجوا للداخل بدأت معركة أخرى يطوف بها الرصاص الحي من جميع الاتجاهات..
صعد حازم فوق ظهر فؤاد، وأخذ يكيل له الركلات قائلاً بسخط بعدما ترجاه الاخير:
_ما أنتي اللي مبتحرميش يا فوءة... قولتلك فكك من الراجل الشمال ده مصممة تشتغلي

معاها يبقى لازم تتربي!

وركله بقوة اطاحت به أرضًا أسفل قدم الشرطي الذي اعتقله على الفور، فقال بتحذير:

_الراجل ده لو خد براءة الشعب هيتدمر كله.. لأنه غبي وبينقل العداوة للكوكب.

واتجه لاحد الرجال فطرق يد بالاخري وهو يردد بهمة:

_استعنا على الشقا بالله.

ولكمه بقوة جعلت الاخير يرتد للخلف ثم القى ذاته من فوقه ليكيل له صفعات متتالية،

ومن ثم كبت منخاره بيده فاتجه اليه معتز وهو يشير له بصدمة:

_بتعمل أيه يا متخلف انت؟!

قال باستغراب من سؤاله:

_بعذبه!!

لطم جبهته بيده وهو يشير له بنفاذ صبر:

_كمل رحلة تعذيبك كمل.

تساءل بجدية:

_ايه رأيك أقضي عليه بحركة السلحفة؟

رفع احد حاجبيه باستغراب:

_حركة أيه؟

أشار له بالتمهل وكور يده ثم ردد وهو يحركها كالسلحفة:

_أووووع هووووه.

وهبط بها فوق رأسه ففقد الوعي على الفور.

لفت انتباه ياسين رؤيته نفس الشخص الذي رآه مسبقًا في تسجيلات الكاميرا، يعتدي على زوجته بالسلاح الذي أصاب رأسها، غلت الدماء بعروقه، فصعد الدرج الصخري حتى بات يقف قبالة عينيهِ، ألقي جسد الشرطي بعدما انتهى منه بإهمال، وتأهب لذلك الغريب الذي يطالبه بنزال اعتاد عليه، لم يكن هيئًا بالمرّة كان يمتلك جسدًا ممتليء

بالعضلات القاسية، فهولاء يتم اختيارهم بعناية للعمل مع الشياطين التي تلقهم بالمال، لذا قام مهاب بإرساله هو ليقوم بخطف عدي، فلم يختار الا أشرسهم قوة ووحشية، جذب السيف الحاد ثم هاجم ياسين، متعمدًا قطع قدميه، فقفز عاليًا متفاديًا السيف، ومن ثم انحنى، وقفز ليهوى بلكمة قوية على وجهه، جعلته يرتد للخلف وهو يتأمل به بقلق، خلع ياسين جاكيتته ثم تقدم منه ليناله عدد من الركلات واللكمات التي افتكت به، فرفع السيف ليغرسه ببطنه، فتفاده ياسين ولوى ذراعه ليضربه بكل ما أوتى من قوة، فسقط السيف على ذراعه الأيمن ليبتريه عن جسده، صرخ الرجل بألم وتلوى أرضًا، فجذبه ياسين اليه وهمس بفحيح مخيف:

_ كل ما تبص على ايدك افكر ان ده جزاء اللي يمس واحدة من حريم الجارحي، وبالأخص لو كانت مراتي.

وألقاه أرضًا ثم بصق بوجهه بنفور، وكاد بالمغادرة فتوقف حينما وجد حازم يسرع اليه، فحمل ذراعه المبتور وقدمه له وهو يردد بشفقة:

_ يا كبد أمك يا ابني.. خد يا حبيبي متعيطش

ونفض ليقف امام ياسين ثم صاح به:

_ في أيه يا ياسين احنا قتالين قتلة يا جدع.. مينفعش الوضع ده!

صاح به معتز:

_ سيبه يتربى ده رفع ايده على مليكة.

صعق حازم مما استمع اليه، فركض اليه وحمل ذراعه ثم القاه بعيدًا عنه وهو يشير له بغضب:

_ تستاهل بصراحه مش لقيالك مبرر!

تغلب أحمد على من يواجهه من هؤلاء العتاة، فكاد بالهبوط للأسفل، ولكنه توقف حينما شعر بسلاح يخترق فوهه رأسه، وصوت خشن يردد:

_ اثبت مكانك لاعلم عليك.

استدار ببطءٍ إليه، فلمح عمر يقترب من خلفه وهو يشير له بأن يقوم بإلهائه، فصفر له من الخلف فما أن استدار حتى قبالبته لكمته القوية فاسقطته أرضًا، فأشار لأحمد بغرور:

_ أي خدمة يا ابو حميد.

نجح عدي باسقاط عدد لا بأس به من أتباع مهاب، حتى هبط للأسفل، فتفاجئ باللواء يحاصر المغارة بقواتٍ من الشرطة، وابناء اعمامه يساعدونهم بصدر رحب، اجتمع الشباب حول مهاب أبو العزم بعدما تعرى بدون رجال لحمايته، فالتف الشباب من حوله، وسددوا إليه لكمات اطاحت به بينهم، فجذبه حازم من تلاباب قميصه وصاح به ساخراً:

_ بقى أنت بتخطف واحد من عيلة الجارحي يا بجاحتك يا أخي، ده أنت هيتعمل منك

صوابع زينبوا!
ولكمه بقوة أطاحت به لجاسم الذي نال به ركلة قوية وهو يشير ساخرًا:
_عامل فيها زعيم عصابة!
ردد معتز وهو يتلقفه:
_على نفسك يالا، ده أنت هتأكل بالشيب لتاني يوم الصبح عشان تحرم!
لكمه أحمد بقوة جعلت فمه ينسدل بالدماء وقال بشراسة:
_لما تحب تهاجم حد خرج الحريم بره الليلة، بس أنت متعرفش يعني أيه رجولة.
تلقفه رائد فانهال عليه بالركلات القوية التي مالت جسده لمازن فرفض تسليمه لاي
منهم، وخلص ما فعله بزوجته منه على أكمل وجه.
تابع اللواء ما يحدث بصدمة، فقال ليحيى الذي يقف لجواره:
_يا باشا مينفعش كده، احنا عايزنه حي من فضلك اتدخل.
راقب يحيى ما يحدث باستمتاع، ثم قال:
_سيب الاولاد يلعبوا يا سيادة اللوا..كملوا يا شباب..عايزينه يتربى.
واتجهت نظراته لياسين الذي يقترب ليقف جواره، فحاوطه بذراعيه وهو يعاتبه بشكل
مضحك:
_أنت مش مشترك في تربيته مع ولاد عمك ليه يا حبيبي.. عضلاتك نفخ ولا هبطت!
ضحك ياسين وهو يشير لعينييه:
_عيني.. هروقهولك.
صاح اللواء:
_يا يحيى باشا مينفعش كده.
تعالى ضحكات عدي وهو يتابع ما يفعله عمه للانتقام من مهاب، فترك جلستهم واتجه
لرفيقه، ضمه يحيى اليه وعاتبه بحزن:
_كده يا ياسين تمشي من غير ما تقولي، عمرك ما عملت حاجة من غيري تقوم تروح
للموت لوحدك.
ابتسم ياسين الجارحي، فقال وهو يربت على كتفه:
_وأنت عملت أيه جيت ورايا برجليك!
اشار بغرور:
_طول عمري وراك..
جحظت عين عدي بصدمة، فسحب سلاحه وركض تجاه الشباب فصرخ مرددًا:
_عم—ر!
انتبه الجميع اليه فصعقوا حينما رأوه يسلط سلاحه بوجه أخيه وجهًا لوجه، غامت عين
ياسين لذكريات حلم لا يتمنى رؤية تفسيره القريب منه، وأكثر ما يقلقه تحرر زناد سلاح
عدي!

الفصل السادس والعشرون

هزيمته اليوم لم تكن بالحسبان، كان يضع الإنتصار نصب عينيه، فكان مختالًا فخورًا بكل خطوةٍ يحتسبها، وآخر ما يطوف به خسارته، ظن بأن فرسه الأسود سيغلب بقاع الخير الأبيض، ويعلق رؤية الشر النابع من شيطانه المارد بكل فخر، فتعجزت حركاته تدريجيًا مع كل ضربةٍ سُددت إليه تباغًا من أعاون "عدي"، خاصة أبيه، هزمت أطرافه فبترت ذراعيه وقدميه حتى بات لا يمتلك شيئًا، جُن عقله بتلك اللحظة، فاجتاحته حُرقةٌ وغل جعل النيران تلتهم وجهه وصدره، وخاصة حينما انقلب السحر على الساحر وأصبحت الأساور (الكلبشات) هي من تقيد يديه، استشاط وهو يتابع الشباب يحتضنون عدي، ويحاطون به كالدرع المنيع الذي ينشأ حوله ألف حاجز يمنع عينيه من التقاط ظله، وحينما أراد المساس به وقفوا بوجهه كالعاصفة المدمرة التي اقتلعت جذور مملكته من أرضها، اتجهت نظراته لياسين الجارحي بكرهٍ شديد، فلو امتلكت النظرات صدى لكان الآن لحمه ينسل بين أسنان هذا البغيض، ارتسمت على شفثيه الغليظة بسمة مأكرة حينما لمح أحد أبنائه يقف بعيدًا عن محيط تجمعهم حول عدوه الأول، كان يود فعل فعلته به، ولكن فرصة وقته الضئيل جعلته يحاول استغلال ما يمكن فعله ليصيبهم بوجع قاتل، انحنى مهاب تجاه أحد العساكر الواقفين لجواره ينتظرون أوامر اللواء بجره لسيارة الشرطة، فجذب سلاحه عنه على حين غرة، واتجه لهدفه الواقف على بعدٍ قريبًا منه.. انتفض عدي بوقفته وهو يرى أخيه محاط لهدفٍ قاتل، فأبعد عنه الشباب وهرع بسلاحه وهو ينادي أخيه بهلع:

ـعمر!

رفع عينيه عن هاتفه بعدما كان يتفحص مكالمات ورسائل رحمة التي تفوق الثامنة عشر، تترجاه بأن يجيبها ويطمئننها على زوجها، هاتفه المغلق وتأخره بالعودة للمنزل كاد بإصابتها بالجنون فلجأت لعمر، اندهش حينما وجد أخيه يهرع إليه وما هز جسده تأثرًا حينما وجده يرفع سلاحه بوجهه، رمش بعينه بذهول وهو يردد بعدم تصديق:

ـعدي بتعمل أيه!

كانت لحظة فارقة يشهد عليها الجميع، وقلوبهم تهوى بين قدميه، البعض يصعب عليه

رؤية الصورة كاملة، والآخرين يتسنى لهم رؤية هذا الحقيير الذي يستهدف عمر، الخوف والترقب كان هو العامل المشترك بين الجميع، تحررت يد عدي على الزناد، فانطلقت رصاصة تغزو فوق رأس عمر، فاستطاع الشعور بها تمر من أعلى خصلات شعره، لتسحب سمعه من قوتها، وفجأة لم يستمع لشيء بعدها إلا لصوت اصطدامًا قوي، جهل بالتعارف على مصدره، كان يظن بأن الرصاص اخترقت رأسه، فترك الهاتف عن يده وتفحص جبهته جيدًا، وحينما لم يجد آثار الدماء، استدار لينضم للآخرين بالصدمة الجماعية. اخترقت رصاصة عدي جمجمة ذاك الخائن، فاحتلت منتصف حاجبيه بالتحديد، فسقط على أثرها صريعًا، انتقلت نظرات الجميع لعدي بإنبهار، كيف تمكن من تفادي أخيه المتقارب طوله لنفس طول مهاب، واحداث إصابة دقيقة كهذه برأسه! ابتسم اللواء بفخر، استدعاه وهو يتطلع لياسين، فقال بثقة: _مفيش مهمة دخلها عدي وخسرناها، ابنك يا باشا مش ظابط عادي، بتمنى تقدر ده وتسمحله يرجع يكون بينا من تاني.

وأشار للعساكر بحمل جثمانه، فحملوه للخارج ومازال عدي يراقبه بصمت، نال الجزء الذي يستحقه لأفعاله، ولآخر دقيقة لم يحاول اللجوء لربه، لم يحاول لمرة واحدة التقرب إليه وترك ذلك الطريق الملوث، كان يغير ديانتته بين الحين والآخر للحصول على دعم النشطاء، فتأتيه فترة يترك لحيته تنمو ويتبع جماعة تدفعه بأفكارها المسمومة للعبث بالدين الاسلامي العظيم، وتأتيه فترة يترك كل ذلك ويتجه لمن يكون داعم له ويقدم له ما شاء، حتى وصل به الأمر للإلحاد وأخبرهم اتباع سكرة عبدة الشياطين لأجل المال وسلطة رجال الأعمال المتخفين باستثماراتهم، يفعل أي شيء مقابل السلطة والمال حتى لاقى حتفه أخيرًا لينال جزائه المستحق بين يد الله عز وجل..

تجمدت أطرافه، فلم تنصاع لأوامره بالحركة، بقى محله ويده فقط تفرك فروة رأسه ريثما يجد أي جروح تؤكد شكوكه، دنا منه أحمد فربت على كتفيه بنظراتٍ مازالت تحمل الصدمة بين طياتها، بينما اقترب منه معتز فابتلع ريقه بصعوبة وهو يحاول أن يحرر صوته:

_أنت كويس؟

نفى ذلك صريحًا فأشار برأسه عدة مرات، حك جاسم أنفه وهو يراقب عدي وسلاحه الذي يحمله بيده بخوفٍ، فهمس لعمر قائلًا:

_أنت ونور كنتوا ناوين على الطفل التالت ولا أيه نظامكم؟

أجابه بأريحية:

_لا الحمد لله استكفينا بهذا القدر!

اقترب منه حازم، فأجبره على الانحناء، ليتفحص بنفسه رأسه، ثم جذبه ليعود بوقفته، وتركه وعاد ليقف محله مجددًا جوار يحيى وياسين، فقال وضحكته ممزوجة بالصدمة

حتى نبرته كانت شبه مسموعة:
_أنا بقول يا عمي بعد اللي شوفناه بنفسنا، إن حضرتك تعيد تفكير في الموضوع وترجع عدي شغله، ابنك ما شاء الله مش محتاج منك خوف هو يتخاف منه..
واسترسل وهو يشير على ما يحمله عدي بيده:
_وجوده بينا الخطر بحد ذاته أساسًا.. راجع نفسك وأنا مستعد أعذر للوا وأترجاه يرجعه الشغل بدل ما يطلع الكبت ده علينا.
نظراته الصارمة جعلته يبتلع كلماته، فأنحنى برعبي يجذب جاكيتته، ثم تسلل بخفة ليقف جوار الشباب في صمتٍ قاتل، كبت يحيى ضحكة كادت بالانفلات منه، فحاول تصنع الثبات حتى اتبع ياسين للخارج.

تجمعات سيارات الإسعاف بالمكان، لتتنقل المصابين والقتلى، فوُكل منها من قام بمعالجة كدمات الشباب واصابة ذراع عدي الذي إزداد سوءًا بكسر اصبعه، جلس عدي على طرف السيارة المفتوح بابها، وراقب عمر والممرضة تساعده في لف اصبعه بالجبيرة، حتى انتهى تمامًا، فرفع عينيه تجاهه ثم قال ببسمةٍ تحاول اخفاء حزنه الشديد:
_حمدلله على سلامتك يا وحش.
خلى وجهه من التعابير التي تستقبل ابتسامة أخيه الزائفة، فوضع يده اليمنى على ساقه ثم قال:
_عدت.. أنا بخير وقدامك أهو.
لف رأسه للناحية الأخرى، ثم أزاح تلك الدمعة الغريبة التي غيمت بعينيه، فالتقط نفسًا مطولًا قبل أن يردد بصوت مختنق بالعبارات:
_صدقني معنديش القدرة أتحمل كل ده.. أنا مصدقتش اني شوفتك حي وواقف على رجلك.

ابتسم وهو يشير له:
_هو مش سليم أوي.. بس الحمد لله.
واستكمل بمزح:
_وبعدين أنا شاكك إن اللي أنت فيه ده سببه غير كده يا دكتارة!
ضيق عينيه بصدمة:
_تقصد أيه؟
تعالى ضحكات الرجولية، ومن بينها قال:
_الطلقة!

شاركه عمر الضحك، وقال بصعوبة بالحديث:
_قولتلك ألف مرة أنا دكتور محترم ماليش في جو الاجرام ده.. تقوم تخضني برصاصة ملهاش طريق غير من فوق رأسي.

واسترسل بمزح:

_بس يلا راحت لحال سبيلها وإختارت ابن الحلال الملائم ليها.. والله ما خسارة فيه.
وأشار له بجدية جعلت الاخير ينفلت من الضحك:
_بالك الشيطان ده لو كان دخل الحبس كان خرج تاني وقرفنا معاه وأنا بصراحة معنديش
خلق للصراعات اللي هتدور بينك وبين ياسين الجارحي تاني.. استكفين!

بسيارة الإسعاف المجاورة لعدي، كانت الممرضة تقوم بمداوة جرح ياسين بكتفه الأيسر،
فما أن انتهت من وضع اللاصق الطبي حتى ارتدى قميصه المتسخ، وجلس على طرف
السيارة جوار رائد الشارد، فطرق بخفة على ساقه وهو يخبره ببسمة هادئة:
_عدت الحمد لله.

منحه ابتسامة صغيرة، انهاه حينما قال بصوته الرخيم:
_الحمد لله ان محدش اتصاب واننا كلنا بخير.
واستدار بجلسته ليكون بمواجهة ياسين، فمنحه نظرة مشككة، حملت ظنون جعلته يردد
بقلق:

_بتبصيلي كده ليه؟!
أشار له بدهشة وكأنه أفاق للتو:
_أنت قطعت دراع واحد منهم! أنت بقيت بلطجي درجة أولى يا ياسين!
لم يعبئ بحديثه، وانتصب بوقفته يرتدى جاكيتيه ويهندم ملابسه بأناقة حتى إن كانت تمتلأ
بالغبار، وقال وهو يهم بالتحرك للسيارة المجاورة إليه:
_وممكن أعمل أكثر من كده لو حد فكر يمس شعرة من مراتي!
غمز له بمكر وهو يخبره:
_الظاهر ان عدي لوحده اللي ميتخافش منه!

بالسيارة المجاورة لهم، قام الممرض بلف رأس مازن بشاش أبيض يحجب إصابة رأسه،
حينما سقط أحدهم على رأسه بعضا غليظة، فقام معتز بانقاذه حينها، فتمدد على السرير
المتحرك المتوسط للسيارة، ومن حوله كان يجلس جاسم ومعتز الذي تساءل بريية:
_طمني عليك يابو نسب أنت كويس؟!
كاد بأن يقتلع عنقه، فكبت نظرات غيظه تجاهه بصعوبة، فحاول جاسم استدراجه للحديث
حينما قال:

_معلش ده تأثير الخبطة في أول كام دقيقة، بس بعد كده هتفتكرنا واحدة واحدة.
صاح بعصبية جعلت السيارة تتحرك بهم بعنفٍ من فرط حركته العنيفة:
_مش عايز افكر حد، أنا من يوم ما شوفتكم ومشوفتش غير المصابيح، سبيوني في
حالي بقا.. أنا نازل أجازة أفك عن روعي ولا أوصلها الأخرة!

هرول جاسم ومعتز للخارج، وهو يتعمد استفزازه حينما قال:
_صلي على النبي يا ميزو وإعقل يا حبيبي..اللي بتعمله ده فال وحش ده احنا حتى اللي
كسبنا!

تابع جاسم بسخرية:
_شكلك كده عضمتك كبرت ومبقتش تشتاق لشغلك وللاكشن اللي فيه.. اتاريك خلعت
لدبي وخذتها بكرامتك!
كز على أسنانه بغيظ، فبحث حوله بالسيارة عما يمكن استخدامه لقتل هؤلاء المعاتيه،
فوجد غايته وقابلها ببسمة ترحاب، حمل مازن أنبوب الأكسجين الضخم، فحاول رفعه
للأعلى، وتوقف فور شعوره بالألم يحتاج رأسه، فقال معتز بصدمة:
_صلي على رسول الله.
واتجه برأسه لجاسم مشيرًا له:
_اجري يالا.

لم يستمع لباقي كلماته وهرع من أمام باب السيارة، فأغلقوا باب السيارة من الخارج
لضمان سلامتهم، بينما لم يفقد مازن عزمته وظل في محاولاته لحمل الأنبوب مجددًا،
فما أن رفعه حتى سقط به وبات أسيرًا من أسفله، يصرخ ألمًا، وهو يردد بصراخ:
_الحقووووني.

أشار معتز لجاسم ينيبه:
_أوعى تضعف وتفتحله.. ده مسلسل تركي باهت بحيث نفتحله يقوم يحدفنا بالاكسجين!
أشار له وهو يسد الباب الاخر للسيارة:
_على مين ولا هتأثر أنا قلبي مات مع ماجدة(أمجد السلاموني) اللي عاملة فيها ديناصور
القرن وفي الآخر طلعت انثى البجعة!
أشار له بلإيك محمس وسدوا بأجسادهما باب السيارة، والأخر مازال يستغيث بصوتٍ انتبه
له أحمد، فبعد عن محيط الشرطة التي مازالت تجتمع بالمغارة لنقل القتلى، اقترب منهما
ليسألهم باستغراب:

_أيه الصوت ده؟
تطلع كلا منهما للآخر، فتساءل معتز بمكر:
_فين ده.. انت سمعت حاجة يا جاسم؟

نفى بتشديد:
_لا مسمعتش.
ضاقت عين أحمد بشكٍ، خاصة أمام المشاغبان المختلان، فقال بصرامة:
_أبعدوا عن الباب.
رد عليه معتز بتحذير:
_ما بلاش.

تصلبت معالمه بحزيم جعل الاخير يبتعد عن محله وهو يردد بهمين:
_ انت طيب وأنا خايف عليك.. الاكسجين غلط علينا في الجو البيكربوني ده!
دفعهما أحمد بقوة، وحرر مقبض الباب فصعق مما رآه، وأشار لهما بغضب:
_ أيه اللي انتوا عاملينه ده!!
جحظت أعيناهما، وخاصة حينما اندفع أحمد للداخل، فأبعد الانبوب عنه، وعاوناه ليجلس
على السرير الصغير، فقال مازن بصعوبة بالحديث:
_ أبعدهم عني لحسن وقسمًا بالله أطلق عليهم طلقتين يرقدوهم بقبر واحد.
ربت على كتفيه وهو يشير له بتكفله للامر:
_ ارتاح أنت وأنا هتصرف معاهم.. بس بلاش عصبية أنت مش مستحمل!
صاح به بحزن مضحك:
_ هما اللي بيخرجوني عن طور هدوئي، فيبرحل الهدوء ويبقى الطور.. منهم لله الاشخاص
دي مينفعش يكون ليها صلة بالعيلة يا أحمد بالاخص أخوك الغبي مين يصدق انه أخوك
يا جدع!
انتفض بجلسته بفزع حينما ظهر حازم بالمقعد الامامي للسائق، يلتهم غلبة من
المعكرونة سريعة التحضير (الاندومي) وجدها بالجزء الخاص لسائق السيارة، فقال وهو
يرتشف المياه المتبقية بالطبق:
_ عيب يا ميزو ده أنا حتى لسه راميك بانبوبة الاكسجين عشان متدخلش معاهم الخناقة
ويروقوك وأنت بالحالة دي!
صدم مما استمع اليه، وقال بدهشة:
_ يعني أنت اللي حذفت عليا الانبوبة.
وضع الطبق عن يده، ثم استدار بجسده وانحنى ليصبح رأسه قريبًا اليه:
_ ما قولتك انا أنت مبتسمعش!
وتساءل بحيرة:
_ قولي أنت واكل الضربة فين بالضبط!
أشار مازن لاحمد وهو يشهده على ما يحدث له:
_ شوفت يا أحمد!
هز رأسه بإيجاب، ثم قال بضيق:
_ اخفى من وشي يا حازم أحسنك.
لوى فمه بضيق، فادخل رأسه ثم اعتدل بجلسته ليتمكن هبوط السيارة، فمر من أمام
الباب مرددًا بسخط:
_ اشتكيني لوزارة الدفاع أحسن!
عاد ليشير اليه:
_ سامع يا أحمد أخوك وولاد عمك كرهوني في اليوم اللي نزلت فيه مصر، أنا عايز أرجع

أكرملي.

مرر يده على جبينه بإرهاق، فصاح به:

_ ما خلاص يا مازن، أنت المفروض عاقل كفايا، راعي أصابتك ومتخلقش عداء مع حد

خصوصًا وانت بالحالة دي يا أخي!

هز رأسه بتأييدٍ، ثم قال بتريث:

_ طب خدني لعدي.

سانده حتى هبطوا معًا من السيارة، فمر حازم من جانبه وهو يهمس له بصوتٍ خافت:

_ ربنا يقومك بالسلامة يا شابة.

وزع نظراته الغاضبة بينه وبين أحمد الذي يكبت غضبه بصعوبة، فتابع المضي قدمًا

بصمت مزقه حينما تساءل بشكٍ:

_ أنت متأكد إن الواد ده يبقى أخوك يا أحمد.. صدقني ده تخبط جينات!!

بعيدًا عن تجمع الشباب، وبالأخص أمام سيارة اللواء، كان يقف ياسين ويحيى بصحبة

اللواء، يقدم امتنانه لمساعدة ياسين الذي كان له فضلًا كبيرًا في القضاء على عصابة

دولية خطيرة، فتبادلا السلام وهو يشير له بوقار:

_ شكرًا لمساعدتك لولاك مكناش قدرنا نقبض على باقي العصابة ولا كنا هنقدر نوصلهم.

منحه ياسين ابتسامة هادئة، فأشار اللواء للعساكر بالصعود للسيارات، وقبل أن يتجه

للمغادرة قال:

_ يتمنى اللي حصل النهاردة يخليك تعيد تفكيرك في اللي اتكلما فيه..

وودعه ثم غادر، فاستند ياسين على حافة سيارته وعينيه هائمة بعدي الذي يجلس جوار

عمر على بعدٍ منه.

بالقصر.

شق ضوء الشمس أعناق السماء، ليعلن عن صباح يومًا جديدٍ، وبداخل القصر نخر القلق

غمامتهم، فظلت الفتيات أكملهن بالأسفل، حاولن جميعًا الوصول لازواجهن، ولم

تستطيع أي منهن التحدث إليهم، حتى آية وملك فعلى المستحيل للوصول لياسين

ويحيى، فاجتمعوا بالصالون بالاسفل يترقبوا لحظة عودتهم، فقالت شروق بقلق:

_ مش معقول يا جماعة، بقينا وش الصبح ومحدث رجع!

ردت مروج قائلة:

_ أنا قلقانه بجد.. مازن لما معتز كلمه اتوتر ونزل فورًا.

اضافت داليا:

_ طب ما نحاول نكلم انكل رعد أو عز، هما في اسكندرية يمكن يكونوا سافروا ليهم.. أو

نشوف انكل ادهم وحمزة يمكن سافروا ليهم ايطاليا!

أجابتها نور بسخرية:
_يعني كلهم جالهم ظروف طارئة وطفشوا بره البلد!
زفرت رحمة بنفاذ صبر:
_يا نور بطلي هزار.. انا قلقانه بجد.
قالت آية بقلق:
_يا رب سلم يا رب.. اهدي يا حبيتي خير بإذن الله.
واستدارت تجاه آسيل فتساءلت بتوتر:
_مش معقول كل ده مليكة ورانيا قافلين موبيلاتهم، شوفيهم تاني يا بنتي.
حملت آسيل هاتفها ثم حاولت الاتصال بهم مجددًا فلم تتمكن من الوصول لأحد منهم

تفرق الشباب وكلاً منهم اتجه لسيارته، فهرع حازم لسيارته، ففتح أبوابها وهو يشير ليحيى
وياسين ببسمة عريضة:
_اتفضلوا يا باشوات.. متقلقوش عربيتي مريجة وآخر موديل.
منحه ياسين نظرة جانبية قبل أن يصعد بالمقعد الخلفي، فأغلق حازم بابها، بينما يركض
تجاه يحيى ليفتح الباب الآخر، جذبه يحيى من تلباب قميصه وهو يسأله بشك:
_ناوي على أيه يا حازم؟
استدار تجاه النافذة يراقب ملاحظة عمه لما يحدث هنا، ثم عاد ليتطلع اليه مرددًا بهمس:
_كل خير يا عمي.. هحاول أصحي ضمير ياسين الجارحي تجاه ابنه يمكن يحن عليه
ويتنشله من الضياع يا عمي.
تماسك وببسمة مصطنعة قال:
_ده لا مكانه ولا وقته يا حازم، ابعد عن عمك دلوقتي بدل ما يقلب العربية بيك!
قال ببسمة واسعة:
_العمر واحد والرب واحد.. اركب اركب يابو ياسين يا غالي.
وصعد لمقعد القيادة، ليردد بحماس:
_والله العربية نورت النهاردة.. العربية لسه شاريها جديد وياسين الجارحي بنفسه جواها
بنت محظوظة بصحيح!
راقب يحيى انفعالات ياسين بخوف، لا يعلم ماذا حدث لحازم منذ الصباح، وكأنه ابتلع
حبوب جراءة ليتحدث بتلك الاريحية أمامه، مرور يده على وجهه بصدمة حينما رآه يخرج من
تبلو السيارة، منشقة صغيرة وأعواد من البخور، فقام بتنظيف الجزء الأمامي، تاركًا مقود
السيارة مما جعل يحيى يصيح به:
_ده وقته يا حازم.. الطريق يا حبيبي!
أجابه وهو يعيد ادوات تنظيفه:
_معلش يا عمي لزوم الأبهة قدام ياسين باشا الجارحي.

ومن ثم مال بجسده للأسفل تاركًا المقود مرة أخرى فصرخ به يحيى بانفعال:
_ ما تنزل بينا من فوق الجبل وتريحنا يا حازم!
صعد للأعلى حاملاً مجموعة من المشروبات ليقدم اليه قائلاً ببسمة واسعة:
_ ودي تيجي لازم أعزم عليكم بحاجة.
وانحنى تجاه الراديو الصغير وهو يتساءل:
_ ولا أشغلکم ام کلثوم تنعنش الاجواء كده.
رد عليه بسخرية:
_ أنت ليه محسسنی اننا راجعين من فرح ابن خالتک!
واستدار تجاه ياسين فصاح به:
_ ياسين اتصرف مع الولد ده أنا فرهدت معاه.. وصدقني مش هنختلف في اللي عايز
تعمله معاه!
ارتعب حازم من سماع كلماته فقال بدهشة:
_ الله الله بقى كده يا عمي بتبلغ عني، دلوقتي مش عاجبك سوقتي لولايَا مكنتش
عرفتوا توصلوا لمكان عدي.. ده انا حريف سواقة.
_ حازم.
جحظت عينيه صدمة وهو يستمع لصوته الحازم، وخاصة حينما استرسل بصرامة:
_ سوق وأنت ساكت.. وأي حوار حابب تتكلم فيه مش وقته أظن فهمتني!
صمت أحاط به وكأنه ابتلع لسانه للتو، فجلس يحيى براحةٍ شعر بها، وأخذ يراقبه بين
الحين والآخر بنظرة تحمل الانتصار والشفقة بأن واحد.

كان الاتفاق مسبقًا بالتوجه للمقر، ليقوم الجميع بتبديل ملابسهم قبل العودة للقصر،
حتى لا يعلم أحد من النساء بمعرفة ما خاضته العائلة، فتجمهرت صفوف السيارات خلف
المقر، وتوافد الشباب للأعلى، بينما بقى عدي بانتظار أبيه، فما أن خرج من سيارة حازم
حتى أسرع إليه عدي، قابله ياسين ببسمةٍ هادئة وأشار له بتتبعه، فصعدوا معًا بمصعد
واحد، بعيدًا عن المصاعد الأخرى، فما أن انغلق بابُه حتى قال ياسين الجارحي بثبات:
_ كنت هناديك بنفسی عشان حابب أوريك حاجة.

ضيق عينيه بذهول وتساءل بمكر:

_ لسه في مفاجآت تانية؟

منحه نظرة غامضة، جعلت الأخير يعتصر رأسه ليتوقع ما الذي يخطط له أبيه تلك المرة،
خرج ياسين من مصعده ثم انعطف عن طريق مكتبه، فاتبعه عدي باستغرابٍ، الى أن
توقف بغرفة منعزلة تجاوز مكتب ياسين الجديد، فدفث مفاتحه الخاص ببابها وفتحها، فولج
عدي للداخل وحاول رؤية أي شيء الا أن ظلام الغرفة جعلها معتمة للغاية، أضاء ياسين
الاضواء، فتفاجئ عدي بالغرفة فارغة كليًا من أمامه، فاستدار بجسده يتأملها بدهشة،

حتى توقف بقامته عن الطواف، وعينيه تبرقان في ذهو، حينما وجد تمثال من الملكان
المعتم موضوع بمنتصف الغرفة يحمل زيه الخاص بالشرطة، وعلى أكتافه الميداليات
التي حصدها طوال عمله، تلقائيًا استدار تجاه أبيه وهو يتساءل بصدمة:
_ده أيه؟

ابتسامة خبيثة تشكلت على شفتيه، ختمت بقوله:
_طلب رسمي من ياسين الجارحي بنفسه بيطالبك بالرجوع لشغلك.
شعر وكأن ما يحدث أمامه يفوق قدرته بالاستيعاب، فحاول أن يجبر لسانه بالحديث،
فبترت كلماته حينما وجد أعوانه الأقرب اليه يدلفون للغرفة، ليقف كلاهما خلف ياسين
المتيقن بوجودهما قبل ان يرى أحدهما، فقال الجوكر بمكر:
_اللعب كده هيبقى على تقيل.. والعودة للوحش هتزيد خطورة الجولة!
منحه رحيم بسمه ثابتة ختمها بغمزته المشاكسة:
_مكانك في الملعب لسه موجود.. جاهز؟

تنقلت نظراته الحائرة بينهما، ثم عادت لتستقر على أبيه بتعجبٍ، محاولة جديدة يخوضها الآن، يحاول بها استكشاف ما يود فعله تلك المرة، ما يراه منه نقيض ما فعله طوال الفترة الماضية، بعدما بذل مجهودًا كبيرًا لحمايته، والآن يخالف ما يفعل ويسمح له بالعودة بمنتهى البساطة، وجود التمثال الغريب الذي لا يحتوي على رأس وملامح ويحمل ثيابه الخاصة، وكل ميدالية حصل عليها من حملة، جمعها على صدره كوسام شرف، تكريمًا لما بذله من مجهودٍ طوال تلك المدة، وعلى ما بدى إليه اتخاذ أبيه لهذا القرار مسبقًا، جاهد عدي للخروج عن بؤرة صمته وذهوله، فأجبر لسانه الثقيل على تردد:

ـ يعني أيه؟

أحاطته نظرات ياسين الدافئة، وهو يسبر أغوار أسئلته التي تحاصره بتلك اللحظة، فحاول أن يميل حواراه للبساطة دون التخفي لمكره وثباته الخبيث:

ـ يعني خلاص يا عدي، اللي أنا كنت عايز أغيره فيك حصل، وبقيت الشخص اللي أقدر أمن إنه يكون سند للاحفاد من بعدي.

ثم وضع يده على كتفه وهو يسترسل ببسمةٍ هادئة:

ـ كل ابن من أولادي عنده شخصيته المختلفة اللي بتميزه، بداية من عمر وياسين وأحمد لحد حازم، كلهم بالنسبالي ميتخافش منهم الا أنت، كان جوايا احساس مخليني مرتبك طول الوقت، محدش جواه العند والغرور اللي عندك، لذا أنا قررت أخوض الحرب دي ضدك ومعاك في نفس الوقت، عشان تبقى الشخص اللي واقف قدامي دلوقتي.. شخص رزين قادر يلبي احتياجات عيلته وفي نفس الوقت مبيقصرش في شغله وقادر كمان يفصل بين الاثنين..

وقربه اليه وهو يخبره بحبٍ لم يبذل مجهود ليجعل ابنه الحبيب يشعر به:

ـ الفترة اللي قضتها مع ولاد عمك هنا في المقر قربتك من كل واحد فيهم، شافوا اللي

كنت بتحاول تخبيه عنهم، وقفت جنبهم وضحت بحياتك عشان واحد منهم (رائد) ،

وساعدت اللي محتاجالك ولما جيه الدور عليك ووقعت في اللي، كنت فيه كانوا هما أول ناس تمدلك ايدهم بالمساعدة.

وأشار بيده وهو يستطرد:

ـ كانوا في ضهرك عن قناعة، بدون ما حد ينفذ وصية أخدها على لسان تربيته، مش فرض انهم يساعدوك لمجرد اننا ربيناهم انكم سند لبعض!

واتجهت نظراته للزي العسكري، فطال به تأمله ليكسر حاجز صمته بنبرته الغامضة:

ـ دلوقتي أقدر أسمحك ترجع لكيانك وأنا مطمئن انك هتلبس بدلتك بس وأنت شخص مختلف.

وربت على يده وهو يحته قائلًا:

ـ ولازم تعرف اني مش حابب أي حد يدرب حفيدي.. أنا عايزك بنفسك اللي تبقى معاه

خطوة بخطوة لحد ما يحقق حلمه.
واستدار ليتجه للمغادرة قائلاً:
_خليك مع اصدقائك.. هنكمل كلامنا بعدين.
وتركه واتجه للخروج، وقبل مغادرته تبادل الصفح المرحب بالجوكر والاسطورة، فوجه
شكره الخاص إليهما بكلماته الممتنة:
_مساعدتكم فرقت معايا جدًا، فحقيقي أنا عاجز عن شكركم.
قابله رحيم ببسمة هادئة، اتبعت صوته الثابت:
_بالعكس احنا اللي واجب علينا نشكر حضرتك بعد ما ساهمت بالكشف عن الشبكة
الدولية اللي كان بيديرها ال** ده، وبالرغم من إن حياة عدي كانت في خطر الا إن حضرتك
صممت وأصرت اننا نكمل الطريق اللي بدأناه ووجهت مصيرك معاه.
وتابع مراد قائلاً:
_أنا لو مكنتش سافرت أمريكا وروحت المستشفى اللي حضرتك بلغتني عنها مكناش
قدرنا نكشفه ولا نوصل للي وراه، فالفضل يرجع لحضرتك بعد ربنا سبحانه وتعالى،
ويمكن أكون زعلان من اللي حصل لعدي بس سعيد في نفس الوقت إنها كانت فرصة
إني أتعرف على شخص عظيم زيك.
منحهما ابتسامة راقية، وانحناء رأس تقابل اطرائهم بكل تواضع، ثم همس إليهما قبل
توجهه للخروج:
_لسه وراكم مهمة أكبر.
وأشار بعينه لمن يراقبهم بفضول لسماع ما يحدث بينهم، غادر ياسين الجارحي وتركهم
بمفردهم، فاقترب منهما عدي بنظرات واجمة، كبت رحيم ضحكاته، وبدى صلبًا لا يهزه
القلق مما سيحدث هنا، بينما عبث الجوكر بهاتفه، وأشار لرحيم مداعيًا صدمته:
_يا خبر 33 مكالمة من حنين أنا قلققت على البنات، هسبق أنا وأنت حصلني يا رحيم.
وكاد بالخروج خلف ياسين، فأوقفه عدي حينما جذبه بقوة جعلت الاخير يراقب ذراعه
المصاب، فتساءل باستغراب:
_متأكد ان صابعك مكسور!
منحه عدي ابتسامة ماكرة، اتبعت سؤاله الخبيث:
_أنا كويس متقلقش عليا.. القلق المفروض يكون من نصيبك.
منحه بسمة ساخرة، وهو يهمس بتأكيد:
_في دي عندك حق.. انجز ولخص في الليلة اللي كلها مشقة دي!
اتاه ملبئًا لدعواته بالفصح عما بجوفه، فقال بغضب:
_أنت كنت بتمثل عليا وواقف في صف ياسين الجارحي؟
أشار له باعتراض صريح:
_لا عندك.. أحنا كلنا كنا في ظهر ياسين الجارحي.. اسألني ليه؟

حك جبهته بغيظ:

_ليه؟

أجابه ببسمة واسعة تشق طريقها على وجهه:

_لانه شخص ذكي، بالك لو اتعين مكان اللواء كان زمانه مقشط البلد من البلطجة والنصب أول بأول.. نفسي تتعلم منه التوازن والثبات، يا أخي عنده طالة وبعد نظر وآ... بتر كلماته وهو يرى نظرة غريبة تفترس ملامح عدي الذي بات على وشك أن ينقض عليه الآن، فقال بنفاذ صبر:

_عايز أيه من الآخر يا عدي، مش قضينا عليهم ورجعت بخير وفوق كل ده والدك سمحك ترجع شغلك في أحسن من كده كلام؟

أجابه باستنكار لتهربه مما فعل:

_في الأبشع.. انك سبتني متغفل ومحاولتش توضحلي اللي حصل، على الأقل رحيم لمحلي وبفضله مكنتش وصلت لحقيقة ال** ده!

ابتسم رحيم وهو يجيبه بعنجهية:

_تسلم يا وحش.

وتابع ببسمة خبيثة وهو يرفع يده على كتفه:

_أنا بس عايزك تعرف اني ظهوري ليك مكنش بهدف التلميح.. عشان تكون في الصورة اللي מבحبش أهرب منها.

رمش بأهدابه بعدم فهم، ف جذب رحيم خنجره الصغير، ثم نزع عن عدي قميصه، فاضلمت عينيه بغضب تام وهو يكتشف الآن ماذا فعل بالتحديد قبل أن يمسه مشرطه، نزع عنه رحيم جهاز التتبع وهو يخبره بمكر:

_كان لازم أمنك كويس، صحيح القوات خدت وقتها لما وصلتك بس الحمد لله ولاد عمك عملوا الواجب وبالأخص ابن عمك الصغير، أنا لحد الآن مش مستوعب انه قدر يمشي وراهم من غير ما حد يحس بيه، حقيقي الشخص ده ذكي جدًا.

كبت عدي ابتسامة كادت بالانقلات منه في وقتٍ ليس بالمناسب بالمرّة، وقال بحدة لجئ اليها ليسترد حقه:

_بجد اللي عملتوه معايا زعلني جدًا، بابا طول عمره مش مفهوم ليا، لذا أنا مستغربتوش لكن انتوا سبتوني على عمايا ومحدث فكر يرسيني على الحوار.

وتركهما واتجه للاركة القريبة من النافذة، فجلس عليها بإهمال وحزن ارتسم على معالمه، تبادلوا الجوكر والاسطورة النظرات الحائرة، وحسموا الأمر بنظرة مفهومه بين الأخ وأخيه، فاتبعوا خطاه، ليجلس كلاهما جواره، فقال مراد ببسمة هادئة:

_عدي أنت عارف إننا على طول في ضهرك، اللي عملناه كان لحمايتك.. صدقني

الموضوع مكنش سهل وتفكير والدك كان في محله.

تابع رحيم بهدوءٍ لا يتعاهد مع شخصه المهيّب:

_مهـاب كان راسمها صح بـداية لظهوره في العرض والصفقة اللي أخذها بالبداية لحد ما وصل هنا، كان باين انه دارس عنك كل شيء وبديهي عارف كل تحركاتك واللي تقدر تعمله، لذا كان لازم تفضل زي ما أنت واحنا اللي نلاعبه.
واستطرد قائلاً:

_الموضوع مكنش سهل، ركز وبص كويس، مهـاب أبو العزم واللي وراه منتهتش امبراطوريته بالساهل، شوف كام قوة هاجمته عشان تهد اللي بناه طول السنين دي، أنت لوحدك مكنتش هتقدر تعمل كل ده، كنت هتدمر نفسك وعيلتك بايدك لان الموضوع مكنش هينتهي بموته، لان وراه ناس ساندينه بره مصر، فهرجع واقولك تاني تفكير ياسين الجارحي كان صح.

وأضاف مراد:

_عايز تقطع الشجرة متسبش أساسها وتقطع الأغصان، لازم تشيلها من الجذوع وده اللي حصل، اتحدانا وهاجمنا كلنا في وقت واحد وانتصرنا بفضل الله، ودلوقتي مستانينك ترجع بينا من تاني.

ضحك رحيم وهو يشير لكتفه الغائر بالدماء:

_بس تتعالج الأول.

قال مراد بمرح وهو يتابع اصابته:

_وكانك الشر اتجمع كله في كتفك الشمال يا عدي.. هو بينه وبينك تارا!

ارتخت معالمه المشدودة، فرسم بسمـة فاترة وهو يجيبه:

_لا وأنت الصادق أخوك مختار الموقع الصح لاجهزته اللي ماشي يزرعها بين خلق الله.

ضحك رحيم بصوته الرجولي، وقال بسخط:

_مبيقاش قلبك اسود يا صاح!

ثم نهض عن الأريكة ليشير لآخيه قائلاً:

_أنا بقول كفايا عليك كده النهاردة، ارجع البيت وريح واسبوعين تلاته القيك بتكلمني

عشان ترجع لمكتبك.

استقام بوقفته قبالتهما، فوداعهما ببسمـةٍ تحمل شكر وامتنان اتبع نبرته المحبة:

_أنا بشكركم على كل اللي عملتوه عشاني.

رد عليه مراد وهو يعانقه:

_متقولش كده يا عدي.. سبق وانقذت حياتي من الموت وقدمتلي أكثر من معروف بدون مقابل.

ابتسم عدي وهو يغمز له:

_الصداقة مفهاش ديوان ولا أيه؟

طرق يده بيده وهو يشير له:

_مفهاش غير المحبة والتضحية بالدم.

راقبهما رحيم بضجر:
_سيادة الجوكر المزعوم لو خلصت فقرة صداقتكم المملة نقدر نرجع القصر، أنا محتاج
للراحة ده لو مش هزعج جنابك!
ضاقت زورقة عينيه بخبث:
_يتأمر ولا بتبلغني؟
وضع يديه بجيوب جاكيتة الأسود وهو يجيبه بتسليط:
_اللاتنين!
أشار الجوكر لعدي الذي يكبت ضحكاته بصعوبة:
_شايف طريقته يا عدي! ده متهزش اننا بقينا كل واحد بيشتغل لوحده، أنا بفتقده وأنا
بتأوي جثث المجرمين!
ضمه رحيم اليه وهو يهمس له بنفور:
_هو أنت ليه بتشتاق ليا وقت الدم والقتل، بمعنى أوضح ليه رابط حبك ليا كأخ بالجثث أنا
توبت من زمان عن حمايت التواييت وتفكيك الاسلحة، أنا حاليًا فاتح صفحة بيضة مع
شجن وبحاول أحافظ عليها عشان تفضل بيضة من فضلك متحاولش تلوثها.
أجابه بنفس هدوء نبرته وبمكر يفوقه:
_عشان كده بطلت تطلع معايا وطلبت من اللوا يفصلنا عن بعض، عشان خايف أوصل
اجرامك لاشجان.
برق بزيتونية عينيه بذهول:
_أنا ظابط شرطة مش قتال قتلة!
ضحك بسخرية:
_اثبتلها ده بتثبتلي أنا!
فصل بينهما عدي بضحكاته المرحية:
_انتوا جاين تحلوا مشكلتي ولا مشاكلكم!
ابتعد عنه رحيم وهو يشير برزانة زائفة:
_لا مش بنتخانق ده مهما كان اخويا للأسف، بيجمعنا بيت وسقف واحد، المهم أنت اهدى
كده وكلمنا أول ما تحس انك جاهز.
أوما برأسه ببسمة صغيرة، فودعه مراد قائلاً:
_هبقى أكلمك اطمئن عليك.
وغادروا معًا، تاركين من خلفهما الوحش يحاول حسم أمره حول العودة أم البقاء، فتعلقت
عينيه بوسام شجاعته على مر السنوات وسؤاله مازال يلح عليه وينتظر جوابًا صريح منه!

اجتمع الشباب بغرفة المكتب الخاص بهم، الا ياسين ورائد، اتجهوا للغرفة السرية ليطمئن
كلًا منهما على زوجته، ما أنا وجدت رانيا زوجها قبالتها حتى أسرع تجاهه بأسئلتها

المغتظة:

_ممكن تفهمني في أيه، مليكة مالها؟ وليه طلبت مني معرفش حد!
أجابها ياسين وهو يهم للفراش بلهفة ليطمئن على ملاكه:
_أنا اللي شددت عليه يقولك متعرفيش حد يا رانيا... طمنيني هي عاملة أيه؟
استدارت تجاهه، ثم قالت:
_بتفوق وبتنام تاني ومفيش على لسانها غير عدي!
والتفتت لزوجها مجددًا ثم تساءلت:
_قولولي في أيه؟!
طوفها بذراعه، وحثها على تتبعه:
_تعالى هحكىلك كل حاجة.
وخرج بصحبته للخارج، بينما اقترب ياسين ليجلس جوارها، ضم يدها إليه وهمس لها بحب:
_أخذت حقك يا حبيبتي، اللي كسرلك رقبتك قطعته أيده ولو كان بإيدي اقطعله رقبتة
مكنتش هتردد!
_أنت ازاي تخبي عني اللي حصل لبنتي!
كلمات صارمة نطق بها من يقف خلفه متلهفًا، مفزوعًا، لما علم به الآن، نهض ياسين عن المقعد، واراد للخلف وهو يجيبه بارتباك:
_حضرتك مكنتش بحالة تسمح اني احكىلك عن حاجة يا عمي، وبعدين الحمد لله مليكة
كويسة وبخير.
تجاهل كلماته وهرع اليها، ف جذب مقعده ليعتليه وهو يفتش بها بهلع، فلم يجد سوى
اصابة رقبتها، ضم خديها المتورد بيده وهو يناديها بقلق:
_مليكة؟
رمشت بعينيها بانزعاج، ففتحتهما على مهل، وما أن وجدته قبالتها حتى انسدت دمعاتها
وردت بكاء:
_بابا... عدي أخدوه!
ترك المقعد وجلس جوارها على الفراش، ثم حملها ل صدره بحرص، وهو يهددها بين
ذراعيه كالطفلة الصغيرة:
_عدي بخير يا حبيبتي، المهم انتي!
وابعدا عنه ليسألها بخوف:
_قوليلي حاسة بأيه؟
والتفت تجاه ياسين يأمره بغضب:
_جهز عربيتك هننقلها للمستشفى حالا.
أوقفته حينما قالت:

_أنا كويسة يا بابا.. الدكتور لسه ماشي من شوية.
ثم تساءلت بلهفة:
_عايزة أشوف عدي.
لبيت رغبتها بسرعة البرق، حينما على طرق باب الغرفة، فولج عدي للداخل، أشرق وجهها
ببسمة واسعة، ودموع سعادة تلمع بحدقتيها، فرددت بفرحة:
_الحمد لله انك بخير.
جلس عدي جوار أبيه على الطرف الآخر من الفراش، ثم أمسك معصمها وهو يخبرها
بحب:

_أنا كويس المهم انتي يا حبيبتتي.
وزعت نظراتها بين أبيها واخيها ثم قالت:
_بقيت كويسة لما شوفتكم قدامي بخير..
وتساءلت بقلق:
_فين عمر؟
أجابها زوجها:
_عمر في سابع نومة، تقريبًا كده بيقول الليل داخل.
سأله ياسين باهتمام:
_فين؟
أجابه على الفور:
_بمكتب أحمد.
نهض ياسين وهو يربت على يد مليكة المتعلقة به، واتجه لمكتب أحمد على الفور.

بمكتب أحمد.
كان يحاول تهدئة آسبل بكافة السبل، فخشى أن يزعج عمر بصوته، لذا تسلل للشفرة بخفة،
ثم أغلق بابها من خلفه ليقود معركة عتيقة مع زوجته، في ذاك الحين ولج ياسين للداخل،
باحثًا بعينه عنه، فوجده يستكين بالأريكة المتحركة لفراش، ابتسم وهو يتطلع اليه مطولًا،
فدنا منه بخطواتٍ متهدجة، لا يعلم لما رآه في تلك اللحظة طفلًا صغيرًا لا يتعدى عمره
الحادية عشر، جلس جواره ثم انحنى بجسده فمرر يده بين خصلات شعره الأسود، وطبع
قبلة عميقة على جبينه، فتح عمر عينيه فاعتدل بجلسته سريعًا وهو يردد بنوم:
_بابا! أنا أسف محستش بيك.

لم تختلف نظراته تجاهه، تعمقها به جعل الأخير يندهش ويتابع ما سيقول بأهتمام،
وخاصة حينما قال:

_أنت عارف أنا بحب والدتك ليه؟
سؤاله كان غريبًا للغاية، ومع ذلك ابتسم وهو يجيبه:

_القلب لما يحب بيعشق كل تفاصيل حتى لو كانت عيوب.
هز رأسه بثباتٍ، وتابع بنفس اتزان ملامحه:
_مش صحيح، أنا حبيت فيها قلبها الصافي الأبيض، نظرتها في الناس اللي حوالها حتى
لو مكنتش مخونة للشر، حبيت فيها قربها من ربنا وابتسامتها اللي عمرها ما فارقتش
وشها، حبي ليها اتحول لجنون، ويمكن هي السبب اللي غيرتني كده.
تابعه عمر ببسمة هادئة، فاستطرد ياسين:
_لما عرفت انها حامل اتمنيت من قلبي اللي في بطنها يطلع في نقاء قلبها، وربنا سبحانه
وتعالى استجاب لدعواتي، بس مش ليكم انتوا الاثنين.
ضيق عينيه بعدم فهم، فتابع قائلاً:
_عدي طالعلي وأنت طلعت لآية بطيبتها وقلبها وكل الحلو اللي فيها.
ورفع يده ليحيط به وجهه وهو يتابع بنبرة ساكنة ببسمته:
_كل ما ببصلك مش بشوف فيك غير الطيب والخير اللي عملته آية في دنيتها، وبحمد
ربنا انك طلعتها، يمكن يحيى أقرب حد ليا ويعرف عني كل حاجه بس أنت كمان صديقي
اللي مبقدرش أخبي عنه شيء، وأنا واثق انه هيفهمني وهيقدر اللي بعمله بدون ما حتى
ما أشرحه أنا عملت كده ليه؟
وابتسم وهو يتابع بسخرية:
_أوقات بحس انك بعقلك ده أكبر من أخوك بسنين مش هو الأكبر منك بدقايق لا تحسب.
وتابع بحنان:
_مش عايزك تخسر طبيبتك دي مهما شوفت يا عمر ولا تخسر حنيتك على الناس وعقلك،
عشان كده أنا عايزك ترجع تتابع شغلك يا دكتور.. عايز أرجع أفخر بيبك وأنت بتداري الخير
اللي بتعمله عني ومتعرفش اني شريك معاك النص بالنص، لحد ما تتعود ولما أموت
تشارك بينا الأجر ومتنساش تكونلي الأبن الصالح!
لمعت عينيه بالدمع، فقبل يد ياسين وهو يردد:
_الف بعد الشر على حضرتك، ربنا يديك طولة العمر ويباركلكنا في صحتك.
ثم قال بصوت شبه باكي:
_أنا مش عايز ارجع.. عايز أكون هنا جنب حضرتك.
ضمه ياسين اليه بقوةٍ، وهو يهمس له براحة:
_خلاص يا عمر النهاردة حاسس بالراحة ولأول مرة، لاني وأخيرًا قدرت أكسر عناد أخوك.
ابتعد عنه وهو يتطلع له بشكٍ:
_الوحش مش بيتراوض يا ياسين باشا.. صدقني.
ضحك بصوت مسموع وهو يغمز له:
_اعتبرني رواضته.
وتابع وهو يتعمق بالتطلع إليه:

_أنا خايف أكون ظلمتك لما أجبرتك تكون هنا وعدي هو اللي كان هدفي.
اعترض على حديثه حينما قال:

_لو أنا اللي كنت مكان عدي وهو اللي كان مكاني مكنش هيتردد يعمل نفس الشيء، أنا مبفكرش غير باللي عدناه يا بابا، الحمد لله عدي بخير وحضرتك كمان بخير ده بالنسبالي كافي.

طبع قبلة على جبينه وهو يخبره:
_وانت كمان خرجت منها بخير أنت وأختك.. ربنا النهاردة كان بيختبرني أصعب اختبار عدي عليا، اختبار فيكم انتوا الثلاثة، والحمد لله انه فداكم وقادر أشوفكم قدامي بخير.
استقام ياسين بوقفته عن الفراش، وتنحنح وهو يستعيد ثباته مشيرًا له:
_يلا نادي لاحمد وانزل عشان هنرجع القصر.

بمكتب معتز.
مازالت محاولاتهم لن تجدي بالنفع، فبالرغم من أن المبرد يحتاج درجاته إلا أن مازن مازال يصرخ بهما:

_حران يا بشر حران أنتوا أيه مش بتحسوا!
تطلع جاسم لمعتز بتفكير، ثم التقط الملفات المبعثرة على مكتبه وأشار له بالاقتراب مرددًا:

_مروحة صناعية قد توفي بالغرض، لو مبقاش كويس بعدها طفي التكييف وسيبه يتكل على الله العملية مش ناقصة فرهدة!
التقط منه معتز الملف، ثم أخذ يحركه تجاهه ليحصل على الهواء، فأغلق مازن عينيه ثم حاول فتحهما، وكل مرة كان يحاول بها فتحهما كانت تزداد دهشته ليختمها بقوله:
_أنتوا كام!!

استدار معتز لجاسم ثم صاح بغضب وهو يلقي الملف:
_يا عم ده بيودع مفيش منه أمل.
جذبه ليقف جواره ويستكمل ما يفعله محذرًا:
_نحاول عشان أحمد على آخره مننا.. صدقني ده في مصلحتنا!
جذب الملف بسخط وهوى بغيظ فوق وجهه، فاحتك الملف باصابة رأسه، فصرخ بوجع قابض، أتى حازم من الخارج مسرعًا على أثره، ليتساءل باستغراب:
_مات؟!

جذب مازن المصباح الكهربائي المنبعث من الأباجورة، ثم ألقاها تجاهه وهو يصرخ بعنفوان:

_الملافظ سعد يا فقري!
تفادى حازم الضربة ثم قال بسخرية:

_بتتشطر عليا يا اخي كنت اتشطر على اللي نزل عليك بالشومة لحد ما علم عليك،
والمصيبة انك كنت ظابط بوليس، يعني لو مكنتش عملت فيها صاحب صاحبك وفضلت
بالشرطة ومسبتهاش وفاءا لعدي كان زمانك مكسر مغارة الاشباح دي فوق دماغهم بس
تقول أيه غبي ومعندكش عقل تفكر فيه!
احتقن تنفسه، وشعر بقبضة قوية تزيد من خنق رقبته، فحاول الاستدارة للخلف، ليتفاجئ
بعدي من أمامه، فقال ببسمة مغتظة:
_أنت مش ناوي تجبها لبر يا حازم!
هز رأسه وهو يشير له:
_هجبها للشط مش للبر.
أبعد يده عنه ثم قال:
_روح جهز العربية عشان هنمشي.. بدل ما أنت واقف تشد في خناق البشر كده!
أشار بأصبعه على عينيه:
_بس كده عيوني.. أنت تؤمر يا وحش.
وتركهم وهرول للأسفل، فلحق به معتز وجاسم، ليبقى مازن بصحبة عدي الذي كبت
بسمته بصعوبة، لتظهر بقوله الرجولي الثابت:
_أيه اللي وصلك لكده؟
أجابه ساخرًا وهو يحرك رأسه بعنف جعله يصرخ ألمًا:
_كنت حاسس بملل فقلت ألعب البخت على وشي..آآآه..
واعتدل بجلسته وهو يسترسل باندفاع:
_أنا من يوم ما شوفت خلقتك والمصايب بتلاحقني، وكل مرة بإصابة شكل مش عارف
المرّة الجاية وضعي هيكون أيه!
حك أنفة أنفه وهو يخفي ابتسامته الخبيثة، فقال بجمود مصطنع:
_أنا كنت جاي أقولك على خبر بس حاليًا أشك انه هيعجبك!
ابتلع ريقه بتوتر وهو يتساءل:
_خبر أيه اتحفني!
أجابه بنظرة متفحصة:
_بابا سمحلي أرجع الشغل.
حظت عينيه صدمة، فنهض عن الفراش ببطء جعل الأخير يتابعه باستغراب، وخاصة
حينما انحنى وحمل حذائه، ليتوجه للخروج، فاتبعه عدي وهو يتساءل بحيرة:
_أيوه أنا كده فهمت أيه؟ يا مازن أقف هنا بكلمك!
هبط الدرج ثم استدار إليه وهو يصيح به:
_مش راجعين يا عدي.. أنت عايز توضحي بيا كيف الفروجة!!
تمردت ضحكاته الرجولية، فاتبعه وهو يردد بصعوبة بالحديث من بين ضحكاته:

_فروجة أيه يا مازن أنت عندي أغلى من كده يا جدع!!
وقف قبل انحنائه للدرج القادم، ليصيح به:
_انت مش مكفيك اللي حصل فيا، ثم انك محتاجالي في أيه أنت عندك امكانيات تخليك
تستغنى عن أي حد، سيب الغلابة اللي زينا يعيشوا ياكلوا عيش.
هرول للأسفل من خلفه وهو يتحكم بضحكاته بسيطرة تامة، وبجدية تامة أخبره:
_هتتخلي عني يا مازن بعد العمر ده كله؟
كز على أسنانه بغيظٍ وهو يشير له:
_سبني في حالي الله يكرمك أنا عندي عيال وعايز أربيهم!
أشار له بإستنكار:
_وأنا يعني اللي عندي أرايب!
احتضن رأسه بتعجبٍ وهو يشير له:
_وهل ده بيعنيك مثلاً، أنت مش بتختار غير المهمات المستحيلة بتحسني انك بتحلل
لقمة عيشك، فتمامك الجوكر والاسطورة هما وش اجرام زيك، أنا مش سكتك!
تعالى ضحكات عدي فهرول للدرج من خلفه وهو يردد بصوته العذب:
_خلاص يا ميزو هنتار ونتشاور مع بعض، المهم انك متسبش الطريق اللي بدأناه سوا
أمال ليه عملتلي فيها صاحب صاحبك وسبت الشغل والدنيا عشانك كنت بتشتغلني ولا
أيه؟
لوى فمه بحنق، فهمس بازدراء:
_افهمه ازاي ده.. أطلق بنت عمه ونخلص من النسب الاسود ده ولا أعمل أيه عشان
يقتنع!
وتابع ركضه للأسفل حتى وصل لخارج المقر، فاصطدم برائد وزوجته، فسأله بريية وهو
يوزع نظراته بينه وبين من يلحق به:
_في أيه؟
أشار له بسخط:
_ابن عمك عايز يرجع للشغلانة بعد ما إعتزل!
ابتسم رائد بفرحة، فترك باب سيارته مفتوح، واحتضن عدي وهو يهنئه بسعادة:
_بجد يا عدي.. عمي وافق؟
أشار له بتأكيدٍ فضمه بفرحةٍ، ومازن يوزع نظراته بينهما بصدمة، ارتفع ضوء مصباح
سيارة تقترب منهم، فهبط منها عز ورعد وأدهم بعد عودتهم صباح هذا اليوم، فتساءل
رعد بقلق:
_في أيه يا ولاد مرجعتوش القصر لسه ليه لحد دلوقتي، البنات قالبين الدنيا عليكم!
أجابه رائد ببسمة مشاكسة'
_كنا جميعًا بنشارك في بطولة جماعية لتحرير مصر من الادغال.

رفع ادهم حاجبيه بذهول:
_ادغال مين وبطولة أيه؟
فتح رائد باب سيارته الخلفية وهو يشير لهما:
_اتفضلوا وأنا هحكيلكم كل حاجة، الطريق طويل وهنتسلى!
كاد عز بتتابعهم بسيارته فأوقفه مازن حينما قال:
_عمي.
استدار عز تجاهه، فصعق مما رآه وتساءل بدهشة:
_أيه اللي عمل فيك كده؟!
أجابه مازن بضيق:
_انا عايز نفرض النسب ده بالمعروف زي ما دخلناه عشان ولاد اخواتك يحلوا عني بالذات
حازم.
ضحك عز بصوته كله، ففتح باب سيارته وهو يشير له بتسليّة:
_واضح انها حكاية مسلية فعلا اركب اركب.
لوى فمه بتهكم وهو يراه يقلب الامور بمزح بالرغم من رؤية ما حدث بوجهه من أضرار،
لذا انصاع اليه بهدوءٍ وصعد جواره.

بالقصر.
كانت تجتمع الفتيات بأكملهن حول حمزة الذي عاد مسرعًا بعد محادثته مع آسيل، فطرح
وجهة نظره بالأمر حينما قال:
_الغريبة ان ياسين معاهم، لو مكنش معاهم كنت أقسمت انهم بيعملوا بلوة.
وأجاب على ذاته مرددًا:
_يكونش ياسين بيتجوز وواخدهم شهود!
جحظت عين آية بصدمة فتحررت عن طور هدوئها وردائها الملائكي:
_حرام عليك يا حمزة، أنت جاي تخفف عننا ولا تجلطني.. ياسين عمره ما رفع عينه في عين
واحدة هيجي يعملها بعد العمر ده كله!
ضحك وهو يخبرها:
_بحاول ألطف الاجواء يام عدي.
قالت تالين بحنق:
_بلاش يا حمزة الموضوع مش متحمل.
اضافت ملك:
_أنا عارفة أخويا مفيش فايده فيه هيفضل زي مهو.
ضحكت شذا وأضافت:
_بلاش تظلموه بيحاول يخفف عننا.

ردت دينا بضيق:

_ يخفف أیه بس انا قلقانه على الولاد أول مرة يعملوها، دول من امبارح لحد الآن
مظهروش.

تساءلت يارا بقلق:

_ محدش رد عليكم يا بنات.

أشاروا جمعهن بالنفي، فقالت آسيل:

_ أحمد رد عليا وقال انهم راجعين.

انتبهوا جميعًا لصوت أبواق السيارات، فأسرعوا للتراس، ليراقبون ما يحدث، وأول ما جذب
انتباههم اصابة مازن ومليكة البادية للجميع، وبعض الخدوش المتروك أثرها على الوجوه،
هموا سريعًا اليهم، فالتفت الفتيات حول مليكة، وتساءلت آية بلهفة:

_ في أیه... ايه اللي، حصل؟

لم يجيبها أحدٌ، حتى مروج اتجهت لمازن تتساءل عما أصابه، التقطت عين رحمة اصابة
ذراع عدي بعدما استرد عافيته فاتقبض قلبها وغارت عينيها بالدموع، الصمت حال الجميع
والترقب يعلو مؤشراتهم تمعّنًا بياسين، الذي خرج عن سكونه حينما قال:

_ حضروا الفطار.

لم يجرأ أحدٌ على الاعتراض، فجلسوا جميعًا على الطاولة بصمت قاتل، بدأ الرجال بتناول
طعامهم والفتيات تراقبهم بقلق نخر قلوبهم، فكسرت ملك صمتهم هذا حينما تساءلت
بقلق:

_ فهمونا في أیه؟!

أجابها يحيى ببسمة هادئة:

_ مفيش حاجه يا حبييتي.

اعترضت يارا على حديثه:

_ مفيش حاجه ازاي وكلكم راجعين بكدمات!

الصمت سيطر مجددًا، فقالت آية بخوف:

_ اتكلم يا ياسين في أیه؟!

منحها نظرة هادئة فعلمت بأنه سيخبرها بمفردهما، لذا صمت الجميع باستسلام لعلمهن
بأن الامر متعلق بأمر ياسين الجارحي لذا لن يجرأ أحدٌ عن الحديث، فقال رعد في محاولة
لتلطيف الاجواء:

_ اللي المفروض نعرفه اننا عندنا أبطال يترفع ليهم الرأس.

تطلع أحمد لياسين ومن ثم لعدي وعمر، وانتقلت النظرات بين الشباب، فهمس حازم
بصوت منخفض:

_ بلطجية يتباهى بيهم.

فور نطقه لتلك الكلمة حتى انفجر الشباب ضاحكين، وكلا منهم يحاول جاهدًا السيطرة

على ضحكاته بحضور ياسين، والصادم بالأمر بأنه لم يقوى على ضبط انفعالاته وشاركهم الضحك، تعالت ضحكات يحيى وهو يجيب رعد:
_لو حد محتاجنا في أي خناقة احنا في الخدمة، وأهو كله بثوابه.
أضاف ادهم:
_فاتنا الليلة دي بس تتعوض.
قال عز ساخرًا:
_سبها تفوتنا احنا العضمة كبرت ومبقاش ده زمانا.
تساءلت دينا بغضب:
_طب فهمونا طيب بتتكلموا عن أيه؟!
أجابها يحيى:
_عن بطولات الشباب... والله ما قصرنا ورفعوا رأسنا وكله كوم وابني كوم تاني، ما شاء الله واخدها تشریح!
أخفى ياسين ضحكاته، فهمس عمر له:
_هحتاجك وردية بليل بالمستشفى هتفعنا أوي.
دعس قدمه بحذائه، فتلوى ألمًا، ابعدهما أحمد عن بعضهما وهو يهمس بصدمة:
_عمي قاعد احتراموا وجوده.
رد عليه ياسين باستهزاء:
_ما احنا بلطجية بقا!
انتهت الاحاديث الجانبية حينما ردد ياسين بحزم:
_اطلعوا أوضكم كلكم محتاجين للراحة.
فور انتهائه لحديثه صعد الجميع تباغًا، ولم يظل على الطاولة الا هي، راقبت الطريق من حولها، فما أن خلت بهما القاعة، حتى هرعت بالجلوس جواره، فتمسكت بذراعه الحامل لقهوته، لتتساءل بلهفة:
_طمني يا ياسين، أيه اللي حصل؟
منحها ابتسامة تبعد عنها ذاك التوتر القاتل، ثم طبطب على يدها بيده وهو يخبرها:
_الكابوس انتهى يا آية، والمجرم مبقاش له وجود!

بغرفة عمر.

أغلقت الباب من خلفها، وهرعت من خلفه، فوجدته يتمدد على الفراش بتعبٍ شديد، دون أن ينزع ملابسه أو يعتدل بمنامته، حركته نور بعصبية بالغة:
_أنت هتنام وتسبني بحط افتراضات كده يا عمر.. قوم كلمني!
همس لها بنويع:
_انا تعبان يا نور.. هريح شوية وهقوم احكيلك على كل حاجة.

أشفقت عليه، فتركته وحملت عنه جاكيتته الثقيل، ثم اتحت وخلعت عنه حذائه فاعتدل بمنامته، ليجدها تجذب الغطاء لتدثره به، جذب يدها فطبع قبلة رقيقة على أصابعها وهو يهمس بعشق:

_حبيبتي.

ابتسمت نور وانصاعت ليده التي تجذبها، فمالت برأسها على صدره وغفت بهدوء مفروض عليها تلك المرة.

بغرفة ياسين.

وضعها على الفراش، ثم اتجه لسرير الصغيرة فوجدها هائمة بنوم مريح، بعد أن قامت والدته بالاعتناء بها، فجذب ملابسها واتجه لحمام غرفته، ابدل ثيابه أولاً ثم تمدد جوارها على الفراش، فسألها بلهفة:

_لسه حاسة بوجع؟

أشارت له بالنفي، وحاولت الاستدارة تجاهه فقابلت عناء بما ترتديه برقبتها، ساعدها ياسين، فتطلعت لعينييه بصمتٍ قاتل، صمت يغلب على شفتيها وما يدور بعينيها يعاكسه، لم يكن بالأحمق يوماً ليفشل بقراءة ما تفكر به، عقله ميزه بالمنصب الهام الذي يديره بالمقر من البداية لذا الحمق والغباء بعيدان كل البعد عنه، قرب ياسين يده من خدها، فمررها على وجهها بحنان، ثم قال:

_بتفكري في أيه يا حبيبتي؟

نفت ذلك حينما قالت:

_مش بفكر في حاجة.

مازحها حينما غمز بمشاكسة:

_على بابا!

زمت شفتيها بضيق جعله يضحك بصوته كله، فاعتدل بمنامته، حتى استقر يغفو على ظهره، فحملك بسقف الغرفة وهو يردد بثبات:

_أممم... خليني أضمن.. أكيد حازم نقلك اللي حصل فاترعتني مني وفكرتيني قتال قتلة صح؟

اتكأت على معصمها حتى زحفت بجسدها ويده تحتضن ما يلف رقبتها بانزعاج، فحاولت وضع رأسها على صدره لتستكين بنومتها، وحينما فشلت جلست بتأففٍ وهي تخبره:

_لا مزعلتش عشان الحيوان ده مد ايده على عدي وكان هيقتلني!

التفت اليها فضمها بحنان، ابتسمت بانتصار حينما شعرت بقربها منه دون أن تحيل رباطة عنقها بينهما، فأغلق عينييه باستسلام لنومٍ قاتل وهو يردد بنعيس:

_مفيش مخلوق هيمسك طول ما أنا جنبك يا ملاكي.

ابتسمت وهي تراقبه، فوجدته غفى بنومٍ عميق ومازالت يدها تحتضن جسدها إليه،

اشرأبت بعنقها قليلاً، فطبعت قبلة على جبينه وهي تهمس بحب:
_ربنا ميحرمني منك يا حبيبي.
ارتسمت بسمه صغيرة على شفتيه، وكأنه يشعر بوجودها، فاستسلم لنومه ولحقت به
بإرهاق هي الأخرى.

بغرفة آسيل.
جابت الغرفة ذهاباً وإياباً، وعينيها تراقب الفراش بغيظ، استمعت لخطبته الطويلة بالا
تزعجه لارهاقه الشديد وبوعده القاطع لها بأنه سيقص كل شيء بمجرد استيقاظه، حاولت
تهدئة ذاتها لتنتظر استيقاظه ولكنها لم تستطع، فأخذت تراقبه بحق شديد، زفرت آسيل
بغيظ جعلها تكاد تبتلع ذاتها، فرفع أحمد الغطاء عنه، ثم مال بجسده ففتح مصابحه
الجانبى وقال بابتسامة ساخرة:

_عايزة تعرفي أيه يا آسيل عشان يجيلك نوم وتسبيني أرتاح أنا كمان!
تهللت تعابيرها، فركضت اليه وصعدت فوق الفراش بعشوائية كادت باسقاطها، تعالت
ضحكاته وهو يساندها مردداً بعدم تصديق:
_طب براحة هو أنا ههرب.. أمال لو كنت من الرجالة القفوشة اللي مش بتتكلم مع
زوجاتها كنتي هتعملي أيه؟
جلست جواره واجابته:
_كنت هقتلك يا حبيبي، أنا بحب الرغي وطول عمرك بترغي معايا وبتحب تسمعني ولا
اتغيرت.

تلاشت معالم مزحه تدريجياً وقال ببسمة عاشقة:
_ولآخر حياتي هفضل أسمعك وعمري ما همل حتى لو كان كلامك أغلبه تافهة، هحاول
أشاركك كل تفاصيلك وهجتهد في ده.

ابتسمت برضا، وتناسست كلماته حينما صوبت له سؤال مباشر:
_قولي كنتوا فين بقا؟

ضيق عينيه بمكر:
_مش عمي قالكم كنا بنحارب!
جاهدت انغلاق عينيها للنوم بعدما قضت ليلها بانتظاره، فقالت وهي تقاوم:
_حرب أيه.. اديني تفاصيل!
جذب أحمد الوسادة فوضعها خلف ظهرها ثم بدأ بقص ما حدث عليها، وحينما انتهى
واستدار تجاهها وجدها تغفو بنوم عميق، تعالت ضحكاته الرجولية، وردد ساخراً:
_هو أنا بحكيلك حدوة قبل النوم!

ثم تمدد جوارها وجذب الغطاء فوقهما وهو يهمس بنوم:
_المهم انها هتسبيني أنا في سلام!

خرج من حمامه الخاص فاتجه لخزائنه لينقي ما سيرتديه بعد حمامه الساخن، فوقفت
رحمة بالخارج وهي تردد:

_كنت فين كل ده يا عدي، وليه مكنتش بترد على موبيلك أنا قلقك عليك!
جذب بنطال أسود فارتداه وهو يجيئها:
_أنا كويس وده المهم.

لحقت به للدخل بعدما أيقظ كل طاقة غضب اختبأت خلف وجهها الرقيق، فصاحت به:
_يعني أيه كويس! انا بسألك كنت فين دي مش اجابة لسؤالي يا عدي، وايدك أيه اللي
حصلها!

قالت جملتها وهي تشير ليدته، فجحظت عينيها في صدمة حقيقية جعلت فمها ينفتح على
مصراعيه، ضمت يدها على فمها وهي تراقب آثار الاحمرار العميق على صدره وظهره،
وبعض الخدوش السطحية، رفعت عينيها المغرقتان بالدموع وهي تشير له:
_ده أيه؟

ارتدى التيشيرت الخاص به، ثم دنى منها وهو يضمها اليه:
_رحمة أنا كويس والله.. ده موضوع صغير واتحل الحمد لله.
ابعدته عنها وهي تردد برهبة:
_المجرم ده اتعرضلك صح.

ضيق عينييه بذهول، وقد باتت الخزانة ضيقة تخنقه رويدًا رويدًا، فعادت كلمات ذاك
الأرعن تتشكل من أمامه حينما أخبره بأمر مصطفى وما فعله بزوجته، استجمع الآن كل
الخيوط، فتطلع لها مطولًا قبل أن يردد بدهشة:

_ده السر اللي كان بينك وبين بابا؟ مصطفى مش كده!
برقت بدهشة، فهزت رأسها نافية بخوف وبكاء، جعلها تردد بارتباك:
_مصطفى مين، أنت بتقول أيه يا عدي أنا معرفش أنت بتتكلم عن أيه؟
تألم للغاية وهو يحاول تخيل ما مرت به بدونه، ما واجهته لأجله، دون أن تطالب سنده
ومأمنه بعيدًا عن هذا اللعين، ضمها اليه بقوة جعلتها تنهار باكية بين ذراعيه، فربت عليها
بحنان وهو يخبرها:

_كل شيء انتهى يا رحمة، ومصطفى أخذ جزاته اللي يستاهلها.
فاضت اليه بما خبأته طوال تلك المدة، فوجدته يضمها ويحتوي جروحها، يكفيها حالة
الهلع التي خاضتها دونه، أبى لها البعد بتلك اللحظة العظيمة من المشاعر والعواطف،
فاقتبس من رحيقها وتركها تغدو منه، لتصبح رغباتهما محرمة للأعين التلصص عليها!

لم تكن بحاجة لسماع مبرراته، تعبته كان بادي على وجهه وضوح الشمس، لذا تركته نسرين
يرتاح، وحملت ثوب نومها ثم اتجهت لحمامها الخاص، علها تشعر بالتحسن قليلًا لما

يهاجمها بالفترة الاخيرة من وجع حاد، خاصة بعدما باتت بمنتصف الشهر التاسع من حملها، فاستندت على الحائط حتى ولجت للحمام، فضغطت على مكبس الدوش، ثم انغمرت أسفل المياه لدقائق شعرت بها بتحسن ملحوظ، ف جذبت قميصها القطني الطويل، وارتدته بهبوط شديد أصابها فجأة، فشعرت بأن الحوائط الأربعة تلتف بها، ووجعًا عظيمًا يطعن أسفل بطنها، تمايل جسد نسرين للخلف حتى استسلمت لجلوسها أرضًا خشية من أن تسقط فيتأذى جنينها، وحينما بات ألمها غير محتمل، صرخت باكية:
_حازم!

اعادت تكرار اسمه ببكاءٍ مرة تلو الاخرى، حتى انزعج بمنامته، فانتفض بالفراش وهو يردد بهلع لسماع بكائها:
_نسرين!

أشغل اضواء الجناح بأكمله ويحث عنها بخوفٍ، حتى تسلل صوتها اليه، فطرق على الباب عدة مرات وهو يتساءل:
_نسرين أنتي جوه؟!

أتاه صوتها الخافت تستغيث به:
_الحقني يا حازم.. مش قادرة هموت!
سماعه لبكائها جعله يكاد يفقد صوابه فتساءل بقلق:
_ابعدي من ورا الباب!

كانت بالفعل بعيدة عنه، فاندفع تجاهه بجسده بكل قوته، عدة مرات حتى انصاع خضوعًا إليه، فأسرع حازم للدخل فوجدها تجلس أرضًا وملابسها ممزوجة بالمياه والدماء، سقط قلبه بين قدميه، فحملها بين ذراعيه ثم جذب اسدالها ومفاتيح سيارته وهبط بها لسيارته وهو يخبرها:
_متخافيش أنا جانبك!

الفصل الثامن والعشرون

قابله أحد الحرس فأسرع بفتح باب سيارته، وضعها حازم بحرصٍ بالمقعد الخلفي، ثم صعد جوارها وهو يقذف مفتاح السيارة للحارس ليأمره بضيق:
_أنت لسه هتتفرج عليا، اطلع على أقرب مستشفى بسرعة!
التقط المفاتيح ببراعةٍ، وأسرع للمقعد الأمامي، فتحرك به للمشفى على الفور، والاخيرة مازالت متشبثة بزوجها، وتهمس بوجع قاتل:
_مش قادرة يا حازم.
ضمها إليه غير عابئٍ بإتساخ ملابسه، فانحنى تجاه نافذة السيارة يراقب الطريق، وتساءل بقلق:
_لسه كتير؟
هز الحارس رأسه وهو يجيبه:
_لا يا باشا خلاص قربنا أهو.
وبالفعل ما هي الا دقائق معدودة حتى وصل بهما لمشفى خاص، هبط حازم ثم انحنى بجسده تجاهها فعاونها على الهبوط، ثم حملها بين ذراعيه، وأسرع بها لداخل، فهرول

تجاهه الممرضين، عاونها على الجلوس على المقعد المتحرك المجاور لباب الاستقبال، ثم دفعوها للداخل، بينما طالبه موظف الاستقبال ببعض البيانات التي قد تعاون الاطباء بسرعة اسعافها داخل العمليات، فطالبوه بهويته ومبلغ دفعة أولى من حساب المستشفى، مروراً على جيب بنطاله بعصبيةٍ بالغة حينما تذكر هبوطه المسرع بها دون اللجوء لهويته أو حتى لمحفظته، فقال للموظف:

_دقائق هطلب حد من البيت يجيلي البطاقة.. بس من فضلك شوفوا حالتها الأول.

أجابه الموظف بلطفٍ:

_أكيد.. الدكاترة جوه بيشفوها الحالة.

ابتعد حازم عن مكان الاستقبال، ثم نادى الحارس فاستعمل هاتفه بمكالمة طارئة، طلب أخيه وترقب اجابته بصبر زهق عنه، يود بتلك اللحظة التوجه خلفها للداخل للاطمئنان عليها، حمد الله بتلك اللحظة حينما أناه صوت أحمد يجيب:

_الو.

أجابه مسرعًا:

_أحمد أنا حازم.

باستغرابٍ تساءل:

_رقم مين ده؟!

= مش وقته.. عايزك تجيلي على مستشفى... حالًا، وهات معاك بطاقتي ضروري.

نهض عن الفراش بصدمة وهلعًا:

_بتعمل أيه في المستشفى أنت كويس!!

أجابه بإيجاز:

_نسرين بتولد وأنا معاها لوحدي ونسيت بطاقتي وفلوسي.

= متقلقش أنا جايلك حالا

_متقولش لحد أنت شايف الوضع عندك بنفسك.

= حاضر زي ما تحب.. بس ابعثلي الموقع.

انهى مكالمته معه، وأسرع لحمام غرفته، ابدل ملابسه لبنطال رمادي وقميص أبيض أنيق، وجذب مبلغ من المال من خزانته الخاصة وهويته، ثم اتجه للمغادرة، فتوقف فجأة حينما استعاب حاجة أخيه لبطاقته لتقيد المولود واتباع الاجراءات اللازمة، جز بأسنانه على شفتيه السفلى بتفكير قاطع، كيف سيسمح لنفسه بالدخول لجناح أخيه الخاص، كُل محرم تواجهه بالجناح الخاص وبالأخص غرفة النوم لا يسمح لأي شاب مهما كانت مكانته بتجاوز هذا القانون الا لأضييق الحدود بوجود الزوج والرجال أحيانًا، رفع أحمد ساعته اليه ليجدها السادسة مساءً، وبالطبع بعد عودتهم بالصباح مازال الجميع بسباتٍ عميق، اتجهت نظراته لزوجته التي تتمدد الفراش بارهاق، فلم يمتلك أي حلول أخرى سواها، أسرع ليجلس قريباً، فأبعد خصلات شعرها المنسدلة لتخفي ملامحها عنه، تردد بإيقاظها لعلمه حالتها

المضحكة التي تستحوذ عليها حينما يحاول ايقاظها ومازالت لم تأخذ حقوقها كاملة بالنوم،
ومع ذلك حاول مضطرًا لذلك، فهمس بصوته هادئ وابتسامة مضحكة تسبقه:
_آسيل!

عاد ليناديهما مجددًا:

_آسيل اصحي محتاج مساعدتك.

كانت كالتمثال المستلقي، فإن حركها شمالًا تنصاع إليه وللجانب الأيمن تنصاع له، ضحك
وهو يردد بمكر:

_أنا آسف بس مضطر صدقيني!

وحملها بين ذراعيه ثم ولج بها لحمام غرفتهما، فأسندها أمام حوض المياه، وبذراعه الآخر
جذب المياه ليدفعها بوجهها برفق، فتحت عينيها بصعوبة وهي تردد بنوم:
_أيه يا أحمد.. حرام عليك سبني أنا استنيتك للظهر ولسه نايمه.

واستندت برأسها على صدره لتغوص سريعًا بالنوم غير عابئة برزاز المياه المنسدل فوق
رأسها، أغلق أحمد الصنبور وأبعدا عنه فترنحت على ذراعه، وبذراعه الآخر لطم وجنتها
وهو يحاول السيطرة على ضحكاته قدر المستطاع فقال بحزم مصطنع:

_آسيل فوووقي... نسر ين بتولد بالمستشفى ومحتاج بطاقة حازم من أوضته وشوية لبس
للبيبي ولنسر ين!!

فتحت نصف عين وهي تتساءل بنوم:

_مين؟

أجابها بضجر:

_نسر ين!

لفت ذراعيها حول رقبته وهمست وهي تنصاع خلف أحلامها الوردية:

_وديني السرير وغطيني وهي هتبقى زي الفل بكره.. عادي بتحصل بتحصل.

برق بعينه لوهلة وهو يحاول يستوعب ما تقول، ظنها تخبره بأن يساعدها على ارتداء
جلباب محتشم لتخرج وتساعده بصدر رحب وفزع ينتابها لمعرفتها بما قال، فدفعها
للخلف وهو يصيح:

_فوووقي وركزي.. حازم هناك لوحده والبيت كله نايم!

حكّت شعرها بضيق وغيظ ينتابها، فتحرّكت للخارج بخطواتٍ شبه متعثرة، ثم فتحت
خزانتها فجذبت جلباب أسود فصفاض ينغلق بأزرار لنهايته، ارتدته واستندت برأسها على
باب الخزانة فغفت محلها، راقبها أحمد بصدمة، فصاح بها:

_آسيل!

اهتز جسدها وكأن أصابها زلزل، فجذبت الحجاب وطرحته باهمال على خصلات شعرها
فسقط أرضًا من خلفها دون أن تراه، واستكملت طريقها إليه وهي تخبره بنعاس:

_لبست أهو!

وزع نظراته بين حبابها المترنج أرضًا وخصلاتها المنسدلة، وتساءل بتذمر:
_هتخرجي كده؟

صاحت بعصبية بالغة:

_والله العظيم أسيبك وادخل أنام أنت خنقتني مش كفايا أنت السبب في سهري وقلقي
طول الليل راجع تكمل عليا وتقلق منامتي انت ومرات أخوك!
تعاليت ضحكاته فأشار لها بهدوءٍ وهو ينحني ليجذب هو الحجاب ويعقده حول رأسها:
_أنا آسف يا روعي.. أنا فعلا اناني وقلبي جاحد اني أزعجتك، وعد مني هسيبك تريحي
يومين وههتم بالاولاد لحد ما تعوضني الليلة دي.. مرضية كده.

اكتفت بإيماءة بسيطة وهي تغلق عينيها دون رؤيته، فأشار لها بالانصراف.
ولجت آسيل للجناح الخاص بحازم ونسرين، قضت بالداخل أكثر من ثلاثون دقيقة ومازال
أحمد بالخارج يمضي طريقه ذهابًا وإيابًا وكأن زوجته هي التي تخضع لجراحة المولود
وليست زوجة أخيه، فهمس بسخرية:

_مممكن تكون نامت جوه!

خابت ظنونه حينما فتحت الباب وخرجت للخارج بخطواتٍ متعثرة، كادت بها بالسقوط،
أمسك بها أحمد وهو يردد بضحكة:

_أشهد أن لا اله الا الله... أنا افكرتك نمتي جوه!

استندت على ذراعه ورددت بتكاسل:

_مش بيجيلي نوم غير في سريري!

تطلع لها بصدمة، وبدخله يحمد الله بأنها كذلك فربما كانت ستغفو بالداخل فوق الأساس
ان اضطر الأمر، تمسك بها أحمد وحاول فتح الحقيبة بذراعه الأيسر، فوجدها تخص ملابس
المولود ونسرين، أغلقها وهو يتفحص ما أحضرته، فوجد بالمكان الصغير الخاص بالحقيبة
جواز السفر الخاص بحازم وقسيمة زواجه، وبعض من متعلقاته الخاصة كأوراق تعليمه
ودراساته، وأخيرًا وجد بطاقته الخاصة، انتقلت نظراته إليها فقال ساخرًا:

_أنتي عييتي كل الاوراق اللي في الخزانة!

وتابع وهو يفصل الاوراق الغير هامه:

ده لو طالع هجرة مش هيحتاج كل المستندات دي!

همست له آسيل وهي تترنج خلف انحاء جسده لوضع الاوراق على الطاولة القريبة من
جناح أخيه:

_رجعني سريري بقا.

أشار له وهو يتجه للدرج:

_أنا اتاخرت يا آسيل، أنا همشي وانتي ارجعي كملتي نومك.

أومأت برأسها بخفةٍ، فحمل الحقيبة وأسرع للمصاعد، ففتح باب أحدهم وكاد بالولوج،
استدار تجاهها فوجدها تجلس على أحد المقاعد وتحتضن الطاولة بجسدها، وتغوص

برحلة منامتها غير عابئة بما يحدث حولها، ترك الحقيبة عن يده ثم دنا منها، فحملها وهو يردف:

_أنتي بني آدمة تانية وأنتي نايمة.

وضعها بالفراش وجذب الغطاء ليدأثرها، ثم كاد بالخروج فتوقف مجددًا وهو يتجه اليها ببسمة عاشقة تتأمل تفاصيلها، كاد بتحريكها فتوقف وهو يمرر يده على وجهها حتى لا يفزعها للمرة الثانية، فردد بهمس خافت:

_آسيل.

انزعجت معالمها بطريقة تمردت ضحكاته لاجلها، وخاصة حينما قالت:

_عايز أيه تاني يا أحمد!

طبع قبلة على جبينها وهي يخبرها من بين ضحكاته:

_لا مش عايز حاجة.. أنا راجع أقولك اني موبيلي فاصل شحن وبيشحن قدامك أهو عشان متقلقيش عليا زي امبارح.. تمام؟

فتحت نصف عين وهي تخبره:

_أنت رايح فين؟

سقط فوقها من فرط الضحك وردد بصعوبة:

_آسيل عشان خاطري فوقي عايز أمشي ومش هيهون عليا قلقك تاني.. أنا رايح المستشفى عشان نسرين بتولد.. عشان أيه؟! هزت رأسها وهي تردد كمن يلقتها درسًا تحاول حفظه:

_نسرين بتولد.

ابتسم وهو يشير لها باعجاب:

_براقو... يلا كملي نومك.

وتركها وغادر على الفور، ففتحت نصف عينيها وهي تتأمل الغرفة، فرددت بنوم:

_هو كان بيقول أيه؟

وهزت كتفيها بعدم مبالاة، ثم تمددت لتغوص ببحرها العميق وجسدها يحتضن الوسادة

براحة

هبط مسرعًا الطابق السفلي، فأسرع بخطاه للخارج، توقف فجأة حينما استمع لصوت خشن يناديه:

_أحمد!

التفت للخلف فوجد ابيه يجلس جوار الشرفة وبيده الجريدة وكوب من القهوة، وضعها عن يده ونهض اليه يتساءل بدهشة:

_رايح فين دلوقتي أنت مش راجع تعبان؟

أجابه سريعًا:

_نسرین بتولد وحازم محتاج بطاقته.. لازم أروحله حالًا لاني اتاخرت.
_أسرع إليه حمزة، وهو يجذب جاكيتة الملقى على الأريكة:
_استنى يا ابني أنا جاي معاك.. ربنا يسترها وتقوم بالسلامة يا رب.
خطى خطوتان تجاه باب الخروج واستدار إليه يخبره:
_تمام بس حازم مش حابب حد يعرف الوقتي.
_أجابه وهو يرتدى جاكيت بذلته الداكنة:
_متقلقش.

بالمشفى.
بقى بالخارج بمفرده يتقرب سماع أي خبر من الاطباء، آخر ما وصل إليه بأنه إن تعثر وضعها ستلجئ الطبية لاجراء ولادة قيصرية، دثوا المحاليل بأوردتها ومنحوها ثلاث ساعات كمهلةٍ أخيرة، جابت عينيه الردهة المطولة حتى استقرت عينيه على باب المشفى، فوجد أخيه يدلف بصحبة والده، أسرع حمزة تجاهه فجلس لجواره وهو يسأله باهتمام:

_طمني يا ابني؟
رد عليه والقلق يبدو بارزًا بنبرته:
_الدكتورة معاها جوه لسه.
ربت على ساقه وهو يخبره ببسمة هادئة:
_خير يا حبيبي.. ان شاء الله تقوم بالف سلامة.
منحه بسمة صغيرة وهو يردد:
_يا رب يا بابا يا رب.
جلس أحمد من جواره، فهزه بمشاكسة:
_الاولاد مش بيجوا بالساهل، اجمد عشان اللي جاي يا زوما.
رسم ابتسامة صغيرة وهو يخبره:
_تقوم بس بالسلامة وأنا جاهز لأي شيء والله.
أكد له بتفائل:

_هتقوم هي والبيبي بالف سلامة.. متقلقش.
منحهما ابتسامة هادئة، وعقله مازال شاردًا بحالتها الآن، صراخها وتأوهات الخافقة بين ذراعيه مازالت تتردد داخله، عينيه تتقرب باب الغرفة بلهفةٍ، يحسب كل دقيقة بعنايةٍ، ففتح الباب من أمامه وخرجت احدى الممرضات للخارج، أسرع حازم إليها، فتساءل بقلق:
_طمنيني.

منحته بسمة تحمل البشارة ومن خلفها خبره المفرح:
_حمدلله على سلامتها، ولدت وجابت ولد زي القمر.

حملت السعادة لقلب حمزة، فردد بفرحة:
_ما شاء الله تبارك الله.

ولج حازم للداخل على الفور، فوجدها تغفو بالغرفة على فراشها، وجهها كان يصب عرقًا
كمن ركضت ألف ميل، حملت الممرضة الصغير لحازم المنشغل بتأملها، فقال دون أن
يتطلع تجاهها:

_خديه لوالدي وأخويا بره من فضلك.

انصاعت إليه وغادرت به للخارج، بينما أسرع حازم إليها، فاحتضن كف يدها وهو يناديها:
_نسرين!

فتحت عينيها بإرهاق شديد، ومالت برأسها تجاهه، فمنحته بسمه باهتة، جذب منديلًا ورقيًا،
وأزاح عنها عرقها، فدخلت الطيبة اليهما بعدما انتهت من خلع زي الجراحة، ثم قالت
بسمه عملية:

_حمدلله على سلامتكم.. الحمد لله اننا ملجأناش للقيصرية..

اكتفت بسمه صغيرة، واتجهت نظراتها لمن يجلس جوارها، مال برأسه على جبينه وطبع
قبلات متفرقة على يدها، وعاتبها بنبرة خافتة:
_قلقتيني عليكي!

أغلقت عينيها بتعبٍ، وهمست اليه:

_أنا كويسة متقلقش.. هتسمي الولد أيه؟

تابعها باهتمام فوجدها أغلقت عينيها باستسلام لنومٍ بعد عذاب قضته لساعاتٍ، اعتدل
حازم بجلسته حينما وجد أحد الممرضات تدنو منها لتساعدها بتغيير ملابسها، التقط منها
الحقيرة بلطفٍ وبإختيار كلمات مناسبة قال:

_من فضلك تقفلي الباب أنا اللي هغيرلها.

منحته ابتسامة عملية صغيرة، ثم خرجت وتركته بمفرده.

بالقصر.

استعاد نشاطه فقرر الهبوط للأسفل، لانجاز بعض الأعمال المتعلقة بالمقر نيابة عن
الشباب، هبط رعد للأسفل، ثم اتجه لغرفة المكتب الرئيسية، فاندesh من رؤيته للضوء
يغمره، فتح بابَه فوجد ابنه يغفو على الأريكة الجانبية السوداء، ضيق عينيه بذهول،
فاقترب منه ثم ناداه باستغراب:

_رائد!

فتح عينيه بتكاسلٍ، فاعتدل بجلسته سريعًا وهو يردد بخفوتٍ:

_بابا!

جلس جواره وسأله بشكٍ:

_رانيا طردتك؟!

منحه نظرة ساخطة، بدت اجابة صريجه لسؤاله، فضرب كف بالآخر وهو يردد بعدم تصديق:

_انتوا لحقتوا!!!!

خرج عن هدوئه حينما صاح بانفعال:

_نفس اللي قولتهولها.. مع انها راكبة معايا وسمعاني وانا بحكي اللي حصل لحضرتك لا مصرّة تسمع ثاني مني وأنا راجع مش قادر أفتح عيني.
ازاح عنه جاكيتته ثم حرر جرفاته، فانتظر سماع باقي الاحداث، وحينما وجده صامتًا، فقال:
_وبعدين؟

امتعضت معالمة وهو يسترسل:

_قالتلي شوفلك مكان تنام فيه لحد ما تفوق وترجع تحكيالي اللي حصل فنزلت هنا!
هز رأسه بسخرية، لحقت نبرته:

_انتوا مش ناوين تكبروا وتعقلوا بقا، دي مريم بقت عروسة!
أجابه باستنكار:

_أنا تربيتك وعاقل هي اللي مخها طائر منها!

رد عليه رعد باستهزاء:

_مهو لو تربيتي طمرت فيك مكنتش وصلت للمرحلة دي مع مراتك.

ولف يده حول كتفيه وهو يدنو منه ليهمس بحديثه الهام:

_يا ابني الستات دول زي البسكوته، عايزة معاملة خاصة، بمعنى انك تكون حريص في التعامل معاها، وذكي لان أهم حاجة الذكاء مش العناد!
واستطرد بمزح:

_يعني تعرف ازاى تبقى الشاي الساخن اللي تدوب البسكوته فيه، وازاي تبقى اللبن البارد اللي مستحيل يقصر فيها، فهمت حاجة!
لوى شفيتها وأخبره بسخرية:

_احنا هنقلبها سوبر ماركت!، أنا وضعها ده خنقني ولازم تتصرف يا رعد باشا عشان ابنك
خلقه كنز!

جذب الملف الموضوع على الطاولة جواره، ثم قذفه بوجه من تمدد استعدادًا لنوم مريحًا غير عابثًا بمن يوجهه، استقام بجلسته مجددًا، فتابع رعد بغضب:

_أنت غبي ومتستاهلش المحاضرات اللي قاعد ادهالك.. أنا هقعد أكمل شغل أفضل.
وتركه واتجه للمقعد الرئيسي الخاص للمكتب، فلحق به حتى جلس قبالة على أحد المقعدين، فلحق شفتيه وهو يتساءل بغضب:
_طب أنا أسف قولتي أعمل أيه وأنا هعمل!

بالأعلى.

شعر بأظافر حادة تخترق ذقنه النابتة، ففتح عينيه بتكاسلي، ليتفاجئ بصغيرته تستقبله
بأروع ابتسامة، تملل جاسم بفراشه، وهو يردد ببسمةٍ واسعة:
_مساء الجمال يا تولي.. طبعًا انتي معرفتيش تنامي خالص صح؟
وضعت الرضيعة (الببيرونة) بفمها، وصوته الرفيع يعلو بضحكاتها، التفت جاسم تجاه داليا
فوجدها تتحرك بالفراش بانزعاج شديد، فسحب قميصه الملقى على المقعد المجاور اليها
ثم ارتداه وحملها للشرفة، وهو يهمس لها بطريقة مضحكة:
_هووش مامي نايمة وش الصبح وبتتلكك لابوكي، يرضيكي يتنكد عليا دلوقتي؟
تعالق قهقهة الصغيرة ومعها ضحكاته، فقال بدهشة ومازال مستمر بضحكاته:
_أيه اللي يضحك في كده؟!
وبشكٍ قال بعدما وضعها على سور التراس وحاصرها بيده جيدًا:
_شكلك بتنبسطي لما مامي تهزقني صح!
عادت الصغيرة لضحكاتها، فتصنع جديته بنظراته الحادة، فما أن تهدل فمها بغضب
طفولي، فكادت باللجوء للبكاء حتى تهلتت اساريه وتعالق ضحكاته بنصر:
_أيوه كده لازم تكون مشاعرنا متصلة ببعض مينفعش قلبك يبقى جاحد عليا ده انتي
بنتي الوحيدة!
_طب وأنا!
همساتها خافتة لامست أذنيه، ويدها كانت تحتضنه من الخلف، ابتسم جاسم والتفت
للخلف، فوجدها استيقظت، تحركت داليا للامام فجلست جوار ابنتها وحركت قدميها
بعشوائيةٍ وهي تخبره:
_أنا مش بنتك الكبيرة ولا أيه؟!
حمل الصغيرة عن السور اليه، ثم احاطها بذراعه وهو يغمز لها بمكر:
_انتي بنت قلبي وفلذة كبدي وكل الاجهزة الحيوية.
تعلقت برقبته، ثم مالت لتحتضنه، فردد بصوت منخفض:
_الرضا الغريب ده مش طبيعي، أنتي كويسة؟!
ابتعدت عنه باستغرابٍ، فإشار لها بالاقتراب وهو يقرب خده منها، وضعت خدها فوق
وجنته فتفحص حرارتها وهو يردد بدهشة:
_أمورك تمام أهو أمال أيه الدنيا؟
أعادت خصلة تمردت على عينيه وهي تخبره بنظرة خبيثة:
_مفيش.. قررت أجيب أخ لتولين، مش حاباها تكون لوحدها.
جحظت عينيه صدمة، فسألها بقلق:
_متأكدة من قرارك ده؟
أومأت برأسها والارتباك يبدو على معالمها فقال بتعصب وهو يحمل الصغيرة ويدلف
للداخل:

_لا أنا مش موافق يا داليا.
لحقت به وهي تردد بتعجب:
_أيّه!

قال باصرار:

_زي ما سمعتي كده انتي نسييتي اللي حصل معايا بسبب ولادتك ولا ايه؟!
وحمل الصغيرة واتجه للأسفل على الفور، فما أن غادر حتى انفجرت من الضحك حينما
عاد اليها طيف ذكرى ما حدث بولادتها الاولى.

كان بطريقه للأسفل ومازال يهمس بكلمات لازعة، عينيه كانت تراقب باب غرفته ظنًا من
أنها ستلحق به، اصطدم جاسم برائد فصاح به بانفعال:

_مش تفتح يا معتوه هتوقع البنت منك!
معالمه كانت مشدودة بشكل استدعى الاخير لسؤاله المتهم:
_في أيّه .. اتخنقتوا عاشر؟

اتجهت نظراته اليه، فقال ساخرًا:

_وأنت ورانيا الحب بينكم مولع في الاجنحه!
لوى فمه بحنكٍ، فتركه واتجه للارايكة القريبة من الدرج وهو يخبره:
_الستات كلها خلقت للنكد!

حمل جاسم صغيرته واتجه ليجلس جواره، فربت على كتفه وهو يقول:
_ربنا كبير قادر يهديهم.

هز رأسه باقتناع، والتفت تجاهه ليسأله باهتمام:
_طب قولني انت وداليا متخانقين ليه؟
قال وهو يربت على الصغيرة:

_مفيش.

دفعه برفق:

_يا عم قول أنت هتخبي عليا.

منحه نظرة مشككة، لا يرغب بالبوح له لما سيحدث هنا، فقال بتماسكٍ:

_أختك عايزة تخلف تاني!

ما أن تفوه بكلماته حتى شدد عليه:

_متضحكش!!

كبت رائد ضحكاته بصعوبة وهو يشير له بتقبله للامر وبقائه صامدًا، ولف رأسه للجهة

الاخري ثم تعالت ضحكاته حتى أحمر وجهه، فانتصب جاسم من جواره وهو يصيح به:

_أنت انسان تافه زي أختك.. فكرك اني مجنون هساعدها وبعد كده تفضحني عشان

تحفلوا عليا سنة لقدام زي ما عملتوا!

نهض عن مقعده وهو يشير له بثبات يجاهد له:
_ أنا مقدر موقفك.. بس هنعمل أيه ده حقها يا حبيبي!
جحظت عينيه صدمة، فقال باستنكار:
_ حقها تقوم تسيحلي في نص الشارع وانا واخدها للدكتور بعد ما جالها الطلق بنية
سليمة، تقوم تصرخ وتلم علينا الناس وتقولهم اني اتحرشت بيها!!
واستطرد بعصبية:
_ انت عارف عملوا معايا أيه في القسم، دول رموني مع المجرمين وأقسمتلهم اني جوزها
محدث مصدقني!! كل ده ليه عشان الهانم مش قادرة تتحمل وجع الولادة!!
وارتخت معالمه وهو يخبره:
_ عارف لو كنت اتاخرت عليا انت وياسين شوية المجرمين كانوا هيعملوا معايا أيه؟!
انفجر ضاحكًا فربت على كتفه وهو يخبره بصعوبة بالحديث:
_ متخافيش يا حلوة شرف العيلة لسه زي البفتة البيضاء!
دفعه للخلف بعصبية:
_ بتهزر.. أنا اتبهذلت بسبب اختك واترجتها تتكلم وتقول الحقيقة قلبها قسي بسبب وجع
الولادة وافترت عليا، حلفت للظابط اني جوزها وانه يشوف البطايق ولا عبر.. ثم اني
هتحرش بيها ازاى وهي عاملة زي القنبلة المؤقتة!!
ربت على ظهره ومازال يجاهد لثبات قامته من فرط الضحك:
_ مبيقاش قلبك أسود أمال، اللي فات مات.
وضع الصغيرة بين يده ثم قال بسخط:
_ خد دي.. روح لاختك عقلها حمل ثاني لا الا لو هتضمنلي إني أكون بره مصر وقت
ولادتها.. ومش راجع الا لما ترجع لطبيعتها وتبقى بني آدمة ثاني!
حمل عنه رائد الصغيرة وراقبه وهو يهرول للأسفل، فاتحه بها خلفه وهو يناديه بدهشة:
_ جاسم.. خد هنا.. احنا بنتناقش يا بني آدم!

بالمشفى..

نُقلت لغرفة مريحة بعد الولادة، فما أن استعادت وعيها حتى وجدت حازم وأحمد لجوارها،
واستدارت تجاه السرير المتحرك الخاص بالصغير، فوجدت حمزة يحمله بين ذراعيه بحنان،
فقابلها ببسمة هادئة وهو يخبرها:
_ حمدلله على السلامة يا حبييتي.
منحته ابتسامة هادئة، ثم قالت:
_ الله يسلمك يا عمي.. تسلم.
حمل عنه أحمد الصغير، فطبع قبلة على جبينه وردد بفرحة:
_ ما شاء الله تبارك الله قمر.. ربنا يباركلكم فيه يا رب.

لف حازم يده حول كتفيه ثم قال بمشاكسة:
_بص يا ابو حميد أنت تتكفل بالواد ده عشان يطلع محترم وطيب زيك كفايا خالد بقى
منحل زيي.. لذا مينفعش تتخلي عنه سامعني.

قال حمزة بسخرية:

_كويس انك معترف بجنانك وانحرافك، وعلى فكرة انا بنفسي اللي هخلي أحمد ابني
يربيه أنت غير مسؤول ومؤهل بده.

تعالى ضحكات نسرين وهي تتابعهما بتسلية، فقال حازم:

_كده يا موزة وأنا اللي كنت هسمى الواد حمزة عشان نستبارك بيه!

رمقه بنظرة حانقة وهو يردد بغضب:

_لا يا حبيبي أبعد عني أنا زي الفريك محبش شريك.. سمييه أحمد على اسم أخوك العاقل
المحترم، اياكش بس تبعد عنه وتسبيه يطلع لآخوك كفايا خالد اللي يا قلب أمه مقضيها
وراك حلبة مصراعة، الولد بقى محتار المرة الجاية هيحدفك بأيه من كتر الابتلاء اللي بقى
فيه.

ضحك حازم، وأشار له بجدية:

_عيوني هسجله أحمد أنا أطول انه يطلعله.

ابتسم أحمد اليه، واقترب ليضعه بيد نسرين قائلاً بمحبة:

_ربنا يجعله بار بيك، ويحميه من كل سوء.

أمنت بود:

_يا رب.. تسلم يا أحمد.

أشار حمزة لحازم قائلاً ببسمته الهادئة:

_هنخلص أنا وأخوك الاجراءات وأنت جهز مراتك عشان هنرجع البيت.

لساعاتٍ طويلةٍ حاول بها النوم، ولكنه لم يستطيع، لذا نهض عن فراشه وصعد للطابق
الاخير، افتقد وجوده بتلك الغرفة التي تحمل كل ما يخص عمله، ابتسم عدي بتهكم وهو
يتأمل الغبار يملأ صالته الرياضية المنعزلة عن الجميع، كان يرفض مشاركة ابناء أعمامه
بالصالة الخاصة بهم، كان الجيم لا يناسبه تمامًا، فكان يراهم يمارسون رياضة لا تناسب
مستواه كضابط شرطي، تدريباته كانت مختلفة تمامًا عنهم، لذا كان يلجئ للتدرب هنا
منعزلاً عن الجميع، يقف بذاك المكان متخبطاً لا يعلم هل يشق لبقائه هنا منعزلاً أم لا
يشعر بذلك للفترة التي قضاها بصحبته، خطى ليصبح بمنصف الصالة، فمرر يده على
جهاز الركض الخاص به وعاد بذكرياته للخلف، ابتسم وهو يردد بغموض:

_مش هتبطل تمشي ورايا وتراقبني؟!

خرج من خلف الباب يجييه بتذمر:

_يا أخي أنت مركب عيون ورا؟!

استدار اليه عدي، فدنى عمر منه ثم قال بابتسامة يملأها الفرحة:
_طبغًا لازم أكون جانبك وإشاركك فرحة رجوعك للشرطة يا حضرة المقدم!
رفع عدي يده على كتف أخيه ثم قال:
_أنا اللي سعيد أنك هترجع لشغلك يا عمر.. كنت حاسس بالذنب طول الوقت لما عرفت
ان بابا بعدك عن شغلك بسببي.
تلاشت ابتسامته وقال بعتاب:
_لو مكنش عمل كده مكنتش هستمر في شغلي، أنا معاك دايمًا ومشاركك في كل قرار
سواء في صفك أو جاي عليك.
وبمزح استطرد:
_وكان نفسي أكون معاك بنفس الكلية والشغل بس أعملك أيه دماغك مش جايبة غير
الاسلحة والمجرمين وأنا دكتور محترم!
ضحك بصوته كله، وقال وهو يضمه اليه:
_في دي عندك حق..
_بابا جدو قالي ان حضرتك رجعت الشرطة!
كلمات متلهفة قالها ياسين الذي ركض للأعلى بكل طاقته، ابتعد عمر عن عدي، فوجد
ابنه يلتقط أنفاسه بصعوبة، والفرحة تجعل عينيه يلمعان بسعادة، فاتجه اليه وهو يهز
رأسه ببسمة صغيرة:
_ياسين باشا سامحلي بده بس لسه قدامي عقبة تانية.
تساءل الصغير بدهشة:
_عقبة مين؟
واتجهت نظراته لعمره فسأله بحزن:
_أنت يا أنكل عمر!
رفع يده بمزح:
_لا والله أنا عقبة بالفراولة يا ياسين!
ضحك الصغير رغم قلق موقفه، فأخبره عدي بضحك:
_مامي لسه معرفتش بالقرار ده.
ضم الصغير شفثيه مغمًا، وصمت قليلًا يفكر بالامر، وقال بعد حيرة:
_حاول تقنعها يا بابي، أنا عايزك أنت اللي تعلمني عايز أكون زيك أنت.
انحنى عدي اليه وضمه بقوة، وهمس اليه بحب:
_هتكون أحسن مني يا حبيبي!
لاحظ عدي من يقف قبالة، فرفع عينيه ببطء فوجد أبيه يراقب ما يحدث بثبات، فاستقام
بوقفته وهو يمسك يد ياسين، فتحرر عن صمته وهو يسأله باستغراب:
_ليه مقولتلهاش لحد دلوقتي؟

أجابه وهو يتطلع لاخته الذي يشير له بالبوح عل المساعدة تأتيه من القوات العليا (ياسين الجارحي) ، فقال:

_مش حابب أزعلها في وقت زي ده.

دنى منه ياسين بخطواتٍ متهدجة، فرفع عينيه اليه بصرامةٍ تلازم نبرته:

_بالعكس ده الوقت المناسب انها تعرف قرارى، عشان متفكرش انك خبيت عليها.

واسترسل قائلاً بمكر:

_أنت تقدر تخلي أي وقت يناسبك ويناسب الكلام اللي هتقوله.. وأنا هقولك تعمل أيه

بالظبط!

تململت بنومتها بقلق، فانحنت بجسدها تجاه المصباح الصغير المجاور لها، ما أن ساد الضوء الغرفة حتى بحثت عينيها عنه بدهشةٍ، تفاجأت رحمة بعدم وجوده بالغرفة، ولاحظت تحرر مقبض الباب، ليطل بهالته من خلفها، يدفع طاولة صغيرة متحركة، حتى أصبحت مجاورة للفراش، وزعت رحمة نظراتها المستنكرة إليه تارة وإلى الطاولة تارة أخرى، فرسم بسمة جذابة على شفتيه وقال بحنان:

_حضرت غدا صغير خاص بينا.

برقت بعينيها بدهشةٍ، ورددت بعدم استيعاب:

_أنت اللي حضرته!

هز رأسه ونظراته الثابتة تحيط بها، رمشت بعينيها بعدم تصديق، فرفعت اصبعها تجاهه: _طب ممكن ثانية واحدة.

حاول عدي فهم ما تود فعله، فتفاجئ بها تجذب هاتفها تعبت به وترفعه لأذنيها بذعر، فما أن استمعت لصوت المتصل به حتى خبأت شفتيها بيدها ظناً من أنه لن يستمع لحوارها الهامس:

_حضرتك عملت أيه في عدي بالظبط؟

صمتت تستمع اليه وقد بات توقعه اكيد بأنه ياسين الجارحي، وخاصة حينما قالت بنفس صوتها المنخفض:

_تخيل محضلي الغدا بنفسه؟

تفاجئ الطرف الآخر، فأكدت له قائلة:

_أنا مقلقة ومش مطمئة!

ضيق عينيه بغضب، جعلها ترسم ايتسامة مخادعة اليه، فجذب الهاتف عن يدها ثم ابتعد عنها للشرفة، فهمس لابه:

_شوفت بنفسك لما نفذت اقتراحك حصلها أيه.. كان ممكن أقولها على الموضوع من غير الدخلة دي كلها!

اتاه صوت ياسين الرزين يردد:

_اهتم بالتفاصيل تنال الرضا!
احتضن وجهه بيده ثم قال بتريث:
_هحاول.

وأغلق الهاتف، ثم عاد إليها والابتسامة مرسومة على وجهه، فنقل الطعام للطاولة
المستديرة القريبة من الشرفة، وأشار لها بالجلوس، جلست قبالة وهي تراقبه بدهشة
واستغراب، خاصة حينما جذب العصير وسكبه بالكوب، فقدمه لها، تأملت رحمة الكوب
بشروءٍ جعله يردد:

_مش حاطلك سم أكيد يا رحمة!
رفعت رأسها اليه ورددت بتوتر:
_لا أنا بس مستغربة.

واتخذت الطريق المباشر حينما قالت:
_هو في حاجة يا عدي؟

ترك الملاعة عن يده، ثم زفر وهو يخبرها:
_أنا قولتله الطريقة دي مقبضة أكثر من انها تدي أمل رومانسي في الموضوع
مصدقنيش..

والقى المنديل الورقي عن قميصه الابيض، ثم قال:
_من الآخر بابا وافق اني أرجع لشغلي تاني.

تجمدت تعابيرها لوهلة، فلعلقت شفتيها بتوتر، جعله يمسك يدها وهو يخبرها بحنان:
_أنتي عارفة اني سبت الشغل علشانك ومستعد أعملها تاني وعاشر ومليون، صدقيني أنا
ميهمنيش غير راحتك.

ونهض عن الطاولة وهو يخبرها ببسمة صغيرة:
_اعتبريني مقولتكيش حاجة.

وترك الطاولة وكان بطريقه للخارج، فتوقف حينما قالت:
_لو هترجع هترجع بشروطي!

توقف عن المضي قدمًا، واستدار تجاهها وهو يرمش بعدم تصديق لجرائتها بوضع قوانين
مفروضة عليه، نهضت رحمة عن مقعدها ولحقت به، فقالت بابتسامة رقيقة:

_أنا كنت واثقة ان بابا هياخد القرار ده في يوم من الايام، وواثقة بردو انه اتأكد من انك
اتغيرت عشان كده هيسمحك ترجع، فأنت دلوقتي مضطر تخضع لشروطي الاخيرة.
رفع أحد حاجبيه وهو يردد باستنكار:

_شروطك!

هزت رأسها اليه، فتحكم بانفعالاته وهو يشير اليها بالحديث، فقالت:

_أولًا.. مفيش رجوع غير لما تبقى كويس.

وتابعت قبل أن تهاجمها عاصفته:

_ثانيًا.. موبيلك ممنوع منعًا باتًا تتجاهل مكالماتي لاني ببقى هموت عليك حرفيًا..
مال برأسه وهو يتساءل بثبات:
_وثالثًا؟

ارتبكت وهي تشير اليه:
_لا هما شرطين حلوين أوي.
بدد ربكتها ابتسامته الصافية، فجذبها لاحضانه وهو يخبرها:
_شروطك مقبولة وأوعدك هعمل بيها.
ابتعدت عنه وهي تردد بعدم تصديق:
_ياسين الجارحي غيرك فعلاً!!

بجناح مروج.
رأسه الثقيل جعله يغفو بنوم مرهق، ففتح عينيه وهو يردد بتعب:
_مروج.. اعملي قهوة من فضلك!
لم يستمع لصوتها فظنها بحمام الغرفة، نهض مازن عن الفراش، ثم اتجه للشرقة فظل
بمحله لعشر دقائق يتأمل غروب الشمس التي تلامس الأشجار بدلال، فأغلق عينيه
باستمتاع حينما داعبت أنفه رائحة القهوة، التي وضعت من أمامه، ارتشف منها على
الفور واستدار اليها في نية صريحة لضمها، فسكب ما بفمه بوجه من يقف أمامه،
جحظت عينيه صدمة لما رآه، فتراجع للخلف حتى وصل للتراس فالقى بجسده عن السور
وهو يصرخ برعي:
_الحقونــي!!
صعق من أمامه حينما وجده يلقي بنفسه عن السور المرتفع عن الارض بثلاث طوابق،
فنزع عنه قناع البومة التي يرتديها وتمسك بجسد مازن الواشك على السقوط وهو يخبره
ببسمة عريضة:
_صلي على النبي يابو نسب.. ده أنا ميزو!!!

الفصل التاسع والعشرون

توقفت سيارة أحمد مقابل السيارة الداخلية للقصر، فحمل حمزة الصغير بين يده، بينما حمل حازم زوجته، أغلق أحمد أبواب السيارة من خلفهما، ثم جذب الحقائق ولحق بهما للداخل، ما أن ولجوا للقصر حتى تجمع الجميع من حولهم، والدهشة والحيرة تجتاز الوجوه، فعاتبته تالين بضيق:

ـ أنت ازاي متبلغنيش يا حمزة!

أجابها بارتباكٍ ظاهري مضحك:

ـ أنا ماليش دعوة ابنك اللي قال متقولوش لحد.

مال حازم على كتفه وهو يردد بصرامةٍ مصطنعه:

ـ متخافش يا حمزة محدش يقدر يكلمك طول ما فيا النفس وحيًا أرزق، اللي عايز يتعارك

يعاركني أنا ابني مالوش ذنب في حاجة.
دفعه حمزة للخلف وهو يصيح به بانفعال:
_ أنت بتقول أيه يا ولد يا عديم التربية!
جحظت عينيه بصدمة، فضمه اليه وقال وهو يربت على ظهره:
_ ميزو يخرب عقلك بدافع عنك تقوم تقل بأصلك معايا.. وده كلام بالذمة!
تلاشت عنها غيمتها القاتمة، وانفرجت شفيتها بالضحك، حمل أحمد الصغير عن أبيه ثم
اتجه بها لوالدته التي حملته بفرحة، فرددت:
_ بسم الله ما شاء الله قمر..
انحنت آية ثم طبعت قبلة على جبين الصغير، قائلة بحزن:
_ ربنا يباركلها فيه يا رب، بس بردو مكنش ينفع متعرفناش يا حازم يعني أكيد نسرين كانت
لوحدها من غير ما نكون جنبها في وقت زي ده!
رد عليها ببسمة هادئة:
_ كفايا اليوم الصعب اللي عشناه امبارح، محبتش أزود عليكم، الموضوع بسيط الحمد لله
وادينا رجعنا بخير.
حملت شذا منهما الصغير، فاحتضنته وتساءلت:
_ هتسموه أيه؟
رد عليها حمزة بابتسامة واسعة:
_ أحمد بإذن الله.
أضاف حازم بمكر وهو يدعي ثباته ورزاقته:
_ احتار بالاسم وأخويا موجود، ثم انه طالع شبهه جدًا فقولت اسميه على اسمه عشان لما
يربيه يبقى شبهه قلبًا وقالبًا.
ضحكت دينا فأشارت لأحمد بمرح:
_ ده داخل على طمع يا أحمد خد بالك.
ابتسم وهو يخبرها:
_ معنديش مانع لو هيتسمى على اسمي فعلاً!
وضعه حازم بين يديه وهو يؤكد له:
_ اتسمى يا باشا من دلوقتي.. أنت بايدك تنقذ العيلة وتربيلنا حد يكون عاقل عشان يلم
مصايب خالد ويحاسب على مشاريعه ولا نسيت؟!
منحه نظرة مقززة قبل أن يتجه للأعلى، فتابعه حازم ببسمة حاملة، وكأنه يرى مستقبل
ابنه الباهر يلوح له مع كل خطوة يصعدها أحمد للأعلى.

على التراس.
أمسك به جيدًا فحال بينه وبين السقوط عن السور، والأخير مازال مصر على القاء ذاته،

يختار الموت عوضًا عن مواجهة الشبح الذي يطارده، أبعد "معتز" عنه القناع وهو يشير له من وسط ضحكاته:

_مش عارف قبلوك في الشرطة ازاى وأنت عقلك في ذمة الله كده... ده المجرم عنده شجاعة عنك.

اشتعل الغضب بمقلتيه، فركله بقدمه ببطنه، فترنج معتز للخلف ومازال يحارب ضحكاته الصاخبة، حملت مروج كوب القهوة الساخن، وهرعت للتراس فوجدت أخيها مستلقي أرضًا، وزوجها ينحني بجسده على التراس، فتساءلت بريية ونظرات الشك تحيطهما: _في أيه؟

استقام مازن بوقفته، وأشار اليه بعصبية:

_أخوكي ده مش طبيعي.. مختل عقليًا ولازم يتعالج.

وتركهما وولج لغرفته، فاتبعه معتز وهو يخبره من وسط ضحكاته:

_أنا بردو اللي محتاج أتعالج، ده انت اللي محتاج تأخذ مقويات عشان تقوي قلبك الجبان ده..

استدار اليه وهو يجذب حقيبة سفره، فصاح به باستنكار:

_حقيقي مشوفتش بجنانك أنت وولاد عمك.. بس أنا اللي غلطان اني لسه قاعد هنا انا حالا هرجع دبي أفضل ألف مرة من اني اكون هنا وسطكم.

رد عليه معتز بتسلية وهو يجذب قهوته من يد شقيقته:

_مالنا يا حبيبي، صقور الداخلية بتوعك معملوش نص الواجب اللي عملوه رجالة الجارحي مع المجرمين.

وتابع بعنجهية:

_ثم ان ليك الشرف انك الوحيد اللي سمحنا له يناسبنا، مستكترناش عليك موجة بالرغم من أننا مبنحبش ندي بناتنا لحد، بس هنعمل أيه احترمنا انك صاحب عدي وفكرناك وحش كاسر زيه أتريك مش محصل حمزة القط!

تساءلت مروج بدهشة:

_مين حمزة القط ده يا معتز.

أشار لها بمكر:

_نخلص الخناقة وأشرحلك.

أومأت برأسها بخفة ثم عادت لتتابع اجواء المعركة الحماسية بين زوجها وأخيها، ترقبت دوره بفضول، فوجدته يركز على أسنانه بغيظٍ كاد باسقاطهم، فأشار بحدة:

_أهي عندك شوفلها عريس مناسب.. أنا بعد اللي عملتوه فيا محتاج هدنة من النساء ومن العالم كله.

وجذب ملابسه من الخزانة، ثم ألقاها بالحقيبة المفتوحة على الفراش بإهمال، لحقت به مروج فجذبت منه الحقيبة والملابس التي يضعها، مرددة بصدمة:

_بتعمل ايه يا مازن بعد كل اللي حصلنا هناك عايز ترجع تاني.. لا أنا مش هقبل بكده ولا هقبل إني أتغرب وأسيب أهلي تاني.

منحها نظرة قاتمة قبل أن يغلق سحاب الحقيبة، فجذبها ثم قابلها بنظرة جادة تباعدت عن مشاكسته مع معتز كليًا، وقال:

_ده المتوقع يا مروج.. انك دايماً مش حابة تقدمي أي تنازلات عشاني، مستقبلي ممكن يتدمر عادي بالنسبالك، مش مهم المهم انك لقيتي الحجة المناسبة عشان نرجع من هناك زي ما كنتي حابة من البداية.

واستطرد وهو يجذب يد الحقيبة:

_متقلقيش أنا المرادي مش هجبرك تيجي معايا في مكان.

جحظت عينيها في صدمة، أصابتهما دمعات لامعة مما استمعت اليه، لحق به معتز وحال بينه وبين باب الغرفة، ليسأله بدهشة:

_أيه اللي بتقوله ده يا مازن.. أنت في واعي؟!

أبعد يده عنه وهو يشير له بنفاذ صبر:

_المرادي أنا في واعي يا معتز.. وعارف أنا بقول أيه كويس.. أختك عمرها ما فكرت في شيء يخلصني.. وطول ما كنا في دبي مكنتش بتفوت فرصة غير وبتحسنني فيها بالذنب انها بعيد عنكم، ودايمًا مكنتش على لسانها غير انها عمرها ما بعدت عنكم ولا قادرة تعيش بعيد عنكم، أنا مقدر أن أي بنت بتشتاق لاهلها في الغربة بس على الاقل وجود جوزها جنبها المفروض انه يفرقلها، وهي محاولتش تحسنني مرة اني عارف أحتويها واعوضها ولو جزء بسيط عن فراقكم... دايماً كانت بتحاول تفكرني بالجميل العظيم اللي عملته انها سابت كل ده وجيت معايا.. مع إن اللي اعرفه ان الست مكان ما بيكون جوزها بتكون معاه ولا أيه؟

تقوس جبينه بانفعال من اتهاماته الخطيرة المندفعة تجاه شقيقته، فصاح باندفاع متهور:

_ده ميدلكش الحق انك تتكلم عليها بالشكل ده في وجودي، اللي بينكم شيء يخلصكم مينفعش تهينها بأي شكل حتى قدام أي حد حتى لو الحد ده أنا!

واستطرد بعصبية وهو يحاول ابعاد مروج التي تمسكت به خوفًا من تهوره المعتاد فخشيت أن تزداد الامور سوءًا:

_يمكن تكون غلطت بس أنت كمان غلط يا مازن، أنت عندك غرور انك تشتغل نفس الشغل اللي بتشتغله بره هنا معانا واحنا طالبينك أكثر من مرة لكن عادي بالنسبالك تشتغل في شركة مش شركتك وبتأخذ فيها مرتب زيك زي أي موظف.

عارضه حينما قال:

_أنا شريك فيها يا معتز مش شغال عند حد.

ابتسم ساخراً:

_بنسبة ٢٠ % متبقاش شريك يا أستاذ!

جابهه بحدّة:

_بالنسبالي أفضل ألف مرة من اني اشتغل معاكم.. اي منصب هوصله هيبقى معروف
لاني جوز المدام!
واسترسل ساخراً:

_وأكيد هتزدودوا مرتبي اكرامًا لاني متجوز حفيدة عتمان باشا الجارحي!
كور قبضته بعصبية بالغة، ودنا منه وهو يصرخ بعصبية:
_متعصبينيش يا مازن.. سبق واتكلمنا في الحوار ده أكثر من مرة واتناقشنا فيه بما فيه
الكفايا راجع تفتحه تاني ليه، يبقى أكيد مش واثق من نفسك ولا من شغلك عشان كده
بترمي كل حججك على نفس الشماعة.
واسترسل متحديًا:

_اللي أعرفه انك بدل ما كنت تهرب وتجري على دبي عشان تثبت نفسك كنت دخلت
وسطينا وعملتها، كنت تحاول كل لحظة تثبت فيها نفسك للي حوليك خصوصًا انك
هتكون مسؤول عن نقاط حساسة في المقر والشركات، وحمايتهم شيء مش سهل..
اختارت تبعد وتروق دماغك بعيد عن الحوارات دي، لكن عدي طلع أفضل منك بالرغم من
اني كنت بشوفه غلط قرر يواجهه وأثبت نفسه بجدارة لحد آخر لحظة.
واستكمل ببعض الهدوء بعدما استعاد اتزانته وهو يحتضن شقيقته ويربت عليها لتهدأ
قليلاً بهدوئه:

_حتى بعد ما صحته فرصة يرجع للشرطة اتخليت أنت عنه، مع انك سبق وعملتها
عشانه!

أجابه مازن بعدما استمع لحديثه الصائب بعناية:
_لاني لقيت نفسي بره مجالي، انا اشتغلت في دبي ولقيت راحتني هناك أكثر من الشرطة،
كفايا اني كنت بأمن على أولادي ومراتي وأنا عندي ثقة ان مفيش شيء سييء
هيحصلهم!
ردد ساخراً:

_واللي عمله مهاب الكلب ده ضمنت انه يحصل!
صمت قليلاً وهو يوزع نظراته بينه وبين مروج الباكية داخل أحضانه، فاستطرد معتز قائلاً:
_أنت مشنت ومش عارف أنت عايز أيه ده ميدلكش الحق ترمي انفعالاتك وغضبك على
أختي، مهما كان واصل بيك الحال اتحكم بأعصابك، ولو افترضت انك معاك حق في
كلامك فمقدرش ألومها، احنا اتربينا في البيت ده واتعودنا كلنا نكون مع حد، وفعلنا بعدها
التام عن البنات وعننا ده فعلنا شيء فوق طاقتها ولازم تقدر ده كويس، متحاولش تقارن
تماسكنا ببعض بأي حد تاني احنا غير أي حد، يبقى تهدي وتفكر كويس وتشوف أنت عايز
أيه بالضبط.. تشتغل بدبي ولا ترجع للشرطة تاني.. ولو اختيارك كان دبي يبقى هتشتغل
هنا معانا وايدك في إيدنا ولو سمعت منك اعتراض يا مازن هكمل كسر باقي عضامك

وشوف لو فيك حيل تدافع عن نفسك بقى.
رفع احد حاجبيه بسخط:
_أنت بتهددني؟!
أكد له بصدر رحب:
_أكيد وباللي عملته مع مروج قدام عيني هيكون في أفعال مش أقوال، تحب تشوف؟
غلبته بسمة صغيرة على شفثيه، فحك ذقنه النابت وهو يشير له:
_وعلى أيه، الطيب أحسن.
وأخفض ذراع الحقيبة وهو يشير له:
_رجع الهدوم رجع..
جذب عنه الحقيبة ثم القاها على الفراش، ففتح سحابها وهو يتساءل بفضول:
_أيوه يعني اختارت أيه؟
أحاط زوجته بذراعها، فقبل وجنتها وهو يهمس لها باعتذار صريح اليها، ثم تطلع تجاهه
وهو يردد بكلمات ثقيلة:
_هفكر لسه بس تقريبًا هجرب حظي معاكم الأول!
تهللت أساريرها بما استمعت اليه، وأخيرًا رضخ زوجها لما كانت تود به منذ البداية، فعاد
يضمها اليه وهو يهمس لها:
_حقك عليا.. متزعليش.
ابتسمت وهي تخبره:
_مش زعلانه بالعكس فرحانه بقرارك ده أوي.
تابعهما معترز ببسمة هادئة، فتسلل بخفة ليتركهما بمفردهما، ليتشارك رومانسيتهما
المنعزلة، فما أن أغلق الباب وكان بطريقه لجناحه، حتى وجدها تهول من خلفه راكضة،
تناديه بلهفة:
_معترز.
استدار اليها وهو يتساءل بغضب:
_قالك حاجه تاني؟
هزت رأسها نافية وهي تزيج دموعها، فعانقته بفرحةٍ اتبعت نبرتها:
_ربنا ما يحرمني منك يا حبيبي.. أنا أول مرة أحس انك عقلت وكبرت كده.
أبعدها عنه ببسمة تلاشت للغضب، فقال بشك:
_ليه أنا كنت مجنون.. هقلب عليكى وعلى جوزك تاني!
تعالى ضحكاتهما، ورددت من بينها:
_حقك عليا.
ضمها اليه ببسمته الهادئة، وقال بحنان:
_ربنا يهديك الحال يا حبيبتى

ولج لغرفته بتعبٍ وإرهاق فاق طاقتة، نزع عنه جاكيتة ، وحرر قميصه ثم تمدد جوارها،
فشعرت به ففتحت عينيها بنومٍ وسألته باستغرابٍ:
_أحمد، كنت فين؟
ابتسم وهو يردد بنعاسٍ:
_ياااه يا آسيل.. دي قصة طويلة أوي وأحلى ما فيها انك نمتي لحد ما رجعت.
وضمها اليه ثم أغلق عينيه باستسلامٍ:
_الصبح هحكلك مغامرتي الشيقة مع شبحك الناعس وحازم، بس دلوقتي أنا محتاج أدخل
في غيبوبة نوم!

الظلام المعتم كان سائد على الجناح بأكمله، فحاول الوصول للوحة المصابيح، فما أن
ضغط عليها حتى برقت عينيه في دهشةٍ صريحة، الغرفة الخاصة بهما كانت تغمرها
البلونات الحمراء، وبمنتصفها الطاولة تحمل قالب من الكعك، والشموع تملأ المكان
بأكمله، بحث بعينه عنها، فوجدها تخرج من غرفة الملابس الجانبية بفستانها الأحمر
الطويل، وشعرها منسدل بحريةٍ من خلفها، تطل عليه بأبهى زينتها المعتادة بجناحهما
الخاص، والآن تفرد سيطرتها الكاملة عليه، اقترب منها هائماً بتفاصيلها، حتى بات قبالتها
لا يفصلهما الكثير، أمسك يدها وعينه لا تفارقها، فقال بعدم تصديق:
_أنا كنت لسه بفكر أصالحك إزاي؟
منحته رانيا أجمل ابتسامة قد يحظى بها بحياتهما يوماً، وهمست إليه على استحياءٍ:
_بصراحة أنا اللي اتعمدت أتخانق معاك عشان تسبب الجناح وأقدر أحضر الحاجات دي
علشان أفاجئك بعيد جوازنا.
وجذبت العلبة الصغيرة المغلفة، ومنحته اياها وهي تخبره:
_كل سنة وأحنا مع بعض لأخر العمر يا حبيبي..
تناول منها العلبة، ثم وضعها جانباً، احتضن وجهها بيديه معاً، وقال ببسمة عاشقة:
_كل سنة وانتي روعي وقلبي وأم أولادي وكل ما بملك في الدنيا.
ثم انحنى تجاه الطاولة، فجذب أحد الزهرات الحمراء، ثم وضعها بين خصلات شعرها وهو
يردد ببسمة مرحة:
_دي لاني معرفتش بعيد جوازنا ومعرفتش أجلك هدية زي ما جبتيلي.
ضحكت وهو تخبره:
_كل مرة بفاجئك يا رائد!
شاركها الضحك وهو يخبرها:
_المهم انك فاكرة وبتفكريني.
تلاشت ابتسامتها حينما رآته يحاصرهل بنظرات عينيه الرمادية، رفع يده يضم جانب

وجها، وانجرف خلف طوفان عاطفته فمال إليها يرنو من رحيق بلسمها مطولاً، وهو
يهمس إليها:

_بأحبك.

ابتعدت عنه وهي تتأمل عينيه بشروءٍ، وباتت لا ترى سوى دفوف عشقها تناشدها بأرق
الكلمات وأعذبها، فابتعدت عنه ثم اتجهت للطاولة، فجذبت ورقة بيضاء مطوية بحرصٍ، ثم
قدمته له وهي تهمس له:

_كتبتُها علشانك.

وتركته وغادرت للشرفة خجلاً من رؤية تعابيره فور قراءته لما دونته إليه، فتح الورقة وهو
يقرأ ما دونته باهتمام والبسمة تتسلل لشفثيه رويدًا رويدًا، وقلبه يسبقه بخفقاتٍ شرسة
عنيفة

«فوق درب الغرام تسابقت الأماني، وكل أمنية نسجها حلم اللقاء بك، وها أنت اليوم
تجتاز منتصفه ولا تعلم ما الذي تريده؟!

تحارب تلك العاطفة القاتلة، ومشاعرك لا تضلك عن عشقك الصريح لي، والآن أمازلت
تكابر؟!

اليوم سيبتراً عنك الغرور، وستكن لتواضع حبي سيدًا، ترددها علنًا، وربما حينها سأخبرك
بأنني لم أسمعك جيدًا، سأجعلك ترددها كثيرًا حتى يعتاد قلبك على سكونٍ لم يسمح لها
يومًا»!

ترك رائد الورقة جانبًا، ثم اتبعها للخارج، فمال على رقبتها وهو يضمها إليه، قائلاً بخبث:
_بقي أنا مغرور؟

التفتت إليه وهي تؤكد لها بضحكة تعلو صداها:

_أيوه دي الحقيقة، أنت كنت ومازالت مغرور يا رائد باشا.

وأشارت له بعدم اهتمام:

_بس ده ميهمنيش.. المهم انك آ...

قاطعها حينما قال بهيام:

_اني عشقتك ومستعد أسيب كل شيء عشان عيونك.

وضيق عينيه بحركة مضحكة وهو يتابع:

_صحيح اني مندفع شوية بس طيب وغلبان والله.. والاهم اني بحبك ولا أيه؟

هزت رأسها بابتسامة رقيقة، فضمها إليه بقوة، وحملها مرددًا بغمزة مأكرة:

_نكمل كلامنا جوه أحسن هنا الجو برد ومش مريح!

تعالى ضحكاتها وهو يركض بها للداخل ويغلق باب الشرفة بقوة كادت باسقاط زجاجة،
فأغلق الستار لينزوي بعشقه معها لعالم لا ينبغي لأحدٍ مشاركتهما به!

تغلبت الشمس بقوة ضيائها على عتمة الليل المظلم، لتنشط يومًا جديد، فاستيقظ

الجميع باكراً على غير عادتهم لنومهم الباكر منذ الأمس، فهبط الشباب للأسفل للاستعداد للعودة للمقر...

بالأعلى..

خرج عمر من حمام غرفته، يجفف المياه عن وجهه، ثم اتجه لغرفة الملابس لينتقي ما يناسب عودته للمشفى باليوم الأول، وبداخله سعادة لا يتقاسمها مع أحد، تفاجئ بنور بالداخل، تضع إحدى البذلات الأنيقة والحذاء على المقعد، ف جذب ما اختارته وهو يقول ببسمته الجذابة:

_صباح الخير يا روح قلبي.

تركته واتجهت للخزانة، ف جذبتها وأخذت تختار البرفيوم إلى أن اختارت غايتها فوضعتها على الطاولة واتجهت للمغادرة بصمتٍ لم يعتاد به منها، ارتدى عمر بنطاله على عجلة من أمره، وخرج خلفها وهو يناديها بلهفة:

_نور!

توقفت عن استكمال خطواتها، فوقف قبالتها وهو يتساءل باستغراب:

_مالك؟!

هزت رأسها وهي تخبره:

_مفيش.

وعقدت حجابها ثم كادت بالتوجه للأسفل، فأمسك يدها وهو يتساءل بقلق:

_مفيش ازاي إنتي مش طبيعية قوليلي مالك؟

جذبت يدها منه ثم رسمت ابتسامة مصطنعة وهي تخبره:

_صدقني أنا كويسة.. هنزل أحضرك الفطار عشان ما ينفعش تتأخر في أول يوم ليك بالمستشفى

تجعد جبينه بدهشة من علمها بعودته للمشفى، فابتسمت وهي تشير له بغرور:

_ياسين الجارحي قالي كل حاجة يا دكتور.

وتركته وهبطت للأسفل سريعاً، حتى لا يرى دمعاتها التي تحاول تخبئتها، لا تود أن يتعكر صفوه بأول يوم عودته للمشفى، يكفيها رؤية الفرحة تتراقص بعينيه بعد وقتٍ طويل، هبطت نور للأسفل، فوجدت الشباب يتناولون طعام الافطار، فاتجهت للمطبخ ثم عادت بطبق لزوجها، وأخذت تضع ما يحب عمر بتناوله، تابعها الشباب والفتيات باستغرابٍ، لم يكن الهدوء أبداً من طباعها، تطلع ياسين لاحمد، الذي قال ببسمة هادئة:

_أيه يا نور مفيش صباح الخير ولا أيه؟

اتجهت نظراتها اليه، ورددت بنبرة كانت حزينة للجميع:

_صباح الخير.

حاول ياسين مشاكستها، فقال:

_شكلك كده عملتي حزب جديد يا نور، طمنينا الشكاوي المرادي على أيه؟

وضعت مليكة كوب العصير عن يدها وهي تشير له بتعب:
_مفیش شکاوي والله.

أكدت شروق هي الاخرى:

_لا احنا براءة يا ياسين ملحقناش نشتكي لنور في حاجة!

جلست نور على المقعد، وحاولت جاهدة رسم ابتسامة مخادعة، ولكن صعب عليها الأمر،
فانسدت دمعاتها المخبئة عن الجميع، هرعت رحمة إليها، فضمتها وقد ايقنت ما يصيبها
في الحال، فقال جاسم بقلق:

_نور أنتي كويسة؟ لو تعبانة نطلبلك دكتور!

لم تجيبهم مازالت تبكي بصمتٍ، فقال حازم:

_يبقى عمر مزعلك صح!

أضاف معترض بضيق:

_لو هو والله نوحى عليه عدي، هو فوق هطلعله حالا..

مازن بغضب:

_يا عم اقعد بقى أنت كل حاجة عندك بتتحل بالضرب والتربية ارحمنا!

صاح بهما رائد:

_ده وقته!!

وتساءل بحزن:

_نور ممكن تبطلي عياط وتقولي في أيه؟

تغلبت على بكائها واستقامت بوقفها بعيدًا عن المقعد، وقالت قبل أن تغادر للحديقة:

_مفیش حاجة يا جماعة، أنا عايزة اقعد لوحدي شوية.

وتركتهم وغادرت والجميع بات القلق ينهشهم، فتساءل أحمد بشكٍ لعلمها بالامر:

_في أيه يا رحمة؟

أجابته بحزن:

_ذكرى وفاة والدتها النهاردة.

تجمع الحزن على وجوههم جميعًا، فتلك الفتاة بالأخص يعزها الجميع، حتى الشباب هي
بالنسبة اليهم المقربة من الفتيات، مشاكستها الدائمة ومحاولاتها بحل الامور بينهم كانت
مقبولة اليهم حتى وإن اعتبره البعض تدخل بالخصوصية، حتى ياسين الجارحي يعاملها
معاملة خاصة، لأنهم جميعًا يعلمون بأنها لا تود سوى رؤيتهم بخيرًا، لا ترغب في رؤية
المشاكل تجتاز حياتهم الزوجية، رفض ياسين وأحمد المغادرة للمقر حتى رائد وجاسم
ومعترز، فخرجت الفتيات أولًا إليها، حاولت رحمة أن تجعلها تكف عن البكاء ولكنها لم
تستطيع، حتى مليكة ورانيا، فقالت شروق بمرح:

_يعني بالذمة ده كلام، نسرین ولدت امبارح وبدل ما نطلع نتلم حوليها ونفرح بالبيبي

قعدین منكدين على بعض.

أزاحت نور دموعها وهي تتساءل بدهشة:
_بجد نسرين ولدت، امته وازاي ده؟
_قالت آسيل بسخرية:
_هي حكاية قد تكون علقت معايا كتير عشان استوعبها بس هحكيك.
_قاطعتها رانيا قائلة:
_قبل الحكي والطلوع قومي نفطر الأول ونروق كده.
_ركضت مروج تجاههم، وجلست جوار نور وهي تدفع الشطيرة لفمها قائلة بمزح:
_وتدخل تفطر ليه انا جبتلها الاكل وجيت أهو، على الاقل تأكل بالهواء الطلق.
_ردت عليها داليا بغيط:
_انتني بتعلي علينا يعني، هدخل اجيب العصير وأجي واهو بردو هينفع بالهواء الطلق
_مفهومش مشاكل
_تعالى ضحكات الفتيات، واصطحبنا نور بينهم للضحك، وما أن تأكد الشباب من نجاح
_الأمر حتى هبطوا اليهم، فجذبوا المقاعد ووضعوها حول الطاولة المستديرة، فقال ياسين
_ببسمة هادئة:
_أيوه كده.. الزعل مش لايق عليكى احنا واخدين على آ...
_قاطعته نور بغضب:
_هتقول لسانى الطويل زي عمر هزعل وأقلب الحزب عليك وعليهم.
_ضحك وهو يشير لاحمد:
_حصل منى ده يابو ليان؟
_ابتسم أحمد وهو يردد بجدية:
_متسمحيش للحنن انه يسيطر عليكى يا نور.. انتي مش لوحدة احنا كلنا حواليكى.
_وقال رائد بتأثر:
_صحيح مفيش حد هيقدر يعوض مكانة والدتك الله يرحمها بس كل اللي حوليكى بيحاول
_يكونلك الأم والأخت.
_وقال جاسم بمشاكسة:
_والأخ أهم حاجة الأخ!
_تابع معتز بعصبية بالغة:
_أنا بردو مازلت مصر لو الواد عمر هو السبب في زعلك قوليلي الوحش فوق في عرينه
_نلحقه قبل ما يروح في أي مكان.
_لكمه من كان بطريقه اليهم، وهو يصيح به:
_هو أنت فاكرنى زيك يا ويزو، لم الدور واركن على جنب.
_واتجه عمر ليجلس جوارها، فلف يده حول مقعدها وهو يردد بحنان:
_احنا عندي أغلى من نوري عشان أعكنن عليها ولا أخليها تشيل منى!

ردد حازم بسخرية:
_ شجرة واتنين ليمون يا ابني.. يا أخي احترم نفسك ده احنا مترشقين حوليك!
ضحك عمر وهو يشير له:
_ يلا يلا كل واحد على عربيته وعلى المقر، أنا خلاص افراج رسمي!
قالت رحمة بمكر:
_ هما بيرحوا براحتهم يا عمر أنت اللي للأسف ليك مواعيد وتقريبًا اتاخرت!
تفحص ساعته بصدمة، فتركهم وهول لسيارته وهو يردد بصوت مرتفع:
_ سلام مؤقت.
وغادر بسيارته سريعًا، فذمت نور شفيتها وهي تردد بسخط:
_ يعني لو كنت قولتلكم ان عمر مش راضي يحققلي حلمي الوحيد كنتوا هتجيبولي حقي
منه بجد ولا كلام!
ردد معتز بفرحة:
_ جربينا.
وزعت نظراتها بينهم بحيرة، ثم قالت ببكاء مضحك:
_ أنا بقالي أربع سنين بتحايل عليه يشتريلي عربية بينك من غير سقف مش راضي،
يرضيكم!
تطلع الشباب لبعضهم البعض وكادوا بالضحك، فتطلع اليهم ياسين بنظرة صارمة قبل
أن يقول:
_ لا غلطان والله..
وأضاف أحمد وهو يكتب ضحكاته بصعوبة:
_ متزعليش يا نور هو أكيد خايف عليكي.
عاتبته باستنكار:
_ مانا كنت هتعلم السواقة يا أحمد.
شاركتها آسيل بغضب:
_ ده مبررك ما كلنا بنسوق وعندنا عربيات، حرام عليه المفروض يسبها تأخذ حريتها.
طرق ياسين بيديه:
_ أيه يا آسيل احنا متجمعين نحل مش نسخن الامور.
انتهى من ركضه لساعة كاملة، واستند على المقعد القريب منهم، صوت أنفاسه القوية
كانت مسموعة للجميع، فاتجهت اليه، وضع عدي زجاجة المياه على الطاولة، ثم جفف
عرقه بالمنشفة التي يحملها، فوضعها ودنى منهم بعدما علق ذراعه برباط المتصل
لرقبته ليرحبه قليلًا، فجلس على احد المقاعد قائلًا بثبات:
_ بليل هتكون عندك العربية يا نور.. وعمر مش هيتكلم ولا هيكون عنده أي مشاكل.
تهللت أساريرها، وتساءلت بفرحة:

_بينك؟

ابتسم وهو يشير لها:

_بينك وسقفها مفتوح!

صفقت بيدها وأشارت له بسعادة:

_روح يا شيخ الهي ربنا يشفيلك دراعك اللي مبيلقش يطيب ده.

تعالّت ضحكاته الرجولية، وردد بصعوبة من بينها:

_اللهم آمين..تسلميلي!!

سعادتها جعلت الفتيات بأكملهن سعداء، فهمست رحمة اليها:

_اترضيتي أهو بينا نطلع نطمّن على نسرّين بقى.

أشارت لها:

_يلا.

وبالفعل غادرت الفتيات للأعلى، فأشار أحمد للشباب قائلاً:

_المقر يا شباب.. ياسين الجارحي هناك من بدري مش عايزين مشاكل.

اتجه كلا منهم لسيارته، فأوقف عدي ياسين قائلاً:

_أنتوا نازلين النهاردة ليه كنتوا ريحوا!

اجابه ببسمة هادئة:

_اليوم بيفرق معانا يا وحش، ما أنت عارف.

ابتسم وهو يخبره:

_ربنا معاكم.

جلس بالداخل يتناول طعامه بشرود، فما زال لا يعلم نتيجة قراره هذا، ربما ما يعنيه سعادة زوجته التي لمسها حيال ذلك، ولج عدي للداخل فوجده يجلس على طاولة الطعام وحيداً،

فجذب المقعد المقابل اليه ثم تساءل:

_قاعد لوحذك ليه يا مازن؟

لم يستمع إليه، شروده كأنما صنع حوله هالة منعزلة، فصاح به مجدداً:

_مازن!

انتبه اليه، فقال باستغراب:

_بتناديني يا عدي؟

ردد ساخراً:

_لا بغني ليك.. بقالي ساعتين بكلمك وأنت مش معايا خالص!

وضع الشوكة عن يده ثم قال:

_أنا معاك أهو.

تفحصه بنظرة تعمقت به، فقال:

_في أيه؟

زفر وكأنه يخرج ثقل عظيم عنه، وانهاه حينما قال:
_أنا تعبت من التفكير، بس خلاص أنا هقسم نفسي اتنين عشان أكون مرتاح.
رفع أحد حاجبيه وهو يقول بتريث:

_مش فاهم.

نهض عن الطاولة وهو يطرق الطاولة بعزيمة:
_هشتغل معاك ومع معتز ولازم أبلغها قراري وحالا.
وتركه وصعد للأعلى، فراقبه عدي بصدمة وهمس بعدم تصديق:
_اتجنن ده ولا أيه؟!

بالمشفى..

سعادته بتلك اللحظة لم يكن هنالك ما يوصفها، عودته لمكتبه ولعمله كان كالخلم البعيد، وها هو يتحقق من أمامه، جلس عمر على المقعد المخصص له براحة تغمرها كليًا، بهجة استقباله اليوم جعلته قادرًا على العمل لآلاف الساعات المتواصلة إن شاء الأمر، عبثت أصابعه في اللافتة الحاملة لاسمه "الدكتور عمر الجارحي"، كم اشتاق لذلك اللقب المنسوب إليه كثيرًا، والآن قد عاد دون أن يجرح أخيه ببعده عن عمله، واستقبل أول كشف له بعدما تناول كوب قهوته، فاستعد بابتسامته لاستقبال أول مريض، تلاشت ابتسامته تدريجيًا بعدما فتح الباب من أمامه، فردد بدهشة:

_بابا!

وقف ياسين الجارحي جانبًا شامخًا للحارس، بأن يمر من جواره حاملًا باقة من الورود، وضعها على المكتب وغادر على الفور، اقترب ياسين ثم سحب المقعد وجلس وهو يخبره:

_مبروك رجوعك يا دكتور عمر.

لحق به عمر، فجلس قبالته وهو يردد بفرحة:

_مش مصدق ان حضرتك جاي بنفسك تباركلي.

وانحنى ليقبل يده بامتنان:

_وجودك هنا شيء كبير ومهم بالنسبالي يا بابا.

ربت بحنان على رأسه ثم قال:

_الواجب مفيش عليه شكر يا عمر... كان لازم اكون موجود جنبك في يوم زي ده!

_مش لوحذك اللي عليك واجبات يا ياسين، أنا كمان عليا واجبات ولا أيه؟

قالتها آية بعدما ولجت للداخل بجلبابها الأسود الرقيق، وكانت تحمل بين يديها باقة صغيرة من الورود، ومصحف صغير من نفس اللون، وضعته بأول درج من الخزنة ليكون قريبًا من يد ابنها، احتضنها عمر وقد غمره اليوم سرورًا لا يضاهي أحدًا، فقال:

_أنا مش قادر أصدق انكم في مكتبي أخيرًا.
ابتسمت آية وربتت على كتفه:
_حبيبي ربنا يفرحك بخير الدنيا كله.. احنا مش هنطول عليك عشان الناس اللي بره.. وبليل
ان شاء الله هشوفك.
نهض ياسين عن مقعده، ثم احنى يده فوضعتها بيده، همس لها بمكر وهو يراقب عمر
المتصنع لانشغاله بالهاتف:
_كويس انك جيتي.. بقالنا كتير مخرجناش مع بعض.. تحبي تروحي فين؟!
ضحكت وقالت وهي تراقب عمر بخجل:
_على النيل طبعًا.
غمز لهم عمر بمشاكسة:
_أيوه يا حاج واكله معاك
استدار اليه بنظرة قاتمة، فابتلع ريقه بصعوبة، ف جذب البلطو الطبي الخاص به وتصنع
انشغاله بارتدائه لحين مغادرتهما!

بالمقر الرئيسي لشركات الجارحي.
عاد أحمد وياسين للمكتب الخاص بعدي، لتوالي أمور المقر مثلما كان يفعلان، مضى أكثر
من أربعة ساعات ومازالوا يعملون على ملفات الصفقات الاخيرة بعناية، حتى بعد
مغادرة الشباب المقر، طرق الباب يد خافتة، جعلت أحمد يردد بانشغال:
_ادخل.

ولج للداخل ونظراته متعلقة بمكتبه الخاص الذي رفض ياسين وأحمد الجلوس عليه،
فنقلت مكاتبهم بمحاذاة الجانب الأيمن للغرفة، ابتسم عدي وهو يتابع انشغال كلا منهما
حتى لم يهتم أحد لمعرفة من القادم، اتجه عدي لمكتب ياسين القريب منه، ف جذب
المقعد وجلس قبالة يتأمله ببسمة هادئة، رفع ياسين عينيه عن الملف ليتأمله بدهشة
اتبعت كلماته:

_عدي انت بتعمل أيه هنا؟!
أجابه بنفور:
_حسيت اني مش مرتاح.. فقولت أجي أبص عليكم.
ترك أحمد الحاسوب وقال بدهشة:
_من أول يوم حنيت؟
واسترسل ساخراً:

_ويا ترى بقا حنيت لينا ولا للمقر.
لم تتلاشى ابتسامته قط وهو يخبره:
_معرفش.. يمكن ليكم انتوا الاثنين.

وجذب أحد الملفات الموضوعة من أمامه ثم اتجه لمكتبه ليتابع عمله، وكلاهما يتابعانه
بصدمة!

ذاك المكان المحبب لقلبها، عاد يجمعهما من جديد، يجلس أمامها بهيبته التي عشقت
تفاصيلها، تأملته بحبٍ وقلب يعود لصباه عاشقًا، حتى وإن تملكها الشيب مازال حبها له
شابًا حيويًا، منحها ابتسامة جذابة، فاستند بيده على يدها الموضوعة على الحجارة، وسأله
بصوته الرخيم الجذاب:

_بتفكري في أيه؟

التقطت نفسًا مطولًا وهي تخبره:

_في اللي مرينا بيه الفترة الاخيرة، الحمد لله انه عدى وانزاح.. متتصورش أنا كنت ببقى
عاملة إزاي من أول ما عدي بيخرج لحد ما بيرجع بليل.

وشددت من ضم يده وهي تستطرد:

_كل ما قلقي كان بيزيد كنت بطمن بوجودك.. مكنتش بسمح للخوف يحاوطني وأنت
موجود جنبني يا ياسين.

تعمق بتطلعه إليها، فود لو تمكن من ضمها اليه لينزع عنها كل ذرة قلق داخلها:

_كل اللي مر في حياتنا يا آية كان مدبر من ربنا.. اختبار ورا الثاني وكنا صامدين لاننا مع
بعض وهنفضل كده لحد آخر نفس خارج مني.

زوى حاجبيه باستغراب، حينما وجدها شاردة عنه، نظراتها تكاد تنقلب لجحيم دامي، استدار
ياسين تجاه ما تتطلع إليه، وعاد ليتأمله ببسمة ساخرة:

_كبرت على الغيرة دي.. دول في عمر مليكة يا آية!

بعدت يدها عنه، ثم قالت بضيق:

_يا ريت هما اللي يخلوا عندهم دم، دول من ساعة ما قعدنا وهما عندهم علينا.

ابتسم وهو يشاكسها:

_يمكن عاجبهم قعدتنا الرومانسية.. عمومًا لو حابة نغير المكان أنا جاهز.

هزت رأسها بالنفي، فمنحها نظرة ثابتة مغزاها خبيث وخاصة حينما قال:

_بقولك أيه.. أنا كنت حابب أصبغ شعري أهو على الأقل البنات دول يكون عندهم الجرءة
يطلبوا رقم موبيلي!

منحته نظرة قاتلة جعلت ضحكاته تتمرد بالتتابع، فاستعادت اتزانها وقالت بعدم مبالاة:

_لو كنت واحدة قدرت تاخذك مني كانت عملتها من زمان.. أنا جوه قلبك ومحدث هيقدر
يخرجني منه بسهولة!

رفع يدها إليه، فطبع قبلة رقيقة على أصابعها وهو يهمس لها:

_محدث قدر يعملها ولا هيعملها!

اتسعت ابتسامتها وثقتها به وبعشقها تمرد على العوالم بأكملها، تلك الفتاة البسيطة

التي تمرّد قلب ياسين الجارحي لاجله، تحدّثت عينيها إليه ونظراتها تتوزع بين أعين
الفتيات الفضولية بتأمل ذاك الرجل الذي يحمل رومانسية ورقية تعامل مع زوجته بهذا
العمر، تحدّثهم نظراتها وكأنها تخاطبهم بتحدٍ
وإن سألك أحدٌ ماذا فعلت به؟
أخبرهم بأنني احتليت وطنك وبات قلبك لي أسيرًا، ومن أرادت قلبك عليها بمحاربتني أولًا
لتفوز بك!

عاد عدي من المقر بصحبة أحمد وياسين، فصعد لجناحه الخاص، بحث عنها بعينه
فوجدها تجلس على الفراش بلامح هادئة للغاية، جذب المقعد القريب منها، ثم اتجه
ليضعه قبالتها، فابتسم وهو يسألها:
_أخذتي كفايتك من النوم؟
أومأت برأسها ومازالت رأسها منكس أرضًا، ويدها تلهو بغطاء الفراش بعشوائيةٍ، فقال
بنبرةٍ تعمد أن يجعل كل حنان وحبًا إمتلكه اليها به:
_طيب ممكن أعرف مخبية وشك مني ومش حابة تبصلي ليه؟
ظلت كما هي تعجز حتى عن رفع رأسها، فاحتضنت يده يدها، ثم وضعهما على قدميها،
طالبًا منها:
_طيب بصيلي طيب وعاتبيني في اللي عايزاه براحتك.
وخمن بعد طيلة صمتها:
_أنتي مترددة من حوار رجوعي للشغل يا رحمة؟
هزت رأسها بنفي، فأصابته بالتخبط والحيرة،
تدفقت دمعاتها تباغًا فلامست يده، فانتفض بجسده ليسرع تجاهها، فقال بلهفةٍ وهو يرفع
رأسها اليه:
_رحمة؟!
تفاجئ بعينيها تملأها حمرة بكائها فبدت أشبه بالمتورمة، ضم خدها بيده وهو يسألها
بقلق:

_في أيه؟ صدقيني لو مش عايزاني أرجع مش هرجع أبدًا.
واقترب منها، فطبع قبلة على جبينها وهو يستطرد:
_قولتك قبل كده أنا ميهمنيش غيرك!
عادت برأسها للأسفل مجددًا وجسدها ينتفض من البكاء، فشك أن هناك أمرًا آخر يفوق
عودته للعمل، أجبرها مجددًا بالتطلع إليه حينما رفع عنها خصلات شعرها ثم رفع خدها
اليه، ليسألها بخوفٍ:

_أيه اللي مزعلك بالشكل ده، اتكلمي؟
أزاحت دمعاتها عنها، ثم تحركت بجسدها تجاه الكومود، وعادت اليه بما تحمله، وضعته

بين يديه، فوزع نظراتها بينها تارة وبين ما يحمله، عجز عن تحديد ذاك الشيء الصغير الذي يحمله، فكان بنهاية طرفة قطعة زرقاء بلاستيكية، نزعها رائد عنه، فأسبل بعينه بدهشة حينما رأى خطين من اللون الأحمر بنهايته، استعاد معلوماته المتعلقة بهذا الشيء فانفجرت شفتيه بدهشة لحقت سؤاله:

_ده أيه؟

اجتمعت علامات الذعر بحدقتيها، فقالت بخوفٍ مقبض:
_متعمدتش إن ده يحصل والله، أنا كنت بأخذ الحبوب في مواعيدها!
حاول عقله اختصار فهم ما يحدث أمامه، فردد بعدم تصديق:
_انتني حامل؟!

الفصل الثلاثون

مرت من أمامها كل ذكرى مؤلمة متعلقة بحملها الأول، كيف خسرت حبه الكبير لها وعنت من شدة قسوته، لا قلبها ليس قادرًا على خوض تلك المعاناة مجددًا، تعلم بأنه كان يخاف عليها في كل مرة ذكر الطبيب أمر حياتها المهددة بخطر حملها المتعسر، ولكنها الآن لن تقوى على المحاربة بعد تعرضها لكل تلك الموجات، انهمر الدمع على خديها وارتجفت شفتيها وهو تحاول نطق تلك الكلمات الثقيلة:

_والله ما أعرف حصل ازاي يا عدي.. أنا أسفة.

وأزاحت دمعاتها بأصابعها، ثم التقطت نفسًا مطولًا يعينها على قول ما طاف بخاطرها:
_أنا ممكن أنزله!

رمش بعينه وهو يحاول استيعاب الأمور بداية من حملها ونهاية باقتراحها الغير مقبول إليه بالمرّة، فقال بصدمة:

_أيه الجنان اللي بتقوليه ده!

واحتضن وجهها بيديه، ثم قال بنبرة حنونة:

_اللي شوفتيه مني زمان مش هيتكرر تاني يا رحمة.. أنا عندي ثقة كبيرة في ربنا إنه مش هيخليني أخسرك بعد كل الاختبارات اللي مرينا بيها مع بعض.

وابتسم وهو يستطرد:

_حملك وراه رسالة من ربنا وأنا فهمتها.. أنا كان نفسي أعوض اللحظات اللي عشتها بعيد عنك في أكثر وقت كنت محتاجالي فيه وربنا عوضني بحملك.

وضمها إليه بقوة، ويده تعبث بخصلات شعرها:

_أنا جنبك ومستحيل هتخلي عنك ولا عن اللي في بطنك، ولو ربنا أراد اننا نمشي مشوار

تاني هنمشيه بس المرادي وأنا جانبك وايدي في ايدك.
أغلقت عينيها باستسلامٍ لذاك الأمان الذي يداعبها، لم تصدق ما تسمعه حتى وإن كان
يستمر بحديثه إليها، أجبرت يدها على التعلق به، وكل ما تتمناه أن يظل هكذا، وإن تخلت
روحها عنها لن تريد بعدها أي شيء.

استندت على الكومود حتى استقامت بوقوفها، خطت خطوتان تجاه حمام غرفتها بتعبٍ
مازالت تشعر به بعد ساعاتها القليلة من ولادتها، اتجهت لحمام غرفتها بصعوبة،
فاستندت برأسها على الحائط وهي تجاهد ذاك الدوار الطفيف الذي يهاجمها، شعرت
بكف قوي يضم يدها فرفعت رأسها تتأمل من يقف أمامها ببسمة خافتة:
_حازم!

أسندها إليه وهو يتساءل بدهشة:
_أيه اللي قومك من السرير.
أشارت له على حمام الغرفة، فأسندها حتى ولجت إليه، ثم عاد بها للفراش مجددًا، جذب
حازم الغطاء عليها، ثم حمل خالد الغافل جوارها لغرفته، وتمدد هو لجوارها، راقبته نسرين
ببسمةٍ هادئة، فأبدل ملابسه ثم تمدد لجوارها، فسألها بتعجب:
_بتبصيلي كدا ليه؟!
ابتسمت وهي تخبره:
_محتارة فيك.. مفيش في حنانك وطيبة قلبك يا حازم.
وانحنت بجسدها حتى استلقت على صدره، فأغلقت عينيها وهي تردد:
_ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك يا حبيبي.
حاوطها بذراعيه ثم قال ببسمة مأكرة:
_انتى بتحبى فيا في الاوقات الغلط!!

أريكتها الجلدية المريحة تضعها لجوار شرفتها الزجاجية المفضلة، لا يفصلها شيئًا عنها،
الشموع البيضاء تحيط بالحائط الصغير المجوف فتصنع اضاءة ساحرة للغاية، ضمت
ساقها إليها رأسها مستند عليها وخصلات شعرها تلامس أطرافها، ابتسامتها لا تترك
شفتيها وعينيها تراقب القبعة المجوفة التي تعلو القصر، هائمة بتلك الذكرى التي تنعش
قلبها العاشق، خرج من حمام غرفته، يجفف رأسه بالمنشفة، فما أن أزاحها عنه حتى انتبه
لوضع زوجته، فدنى منها وهو يتساءل بدهشة:

_ملك! سرحانه في أيه؟

استدارت برأسها إليه، وأشارت له بالاقتراب، اقترب يحيى منها، فأمسكت يده وحثته على
الجلوس لجوارها ثم قالت ببسمةٍ هادئة وهي تشير على سطح القصر:
_مش بيفكرك بحاجه المكان ده؟

ضيق عينيه بعدم فهم، فمالت برأسها وعادت لتهيم بالمكان مجددًا وهي تخبره:
_ هنا كنت هنهي حياتي بعد تفكيري الأهل انك كنت بتخوني، ووقتها انقذتني مرتين، مرة
من الموت ومرة من عقاب عتمان الجارحي، أخذت القلم بدالي ومهتمتش بشكلك قدام
اللي بالقصر ولا همك أي شيء غير انك تحميني من الضربة اللي ممكن تأذيني.
وعادت لتتطلع تجاهه وهي تستطرد:
_ الذكرى دي لسه في بالي لحد النهاردة يا يحيى مش قادرة أنساها.. ولا قادرة أنسى كل
تضحية قدمتها عشان تحميني، حبك ليا حماني من كل شيء وحش.
طلت وسامته ببسمته الصغيرة رغم كبر عمره، فضمها إليه وهو يتساءل بمكر:
_ أيه السبب اللي خلاكي تفكري في كل ده الوقتي.
اختبأت بأحضانه وهي تهمس باستنكار:
_ مين قالك اني نسيت حاجة عملتها عشاني!
وارتفعت بجسدها اليه، فطبعت قبلة خاطفة على خده وهي تكرر همسها الخافت:
_ انت الشيء الحلو في حياتي كلها يا يحيى، واللى بيفرحني أكثر ان ياسين ابني طالع
شبهك في كل حاجة.
وامتعضت ملامحها فجأة، فلم تسيطر على دمعاتها وهي تردد بخفوت:
_ أنا أوقات بخاف انك تسبني يا يحيى، خايفة من لحظة الفراق والموت، خايفة ان يومك
يكون قبل يومي وقتها ممكن أموت نفسي.
ازاح دمة خائنة من عينيه وهو يخبرها ببسمة صغيرة:
_ أيه اللي بتقوله ده يا ملك!
ابتسمت وهي تخبره رغم نبرتها الباكية:
_ هعمل أيه لازم أفكر باللحظة دي، انت عارفني طول عمري دبش ومش بعرف أفكر
بالكلام بس أنا يعني بقولك اني كنت كل ما بفكر ان ياسين نسخة منك وإنه هيصبرني
الايام اللي فضلين ليا لحد ما ربنا يفتكرني قلبي يوجعني أكثر، فملقتش غير اني ادعي
ربنا يخلي يومي قبل يومك.
وانغمست بالبكاء، فشدد من ضمه لها، وقال بصوته الرخيم:
_ متفكريش في الموت تاني يا ملك، استغلي كل لحظة بتجمعنا مع بعض كأنها الاخيرة.
وأبعدها عنه لتقابل نظرات عينيه التي مازالت تملك سحرها الخاص حتى بعد مرور هذا
العمر، فباغتتها بنبرته الجذابة:
_ وأنا أعاهدك اني هفضل أحبك لحد آخر نفس خارج مني!
وترك ديوان عشقه يكتمل بأقصوصة اضافية تحملهما معًا في ختام صفحته الطويلة.

بالجناح الخاص بمعتز.
عمل جاهدًا على حاسوبه، فكان يود الانتهاء من الملف الاخير قبل صباح اليوم الجديد،

مرت أكثر من ثلاث ساعات عمل بها بهدوءٍ تام دون أن تثير الضجة جواره بثرارتها المعتادة، لا يعلم لماذا اشتاق لها فجأة، وكأن فعلتها التي لا تعجبه بات يشواق لها ويفتقد لها، خرج معتز من غرفة مكتبه للغرفة الرئيسية، فوجدها تجلس على الفراش وتعمل على حاسوبها ذو اللون الوردي، كان يبدو عليها الانشغال التام بعد عودتها للعمل بالمقر، تمدد لجوارها بعد انتهائه من عمله، فقرر خوض معاركها الدائمة لانشغالها التام عن بدأها، فقال بنبرةٍ شبيهة لها:

_كالعادة هتقضي يومك كله قدام اللاب ولا كأن في واحد قاعد من الصبح يستناكي عشان نقعد مع بعض!

أبعدت شاشة الحاسوب عنها، لتحذجه بنظرة بلهاء، غمز لها بمشاكسةٍ اتبعت حديثه: _هو أنا مش بصعب عليك! يعني طول اليوم برة البيت وفي الشوية اللي راجعة فيهم هتسهري قدام الزفت ده.

فشلت بالسيطرة على انطباع وجهها المتصلب، فانفجرت ضاحكة وأشارت: _ده أنا صح! بتتريق عليا يا معتز.

ابتسم وهو يتابع ضحكاتهما، فزحف على الفراش حتى بات جوارها، جذب عنها الحاسوب ثم وضعه على الكومود، وجذب يدها إليه يقبلها برفق، ثم رفع عينيه إليه ليخبرها: _فرحان انك بقيتي معايا ومشاركاني كل حاجة حتى الشغل.

وابتسم وهو يشير لها بمكر:

_ده غير اني ملاحظ انك بقيتي مهتمية بنفسك وخسيتي جدًا من أول اسبوعين! انخطف لون وجهها من فرط سعادتها، كأغلب النساء التي تسعد قلوبهن باهتمام زوجها لادق تفاصيلها، ناهيك عن ملاحظته بفقدانها للوزن، فركت منخارها كمحاولة لاختفاء بسمتها، واصطنعت الجدية وهي تخبره:

_معتز اديني اللاب لو سمحت لسه ورايا شغل!

ابعدته عنها وهو يشير لها بتذمر مرح:

_لا يا حبيبتي شغلك في المقر، هنا أنتي ملكي أنا وبس مش ملك الشغل! وقربها اليه سريعًا ليفاجئها بسرقة العاطفية، فشهقت بخجل، وابتسم وهو يجذبها أسفل الغطاء هامسًا لها:

_الموضوع أصله خطير وده بدايته، تعالي لما أكملك اللي حصل!

طالت ظلمة الليل الكحيل حتى أشرقت سماء يومًا جديد، اجتمع فيه جميع أفراد العائلة على مائدة الطعام الكبيرة، الذي يترأس طرفيها ياسين الجارحي قبالة رفيق الدرب، غمز له يحيى وهو يبتسم بمكر جعل الاخير يجذب هاتفه، ويرسل له

«أيه سر السعادة الغريبة دي!»

انتقلت نظراته للهاتف المضيء، فسحبه وقرأ ما دون برسالة ياسين، فأجابه

«وأخيرًا اتخلصنا من المشاكل كلها يا صاحبي، بس تفتكر لسه في مصايب تانية مستنائة دورها؟!»

عشرات المقاعد تفصلهما، ومع ذلك يبدو بعد المقاعد قريبًا بعض الشيء، جذب ياسين هاتفه فعبث به وهو يرتشف قهوته بثبات

«مفيش حياة بدون مشاكل يا يحيى، بس المهم اننا قادرين نواجهها واحنا مع بعض ولا أيه؟»

منحه ابتسامة واسعة، وجذب كوب العصير خاصته فرفعه عاليًا وكأنه يقدم له تحية صباحية تشاركه كل عركلةً معًا، انطلقت الاحاديث المرححة المتبادلة بين الشباب والفتيات، فهبطت رحمة للأسفل بصحبة نور، فجذبت كلا منهما مقعدها، وجلسن يتناولان الطعام، تساءلت آية باستغراب وعينيها تحيط بمقعد عدي الفارغ:

_فين عدي يا رحمة؟

أجابتها وهي تجاهد ذاك الدوار الصباحي المعتاد لأي امرأة بشهورها الأولى من الحمل: _معرفش يا ماما أنا صحيت ملقتهوش!

صدح رنين هاتف نور، فجفت يدها ورفعت الهاتف وهي تردد بدهشة:

_ده عدي.

أشار لها عمر قائلاً:

_طب ردي شوفي في أيه!

أجابته نور فقالت:

_أيوه يا عدي!

جحظت عينيها بذهول، والابتسامة تحررت على شفتيها، فابعدت مقعدها وهي تردد بفرحة:

_بجد، فين؟!

استمعت لما قال، وتركت الهاتف وهي تشير اليهم بحماس:

_عدي جابلي العربية.

وتركتهم وهرولت للخارج، فلحقت بها الفتيات والشباب راكضًا، تبادل الجميع النظرات بدهشة، فقال رعد بسخرية:

_عمرهم ما هيكبوا أبدًا... مش عارف حقيقي هيعقلوا أمته ويتصرفوا بمسؤولية شوية دول أباء وأمهات!

جذب عز الشطيرة فغمسها بالعسل الابيض، وتناولها وهو يخبره:

_ما تسبهم يعيشوا حياتهم.. هما يعني عندهم كام سنة لكل ده، العمر قدامهم طويل. وأضاف أدهم ببسمة هادئة:

_بالعكس أنا شايفهم عاقلين كفايا وشغل المقر يشهد على كلامي ولا أيه يا يحيى!

انتهى من مشروبه، فوضع الكوب وهو يشير لرعد:

_سبهم يا رعد.. هو في أجمل من أن الواحد يعيش حياته بالطول والعرض، أنا بفكر بعد
اللي حصل ليهم بالفترة الاخيرة نديهم اجازة من المقر يطلعوا اسكندرية أو بورسعيد
يغيروا يومين قبل رمضان.

واستدار تجاه رفيقه يتساءل:

_ولا أيه يا ياسين؟

مرر سكينه على الجبن الأصفر، فتناول بشوكتة القليل، وقال بثبات:

_معنديش مانع.. خليهم يطلعوا يومين تلاته.

جحظت عين حمزة بصدمة:

_وشغل المقر.. متقولش احنا اللي هنشيل!

تعالّت ضحكات عز، فقال بمشاكسة:

_وماله منشلش ليه ولا أنت اخدت على الراحة؟!

اعترض أدهم على حديثه ومنح خيارًا آخر:

_لا يا عز.. العضمة كبرت عند حمزة ومبقاش حمل الشغل فرامي اتكاله على أحمد وفرمه
بالشغل.

وضعت تالين الملعقة عن زبادي الحليب، ثم قالت بضيق:

_هو أخذ على كده يا أدهم، لما الولد يا قلبي مبقاش بيرجع البيت اللي وش الصبح.

صاح بهم بعصبية:

_أنا يعني اللي متكل عليهم لوحدي ما كلنا كده ولا أيه؟

ترك ياسين المنشفة الورقية باهمال فوضوي، فالتزم الجميع بالصمت، ليحطم هو جلبابه
العتيم حينما قال:

_كلنا أهملنا شغلنا ورمينا المسؤوليات على الاولاد، عشان كده أنا مع قرار يحيى نخليهم

يغيروا جو كام يوم واحنا هنشيل بدالهم بالفترة دي.

نغزت دينا ذراع رعد، فتأوه بصوتٍ مسموع وتساءل بحدة:

_في أيه؟

قالت بغضب:

_طب واحنا مش هنطلع يومين نغير جو ولا احنا مالناش نفس يعني!

حدجها بدهشة:

_يعني لو بايدك اختيار خروجة حلوة هتختاريها لنفسك ولا لاولادك؟

اجابته ببسمةٍ عريضة:

_ليا طبعًا ودي فيها كلام.

انفجر الجميع ضحكًا، فقال عز بمكر:

_والله أنا شايف ان دينا معاها حق، احنا كمان لازمنا نغير جو ولا أيه؟

حدجه الجميع بصمتٍ، فقال وهو يتطلع اليهم:

_يبقى تمام على العيد نسافر كلنا مكان كويس ومحدث هيقدر يعترض كلامي.

رد عليه حمزة بخبث:

_ليه ياسين الجارحي؟

ابتلع ريقه بخوفٍ مصطنع، ونظراته لا تفارق ياسين المتكئ على يديه برزائٍ قاتلة، وقال:

_لا معايا وسطة وعلى رأي المثل يا بخت اللي نسيه ياسين الجارحي وأخوه يحيى

الجارحي ولا أيه!

نهض يحيى عن المقعد ثم قال بتريث:

_هروح أبلغ الاولاد بقرار سفرهم.

بالخارج.

ركضت مسرعة للسيارة، فالقت بذاتها داخلها، ثم وقفت على مقعد القيادة وأخذت تلوح

بيدها بالهوائٍ بفرحةٍ طفولية، ابتسم عدي وهو يراقبها، فهمس عمر اليه:

_ارتحت لما نفذتلها اللي هي عايزاه أهو محدش عاد هيعرف يكلمها من هنا ورايح.

رد عليه أحمد بضيق:

_وفيها أيه يا عمر هي عملت جريمة ما أغلب البنات عندهم عربياتهم الخاصة!

ضحك ياسين وردد بمرح:

_انت ليه محسسنى انها هتقود حياتك مش على الرصيف!

لوى فمه بتهكمٍ، وخاصة حينما أسرع نور تجاههم، فصاحت بسعادة:

_والله ما عارفة أشكرك ازاى يا عدي، لو ينفع كنت حضنتك بس للاسف لا يجوز!

تعالت ضحكاته الرجولية، فقال وهو يشير اليها:

_مفيش داعي مشاعرك وصلة بدون أحضان!

اتجهت نور خطوتين حتى باتت تقف جوار زوجها، فوزعت نظراتها بينه وبين السيارة، فردد

بعدم فهم:

_نعم!!

قالت بدهشة:

_العربية جت فاضل نتعلم السواقة.

رفض مساعدتها بصدر رحب:

_قلبي رهيف عشان تتعلمي السواقة لازم حد قلبه ناشف بحيث لو اتخبطتي لقدر الله

يبقى قادر يستوعب ويكمل تعليمك عادي.

رددت مليكة بصدمة:

_انت بتقول عليها من دلوقتي!

اشارت لها نور بغضب:

_شوفتي أخوكي.. هو نفسه في كده أصلاً.

واستطردت وعينيها تختار غايتها:
_عمومًا أنا هخلي حازم هو اللي يعلمني، شوفته بيعمل حركات بالعربية يخربيت كده.
رد عليها جاسم بسخرية:
_مش لما تتعلمي تطلعي بالعربية الاول يا نور تبقي تتعلمي الحركات!
واضاف مازن:
_لا وما شاء الله عندها طلة في اختيار الشخص اللي هيعلمها!!
رد عليه حازم بسخط:
_وماله الشخص اللي اختارته يا سي مازن!
تدخلت مروج بملل:
_مازن أنت بتحاول تخلق مشاكل مع المديرية كلها اسكت أحسن!
ضحك معتز وشيد على حديثها:
_أيوه اسمع كلام مراتك واسكت، انت كلامك بيعملك مشاكل ووشك أساسًا معتش حملها!
أشارت نور لحازم بحماس*:
_طب يلا يا حازم علمني.
أشار لها بالصعود للسيارة بينما ولج لمقعد السائق، كادت نور بالدخول اليها، فأوقفها أحمد حينما قال:
_نور بلاش حازم ده متهور بالسواعة، خلي رائد يعلمك أفضل سواقته هادية وعاقل.
خرج حازم برأسه من نافذة السيارة فصاح به:
_متخليك محضر خير يا أخ، ماله حازم مش ده اللي كان السبب في انقاذ الوحش، لو كنتوا اتكلتم على اللوا كان زمانهم خلصوا عليه.
منحه عدي نظرة صارمة، جعلته يزحف برأسه للداخل في صمتٍ، فأشار لنور التي صعدت جواره وتحرك بها للحديقة الخلفية الشاسعة، بينما تجمع الشباب والفتيات بالخارج حول الطاولة المستديرة، فتساءل ياسين بفضول وهو يتفحص ملابس عدي الرسمية:
_أنت خارج ولا أيه يا عدي؟
أشار له وهو يجيبه:
_أيوه، هنزل مكتبي النهاردة أشوف الدنيا ماشية ازاي، وهرجع على طول.
نهض أحمد عن مقعده ثم أشار للشباب قائلًا:
_عجبتكم القعدة ولا أيه، يلا اتاخرنا.
وقف الشباب جميعًا وقبل تحركهم أوقفهم صوت يحيى القريب منهم، حينما قال:
_يا شباب.. قرار عاجل ومفاجئ.
همس جاسم بخوف:
_استر يا رب.. كارثة جديدة على الصبح!

جذب يحيى المقعد الاساسي للطاولة، وجلس يلتقط أنفاسه، فتساءل عمر بدهشة:
_خير يا عمي.. هنرجع المقر ثاني ولا في قرارات جديدة؟!

غمز بمكر:

_لا قرار جديد بس متقلقش يا عمر هيعجبك.

بلهفة قال:

_كل الآذان صاغية.

ضحك وهو يخبرهم بمرح:

_قررنا نحن كبار عائلة الجارحي، وذلك بعد موافقة السيد ياسين الجارحي، باعفائكم من
عملكم الشاق بالمقر لمدة لا تتجاوز الثلاث أيام، وذلك بمنحكم افراج رسمي لكلتا المدن
السياحية لقضاء وقتٍ ممتع يعوض ما عاناه الجميع بالفترة الماضية.

فور انتهائه من اخبارهم، صاحت الفتيات بفرحة:

_يعيش... يعيش.

قالت آسيل:

_هو ده الكلام ولا بلاش.

أضافت داليا:

_والله كلنا محتاجين نغير جو ولا أيه يا رانيا؟

أكدت لها بتأكيد:

_طبغًا مين مش محتاج يخرج لمكان على البحر يغير بيه جو.

وأكدت مليكة:

_أهم حاجة يكون على البحر يا عمي.

ابتسم وهو يخبرها:

_اقعدوا رتبوا مع بعض واتفقوا على المكان اللي حابين تروحه.

ونهض وهو يستطرد:

_عن اذنكم.

وتركهم يتشاوران بالامر ثم عاد للداخل، وبعد مشادات من الجدل تم الاتفاق على
الاسكندرية، واتفق الشباب على السفر الباكر بالغد أما اليوم سيستعدون جميعًا لذلك،
واستغل عمر اليوم بالذهاب للمشفى، وصعد عدي بسيارته ليتجه لوجهته الهامة، وتبقى
الشباب بالمنزل، يستعدون بالمعدات التي ستكفي غرضهم بالرحلة، فجلسوا يتقاسمون
المهام بينهم، الى أن قاطعهم صوت اصطدام قوي وتليه صوت صراخ نور، فهرعوا
للخلف سريعًا ليتفاجئ الجميع بالسيارة مصطدمة بالشجرة العملاقة، وزجاجها الأمامي
محطم كليًا، وزعت نور نظراتها المنصدمة بين السيارة وبين حازم الذي ابتلع ريقه

بصعوبة بالغة وهو يشير لها:

_هصلح الموقف وقسمًا بالله.

انهالت عليه بالضرب، وهي تصرخ بعصبية:
_عمال تقولي أنا حريف! كسرت العربية ده أنا لسه مفرحتش بيها.
حاول أن يتفادى يدها، فصاح بها:
_هعوضك بعربية زيتها أو هتكفل بتصالحها!
تدخل أحمد على الفور، ففتح الباب الجانبي للسيارة وأشار لها بالهبوط وهو يردد بنوع من
الشماتة:
_قولتلك بلاش حازم!
منحته نظرة غام بها الندم، فهبط حازم خلفهما قائلاً بسخط:
_هي اللي على الله حكايتها، عمال أقولها دوسي فرامل وهي في دنيا تانية!
كزت على أسنانها، فبحثت حولها عما يمكن استخدامه في تلك اللحظة العصبية، فلم تجد
الا أداة خاصة بتنظيم حديقة القصر، جذبتها نور واتجهت اليه وهي تتساءل بإنذار خطر:
_يعني هتصلحها ولا تستلقى موتك.
جحظت عينيه صدمة، فصاح بخوف:
_هصلحها وقتي!

الانجازات المتتابة تلخصت بكل وسام حمله هذا الحائط، ميدالية تليها الأخرى، ولجوارها
شهادة تقدير، وقلادات ثمينة تشيد بإسم المقدم "عدي الجارحي"، وها هو الآن يعود بعد
انقطاعه التام، ليس ليياشر عمله فمازال ينفذ وعده القاطع بعودته بعد تماثله الشفاء
بشكل كلي، ولكنه يحن للعودة والتواجد على هذا المقعد الذي ينقله لذكريات محمسة
لعودته مجددًا، مرور عدي يده على المقعد والبسمة لا تفارق وجهه، فاستمع لطرق باب
غرفته، فردد:
_ادخل.

ولج الموظف والابتسامة البشوشة لا تفارق وجهه مرددًا:
_نورت مكتبك يا باشا..
واقترب ثم وضع كوب القهوة بعناية على سطح المكتب، ثم قال:
_مضبوبة زي ما بتحب يا باشا.
ابتسم وهو يجيبه:
_تسلم يا صالح.

حمل الموظف الصينية ثم غادر على الفور، تاركة يعيد كل تفاصيل يرغب بها، وجذب
الكوب ثم بدأ بارتشاف قهوته بتلذذ عجيب، ليقطع لحظاته الهادئة رنين هاتفه اللامع
بإسم "الاسطورة"، حرر زر الاجابة قائلاً:
_قلبك حاسس اني رجعت ولا أيه؟
تعالى ضحكاته الرجولية، وقال من بينها:

_يا حبيبي الاخبار بتوصلني من قبل ما تخرج من بيتك!
وتابع بمكر:
_اكتفيت بمكالمة بما إن زيارتك سريعة لكن مع رجوعك هتلاقيني معاك بنفسى أنا ومراد
وسيادة اللوا.
ضيق عينيه متسائلًا بشك:
_في حاجة لازم أعرفها ولا آيه؟
ابتسم وهو يخبره:
_مهمة بنجهزها من فترة وفي وقت التنفيذ هنكلمك ترجع يا وحش، ولازم تعرف انها
تمس آمن الدولة.
وبصوتٍ جاد للغاية تساءل:
_جاهز يا صاح؟
ابتسم جراء كلماته الاخيرة التي جعلته يشعر وكأنهما مجرمين، فقال:
_جاهز يا كفاءة.. وبالمناسبة لما هشوفك قريب هفهم منك أكثر.. لانك انت ومراد
معزومين عندي على الفطار أول يوم رمضان ومش لوحكم الحكومة الزوجية هتكون
معاكم والأولاد.. أظن فهمت.
همس بسخطة مضحك:
_لزمته آيه النكد!
وزفر وهو يخبره على مضض:
_تمام هقول لمراد وهنيجي أكيد منقدرش نفوت فرصة اللقاء بياسين الجارحي تاني!
ردد عدي ببسمة صغيرة:
_سلام مؤقت.
وأغلق الهاتف ثم استند بيده على الطاولة، يفكر بأمر جعل ابتسامته تتلاشى، فعبث يده
بالهاتف شمالًا ويمينيًا، حتى استقر بعد تفكير لما يريد، فجذبه مجددًا ثم طلبها وما أن
أجابته حتى قال:
_حبيبتي البسي، هعدي عليكى نروح للدكتور عشان نطمئن عليكِ أكثر!

أعدت الفتيات الحقائق استعدادًا للسفر بالصباح الباكر، فانشغلت كلا منهن بغرفتها بجمع
الاعراض، بينما تركت مليكة مهمتها لزوجها، الذي انتهى من وضع ما سيحتاجوه طوال
الثلاث ليالي، وقبل أن يغلق سحب الحقيبة تساءل:
_هتحتاجي حاجة تانية يا ملاكي؟
مررت بصرها على محتويات الحقيبة، وهزت رأسها نافية وببسمة رقيقة قالت:
_أكيد مش هينقصني حاجة عملتها أنت بنفسك.
منحها ابتسامة جذابة، ثم دنى من مقعدها، فأبعد عن رقبتها ذاك الرباط المتحرك، لترتاح

قليلاً، واستغل فرصة قربها منها، فطبع قبلة خاطفة على جبينها، ثم همس إليها:
_هنزل أصلي الظهر وبعدين نخرج نتغدى في أي مكان.. فرصة اني اجازة النهاردة من
المقر.

هزت رأسها وهي تردد بفرحة:
_هجهز نفسي لحد ما ترجع من المسجد، بس متتأخرش!
جذب سجادة الصلاة خاصته وغمز لها بخبث:
_أنا رجعت يا باشا!

كان ياسين بطريقه للأسف، فامتعضت ملامحه بملل حينما وجد المشهد المعتاد بين
جاسم وداليا، وتلك المرة اختاروا انحناء الدرج كمنصة للمشاجرة، فاستمع لجاسم يحذرها:
_اعقلي يا داليا وبطلي لعب العيال ده، احنا بينا اتفاق ولا نسييتي!
ردت عليه باستنكار:

_بس لما فكرت لقيت اني كنت غلط لازم يكونلنا طفل تاني يا جاسم.
ضرب كف بكف:

_لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، يا حبيبتي انتي مش لما كنتي في أوضة العمليات
حلفتي انك لمل تطلعي هتقطعي علاقتك بيا ومش هتكرري الغلطة دي تاني، أيه اللي
غير نظرتك للأمر؟

ابتلعت ريقها ببعض الخوف، واجابته:
_ومازلت بصراحة.. بس لازم أحاول!

انتهى ياسين من الدرج حتى بات جوارهما، فجذب ذراع جاسم وهو يجبره على الهبوط
قائلاً بسخط:

_القصر كله في هدوء تام الا ازعاج خناقتكم كل يوم... تعالى صلي يمكن تطرد الشيطان
اللي مش يسبيكم ده.

وزع جاسم نظراته بين يد ياسين التي تسحبه للأسفل وبين نظرات زوجته المغتاظة،
وابتسم بعدم تصديق بأنه تحرر بمنتهى السهولة، فلحق بياسين وهو يخبره بصوتٍ
منخفض:

_جميلك ده مش هنسهولك العمر كله.

فتح ياسين الباب، ثم تابع بهبوطه للخارج ليمنحه نظرة غاضبة اتبعها قوله:
_أنا هموت وأعرف انت طايق نفسك ازاي يا أخي! ده انا أوقات بحس ان حازم أعقل منك
في تعامله مع مراته!

وضع يديه بجيوب جاكيتته ثم أشار له بعنجهية:

_دي شكليات يا ياسو.. الحياة متحلاش غير بجرعة النكد الصباحية المعتادة ولا أنت مش
من الحزب المتنكد يوميًا ولا أيه؟

صعد سيارته وصعد لجواره جاسم، فمنحه نظرة من طرف عينيه قبل أن يجيبه:
_متقارنيش بحد فيكم يا حبيبي!

انتهت رحمة من ارتداء فستانها الأسود الرقيق، ثم وضعت حجابها وجلست تتطلع لذاتها أمام المرأة بخوفٍ يجعل قلبه يخفق بضعف، تجمعت الدموع بملقتيها فحاولت منعها مرارًا، تخشى أن يصرح الطبيب بخطر حملها تلك المرة فتعود لنفس رحلتها السابقة حتى وإن صرح لها عدي بعدم عودته لما حدث بينهما سابقًا، ولكن رغمًا عنها تجتابها الخوف والقلق، شرودها جعلها لا تستمع لطرقات الغرفة الفاصلة بينها وبين ابنائها، مما دفع الصغير الولوج للداخل، فاقترب منها بدهشةٍ وقلق دفعه لازاحة دمعاتها فانتبهت رحمة لوجوده، وازاحت دمة عينيهما الأخرى وهي تردد ببسمة نجحت بصنعها:
_ياسين!

سألها بقلق:

_في أيه يا ماما... بابا اتخانق مع حضرتك تاني؟

هزت رأسها نافية لذلك:

_لا خالص!

ودفعته برفق ليجلس قبالتها على الفراش، وانتظرت قليلًا تفكر فيما تود قوله، لم تعتاد يومًا أن تخفي أي شيئًا عنه، لطالما شعرت وكأنه شابًا في الثلاثون من عمره على الرغم من كونه طفلًا صغيرًا، ولكنه يمتلك عقلًا وحكمة تجعلها عاجزة، لذا قالت بهدوءٍ:
_أنا كنت هجيلك أنت ورحمة عشان أفرحكم وأقولكم ان قريب ربنا عيرزقنا بأخت أو أخ ليكم.

ابتسم الصغير ومع ذلك أخبرها بشئٍ:

_وهو ده خبر يزعل حضرتك!

تلاشت ابتسامتها، وأفاضت بما يقبض صدرها:

_انت عارف يا ياسين ان حملي فيكم مكنش سهل وكان فيه خطورة على حياتي، فعدي مكنش متقبل الحمل ده عشان كان خايف عليا، أنا دلوقتي مش عارفة هل هواجه نفس المصير ولا لا، ولو ده حصل هترجع الحياة بينا زي فترة حملي الأول ولا لا!

منحها الصغير ابتسامة جذابة، ثم رفع يده ليزيح دموعها مجددًا، وقال بثقة:

_خليكي متفائلة إن مفيش أي شيء من ده هيحصل، بداية من زيارتك للدكتور اللي إن شاء الله هيطمنك، ونهاية ببابا لان ياسين باشا غيره ١٨٠ درجة، وأعتقد إن الفترة اللي عاشها مش هيجب إنه يكررها تاني لإن الدرس مكنش قاسي على حضرتك بس لا هو كمان أتعذب وعلم معاه.

رمشت بعينيها بعدم تصديق، ومع ذلك لم تكن دهشتها كبيرة لاعتادها عليه بتلك الرزانة، فابتسمت وهي تهمس:

_ياسين الجارحي اللي قدامي.. مستحيل!

ضحك الصغير وأخبرها بمكر:

_أنا اسمي ياسين الجارحي فعلاً يا مامي!!

ثم قال وهو يشير لها بضيق:

_وبعدين عندي تعليق، ده فستان تخرجي بيه مع عدي باشا! بسيط جداً وميلقش على
الخروج دي، اختاري شيء مميز لأن النهاردة مميز ولا أيه؟

ضحكت وضيء وجهها ينير، وتساءلت:

_هتساعدني في الاختيار؟

حك جبهته بحيرة، ثم قال:

_هحاول!

جذبه للخزانة وبعد رحلة من الصبر والاختيار، نجحوا باختيار فستان أزرق تحفه فراشات
بيضاء، رقيقاً للغاية ولكنه يمنح طالة فخمة لاقت بها، هندمت حجاباً أبيض وحذاء أبيض
بسيط، ثم استدارت تجاهه وتساءلت بفضول:

_ها أيه رأيك كده... لبست الفستان اللي إختارته ملكش حجة؟!

سماعه لتلك الكلمات أمام باب جناحه، دفعه لفتح الباب باستغرابٍ من حديث زوجته عن
شخص تجرأ ليجتاز لها فستان داخل جناحه المحطور، لوهلة شعر وأنه أخطئ سماعها
ولكن كلماتها كانت واضحة، ففتح الباب وولج يبحث باستغراب، حتى سقطت عينيه على
ابنه يجلس على الفراش ويشير لها بأعجابٍ قائلاً:

_كده أحلى وأشيك بكثير.

اتجهت عينيه تلقائياً تجاه من تقف أمام المرأة المطولة، فانفجرت شفثيه دهشة وهو
يتأملها، وكأنها ذاتها تلك الفتاة التي جمعهما القدر على متن طائرة واحدة بالأمس،
انعكس طيفه بالمرأة، فالتفتت للخلف لتردد بتوتر:

_عدي أنت طلعت.. أنا كنت نازلة أهو!

واشارت تجاه ياسين وكأنها تلقي اللوم عليه:

_بس ياسين هو اللي أخرني وخلاني أغير هدومي تاني!

ابتسم الصغير وهو يراها تتهرّب وكأنها هي الصغيرة هنا، فقال بمكر:

_كده هتتفدي من العقوبة مثلاً.

ثم تطلع لعدي الذي يراقبه بصمتٍ:

_أنا بعذر للتأخير نيابة عن والدتي اللي بتصدرني للوجهة!

رسمت ابتسامة هادئة على شفثي عدي، فعبث بخصلات شعر ابنه البني ثم قال بمحبة:

_اختيارك حلو ومريب.

وختم بسؤاله المندesh:

_انت ليك في اختيار اللبس ازاي!

أشار له ليحني رأسه اليه ثم قال:

_لما حضرتك ترجع هعلمك!

ضحك عدي بصوته كله، ثم عرض عليه وهو يطبع قبلة على خده:

_طب أيه رأيك تيجي معانا أنت ورحمة.

تطلع الصغير لوالدته التي تراقبهما باستغراب، ثم همس إليه بمكر:

_أنا بقول دي خروجة متنفعش فيها حد، بس لو حضرتك هتعوضهالنا بإنك تاخدنا معاك

اسكندرية التلات أيام دول هقدر تضحيتك جدًا!

انفجر عدي ضاحكًا، فتعالت ضحكاته بعدم تصديق لسماعه تلك العرض الماكر، راقبتهم راحة بفرحة حتى وإن لم تستطيع سماع ما يحدث بينهما ولكن على الأقل رؤيتهما هكذا

تجعلها سعيدة عمرًا باكملة، وخاصة حينما وجدتهما يتبادلان الصفح وعدي يخبره:

_موافق على العرض يا سيادة المقدم.

ابتسم الصغير حينما مجده أبيه بضمه لأكثر شيء يريد تحقيقه، تقبل أبيه للأمر ووضع كميّاس قبالة جعله سعيدًا ويود تحقيق هذا الحلم عن جدارة، فأستأذن منهما وغادر لغرفته، انتصب عدي بوقفته وتابعه وهو يغادر ببسمة صغيرة ختمها حينما تطلع لرحمة وقال:

_مش شبهني لأ... ده كله ياسين الجارحي على نسخة أكثر خطورة!!

وضعت آسيل الحاسوب على الفراش، ثم تمددت قبالة وهي تتابع حديثهن، فاقترحت

مروج ما يمكن اصطحابه معهن بالحقائب:

_أكيد هنحتاج واقي من الشمس وكام نظارة.

تساءلت شروق:

_طب واللبس؟

اجابتها رانيا:

_أكيد لبس محتشم وعادي لاننا كلنا طالعين مع بعض.

قالت نسرين بتعب:

_بس أنا مش هقدر اطلع معاكم والله.. حتى لو كانت ولادتي طبيعية فأنا لسه حاسة

بارهاق وتعيب كفايا إن احمد مش بينام طول الليل ومسهرنى معاه.

تعالت ضحكات آسيل وقالت:

_متقلقيش يا سلفتي هبقى أطوع وأشيله عنك شوية وأدي أويس ابني لأحمد يتحمل

مسؤوليته.

على ذكرها لاسمه، ابعد عينيه عن شاشة حاسوبه الماسد امام مكتبه المجاور لغرفته،

فقال:

_بتناديني يا حبيبتي؟

صاحت بصوت مرتفع تجيبه:
_لا ده أحمد الصغير مش أنت.
رددت داليا بمرح:
_العيلة كلها بقت أسماء متشابه!
اقتربت مليكة من كاميرا الهاتف، ثم قالت:
_أيه رأيكم يا بنات.. الفستان حلو ولا ضيق؟
تأملت الفتيات بأكملهن ما ترتديه، فقالت رانيا:
_جميل أوي يا مليكة بس ابقى طولي الطرحة شوية.
وأكدت شروق:
_فعلا والله تحفة عليكى أوي.
بينما تساءلت مروج بخبث:
_فكك من حلو وبتاع.. انتي راحة فين كده؟!
أجابتها على استحياء:
_ياسين حبيب اننا نتغدا بره النهاردة.
ضحكت نسرين ثم قالت بسخرية:
_يا عم يا عم الرومانسيات ما احنا هنسافر بكره ولا عايز ينفرد بالكريز لوحده النهاردة!
ضحكت الفتيات على حديثهن، وتساءلت مروج بدهشة:
_بنات فين رحمة ونور؟ مش ظاهرين من الصبح!
اجابتها داليا:
_رحمة قالت انها راحة للدكتور مع عدي لان زي مانتوا عارفين عرف بحملها وحبيب يطمن.
رددت آسيل بقلق:
_ربنا يطمنها يا رب.
تساءلت مليكة هي الاخرى:
_طب ونور؟
ردت عليها داليا:
_لا معرفش، بس مدام مختفية كده أكيد بتعمل كارثة!

بغرفة نور.
مازلت تصر عليها بالهاتف بسرعة حضوره للمنزل ليحضر حقائبه استعدادًا للسفر، وحينما أخبرها بأنه لن يستطيع ارسلت له فيديو وهي تلقي بملابسه عن الخزانة، مما دفعه للعودة للقصر، فاندفع لجناحه بضيق يجعل ملامحه عابسة مخيفة، فتح عمر غرفة نومه، فتفاجئ بها تجلس أرضًا بين كومة من الملابس الملقاة بكل زاوية الغرفة، ووجهها متجهم للغاية، كاد بالتوجه اليها ولكنه توقف حينما عاد هاتفه بإرسال شعار مجددًا، وما ادهشه

حينما رأى فيديو مسجل آخر من حسابها، حانت منه نظرة اليها فوجدها مازالت تجلس محلها، فاتجه للنافذة القريبة تجاه الملتقط منها زاوية التصوير، فابتسم حينما وجد ابنته الصغيرة تعبت بهاتف زوجته بعشوائية، فتارة تحمله بفمها وتارة تدفعه أرضًا، فظن بأن الفيديو المرسل إليه ما هو الا انتقام شنيع لعدم رغبته بالعودة وإن كانت قد فعلت ذلك، ولكن هناك من قام بفضح ما تفعله بملابسه بغيابه، استقام عمر بوقفته وانتظر حتى تنتبه لوجوده ولكن على ما يبدو انشغالها التام بحسبة تستغرق تفكيرها، وضع يديه بجيب سرواله والتقط نفسًا مطوّلًا قبل ان يناديها بخشونة:

—نور!

انتفضت بجلستها فحاولت الوقوف ولكنها سقطت محلها، فرددت بغضب:

—خضتني!

أشار لها بغضب:

—أيه اللي عملاه في الأوضة ده.

وأشار على ملابسه بالتحديد:

—وإزاي ترمي هدومي بالشكل ده؟!

قالت بعدم اهتمام وهي تدخل للخرانة مجددًا:

—أيه اللي رجعتك بدري مش كنت مش عايز ترجع دلوقتي وبتقولي مشغول!

تفادى أن يلامس حذائه بذلاته الآنيقة الملقاة أرضًا بإهمالٍ يجعله يود قتلها بتلك اللحظة، فاتبعها وهو يصيح بها:

—ربنا اللي بعثلي إشارة من الملاك الصغير دي عشان أكتشف اللي بيحصل، لا وأنا اللي محتار هدومي بتتكسر ليه مع أنها مكوية!!

لم تفهم مغزى حديثه الا حينما تطلعت لابنتها فوجدت هاتفها بيدها، وكعادتها من المؤكد فعلها لكارثة، لذا لم يعينها معرفة ما حدث، فجذبت بعضًا من ملابسه ثم القتها بوجهه وهي تصيح بغضب:

—تبّا ليك ولبنتك وابنك يا شيخ! مش كفايا اللي أنا فيه!!

تفادى (شماعة) الملابس التي كادت بإصابة وجهه، فحمل الصغيرة وركض لغرفتها ليضعها جوار ابنه الرضيع، ثم عاد إليها، ليجدها مازالت تلقي ما بالخرانة، تسلل للداخل بحرافية حتى لا تطوله ما تقذفه بجنون، فاقترب منها وتساءل بحزم:

—في أيه؟ أنا مش سايبك كويسة وفرحانه بالعربية البينك!

منحته نظرة لا تمت للبراءة التي تتحاول تصنعها بذلك الوقت، ثم انخفضت بجسدها عن الخزانة التي تقف داخلها كالسلم الخشبي، فوقفت قبالتها ومن ثم انفجرت ببكاء لا يعلم كيف استحضرت بتلك البساطة، وقالت:

—معتش حاجة داخله عليا.. أنا تخنت موت يا عمر!

رفع أحد حاجبيه بصدمة، هل أصبحت كفيفة مجددًا؟ أم عاد إليها بصرها الآن! ، وزنها كان

بزيادة تدريجية طوال فترة حملها إلى وضعها لعدي ابنها الصغير، فجأة تكتشف بزيادة وزنها! ، فرفع يديه بإشارة اصبعيه الاثنين معًا وقال:

_هرمونات!

ثم أخفض ذراعيه ونفث الهواء العالق داخله عله يستجمع شجاعة الدخول لتلك المعركة الحساسة لدى النساء، فقال ببسمة واسعة مبالغ بها:

_مين قال كده! انتي زي القمر في كل حالاتك يا روح قلبي، ولو على اللبس ننزل حالًا نشتري اللي يناسبك للرحلة.

ازاحت دمعاتها بضحكة غريبة، وقالت:

_يجد يا عمر؟

تسلل من بين الملابس متعمدًا الخطى فوق ملابسها دون التعرض لما يخصه، فما أن وصل اليها حتى حاوطها اليه، فضمها وهو يخبرها:

_يجد يا روعي انتي دايمًا جميلة بعيوني.

وعاد ليتطلع لارضية الغرفة ثم قال بتردد:

_بس انا عندي سؤال، انتي مشكلتك الوقتي مع هدومك ذنبي أنا أيه!

ازاحت دمعاتها باطراف أصابعها وهي تخبره:

_مانا كنت بقيس كام حاجة من عندك يمكن تنفعني بس منفعنيش حاجة!

وعادت بالبكاء على صدره مجددًا، كز على أسنانه بغيظٍ فكاد بأن يهوى على ظهرها بضربة قوية، ومع ذلك اهتدت حركة يده الى أن ضمته إليه وقال من بين اصطكاك أسنانه المغتظة:

_ولا يهمك.. البسي وننزل تجيب لبس مناسب للرحلة.

أشارت له وهي تتجه للجانب الايمن من الخزانة لتنقي ما يناسب خروجتهما السريعة، فلفت انتباهها وجود الميزان الخاص بالوزن، حملته نور ثم وضعته أرضًا، وما كادت بالصعود عليه حتى خطفه عمر من أمامها ليشير لها بتحذير:

_لا.. أنا مش ضامن أيه اللي هيحصل بعد كده.. الميزان ده عدوي اللدود.

وقذفه فوق الخزانة وهو يشير لها بتعصب:

_أنا مش جاهز لمرحلة اكتئاب الاوزان دلوقتي كفايا عليا كده!!

انتهى الطبيب من فحصها، والتأكد من حملها أولًا، فاكتشف بأنها بداية الشهر الثاني للحمل، وإن كان صغيرًا وغير باديًا على الجهاز، فكتب لها بعض الادوية والفيتامينات،

فقطع الورقة عن دفتره الخاص ثم قدمه لمن يجلس قبالته، قائلاً ببسمة هادئة:

_الادوية دي لازم تأخديها بمعادها، وإن شاء الله أشوفك بعد اسبوعين نطمئن على الجنين.

التقط منه عدي الروشته، ثم تطلع لرحمة الصامته فناولها المفتاح المجاور إليه وقال:

_حببتي انزلي تحت في العربية استنيني وأنا شوية وجاي.

وزعت نظراتها المندهشة بينهما، ثم التقطت المفتاح واتجهت للأسفل، وما ان تأكد عدي من هبوطها حتى قال بقلق:

_دكتور من فضلك صارحني، حملها الأول أنت شوفت بنفسك الخطورة اللي كانت فيها، حملها المرادي هيعرضها لنفس الخطورة؟

رد عليه الطبيب:

_أنا شايف ان حملها طبيعي جدّا، ولازم تعرف إن اللي عرضها للخطورة دي حملها بتؤام، والمرادي حملها في جنين واحد يعني إن شاء الله مفيش خطورة.

تهللت تعابيره فرحة فنهض عن مقعده ليصفحه اليد وشكره بإمتنان، هبط عدي للأسفل وصعد لسيارته فوجدها تنتظره والارتباك يستحوذ عليها، فما أن صعد جوارها حتى

تساءلت بريية:

_قالك أيه؟

انحنى تجاهها، فطبع قبلة خاطفة على يدها قائلاً والابتسامة تطيب قلبها:

_قال إن مفيش داعي للقلق.. وانك انتي والجنين بخير.

رددت بخفوت:

_الحمد لله.

شغل محرك سيارته وتحرك بها، فعلى رنين هاتفه برقم عمر، جذب الهاتف واجابه

باستغراب:

_خير؟

اتاه صوته يجيب:

_رحمة معاك صح؟

ضيق عينيه بدهشة:

_بتسأل ليه؟

ردد باستغاثة:

_هاتها وتعالى مول ***، نور مطلعة عيني!

سأله بريية:

_ليه؟

قال بسخط:

_كل ما بتخيرني بين فستانين بحاول أساعدها والله بس مش عاجبها ذوقي ولو متدخلتش بتتخانق بردو، مش راضية تشتري حاجه وأصحاب المحلات قربوا يطردونا من المول كله..

تعالى فورًا الله يكرمك.

ضحك وهو يخبره باستهزاء:

_محتاجة مساعدة ياسين ابني هي كمان!!

وانجرف بسيارته في طريق المول، فما أن وصل اليه فوجدوا عمر يقف أمام احدى

المحلات، يجوب الطريق ذهابًا وإيابًا وأما أن وجدهم حتى هرع اليهما يتساءل بغضب:
_اتأخرتوا ليه؟

اجابه عدي بسخرية:

_أنت ليه محسيني انكم اتمسكتوا وانتوا بتسرقوا! اجمد كده اللي يبصلك بعين نصفهاله!
تركتهما رحمة واتجهت للداخل لتعاون نور برحلتها الشاقة لشراء ما يناسبها، فبقى عمر
برفقة عدي بالخارج حتى انتهت الفتيات..

جذب عدي رحمة لأحد المحلات الجانبية، فتساءلت بحيرة:

_في أيه يا عدي؟

اخرج ما يخفيه خلف ظهره، فتفاجئت رحمة بما يحمله بين يده، جحظت عينيها بعدم
تصديق وبالرغم من معرفتها بما يحمله الا انها تساءلت ببلاهة:

_ده أيه؟

ابتسم وهو يخبرها:

_لبس بيبى ينفع للولاد والبنات.

بللت شفتيها بلعابها، فهمست وهي تهم بالخروج:

_أنت مش طبيعي!

كادت بالعثر، فأمسك بها عمر، ثم قال:

_حاسبي يا رحمة.. واحدة في وشك وبتجري على مين؟

تطلعت خلفها بذعر، وكأن هناك شبحًا يلاحقها، فقالت وعينيها لا تفارق من يدفع ثمن ما
اشتراه لأول مرة:

_أحلف إن ده عدي جوزي!!

واستكملت وهي تتطلع اليه:

_اتصلي بياسين الجارحي بسرعة!

الفصل الحادي والثلاثون

حمل عدي الملابس من البائع، ثم خرج خلفها يكبت ضحكاته بتحكم، فوجدها تخبر أخيه عن
تغيره الصادم، وما زالت تصر على طلبها مرددة:

_اطلبي ياسين الجارحي فورًا!

أتاها صوتًا من خلفها يجيب:

_أنا هنا هل من شكاوي أخرى؟

استدارت رحمة للخلف بدهشة انتقلت للوجوه بأكملها حينما وجدوا ياسين الجارحي يقف
قبالتهم برفقة آية، فردد عمر بذهول:

_بابا حضرتك بتعمل أيه هنا؟!

كادت آية بإجابته فسبقتها نور التي صاحت بغرور:

_أنا السبب في تواجد الباشا وحرمه!

واسترسلت بعنجهية:

_بصراحة كده أنا اللي ألحيت على عمر يطلب من عدي يجيب رحمة تساعدني وفي نفس
الوقت كلمت ماما آية وقولتلها تيجي تساعدني في اختيار اللبس، يعني كل ده مدبر

ومخطط له من البداية.

رفع عدي أحد حاجبيه باستغراب:

_أيوه كل ده ليه يعني؟

ردت عليه بابتسامة رقيقة:

_عشان نفسي تتجمع كلنا كده بره البيت.

واستطردت على استحياء:

_أنا أسفة لو كنت عطلتكم أو ضايقتكم بدون ما أقصد..

هنا تمرد عن صمته حينما قال ببسمة هادئة تفتر على طرفي شفتيه:

_بالعكس أنا حبيت أنا نقضي وقت مع بعض، فكري بالطريقة دي دايماً يا نور.

ابتسمت آية وأشارت لها باستفهام:

_يعني خلاص اختارتي اللي يناسبك ولا لسه محتاجة مساعدتي؟

ردت عليها قائلة:

_رحمة ساعدتني وخلصنا.. نطلع بقى على أي مكان نتغدى فيه ولا أيه؟

سألها عدي باهتمام:

_حابين تتغدوا فين؟
حدجه ياسين بنظرة غامضة، اتبعها قوله الماكر:
_مكانك السري أنت ووالدتك، اللي بتهربوا ليه كل فين وفين!
برق بعينه بدهشة، فتطلع لآية فوجدها ترفع يدها وتهمس اليه:
_مبعرفش أخبي عنه حاجة!
قاطعهما عمر حينما تساءل بدهشة:
_أيوه أيه المكان ده، وفين؟
مقاطعة أخرى كانت لصالح مليكة التي دنت منهم مسرعة ومن خلفها ياسين الذي يلحق بها، فتفاجئت بوجود العائلة لجوارها مما دفعها لتتساءل بقلق:
_في أيه يا نور؟ قلقتيني!
اتجهت جميع الأعين تجاهها، فرفعت يدها وهي تشير لهم ببسمة عريضة:
_كده كملنا ومعتش حد ناقص!

على طاولة مستديرة في أحد الأحياء الشعبية، تدلت رائحة المشويات والطواجن الشهية، لتزقزق البطون الجائعة التي تشتهي لتذوق ما تتبعه تلك الروائح الطيبة، حمل الشاب اليافع العديد من الطواجن على صينية مستديرة، ثم اتجه للطاولة التي تضم عائلة من أشهر عائلات الطبقة المخملية، قد يجهل كنايتها هذا العامل، ولكنه اعتاد على تقديم واجبه على أكمل وجه للزبائن، فوضع الطواجن قبالتهم، ثم شرع بوضع المقبلات والخبز، غادر من امامهم ليترك الذهول يتمكن من بعض النظرات والصدمة من بعضهم، رمشت آية بعينها بتوتر، ومع ذلك رسمت ابتسامة خافتة وهي تقرب منها أحد الطواجن مشيرة لزوجها:

_ده بقى الطبق المفضل عندي أنا وعدي، طاجن ورق عنب بالكوارع.
أسبل ياسين الجارحي بعينه وتحلى برداء الصمت، بينما جذب عمر الطاجن وكان أول من تساءل بدهشة وهو يتأمل الزيت الطاغي على سطح الطعام:
_يتأكلوا كمية الدهون دي ازاي!
جذب عدي احد الطواجن قبالتة وشرع بتناوله وهو يردد:
_طعمه يغني عن التأملات!
جذبت نور الطاجن المقابل اليه، وبدأت بإلتهاهم أصابع ورق العنب الشهي، فأبدت اعجابها:
_أول مرة أدوقه بالكوارع بس طعمه جامد بصراحة.
وزع ياسين نظراته بين عدي وما وُضع أمامه ، فجذب الشوكة القريبة منه ثم وضعها بأحدى الورقيات، وما كاد بتناولها فتوقف وسأل عدي بفضول:
_الرياضة هتقدر تقاوم كمية السعرات دي؟
تناول ما بيده وهو يشير لابن عمه بغرور:

_ياين ان جسمي اتقصرت بيها؟
_شرع بتناول طعامه هامسًا بقلق:
_ربنا يستر!
_مالت آية على كتفي ياسين، فوجدته لم يبدأ بطعامه، فتساءلت بحيرة:
_مأكلتش ليه يا ياسين؟
_منحها ابتسامة هادئة، قبل أن يجيبها:
_عشت عمري كله بحافظ على جسمي وصحتي، فأعتقد الموضوع محتاج تفكير.
_منعت ضحكة كادت بالانفلات عنها، ثم قالت بإستنكار:
_أنا على طول بعملك ورق العنب!
_جذب الملعقة ثم حمل ما يعلوه طبقه، مرددًا:
_بس مش بكمية الدهون دي!
_ورفع عينيه إليه ليعاتبها بحدّة:
_وانتي ازاي كنتي بتأكلي الأكل ده.. صحتك يا آية؟!
_ارتبكت ولم تجد الا الحل الأمثل للهرب من طوفانه:
_أنا مش بأكل الاكل ده على طول كل فين وفين كده.. وبسبب الحاج عدي.
_سعل بقوة وهو يحاول مضغ طعامه بعد سماعه ما قالت، فانتهى مما يتناول، ثم انتقل بمقعده اتجاه الجانب الأيسر لابييه، وقال وعينيه لا تفارق والدته:
_بتشديني لساحة حرب ياسين الجارحي ليه واحنا واخدين هدنة!
_ضحكت بصوتها الرقيق، وجذبت طبقها، قائلة:
_مفيش مانع تدخل معاه حرب جديدة في سبيل ان ميزعجنيش وأنا بلتهم الطاجن المخصص ليا!
_قرب وجهه منه أذنها، وهمس فيها بنبرة مثيرة:
_أنا ولا الطاجن؟
_التفتت تجاهه فتقابلت عينيها بعسلية الآسرة، بدى ارتباكها جليًا لمن يتابعهما ببسمة صغيرة، فتراجع ياسين للخلف ليعود لهيبة جلوسه الصارمة، وتابع حوارهم مع عدي، الذي انتصب بوقفته بعيدًا عن مقعده، ف جذب طبقًا فارغ ثم سكب الزيوت الزائدة عن طاجن أبيه، وقدمه اليه وهو يشير له بمكر:
_اتفضل حليت لحضرتك مشكلة الدهون.
_وتابع ببسمة هادئة وهو يجذب هاتفه:
_لو حابب أبحتلك عن فوايد الكارع تساعدك في اتخاذ قرارك؟
_منحه نظرة غامضة، قبل أن يجذب ما أمامه فدفث شوكتة بالطعام وبدأ بتناوله، راقبه عدي بتمعن، فمال عليه ليهمس له:
_مش بطل!

ضحك وهو يشير له بما يحمله بشوكته:

_ده أفضل اختراع في التاريخ يا ياسين باشا.

ابتسم ياسين وهو يراقبه بحنان، فقد طوال حياته أهم لحظات قد تجمععه بآبنائه واليوم بفضل نور تجمعا ولأول مرة على طاولة واحدة، فحانت منه نظرة دافئة لها، ثم مررها جميعًا لآبنائه، ابتداءً من عمر الذي يتناول طعامه بخوفٍ ويضع كل ما يقابله على طبق نور التي تلتهمه بمرح، ونهاية بياسين الذي يحاول اقحام مليكة بالأمر ورفضت ذلك بتصميم، ثم أخبرته:

_اطلبي حاجة ثانية يا ياسين، أنا مصدقت وزني نزل بعد الولادة.

مال عليها وهو يهمس لها بعشق:

_ولو زدتي مية كيلو صورتك في عيوني عمرها ما هتتغير يا ملاكي!

وجذب بشوكته أحد أصابع الملفوف، ثم وضعها بفمها، فتناولتها على استحياءٍ وهي تردد بصوتها المنخفض:

_ياسين!

أجابها بهيام:

_لما بتنادي اسمي مش هتنجحي تحظريني لشيء، لأنني بفقد عقلي وكل تركيزي وعيوني مش بتشوف غيرك وقتها!

اصطبغ وجهها بحمرة طفيفة، فوضعت المنديل الورقي أمام شفتيها، لتتصنع مسحها لفمها بينما تخبئ وجهها الأحمر، فرفعت عينيها لوالدها الذي يراقبها، فمنحها بسملة صغيرة من طرفي شفتيه، ابتسمت له مليكة ورددت بتوتر لمن جوارها:

_عجبك كده بابي بيبصلنا!

رفع ياسين رأسه تجاه ياسين الجارحي، فمنحه نظرة تحذرية بعدم الضغط على ابنته بتناول ما لا تحب، فتنحج بخوفٍ مصطنع وهو يشير له بالطاعة، ثم أشار للعامل الذي أتى إليه، ليخبرها بانصات:

_اطلبي اللي تحبيه يا حبييتي، عشان متتعيش.

حافظ على الكمية المسموح لجسده بتناولها، وأبعد ياسين عنه باقي الطاجن ثم بدأ يتناول اللحم المشوي(الكفتة) بالخبز والسلطة الطازجة، راقبه عدي بتمعن، فرفع ساعديه ليستند بفكيه، مخفيًا تلك الابتسامة العابثة، فلم يستطيع السيطرة على كلماته المندفعة على لسانه، فقال:

_صدقني الطاجن كله مش هيقصر على حضرتك؟

حانت منه نظرة خبيثة إليه، قبل أن يوجه اتهاماته الصريحة:

_أنت نفسك أفقد جسمي اللي فضلت طول السنين دي أبنيه، هتموت وتبني العضلات اللي عندي!

تأمله عدي بتيهةٍ، يحاول تفسير كلماته المبهمة رغم وضوحها، فانفجر ضاحكًا، وأشار له

بصعوبة بالحديث:

_لا في دي حضرتك عندك حق.

ثم أشار لقميصه وهو يتابع:

_في عضلات محتاج أبرزها في جسمي عشان توصل لشكل جسم حضرتك.

لم يكف عن مراقبته لثوان، مستمتعًا بمراقبته لعضل جسده البارز أسفل قميص حله
السوداء، بعد رياضته العنيفة الذي اتخذها منهجًا لحياته، فقال وهو يمنحه نظرة تسلية:
_محتاج لسه وقت.

استكمل عدي ما يلتهمه وهو يشير لابييه، مرددًا:

_فعلاً.

تابعه بعسلية وهو يستكمل تناول الدهون بالرغم من حديثهما المتشارك عن الرياضة
والطعام الصحي لتو، فقال وهو يمنحه نظرة قاتمة تتوزع بينه وبين الطبق الذي يتناوله:
_واختيارك لنوعية الأكل.

ابتسم عدي وقال وهو يستكمل طعامه:

_أنا مش بأكل النوعية دي كثير، يعني كل ما زوجتك المصون تحب تيجي هنا بأخترق

القوانين مش لأجلي لأجل ست الحبايب!

أفتر وجهه عن ابتسامة اتبعها قوله الساخر:

_لا بتضحى فعلاً!

أكد له وهو يتابع تناول طعامه:

_طبغًا يا باشا، بينما أنت منشغل بتمارينك الرياضية لمنافسة ابنك البائس هو منشغل
بترضية والدتي.

تعالى ضحكاتها الرجولية معًا والجميع يراقبهم باستغراب، صوتهم منخفض للغاية ولم
يستمتع اليهما أحد، انتهى عدي من تناول طعامه وفتح أحد الزجاجات الغازية، فراقبه
ياسين بصدمة وأضاف:

_كمان؟!

ضحك وهو يرتشف القليل منها، مستكملًا حديثه:

_الأكلة دي لزمها حاجة نبلع بيها يا دنجوان!

غام بعينيه، فاعتدل بجلسته عاقدًا ذراعيه على الطاولة، متسائلًا بحيرة:

_وصلك لقب الشقاوة ده منين؟

أجابه وهو يستكمل تناول مشروبه:

_من عمي يحيى.

وتابع قائلاً:

_متقلقش الشباب كلهم عارفين أمجادك السابقة، تقريبًا عمي حمزة مكنش له سيرة عنها
طول فترة وجودي بالمقر.

انفجرت شفتيه عن ابتسامه، فوضع عدي الكوب عن يده، ثم دنى منه ليخبره بجديّة تامّة:
_النهاردة شوفت نفسي في ياسين ابني.. ويمكن عذرت حضرتك كثير.
رفع أحد حاجبيه بدهشة، فتابع عدي بإيضاح:
_يعني خوفه على رحمة من غضبي، بالرغم من اني لو اتعصبت على الدنيا كلها بجي
عندها وبكون حد ثاني.
وقابله بنظرة غامضة، وهو يسترسل:
_نفس حضرتك تمامًا!
وابتسم وهو يتابع:
_ومع ذلك مكنتش متضايق منه أبدًا، بالعكس ابتسمت وانا بفكر موقفني معاك اللي
مكنتش قادر أفهمك فيها!
جذب ياسين كوب القهوة من العامل، ثم ارتشفه بتلذذ يشعر به بفرحة ما يستمتع له بذاك
الوقت المميز، فمنحه نظرة دافئة قبل أن يخبره:
_كنت عارف إن الوقت ده هيجي وهتقدر تفهمني.
ووضع الكوب عن يده، ثم التفت بجسده تجاهه وهو يحذره بإشارة غاضبة:
_ياسين مش شبهك عشان ميختلطش عليك الأمر، حفيدي طالعلي وده شيء أنا واثق
منه.

كبت عدي ضحكة كادت بالانفلات منه، وأكد له دون عناد:
_بالعكس أنا معترف بده.

كبت رحمة ضحكاتنا بصعوبة وهي تتابع مليكة الغير محتملة لنوعية الطعام المقدمة
إليهم، فوضعت نور قبالتها القليل من (المنبار المحشي) ، وأكدت عليها:
_متكتريش عشان الحمل.
حدجتها بنظرةٍ ساخرة قبل أن ترد:
_لسه جاية دلوقتي تراعي الحمل، أنتي من ساعتها نازلة عليا بالسمين كله!
بعدم مبالاة أجابتها:
_وماله خلي الواد يتغذى.
انخرطت بموجة من الضحك، فتناولت ما وضعت أمامها وهي تشير بإعجاب:
_لذيذ أوي.. شبه اللي ماما كانت بتعمله.
وتلاشت ابتسامتها وهي تذكرها بدعوة:
_ربنا يرحمها ويغفر لها.
توغل الحزن لمعالم نور، وحدها تعلم ألم فقدان الأهل، لذا أرادت انتشالها من تلك
الدوامة الموجوعة، فقالت:
_لو كنت أعرف إن ماما وعدي لما بيخرجوا بيحوا هنا مكنتش سبتهم أبدًا.

أجابتها رحمة:
_الأكل يستاهل بصراحة.
قرب عمر رأسه اليهما ثم تساءل بريية:
_بتتفقوا على أيه ثاني؟
اشارت له رحمة بصدمة:
_إتفاق! أنا بتفاجئ زبي زيك والله!
أقحم ياسين ذاته بالنقاش المتبادل، فقال ببسمة هادئة:
_بس بجد خروجة لطيفة، تسلم دماغك يا نور.. تقريبًا أول مرة نتجمع في مكان زي ده.
أشارت نور لعمر ثم عاتبته باستنكار:
_شوفت الناس الذوق اللي بتفهم.
حذرتة مليكة:
_عمر متجادلش نور هنا، ياسين بابا موجود وهيقف في صفها!
غمزت لها نور وكأن برقيتها ديتًا اضافيًا لمساندتها لها الآن، ثم تابعت بقولها:
_أختك وجوزها فاهمين الدنيا ماشية ازاي مش عارفة حقيقي هتقدر تفهم أمته يا دكتور!
نظراته العاشقة منحتها عاطفة جعلتها تتحاشى التطلع إليه، فالتفت بتناول طعامها خشية
من أن يفضحها ارتباكها الصريح.

تعلقت عينيها بوجود أولادها الثلاث بفرحةٍ، تتابع حوار زوجها مع عدي وقد بدى لها تطور
علاقتهم أخيرًا، من يراها يظنهما صديقين مقربين للغاية، وعادت بعينيها لعمر الذي
يهمس لنور فتتهرب منه خجلًا بحديثها المرح مع رحمة، وانتهت بابتها المدلالة التي
مازالت تصر على ياسين بمغادرتها لذلك المكان، فأقنعها أخيرًا بتناول البيتزا، فتفاجئت
بتوفرها بمكان هكذا، وبدت الفرحة جلية على معالمها بعد تناول ما طلبه ياسين إليها،
انتفضت آية بجلستها فزعًا حينما شعرت بيدٍ تمتد لتحاصر خاصتها، فالتفتت تجاهه،
فوجدته يمنحها ابتسامة اعتادت ظلمتها بإشراقته المميزة، تابعهما منذ بداية تأملها
لأولادها بفرحةٍ وراحة، وشاركها بضمة يده إن لم يستطيع ضمها لصدره، أطبقت أصابعها
بقوةٍ على أصابعه وبسمتها الرقيقة تجعله أسيرًا تأملها، فابتلع ريقه وهو يجاهد تلك
الربة المغربية التي تدفع به إليها، يود لو ضمها واختطفها ليخلو بها بعيدًا عنهم، فنهض
عن الطاولة وأشار لهم بالاستعداد للرحيل، فصعد كلا منهم بصحبة زوجته لسيارته،
وانطلق السائق الخاص بياسين الجارحي للقصر ومن خلفه السيارات الثلاث.

اتبع عمر السيارات الثلاث عودة للقصر، فوضعت نور يدها على ذراعه ثم نادته:
_عمر.

التفت إليها، فشددت من ضغطها على ذراعه وهي تخبره:

_مش عايزة أرجع القصر ممكن؟
ضيق عينيه بدهشة، فأوقف سيارته جانبًا على طرف الطريق، ثم سألها باستهزاء:
_أمال عايزة تروحي فين يا محللة عيلة الجارحي، يكونش وراكي اجتماعات عائلية ثانية في مكان ثاني؟
ابتعدت عن مجال المرح المتبع بتلك اللحظة، وقالت بجدية:
_عايزة أكون معاك.
جحظت عينيه في صدمة، فردد بعدم تصديق:
_يا فرج الله، وأخيرًا هينوبني من الحب جانب.
وتساءل بمرح:
_يعني خلاص حليتي مشاكل العيلة كلها ومبقاش وراكي أي حد متخاف أو رافع دعوة؟
ملامحها الحزينة، جعلته يتراجع عن مزحه، فرفع ذقن وجهها إليه، ثم أحاط خديها بيده
وتساءل بقلق:
_في أيه يا نور؟
اصطنعت ابتسامة صغيرة ثم أردفت:
_هتأخذني المكان اللي هقولك عليه؟
بدت غامضة للغاية، ومع ذلك شغل محرك السيارة وقال:
_عايزة تروحي فين؟

تناول كوب قهوته الثاني ليتمكن من التركيز فيما هو مكلف به، عبث بحاسوبه وهو يراجع الأوراق المرسلة على حساب الواتساب الخاص به، فقاطعه رنين هاتفه، حرر زر الاتصال ليستمع لرعد يخبره:
_ها يا أحمد قدرت تحدد الغلطة فين؟
تمعن بتركيزه على الشاشة المعروضة من أمامه، وبدأ بشرح الخطأ المقصود بالملف، لذا جعل رعد يتعسر بالبداية لحسبة المبلغ المحدد للصفحة بأكملها، فلجئ لأحمد وكان خيرهم، انتهى أحمد من شرح خطأ الملف المعقد، وختم حديثه:
_عشان كده كان في عجز بحسبة حضرتك يا عمي.
حياه بنبرة اعجاب:
_ده انت اللي عمي وأستاذي!
رد بحرج:
_العفو يا عمي.. أيه اللي حضرتك بتقوله ده؟
=بقول الحقيقة، أنا فخور ببيك وبدماغك دي ما شاء الله... حقيقي حمزة محظوظ انك ابنه..
_ربنا يكرمك يا عمي ويباركلنا فيك يا رب
ابتسم رعد وابلغه:

_تسلم يا حبيبي، يلا اقفل وخدلك ساعتين راحة قبل السفر.. تصبح على خير.
_وحضرتك من أهله.

أغلق أحمد هاتفه، ثم اغلق الحاسوب وجمع أوراقه لدرج خزانته، واتجه لغرفته فبحث عنها بعينه، وجدها تجلس على الأريكة القريبة من الشرفة، متكأة بجسدها العلوي على حافته ورأسها مسنود على ذراعيها المتربعة خارج حافة النافذة، جلس لجوارها فوجدها شاردة حتى لم تشعر بوجوده، فطرقع أصابعه أمام وجهها وهو يتساءل:
_سرحانه في أيه؟

رمشت بعينه بفزع، فذمت شفيتها بسخط:

_خضتني يا أحمد!

جذب الوسادة المطولة الخاصة بالأريكة، وأبعد قدميها للداخل، ثم تمدد قابلتها وهو يعود لنفس سؤاله:

_كنتي بتفكري في أيه؟

ابتسامة بلهاء ارتسمت على شفيتها، فعقدت صفقة صغيرة معه حينما قالت:
_أقولك ومتضحكش؟!

وضع الوسادة على قدمه واستند عليها وهو يردف:

_اتعودت أتحكم بانفعالاتي وقت ما بسمع تفاهتك.. فاعتبريني جاهز!

رבעت قدميها ثم زحفت بجسدها حتى باتت جواره، وقالت ببسمة واسعة:

_كنت بفكر في غبائي وحاسة اني عايزة ارجع لسنين كتير ورا وأضرب نفسي قلم يفوقني وأرجع تاني.

ضيق عينيه بتعجب، فابدى نجاحًا باحكامه أعصابه، وقال:

_طب وترجعني ليه ما تخليكي مع نفسك شوية لحد ما تصلحي نقاط غبائك كلها!

لوت فمها وعينيها تبرق بغضب:

_بتتريق عليا؟

مرر يده أعلى أنفه وكأنه يدلکها قبل أن يربع قدمه هو الآخر ويقترب إليها وهو يتساءل ببطء:

_طب فهميني عايزة تعاقبي نفسك ليه؟ أيه اللي عملتيه ومحسسك بالذنب بالشكل ده.

تأملت عينيه بنظرة مطولة، قبل أن يتبعها همسها المغري:

_أنت.

عبس بعينه بعدم فهم:

_أنا!

هزت رأسها مؤكدة، وأضافت:

_كل ما بفتكر إنك كنت جنبي طول الوقت وأنا مكنتش حاسة ببيك ببقى هتجنن، ومش

عارفة لو كنت ضايعتك من إيدي كنت هعيش ازاي!

واتكأت بمعصمها حتى استقامت بجلستها بعيدًا عن مواجهته وهي تستطرد:
_بس لما بفكر بردو بلاقيك غلطان لانك محاولتش تلفت انتباهي ليك ولحبك!

رد عليها مستنكرًا حجتها الماكرة:

_بعيدًا عن اللي بتقوليه ده كله بس إنتي جاية بعد كل السنين دي وتفتحي في اللي
عدى! ده احنا بقا معانا عيلين يا آسيل!!

تجاهلت ما يقول، وكأنها لم تستمع إليه من الأساس، فاسندت رأسها ليدها وهي تهمس
بصوتٍ كان مسموعًا إليه:

_يعني شاب وسيم زيك وحنين وذكي، ورومانسي ازاي مقدرتش أحس بيك من البداية
مؤكد اني غبية!

طوفها بنظرةٍ متفحصة، ثم تعالت ضحكاته الرجولية بعدم تصديق، فاتجهت نظراتها
النارية تجاهه، وضع أحمد يده على فمه وهو يشير لها:
_آسف.

ثم اقترب منها وفجأها حينما حملها عن الاريكة، فصاحت به:

_موديني فين.. في كلام كثير مقولتوش لسه!

رد عليها وهو ينحرف بها بين يديه على الفراش، فسقطوا معًا، جذب بيده دبوسها الأسود
فانفرد شعرها من خلفها، وتساقطت خصلاته فوق عينيها، أبعدته عنها وتمعن بالتطلع إلى
لؤلؤتيها، ثم همس لها بشوق:

_كملي كلامك هنا أحسن.

أسبلت بعينيها بارتباكٍ، ولسانها يردد بتيهة:

_ها؟

ابتسم وهو يخبرها لها بمشاكسة:

_كنتي بتعاكسي فيا.. كملي!

هزت رأسها نافية، فجذبها اليه حتى بات يحاصرها إليه، ثم غمز لها بمكر:

_أكمل أنا اللي وقفتي عنده!

توقف بشارع جانبي بأحد زقاق شوارع القاهرة الشعبية، ففتحت نور باب سيارته الجانبي
ثم هبطت تتأمل ذاك المبنى المقابل لها ذو الخمسة طوابق بأعين دامعة، هبط عمر
خلفها، اتبعها وتساءل وهو يراقب المكان بدهشة:

_نور احنا فين؟

تغاضت عن اجابته وصعدت الدرج الجانبي حتى وصلت للطابق الثالث، اتبعها عمر حتى
وجدها تقف أمام احد الأبواب الموصدة، وعينيها تلمعان حتى باتت لم تحتمل تجمع تلك
الهالات فانحدرت على خديها بصمتٍ قاتل، أمسك بيدها ليدفعها لمقابلته، وسألها بلهفة:

_مالك يا نور، وجبتينا هنا ليه؟

خلعت طوقها ثم فتحته لتحرر منه مفتاحًا صغير، دثته بفتحة الباب الذي أصدر صريرًا مزعجًا للغاية لفتحه بعد سنوات عديدة، ولجت نور للدخل بصمت مازالت تتحلى به، فلحق بها عمر بقلبٍ مكلوم، هو يعلم بأن تلك الحالة التي تبدو عليها الآن غريبة و غرابته تطعن مخاوفه، لا يرغب بأن تعود لما كانت عليه منذ بداية علاقتهما، أحبها مرحة تحب مشاغبة الجميع، واقحام نفسها فيما لا يعنيه في سبيل رؤية جميع عائلته سعداء، وجدها تلامس كل قطعة أثاث بالمنزل الغريب عنه، وانتهى بها الأمر أمام صورة كبيرة بعض الشيء، ازاحت عنها الغبار ثم أشارت بعينيها له بالاقتراب، فانضم جوارها، ليجدها أخيرًا تنزع لحظاتها الصامتة حينما قالت ببسمة تعاكس دمعاتها:

_ده بابا.

رجلًا على ما يبدو في نهاية العقد الثالث، يغزو الشيب بعض خصلات رأسه، وخطت التجاعيد خطوط منعرجة لتترك أثر المعاناة التي قضاها بالكد لكسب قوت يومه، وبيده فتاة صغيرة تتمسك به وابتسامتها كإشراقة شمس يومًا طالت غيومه، شعرها منقسم لجداول قصيرة، وعلى ما بدى قرب ملامحها لحبيبتة جعل أمرها معروف إليه، حدثت نور بالصورة قليلًا، وقالت بحزن يذبح فؤادها:

_دي كانت آخر صورة جمعتنا بعدها بكام شهر جالنا خبر موته.

واستدارت لتقابله بعينيها الباكية وهي تستطرد:

_وقتها مكنش في حد جنبنا أنا وماما، كنا لوحدينا ولحد ما فقدت بصري بعدها مبقاش ليا شيء في الدنيا، هي كانت بصيرتي وحياتي، كنت بخاف أفكر في اليوم اللي هيجي عليا وهي فيه مش جنبي وخصوصا لما تعبها كان بيزيد عليها وبتحاول تداري عني، كانت فاكدة اني مش عارفة اللي فيها وانا كنت بسمعها كل يوم وهي بتتألم ومكنتش قادرة أساعدها ولا أساعد نفسي يا عمر!

انحرفت دمة خائنة عنه، وهو يتابع ارتجاف شفيتها وما تحاول اخباره به، فرفع وجهها بيده وبيده بالآخرى حاوط خصرها ليضمها بقوة، وذقنه تجبر رأسها الميل على صدره، تمسكت به نور وأطلقت العنان لما انحسر داخلها، فتحرر نبرته متقطعة تأثيرًا لبكائه المكبوت:

_يا رتني كنت جنبك من زمان!

تعلقت بقميصه ويدها تضمه اليها بكل قوة، ظلت لدقائق تستمد طاقتها للحديث،

فرفعت اليه رأسها ومازال يصر على ضمها إليه، فابتسمت وأخبرته:

_انت مكنتش زوج ليا بس يا عمر، أنت ادتني كل حاجة، عيلة كاملة... ادتني أم عظيمة بشوف فيها والدتي..وأكثر من أخ وأخت.

ابتسم وهو يزيح دمعاتها بيديه، فاسترسلت بغمزة مرحة:

_وياسين الجارحي.. اللي للأسف مش هقدر اوصفه ببابا الراحل الطيب الغلبان، له مكانة كبيرة صعب أوصفها..والأهم انه هو اللي بيسندني قدامكم كلكم من غيره كنتوا قتلتنوني. أبعدته عنها ثم وضعت يديها بمنتصف خصرها وهي تخبره:

_ثم إني بـيك قوية ومفترية!

رفع أحد حاجبيه بذهو، ثم انطلقت ضحكاته فضمها اليه وهو يردد:
_أيوه انا عايزك كده، ضحكك متفارقش وشك أبدًا، أنا مبيهونش عليا يومي غير ابتسامتك
دي يا نور.. بفرح وأنا شايف الكل جوه قصر الجارحي بيعزك وبيميزك لانك تستاهلي.. هما
قادرين يشوفوا قلبك الطيب وحبك لغيرك.. عمري ما اتضايقت من تداخلك في حياة حد
لاني عارف انهم يهموكي وبتحاولي تشوفيهم مبسوطين ومرتاحين في حياتهم، من الآخر
أنا محظوظ بيكي يا نور.

قال كلماته الاخيرة ويده تجذب اليه يدها، فطبع قبلات متفرقة على باطن يدها، ابتلعت
ريقها بتوتر من لمساته الرقيقة إليها، فطالعه بحب كبير، وقالت ببسمة هادئة:

_عمر أنا اتحرمت من طفولتي وعشتها جوه بيتك ومعاك.

وتراجعت للخلف ويدها تقيدها خلف ظهرها بدلال، ثم تابعت:

_بيقولوا إن اللي يلاقي الدلع وميتدلّش يبقى عبيط وأنت دلعتني ورجعتني طفلة
عندها تسع سنين يبقى تستحمل جناني بقى!

وضع يده بجيب بنطاله القماشي، ودنا منها ببطء مهلك، وابتسامته تقتص من بعدها
باجتياز، وخاصة حينما قال:

_أنا حابك بكل حالاتك حتى لو رجعتي طفلة بدفرتين!

تعثرت قدميها بالسجادة فكادت بالسقوط أرضًا، ضم كفيه خلف ظهرها فانحنى جسده
فوقها، تعمق بالتطلع لعينيها والابتسامة الماكرة تلاعب شفثيه بخبث:

_بس دلوقتي عايزك تكبري كام سنة كده عشان نقدر نتفاهم!

تعلقت برقبتة فكاد بأن يختل توازنه بها للارض، فرفع ذراعه الآخر للحائط ليرفعها بجسده
للاعلى، ليتفاجئ بها تسبق خطاه لدرج الغرام المقيم، تتجراً بإثبات حبها إليه وتناديه
فيأتيها بكل جوارحه، خيمتهما عاطفة جياشة حتى وإن كان الغبار يحف بهما، فكانت تلك
المرّة الاولى الذي يزوار عمر منزلها البسيط وكان لديهما ذكرى خاصة بعشقهما المتعلق
بمقولة "عشقًا من النظرة الأولى!"

مع سطوع يومٍ جديدًا، اجتمع الشباب بأكملهم بالباص العملاق المخصص للرحلات
الصيفية، فنادرًا ما يتم استخدامه، توالى معترز القيادة بالتناوب مع جاسم وبقيت الفتيات
بالبابق السفلي من الباص أما الشباب فكانوا بالطابق العلوي برفقة الاطفال بعد أن
صمم عدي باصطحاب جميع الاطفال، بالرغم من معارضة الشباب للامر، فدفع حازم ابنه
خالد بغضب:

_يا ابني اقعد بقى قرفتني، هتتنيل تقع وتلبسني مصيبة!

بينما جذب مازن صغيره عز وهو يشدد عليه برجاء:

_عشان خاطري يا حبيبي اقعد بادبك

..يا تنزل لمامي تحت أضمن!
جذب الصغير يده من أبيه وهول لنهاية الباص الطويل، فجذبه أحمد وأحاطه بذراعيه مشيرًا له:

_خلي بالك يا حبيبي..هتقع!
كاد أسر الصغير بالنهوض عن مقعده ليشاركهما اللعب، فجذبه رائد بسخط:
_اقعد مكانك..

وذم شفتيه بعيس:
_عرفش صممت ليه يا عدي نجيب العفاريت دول معانا.. دي خروجه بعد زمن!
رد عليه عدي وهو يشير لابنه الجالس جواره على أحد معالم اسكندرية الشهيرة، فقال:
_خرجنا كتير يا رائد وجيه وقت الاولاد.. لازم نقضي معاهم وقت لان ليهم علينا حق ولا أيه؟
اجابه أحمد وهو يحمل ابنه الرضيع عن قدم ليان ابنته ويجذبها لصدره:
_عندك حق يا عدي.. احنا مقصرين جدًا.

ابتسم ياسين وهو يراقب يحيى الغافل على قدميه وييده احد الكتب التابعة للروائي العظيم د. أحمد خالد توفيق، فخلع جاكيتته وداثره به خوفًا عليه من تيارات هواء اسكندرية السقيع، ثم قال:

_ده حتى يوم الاجازة مبقاش اجازة!
اسرع حازم اليهم بالمقاعد المتوسطة للباص، فقال وعينييه تحد آخر المقاعد المتقاربة:
_هو عمر كان فين طول الليل من ساعة ما ركب الباص وهو في سابع نومة!

رفع عدي احد حاجبيه بسخط:
_وانا ايش عرفني ما تروح تسأله!
لعق حازم شفتيه هامسًا برعي:
_خلاص خلاص بس بلاش تقلب حواجبك وتقلب لياسين الجارحي يا عم!

بالاسفل.

اخرجت مروج ومليكة ما يحملانه من حلوى وتسالي، بينما جذبت داليا بعض العصائر من حقيبتها، فاضافت لهم شروق الترمس والمقرمشات، تابعتهم نسرين بازدرء ورددت:

_هو ده الاكل اللي هتنفسوني بيه!
تعالت ضحكاتهن، فقالت رانيا:

_ودي تيجي عملت حسابك في ربع فرخة وشوية لسان عصفور.. حتى شوفي!
وأخرجت من حقيبتها طبق صغير يحوي قطع الدجاج وشورية ساخنة، جحظت رحمة عينيها بصدمة:

_بتهزري يا رانيا جايبة بالاتوبيس فراخ وشورية!
اجابتها بضحك:

_هعمل أيه ما هي صعبت عليا وخوفت لتقول اننا جايينها نجوعها!
جذبت نسرين منها الطبق وتركتهما يتعاركن فيما يخص طعامها وبدأت بالتهام قطع
الدجاج، تفادى معتز احد المطابات فسقطت الشورية عليها بأكملها، ومازالت تحمل
الملعقة لشفتيها بصدمة جعلتها كالتمثال المتحجر، ضحكت شروق وهي تشير لداليا
المتحكمة بضحكاته مدعية حزنها التام لما أصابها، ومرة واحدة انفجرت الفتيات بأكملهن
من الضحك، فجذبت نسرين المناديل الورقية وأخذت تذيب عن فستانها وهي تقسم اليهن
بالاسوء، فحذبت المياه والقثها فوقهن وهي تردد:
_انتوا عالم بتحبووا الشماتة قد عنيكم.. رحلة أيه اللي طالعتها ده انتوا مش فالحين غير
في النم على خلق الله.

ردت عليها آسيل بمرح:
_وحد قالك اننا طالعين نعمل عمرة عشان نتوب ولا أيه؟!
ناولتها بعض من المياه، فصرخت بها بتحذير وهرعت للخلف حتى التصقت بنور الغافلة
بعمق، فانحنت آسيل لتتفادى المياه، فكانت من نصيب نور، التي سقطت عن المقاعد
المجاورة وهي تردد بخوف:
_ها.. مين.. فين؟

تأملت نسرين باستحغار اتبع نبرتها:
_انتي شاربة جرعة منوم وانتي طالعه.. ما تقومي ياما!
تركت نور المقاعد واتجهت لتجلس جوار رحمة وآسيل، فمالت على كتفيها، دفعتها آسيل
تجاه رحمة واتبعت رحمة نفس السياسية لتحمي مستوطنها، فتحت نور عينيها وهي تردد
بانزعاج:

_ما تثبتوا خلوني انام!
ردت عليها آسيل ساخرة:
_حد قالك اننا سرير هزار!
واستطردت بمكر:
_ثم اني سألتك كنتي فين وراجعة وش الصبح مردتيش يبقى اركني على سلفتك.
هزت رأسها بتأييد لفكرتها فاتجهت لرحمة التي مالت برأسها عليها بتعبٍ، وهمست اليها
ببسمة هادئة:

_ارتاحتي لما روحتي؟
هزت رأسها وهي تخبرها بما لا تخفيه عنها:
_جدًا يا رحمة.. أول مرة ادخل البيت بعد جوازي.
واستكملت بفرحة:
_البيت لسه زي مهو، كأني لسه سايباه امبارح.. ذكرياتي كلها محفورة لسه جواه.
ادمعت عين رحمة وقالت بنغزة تعيق صدرها:

_البيت مش موجود عشان يكونلي فيه ذكريات... ربنا يسامح اللي كان السبب.
حمدت الله حينما وجدت نور بسبات عميق لم يمكنها من سماع ما قالت، لا تريد نزع
فرحتها بما أراحت به بالها، أمسكت رحمة بطنها بتعبي وهي تجاهد دوارها المفاجئ،
فاتكأت على العصا المتفرقة بجوانب الحافلة، حتى وصلت لمقعد السائق بالامام، فنادت
بصوتها الواهن:

_معتز.

استدار اليها وتساءل بتعجب لرؤيتها:

_رحمة.. في حاجة؟!

قالت بتعبي وهي تميل برأسها على يدها المتعلقة بالعصا العلوية:

_من فضلك وقف الاتوبيس شوية.

سألها جاسم بنظرة متفحصة:

_انتى كويسة؟

هزت رأسها بأنها على ما يرام ولكن لم يبدو اليهما ذلك، انجرف معتز لجانب الطريق،
فانحنت رحمة على الدرج الخارجي للاتوبيس، فجلست عليه وهي تحتضن رأسها.
أرسل جاسم رسالة لعدي، فهبط من الاعلى على الفور، فمر من جوارها ثم انحنى تجاهها
وهو يتساءل بلهفة:

_في آيه يا رحمة!

رفعت رأسها الذي يدور اليه، ثم قالت بهبوط:

_دايخة أوي

أمسك يدها ثم جذبها اليه، ليعاونها على الهبوط، ثم جذبها للخارج قاصدًا الوقوف بها
أمام امواج البحر، استندت على يده وأغلقت عينيها تحارب ذاك الدوار، أنعشمت الهواء
قليلاً، وخاصة حينما احاطها عدي بذراعيه فشعرت بدفئه بعدما احاطها جزءًا من جاكيتته،
لاحظ عدي ارتجاف جسدها، فنزع عنه جاكيتته ثم أحاط جسدها به، فتطلعت اليه ببسمتها
الرقيقة، تساءل وهو يتفحص نظراتها الهادئة:

_آيه؟!

قالت ببسمة ساحرة:

_عجبنى جو الافلام الرومانسي الجاكت في وقت البرد ده!

ضحك بصوته كله، وضمها اليها خوفًا من أن تفقد واعياها فتنجرف عن الصخرة للمياه، ثم
قال:

_متقارنيش اللي بينا بأي فيلم لانها قصة ملهاش سيناريو!

أشارت له على الصخرة الجافة القريبة منهما، فجذبها لتجلس عليها، تأملت رحمة تلاطم
امواج البحر بانبهار، فلم يرد ازعاجها عما تتأمله، فجلس جوارها بسكون مطول، الى أن
قطعته متسائلة بفرحة ويدها تضم بطنها:

_هنسـمي البـيبي أيـه لو جـيه وـلد.

رـدد ساخـرًا:

_عـمر عـامل مـظاهـرات مـن الـيـوم الـلي اكـتـشـفـنا فـيـه حـمـلك.. ومـصـمـم ارـدـلـه الـاسـم الـلي سـمـاه لـابـنـه!

تـعـالـت ضـحـكـاتـها، وـقـالـت:

_خـلاص لو جـالـنا وـلد هـنـسـمـيـه عـمر بـاذن الـلـه.

رـفـع اصـابـعـه يـبـعـد تـلك الخـصـلة المـتـمـردـة مـن أـسـفل حـجـابـها، فـجـذب حـجـابـها لـلامـام وـرـتـبـه قـلـيـلاً وـهو يـسـألـها بـصـوتـه الرـخـيم:

_وـلو بـنـوتـة شـبـهـك وـفـي رـقـتـك هـتـسـمـيـها أيـه؟

اـبـعـدـت يـدـه عـن وـجـهـها بـخـجـل، ثـم رـسـمـت بـسـمـة مـرتـبـكة:

_لا رـحـمـة مـصـمـمـة لو جـت بـنـت هـي الـلي هـتـخـتـارـلـها الـاسـم وـأنا مـسـتـحـيـل اـزـعـل بـنـتـي زـي مـانـت مـسـتـحـيـل تـزـعـل أخـوك!

تـمـردـت ضـحـكـاتـه بـصـوتٍ أـسـرـها وـخـاصـة حـيـنـما أـشـار لـها بـاسـتـسـلام:

_اـقـنـعـتـيـنـي!

سـنـدت رـحـمـة رـأسـها عـلى كـتـفـيـه وـماـزـالـت يـدـه تـحـتـضـن كـفـها، ظـلـت ثـلاـثـون دـقـيـقة شـعـرت بـهـم بـاسـتـردـاد اـتـزـانـها، فـعـاد بـها لـلـحـافـلة مـجـدًا وـتـلك المـرة رـفـض تـركـها وـالصـعـود لـلـاعـلى، وـرـفـض الجـلـوس بـالـخـلف حـتى لا يـحـرج الفـتـيـات، لـذا تـوالى قـيـادـة الحـافـلة وـلـجـوارـه تـمـدـدت رـحـمـة عـلى المـقـاعـديـن الـامـامـيـن.

قـطـعـت الحـافـلة نـهاـيـة رـحـلـتـهم بـوصـولـها لـلـفـيـلا الخـاصـة بـعـائـلة الجـارـحـي، فـصـفـها عـدي بـالـچـراچ، وـاتـجـه الجـمـيـع لـغـرفـهـم لـنـيـل سـاعـات قـصـيـرة مـن الرـاحـة، وـمـن ثـم اجـتـمـعـوا بـالمـسـاء بـالـخـارج، حـيـث تـوالى أـحـمـد وـعـمر أـمر الطـعـام، فـقـامـوا بـنـصـب شـوايـة ضـخـمـة تـحـمـل شـتى أنـواع اللـحـوم المـشـويـة، وـتـولـت الفـتـيـات أـمر المـقـبـلات وـالسـلـطـات، بـيـنـما جـذب جـاسـم وـحـازـم غـطاء ثـقـيـل ضـخـم وـفـردـوه أـرضًا جـوار البـحـر تـقـريـبًا، أـما يـاسـيـن وـمـعـتـز وـماـزـن حـاولـوا خـلق أجـواء مـمـيـزة لـلـاطـفـال داخـل الفـيـلا خـاصـة بـأن الـاجـواء بـاتـت بـارـدة بـالـخـارج لـيـلاً، وـقـام عـدي بـاشـعـال النـيـران جـوار مـكان مـجـلـسـهـم لـيـمـد الجـلـسـة بـبـعـض الدفء، حـمـلـت الفـتـيـات أطـباق الطـعـام وـقـامـوا بـوضـعـها عـلى الأـرض، وـجـلـسـت مـلـيـكة وـآسـيـل تـعـدان بـعـض الفـطـائر وـالسـنـدوتـشـات الخـفـيـفة لـلـاطـفـال.

اجـتـمـع الجـمـيـع حـاول الطـعـام وـتـشـاركـوه وـسـط جـو مـن المـرح وـمـشـاركـة كـلى الاطـراف ما وـضـع أـمـامـهـم، وـخـتـام جـلـسـتـهـم بـدـعـوة رانـيا:

_عـقـبال ما تـتـجـمـع أـول يـوم رـمـضـان عـلى الفـطـار.

رـدـدوا جـمـيـعًا بـتـمـنى وـتـرقـب لـهـذا الشـهـر المـنـتـظـر المـبارك:

_يا رب.

انتهى جمع الطعام من أمامهم، ووضع عمر بعض الموسيقى الهادئة ليتشارك كل ثنائي الرقص الهادئ دون حركات تدين رجولة الشباب قبل أن تفتك بزوجاتهم، فاختراروا الرمال القريبة من البحر، حيث لامست المياه الاقدام بخفة، جذب عدي رحمة اليه فسكنت كتفيه باستسلام لسكينته، أما نور فمازالت تتبع مشاكستها المعتادة فقالت بمرح:

_كفارة يا دكتارة فينك من الصبح.

رفع حاجبيه بمكر يتبع ابتسامته الشيطانية الخبيثة:

_ابدًا كان عندي جراحة دقيقة في القلب ولسه في بعض التوابع لترميم الجراحة، أيه رأيك نرمم هنا ولا هناك تاني؟

لكزته بكتفيه فتعالت ضحكاته، وابتعد عنها ليتفادى ضرباتها المنفعلة بصعوبة..

راقبت آسيل ما يحدث بين نور وعمر الذي كاد بالسقوط بالمياه، فضحكت رغمًا عنها وهمست:

_مجنونة يا نور!

تابع أحمد ما يحدث ببسمة هادئة ثم عاد ليتأملها عن قرب جعلها تحاول الابتعاد للخلف قليلًا، فأشارت له بتحذير:

_خلي في مسافة بينا يا أحمد الناس حولينا!

اجابها بمكر:

_متقلقيش محدش هيركز معانا بالذات.

ضيق عينيها باستغراب:

_ليه؟

اجابها وهو يحيطها بذراعيه:

_لان العاقل محدش بيدقق وراه!

مالت برأسها أسفل ذقنه، وهمست إليه بخبث وهي تغفو على صدره:

_حيث كده تصبح على خير.

حاصر عينيها وأفتك بها كلما حاولت الهرب منه، فأشارت اليه بارتباك:

_أنت بتتعمد تسبلي قدام ولاد عمك عشان تخرجني يعني!

ضحك ياسين ومال بها، فطاقت ذراعيه بها مرتين، تمكنت بهما رؤية ما يحدث حولها، فكل منهم بعالم منعزل عن الآخر، لا يرى ما حوله، عادت اليه مجددًا بعدما انتهت رحلتها بين ذراعيه ليدفعها اليه، فاستندت بيدها على صدره، شعرت بوضوح بخفقات قلبه السريعة أسفل يدها، فتسائلت بقلق:

_ياسين أنت كويس؟

هز رأسه وهو يجيبها:

_لأ.

انتابها قلقًا صريحًا، فاقترب منها يهمس اليها بشيء جعلها تتورد خجلًا وتلومه بنظراتها،
فاحتضن اصابعها ثم جذبها بعيدًا عن الاعين لغرفتهما الخاصة.

حاولت محاذاة خطاه بنعال حذائها العالي، فاستغرقت وقتًا تراقب فيه خطاها حتى فشلت
برؤية نظراته الهائلة بها، لذا انحنى رائد إليها، وازاح عنها حذائها ثم استقام بوقفته بغرور،
راقبت رانيا حذائها الملقي ارضًا بصدمة:

_رائد انت عملت ايه؟ هقف كده ازاي؟!

رفعها اليه، فلامست حذائه، ثم تحرك بها وذراعه يطوفها من الخلف، راقبت عينيه الرمادية
عن قربٍ خطير، فهمست اليه:

_نزلني!

هز رأسه نافيًا، وهو يشير لها:

_السهرة لسه في بدايتها.. مفيش هروب!

ضحكت وهي تجيبه:

_مش بهرب بس مش مرتاحة من غير الجزمة.

ابعدها عنه ثم خلع حذائه وجذبها لداخل المياه التي ارتطمت باقدامهما، فسألها حينها:

_أيه رايك؟

احابته بفرحةٍ وهي تتأمل المياه التي يلامسها ضوء القمر الخافت عن قربٍ:

_ولا أجمل من كده..

ابتسم وهو يخبرها:

_أنتي الأجمل في نظري!

تناغمت اجسادهما على ايقاع الموسيقى الهادئ، لدرجة جعلت انفاسها منتظمة على
كتفيه، فناداها بعاطفةٍ:

_داليا... نمتي؟

هزت رأسها نافية ومازالت تستكين ذراعيه، فرفع وجهها اليه وهو يحذرها:

_لا فوقي كده بدل ما أرميكي بالمية!!

ابتسمت وهي تخبره بدلال:

_وأهون عليك.

تهدلت معالمة وهو يخبرها بحبٍ:

_عمرك ما هونتي ولا هتهوني على قلبي..

وضمها اليه وهو يهمس بعشق:

_بحبك!

حاولت ابعاد فستانها الطويل عن حذاءه، لتتفادى دعساته المتكررة، وحينما فشلت للمرة
الاخيرة، زفرت ببيأس:
_معتز فستاني يا معتز؟
اتجهت نظراته للأسفل، وردد دون معاتبًا:
_قولتلك بلاش ده من البداية!
رفعت عينيها اليه بندم:
_للاسف طلع عندك حق مكنتش متوقاع هيكون طويل كده.
ابتسم وهو يدنو منها بخبث:
_اللي اختارتهولك احلى.
اجابته بتوضيح:
_مينفعش تحت ده.
دنى منها وهو يهمس بمكر:
_مهو ده المطلوب.. نكمل سهرتنا بيه فوق.. يالا..
كادت بالاعتراض ولكنه حملها للأعلى، فتعالت ضحكاتهما بعدم تصديق!

طوفت رقبته بذراعيها، وعينيها لا تفارق عينيهِ العاشقة لتفاصيلها، فكانت اول من تحدثت
اليه:
_بقالنا كتير معشناش في هدوء زي ده!
ابتسم وهو يخبرها:
_الهدوء ده طبيعي تحسي بيه يا مروج لانك وسط أهلك.
خشيت أن يعود لتلك النقطة التي احزنت قلبه، فعلم ما تفكر به وأسرع بقول:
_أنا كمان بحس بالراحة وسط اهلك.. ناس قلوبهم صافية ونادرة وجودهم..
منحته ابتسامة صغيرة قبل أن تحيط برقبته:
_احساسي ده لانك انت كمان جنبي يا مازن.. أنا متخيلش حياتي وانت مش فيها لحظة.
جذب يدها اليه، فضمهما الى قبلته الحنونة، قبل ان يردد:
_أنتي كل حياتي يا مروج!

بعيدًا عن تلك الاجواء، جلس لجوارها على المقعد المجاور للمياه، يراقب ما يحدث أمامه
بغیظ، فأشار لها بضيق:
_ما تقومي بعمل أي حركتين نثبت بيهم وجودنا كده!
رفعت نسرين القبة عن وجهها، ثم أشارت له بعصبية:
_إبعد عني يا حازم السعادي.. مش صممت انت والبنات تجبيوني يبقى عايز أيه ثاني!

اجابها بصدمة:

_عايز ايه؟! ... عايز شوية مشاعر دافية يا بومة! مش خلصنا من هرمونات الحمل لسه ايه تاني!

اغلقت عينيها باسترخاء وهي تحببه:

_لسه نكد زيادة الوزن لحد ما ربنا ياخد بيدك وأنزل لوزني ساعتها هترجع حياتك وردية تاني.

_ده على سنة كام ان شاء الله؟

قالها باستهزاء، فوجدها مازالت تسترخي ببرود تام وتخبره:

_أنت وعزيمتي بقا الامل كله متوقف عليها.

جذب القبعة فوق رأسها مجددًا بسخط:

_نامي نامي.. يا رب يطلع عليك قنديل البحر ولا انشئ الجمبري تفترسك يا بعيدة.

انتفضت بجلستها، فلحقت به وهي تستدير خلفها بفزع، صارخة:

_حازم... متسبنيش!

اشار بيده بسخط وتركها، فركضت خلفه حتى باتت تحتجز ذراعه فابتسم بمكر وهو يقربها اليه مرددًا:

_متخافيش عروسة البحر هتدافع عنك بس لازم في طقس معين تعمله عشان تتوكل

بحمايتك زي ما بنوكل محامي يترافع عننا في البلاوي السوداء، واخدة بالك؟

راقبت المكان من حولها وهي تشير برأسها بفزع، فقال بتسلية:

_اعملي زي ما هقولك بالظبط.

هزت رأسها من جديد، فضم ركبتيه لبعضهما ثم تصاعد بجسده وهو يخبرها:

_خبطة لمين وخبطة شمال.. ادي!

فعلت مثلما يفعل، فردد:

_شاطرة زيدي القفزات عشان تدافع عنك بضمير.

جحظت عينيها بصدمة حينما بدأت بالاسترخاء وفهم مغزاه الوقح من فعلتها خاصة حينما

وجدته يصطحبها بعيدًا عن الجميع، فتوقفت عما تفعله وهي تخبره بمكر:

_حازم يا حبيبي ممكن تغمض عينك.

فرك اصابعه ببعضهما وهو يردد:

_يا فرج الله.

وأغلق عينيها وهو يستكمل:

_كنت عارف انك هتفاجئيني.. يلا وريني.

دفعته بكل قوتها فسقط بالمياه، سبح حتى خرج عن المياه بانفاس متسارعة، فقالت

بسخرية وهي تركض من امامه:

_معلش بقى انشئ الخريت قفشة شوية ومحتاجة ونس ليها!

خلع التيشرت عنه ثم قذفه تجاهها، فهرعت للداخل وضحكاتها تعلو لتغمر دقات قلبه
فارغمته على الابتسامة!

صعد عدي بها للأعلى بعد أن غفت على ذراعيه، وضعها على الفراش ثم جذب الغطاء
عليها وازاح حجابها عنها، انحنى عدي طابعًا قبلة عميقة على جبينها وهو يهمس لها:
_تصبحي على خير يا حياتي.

ثم نهض ليتجه للشرفة، سكن قبالتها قليلًا، فازعجه صوت هاتفه برسالة من الجوكر فتحها
ليجده يدون له

«في مفاجأة ليك يا وحش، لما أشوفك على الفطار أول يوم رمضان هبلغك بيها، عايزك
جاهز للي جاي لانه مش سهل، واللي متأكد منه إن تحالفنا المرادي تحالف شيطاني
هيدمر أي شيء يقف في وشه»!
.....يتبع للنوفيل الختامية.....